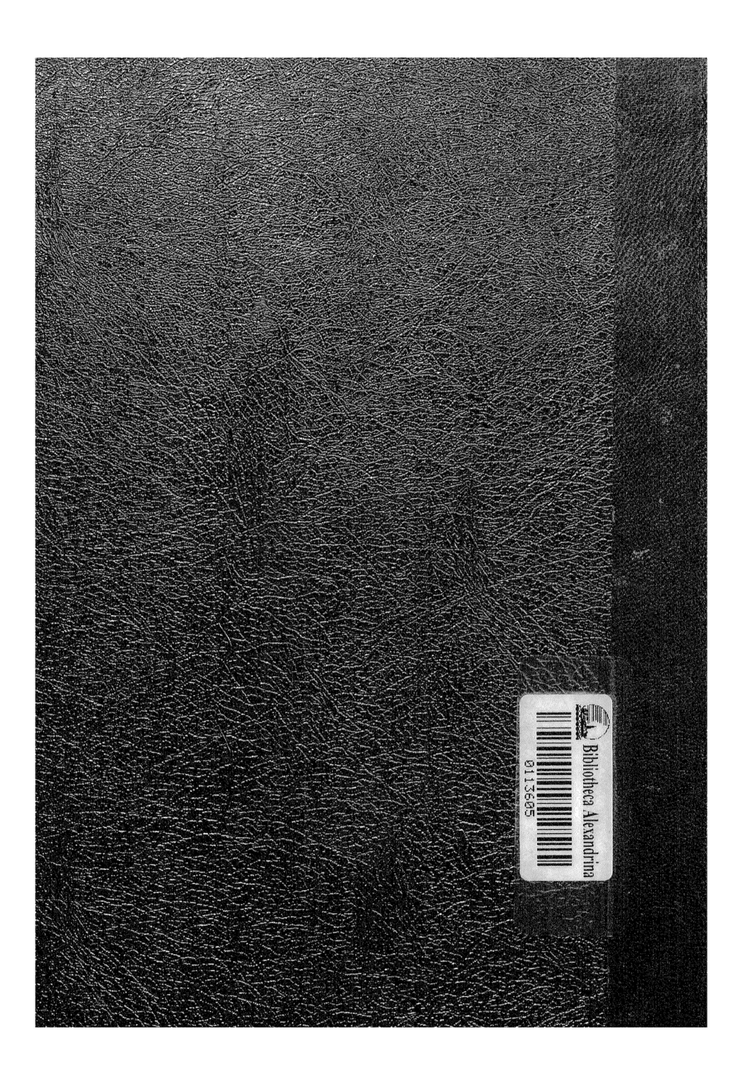

Bibliotheca Alexandrina
0113605



للمحدث الشهير والفقيه النبيل

علی بن سلطان محمد القاری رحمه الباری

المتوفى ١٠١٤هـ

الجزء العاشر

الناشر
دار الكتاب الإسلامي
القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

★ (باب فضل الفقراء و ما كان من عيش النبي صلى الله عليه وسلم) ★

★ (الفصل الاول) ★ عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم۔ رب أشعث مدفوع بالابواب لو أقسم على الله لابره رواه مسلم ★ و عن مصعب بن سعد قال رأى سعد ان له فضلا على من دونه

★ (باب فضل الفقراء و ما كان من عيش النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) ★

المراد بالفضل هنا زيادة الاجر و الثواب لا فضيلة المال و زيادة تحسين الثياب و قوله و ما كان من عيش النبي أى معيشته و فى نسخة من عيش رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على فضل الفقراء على ما لا يخفى و نكتة الجمع بينهما انه عليه الصلاة والسلام كان عيشه عيش الفقراء كاكثر الانبياء و الاولياء و كفى به فضلا للفقراء على الاغنياء و ان خفى هذا الامر على بعض الاغنياء ممن أدعى أنه من العلماء

★ (الفصل الاول) ★ (عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم رب أشعث) أى رب رجل أشعث أى متفرق شعر رأسه (مدفوع) بالجر (بالابواب) أى ممنوع منها باليد أو اللسان و المعنى أنه لايدخله أحد فى بيته لو فرض وقوفه على بابه من غاية حقارته فى نظر الناس و ذلك لما أراد الله ستر حاله عن الخلق لئلا يحصل له بالغير شئ من الاستئناس فيحفظه من الوقوف على أبواب الظلمة و أكلة الحرام كما يحمى أحدنا المريض عن استعمال الطعام فلا يحضر الا باب مولاه و لا يسأل عما سواه من كمال غناه و ليس المراد منه أنه يأتى أبواب أرباب الدنيا فيطردونه عنها و يدفعونه عن دخوله منها فان الاولياء محفوظون عن هذه المذلة و ان كان قد يقع لبعضهم من اختيار أرباب الملامة أو ممن صدر عنه الذلة و لعل فى بعض النسخ مرفوع بالراء حتى قال القاضى البيضاوى رحمه الله الاشعث هو المغبر الرأس المتفرق الشعر و أصل التركيب هو التفرق و الانتشار و الصواب مدفوع بالدال أى يدفع عن الدخول على الاعيان و الحضور فى المحافل فلايترك أن يلج الباب فضلا أن يحضر معهم و يجلس فيما بينهم (لو أقسم على الله) أى على فعلة سبحانه بان حلف أن الله يفعل كذا أو لايفعله (لابره) أى لصدقه و صدق يمينه و أبره فيها بان يأتى بما يوافقه كما وقع لانس بن النضر فى قوله و الله لاتكسر ثنيتها بعد قوله صلى الله تعالى عليه وسلم كتاب الله القصاص فرضوا أهلها بالدية بعد ما أبوا عليها و قال القاضى أى لو سأل الله شيئا و أقسم عليه أن يفعله لم يخيب دعوته فشبه اجابة المنشد و المقسم على غيره بوفاء الحالف على يمينه و بره فيها و قال شارح قيل معناه لو أقسم على الله بان يقول اللهم انى أقسم عليك بجلالك أن تفعل كذا و لايستقيم هذا المعنى فى هذا الموضع لانه قال لابره أى صدقه و لا مدخل للصدق و الكذب فى مثل هذا اليمين فيدخلها الابرار قلت اللهم الا أن يقال المعنى صدق رجاءه و وافق دعاءه (رواه مسلم) و كذا أحمد و فى رواية الحاكم و أبى نعيم فى الحلية عنه بلفظ رب أشعث أغبر ذى طمرين تنبو عنه أعين الناس لو أقسم على الله لابره ★ (وعن مصعب بن سعد) أى ابن أبى وقاص القرشى سمع أباه و على بن أبى طالب و ابن عمر روى عنه سماك بن حرب و غيره (قال رأى سعد) أى ظن او توهم (ان له فضلا) أى زيادة فضيلة أو مثوبة من جهة الشجاعة أو السخاوة أو نحوهما (على من دونه) أى من الفقراء

فقال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم هل تنصرون و ترزقون الا بضعفائكم رواه البخارى ★ و عن أسامة بن زيد قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم قمت على باب الجنة فكان عامة من دخلها المساكين و أصحاب الجد محبوسون غير ان أصحاب النار قد أمر بهم الى النار و قمت على باب النار فاذا عامة من دخلها النساء متفق عليه ★ و عن ابن عباس قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم اطلعت فى الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء و اطلعت فى النار

و الضعفاء (فقال رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم) أى جوابا له و اسماعا لغيره (هل تنصرون) أى على أعدائكم (و ترزقون) أى الاموال من الغنيمة و غيرها (الا بضعفائكم) أى الا ببركة وجود ضعفائكم و وجود فقرائكم فهم بمنزلة الاقطاب و الاوتاد لثبات العباد و البلاد و حاصله انه انما جعل النصر على الاعداء و قدر توسيع الرزق على الاغنياء ببركة الفقراء فاكرموهم و لاتتكبروا عليهم فانهم أهل سلوك المحبة على أضيق المحجة و ملوك الجنة فى أعلى مراتب المعزة و قال الطيبى رحمه الله قوله ان له فضلا أى شجاعة و كرما و سخاوة فاجابه صلى‌الله تعالى‌عليه‌وسلم بان تلك الشجاعة ببركة ضعفاء المسلمين و تلك السخاوة أيضا ببركتهم و ابرزه فى صورة الاستفهام ليدل على مزيد التعزير و التوبيخ (رواه البخارى) و رواه أبو نعيم فى الحلية عنه بلفظ هل تنصرون الا بضعفائكم بدعوتهم و أخلاصهم ★ و عن أسامة بن زيد قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم قمت على باب الجنة) أى ليلة المعراج أو فى المنام أوحالة كشف المقام أو بطريق دلالة المرام (فكان عامة من دخلها) أى أكثرها و هى مرفوعة و قيل منصوبة فيعكس (المساكين) أى الفقراء و الضعفاء (و أصحاب الجد) و فى الجامع و اذا أصحاب الجد بفتح الجيم أى أرباب الغنى من المؤمنين الاغنياء و الامراء (محبوسون) أى موقوفون يوم القيامة فى الصحراء و خلاصته أن أصحاب الحظ الفانى من أرباب الاموال و المناصب محبوسون فى العرصات لطول حسابهم فى المتاعب بسبب كثرة أموالهم و توسيع جاههم و تلذذهم بهما فى الدنيا و تمتعهم على وفق شهوات النفس و الهوى فان حلال الدنيا له حساب و لحرامها عقاب و الفقراء من هذا براء فلا يحاسبون و لا يحبسون بل قبل الاغنياء باربعين خريفا فى الجنة يدخلون مكافأة لهم فى العقبى لما فاتهم من الدنيا (غير أن أصحاب النار) أى الكفار (قد أمر بهم الى النار) قال الطيبى رحمه الله أى يساق الكفار الى النار و يوقف المؤمنون فى العرصات للحساب و الفقراء هم السابقون الى الجنة لفقرهم أى من غير وقوف فى العرصات و فى الجامع الا أصحاب النار فقد أمر بهم الى النار و خلاصته ان غير بمعنى لكن و المعنى أن أصحاب الجنة جعلوا قسمين محبوسين و مدخلين و لكن أصحاب النار جعلوا قسما واحدا أمر بادخالهم النار (و قمت على باب النار فاذا عامة من دخلها) أى أكثر من دخلها مع الكفار (النساء) لكثرة ميلهن الى الدنيا و لمنعهن الرجال عن طريق العقبى (متفق عليه) و رواه أحمد و النسائى عنه ★ (و عن ابن عباس قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم اطلعت فى الجنة) أى أشرفت عليها لقوله تعالى لو اطلعت عليهم نفى بمعنى على كقوله تعالى لاصلبنكم فى جذوع النخل و حاصله نظرت اليها أو أوقعت الاطلاع فيها (فرأيت) أى علمت (أكثر أهلها الفقراء) وقال الطيبى رحمه‌الله‌تعالى ضمن اطلعت بمعنى تأملت و رأيت بمعنى علمت و لذا عداه الى مفعولين و لوكان الاطلاع بمعناه الحقيقى لكفاه مفعول واحد انتهى و فيه انه لم يتعد هنا الى مفعولين كما لا يخفى (و اطلعت فى النار

فرأيت أكثر أهلها النساء متفق عليه ✶ و عن عبدالله بن عمرو قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه وسلم ان فقراء المهاجرين يسبقون الاغنياء يوم القيامة الى الجنة باربعين خريفا رواه مسلم ✶ و عن سهل بن سعد قال مر رجل على رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم فقال لرجل عنده جالس ما رأيك فى هذا فقال رجل من أشراف الناس هذا و الله حرى ان خطب ان ينكح و ان شفع ان يشفع قال فسكت رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم

فرأيت أكثر أهلها النساء متفق عليه) هذا الحديث رواه البخارى من حديث عمران بن حصين و من حديث أبى‌هريرة أيضا و رواه مسلم من حديث ابن عباس و رواه الترمذى من حديث عمران و ابن عباس كذا قال الشيخ الجزرى و على هذا فقول المؤلف فى آخر حديث ابن عباس متفق‌عليه لايخلو عن تامل ذكره ميرك و فيه ان مبناه على المسامحة حيث وقع الاتفاق على لفظ الحديث و ان اختلفا فى المروى عنه من الصحابة نعم كان حقه أن يقول رواه مسلم و رواه البخارى عن عمران بن حصين كما قال فى الجامع بعد ايراد الحديث بعينه رواه أحمد و مسلم و الترمذى عن ابن عباس و البخارى و الترمذى عن ابن عباس و البخارى و الترمذى عن عمران بن حصين ✶(و عن عبدالله بن عمرو) بالواو (قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم ان فقراء المهاجرين يسبقون الاغنياء) أى من المهاجرين فغيرهم بالاولى ولذا أطلق الاغنياء و على هذا يقاس فقراء كل طائفة من أهل زمان و مكان على أغنيائهم (يوم القيامة) أى لمحاسبة الاغنياء و لخلاص الفقراء عن العناء فان المفلس فى أمان الله دنيا و أخرى (الى الجنة) متعلق بيسبقون أى يسابقون و يبادرون اليها (باربعين خريفا) قال الطيبى رحمه الله نقلا عن النهاية الخريف الزمان المعروف بين الصيف و الشتاء و يريد به أربعين سنة لان الخريف لايكون فى السنة الا مرة واحدة انتهى فالمعنى بمقدار أربعين سنة من أعوام الدنيا أو الاخرى مع احتمال ان يراد بها الكثرة و يختلف باختلاف أحوال الفقراء و الاغنياء فى الكمية و الكيفية المعتبرة و خلاصته ان الفقراء فى تلك المدة لهم حسن العيش فى العقبى مجازاة لما فاتهم من التنعم فى الدنيا كما قال تعالى كلوا و اشربوا هنيئا بما أسلفتم فى الايام الخالية أى الماضية أو الخالية عن المأكل و المشرب صياما أو وقت المجاعة و قد ورد على ما سبق ان أطول الناس جوعا يوم القيامة أطولهم شبعا فى الدنيا و يؤيد ما ذكرناه من تفاوت المراتب انه جاء فى رواية ابن ماجه عن أبى سعيد بلفظ ان فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بمقدار خمسمائة سنة (رواه مسلم ✶ و عن سهل بن سعد قال مر رجل على رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم فقال لرجل عنده) الظاهر انه كان من الاغنياء فيكون فى سؤاله و جوابه له تنبيه نبيه على فضل الفقراء (جالس) بالجر صفة رجل و فى نسخة بالرفع على انه فاعل الظرف أو خبر بعد خبر أو خبر لمبتدأ محذوف هو هو (ما رأيك فى هذا) أى ما ظنك فى حق هذا الرجل المار تظنه خيرا أم شرا ذكره ابن الملك (فقال) أى الذى عنده (رجل) أى هو أو هذا يعنى المار (من أشراف الناس) أى كبرائهم و عظمائهم (هذا) أى هذا الرجل بعينه أو هذا الشخص بجنبه أى بمثل هذا الرجل (و الله حرى) على وزن فعيل و هو خبر هذا و القسم معترض بينهما أى جدير و حقيق (ان خطب الناس) أى طلب ان يتزوج امرأة (ان ينكح) بصيغة المجهول أى بان يزوجه اياها أهلها (و ان شفع) أى لاحد عند الحكام أو الرؤساء فى جلب العطاء أو دفع البلاء (ان يشفع) بصيغة المفعول مشددا أى تقبل شفاعته (قال) أى الراوى

ثم مر رجل فقال له رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم ما رأيک فى هذا فقال يا رسول‌الله هذا رجل من فقراء المسلمين هذا حرى ان خطب أن لاينكح و ان شفع أن لايشفع و ان قال أن لايسمع لقوله فقال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم هذا خير من ملء الارض مثل هذا

(فسكت رسول‌الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أى عن الجواب ولم يذكر ماتقتضيه المحاورة من الخطاب (ثم مر رجل) أى آخر (فقال له) أى للرجل الذى عنده (مارأيک فى هذا فقال يا رسول‌الله هذا رجل من فقراء المسلمين هذا حرى) ترك القسم لاحتمال التخلف و أما تأكيد الحكم به سابقا فللمبالغة فى تحقق الظن فيه و المعنى هذا لائق (ان خطب أن لاينكح و ان شفع أن لايشفع و ان قال) أى بكلام و لو كان صدقا أو حقا (أن لايسمع) بصيغة المجهول و نائب الفاعل قوله (لقوله) و المعنى ان أحدا لايسمع لكلامه و لايلتفت اليه من غاية فقره و قلة نظام أمره ★ ففى غرائب ما يحكى ان رجلا غريبا فقيرا رافق شخصا ملک بعيرا وحمله حملا ثقيلا فقال ماحملک هذا و ماحملک على هذا قال عدل منه حب الطعام وعدل آخر ملیء من البطحاء ليعتدل النظام قال الفقير له لو تركت البطحاء و قسمت الحب فى العدلين متناصفين لخف حملک و ركبت جملک فقال بارك الله فيک لما صدر من فيک فاطاعه فيما بينه و ركب على وجه عينه فسأله هل أنت بهذا العقل كنت فى بلادك سلطانا فقال لا فقال فوزيرا فاميرا فتاجرا فرئيسا فصاحب ابل و صاحب خيل أو غنم أو زراعة و نحو ذلک فيقول لا فقال أكنت فى بلدك فقيرا على هذا الحال و حقيرا على هذا المنوال فقال نعم فقال أنت شوم و وجهک شوم و من يسمعک أيضا شوم و نزل عن بعيره و أمر على تغييره من سوء تدبيره و مثل هذا مشاهد فى العالم كثيرا مثلا اذا كان العالم فقيرا و الشيخ اذا كان حقيرا حيث لايلتفت أحد الى كلامه و لايعظم على قدر مقامه بخلاف العالم و الشيخ اذا كان مشهورا و علم جاهه بين العوام منشورا فانه يقبل قوله و يتبع فعله و لو كان فى نفس الامر ناقصا فى علمه أو عمله و الله ولى دينه و ناصر نبيه و من هذا القبيل قول أهل الجاهلية فى حقه صلى الله تعالى عليه وسلم لما كان تاركا للمال و الجاه على ما حكاه الله تعالى عنهم بقوله و قالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم و أرادوا بالقريتين مكة و الطائف كان كل أهل قرية قالوا هذه المقالة فلف النشر اعتمادا على معرفة تلک الحالة فقال تعالى ردا عليهم أهم يقسمون رحمة ربک نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا الآيات (فقال رسول‌الله صلى الله تعالى عليه وسلم هذا) أى هذا الرجل وحده و كذا أمثاله (خير من ملء الارض مثل هذا) أى مثل الرجل الاول و وجهه والله تعالى أعلم ان الفقير لصفاء قلبه أقرب الى قبول أمر ربه و الوصول الى مرتبة حبه بخلاف الاغنياء الاغبياء فان لهم الطغيان و الاستغناء والتكبر و الخيلاء و قد قال الله تعالى ساصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الارض بغير الحق و هذا أمر مشاهد مرئى فى تلامذة العلماء و مريدين الصلحاء و التابعين أولا للانبياء بل السابقين الى العبادات من الصلوات و غيرها حتى الحج الذى لم يجب الا على الاغنياء فالفائزون به لاسيما على وجه الاخلاص المبرأ عن الاغراض الفاسدة و المكاسب الكاسدة انما هم الفقراء هذا و قال شارح مثل منصوب على التمييز من ملء الارض و يؤيده قول الطيبى رحمه الله وقع ملء الارض مفضلا عليه باعتبار مميزه و هو قوله مثل هذا لان البيان و المبين شئ واحد انتهى و يمكن أن يكون نصبه بنزع الخافض و يؤيده انه وقع فى بعض النسخ بالجر أى من مثل هذا الرجل الاول لكن النسخ المصححة من نسخة السيد و غيرها

متفق عليه ★ و عن عائشة قالت ما شبع آل محمد من خبز الشعير يومين متتابعين حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم متفق عليه ★ و عن سعيد المقبرى عن أبى هريرة انه مر بقوم بين أيديهم شاة مصلية فدعوه فأبى أن يأكل و قال

على الاول فهو المعول و لايغرك قول ابن حجر مثل هذا بكسر اللام و يجوز فتحها ثم المراد من الرجل الاول المعبر عنه بانه من أشراف الناس واحد من اغنياء المؤمنين و انما عبر عن الخاص بلفظ العام للمبالغة فى تحصيل المرام فان الغنى يغير الخواص و العوام و لايتوهم أن المراد بالرجل الاول أحد من الكفار لعدم انتظام الكلام حينئذ فى قوله عليه الصلاة والسلام هذا خير بمعنى أفضل منه إذ لا مفاضلة بين الكفار و أهل الاسلام لانه لا خير فى كفار الانام حتى قال بعض العلماء الاعلام ان من قال النصرانى خير من اليهودي يخشى عليه الكفر اذ اثبت الخير فيمن لا خير فيهم و انما لم يجزم بكفره لانه قد يقصد بالخير انه أقرب الى الحق و لذا قال تعالى لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى كما انه قد يقصد بالخير مجرد زيادة الحسن و منه قوله تعالى أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا و أحسن مقيلا لكن ايراد الحديث فى هذا الباب يدل على ان ما ذكرناه هو الصواب و هو لاينافى ما ذكره الغزالى ان عذاب الكافر الفقير الذى أخف من الكافر الغنى فاذا كان الفقر ينفع الكافر فى النار فما ظنك بنفعه للابرار فى دار القرار (متفق عليه ★ و عن عائشة قالت ما شبع آل محمد) أى أهل بيته من حرمه و خدمه (من خبز الشعير) فمن البر بالاولى (يومين متتابعين) أى بل ان حصل الشبع يوما وقع الجوع يوما بناء على ما اختاره صلى الله تعالى عليه وسلم حين عرض عليه خزائن الارض وأن يجعل جبال مكة ذهبا فاختار الفقر قائلا أجوع يوما فاصبر و أشبع يوما فاشكر لان الايمان نصفان نصفه شكر و نصفه صبر كما قال تعالى ان فى ذلك لآيات لكل صبار شكور أي لكل مؤمن كامل بالوصفين عالم و عامل (حتى) أى استمر عدم الشبع على الوجه المذكور حتى (قبض رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أى و درعه مرهونة عند يهودى فى جملة صاع من الشعير و فيه رد على من قال صار صلى الله تعالى عليه وسلم فى آخر عمره غنيا نعم وقع مال كثير فى يده لكنه ما أمسكه بل صرفه فى مرضاة ربه و كان دائما غنى القلب بغنى الرب (متفق عليه) و رواه الترمذى فى شمائله عنها و روى عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يبيت الليالى المتتابعة طاويا أى جائعا هو و أهله لايجدون عشاء و كان أكثر خبزهم خبز الشعير و بهذا الحديث يتبين ان أحدا فى زماننا من الفقراء مايعيش عيشه صلى الله تعالى عليه وسلم و هو أفضل الانبياء ففى فعله صلى الله عليه وسلم تسلية عظيمة للفقراء كما ان فى قوله توصية جسيمة للاغنياء فهو رحمة للعالمين و امام للعالمين العاملين ★ (و عن سعيد) و فى نسخة أبى سعيد و هو خطأ مخالف للاصول المعتمدة و النسخ المصححة على ما صرح به بعضهم و قال هو سعيد بن أبى سعيد المقبرى و اسم أبى سعيد كيسان و كان يسكن عند مقبرة فنسب اليها انتهى و لم يذكرهما المؤلف فى أسمائه ثم قوله (المقبرى) بفتح ميم و سكون قاف وضم موحدة و بفتح و بكسر نسبة الى موضع القبور و المراد أبو سعيد و ابنه سعيد كذا فى أنساب المغنى (عن أبى هريرة انه مر بقوم بين أيديهم شاة مصلية) اسم مفعول من صلى على وزن مرمية أى مشوية (فدعوه) أى أباهريرة الى أكلها (فأبى أن يأكل) أى فامتنع من أكله (وقال)

خرج النبي صلى الله عليه وسلم من الدنيا و لم يشبع من خبز الشعير رواه البخاري ★ و عن أنس أنه مشى الى النبي صلى الله عليه وسلم بخبز شعير و اهالة سنخة و لقد رهن النبي صلى الله عليه وسلم درعا له بالمدينة عند يهودي و أخذ منه شعيرا لاهله و لقد سمعته يقول ما أمسى عند آل محمد صاع بر و لا صاع حب و ان عنده لتسع نسوة رواه البخاري ★ و عن عمر قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو مضطجع على رمال حصير

أى معتذرا (خرج النبي صلى الله عليه وسلم من الدنيا و لم يشبع من خبز الشعير رواه البخاري ★ و عن أنس انه مشى الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بخبز شعير) أى مصحوبا به (و اهالة) بكسر الهمزة كل دهن يؤتدم به (سنخة) بفتح سين مهملة و كسر نون و فتح خاء معجمة بعدها هاء أى متغيرة الريح لطول المكث فى النهاية قيل الاهالة ما أذيب من الالية و الشحم و قيل الدسم الجامد و السنخة المتغيرة الريح (و لقد رهن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم درعا له بالمدينة عند يهودي و أخذ منه شعيرا) أى مقدارا معينا من الشعير (لاهله) أى لاهل بيته و لعل وجه الاخذ منه لتكون الحجة بالغة عليه أو سترا لحاله عن المساكين أو لئلا يثقل عليهم فيعطوه استحياء أو لم ياخذوا منه وقت العطاء رياء و الاظهر انه مبالغة فى تنزهه صلى الله تعالى عليه وسلم عن طلب الاجر من الامة و لو صورة حيث قال قل لا أسألكم عليه من أجر أن أجرى الا على الله و نظيره ما وقع لامامنا الاعظم رحمه الله حيث لم يقف فى ظل جدار من كان يطالبه بدين معللا بحديث كل قرض جر منفعة فهو ربا و قد روى ان الامام حمزة أحد الائمة القراء السبعة الذى قال الشاطبي رحمه الله فى حقه من المنقبة

و حمزة ما أزكاه من متورع ★ اماما صبورا للقرآن مرتلا

كان لا يأخذ أجرا على الاقراء لانه تمذهب بحديث التغليظ فى أخذ الاجرة عليه أو من كمال تورعه حتى عرض تلميذه عليه ماء فى يوم حر فابى و قيل انه وقع فى بئر فكل من جاء ليستخرجه منها سأله هل قرأت على فيقول بلى فيمتنع أن يستعين به الى الخروج من الخلا الى الملا و أهل الكوفة كلهم كانوا تلاميذه فعجزوا حتى رأوا اعرابيا فاتاه فاخرجه منها بعد ان بين له انه قط ما قرأ عليه و لا سمع ممن يقرأ لديه (و لقد سمعته) قال الطيبي ضمير المفعول فى سمعته عائد الى أنس والفاعل هو راوى أنس انتهى و تبعه ابن الملك و غيره من الشراح أى قال راوى الحديث عن أنس سمعت أنسا (يقول ما أمسى) أى للذخيرة (عند آل محمد صاع بر) أى للقوت (و لا صاع حب) تعميم بعد تخصيص و المعنى انه لم يدخر فى الليل للغد (و ان عنده لتسع نسوة) بكسر الهمزة و الجملة حالية و فى بعض الروايات و أن عنده يومئذ لتسع نسوة و هذه الجملة من كلام الراوى قطعا لقوله عنده و التأويل بالالتفات مما لا يلتفت اليه و لا يعول عليه و انما الخلاف فيما قبله حيث قال بعضهم الحق ان الضمير المفعول راجع الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم و الفاعل هو أنس كما صرح به الشيخ ابن حجر العسقلاني رحمه الله و يدل عليه رواية أحمد قال و لقد سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الخ و يؤيده قوله ما أمسى عند آل محمد اذ لو كان من كلام الراوى ناسب ان يقول عند آل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم و الله تعالى أعلم (رواه البخاري ★ وعن عمر رضى الله تعالى عنه قال دخلت على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاذا هو مضطجع على رمال حصير) بالاضافة أى على رمال من حصير قال شارح الرمال بكسر الراء و ضمها جمع رميل

ليس بينه و بينه فراش قد أثر الرمال بجنبه متكئا على وسادة من أدم حشوها ليف قلت يارسول الله ادع الله فليوسع على أمتك فان فارس و الروم قد وسع عليهم و هم لايعبدون الله فقال أو فى هذا أنت يا ابن الخطاب أولئك عجلت لهم طيباتهم فى الحياة الدنيا

بمعنى مرمول أى منسوج و يستعمل فى الواحد و هذا من اضافة الجنس الى النوع كخاتم فضة و المراد بالحصير هنا المنسوج من ورق النخل انتهى و قيل الرمال ما ينسج عودا عوذا و الظاهر ان ضم الراء أشهر و لذا صاحب القاموس عليه اقتصر و قال رمال الحصير كغراب مرموله و فى النهاية الرمال ما رمل أى نسج قال الزمخشرى و نظيره الحطام و الزكام لما يحطم و يزكم و قال غيره الرمال جمع رمل بمعنى مرمول كخلق الله تعالى بمعنى مخلوقه و المراد انه كان السرير قد نسج وجهه بالسعف و لم يكن على السرير وطاء سوى الحصير ذكره الطيبى رحمه الله لكن كون المراد برمال الحصير شريط السرير بعيد عند الفقير بل الظاهر انه مضطجع على منسوج من حصير (ليس بينه) أى بين النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (و بينه) أى بين الحصير (فراش) أى لا من القطن و لا من الحرير (قد أثر الرمال بجنبه) أى من بدنه لاسيما عند كشفه من ثوبه (متكئا) أى حال كونه معتمدا (على وسادة) أى مخدة (من أدم) بفتحتين أى جلد (حشوها) أى محشو الوسادة (ليف) فى القاموس ليف النخل بالكسر معلوم (قلت يا رسول الله ادع الله فليوسع) بكسر السين المشددة و سكون العين (على أمتك) أى فانهم لا يطيقون متابعتك فى تحمل محنتك فربما يتنفرون عن الميل الى ملتك (فان فارس و الروم قد وسع عليهم و هم لايعبدون الله) و كان ابن الخطاب الناطق بالصواب الموافق رأيه للكتاب أخذ هذا المعنى من قوله تعالى و لولا ان يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة الآية و مفهومها انه ما وسع عليهم توسيعا كليا و لاضيق على المؤمنين تضييقا كليا و ان كان ذلك مقتضى ظاهر العدل من تقسيم الدارين بين الفريقين كما أخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث الدنيا سجن المؤمن و جنة الكافر فالحكمة البالغة هى المانعة من ميل المؤمنين الى طريق الكافرين و هى الحالة الوسطى بالنسبة الى عموم الخلق و ان كانت المرتبة العليا بالاضافة الى الخواص من الانبياء و الاولياء كمال الزهد فى الدنيا و القناعة باقل ما يتصور من متاعها ليكون تمتعهم تاما فى العقبى (فقال) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (أو فى هذا أنت) بفتح الواو بعد استفهام انكارى و المعطوف عليه مقدر أى أتقول هذا الكلام و أنت الى الآن فى هذا المقام و لم يحصل لك الترقى الى فهم المرام و قيل قدم الاستفهام لصدارته و الواو لمجرد الربط بين الكلام السابق و اللاحق (يابن الخطاب) قيل فى خطابه بابن الخطاب دون عمر ايذان بان الالتذاذ بطيبات الدنيا من خصال ذوى الجهل و العمى و كانه يقول يا ين ذلك المقيد بطيبات الدنيا الغافل عن نعيم دار العقبى (أولئك) أى فارس و الروم و سائر الكفار (عجلت لهم طيباتهم فى الحياة الدنيا) أى كما أخبر الله فى كتابه انه ينكر عليهم يوم القيامة بخطابه حيث قال و يوم يعرض الذين كفروا على النار اذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا و استمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون فى الارض بغير الحق و بما كنتم تفسقون هذا و قد قال الطيبى رحمه الله قوله فليوسع الظاهر نصبه ليكون جواب الامر أى ادع الله فيوسع و اللام للتأكيد و الرواية الجزم على أنه أمر للغائب كانه التمس من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الدعاء لامته بالتوسعة وطلب من الله .

و فى رواية أما ترضى ان تكون لهم الدنيا و لنا الآخرة متفق عليه ✱ و عن أبى‌هريرة قال لقد رأيت سبعين من أصحاب الصفة ما منهم رجل عليه رداء اما ازار اما كساء قد ربطوا فى أعناقهم فمنها ما يبلغ نصف الساقين و منها ما يبلغ الكعبين فيجمعه بيده كراهة ان ترى عورته رواه البخارى ✱ و عنه قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم اذا نظر أحدكم الى من فضل عليه

الاجابة و كان من حق الظاهر ان يقال ادع الله ليوسع عليك فعدل الى الدعاء للامة اجلالا لمحله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم و ابعادا لمنزلة من رسخ للنبوة ان يطلب من الله تعالى هذا الدنىء الخسيس لنفسه النفيس و مع ذلك أنكر عليه هذا الانكار البليغ و قوله أو فى هذا مدخول الهمزة محذوف أى أتطلب هذا و فى هذا أنت و كيف يليق بمثلك ان يطلب من الله التوسعة فى الدنيا (و فى رواية أما ترضى ان تكون لهم الدنيا) أى موسعة خاصة (و لنا الآخرة) أى مرضعة خالصة (متفق عليه) و روى ابن ماجه الرواية الاخيرة ✱(و عن أبى‌هريرة قال لقد رأيت سبعين من أصحاب الصفة) و فى نسخة من أهل الصفة و هم كانوا أربعمائة من المهاجرين تهيؤا لتعلم‌القرآن و الخروج فى السرايا لقتال أهل الطغيان و كان أبوهريرة ناظرهم و نقيبهم و متفقد حالهم و رقيبهم و كانوا ياوون فى صفة آخر مسجده صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم و قد نزل فى حقهم للفقراء الذين أحصروا فى سبيل الله لايستطيعون ضربا فى الارض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لايسألون الناس الحافا أى أصلا بل كانوا متوكلين و متقنعين بالتقاط النواة و نحوها من جهة الزاد للمعاش و المعاد و أما من جهة الكسوة فكما بينه أبوهريرة بقوله (ما منهم رجل عليه رداء) ففى النهاية هو الثوب أو البرد الذى يضعه الانسان على عاتقه و بين كتفيه فوق ثيابه قال السيد جمال‌الدين رحمه الله قوله فوق ثيابه خلاف ما عليه أئمة اللغة و انما الرداء هو الذى يستر اعالى البدن فقط قلت و يؤيده قوله (اما ازار اما كساء) أى ازار واحد يستر عورته و اما كساء واحد يشتمل به كما بينه بقوله (قد ربطوا) أى طرفه (فى أعناقهم) و حاصل المعنى انه لم‌يكن له ثوب يتردى به بل كان له اما ازار فحسب أو كساء فحسب و فى العدول عن ضمير المفرد الى الجمع فى قوله قد ربطوا فى أعناقهم حيث لم‌يقل قد ربطه فى عنقه اشعار بان حال جميعهم كان على هذا المنوال كما يفيده تنكير رجل و استغراق النفى مع زيادة المبالغة بزيادة من فى قوله منهم ثم تانيث الضمير فى قوله (فمنها ما يبلغ نصف الساقين و منها ما يبلغ الكعبين) مع انه راجع الى الكساء و الازار باعتبار الجمعية فى الاكسية و الازر أو الاكسية وحدها لقربها و لمقايسة غيرها عليها و لها نظائر من قوله تعالى و استعينوا بالصبر و الصلاة و انها لكبيرة الا على الخاشعين و من قوله عزوجل و الذين يكنزون الذهب و الفضة و لاينفقونها فى سبيل الله فان المفرد يدل على الجمع لاسيما و المراد به الجنس الذي قد يعبر عنه بالتأنيث لدلالته على جمعية الجماعة كما قد يفرد باعتبار لفظه و هو المعنى بقوله (فيجمعه) أى يجمع الرجل ذلك الثوب من الكساء أو الازار (بيده) لئلا يفترق أحد طرفيه من الآخر (كراهة ان ترى عورته) أى فى نظر غيره أو حال صلاته هذا و قد قال الطيبى رحمه الله التأنيث باعتبار الجمعية فى الاكسية و الازر و تعدد المكتسين و الافراد فى بيده باعتبار الرجل المذكور (رواه البخارى ✱ و عنه) أى عن أبى‌هريرة (قال قال رسول‌الله صلى‌الله تعالى‌عليه‌وسلم اذا نظر أحدكم الى من فضل عليه) بصيغة المجهول من التفضيل أى زيد عليه

فى المال و الخلق فلينظر الى من هو أسفل منه متفق عليه و فى رواية لمسلم قال انظروا الى من هو أسفل منكم و لاتنظروا الى من هو فوقكم فهو أجدر أن لاتزدروا نعمة الله عليكم

★ (الفصل الثانى) ★ عن أبى هريرة قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم يدخل الفقراء الجنة قبل الاغنياء بخمسمائة عام نصف يوم

(فى المال و الخلق) أى فى الصورة أو فى الخدم و الحشم و حاصله انه اذا رأى أحدكم من هو أكثر منه حشمة و مالا و لباسا و جمالا و لم‌يعرف أن له فى الآخرة به وبالا (فلينظر الى من هو أسفل منه) بفتح اللام و يضم أى من هو دونه فى الدنيا و أقل رتبة منه مالا و منالا و له فى الآخرة الدرجة العليا مآلا و فى الحديث دلالة على أن حال أكثر الخلق هو الاعتدال و لو بحسب الاضافة و الانتقال فالسالك بالنظر الى حال طرفيه يحصل له حسن الحال و أيماء الى أن المفضل على الخلق كلهم من جميع الوجوه مثلا أو فرضا لاينظر الى من تحته لئلايحصل له العجب و الغرور و الافتخار و التكبر و الخيلاء بل يجب عليه أن يقوم بحق شكره على النعماء و أما من لم‌يكن تحته أحد فى الفقر فينبغى أن يشكر ربه حيث لم‌يبتله بالدنيا لقلة غنائها و كثرة عنائها و سرعة فنائها و خسة شركائها و لذا كان الشبلى رحمه الله تعالى اذا رأى أحدا من أرباب الدنيا قال اللهم انى أسالك العفو و العافية فى الدنيا و العقبى و يناسبه ما حكى أن شخصا من الفقراء قام فى مجلس واعظ من الاولياء و شكا أنه لم‌يأكل كذا مدة فى الخلا و الملا فقال الشيخ كذبت ياعدو الله فانه لايعطى الجوع الشديد الا لاصفيائه و خاصة انبيائه و خلاصة أوليائه و لو كنت منهم لما أظهرت هذه الشكاية ولسترت عن الخلق هذه الغاية و مجمل الحال و خلاصة المقال أن المؤمن اذاسلم دينه من الخلل والزوال فلايبالى بنقصان الجاه والمال وسائر المشقات الكائنة فى الحال والاستقبال كما روى أن صاحبا للغزالى ضرب و حبس فشكا اليه فقال اشكر فان البلاء قد يكون أعظم من هذا ثم طرح فى بئر من السجن فشكا اليه و رد بما سبق ثم أتى بيهودى يسهل كل ساعة و وضع معه مسلسلا بسلسلته يحتاج كل نفس الى مرافقته ومصاحبته مع ضيق المكان وظلمة الزمان و العفونة فى كل آن فشكا الى الامام من ضيق الصدر فأمره بالشكر و الصبر فأجاب جزعا أى بلاء أشد من هذا العذاب فقال الامام فى الجواب هو أن يوضع فى رقبتك طوق الكفر و الحجاب و يسلك بك عن صوب الصواب ربنا لاتزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك أنت الوهاب (متفق عليه) و رواه أحمد (و فى رواية لمسلم) و قد أخرجها أحمد و الترمذى و ابن ماجه عنه أيضا مرفوعا (قال انظروا الى من هو أسفل منكم) أى دونكم رتبة (ولاتنظروا الى من هو فوقكم) أى مرتبة (فهو) أى النظر المذكور اثباتا و نفيا (أجدر) أى أحق و أولى (أن لاتزدروا نعمة الله عليكم) أى بعدم الازدراء و الاحتقار لما قسم الله عليكم فى هذه الدار فانه يظهر لكم بذلك النظر ان لله تعالى عليكم نعما كثيرة بالنسبة الى من دونكم أو نعما كثيرة حيث اختار لكم الفقر و البلاء و جعلكم من أهل الولاء وشبهكم بالانبياء و الاولياء و خلصكم عن ظلم الامراء و ظلمة الاغنياء الاغبياء

★ (الفصل الثانى) ★ (و عن أبى هريرة قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم يدخل الفقراء) أى الصابرون و قيل و لوكانوا شاكين (الجنة قبل الاغنياء) أى الشاكرين (بخمسمائة عام) أى سنة (نصف يوم) بالجر على انه صفة فارقة أو بدل أو عطف بيان عن خمسمائة عام فان اليوم

رواه الترمذى ★ و عن أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم قال اللهم احينى مسكينا و أمتنى مسكينا و احشرنى فى زمرة المساكين

الاخروى مقدار طوله ألف سنة من سنى الدنيا لقوله تعالى و ان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون فنصفه خمسمائة و أما قوله تعالى فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة فمخصوص من عموم ما سبق أو محمول على تطويل ذلك اليوم على الكفار كما يطوى حتى يصير كساعة بالنسبة الى الابرار كما يدل عليه قوله تعالى فاذا نقر فى الناقور فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير قال الاشرف فان قلت كيف التوفيق بين هذا الحديث والحديث السابق من قوله باربعين خريفا قلت يمكن أن يكون المراد من الاغنياء فى الحديث الاول أغنياء المهاجرين أى يسبق فقراء المهاجرين الى الجنة باربعين خريفا و من الاغنياء فى الحديث الثانى الاغنياء الذين ليسوا من المهاجرين فلاتناقض بين الحديثين انتهى و فيه ان هذا انما يتم اذا أريد بالفقراء الخاص و بالاغنياء العام فلايفهم حكم الفقراء من غير المهاجرين فاولى حمل الحديث على معنى يفهم الحكم عموما و هو بان يقال المراد بكل من العددين انما هو التكثير لا التحديد فتارة عبر به و أخرى بغيره تفننا و مآلهما واحد أو أخبر أولا باربعين كما أوحى اليه ثم أخبر ثانيا بخمسمائة عام زيادة من فضله على الفقراء ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم أو التقدير باربعين خريفا اشارة الى أقل المراتب وبخمسمائة عام الى أكثرها ويدل عليه مارواه الطبرانى عن مسلمة بن مخلد ولفظه سبق المهاجرون الناس باربعين خريفا الى الجنة ثم يكون الزمرة الثانية مائة خريف انتهى فالمعنى أن يكون الزمرة الثالثة مائتين و هلم جرا و كانهم محصورون فى خمس زمر والله تعالى أعلم أو الاختلاف باختلاف مراتب أشخاص الفقراء فى حال صبرهم و رضاهم و شكرهم و هو الاظهر المطابق لما فى جامع الاصول حيث قال وجه الجمع بينهما ان الاربعين أراد بها تقدم الفقير الحريص على الغنى و أراد بالخمسمائة تقدم الفقير الزاهد على الغنى الراغب فكان الفقير الحريص على درجتين من خمس و عشرين درجة من الفقير الزاهد و هذه نسبة الاربعين الى الخمسمائة و لاتظنن ان هذا التقدير و أمثاله يجرى على لسان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم خرافا و لا باتفاق بل لسر ادركه و نسبة أحاط بها علمه فانه صلى الله تعالى عليه وسلم ما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى (رواه الترمذى) و قال حسن صحيح و رواه ابن حبان فى صحيحه قال المنذرى و رجاله محتج بهم فى الصحيح و رواه ابن ماجه بزيادة من طريق موسى بن عبيدة عن عبد الله بن دينار عن عبد الله بن عمر ★ (و عن أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم قال اللهم احينى مسكينا) و لم يقل فقيرا لئلا يتوهم كونه محتاجا حقيرا فينا فيه دعاؤه اللهم اجعلنى فى نفسى صغيرا و فى أعين الناس كبيرا و أما المسكين فهو من مادة المسكنة و هو التواضع على وجه المبالغة و لو أفضى الى المذلة أو من السكون و السكينة و هو الوقار و الاطمئنان و القرار تحت أحكام الاقدار رضا بقضاء الجبار و قال بعضهم أى أجعلنى متواضعا لا جبارا متكبرا و فيه تعليم الامة ليعرفوا فضل الفقراء فيحبوهم و يجالسوهم لينالهم بركتهم و فيه تسلية للمساكين و تنبيه على علو درجاتهم و يجوز أن يراد بهذا أن يجعل قوته كفافا و لايشغله بالمال فان كثرة المال فى حق المقربين مؤنة من الوبال فى خشية المآل و خشونة الحال (و أمتنى) و فى رواية الحاكم و توفنى (مسكينا) دل على أنه صلى الله تعالى عليه وسلم كان على وصف المسكنة الى آخر العمر (و احشرنى فى زمرة المساكين) أى فريقهم و جماعتهم

فقالت عائشة لم يارسول‌الله قال انهم يدخلون الجنة قبل أغنيائهم باربعين خريفا ياعائشة لاتردى المسكين و لو بشق تمرة يا عائشة أحبى المساكين و قربيهم فان الله يقربک يوم القيامة رواه الترمذى و البيهقى فى شعب الايمان و رواه ابن ماجه عن أبى سعيد الى قوله فى زمرة المساكين

و فيه مبالغة لاتخفى لانه لو قال و احشرهم فى زمرتى لكان لهم فضل كثير و علو كبير و نظيره ما قال صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم فضل العالم على العابد كفضلى على أدناكم حيث لم‌يقل كفضلى على أعلاكم هذا و قد مر بعض سلاطين الاسلام على طائفة من الفقراء و الصلحاء الكرام فلم‌يلتفتوا اليه و لم‌يقبلوا عليه فقال من أنتم فقالوا نحن قوم محبتنا ترك الدنيا و عداوتنا ترك العقبى فجاوزهم و تجاوز عنهم و قال نحن لم‌نقدر على محبتكم و لا طاقة لنا على عداوتكم (فقالت عائشة رضى‌الله عنها لم يا رسول‌الله) أى لاى شئى دعوت هذا الدعاء و اخترت الحياة و الممات و البعثة مع المساكين و الفقراء دون أكابر الاغنياء (قال انهم) استئناف فى معنى التعليل أى لانهم مع قطع النظر عن بقية فضائلهم و حسن أخلاقهم و شمائلهم (يدخلون الجنة قبل أغنيائهم) أى زمانا و مكانا و مكانة (باربعين خريفا) و الاكتفاء به لانه أقل موعود فى مدة المسابقة كمضاعفة الحسنة بالعشرة فى الطاعة (يا عائشة لاتردى المسكين) أى لاترديه خائبا بل‌سامحيه جائيا و آيبا و احسنى اليه قليلا أو كثيرا (و لو بشق تمرة) أى بنصفها أو ببعضها أو رديه ردا جميلا تستحق به جزاء جزيلا و لذا لما وقف مسكين عندها و أعطته حبة عنب بقيت فى يدها و عاتب المسكين عليها و لم‌يدر ما ألقى من الفهم اليها قالت قال تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره و الحبة مشتملة على مقدار كذا من الذرة (يا عائشة أحبى المساكين) أى بقلبک (و قربيهم) أى الى مجلسک حال تحديثک (فان الله يقربک يوم القيامة) أى بتقريبهم تقربا الى الله سبحانه و تعالى (رواه) أى الحديث بكماله (الترمذى و البيهقى فى شعب الايمان) أى عن أنس (و روى) و فى نسخة و رواه (ابن ماجه عن أبى سعيد الى قوله فى زمرة المساكين) قال ميرك نقلا عن المنذرى و رواه الحاكم أى عن أبى سعيد و زاد و ان أشقى الاشقياء من اجتمع عليه فقر الدنيا و عذاب الآخرة و قال صحيح الاسناد و رواه أبو الشيخ و البيهقى عن عطاء بن أبى‌رباح سمع أبا سعيد يقول أيها الناس لا يحملنكم العسر على طلب الرزق من‌غير حله فانى سمعت رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم يقول اللهم توفنى فقيرا و لاتوفنى غنيا و احشرنى فى زمرة المساكين فان أشقى الاشقياء من اجتمع عليه فقر الدنيا و عذاب الآخرة قال أبو الشيخ زاد فيه غير أبى زرعة عن سليمان بن عبد الرحمن و لاتحشرنى فى زمرة الاغنياء قلت أن لم‌يكن دليل آخر غير هذا الحديث الشريف لكفى حجة واضحة و بينة لائحة على أن الفقير الصابر خير من الغنى الشاكر و أما حديث الفقر فخرى و به افتخر فباطل لا أصل له على ما صرح به الحفاظ من العسقلانى وغيره و أما حديث كاد الفقر أن يكون كفرا فهو ضعيف جدا و على تقدير صحته فهو محمول على الفقر القلبى المؤدى الى الجزع و الفزع بحيث يفضى الى عدم الرضا بالقضاء و الاعتراض على تقسيم رب الارض و السماء و لذا قال صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم ليس الغنى عن كثرة العرض انما الغنى غنى النفس وقد روى الفقر أزين على المؤمن من العذار الحسن على خد العروس رواه الطبرانى عن شداد بن أوس و روى الفقرشين عند الناس و زين عند الله يوم القيامة رواه الديلمى فى مسند الفردوس عن أنس و روى الفقر أمانة فمن كتمه كان عبادة و من باح به فقد قلد اخوانه المسلمين رواه ابن عساكر

★ و عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ابغوني في ضعفائكم فانما ترزقون أو تنصرون بضعفائكم رواه أبوداود ★ و عن أمية بن خالد بن عبد الله بن أسيد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يستفتح بصعاليك المهاجرين رواه في شرح السنة ★ و عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتغبطن فاجرا بنعمة

عن عمر ★ (و عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال ابغوني) بهمزة قطع مفتوحة و في بعض النسخ بهمزة وصل مكسورة أي أطلبوا رضائي (في ضعفائكم) أي فقرائكم بالاحسان اليهم و لو من أغنيائكم بالمساعدة لديهم (فانما ترزقون) أي رزقا حسيا أو معنويا (أو تنصرون) أي على الاعداء الظاهرة و الباطنة و او للتنويع و يؤيده رواية الواو و يحتمل أن تكون أو للشك من الراوي (بضعفائكم) أي ببركة وجودهم و احسانهم اذ منهم الاقطاب و الاوتاد و بهم نظام البلاد و العباد قال ابن الملك يعني اطلبوا الى حفظ حقوقهم و جبر قلوبهم فاني معهم بالصورة في بعض الاوقات و بالقلب في جميعها لا أعلم من شرفهم و عظيم منزلتهم عند الله فمن أكرمهم فقد أكرمني و من آذاهم فقد آذاني انتهى و يؤيده الحديث القدسي من عادى لي وليا فقد بارزني بالحرب قال الطيبي رحمه الله قوله ابغوني بهمزة القطع و الوصل يقال بغى يبغي بغاء اذا طلب و هذا نهي عن مخالطة الاغنياء و تعليم منه انتهى و يؤيده حديث اتقوا مجالسة الموتى قيل و من الموتى قال الاغنياء و في مختصر النهاية ابغني كذا بهمزة الوصل أي اطلبه لي و بهمزة القطع أعني على الطلب و في القاموس بغيته طلبته و أبغاه الشئ طلبه له كبغاه اياه كرماه أو أعانه على طلبه (رواه أبوداود) و كذا الترمذي و النسائي و قال الترمذي حسن صحيح نقله ميرك عن التصحيح و في الجامع بلفظ ابغوني الضعفاء فانما ترزقون و تنصرون بضعفائكم رواه أحمد و الثلاثة و الحاكم و ابن حبان عنه ★(و عن أمية) بالتصغير (ابن خالد بن عبدالله ابن أسيد) بفتح فكسر لم يذكره المؤلف في أسمائه ونقل ميرك عن التصحيح انه قال ابن عبدالبر أمية بن خالد روى عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم و ذكر هذا الحديث و قال و لايصح عندي صحبته و الحديث مرسل قلت مرسل التابعي حجة عند الجمهور فكيف مرسل من اختلف في صحة صحبته (عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه كان يستفتح) أي يطلب الفتح و النصرة على الكفار من الله تعالى (بصعاليك المهاجرين) أي بفقرائهم و ببركة دعائهم و في النهاية أي يستنصر بهم و منه قوله تعالى ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح و قال ابن الملك بان يقول اللهم انصرنا على الاعداء بحق عبادك الفقراء المهاجرين و فيه تعظيم الفقراء و الرغبة الى دعائهم و التبرك بوجوههم أقول و لعل وجه التقييد بالمهاجرين لانهم فقراء غرباء مظلومون مجتهدون مجاهدون فيرجى تأثير دعائهم أكثر من عوام المؤمنين و أغنيائهم و الصعاليك جمع صعلوك كعصفور الفقير على ما في القاموس (رواه) أي البغوي (في شرح السنة) باسناده و حيث أطلقه و ما بين ارساله دل على انه قال بصحبة الراوي و اتصال سنده مع انه معتضد في المعنى بما سبق من حديث أنما تنصرون بضعفائكم ثم رأيت في الجامع انه رواه ابن أبي شيبة و الطبراني عن أمية بن عبدالله و لفظه كان صلى الله تعالى عليه وسلم يستفتح و يستنصر بصعاليك المسلمين ★ (وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لاتغبطن) بكسر الموحدة و تشديد النون المؤكدة (فاجرا) أي كافرا أو فاسقا (بنعمة) أي بنعمة هو فيها من طول عمر أو كثرة أولاد أو سعة مال و جاه بان تطلب

فانک لاتدری ما هو لاق بعد موته ان له عند الله قاتلا لایموت یعنی النار رواه فی شرح السنة
★ و عن عبدالله بن عمرو قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌علیه‌وسلم الدنیا سجن المؤمن وسنته و اذا
فارق الدنیا فارق السجن و السنة رواه فی شرح السنة ★ و عن قتادة بن النعمان ان رسول‌الله
صلى‌الله‌علیه‌وسلم قال اذا أحب الله عبدا حماه الدنیا

زوالها عنه أو ترید مثلها لنفسک (فانک لاتدری ما هو لاق) أی ملاق فی مقابلة تلک النعمة
من النقمة و المحنة (بعد موته) أی فی القبر أو الحشر (ان له) أی للفاجر (عند الله قاتلا)
أی مهلکا له أو معذبا عذابا شدیدا من شانه أن یقتل (لایموت) أی لایفنى و لاینعدم ذلک
القاتل بل موجود دائما و لاینقطع أبدا (یعنی النار) قال الطیبی رحمه الله تعالى هذا تفسیر
عبدالله بن مریم راوی أبی‌هریرة کذا فی شرح السنة انتهى و قال الجزری قیل قوله قائلا بهمزة
مکسورة من القیلولة أی مقیلا باقیا یعنی تحشر معه النار و تقیل حیث قال و تبیت حیث بات
و قیل هو بالتاء المثناة من فوق أی من تقتله أی النار (رواه) أی البغوی (فی شرح السنة)
أی باسناده و فی الجامع رواه البیهقی فی الشعب عنه و لفظه لاتغبطن فاجرا بنعمة ان له عند الله
قاتلا لایموت ★ (و عن عبدالله بن عمرو) بالواو (قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌علیه‌وسلم الدنیا
سجن المؤمن) أی حبسه و عذابه بالنسبة الى ما أعد الله له فی الآخرة من نعیمه و ثوابه (وسنته)
بفتحتین أی قحطه و شدة معیشته و لذا روی لایخلو المؤمن من قلة أو علة أو ذلة و قد یجتمع
للمؤمن الکامل جمیع ذلک قال الطیبی رحمه الله السنة من الاسماء الغالبة للقحط و قال ابن عطاء
مادمت فی‌هذه الدار لاتستغرب وقوع الا کدار أی بل استغرب خلاف ذلک ان وقع شیٔ هنالک
(و اذا فارق الدنیا) أی المؤمن (فارق السجن و السنة) و لعل الجمع بینهما لدفع ما
یتوهم أن السجن قد یکون فیه السعة کما قد یقع نادرا فدفع هذا الوهم بقوله و السنة فیکون
زیادته من باب التذییل و التکمیل و أطلق فیما سبق من الحدیث الصحیح اعتمادا على غالب
الاحوال مع انه لایخلو من نوع ضیق مکان و بطء رزق وتشتت البال و لوقام بخدمته الرجال (رواه
فی شرح السنة) و قد أخرجه ابن المبارک و الطبرانی عنه قال میرک رواه الحاکم فی صحیحه
لکن فی سنده عبدالله بن أیوب المغافری انتهى و قد سبق طرف هذا الحدیث و بعض معانیه فی
أول الباب و الله تعالى أعلم بالصواب قال الامام الحافظ أبو القاسم الوراق ان قیل کیف یکون
معنى الحدیث و قد نرى مؤمنا فی عیش رغد و کافرا فی ضنک و قصر ید قلنا الجواب من وجهین
أحدهما أن الدنیا کالجنة للکافر فی جنب ما أعد الله له من العذاب فی الآخرة و انها کالسجن
للمؤمن بالاضافة الى ما وعده الله له من الثواب فی الآخرة و نعیمها فالکافر یحب المقام فیها
و یکره مفارقتها و المؤمن یتشوف الخروج منها و یطلب الخلاص من آفاتها کالمسجون الذی
یرید أن یخلى سبیله الثانی أن یکون هذا صفة المؤمن المستکمل الایمان الذی قد غرق نفسه عن
ملاذ الدنیا و شهواتها فصارت علیه بمنزلة السجن فی الضیق و الشدة و أما الکافر فقد أهمل
نفسه و امرحها فی طلب اللذات و تناول الشهوات فصارت الدنیا کالجنة له فی السعة و النعمة
★ (و عن قتادة بن النعمان) بضم أوله قال المؤلف انصاری عقبی بدری شهد المشاهد کلها
و روى عنه أخوه من أمه أبو سعید الخدری و عمر ابنه و غیرهما مات سنة ثلاث و عشرین و له
خمس و ستون سنة و صلى علیه عمر و کان من فضلاء الصحابة (ان رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌علیه‌وسلم

كما يظل أحدكم يحمى سقيمه الماء رواه أحمد و الترمذى ★ و عن محمود بن لبيد ان النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال اثنتان يكرههما ابن آدم يكره الموت و الموت خير للمؤمن من الفتنة ويكره قلة المال و قلة المال أقل للحساب رواه أحمد

قال اذا أحب الله عبدا حماه الدنيا) أى حفظه من مال الدنيا و منصبه و ما يضر بدينه و نقصه فى العقبى قال الاشرف أى منعه عنها و وقاه من أن يتلوث بزينتها كيلا يمرض قلبه بداء محبتها (كما يظل) بفتح الظاء من ظل زيد صائما أى صار و المعنى كما يكون (أحدكم يحمى سقيمه) أى مريضه لاسيما اذا كان معه مرض الاستسقاء أو ضعف المعدة و نحوها مما يضره الماء فيمنعه (الماء) أى لئلا يزيد مرضه بشربه و لاينظر الى رأى العليل من طلب الماء و حبه مع ان الماء أرخص شئ غالبا فلا يتصور فيه البخل خصوصا بالنسبة الى المريض الذى يحن عليه كل أحد و الحاصل أن الحكمة تقتضى أن المحبوب عند أهله و آله يكون ممنوعا من كل شئ يضره فى حاله (رواه أحمد و الترمذى) و لفظ الجامع اذا أحب الله عبدا حماه الدنيا كما يحمى أحدكم سقيمه الماء رواه الترمذي و الحاكم و البيهقى فى الشعب و فى رواية للبيهقى عن حذيفة بلفظ ان الله يحمى عبده المؤمن كما يحمى الراعى الشفيق غنمه عن مراتع الهلكة و هذا المعنى مقتبس من التنزيل و هو قوله أنت أرحم الراحمين ★ (و عن محمود بن لبيد) بفتح فكسر قال المؤلف انصارى أشهلى ولد على عهد رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم و حدث عنه أحاديث قال البخارى له صحبة و قال أبوحاتم لايعرف له صحبة و ذكره مسلم فى التابعين فى الطبقة الثانية منهم قال ابن عبد البر و الصواب قول البخارى فاثبت له صحبة و كان محمود أحد العلماء روى عن ابن عباس و عتبان بن ملك مات سنة ست و تسعين (أن النبى صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم قال اثنتان) أى خصلتان (يكرههما) أى بالطبع (ابن آدم) أى و هما خير له كما بينه بقوله (يكره الموت و الموت خير للمؤمن من الفتنة) قال ابن الملك الفتنة التى الموت خير منها هى الوقوع فى الشرك أو فتنة يسخطها الانسان و يجرى على لسانه ما لايليق و فى اعتقاده ما لا يجوز وقال الراغب الفتنة من الافعال التى تكون من الله تعالى و من العبد كالبلية و المصيبة و القتل و العذاب و غير ذلك من الافعال الكريهة قال الطيبى رحمه الله و قد تكون الفتنة فى الدين مثل الارتداد و أكراه الغير على المعاصى و اليه أشار بقوله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم اذا أردت فتنة فى قوم فتوفنى غير مفتون قلت و قد أخرج أبو نعيم فى الحلية عن أبى عبد الله الصنابحى قال الدنيا تدعو الى فتنة والشيطان يدعو الى خطيئة ولقاء الله خير من الاقامة معهما (و يكره قلة المال وقلة المال أقل للحساب) أى وأبعد من العذاب (رواه أحمد) وكذا سعيد بن منصور فى سننه بسند صحيح عن محمود ابن لبيد و أخرج البيهقى فى شعب الايمان عن زرعة بن عبد الله مرسلا أن النبى صلى‌الله‌تعالى‌عليه وسلم قال يحب الانسان الحياة و الموت خير لنفسه و يحب الانسان كثرة المال و قلة المال أقل لحسابه هذا و أخرجه الحاكم فى المستدرك و الطبرانى فى الكبير و ابن المبارك فى الزهد و البيهقى فى شعب الايمان عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم تحفة المؤمن الموت و أخرج المروزى فى الجنائز و ابن ابى شيبة فى المصنف و الطبرانى عن ابن‌مسعود قال ذهب صفو الدنيا فلم‌يبق منها الا الكدر فالموت تحفة لكل مسلم و أخرج المروزى و ابن أبى الدنيا و البيهقى فى الشعب عن ابن مسعود قال حبذا المكروهان الفقر و الموت و أخرج

★ و عن عبد الله بن مغفل قال جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال أنى أحبك قال انظر ما تقول فقال و الله أنى لاحبك ثلاث مرات قال ان كنت صادقا فاعد للفقر تجفافا للفقر أسرع الى من يحبنى من السيل الى منتهاه رواه الترمذى وقال هذا حديث حسن غريب ★ وعن أنس انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد أخفت فى الله و ما يخاف أحد و لقد أوذيت فى الله و ما يؤذى أحد

أحمد فى الزهد و ابن أبى الدنيا عن ابن مسعود قال ليس للمؤمن راحة دون لقاء الله تعالى وأخرج ابن أبى الدنيا عن جعفر الاحمر قال من لم يكن له فى الموت خير فلا خير له فى الحياة قلت و كذا من لم يكن له خير فى الحياة فلا خير له فى الممات و أخرج ابن أبى شيبة فى المصنف و عبدالرزاق فى تفسيره و الحاكم فى المستدرك و الطبرانى و المروزى فى الجنائز عن ابن مسعود قال ما من نفس برة و لا فاجرة لا و الموت خير لها من الحياة فان كان بارا فقد قال الله تعالى. و ما عند الله خير للابرار و ان كان فاجرا فقد قال عزوجل و لا يحسبن الذين كفروا أنما نملى لهم خير لانفسهم انما نملى لهم ليزدادوا أثما و لهم عذاب مهين ★ (و عن عبد الله بن مغفل قال جاء رجل الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال أنى أحبك) أى حبا بليغا و الا فكل مؤمن يحبه (قال انظر ما تقول) أى تفكر فيما تقول فانك تدعى أمرا عظيما و تقصد خطبا جسيما (فقال و الله أنى لاحبك ثلاث مرات) ظرف لقال (قال ان كنت صادقا) أى فى دعوى محبتى و على تحمل محنتى و لفظ الجامع ان كنت تحبنى (فاعد) أى فهيىء (للفقر) أى بالصبر عليه بل بالشكر و الميل اليه (تجفافا) بكسر الفوقية و سكون الجيم أى درعا و جنة ففى المغرب هو شئى يلبس على الخيل عند الحرب كانه درع تفعال من جف لما فيه من الصلابة و اليبوسة انتهى فتاؤه زائدة على ما صرح به فى النهاية و فى القاموس التجفاف بالكسر آلة للحرب يلبسه الفرس و الانسان ليقيه فى الحرب فمعنى الحديث ان كنت صادقا فى الدعوى و محقا فى المعنى فهيىء آلة تنفعك حال البلوى فان البلاء و الولا متلازمان فى الخلا و الملا و بجمله أنه تهيأ للصبر خصوصا على الفقر لتدفع به عن دينك بقوة يقينك ما ينافيه من الجزع و الفزع و قلة القناعة و عدم الرضا بالقسمة و كنى بالتجفاف عن الصبر لانه يستر الفقر كما يستر التجفاف البدن عن الضر (للفقر) بلام مفتوحة و هى لام الابتداء (أسرع الى من يحبنى من السيل) أى الماء الكثير (الى منتهاه) و المعنى انه لابد من وصول الفقر بسرعة اليه و من نزول البلايا و الرزايا بكثرة عليه فان أشد الناس بلاء الانبياء ثم الامثل فالامثل خصوصا سيد الانبياء فيكون بلاؤه أشد من بلائهم و يكون لاتباعه نصيب على قدر ولائهم و المرء مع من أحب فيما يكره و أحب و فيه ان الفقر أشد البلايا لاشتماله على جميع المحن و الرزايا لكنه مع مرارته فى الدنيا يورث حلاوة فى العقبى بمزيد العطايا (رواه الترمذى) و كذا احمد (و قال) أى الترمذى (هذا حديث حسن غريب ★ و عن أنس رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لقد أخفت) مجهول ماض من الاخافة أى خوفت (فى الله) أى فى ظهار دينه (و ما يخاف) بضم أوله اى مثل ما أخفت (أحد) أى غيرى (و لقد أوذيت) أى بالفعل بعد التخويف بالقول (فى الله) أى فى سبيله و طريق رضاه (و ما يؤذى أحد) أى خوفت وحدى و أوذيت بانفرادى و فائدة التقييد بالجملة الحالية فى الجملتين أن أمرهما صعب فى تينك الحالتين فان البلية اذا عمت طابت و خلاصة المعنى انه حكاية حال لا شكاية بال بل تحدث بالنعمة و توفيق بالصبر على المحنة الى ان تنتهى الى المنحة

و لقد أتت علی ثلاثون من بین لیلة و یوم و ما لی و لبلال طعام یأکله ذوکبد الا شئی یواریه ابط بلال رواه الترمذی.و قال و معنی هذا الحدیث حین خرج النبی صلی‌اللہ‌علیه‌وسلم هاربا من‌مکة

علی ما تقتضیه المحبة و تسلیة للامة لازالة ما قد یصیبهم من الغمة أی کنت وحیدا فی ابتداء اظهاری للدین فخوفنی فی ذلک و آذانی الکفار الملاعین و لم‌یکن معی أحد حینئذ یوافقنی فی تحمل الاذی الا مساعدة المولی و معاونة الرفیق الاعلی ثم بین انه کان مع ذلک کله فی قلة الزاد و عدم الاستعداد بقوله (و لقد أتت) أی مضت (علی ثلاثون من بین لیلة و یوم) أی من بین أوقات وهی اللیلة و الیوم و قال الطیبی تأکید للشمول أی ثلاثون یوما و لیلة متواترات لاینقص منها شئی من الزمان (و ما لی) أی و الحال انه لیس لی (و لبلال طعام یأکله ذوکبد) بفتح فکسر و فی القاموس بالفتح و الکسر و ککتف معلوم أی حیوان قال الطیبی أی ما معنا طعام سواء کان مما یأکل الدواب أو الانسان (الا شئی) أی قلیل (یواریه) أی یستره و یغطیه (ابط بلال) بکسر الهمزة و سکون الموحدة و تکسر ففی الصحاح الابط بسکون الباء ما تحت الجناح و فی القاموس الابط ما تحت المنکب و تکسر الباء و قد یؤنث و المعنی ان بلالا کان رفیقی فی ذلک الوقت وما کان لنا من الطعام الا شئی قلیل بقدر ما یاخذه بلال تحت ابطه ولم‌یکن لنا ظرف نضع الطعام فیه (رواه الترمذی) و فی الجامع بتقدیم لقد أوذیت رواه أحمد و الترمذی و ابن ماجه و ابن حبان عنه (و قال) أی الترمذی و فی نسخة قال (و معنی هذا الحدیث حین خرج النبی صلی‌اللہ‌تعالی‌علیه‌وسلم هاربا من مکة) أی فارا من الخلق الی الله کما قال تعالی ففروا الی الله روی انه صلی‌اللہ‌تعالی‌علیه‌وسلم خرج من مکة هاربا الی عبدیالیل بالطائف لیحمیه من کفار مکة حتی یؤدی رسالة ربه فسلط علیه صبیانه فرموه بالاحجار حتی أدموا کعبه صلی‌اللہ تعالی‌علیه‌وسلم کذا ذکره بعضهم و فی المواهب اللدنیة أن خروجه علیه‌الصلاة و السلام الی الطائف کان بعد موت خدیجة بثلاثة أشهر فی لیال بقین من شوال سنة عشر من النبوة لما ناله من قریش بعد موت أبی‌طالب و کان معه زید بن حارثة فاقام به شهرا یدعو أشراف ثقیف الی الله تعالی فلم‌یجیبوه و أغروا به سفهائهم و عبیدهم یسبونه قال موسی بن عقبة و رجموا عراقیبه بالحجارة حتی اختضبت نعلاه بالدماء زاد غیره و کان اذا أذلقته الحجارة قعد الی الارض فیأخذونه بعضدیه فیقیمونه فاذا مشی رجموه و هم یضحکون و زید بن‌حارثة یقیه بنفسه حتی لقد شج فی رأسه شجاجا و فی الصحیحین عن عائشة انها قالت للنبی صلی‌اللہ‌تعالی‌علیه‌وسلم هل أتی علیک یوم أشد من یوم أحد قال لقد لقیت من قومک و کان أشد ما لقیت منهم یوم العقبة اذ عرضت نفسی علی عبدیالیل ابن عبدکلال فلم‌یجبنی الی ما أردت فانطلقت و أنا مهموم علی وجهی فلم‌أستفق الا و أنا بقرن الثعالب فرفعت رأسی فاذا بسحابة قد أظلتنی فنظرت فاذا فیها جبرائیل فنادانی فقال ان الله قد سمع قول قومک و ما ردوا علیک و قد بعث الیک ملک الجبال لتامره بما شئت فنادانی ملک الجبال فسلم علی ثم قال یا محمد ان الله قد سمع قول قومک و أنا ملک الجبال و قد بعثنی ربک الیک لتأمرنی بامرك أن شئت أن أطبق علیهم الاخشبین و فی القاموس هما جبلا مکة أبو قبیس و الاحمر أو جبلا منی قال النبی صلی‌اللہ‌تعالی‌علیه‌وسلم بل أرجو أن یخرج الله من أصلابهم من یعبد الله وحده لایشرك به شیأ و عبدیالیل بتحتانیة بعدها ألف فلام مکسورة فتحتانیة ساکنة فلام ابن عبدکلال بضم الکاف و تخفیف اللام و کان عبدیالیل من أکابر أهل الطائف من ثقیف

و معه بلال انما كان مع بلال من الطعام ما يحمل تحت ابطه ★ و عن أبي طلحة قال شكونا الى رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم الجوع فرفعنا عن بطوننا عن حجر حجر فرفع رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم عن بطنه عن حجرين

و قرن الثعالب هو ميقات أهل نجد و يقال له قرن المنازل و روى الطبرانى فى كتاب الدعاء عن عبدالله بن جعفر قال لما توفى أبوطالب خرج النبى صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم ماشيا الى الطائف فدعاهم الى الاسلام فلم يجيبوه فأتى تحت ظل شجرة فصلى ركعتين ثم قال اللهم اليک أشكو ضعف قوتى و قلة حيلتى و هوانى على الناس أرحم الراحمين أنت أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين الى من تكلنى الى عدو بعيد يتجهمنى أى يلقانى بغلظة و وجه كريه على ما فى النهاية أم الى صديق قريب كلفته أمرى أن لم تكن غضبانا على فلا أبالى غير ان عافيتک أوسع لى أعوذ بنور وجهک الذى أشرقت له الظلمات و صلح عليه أمر الدنيا و الآخرة أن ينزل بى غضبک أو يحل بى سخطک لک العتبى حتى ترضى و لاحول و لاقوة الا بک ثم قوله (و معه بلال) لاينافى كون زيد بن حارثة معه أيضا مع احتمال تعدد خروجه عليه‌الصلاة والسلام لكن أفاد بقوله معه بلال انه لم يكن هذا الخروج فى الهجرة من مكة الى المدينة لانه لم يكن معه بلال حينئذ (انما كان مع بلال من الطعام ما يحمل تحت ابطه) و هو كناية عن كمال قلته و خفة مؤنته ★ (وعن أبى‌طلحة قال شكونا الى رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم) و فى نسخة الى النبى (الجوع فرفعنا عن بطوننا) أى فكشفنا ثيابنا عنها كشفا صادرا (عن حجر حجر) أى لكل منا حجر واحد و رفع عنه فالتكرير باعتبار تعداد المخبر عنهم بذلک (فرفع رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه وسلم عن بطنه عن حجرين) قال الطيبى رحمه الله عن الاولى متعلقة برفعنا على تضمين الكشف و الثانية صفة مصدر محذوف أى كشفنا عن بطوننا كشفا صادرا عن حجر و يجوز أن يحمل التنكير فى حجر على النوع أى عن حجر مشدود على بطوننا فيكون بدلا و عادة من اشتد جوعه و خمص بطنه أن يشد على بطنه حجرا ليتقوم به صلبه انتهى و توضيحه ان تعلق حرفى جر بمعنى لعامل فى مرتبة واحدة غير جائز و أما تعلق الثانى بعد تقييد الاول فجائز كما تقرر فى محله فكونه صفة مصدر محذوف ظاهر لا غبار عليه و أما تجويز البدل على انه بدل اشتمال باعادة الجار مع ان بدل الاشتمال لا يخلو عن ضمير المبدل فمبنى على أن يراد بالحجر النوع و التقدير عن حجر مشدود عليها و كلام الطيبى رحمه الله يوهم ان القول بالبدل كلامه و قد نقل ميرک عن زين العرب انه قال بدل اشتمال كما تقول زيد كشف عن وجهه عن حسن خارق ثم قيل فائدة شد الحجر على البطن ان لايدخل النفخ فى الامعاء الخالية و ان نفس شد الامعاء اعانة على شد الصلب و قيل انما ربط الحجر على البطن لئلا يسترخى البطن و ينزل المعى فيشق التحرک فاذا ربط حجرا على بطنه يشتد بطنه و ظهره فيسهل عليه الحركة و اذا أشتد الجوع يربط حجرين فكان رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم أكثرهم جوعا و أكثرهم رياضة فربط على بطنه حجرين قال صاحب المظهر و هذا عادة أصحاب الرياضة و قال ابن حجر رحمه الله هذا عادة العرب أو أهل المدينة و قال صاحب الازهار فى ربط الحجر على البطن أقوال أحدها ان ذلک أحجار بالمدينة تسمى المشبعة كانوا اذا جاع أحدهم يربط على بطنه حجرا من ذلک و كان الله تعالى خلق فيه برودة تسكن الجوع و الحرارة و قال بعضهم يقال لمن يؤمر بالصبر اربط على قلبک

رواه الترمذى و قال هذا حديث غريب ★ و عن أبى هريرة انه أصابهم جوع فاعطاهم رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم تمرة تمرة رواه الترمذى ★ وعن عمرو بن‌شعيب عن أبيه عن جده عن رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال خصلتان من كانتا فيه كتبه الله شاكرا صابرا من نظر فى دينه الى من هو فوقه فاقتدى به و نظر فى دنياه الى من هو دونه فحمد الله على ما فضله الله عليه كتبه الله شاكرا صابرا و من نظر فى دينه الى من هو دونه و نظر فى دنياه الى من فوقه فأسف على ما فاته منه

حجرا فكانه صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم أمر بالصبر و أمر أمته بالصبر قالا و حالا و الله تعالى أعلم (رواه الترمذى) أى فى جامعه (و قال هذا حديث غريب) و هو ما يتفرد بروايته عدل ضابط من رجال النقل فان كان المنفرد برواية متنه فهو غريب متنا أو بروايته عن غير المعروف عند من كان يعرف الحديث عن صحابى فيرويه عدل وحده عن صحابى آخر فهو غريب اسنادا و هذا هو الذى يقول فيه الترمذى غريب من هذا الوجه و قد صرح فى الشمائل بقوله هذا حديث غريب من حديث أبى‌طلحة لانعرفه الا من هذا الوجه انتهى فغرابته ناشئة عن طريق أبى طلحة لا من سائر الطرق مع انه قال ميرك رواته ثقات ★ (و عن أبى‌هريرة انه أصابهم) أى الصحابة و الظاهر انهم أصحاب الصفة (جوع) أى شديد و الظاهر انه فى سفر بعيد (فاعطاهم رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم تمرة تمرة) أى مقدارا قليلا من التمر بحيث عند توزيعه عليهم و تقسيمه اليهم وصل لكل واحد منهم تمرة واحدة اذ كانوا أربعمائة بل أكثر و ربما وقعت البركة فى تلك التمرة حتى كانت ثمرتها رفع المحنة و حبتها انتجت المحبة التى فوق كل منحة (رواه الترمذى ★ و عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده) أى ابن عمرو على ما صرح به فى الجامع (عن رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم قال خصلتان من كانتا فيه كتبه الله صابرا شاكرا) أى مؤمنا كاملا لقوله تعالى ان فى ذلك لآيات لكل صبار شكور و فى الحديث الايمان نصفان نصفه صبر و نصفه شكر فالصبر عن السيآت و الشكر على الطاعات و زاد فى الجامع و من لم‌تكونا فيه لم‌يكتبه الله شاكرا و لاصابرا (من نظر فى دينه) أى خصلة من نظر فى أمر دينه من الاعمال الصالحة (الى من هو فوقه) أى الى من هو أكثر منه علما و عبادة و قناعة و رياضة أحياء و أمواتا (فاقتدى به) أى فى الصبر على مشاق الطاعات و عن ارتكاب السيآت أو تأسف على مافاته من الكمالات و يمكن أن يكون قوله من نظر استئنافا مبينا للصابر و الشاكر المتضمن للخصلتين المبهمتين أحداهما هذه و الثانية مبينة بقوله (و نظر فى دنياه الى من هو دونه) أى الى من هو أفقر منه و أقل منه مالا و جاها (فحمد الله على ما فضله الله عليه) اى فشكره على ما زادة عليه من فضله و فى رواية الجامع فحمد الله على ما فضله به (كتبه الله شاكرا) أى للخصلة الثانية (صابرا) أى للخصلة السابقة ففيه لف و نشر مشوش اعتمادا على فهم ذوى‌العقول بالنسبة الى الفذلكة و ان كان مرتبا باعتبار المقدمة و لما كان المفهوم قد يعتبر و قد لايعتبر و مع اعتباره المنطوق أقوى أيضا صرح بما علم ضمنا حيث قال (و من نظر فى دينه الى ما هو دونه) أى فى الاعمال الصالحة و انتجه الغرور و العجب و الخيلاء (و نظر فى دنياه الى من هو فوقه) أى من أصحاب المال و الجاه و أورثه الحرص و الامل و الرياء (فاسف) بكسر السين أى حزن (على ما فاته منه) أى من المال و غيره بعدم وجوده أو بحصول فقده و قد قال تعالى لكيلا تأسوا على ما فاتكم و لاتفرحوا بما آتاكم و روى عنه صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم من أسف

لم يكتبه الله شاكرا و لا صابرا رواه الترمذي و ذكر حديث أبي سعيد أبشروا يا معشر صعاليك المهاجرين بالنور التام في باب بعد فضائل القرآن

★(الفصل الثالث) ★ عن أبي عبد الرحمن الحبلي قال سمعت عبد الله بن عمرو و سأله رجل قال ألسنا من فقراء المهاجرين فقال له عبد الله ألك امرأة تأوي اليها قال نعم قال ألك مسكن تسكنه قال نعم قال فانت من الاغنياء قال فان لي خادما قال فانت من الملوك قال عبد الرحمن و جاء ثلاثة نفر الى عبد الله بن عمرو و أنا عنده فقالوا يا أبا محمد أنا و الله لانقدر على شئ لا نفقة و لا دابة و لا متاع فقال لهم ما شئتم ان شئتم رجعتم الينا

على دنيا فاتته اقترب من النار مسيرة ألف سنة و من أسف على آخرة فاتته اقترب من الجنة مسيرة ألف سنة (لم يكتبه الله شاكرا و لا صابرا) لعدم صدور واحد منه بل قام بضديهما من الكفران و الجزع و الفزع باللسان و الجنان (رواه الترمذي و ذكر حديث أبي سعيد) أي في ضمن حديث طويل صدره يناسب باب القراءة (أبشروا يا معشر صعاليك المهاجرين) أي بالفوز التام يوم القيامة تدخلون الجنة قبل اغنياء الناس بنصف يوم وذلك خمسمائة سنة رواه أبوداود (في باب) أي بغير عنوان (بعد فضائل القرآن) أي بعد كتاب فضائل القرآن

★(الفصل الثالث) ★ (عن أبي عبد الرحمن الحبلي) بحاء مهملة وموحدة و ضمها قال المؤلف اسمه عبد الله بن يزيد المصري تابعي (قال سمعت عبد الله بن عمرو) بالواو قال الطيبي لابد من محذوف أي سمعته يقول قولا يفسره مابعده أقول و يمكن أن يقدر مضاف و يقال سمعت قول عبد الله بن عمرو (و سأله) أي و قد سأله (رجل قال) أي الرجل استئناف مبين (ألسنا) أي نحن و أمثالنا (من فقراء المهاجرين) أي من خواصهم الذين يسبقون أغنياءهم (فقال له عبد الله ألك امرأة تأوي اليها) أي تضمها و تسكن اليها و تقبل عليها (قال نعم قال ألك مسكن) بفتح الكاف و تكسر أي مكان (تسكنه قال نعم قال فانت من الاغنياء) أي أغنياء المهاجرين فانَّ فقراءهم ما كان لهم امرأة و لا مسكن أو ان كان لاحدهم أحدهما ما كان له الآخر منهما (قال فان لي خادما) أي عبدا أو جارية أو أجيرا زيادة على ما سبق (قال فانت من الملوك) أي و لايصح أن يقال لك الصعلوك فلست من صعاليك المهاجرين و لعله اقتبس هذا الكلام من قوله تعالى وجعلكم ملوكا على ما رواه عبد الرزاق و عبد بن حميد و ابن جرير عن ابن عباس في قوله تعالى و جعلكم ملوكا قال الزوجة و الخادم و زاد ابن جرير عنه و كان الرجل من بني اسرائيل اذا كانت له الزوجة و الخادم و الدار يسمى ملكا (قال عبد الرحمن) هكذا في جميع نسخ المشكاة الحاضرة و صوابه أبو عبد الرحمن لما سبق قال السيد جمال الدين المحدث هكذا في أكثر نسخ المشكاة التي رأيناها و هو غلط ظاهر و الصواب أبو عبد الرحمن و هو راوي الحديث كما في مسلم (و جاء ثلاثة نفر) بالاضافة كقوله تعالى تسعة رهط و الجملة عطف على قوله و سأله رجل أي و الحال انه أتى ثلاثة نفر فقراء (الى عبد الله بن عمرو و أنا عنده فقالوا يا أبا محمد و الله لانقدر على شئ لا نفقة) تعميم مبين (و لا دابة) أي لنجاهد عليها أو نحج بها (و لا متاع) أي زائد يباع و يصرف ثمنه في النفقة و الدابة (فقال لهم ما شئتم) ما استفهامية أي أي شئ شئتم و يمكن أن تكون موصولة مبتدأ و الخبر محذوف أي ما أردتم من الامور المعروضة عليكم فعلناه (ان شئتم) أي أن نعطيكم شيأ من عندنا (رجعتم الينا) فانه لا يحضرنا

فاعطيناكم ما يسر الله لكم و ان شئتم ذكرنا أمركم للسلطان و ان شئتم صبرتم فانى سمعت رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم يقول ان فقراء المهاجرين يسبقون الاغنياء يوم القيامة الى الجنة باربعين خريفا قالوا فانا نصبر لانسأل شيأ رواه مسلم ✱ و عن عبدالله بن عمرو قال بينما أنا قاعد فى المسجد و حلقة من فقراء المهاجرين قعود اذ دخل النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم فقعد اليهم فقمت اليهم فقال النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم ليبشر فقراء المهاجرين بما يسر وجوههم فانهم يدخلون الجنة قبل الاغنياء باربعين عاما قال فلقد رأيت ألوانهم اسفرت قال عبدالله بن عمرو حتى تمنيت أن أكون معهم أو منهم رواه الدارمى ✱ و عن أبى ذر قال أمرنى خليلى بسبع أمرنى بحب المساكين و الدنو منهم و أمرنى ان أنظر الى من هو دونى

الآن شئ (فاعطيناكم) أى بعد هذا (ما يسر الله لكم) أى ما سهله على أيدينا (و ان شئتم) أى ان نرفع أمركم الى الخليفة أو من يقوم مقامه (ذكرنا أمركم للسلطان) أى للمتسلط على خزانة بيت المال فيعطيكم ما يوسع لكم البال (و ان شئتم صبرتم) أى على هذه الحال فانه مقام أرباب الكمال و أصحاب حسن المآل و طيب المنال (فانى سمعت رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه وسلم يقول ان فقراء المهاجرين يسبقون الاغنياء) أى أغنياءهم فضلا عن غيرهم (يوم القيامة الى الجنة باربعين خريفا) أى سنة (قالوا فانا نصبر لانسأل شيأ) أى حال كوننا لانطلب شيأ من أحد بعد ذلك (رواه مسلم ✱ و عن عبدالله بن عمرو) بالواو (قال بينا) و فى نسخة بينما (أنا قاعد فى المسجد) أى مسجد المدينة (و حلقة) بفتح فسكون و يفتح أى و جماعة متحلقة و قلوبهم بهم متعلقة (من فقراء المهاجرين قعود) أى قاعدون أو ذوو قعود ففى القاموس حلقة الباب و القوم و قد يفتح لامها و يكسر أو ليس فى الكلام حلقة محركة الا جمع حالق أو لغة ضعيفة و الجمع حلق محركة أو كبدر (اذ دخل النبى صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم فقعد اليهم) أى فجلس متوجها الى الفقراء لقوله تعالى و اصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة و العشى يريدون وجهه الآية (فقمت اليهم) أى مائلا اليهم ميلا للمتابعة و نيلا للقربة لديهم و لاطلع على كلام من طلع عليهم (فقال النبى صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم ليبشر) أمر مجهول من التبشير و يجوز من البشارة أريد به الخبر أو الدعاء (فقراء المهاجرين بما يسر وجوههم) بالنصب أى بشئ يفرح قلوبهم و يظهر أثر السرور على ظاهر أشرف بشرتهم و ألطف جلدتهم و فى نسخة برفع وجوههم فيكون التقدير بما يسر به وجوههم (فانهم يدخلون الجنة قبل الاغنياء باربعين عاما قال) أى ابن عمرو (فلقد) اللام جواب القسم أى فوالله لقد (رأيت ألوانهم اسفرت) أى أضاءت من الاسفار و هو اشراق اللون قال الله تعالى وجوه يؤمئذ مسفرة و الصبح اذا اسفر و فى الحديث اسفروا بالفجر فانه أعظم للاجر (قال عبدالله بن عمرو حتى تمنيت) متعلقة باسفرت أى أشرقت اشراقا كاملا تاما حتى وددت (أن أكون معهم) أى فى الدنيا دائما موصوفا بحالهم أو منهم أى فى العقبى محشورا فى زمرتهم و حسن مآلهم فاو للتنويع أو للشك و المعنى أحببت أن أكون من جملة فقراء المهاجرين (رواه الدارمى) و رواه أبونعيم فى الحلية عن أبى سعيد و لفظه ليبشر فقراء المهاجرين بالفوز يوم القيامة قبل الاغنياء بمقدار خمسمائة عام هؤلاء فى الجنة ينعمون و هؤلاء يحاسبون ✱(و عن أبى ذر قال أمرنى خليلى) أى حبيبى و رسولى (بسبع) أى بسبع خلال (أمرنى بحب المساكين و الدنو منهم) أى و القرب من حالهم أو التقرب من مآلهم (و أمرنى ان أنظر الى من هو دونى) أى فى الامور

و لا أنظر الى من هو فوقى و أمرنى أن أصل الرحم و ان أدبرت و أمرنى ان لا أسأل أحدا شيأ و أمرنى أن أقول بالحق و ان كان مرا و امرنى أنْ لا أخاف فى الله لومة لائم و أمرنى ان أكثر من قول لاحول و لاقوة الابالله فانهن من كنز تحت العرش

الدنيوية (و لا أنظر الى من هو فوقى) أى فى المال و الجاه و المناصب الدنية (و أمرنى ان أصل الرحم و ان أدبرت) أى ولت بان غابت أو بعدت و المراد أهلها و يؤيده حديث صلوا أرحامكم و لو بالسلام و قال الطيبى رحمه الله أى و ان قطعت على ما ورد صل من قطعك و أسند الادبار الى الرحم مجازا لانه لصاحبها (و أمرنى ان لا أسأل) أى لا أطلب (أحدا شيأ) و من دعاء الامام أحمد اللهم كما صنت وجهى عن سجود غيرك فصن وجهى عن مسئلة غيرك و يمكن أن يكون أحدا على عمومه بناء على ما قاله بعض أرباب الكمال الهى كفى علمك بالحال عن المقال و كرمك عن السؤال و هو المقام الجليل المأخوذ من حال الخليل حيث قال له جبرائيل ألِيك حاجة قال أما اليك فلا قال فسل ربك قال حسبى من سؤالى علمه بحالى و هو معنى قوله تعالى حكاية عن قول أصحاب الجميل حسبنا الله و نعم الوكيل و فى الحكم لابن عطاء الله ربما استحيى العارف أن يرفع حاجته الى مولاه اكتفاء بمشيئته فكيف لايستحيى أن يرفعها الى خليقته (و أمرنى ان أقول بالحق) أى اتكلم به (و ان كان مرا) أى على السامع أو صعبا على (و أمرنى ان لا أخاف) أى ظاهرا أو باطنا (فى الله) أى فى حقه أو فى سبيله و لاجله (لومة لائم) ملامة أحد من خلقه (و أمرنى أن أكثر من قول لاحول و لا قوة الابالله) أى للاستعانة على الطاعة و اصابة المصيبة و الاستعانة على دفع المعصية خصوصا العجب و الغرور و المخيلة (فانهن) أى هذه الكلمات (من كنز تحت العرش) أى من جملة كنز معنوى موضوع تحت عرش الرحمن لايصل اليه أحد الا بحول الله و قوته أو كنز من كنوز الجنة لان العرش سقفها و أبعد من قال فانهن أى الخصال السبع من كنز تحت العرش اذ لاطائل تحته بل ورد من طرق كثيرة أخرجه الستة عن أبى موسى الاشعرى و أحمد و البزار عن أبى هريرة و الطبرانى عن معاذ و النسائى عن أبى هريرة و أبى ذر أيضا مرفوعا قل لاحول و لا قوة الابالله فانها كنز من كنوز الجنة و اختلف العلماء فى معناه فقيل سمى هذه الكلمة كنزا لانها كالكنز فى نفاسته و صيانته من أعين الناس أو انها من ذخائر الجنة أو من محصلات نفائس الجنة و قال النووى المعنى ان قولها يحصل ثوابا نفيسا يدخر لصاحبه فى الجنة انتهى و يحتمل أن يقال انها كنز من كنوز الجنة العاجلة فمن قام بها و أدرك معناها و استمر على مبناها فانه ظفر بكنز عظيم مشتمل على كنوز لايعرف كنهها و منتهاها فقد روى البزار عن ابن مسعود قال كنت عند النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقلتها فقال تدرى ما تفسيرها قلت الله و رسوله أعلم قال لاحول عن معصية الله الابعصمة الله و لا قوة على طاعة الله الابعون الله . قال النووى رحمه الله هى كلمة استسلام و تفويض و ان العبد لايملك شيأ و ليس له حيلة فى دفع شر و لا قوة فى جلب خير الابارادة الله تعالى انتهى فيكون صاحبها فى ملك جسيم و كنز عظيم حال كونه حاضرا بقلبه مشاهدا فعل ربه بالنسبة الى جميع خلقه فصح ما قال بعض العارفين فى قوله تعالى و لمن خاف مقام ربه جنتان جنة فى الدنيا و جنة فى العقبى و قال بعض الصوفية فى معنى قول رابعة العدوية استغفارنا يحتاج الى استغفار كثير ارادت ان الاعتذار من الذنب مشتمل على ذنوب كثيرة تستحق أن تكون كبيرة من دعوى

رواه أحمد ★ و عن عائشة قالت كان رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم يعجبه من الدنيا ثلاثة الطعام و النساء و الطيب .فاصاب اثنين و لم‌يصب واحدا أصاب النساء و الطيب و لم‌يصب الطعام رواه‌أحمد ★ و عن أنس قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم حبب الى الطيب و النساء و جعلت قرة عينى فى الصلاة رواه أحمد و النسائى و زاد ابن الجوزى بعد قوله حبب الى من الدنيا

الوجود الاصلى و دعوى الفعل الحقيقى و دعوى الاقتدار الاستقلالى و قد قال صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم ايماء الى نفى ما سوى الله لاحول و لا قوة الابالله (رواه أحمد ★ و عن عائشة قالت كان رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم يعجبه من الدنيا ثلاثة) أى ثلاثة أشياء كما فى رواية (الطعام) أى حفظا لبدنه و تقوية على دينه (و النساء) أى صونا لنفسه النفيسة عن الخواطر الخسيسة (و الطيب) أى لتقوية الدماغ الذى هو محل العقل عند بعض الحكماء (فاصاب اثنين) أى شيئين بوصف الكثرة (و لم‌يصب واحدا أصاب النساء) أى حتى بلغ تسعا (و الطيب) أى من الخارج مع ان عرقه كان من أفضل أنواع الطيب (و لم‌يصب الطعام) أى الابوصف القلة فاطلاق النفى للمبالغة لما سبق من أنه صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم لم‌يشبع من خبز الشعير يومين متتابعين حتى قبض و أغرب الطيبى رحمه الله فى قوله أى لم‌يكثر من اصابته اكثارهما حيث انه يوهم أنه وقع له اكثار من الطعام أقل من اكثار النساء و الطيب (رواه أحمد) قال السيوطى رحمه الله فى تخريج أحاديث الشفاء اسناده صحيح الا أن فيه رجلا لم‌يسم ★(وعن أنس قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم حبب الى) أى من دنيا كم كما فى رواية (الطيب و النساء و جعلت قرة عينى فى الصلاة) كذا فى نسخ المشكاة بلفظ جعلت و كانه غير موجود فى أصل الطيبى رحمه الله كما ورد فى رواية أو غفل عنه حيث قال قوله قرة عينى فى الصلاة جملة اسمية عطفت على جملة فعلية لدلالته على الثبات و الدوام فى الثانية و التجدد فى الاولى قلت و فيه بحث اذ القول بالتجدد انما هو فى الفعل المضارع و أما الماضى فهو للثبات حتى اذا عبر عن المضارع بالماضى يعلل بانه لتحققه كانه قد وقع قال و جىء بالفعل المجهول دلالة على ان ذلك لم‌يكن من جبلته و طبعه و انه مجبور على الحب رحمة للعباد بخلاف الصلاة فانها محبوبة لذاتها و منه قوله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم أرحنا يا بلال أى اشغلنا عما سواها بها فانه تعب و كدح و انما الاستروا‌ح فى الصلاة فارحنا بندائك بها (رواه أحمد و النسائى) و كذا الحاكم فى مستدركه و البيهقى فى الشعب كذا فى الجامع و ذكر ابن الربيع فى مختصر المقاصد للسخاوى ان الطبرانى رواه فى الكبير و النسائى فى سننه بهذا اللفظ و الحاكم فى مستدركه بدون لفظ جعلت و قال انه صحيح على شرط مسلم و أما ما اشتهر فى هذا الحديث من زيادة ثلاث فقال السخاوى لم‌أقف عليه الا فى موضعين من الاحياء و فى تفسير آل عمران من الكشاف و ما رأيتها فى شئ من طرق هذا الحديث بعد مزيد التفتيش و بذلك صرح الزركشى فقال انه لم‌يرد فيه لفظ ثلاث قال و زيادته محيلة للمعنى فان الصلاة ليست من الدنيا (و زاد ابن الجوزى بعد قوله حبب الى من الدنيا) أى قوله من الدنيا منصوبا على انه مفعول زاد و قد ذكر الحافظ السيوطى فى الفتاوى الحديثية مسئلة قوله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم حبب الى من دنياكم النساء و الطيب و جعلت قرة عينى فى الصلاة لم بدأ بالنساء و أخر الصلاة الجواب لما كان المقصود من سياق الحديث ما أصاب النبى صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم من متاع الدنيا بدأ به كما قال فى الحديث ما أصابنا من دنيا كم

★ و عن معاذ بن جبل أن رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم لمابعث به الى اليمن قال اياك و التنعم فان عباد الله ليسوا بالمتنعمين رواه أحمد ★ و عن على قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم من رضى من الله باليسير من الرزق رضى الله منه بالقليل من العمل ★ و عن ابن عباس قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم من جاع أو أحتاج فكتمه الناس كان حقا على الله عزوجل أن يرزقه رزق سنة من حلال رواهما البيهقى فى شعب الايمان

هذه الا النساء و لما كان الذى حبب اليه من متاع الدنيا هو أفضلها و هو النساء بدليل قوله فى الحديث الآخر الدنيا متاع و خير متاعها المرأة الصالحة ناسب أن يضم اليه بيان أفضل الامور الدينية و ذلک الصلاة فانها أفضل العبادات بعد الايمان فكان الحديث على أسلوب البلاغة من‌جمعه بين أفضل أمور الدنيا وأفضل أمور الدين و فى ذلک ضم الشئى الى نظيره وعبر فى أمر الدين بعبارة أبلغ مماعبر به فى أمر الدنيا على مجرد التحبيب وقال فى أمر الدين جعلت قرة عينى فان قرة العين من التعظيم فى المحبة ما لايخفى انتهى و لعل السكوت عن الطيب لانه تابع للنساء وجودا و عدما على ما فى الروايتين ثم الصلاة عند الجمهور محمولة على العبادة المعروفة و قيل المراد بالصلاة فى هذا الحديث الصلاة عليه عليه الصلاة والسلام و شرفه لديه ★ (وعن معاذ بن جبل ان رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم لما بعث به) أى أرسله (الى اليمن) أى قاضيا أو واليا (قال اياك و التنعم) و هو المبالغة فى تحصيل قضاء الشهوة على وجه التكلف فى البغية بتكثير النعمة و الحرص على النهمة (فان عباد الله) أى المخلصين (ليسوا بالمتنعمين) بل التنعم مختص بالكافرين و الفاجرين و الغافلين و الجاهلين كما قال تعالى ذرهم يأكلوا و يتمتعوا و يلههم الامل فسوف يعلمون و قال يأكلون كما تأكل الانعام و النار مثوى لهم و قال انهم كانوا قبل ذلک مترفين (رواه أحمد) و كذا البيهقى فى شعب الايمان ★ (وعن على رضى‌الله‌تعالى عنه قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم من رضى من الله باليسير من الرزق) أى من قنع منه بقليل من العطاء (رضى الله منه) و فى نسخة عنه (بالقليل) و فى نسخة باليسير (من العمل) أى من الطاعة و فى حديث رواه ابن عساكر عن عائشة من رضى عن الله رضى الله عنه فان قلت هذا الحديث يدل على ان رضا العبد مقدم و فى قوله سبحانه رضى الله عنهم و رضوا عنه أيماء على أن رضا العبد متأخر قلت التحقيق ان رضا العبد محفوف برضائين من الله رضا أزلى تعلق به العلم الاولى و رضا أبدى تعلق بعمل العبد يترتب عليه الجزاء الاخروى و فى الحقيقة رضا العبد انما هو أثر رضا الله عنه أولا و أما رضا الله آخرا فانما هو غاية الرضا الذاتى من النعت الصفاتى و هو الاحسان و الانعام و كذلک القول فى قوله تعالى يحبهم و يحبونه و قوله قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ★ (وعن ابن عباس قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم من جاع) أى فى نفسه بالفعل (أو احتاج) أى الى ما يدفع الجوع أو غيره فأو للتنويع (فكتمه الناس) قيل أى من الناس ففيه أشارة الى أن الرواية بتخفيف التاء و انه متعد الى واحد فنصب الناس على نزع الخافض و يحتمل أن تكون الرواية بتشديدها و انه حينئذ متعد الى اثنين على ما فى القاموس كتمه كتما و كتمانا و كتمه اياه (كان حقا على الله عزوجل) أى وعدا ثابتا عليه أو أمرا لازما لديه (أن يرزقه رزق سنة من حلال) و المراد بالجوع جوع يتصور معه الصبر و يجوز فيه الكتمان والا فقد صرح العلماء بان الشخص اذا مات جوعا ولم يسأل

★ و عن عمران حصين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يحب عبده المؤمن الفقير المتعفف أبا العيال رواه ابن ماجه ★ وعن زيد بن أسلم قال استسقى يوما عمر فجيء بماء قد شيب بعسل فقال انه لطيب لكني أسمع الله عزوجل نعى على قوم شهواتهم فقال اذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا و استمتعتم بها فاخاف أن تكون حسناتنا عجلت لنا فلم يشربه رواه رزين
★ و عن ابن عمر قال ما شبعنا من تمر حتى فتحنا خيبر رواه البخارى
★ (باب الامل و الحرص) ★

أو لم يأكل و لو من الميتة يموت عاصيا (رواهما) أى الحديثين (البيهقى فى شعب الايمان)
★ و عن عمران بن حصين قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله يحب عبده المؤمن الفقير المتعفف أبا العيال) المعنى انه مع كونه صاحب العيال و فقير الحال و كسير البال تعفف عن السؤال فهو المؤمن على وجه الكمال فلذا أحبه ذو الجلال و الجمال (رواه ابن ماجه
★ و عن زيد بن أسلم) قال المؤلف يكنى أبا أسامة مولى عمر بن الخطاب مدنى من أكابر التابعين سمع جماعة من الصحابة و روى عنه الثورى و أيوب السختيانى و مالك و ابن عيينة مات سنة ست و ثلاثين و مائة (قال استسقى) أى طلب الماء (يوما عمر فجيء بماء قد شيب) بكسر أوله أى خلط (بعسل فقال انه) أى ماء العسل (لطيب) أى طبعا و شرعا و رفعا و نفعا (لكنى أسمع الله عزوجل) قال الطيبى رحمه الله مستدرك عن مقدر يعنى أنه لطيب أشتهيه لكنى أعرض عنه لانى سمعت الله عزوجل (نعى) أى عاب (على قوم شهواتهم) أى استيفاءها (فقال اذهبتم) بهمزة انكار مقدرة و هى فى قراءة موجودة (طيباتكم) أى أخذتم لذاتكم (فى حياتكم الدنيا) أى فى مدة الحياة الدنيوية الدنية (و استمتعتم بها) أى متابعة للشهوات النفسية و ما تركتم شيأ ذخيرة للدار الاخروية (فاخاف أن تكون حسناتنا) أى مثوباتها (عجلت لنا) قال الطيبى رحمه الله أى ثواب حسناتنا التى نعملها نستوفيها فى الدنيا قبل الآخرة قال تعالى من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا قلت الآيتان و ان كانتا أنزلتا فى الكفار لكن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب (فلم يشربه) أى لم يشرب عمر ذلك الماء تورعا و مخالفة للنفس و الهوى (رواه رزين ★ و عن ابن عمر قال ما شبعنا) أى أهل بيت عمر أو نحن معشر الصحابة معه صلى الله تعالى عليه وسلم و هو الاظهر (حتى فتحنا خيبر رواه البخارى)
★ (باب الامل و الحرص) ★ قال الجوهرى الامل الرجاء وقال الراغب الحرص فرط الشره فى الارادة قال تعالى أن تحرص على هداهم أى أن تفرط ارادتك فى هدايتهم و فى القاموس أسوأ الحرص أن تأخذ نصيبك و تطمع فى نصيب غيرك انتهى و المراد بالامل هنا طول الامل فى أمر الدنيا غافلا عن الاستعداد للموت و زاد العقبى كما قال سبحانه ذرهم يأكلوا و يتمتعوا و يلههم الامل و أما طول الامل فى تحصيل العلم و العمل فمحمود بالاجماع كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم طوبى لمن طال عمره و قال لو عشت الى قابل لاصومن التاسع و كذلك الحرص فى أمر جمع المال و كثرة الجاه و الاقبال مذموم و الا فالحرص على القتال و على تحصيل العلوم و تكثير الاعمال فمستحسن بلا نزاع ثم تحقيق الامل على ما حققه المحققون من أهل اليقين ما ذكره الغزالى فى منهاج العابدين رحمه الله أنه قال أكثر علمائنا أنه أرادة الحياة للوقت

★ (الفصل الاول) ★ عن عبد الله قال خط النبى صلى الله عليه وسلم خطا مربعا و خط خطا فى الوسط خارجا منه و خط خططا صغارا الى هذا الذى فى الوسط من جانبه الذى فى الوسط فقال هذا الانسان و هذا أجله محيط به و هذا الذى هو خارج أمله و هذه الخطط الصغار الاعراض فان أخطاء هذا نهسه هذا و ان أخطاه هذا نهسه هذا

المتراخى بالحكم و قصر الامل ترك الحكم فيه بان يقيده بالاسناد لمشيئة الله سبحانه و علمه فى الذكر أو بشرط الصلاح فى الارادة فاذن ان ذكرت حياتك بان أعيش بعد نفس ثان أو ساعة ثانية أو يوم ثان بالحكم و القطع فانت آمل و ذلك منك معصية اذ هو حكم على الغيب و ان قيدته بالمشيئة و العلم من الله تعالى فقد خرجت عن حكم الآمل فتأمل و انما جمع بينهما فى العنوان لتلازمهما فى الامكان و قدم الامل لانه الباعث على تاخير العمل و الحرص على الزلل ★ (الفصل الاول) ★ (عن عبد الله) أى ابن مسعود (قال خط النبى صلى الله تعالى عليه وسلم خطا مربعا) الظاهر انه كان بيده المباركة على الارض قال الطيبى رحمه الله المراد بالخط الرسم و الشكل (و خط) أى خطا كما فى نسخة مصححة و المعنى و خط خطا آخر (فى الوسط) أى وسط التربيع (خارجا منه) أى حال كون الخط خارجا من أحد طرفى المربع (و خط خططا) بضم الخاء المعجمة و الطاء الاولى للاكثر و جوز فتح الطاء أى خطوطا (صغارا) جمع صغيرة (الى هذا) أى متوجهة و مائلة و منتهية الى هذا الخط (الذى فى الوسط من جانبه الذى فى الوسط) أى من جانبيه اللذين فى الوسط فالمراد بالمفرد الجنس (فقال هذا الانسان) أى الخط الوسط كذا قاله شارح و الظاهر ان المراد بهذا مركز الدائرة المربعة و ان كان ليس له صورة مستقلة فى الخط الظاهرى أو المراد بهذا مجموع التصوير المعلوم خطا المفهوم ذهنا فان الانسان مع ما فيه من الامل العوارض المنتهية الى الاجل المشار اليه بهذا فالتقدير ان هذا الخط المصور مجموعه هو الانسان (و هذا) أى الخط المربع (أجله) أى مدة أجله و مدة عمره (محيط به) أى من كل جوانبه بحيث لايمكنه الخروج و الفرار منه (و هذا الذى هو خارج) أى من المربع (أمله) أى مرجوه و مأموله الذى يظن انه يدركه قبل حلول أجله و هذا خطأ منه لان أمله طويل لايفرغ منه و أجله أقرب اليه منه (و هذه الخطط) أى الخطوط (الصغار الاعراض) أى الآفات و العاهات و البليات من المرض و الجوع و العطش و غيرها مما يعرض للانسان و هو جمع عرض بالتحريك (فان أخطاه هذا) أى أحد الاعراض (نهسه) بسين مهملة و قيل بمعجمة أى أصابه و عضه (هذا) أى عرض آخر و عبر عن الاصابة بالنهس و هو لدغ ذات السم مبالغة فى المضرة (و ان أخطاه هذا) أى عرض آخر (نهسه هذا) أى عرض آخر و هلم جرا الى انقضاء الاجل و عدم انتهاء الامل و صورة الخط هذه عند بعضهم

قال الشيخ ابن حجر العسقلانى رحمه الله هذه الصفة هى المعتدة و سياق الحديث يتنزل عليه فالاشارة بقوله هذا الانسان الى النقطة الداخلة و بقوله و هذا أجله محيط به الى المربع و بقوله و هذا الذى هو خارج أمله الى الخط المستطيل المنفرد و بقوله و هذه الى الخطوط و هى مذكورة على سبيل المثال لا أن المراد انحصارها فى عدد معين و يؤيده قوله فى حديث أنس بعده اذ جاءه الاقرب الى الخط المحيط به و لاشك ان الذى يحيط به أقرب اليه من

رواه البخارى ★ و عن أنس قال خط النبى صلى الله عليه وسلم خطوطا فقال هذا الامل و هذا أجله فبينما هو كذلك اذ جاءه الخط الاقرب رواه البخارى ★ و عنه قال قال النبى صلى الله عليه وسلم يهرم ابن آدم و يشب منه اثنان الحرص على المال و الحرص على العمر متفق عليه

الخارج عنه انتهى و الاولى ان يجعل عدد الخطوط سبعا لاتيان هذا العدد كثيرا على لسان الشارع و لانه عشر العدد الذى يعبر به عن الكثرة مع الايماء الى الاعضاء السبعة للانسان و الأطوار السبعة فى مراتب الايقان و مرور الايام السبعة على دوران الا فلاك السبعة المحيطة بالأراضى السبعة ثم اعلم ان ما أشار الشيخ به الى النقطة الداخلة فغير مستفاد من التصوير النبوى ولذا ما صوره غير واحد من الشراح كالطيبى رحمه الله ثم رأيت صورة أخرى غير الصورة المسطورة المشهورة و هى هذه فهذه الهيئة هى المطابقة لما قاله بعض الشراح و الاظهر فى التصوير فتدبر (رواه البخارى ★ و عن أنس قال خط النبى صلى الله عليه وسلم خطوطا) أى مختلفة على الهيئة المصورة السابقة (فقال هذا) أى أحد الخطوط و هو الخط الخارج من دائرة التربيع (الامل) أى أمل الانسان (و هذا) أى الخط المربع المحيط به (أجله فبينما هو كذلك) أى بين أوقات هو أى أمره دائر كما صور فى الدائرة بين طلبه الامل و طلب الاجل اياه (اذ جاءه الخط الاقرب) و هو الاجل المحيط به من كل جانب و أخطأه الخط الابعد الخارج من دائرة الاحاطة و هو خطه بن قصور الأمل و قال الطيبى رحمه الله قوله فبينما هو كذلك أى هو طالب لامله البعيد فتدركه الآفات التى هى أقرب اليه فتؤديه الى الاجل المحيط به و هذا التأويل محمول على معنى الحديث السابق و يجوز ان يحمل على حديث أبى سعيد فى الفصل الثانى ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم غرز عمودا بين يديه الحديث قلت حمل هذا الحديث مع التصريح بقوله خط خطوطا على الغرز خطا ظاهر لان الظاهر المتبادر ان يكون الخط خطا ظاهرا (رواه البخارى ★ وعنه) أى عن أنس (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يهرم) بفتح الراء أى يشيب كما فى رواية و المعنى يضعف (ابن آدم و يشب) بكسر الشين المعجمة و تشديد الموحدة أى ينمو و يقوى (منه) أى من اخلاقه (اثنان) ففى التاج للبيهقى و كذا فى القاموس ان الهرم كبر السن من باب علم و شب شبابا من باب ضرب (الحرص على المال) أى على جمعه و منعه (و الحرص على العمر) أى بتطويل أمله و تسويف علمه و تبعيد أجله قال النووى رحمه الله قوله يشب استعارة و معناه ان قلب الشيخ كامل الحب يحتكم احتكاما مثل احتكام قوة الشاب فى شبابه قال الطيبى رحمه الله يجوز ان يكون من باب المشاكلة و المطابقة لقوله يهرم أى بمعنى يشيب (متفق عليه) قال ميرك هذا لفظ مسلم و لفظ البخارى يكبر ابن آدم و الباق مثله و رواه الترمذى و ابن ماجه انتهى فقوله متفق عليه معناه انهما اتفقا على روايتهما فى المعنى دون اللفظ فى جميع المبنى و هذا مبنى على ما ذكره و الا فلفظ الجامع أيضا يهرم ابن آدم و يبقى منه اثنان الحرص و الامل رواه أحمد و الشيخان و النسائى عن أنس فالظاهر ان لفظ يكبر رواية للبخارى و ان فى الصحيحين روايات متعددة كما يدل عليه كلام السخاوى فى المقاصد حديث يهرم ابن آدم و يبقى فيه اثنان الحرص و الامل متفق عليه و فى لفظ يشيب

✱ وعن أبي‌هريرة عن النبي صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال لايزال قلب الكبير شابا في اثنين في حب الدنيا و طول الامل متفق عليه ✱ و عنه قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم أعذر الله الى امرئ أخر أجله حتى بلغه ستين سنة رواه البخاري .✱ و عن ابن عباس عن النبي صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى ثالثا و لا يملأ جوف ابن آدم الا التراب

ابن آدم و يشيب فيه ✱(وعن أبي‌هريرة عن النبي صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم قال لايزال قلب الكبير شابا) أي قويا نشطا (في اثنين) أي في أمرين (في حب الدنيا) و يلزم منه كراهة الاجل (وطول الامل) و هو يقتضي تاخير العمل (متفق عليه ✱ و عنه) أي عن أبي‌هريرة (قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم أعذر الله) قيل الهمزة للسلب أي أزال الله العذر منهيا (الى امرئ أخر أجله) أي منتهاه و في رواية عمره (حتى بلغه) بتشديد اللام أي أوصله و في رواية حتى بلغ (ستين سنة) أي و لم‌يتب عن ذنوبه و لم‌يقم باصلاح عيوبه و لم‌يغلب خيره شره فيكون ممن لم‌يبق الله له عذرا في ترك الطاعة و فيما ضيع عمره و حاصله من بلغ ستين سنة و قيل أربعين و لم‌يغلب خيره شره فالموت خير له قال التوربشتي رحمه الله المعنى انه أفضى بعذره اليه فلم‌يبق له عذر يقال اعذر الرجل الى فلان أي بلغ به أقصى العذر و منه قولهم اعذر من انذر أي أتى بالعذر أو أظهره و هذا مجاز من القول فان العذر لايتوجه على الله و انما يتوجه له على العبيد و حقيقة المعنى فيه ان الله تعالى لم‌يترك له سببا في الاعتذار يتمسك به انتهى فالمعنى انه أزال أعذاره بالكلية فكأنه أقام عذره فيما يفعل به بين العقوبة و البلية و في مختصر النهاية أي لم‌يبق فيه موضعا للاعتذار حيث أمهله طول هذه المدة و لم‌يعتبر (رواه البخاري) و كذا أحمد و عبد بن حميد و النسائي و البزار و ابن جرير و ابن أبي حاتم و الحاكم و ابن مردويه و البيهقي عنه و أخرج عبد بن‌حميد و الطبراني و الروياني و الرامهرمزي في الامثال و الحاكم و ابن مردويه عن سهل بن سعد قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم اذا بلغ العبد ستين سنة فقد اعذر الله اليه في العمر و قد قال تعالى أو لم‌نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر و أخرج عبدالرزاق و الفريابي و سعيد بن‌منصور و عبد بن حميد و ابن جزير و ابن المنذر و أبو الشيخ و الحاكم و صححه و ابن مردويه عن ابن‌عباس انه قال في تفسيره ستين سنة و أخرج ابن جرير عن علي في الآية قال العمر الذى أعذرهم الله منه ستون سنة و أخرج عبد بن حميد و ابن أبي حاتم عن الحسن في الآية قال أربعين سنة و أما قوله تعالى و قد جاءكم النذير فاخرج ابن أبي حاتم و عبد بن حميد و ابن المنذر عن عكرمة قال الشيب و كذا أخرجه ابن مردويه و البيهقي في سننه عن ابن‌عباس انه الشيب ✱(و عن ابن عباس عن النبي صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم قال لو كان لابن آدم) أي فرضا و تقديرا (واديان من مال) و في رواية من ذهب (لابتغى) أي لطلب (ثالثا) أي واديا آخر أعظم منهما ذخرا و هلم جرا كما يشير اليه بقوله (و لا يملأ جوف ابن آدم) أي بطنه أو وسط عينه (الا التراب) أي تراب القبر ففيه تنبيه نبيه على ان البخل الموروث للحرص مركوز في جبلة الانسان كما أخبر الله تعالى عنه سبحانه في القرآن حيث قال أبلغ من هذا الحديث و المقال قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي اذا لامسكتم خشية الانفاق و كان الانسان قتورا فهذا يدل على ان حرص ابن آدم و خوفه من الفقر الباعث له على البخل حتى على نفسه أقوى من الطير الذى يموت عطشا على ساحل البحر خوفا من نفاده و من الدودة التي قوتها التراب و تموت جوعا خشية من فراغة لان ما ذكر

من الماء و التراب فى جنب خزائن رحمة رب الارباب كقطرة من السحاب (و يتوب الله) أى يرجع بالرحمة (على من تاب) أى رجع اليه بطلب العصمة أو يتفضل الله بتوفيق التوبة و تحقيق استعاذة العقبى على من تاب أى من محبة الدنيا و الغفلة عن حضرة المولى قال النووى رحمه الله معناه انه لايزال حريصا على الدنياحتى يموت و يمتلىء جوفه من تراب قبره و هذا الحديث خرج على حكم غالب بنى آدم فى الحرص على الدنيا و يؤيده قوله و يتوب الله على من تاب وهو متعلق بما قبله ومعناه ان الله يقبل التوبة من الحرص المذموم وغيره من المذمومات قال الطيبى رحمه الله و يمكن أن يقال معناه ان بنى آدم كلهم مجبولون على حب المال و السعى فى طلبه و ان لايشبع منه الا من عصمه الله تعالى و وفقه لازالة هذه الجبلة عن نفسه و قليل ما هم فوضع و يتوب الله على من تاب موضعه أشعارا بان هذه الجبلة المركوزة فيه مذمومة جارية مجرى الذنب و ان ازالتها ممكنة و لكن بتوفيق الله و تسديده و نحوه قوله تعالى و من يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون أضاف الشح الى النفس دلالة على انها غريزة فيها وبين ازالته بقوله يوق و رتب عليه قوله فاولئك هم المفلحون و ههنا نكتة دقيقة فانه ذكر ابن آدم تلويحا الى انه مخلوق من التراب و من طبيعته القبض و اليبس فيمكن ازالته بان يمطر الله عليه السحائب من غمائم توفيقه فيثمر حينئذ الخصال الزكية و الشمائل الرضية كما قال تعالى جل جلاله و البلد الطيب يخرج نباته باذن ربه و الذى خبث لايخرج الا نكدا فمن لم يتداركه التوفيق و تركه و حرصه لم يزدد الا حرصا و تهالكا على جمع المال و موقع قوله و لايملأ جوف ابن آدم موقع ركوز الجبلة و نيط به حكم أشمل و أعم كانه قيل و لايشبع من خلق من التراب الا بالتراب و موقع و يتوب الله على من تاب موقع الرجوع يعنى ان ذلك العسير صعب و لكن يتيسر على من يسره الله تعالى عليه فحقيق ان لايكون هذا من كلام البشر بل هو من كلام خالق القوى و القدر روينا عن الترمذى عن أبى بن كعب ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان الله أمرنى أقرأ عليك القرآن فقرأ عليه لم يكن الذين كفروا و قرأ فيها ان الدين عند الله الحنيفية المسلمية لا اليهودية و لا النصرانية و لا المجوسية و من يعمل خيرا فلن يكفر و قرأ عليه لو أن لابن آدم واديا من مال لابتغى اليه ثانيا و لو أن له ثانيا لابتغى اليه ثالثا و لا يملأ جوف ابن آدم الا التراب و يتوب الله على من تاب انتهى (رواه البخارى) قال ميرك ناقلا عن التصحيح حديث لو كان لابن آدم واديان الى آخره رواه البخارى بهذا اللفظ من حديث ابن عباس و بمعناه من حديث أنس و مسلم بهذا اللفظ وبمعناه من حديث ابن عباس رواه الترمذى أيضا و قد ثبت فى الحديث ان هذا كان قرآنا فنسخ خطه رواه أحمد و غيره و فى رواية لابن عباس و أنس فلا ندرى أشئ أنزل أم شئ كان يقوله و لانس عن أبى قال كنا نرى هذا من القرآن حتى نزل الهاكم التكاثر أخرجه البخارى انتهى و فى الجامع لو كان لابن آدم واد من مال لابتغى اليه ثانيا و لو كان له واديان لابتغى لهما ثالثا و لايملأ جوف ابن آدم الا التراب و يتوب الله على من تاب رواه أحمد و الشيخان و الترمذى عن أنس و أحمد و الشيخان عن ابن عباس و البخارى عن ابن الزبير و النسائى عن أبى هريرة و أحمد عن أبى واقد و البخارى فى تاريخه و البزار عن بريدة و رواه أحمد و ابن حبان عن جابر و لفظه لو كان لابن آدم واد من نخل لتمنى مثله ثم تمنى مثله حتى يتمنى أودية و لايملأ جوف ابن آدم

★ و عن ابن عمر قال أخذ رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم ببعض جسدی فقال کن فی الدنیا کانک غریب أو عابر سبیل و عد نفسک فی أهل القبور رواه البخاری

★ (الفصل الثانی) ★ عن عبد الله بن عمرو قال مر بنا رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم و أنا و أمی نطین شیأ فقال ما هذا یا عبد الله قلت شئ

الا التراب ★ (وعن ابن عمر قال أخذ رسول‌الله صلی‌الله‌تعالی‌علیه‌وسلم ببعض جسدی) أی بمنکبی کما فی روایة و نکتة الاخذ تقریبه الیه و توجهه علیه لیتمکن فی ذهنه ما یلقی لدیة و فیه ایماء الی ان هذه الحالة الرضیة لاتوجد الا بالجذبة الالهیة (فقال کن) أی عش وحیدا و عن الخلق بعیدا (فی الدنیا کانک غریب) أی فیما بینهم لعدم مؤانستک بهم و قلة مجالستک معهم قال النووی رحمه الله أی لاترکن الیها و لاتتخذها وطنا و لاتتعلق منها الا بما یتعلق الغریب فی غیر وطنه انتهی و ذلک لان الدنیا دار مرور و جسر عبور فینبغی للمؤمن أن یشتغل بالعبادة و الطاعة و أن ینتظر المسافرة عنها ساعة فساعة متهیأ لاسباب الارتحال برد المظالم و الاستحلال مشتاقا الی الوطن الحقیقی قانعا فی سفره ببلغة و سترة مستقبلا للبلیات الکثیرة فی سفره غیر مشتغل بما لایعنیه من الامل الطویل و الحرص الکثیر (أو عابر سبیل) أی مسافر لطریق و أو للتنویع أو بمعنی بل للترقی و المعنی بل کن کانک مار علی طریق قاطع لها بالسیر و لو بلا رفیق و هذا أبلغ من الغربة لانه قد یسکن الغریب فی غیر وطنه ویقیم فی منزل مدة زمنه فلله در طائفة رفضوا الدنیا و توجهوا الی العقبی شوقا الی لقاء المولی و اعتزلوا بالکلیة عن الناس فان الاستئناس بالناس علامة الافلاس و تجردوا عما علیهم من الاثقال و الالباس بل صاروا حفاة عراة حاسری الرأس و هم العقلاء الاکیاس الخارج فضلهم عن حد الحدود و مقیاس القیاس

ان لله عبادا فطنا ★ طلقوا الدنیا و خافوا الفتنا نظروا فیها فلما عرفوا ★ انها لیست لحی وطنا
جعلوها لجة و اتخذوا ★ صالح الأعمال فیها سفنا

(و عد نفسک) بضم العین و فتح الدال المشددة أی أجعلها معدودة (فی أهل القبور) أو عدها کائنة أو ساکنة فیهم و فی بعض النسخ المصححة من أهل القبور أی من جملتهم و واحدة من جماعتهم ففیه أشارة الی ما قیل موتوا قبل أن تموتوا و حاسبوا أنفسکم قبل أن تحاسبوا (رواه البخاری) قال میرک فیه نظر لان الذی أورده هو لفظ الترمذی و لفظ البخاری عن ابن عمر قال أخذ رسول‌الله صلی‌الله‌تعالی‌علیه‌وسلم بمنکبی فقال کن فی الدنیا کانک غریب أو عابر سبیل و لیس فی البخاری و عد نفسک فی أهل القبور بل هو فی الترمذی و البیهقی و الله تعالی أعلم و أحکم أقول و فی الجامع کن فی الدنیا کانک غریب أو عابر سبیل رواه البخاری عن ابن عمر زاد أحمد و الترمذی و ابن ماجه و عد نفسک من أهل القبور و زاد النووی فی أربعینه و کان ابن عمر رضی‌الله تعالی عنهما یقول اذا أمسیت فلا تنتظر الصباح و اذا أصبحت فلا تنتظر المساء و خذ من صحتک لمرضک و خذ من حیاتک لموتک و زاد الامام الغزالی فی الاربعین قوله فانک یا عبد الله لاتدری ما اسمک غدا و جعل صدر الحدیث مرفوعا بان قال قال صلی‌الله تعالی‌علیه‌وسلم لعبد الله بن عمر اذا أصبحت الی آخره و الله تعالی أعلم

★ (الفصل الثانی) ★ (عن عبد الله بن عمرو) بالواو (قال مر بنا رسول‌الله صلی‌الله‌تعالی علیه‌وسلم و أنا و أمی نطین) بتشدید الیاء المکسورة أی نصلح (شیأ) أی مکنا أو جزأ من

نصلحه قال الامر أسرع من ذلک رواه أحمد والترمذی و قال هذا حدیث غریب ★ وعن ابن عباس ان رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم کان یهریق الماء فیتیمم بالتراب فاقول یا رسول‌الله أن الماء منک قریب یقول ما یدرینی لعلی لا أبلغه رواه فی شرح السنة وابن الجوزی فی کتاب الوفاء ★ وعن أنس أن النبی صلی‌الله‌علیه‌وسلم قال هذا ابن آدم وهذا أجله و وضع یده عند قفاه ثم بسط فقال و ثم أمله

البیت (فقال ما هذا) أی استعمال الطین (یا عبد الله) أی لا عبد الهوی (قلت شئ) أی من البیت (نصلحه) أی خوفا من فساده أو زیادة علی استحکامه و استبداده (قال الامر أسرع من ذلک) أی الامر الذی ینبغی لنا أن نعمره و علی تعمیر بناء القدماء نعتبره أعجل مما ذکرته من أن تصلحه و تعمره و الظاهر أن عمارته لم‌تکن ضروریة بل کانت ناشئة عن أمل فی تقویته أو صادرة عن میل الی زینته قال الطیبی رحمه الله أی کوننا فی الدنیا کعابر سبیل أو راکب مستظل تحت شجرة أسرع مما أنت فیه من اشتغالک بالبناء و قال شارح أی الاجل أقرب من تخرب هذا البیت أی تصلح بیتک خشیة أن ینهدم قبل أن تموت و ربما تموت قبل أن ینهدم فاصلاح عملک أولی من أصلاح بیتک (رواه أحمد و الترمذی و قال هذا حدیث غریب) قال میرک نقلا عن المنذری حدیث عبد الله بن عمرو رواه أبوداود و الترمذی وقال حسن صحیح و ابن ماجه و ابن حبان فی صحیحه و قال السید جمال الدین رحمه الله هذا الحدیث بهذا اللفظ لم‌أجده فی جامع الترمذی و لکن أخرج عبد الله بن عمرو قال مر علینا رسول‌الله صلی‌الله تعالی‌علیه‌وسلم و نحن نعالج خصالنا قال ما هذا فقلنا قد وهی فنحن نصلح فقال ما أری الامر الا أعجل من ذلک و قال هذا حدیث صحیح حسن ★ (وعن ابن عباس أن رسول‌الله صلی‌الله‌تعالی‌علیه‌وسلم کان یهریق الماء) بضم الیاء و فتح الهاء و یسکن أی یصب و الماء کنایة عن البول فالمعنی أنه کان یبول أحیانا (فیتیمم بالتراب) أی أو ما یقوم مقامه لما ثبت أنه اکتفی بوضع یده علی الجدار حال التیمم من غیر وجود الغبار (فاقول یا رسول‌الله أن الماء منک قریب) أی فالتیمم حینئذ غریب (یقول) استئناف (ما یدرینی) ما للاستفهام (لعلی) للاشفاق أی أخاف (لاأبلغه) أی لا أصل الماء لمسارعة أجلی مبادرا فأحب ان أکون حینئذ طاهرا باطنا و ظاهرا و ما أبعد قول الاشرف و ما أقربه الی الوجه الاضعف حمل الحدیث علی معنی غیر مناسب بابا و مبنی حیث قال أی یستعمل الماء قبل الوقت فاذا لم‌یبق تیمم و الله تعالی أعلم (رواه) أی البغوی (فی شرح السنة و ابن الجوزی فی کتاب الوفاء) اسم کتاب له اظنه فی شرف المصطفی علیه‌الصلاة والسلام ★ (و عن أنس أن النبی صلی‌الله‌تعالی‌علیه‌وسلم قال هذا ابن آدم) الظاهر أن هذا أشارة حسیة الی صورة معنویة و کذا قوله (و هذا أجله) و توضیحه أنه أشار بیده الی قدامه فی مساحة الارض أو فی مسافة الهواء بالطول أو العرض و قال هذا ابن آدم ثم أخرها و أوقفها قریبا مما قبله و قال هذا أجله (و وضع یده) أی عند تلفظه بقوله هذا ابن آدم و هذا أجله (عند قفاه) أی فی عقب المکان الذی أشار به الی الاجل (ثم بسط) أی نشر یده علی هیئة فتح لیشیر بکفه و أصابعه أو معنی بسط وسع فی المسافة من المحل الذی أشار به الی الاجل (فقال و ثم) بفتح المثلثة و تشدید المیم أی هنالک و أشار الی بعد مکان ذلک (أمله) أی ماموله و هو مبتدأ خبره ظرف قدم علیه للاختصاص و الاهتمام و خلاصة العبارات و الاعتبارات أن هذه الاشارات المؤیدة بالبشارات المؤکدة بالحرکات و السکنات القولیة والفعلیة المطابقة لماسبق من التصورات

رواه الترمذی ✱ و عن أبی سعید الخدری ان النبی صلی‌الله‌علیه‌وسلم غرز عودا بین یدیه و آخر الی جنبه و آخر أبعد منه فقال أتدرون ما هذا قالوا الله و رسوله أعلم قال هذا الانسان و هذا الاجل أراه قال و هذا الامل فیتعاطی الامل فلحقه الاجل دون الامل رواه فی شرح السنة ✱ و عن أبی‌هریرة عن النبی صلی‌الله‌علیه‌وسلم قال عمر أمتی من ستین سنة الی سبعین و أقلهم من یجوز ذلک رواه الترمذی و قال هذا حدیث غریب ✱ و عنه قال قال رسول‌الله صلی‌الله‌علیه وسلم أعمار أمتی ما بین الستین الی السبعین

الصوریة انما هو للاشارة المعنویة المنبهة من نوم الغفلة المبینة ان أجل ابن آدم أقرب الیه من أمله و أن أمله أطول من أجله کما قال لله در قوله

کل امریٔ مصبح فی اهله ✱ و الموت أدنی من شراک نعله

هذا ما سنح لی فی هذا المقام من توضیح المرام و قال الطیبی رحمه الله ممتازا عن سائر الشراح الفخام قوله و وضع یده الواو للحال و فی قوله و هذا أجله للجمع مطلقا فالمشار الیه أیضا مرکب فوضع الید علی قفاه معناه أن هذا الانسان الذی یتبعه أجله هو المشار الیه و بسط الید عبارة عن مدها الی قدام انتهی الکلام (رواه الترمذی ✱ و عن أبی سعید الخدری ان النبی) و فی نسخة صحیحة ان رسول‌الله (صلی‌الله‌تعالی‌علیه‌وسلم غرز) أی أدخل فی الارض (عودا) أی خشبا طویلا (بین یدیه و آخر الی جنبه) أی و غرز عودا آخر الی جنب العود الاول (و آخر أبعد) أی من الثانی أو منهما (فقال أتدرون ما هذا) أی مجموع ما فعلت و المعنی أتعلمون ما المراد بهذا الغرز و التقریر و ما الغرض من هذا التصویر (قالوا الله و رسوله أعلم) أی بما فی الضمیر (قال هذا الانسان) أی العود الاول مثاله (و هذا الاجل) أی و هذا العود الثانی المتصل الی جنبه أجله أی انتهاء عمره و انقطاع عمله (أراه) بضم الهمزة أی قال الراوی أظنه (قال و هذا الامل) أی هذا العود الابعد هو طول أمله و مآل آماله (فیتعاطی) أی یتناول الانسان (الامل) بان یباشره و یستعمله و یشتغل بما یامله و یرید ان یحصله (فلحقه الاجل) أی فیلحقه الموت قبل ان یصله و عبر عن المضارع بالماضی مبالغة فی تحقق حال وقوعه (دون الامل) أی قبل ان یتم امله و یکمل عمله قال الطیبی رحمه الله دون الامل حال من الضمیر المنصوب أی لحقه و هو متجاوز عما قصده من الامل قال أمیة ✱ یا نفس مالک دون الله من واق ✱ (رواه) أی البغوی (فی شرح السنة ✱ و عن أبی‌هریرة عن النبی صلی‌الله‌تعالی‌علیه‌وسلم قال عمر أمتی) أی غالبا (من ستین سنة الی سبعین) قیل معناه آخر عمر أمتی ابتداؤه اذا بلغ ستین سنة و انتهاؤه سبعون سنة و قل من یجوز سبعین و هذا محمول علی الغالب بدلیل شهادة الحال فان منهم من لم یبلغ ستین و منهم من یجوز سبعین ذکره الطیبی رحمه الله و فیه ان اعتبار الغلبة فی جانب الزیادة علی سبعین واضح جدا و أما کون الغالب فی آخر عمر الامة بلوغ ستین فی غایة من الغرابة المخالفة لما هو ظاهر فی المشاهدة فالظاهر ان المراد به ان عمر الامة من سن المحمود الوسط المعتدل الذی مات فیه غالب الامة ما بین العددین منهم سید الانبیاء و أکابر الخلفاء کالصدیق و الفاروق و المرتضی و غیرهم من العلماء و الاولیاء مما یصعب فیه الاستقصاء و یعسر الاستحصاء (رواه الترمذی و قال هذا حدیث غریب ✱ و عنه) أی عن أبی هریرة (قال قال رسول‌الله صلی‌الله تعالی‌علیه‌وسلم اعمار أمتی ما بین الستین الی السبعین) أی نهایة اکثار أعمار أمتی غالبا ما بینهما

و أقلهم من يجوز ذلك رواه الترمذى و ابن ماجه و ذكر حديث عبدالله بن الشخير فى باب عيادة المريض.

★(الفصل الثالث)★ عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ان النبى صلى الله عليه وسلم قال اول صلاح هذه الامة اليقين و الزهد و أول فسادها البخل والامل رواه البيهقى فى شعب الايمان ★ وعن سفيان الثورى

(و أقلهم من يجوز ذلك) أى السبعين فيصل الى المائة و ما فوقها و أكثر ما اطلعنا على طول العمر فى هذه الامة من المعمرين فى الصحابة و الائمة سن انس بن مالك فانه مات و له من العمر مائة و ثلاث سنين و اسماء بنت أبى بكر ماتت و لها مائة سنة و لم يقع لها سن و لم ينكر فى عقلها شئى و أزيد منهما عمر حسان بن ثابت مات و له مائة و عشرون سنة عاش منها ستين فى الجاهلية و ستين فى الاسلام و أكثر منه عمرا سلمان الفارسى فقيل عاش مائتين و خمسين سنة و قيل ثلثمائة و خمسين سنة و الاول أصح و الله تعالى أعلم ثم من تاريخ موته يفهم انه عاش فى الاسلام قليلا لانه ذكر المؤلف انه مات بالمدائن سنة خمس و ثلاثين و قد أدركنا سيدنا السيد زكريا و سمعنا منه ان عمره مائة و عشرون سنة رحمه الله تعالى (رواه الترمذى و ابن ماجه) و كذا أبو يعلى فى مسنده عن أنس قال ابن الربيع و صححه ابن حبان و الحاكم و قال انه صحيح على شرط مسلم و قال الترمذى حسن غريب و فى لفظ لاحمد و الترمذى مرفوعا معترك المنايا ما بين الستين الى السبعين انتهى لكن فى الجامع أسنده الى الحكيم الترمذى و الله تعالى أعلم (و ذكر حديث عبدالله بن الشخير) بكسر الشين و الخاء المشددة المعجمتين و ضبط فيما سبق بدون لام التعريف (فى باب عيادة المريض) أى فى أواخر الفصل الثانى و هو قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مثل ابن آدم أى صور و الى جنبه تسع و تسعون منية أى مهلكة ان أخطأته المنايا وقع فى الهرم حتى يموت انتهى و لاشك ان مناسبته هنا أظهر من هناك فان حملوه اليه فالحجة عليه و ان أسقط عن تكرار فقد يسلم لديه

★ (الفصل الثالث) ★ (عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال أول صلاح هذه الامة اليقين) أى فى امر العقبى (و الزهد) أى فى شأن الدنيا (و أول فسادها البخل) بضم فسكون و بفتحتين و هو الانسب هنا لمشاكلة قوله (و الامل) فالامل انما هو الغفلة عن سرعة القيامة الصغرى و الكبرى و البخل انما ينشأ من حب الدنيا و يقرب من هذا الحديث معنى قول الحسن البصرى صلاح الدين الورع و فساده الطمع قال الطيبى رحمه الله معناه ان اليقين بان الله هو الرزاق المتكفل للارزاق و ما من دابة فى الارض الا على الله رزقها فمن تيقن هذا زهد فى الدنيا فلم يامل و لم يبخل لان البخيل انما يمسك المال لطول الامل و عدم اليقين روى عن الاصمعى انه قال تلوت على اعرابى و الذاريات فلما بلغت قوله و فى السماء رزقكم و ما توعدون قال حسبك و قام الى ناقته فنحرها و وزعها على من أقبل و أدبر و عمد الى سيفه و قوسه فكسرهما و ولى فلقيته فى الطواف قد نحل جسمه و اصفر لونه فسلم على و استقرأ السورة فلما بلغت الآية صاح و قال قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا قال و هل غير هذا فقرأت فو رب السماء و الارض انه لحق فصاح و قال يا سبحان الله من ذا الذى أغضب الجليل حتى حلف فلم يصدقوه بقوله حتى الجاه الى اليمين قالها ثلاثا و خرجت معها نفسه (رواه البيهقى فى شعب الايمان ★ و عن سفيان الثورى) أى الكوفى امام المسلمين و حجة الله على خلقه أجمعين جمع

قال ليس الزهد فى الدنيا بلبس الغليظ و الخشن و أكل الجشب انما الزهد فى الدنيا قصر الامل رواه فى شرح السنة ★ و عن زيد بن الحسين قال سمعت مالكا و سئل أى شئ الزهد فى الدنيا قال طيب الكسب و قصر الامل رواه البيهقى فى شعب الايمان

زمنه بين الفقه و الاجتهاد فيه و الحديث و الزهد و العبادة و الورع و العفة و اليه المنتهى فى علم الحديث و غيره من العلوم اجمع الناس على دينه و زهده و ورعه و ثقته و لم يختلفوا فى ذلك و هو أحد الائمة المجتهدين و أحد اقطاب الاسلام و اركان الدين ولد فى أيام سليمان ابن عبد الملك سنة تسع و تسعين سمع خلقا كثيرا و روى عن معمر و الازاعى و ابن جريج و مالك و شعبة و ابن عيينة و فضيل بن عياض و خلق كثير سواهم مات سنة احدى و ستين و مائة ذكره المؤلف (قال ليس الزهد فى الدنيا بلبس الغليظ) أى فى الغزل (و الخشن) بفتح فكسر أى فى النسج (و أكل الجشب) بفتح الجيم و كسر الشين المعجمة أى و لا بأكل الغليظ الجشب من الطعام و قيل غير المأدوم (انما الزهد فى الدنيا قصر الامل) بكسر قاف ففتح صاد و فى نسخة بضم فسكون أى اقتصار الامل و الاستعداد للاجل بالمسارعة الى التوبة و العلم و العمل و حاصله ان الزهد الحقيقى هو ما يكون فى الحال القلبى من عزوب النفس عن الدنيا و ميلها الى العقبى و ليس المدار على الانتفاع القالبى فانه يستوى الامران فيه باعتبار الحقيقة وان كان التقشف فى اللبس و التقلل فى كمية الاكل و كيفيته له تاثير بليغ فى استقامة العبد على الطريقة و الحاصل ان حب الدنيا فى القلب هو المهلك للهالك لا وجودها على قالب السالك و شبه القلب بالسفينة حيث ان الماء المشبه بالدنيا فى قوله تعالى أنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء ان دخل داخل السفينة أغرقها مع أهلها و ان كان خارجها و حولها سيرها و أوصلها الى محلها و لذا قال صلى الله تعالى عليه وسلم نعم المال الصالح للرجل الصالح و قد اختار جماعة من الصوفية و أكابر الملامية لبس العوام و بعضهم لبس أكابر الفخام تسترا لاحوالهم و منازلهم الكرام و يتعدى عما ينادى لبس المرقع من الشكاية من الحق الى الخلق و الى السؤال بلسان الحال و من الطمع فى غير المطمع و من المظنة فى موقع الرياء و السمعة و قد أخرج الديلمى فى مسند الفردوس عن أبى سعيد الخدرى مرفوعا ليس البر فى حسن اللباس و الزى و لكن البر السكينة و الوقار هذا و الطرق الى الله بعدد أنفاس الخلائق والمدار على الاخلاص و الخلاص عن العلائق و العوائق (رواه فى شرح السنة ★ و عن زيد بن الحسين) لم يذكره المؤلف فى أسمائه لكونه من رواة مالك و هو وشيخه ليسا من الصحابة و التابعين (قال سمعت مالكا و سئل) أى والحال انه سئل (أى شئ الزهد فى الدنيا قال طيب الكسب) أى المكسوب من المأكول و المشروب بان يكون حلالا طيبا يورث علما نافعا وعملا صالحا لانه قال تعالى للرسل كلوا من الطيبات و اعملوا صالحا و قال يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم و اشكروا لله ان كنتم أياه تعبدون (و قصر الامل) أى بكثرة العمل مخافة اتيان الاجل المزهد فى الدنيا المرغب فى العقبى قال الطيبى رحمه الله فان قلت أى مدخل لطيب الكسب فى الزهد قلت هذا رد على من زعم ان الزهد فى مجرد ترك الدنيا و لبس الخشن و أكل الجشب أى ليس حقيقة الزهد ما زعمته بل حقيقته أن تأكل الحلال و تلبس الحلال و تقنع بالكفاف و تقصر الامل و نحوه قوله صلى الله تعالى عليه وسلم الزهادة فى الدنيا ليست بتحريم الحلال و لا باضاعة المال و لكن الزهادة فى الدنيا بان لا تكون

★ (باب استحباب المال و العمر للطاعة) ★

★ (الفصل الاول) ★ عن سعد قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم ان الله يحب العبد التقى الغنى الخفى رواه مسلم و ذكر حديث ابن عمر لا حسد الا فى اثنين فى باب فضائل القرآن

★ (الفصل الثنى) ★ عن أبى‌بكرة ان رجلا قال يا رسول‌الله أى الناس خير

بما فى يديك أوثق بما فى أيدى الناس انتهى و تمامه على ما فى الجامع برواية الترمذى و ابن ماجه عن أبى‌ذر و أن تكون فى ثواب المصيبة اذا أنت أصبت بها أرغب منك فيها لو انها أبقيت لك و سيأتى هذا الحديث فى أصل الكتاب من أواخر الباب و نظيره انه قيل للامام محمد صاحب أبى‌حنيفة رحمهما‌الله تعالى لم لم‌تصنف فى التصوف فقال صنفته و الفته فقيل ما هو فقال كتاب البيع فمن لم يعرف صحته و فساده يأكل حراما و من أكل حراما لايصلح حاله أبدا (رواه البيهقى فى شعب الايمان)

★ (باب استحباب المال و العمر للطاعة) ★

أى جواز طلب حب المال و طول العمر لصرفهما فى الطاعة و العبادة

★ (الفصل الاول) ★ (عن سعد) أى ابن أبى وقاص (قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه وسلم ان الله يحب العبد التقى) أى من يتقى المناهى أو من لايصرف ماله فى الملاهى و قيل هو الذى يتقى المحرمات و الشبهات و يتورع عن المشتبهات و المباحات (الغنى) قال النووى رحمه الله المراد بالغنى غنى النفس و هذا هو الغنى المحبوب لقوله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم الغنى غنى النفس و أشار القاضى رحمه الله الى ان المراد به غنى المال قلت و هذا هو المناسب لعنوان الباب و هو لاينافى غنى النفس فانه الاصل فى الغنى و الفرد الاكمل فى المعنى و يترتب عليه غنى اليد الموجب لتحصيل الخيرات و المبرات فى الدنيا و وصول الدرجات العاليات فى العقبى و الحاصل ان المراد به الغنى الشاكر و قد يستدل به على أنه أفضل من الفقير الصابر لكن المعتمد خلافه لما سبق بيانه و تحقق برهانه (الخفى) بالخاء المعجمة أى الخامل المنقطع لعبادة ربه المشتغل بامور نفسه أو الخفى الخير بان يعمله و يصرف ماله فى مرضاة ربه حيث لايطلع عليه غيره الشامل للفقير أيضا كما ورد حتى لاتعلم شماله ما تنفق يمينه و هو الاظهر و روى بالمهملة أى المشفق و قال النووى رحمه الله معناه الواصل للرحم اللطيف بهم و بغيرهم من الضعفاء و الصحيح الاول و فيه حجة لمن يقول الاعتزال أفضل من الاختلاط و من قال بتفضيل الاختلاط تأول هذا بالاعتزال فى وقت الفتنة أقول أو يحمل على اختلاط أرباب البطالة و قال ابن الملك أراد به الخفى عن أعين الناس فى نوافله لئلا يدخله الرياء و قيل هو من لايتكبر على الناس و لايفتخر عليهم بالمال بل يجعل نفسه منكسرة من التواضع و قيل أراد به قليل التردد و الخروج الى نحو الاسواق (رواه مسلم) أى من طريق عامر بن سعد بن أبى‌وقاص ذكره الجزرى و فى الجامع رواه أحمد و مسلم عن سعد بن أبى‌وقاص قال الطيبى رحمه الله و فى بعض نسخ المصابيح الحق بعد قوله التقى النقى بالنون و لم‌يوجد فى صحيح مسلم و شرحه و لا فى الحميدى و جامع الاصول (و ذكر حديث ابن عمر لا حسد الا فى اثنين) أى رجل آتاه الله القرآن و رجل آتاه الله مالا (فى باب فضائل القرآن) صوابه فى كتاب فضائل القرآن ثم لما كان الحديث مشتملا على المعنيين المناسبين للبابين باعتبار الرجلين و الاول منهما متعلق بفضل القرآن خص به أولا مقررا و صار الثانى مستدركا مكررا -

قال من طال عمره و حسن عمله قال فاى الناس شر قال من طال عمره و ساء عمله رواه أحمد و الترمذى و الدارمى ★ و عن عبيد بن خالد ان النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم آخى بين رجلين فقتل أحدهما فى سبيل الله ثم مات الآخر بعده بجمعة أو نحوها نصلوا عليه فقال النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم ما قلتم قالوا دعونا الله أن يغفر له و يرحمه و يلحقه بصاحبه فقال النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم فاين صلاته بعد صلاته و عمله بعد عمله أو قال صيامه بعد صيامه لما بينهما

★ (الفصل الثانى) ★ (عن أبى بكرة) بالتاء (ان رجلا قال يا رسول‌الله أى الناس) أى أى أصنافهم (خير) أى أخير (قال من طال عمره) بضمتين على ما هو الافصح الوارد فى كلامه سبحانه و بضم فسكون على ما هو المشهور على السنة العامة تخفيفا و فتح العين و سكون الميم لغة فيه و منه قوله تعالى لعمرك انهم لفى سكرتهم يعمهون و فى القاموس العمر بالفتح و بالضم و بضمتين الحياة (و حسن عمله قال فاى الناس شر) أى أشر (قال من طال عمره و ساء عمله) قال الطيبى رحمه الله و قد سبق ان الاوقات و الساعات كرأس المال للتاجر فينبغى أن يتجر فيما يربح فيه و كلما كان رأس ماله كثيرا كان الربح أكثر فمن مضى لطيبه فاز و أفلح و من أضاع رأس ماله لم‌يربح و خسر خسرانا مبينا انتهى و بقى صنفان مستويان ليس فيهما زيادة من الخير و الشر و هما من قصر عمره و حسن عمله أو ساء عمله (رواه أحمد و الترمذى): و فى نسخة و قال حسن صحيح (و الدارمى) و كذا رواه الطبرانى باسناد صحيح و الحاكم و البيهقى عنه و روى الطبرانى و أبو نعيم فى الحلية عن عبد الله بن بسر مرفوعا طوبى لمن طال عمره و حسن عمله و روى الحاكم عن جابر مرفوعا خياركم أطولكم أعمارا و أحسنكم أعمالا ★ (و عن عبيد) بالتصغير (ابن خالد) قال المؤلف فى فصل الصحابة سلمى بهزى مهاجرى سكن الكوفة روى عنه جماعة من الكوفيين (أن النبى صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم آخى) أى عقد عقد الاخوة و بيعة الصحبة و المحبة (بين رجلين) أى من أصحابه (فقتل أحدهما) أى استشهد (فى سبيل الله) أى فى الجهاد (ثم مات الآخر) أى على فراشه (بعده) و فى نسخة بعد بضم الدال مبنيا و المعنى بعد قتل أخيه (بجمعة) أى باسبوع (أو نحوها) أى قريبا منها تخمينا أقل أو أكثر و انما أتى به احتياطا (فصلوا) أى المسلمون (عليه) أى على الآخر (فقال النبى صلى‌الله عليه‌وسلم ما قلتم) أى فى حقه من الكلام و ما للاستفهام (قالوا دعونا الله أن يغفر له) أى ذنوبه (و يرحمه) أى يتفضل عليه و يثيبه (و يلحقه) من الالحاق أى يوصله (بصاحبه) أي فى علو درجته لكى يكونا فى منزلة واحدة من الجنة فى العقبى كما كانا فى مرتبة واحدة من المحبة فى الدنيا (فقال النبى صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم فاين) جواب شرط مقدر أى اذا كنتم تدعون الله بان يلحقه بصاحبه زعما منكم ان مرتبته دون مرتبة أخيه فاين (صلاته) أى الزائدة للميت (بعد صلاته) أى الواقعة للشهيد (و عمله بعد عمله) تعميم بعد تخصيص أو التقدير و سائر عمله أى عمل الميت بعد انقطاع عمل الشهيد (أو قال) شك من الراوى (صيامه بعد صيامه) و لعله كان فى رمضان أو المتخلف كان ممن يصوم النافلة كثيرا (لما بينهما) قال ابن الملك اللام فيه توطئة للقسم أو للابتداء قلت الثانى هو الصحيح لان شرط الموطئة أن‌تكون مقرونة بان الشرطية نحو قوله تعالى لئن أشركت الآية نعم يمكن أن تكون اللام فى جواب القسم المقدر أى و الله لما بينهما و المعنى للتفاوت الذى بين الاخوين فى القرب عند الله تعالى

أبعد مما بين السماء و الارض رواه أبوداود و النسائى ★ و عن أبى كبشة الانمارى انه سمع رسولالله صلىاللهعليهوسلم يقول ثلاث أقسم عليهن و أحدثكم حديثا فاحفظوه فاما الذى أقسم عليهن فانه ما نقص مال عبد من صدقة و لا ظلم عبد مظلمة صبر عليها الا زاده الله بها عزا و لا فتح عبد باب مسئلة

(أبعد مما بين السماء و الارض) يعنى مرتبة الميت أعلى فالحاق الشهيد به أولى و ذلك لانه أيضا كان مرابطا فى سبيل الله فله المشاركة فى الشهادة حكما و طريقة و له الزيادة فى الطاعة و العبادة شريعة و حقيقة و الا فمن المعلوم ان لاعمل أزيد ثوابا على الشهادة جهادا فى سبيلالله و اظهارا لدينه لاسيما فى مبادى الدعوة مع قلة أعوانه من أهل الملة و قال الطيبى رحمه الله فان قلت كيف تفضل هذه الزيادة فى العمل بلا شهادة على عمله معها قلت قد عرف صلىاللهتعالىعليه وسلم ان عمل هذا بلاشهادة ساوى عمله مع شهادته بسبب مزيد اخلاصه و خشوعه ثم زاد عليه بما عمل بعده و كم من شهيد لايدرك شيأ و الصديق فى العمل انتهى فتأمل فانه ليس فى الحديث اشعار بقلة اخلاص الشهيد فهذا الظن بالصحابة ليس بالسديد مع انه لو كان هذا علة التفضيل لبينه صلىاللهتعالىعليهوسلم فى وجه التعليل و لا كلام فى الصديق انه ممن تفضل عليه سبحانه بزيادة التوفيق مع انه رضىاللهتعالىعنه شهيد حكما و قد قدم الله سبحانه مرتبة الصديقين على الشهداء فى مواضع من كتابه و الله أعلم (رواه أبوداود والنسائى) رجال هذا الحديث رجال الصحيح الاعبدالله ابنربيعة السلمى عن عبيد بن خالد قال النسائى انه صحابى و على تقدير ان لايكون صحابيا فهوتابعى و لميذكره أحد بضعف و أما عبيد بنخالد و هو أبو عبدالله السلمى البهزى فله صحبة و نزيل الكوفة روى عنه عبدالله بن ربيعة و تميم بن سلمة و سعيد بن عبيدة نقله ميرك عن التصحيح و فى التقريب عبدالله بن ربيعة بن فرقد السلمى ذكر فى الصحابة و نفاها أبوحاتم و وثقه ابنحبان انتهى و سيأتى زيادة كلام فى هذا المرام ★(و عن أبى كبشة الانمارى) قال المؤلف هو عمرو بن سعيد نزل بالشام روى عنه سالم بن أبىالجعد و نعيم بن زياد (انه سمع رسولالله صلىاللهتعالىعليهوسلم يقول ثلاث) أى من الخصال (أقسم) أى أحلف (عليهن و أحدثكم) عطف على قوله ثلاث بحسب المعنى فكانه قال أخبركم بثلاث أؤكدهن بالقسم عليهن و أحدثكم (حديثا) أى تحديثا عظيما أو بحديث آخر (فاحفظوه) أى الاخير أو المجموع و مما يدل على ما اخترناه من التقدير المذكور و التحرير المسطور قوله (فاما الذى أقسم عليهن) أى الذى أخبركم بثلاث و أحلف عليهن هو هذا الذى ابينه (فانه) أى الشأن (ما نقص مال عبد) أى بركته (من صدقة) أى من أجل اعطاء صدقة لانها مخلوفة معوضة كمية أو كيفية فى الدار الدنيوية و الاخروية قال تعالى جل جلاله و ما أنفقتم من شئ فهو يخلفه (و لا ظلم عبد) بصيغة المجهول (مظلمة) بفتح الميم و كسر اللام اسم ما أخذه الظالم ظلما كذا ذكره ابن الملك و فى القاموس المظلمة بكسر اللام ما يظلمه الرجل و الظاهر انه هنا مصدر بمعنى المفعول صفته قوله (صبر) أى العبد (عليها) أى على تلك المظلمة و لو كان متضمنا لنوع من المذلة (الا زاده الله بها عزا) أى عنده تعالى كما انه يزيد للظالم عنده ذلا بها أو يزيده الله بها عزا له فى الدنيا معاقبة كما يحصل للظالم ذل بها و لو بعد حين من المدة بل ربما ينقلب الامر و يجعل الظالم تحت ذل المظلوم جزاء وفاقا (و لافتح عبد) أى على نفسه (باب مسئلة) أى باب سؤال و طلب من الناس لا لحاجة

الا فتح الله عليه باب فقر و أما الذى أحدثكم فاحفظوه فقال انما الدنيا لاربعة نفر عبد رزقه الله مالا و علما فهو يتقى فيه ربه و يصل رحمه و يعمل لله فيه بحقه فهذا بافضل المنازل و عبد رزقه الله علما و لم يرزقه مالا فهو صادق النية يقول لو أن لى مالا لعملت بعمل فلان فاجرهما سواء و عبد رزقه الله مالا و لم يرزقه علما فهو يخبط فى ماله بغير علم لايتقى فيه ربه و لا يصل فيه رحمه

و ضرورة بل لقصد غنى و زيادة (الا فتح الله عليه باب فقر) أى باب احتياج آخر و هلم جرا أو بان سلب عنه ما عنده من النعمة فيقع فى نهاية من النقمة كما هو مشاهد فى أصحاب التهمة و مثل حاله بالحمار الذى ليس له الذنب و هو دائر فى الطلب فدخل فى بستان حريصا عليه فقطع الحارس أذنيه و شبه أيضا بكلب فى فمه عظم و مر على نهر لطيف يظهر من تحته عظم نظيف ففتح الكلب فمه حرصا على أخذ ما فى قعر الماء فوقع ما فى فمه من العظم فى الماء فالحرص شوم و الحريص محروم هذا و قال الطيبى رحمه الله فى قوله فاما الذى أقسم عليهن أفرده و ذكره باعتبار كون المذكور موعودا و جمع المرجع الى الموصول باعتبار الخصال المذكورات و به فسر قوله تعالى مثلهم كمثل الذى استوقد فى وجه أى الجمع أو الفوج و فى المصابيح أما اللاتى أقسم عليهن و هو ظاهر و ليس المراد تحقيق الحلف بل تاكيد، تنويها فان المدعى يثبت بذكر القسم تارة و أخرى بلفظ القسم انتهى و الاظهر ان يقال التقدير فاما قولى الذى أقسم فيه على الخصال الثلاث و أؤكده فانه الى آخره (و أما الذى أحدثكم حديثا فاحفظوه فقال انما الدنيا) هو تفسير و بيان بل قال جملة معترضة للتأكيد و التقدير فانما الدنيا و يؤيده انه ليس فى الجامع لفظ فقال بل فيه انما الدنيا (لاربعة نفر) أى كل واحد عبارة عن جمع و صنف (عبد) بالجر و يرفع (رزقه الله مالا و علما) فيه ايماء الى ان العلم رزق أيضا و ان الله تعالى هو الذى يرزق العلم و المال و بتوفيقه و فتحه يفتح باب الكمال و قد ورد فى حديث ان علما لايقال به ككنز لاينفق منه فيدخل العلماء و لو كانوا فقراء فى قوله تعالى و مما رزقناهم ينفقون ثم فيه اشعار بان المراد بالمال هنا ما يزيد على قدر ضرورة الحال (فهو يتقى فيه) أى فى المال (ربه) بان لايصرف ماله فى معصية خالقه (و يصل رحمه) أى بالمواساة الى أقاربه (و يعمل لله فيه) أى فى العلم (بحقه) أى قياما بحق العلم و ما يقتضيه من العمل بحق الله و حق عباده ففيه لف و نشر مرتب و يؤيده لفظ الجامع و يعلم لله فيه حقا و يمكن رجوع كل من الضميرين الى كل من المال و العلم و افرده باعتبار ما ذكر و قال ابن الملك أى بحق المال و المعنى يؤدى ما فى المال من الحقوق كالزكاة و الكفارة و النفقة و اطعام الضيف و يجوز كون الضمير لله أى بحق الله الواجب فى المال (فهذا) أى العبد الموصوف بما ذكر (بافضل المنازل) أى فى أكمل مراتب الشمائل فى الدنيا أو فى أعلى الدرجات فى العقبى (و عبد رزقه الله علما و لم يرزقه مالا فهو صادق النية) أى ظاهره مطابق لما فى الطوية (يقول) أى بلسان المقال أو بلسان الحال (لو أن لى مالا لعملت بعمل فلان) أى من أهل الخير (فاجرهما سواء) و هو استئناف بيان أو حال (و عبد رزقه الله مالا و لم يرزقه علما فهو يخبط) بكسر الباء بدون فهو (؟) فهو حال أو استئناف بيان و المعنى يقوم و يقعد بالجمع و المنع (فى ماله) أو يختلف فى حاله باعتبار الانفاق و الامساك فى ماله (بغير علم) أى بغير استعمال علم بان يمسك تارة حرصا و حبا للدنيا و ينفق أخرى للسمعة و الرياء و الفخر و الخيلاء (لايتقى فيه ربه) أى لعدم علمه فى أخذه و صرفه (و لا يصل فيه رحمه) أى

و لايعمل فيه بحق فهذا باخبث المنازل و عبد لم‌يرزقه الله مالا و لاعلما فهو يقول لو ان لى مالا لعملت فيه بعمل فلان فهو نيته و وزرهما سواء رواه الترمذى و قال هذا حديث صحيح ✱ و عن أنس ان النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال ان الله تعالى اذا أراد بعبد خيرا استعمله فقيل و كيف يستعمله يا رسول‌الله قال يوفقه لعمل صالح قبل الموت رواه الترمذى

لقلة رحمته و عدم حلمه و كثرة حرصه و بخله (و لايعمل فيه بحق) أى بنوع من الحقوق المتعلقة بالله و بعباده و لفظ الجامع و لايعلم لله فيه حقا (فهذا باخبث المنازل و عبد لم‌يرزقه الله مالا و لا علما فهو يقول لو أن لى مالا لعملت فيه بعمل فلان) أى من أهل الشر (فهو نيته) أى فهو مغلوب نيته و محكوم طويته أو الحمل بطريق المبالغة فكانه عين نيته كرجل عدل و فى نسخة فهو بنيته و كذا فى الجامع أى يجزى بها و معاقب عليها و لما كان الظاهر ان اثمه بمجرد نيته دون اثم العامل المشتمل عمله على النية و المباشرة أكد الوعيد و شدد التهديد بقوله (و وزرهما سواء) و لفظ الجامع فوزرهما سواء قال الطيبى رحمه الله فهو نيته مبتدأ و خبر أى فهو يسىء النية يدل عليه وتوعه فى مقابلة قوله فهو صادق النية فى القرينة الاولى و قوله يقول لو أن لى مالا الى آخره تفسير لقوله صادق النية و قوله فهو يقول لو أن لى مالا الى آخره مقابل قوله فاجرهما سواء و قوله و وزرهما سواء متقابلان قال ابن الملك هذا الحديث لاينافى خبر ان الله تجاوز عن أمتى ما وسوست به صدورها ما لم‌تعمل به لانه عمل هنا بالقول اللسانى و المتجاوز عنه هو القول النفسانى انتهى و المعتمد ما قاله العلماء المحققون ان هذا اذا لم‌يوطن نفسه و لم‌يستقر قلبه بفعلها فان عزم و استقر يكتب معصية و ان لم‌يعمل و لم‌يتكلم و قد تقدم و الله تعالى أعلم (رواه الترمذى و قال هذا حديث صحيح) قال المنذرى حديث أبى كبشة رواه أحمد و الترمذى و اللفظ له و قال حسن صحيح و ابن ماجه بمعناه ذكره ميرك و فى الجامع و كذا رواه أحمد فى مسنده و روى ابن أبى الدنيا فى ذم الغضب عن عبدالرحمن بن عوف صدر الحديث فقط و لفظه ثلاث أقسم عليهن ما نقص مال قط من صدقة فتصدقوا و لا عفا رجل عن مظلمة ظلمها الا زاده الله تعالى جل جلاله بها عزا فاعفوا يزدكم الله عزا و لا فتح رجل باب مسئلة يسأل الناس الا فتح الله عليه باب فقر فهذا يدل على ان الحديث الاول مركب من حديثين جمعهما الراوى و جعلهما حديثا واحدا و ما يدل عليه ان لفظ الجامع عن الانمارى ثلاث أقسم عليهن الى قوله باب فقر ثم قال و أحدثكم حديثا فاحفظوه انما الدنيا الخ فالتفسيرات المحتاجة الى التأويلات انما هى من تصرفات بعض الرواة و الله تعالى أعلم ✱(و عن أنس ان النبى صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم قال ان الله تعالى اذا أراد بعبد خيرا) أى فى عاقبته (استعمله) أى جعله عاملا (فى الطاعة) فانه الفرد الاكمل عند اطلاق العمل (فقيل و كيف يستعمله يا رسول‌الله) أى و الحال انه دائم الاستعمال (قال يوفقه لعمل صالح قبل الموت) أى حتى يموت على التوبة و العبادة ليكون له حسن الخاتمة و زاد فى الجامع ثم يقبضه عليه (رواه الترمذى) أى و قال صحيح الاسناد نقله ميرك عن التصحيح و رواه الحاكم و قال صحيح على شرطهما ذكره المنذرى و فى الجامع رواه أحمد و الترمذى و ابن حبان و الحاكم و رواه الطبرانى عن أبى أمامة و لفظه اذا أراد الله بعبد خيرا طهره قبل موته قالوا و ما طهر العبد قال عمل صالح يلهمه اياه حتى يقبضه عليه و رواه أحمد و الطبرانى عن أبى عنبسة و لفظه اذا أراد الله بعبد خيرا عسله بفتح العين و السين المهملة قالوا

★ و عن شداد بن أوس قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم الكيس من دان نفسه و عمل لما بعد الموت و العاجز من اتبع نفسه هواها و تمنى على الله رواه الترمذى و ابن ماجه

★ (الفصل الثالث) ★ عن رجل من أصحاب النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال كنا فى مجلس فطلع علينا رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم و على رأسه أثر ماء فقلنا يا رسول‌الله نراك طيب النفس قال أجل

و ما عسله بالضبط المذكور على الحكاية قال يفتح له عملا صالحا قبل موته ثم يقبضه عليه و رواه أحمد و الحاكم عن عمرو بن الحمق بفتح فكسر و لفظه اذا أراد الله بعبد خيرا استعمله قيل و ما استعمله قال يفتح له عملا صالحا بين يدى موته حتى يرضى عنه من حوله هذا و رواه أحمد و ابن حبان عن أبى سعيد مرفوعا ان الله اذا رضى عن العبد اثنى عليه بسبعة أصناف من الخير لم يعمله و اذا سخط على العبد اثنى عليه بسبعة أصناف من الشر لم يعمله انتهى و كان العمل فى الموضعين مبنى على نيته أو محمول على أخذ عبادة ظالم لمظلوم و وضع مظلمة من مظلوم على ظالم و الله تعالى أعلم ★ (و عن شداد) بتشديد الدال الاولى (ابن أوس) بفتح فسكون قال المؤلف يكنى أبا يعلى الانصارى قال عبادة ابن الصامت و أبو الدرداء كان شداد ممن أوتى العلم و الحلم (قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى عليه‌وسلم الكيس) بفتح الكاف و تشديد الياء أى العاقل الحازم المحتاط فى الامور (من دان نفسه) أى جعلها دنية مطيعة لامر، تعالى منقادة لحكمه و قضائه و قدره و فى النهاية أى أذلها و استعبدها و قيل حاسبها و ذكر النووى انه قال الترمذى و غيره من العلماء معنى دان نفسه حاسبها انتهى أى حاسب أعمالها و أحوالها و أقوالها فى الدنيا فان كانت خيرا حمد الله تعالى و ان كانت شرا تاب منها و استدرك ما فاتها قبل أن يحاسب فى العقبى كما روى حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا و قد قال تعالى و لتنظر نفس ما قدمت لغد (و عمل) أى عملا نافعا (لما بعد الموت و العاجز) أى عن استعمال العقل و الاحتياط فى الامر و الحاصل ان الكيس هو المؤمن القوى و العاجز هو المؤمن الضعيف و هو (من اتبع نفسه هواها) من الاتباع أى جعلها تابعة لهواها من تحصيل المشتهيات و استعمال اللذات و الشبهات بل من ارتكاب المحرمات و ترك الواجبات (و تمنى على الله) قائلا ربى كريم رحيم و قد قال تعالى جل شأنه ما غرك بربك الكريم و قال نبىء عبادى أنى أنا الغفور الرحيم و أن عذابى هو العذاب الاليم و قال ان رحمت الله قريب من المحسنين و قال ان الذين آمنوا و الذين هاجروا و جاهدوا فى سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله و قد عبر عن الرجاء مع غير الطاعة بلفظ التمنى أشارة الى أن وقوعه قريب من المحال وان كان يمكن صدوره من الملك المتعال على طريق الانفضال قال الطيبى رحمه الله و العاجز الذى غلبت عليه نفسه و عمل ما أمرته به نفسه فصار عاجزا لنفسه فاتبع نفسه هواها و أعطاها ما اشتهته قوبل الكيس بالعاجز و المقابل الحقيقى للكيس السفيه الرأى و للعاجز القادر ليؤذن بان الكيس هو القادر و العاجز هو السفيه و تمنى على الله أى يذنب و يتمنى الجنة من غير الاستغفار و التوبة (رواه الترمذى و ابن ماجه) و كذا أحمد و الحاكم ★ (الفصل الثالث) ★ (عن رجل) سيأتى اسمه (من أصحاب النبى صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم قال كنا فى مجلس فطلع علينا رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم) أى فظهر لنا كطلعة الشمس (و على رأسه أثر ماء) أى من الغسل (فقلنا يا رسول‌الله نراك طيب النفس) أى ظاهر البشر و السرور و منشرح الخاطر على ما يتلألأ منك من النور (قال أجل) بفتحتين و سكون اللام المخففة

قا ل ثم خاض القوم فى ذكر الغنى فقال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم لاباس بالغنى لمن اتقى‌الله عزوجل و الصحة لمن اتقى خير من الغنى و طيب النفس من النعيم رواه أحمد ★ و عن سفيان الثورى قال كان المال فيما مضى يكره فاما اليوم فهو ترس المؤمن و قال لولا هذه الدنانير لتمندل بنا هؤلاء الملوك و قال من كان فى يده من هذه شئى فليصلحه فانه زمان ان احتاج كان أول من يبذل دينه و قال

أى نعم (قال) أى الرجل الراوى (ثم خاض القوم) أى شرعوا و بالغوا (فى ذكر الغنى) أى فى سؤاله أو ذم حاله و سوء مآله (فقال رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم لابأس بالغنى لمن اتقى الله عزوجل) أشار بقوله لابأس ان الفقر أفضل لمن اتقى الله (و الصحة) أى صحة البدن و لو مع الفقر (لمن اتقى خير من الغنى) أى مطلقا أو المعنى و صحة الحال لمن اتقى المال خير من الغنى الموجب للحساب و العقاب فى المآل (و طيب النفس) أى انشراح الصدر المقتضى للشكر و الصبر المستوى عنده الغنى و الفقر (من النعيم) أى من جملة النعيم الذى يعبر عنه بجنة نعيم على ما قاله بعض العارفين فى قوله تعالى و لمن خاف مقام ربه جنتان جنة فى الدنيا و جنة فى العقبى و قيل من النعيم المسؤل عنه المذكور فى قوله تعالى ثم لتسألن يومئذ عن النعيم و هو لاينافى ما ذكرناه فانه الفرد الاكمل من جنس النعيم الذى لاينبغى ان يقال لغيره بالنسبة اليه انه النعيم فان ما عداه قد يعد كونه من الماء الحميم أو من عذاب الجحيم (رواه أحمد) و كذا ابن ماجه و الحاكم عن يسار بن عبد على ما فى الجامع فتبين أبهام الرجل مع ان جهالة الصحابى لاتضر فان الصحابة كلهم عدول ★(و عن سفيان الثورى قال كان المال فيما مضى يكره) أى عند أرباب الحال (فاما اليوم) أى فى هذا الزمان (فهو ترس المؤمن) أى جنته من جنته (؟) و جنته بلاء منه و حاصله ان المال الحلال يقى صاحب الحال من الوقوع فى الشبهة و الحرام و يمنعه من ملازمة الظلمة و مصاحبتهم فى الظلام أو يتستر به المؤمن عن الرياء و السمعة و الشهرة عند العوام (و قال لولا هذه الدنانير) أى وجودها عندنا و ظهور واستغنائنا بها عند الخلق (لتمندل بنا هؤلاء الملوك) أى لجعلونا مناديل أوساخهم و هى كناية عن الابتذال و المذلة للظلمة أو عن موافقتهم فى تصويرات حيل المسئلة قيل هو ماخوذ من الندل و هو الوسخ قيل لبعضهم ان المال يدنيك من الدنيا فقال لئن أدنانى من الدنيا لقد صاننى عنها و قيل لان أترك مالا يحاسبنى الله عليه خير من أن احتاج الى الناس يعنى احتياجى الى الله خير من احتياجى الى ما سواه و قد أخرج الطبرانى فى الاوسط عن المقدام بن معدى كرب مرفوعا به يأتى على الناس زمان من لم يكن معه أصفر و لا أبيض لم يتهن بالعيش و هو عند الامام أحمد بلفظ يأتى على الناس زمان لاينفع فيه الا الدرهم و الدينار هذا و قد قيل الدراهم للجراحات مراهم (و قال) أى الثورى (من كان فى يده من هذه) أى الدنانير و الاموال (شئى) أى قليل على قدر الكفاية (فليصلحه) أى ليصرفه على وجه القناعة أو لايتلفه بل يستزده بنوع من التجارة (فانه) أى زماننا (زمان) أى عجيب من وصفه (ان احتاج) أى الشخص فيه (كان أول من يبذل دينه) أى لتحصيل دنياه و أول منصوب و قيل مرفوع قال الطيبى رحمه الله أى كان ذلك الشخص أول شخص يبذل دينه فيما يحتاج اليه هو و لو حمل من على ما كما نقل المالكى عن قطرب لكان أبين و يؤيده رواية الكشاف كان أول ما يأكل دينه فما موصوفة و أول اسم كان و دينه خبره قلت و يمكن عكسه بل هو الاظهر فتدبر (و قال)

الحلال لايحتمل السرف رواه فى شرح السنة ✸ و عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينادي مناد يوم القيامة أين أبناء الستين و هو العمر الذى قال الله تعالى أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير رواه البيهقى فى شعب الايمان ✸ وعن عبدالله بن شداد قال ان نفرا من بنى عذرة ثلاثة أتوا النبى صلى الله عليه وسلم فاسلموا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يكفينيهم قال طلحة أنا فكانوا عنده فبعث النبى صلى الله عليه وسلم بعثا فخرج فيه أحدهم فاستشهد ثم بعث بعثا فخرج فيه الآخر فاستشهد ثم مات الثالث على فراشه قال قال طلحة فرأيت هؤلاء الثلاثة فى الجنة و رأيت الميت على فراشه امامهم و الذى استشهد آخرا يليه و أولهم يليه

أى الثورى (الحلال) أى لانه قليل الوجود فى المال (لايحتمل السرف) أى صرفه بالاكثار قال الطيبى رحمه الله يحتمل معنيين أحدهما ان الحلال لايكون كثيرا فلايحتمل الاسراف و ثانيهما ان الحلال لاينبغى ان يسرف فيه ثم يحتاج الى الغير انتهى و فى كل منهما نظر اذ معنى الاسراف هو التجاوز عن الحد بان يصرفه فى غير محله زيادة على قدره و هو يحتمل فى القليل و الكثير و يشمل المال الحلال و الحرام فالاوجه ان يقال ان الحلال من خاصيته انه لايقع فى الاسراف كصرفه فى الماء و الطين بلاضرورة و كزيادة اعطاء الاطعمة على طريق الرياء و السمعة ولذا قيل لاسرف فى خير و لاخير فى سرف و فيه تنبيه انه ينبغى للطالب ان يجتهد فى تحصيل الحلال و لو كان القليل من المال و ان يقنع به و لايصرفه على طريق الاسراف لئلايحوج نفسه الى الاكابر و الاشراف (رواه فى شرح السنة ✸ و عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ينادى مناد يوم القيامة اين أبناء الستين) أى أصحابها ممن وصل عمره اليها (و هو العمر الذى قال الله تعالى) أى فى حقه (أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر) قال الطيبى رحمه الله ما موصوفة أى عمرنا كم عمرا يتعظ فيه العاقل الذى من شانه ان يتعظ (و جاءكم النذير) أى المنذر أو الانذار و هو الشيب أو القرآن أو الرسول أو الموت أو جنس المنذر فيشمل الكل و الجملة حالية (رواه البيهقى فى شعب الايمان) و قد سبق ما يتعلق به رواية و دراية ✸(و عن عبدالله بن شداد) تابعى جليل كما سيجىء بيانه و لم يذكره المؤلف فى أسمائه (قال ان نفرا من بنى عذرة) بضم فسكون قبيلة مشهورة (ثلاثة) بالنصب بدلا أو بيانا من نفرا (أتوا النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) أى جاؤه (فاسلموا) أى و أرادوا الاقامة بنية المجاهدة و هم من أهل الفقر و الفاقة (قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) استئناف بيان (من يكفينيهم) أى مؤنتهم من طعامهم و شرابهم و نحو ذلك قال الطيبى رحمه الله هم ثانى مفعولى يكفى على تقدير مضاف (قال طلحة أنا) أى أكفيكهم (فكانوا) أى الثلاثة أو النفر (عنده) أى عند أبى طلحة (فبعث النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بعثا) أى أرسل سرية فالبعث بمعنى المبعوث (فخرج فيه) أى فى ذلك البعث (أحدهم فاستشهد) بصيغة المجهول أى صار شهيدا (ثم بعث بعثا فخرج فيه الآخر فاستشهد ثم مات الثالث على فراشه) أى مرابطا ناويا للجهاد (قال) أى ابن شداد (قال طلحة فرأيت) أى فى المنام أو فى كشف المقام (هؤلاء الثلاثة فى الجنة و رأيت الميت على فراشه) أى الكائن عليه (امامهم) بفتح الهمزة أى قدامهم قال الطيبى رحمه الله الظاهر ان يقال امامهما الا أن يقال المراد المقدم من بينهم أو يذهب الى أن أقل الجمع اثنان (و الذى) عطف على الميت و فى نسخة فالذى (استشهد آخرا يليه) أى يقرب الميت (و أولهم) بالنصب و قيل برفعه (يليه) أى

فدخلني من ذلک فذکرت للنبي صلی‌اللہ‌علیه‌وسلم ذلک فقال و ما أنکرت من ذلک لیس أحد أفضل عند الله من مؤمن یعمر في الاسلام لتسبیحه و تکبیره و تهلیله ★ و عن محمد بن أبي‌عمیرة و کان من أصحاب رسول الله صلی‌الله علیه‌وسلم قال ان عبدا لو خر علی وجهه من یوم ولد الی ان یموت هرما في طاعة الله لحقره في ذلک الیوم و لود انه رد الی الدنیا کیما یزداد من الاجر و الثواب رواهما أحمد

یلی المستشهد آخرا (فدخلني) أي شئي أو اشکال (من ذلک) أي مما رأیته من التقدیم و التأخیر علی خلاف ما کان یخطر في الضمیر و الفاعل محذوف علی مذهب ابن مالک (فذکرت للنبي صلی‌الله‌تعالی‌علیه‌وسلم ذلک) الفاء فصیحة أي فجئت رسول‌الله صلی‌الله‌تعالی‌علیه‌وسلم و ذکرت له ذلک مستغربا ومستنکرا (فقال و ما أنکرت) أي و أي شئي أنکرته (من ذلک) والمعنی لاتنکر شیأ منه فانه (لیس أحد أفضل عندالله) فالاستئناف مبین متضمن للعلة أي لیس أحد أکثر ثواب عنده سبحانه (من مؤمن یعمر) بتشدید المیم المفتوحة أي یطول عمره (في الاسلام لتسبیحه) أي لاجل تسبیحه (و تکبیره و تهلیله) أي و نحو ذلک من سائر عباداته القولیة و الفعلیة و لفظ الجامع روایة عن أحمد لتکبیره و تحمیده و تسبیحه و تهلیله قال میرک حدیث عبدالله بن‌شداد رواه أحمد و أبویعلی و رواتهما رواة الصحیح و في أوله عند أحمد ارسال لکن وصله أبویعلی بذکر طلحة فیه کذا قاله المنذري في الترغیب و کانه یشیر الی أن عبدالله بن شداد لیست له صحبة و ان ولد علی عهد النبي صلی‌الله‌تعالی‌علیه‌وسلم کما ذکره العجلي انه من کبار التابعین الثقات و کان معدودا في الفقهاء و لم‌یصرح في هذا الحدیث عند أحمد بالسماع بل قال ان نفرا الخ و صرح أبویعلی بانه رواه عن طلحة و مما ناسب حدیث عبدالله بن شداد هذا و حدیث عبید ابن‌خالد الذی سبق في الفصل الثاني ما رواه أحمد باسناد حسن عن أبي‌هریرة قال کان رجلان من بني قضاعة أسلما مع رسول‌الله صلی‌الله‌تعالی‌علیه‌وسلم فاستشهد أحدهما و أخر الآخر سنة قال طلحة ابن عبیدالله فرأیت المؤخر منهما ادخل الجنة قبل الشهید فتعجبت لذلک فاصبحت فذکرت ذلک للنبي صلی‌الله‌تعالی‌علیه‌وسلم فقال رسول‌الله صلی‌الله‌تعالی‌علیه‌وسلم ألیس قد صام بعده رمضان و صلی ستة آلاف رکعة و کذا و کذا رکعة صلاة سنة و رواه ابن ماجه و ابن حبان في صحیحه و البیهقي کلهم عن طلحة بنحوه أطول منه و زاد ابن ماجه في آخره فلما بینهما أبعد مما بین السماء و الارض ★(و عن محمد بن أبي‌عمیرة) بفتح العین و کسر المیم قال المؤلف مزني یعد في الشامیین روی عنه جبیر بن نفیر (و کان من أصحاب رسول‌الله صلی‌الله‌تعالی‌علیه‌وسلم قال ان عبدا لو خر) بفتح الخاء المعجمة و تشدید الراء أي سقط (علی وجهه من یوم ولد) بفتح المیم علی البناء و قیل بجرها منونا (الی أن یموت هرما) بفتحتین أي ذا هرم و في نسخة بکسر الراء أي شیخا کبیرا (في طاعة الله لحقره) بتشدید القاف أي لعده قلیلا لمایری من ثواب العمل (في ذلک الیوم ولود) أي لاحب و تمنی (انه رد الی الدنیا کیما یزداد) أي لیزید (من الاجر و الثواب) أي من أجر العمل بمقتضی الوعد و العدل و زیادة المثوبة علی طریق الفضل (رواهما) أي الحدیثین (أحمد) أي في مسنده لکن الثاني رواه موقوفا و الاول رواه مرسلا کما تقدم و الله تعالی أعلم و روی أحمد و البخاري في تاریخه و الطبراني عن عتبة بن عبدالله مرفوعا لو أن رجلا یخر علی وجهه من یوم ولد الی یوم یموت هرما في مرضاة الله لحقره یوم القیامة ـ

(باب التوكل و الصبر)

قال تعالى و من يتوكل على الله فهو حسبه ان الله يحب المتوكلين و قال و اصبر و ما صبرك الا بالله ان الله مع الصابرين جمع بينهما لتلازمهما وعدم انفكاكهما و قدم التوكل لانه منتج الصبر و به يحلو المر و ينكشف الضر فان النصر مع الصبر و من توكل على الله كفاه و قال بعضهم التوكل على أحد هو ان يتخذه بمنزلة الوكيل القائم بامره المتكفل باصلاح حاله على قدره و قال ابن الملك المراد بالتوكل هو ان يتيقن انه لايصيبه الا ما كتب الله عليه من النفع و الضر انتهى و الصبر على مراتب من حبس النفس عن المناهى و عن المشتهيات و الملاهى و على تحمل المشقات فى أداء العبادات و على تجرع المرارات عند حصول المصيبات و وصول البليات هذا ؛ فى النهاية يقال توكل بالامر اذا ضمن القيام به و وكلت أمرى الى فلان أى ألجأت اليه و اعتمدت فيه عليه و وكل فلان فلانا اذا استكفاه أمره ثقة بكفايته أو عجزا عن القيام بأمر نفسه و الوكيل هو القيم الكفيل بارزاق العباد و حقيقته انه مستقل بامر الموكول اليه و قال الراغب الصبر الامساك فى ضيق يقال صبرت الدابة حبستها بلا علف و الصبر حبس النفس على ما يقتضيه العقل و الشرع أو عما يقتضيان حبسها عنه فالصبر لفظ عام و ربما خولف بين أسمائه بحسب اختلاف مواقعه فان كان حبس النفس لمصيبة سمى صبرا لا غير و يضاده الجزع و ان كان فى محاربة سمى شجاعة و يضاده الجبن و ان كان فى نائبة مضجرة سمى رحب الصدر و يضاده الضجر و ان كان فى امساك الكلام سمى كتمانا و ضده الافشاء و زاد فى عين العلم و فى فضول العيش زهد و ضده الحرص و فى اليسير من الدنيا قناعة و ضده الشره انتهى و التوكل بلسان العارفين على ما قال السرى السقطى هو الانخلاع من الحول و القوة بلا نزاع و قال ابن مسروق التوكل هو الاستسلام لجريان القضاء فى الاحكام و قال الجنيدى رحمه الله التوكل ان يكون لله كما لم يكن فيكون الله له كما لم يزل ثم قيل الصبر على ثلاثة أنواع صبر العوام و هو حبس النفس على ما يكره و صبر الخواص و هو تجرع المرارة من غير تعبس و صبر أخص الخواص و هو التلذذ بالبلاء و به يصل الى مرتبة الشكر و غاية الرضا بالقضاء و قد ورد اعبد الله على الرضا فان لم تستطع فالصبر على ما تكره خير كثير و قال تعالى فعسى ان تكرهوا شيأ و يجعل الله فيه خيرا كثيرا اه

(الفصل الاول) (عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يدخل الجنة من أمتى سبعون ألفا بغير حساب) أى مستقلا من غير ملاحظة اتباعهم فلاينافى ما ورد من أن مع كل واحد منهم سبعون ألفا (هم الذين لايسترقون) أى لايطلبون الرقية مطلقا أو بغير الكلمات القرآنية و الاسماء الصمدانية (و لايتطيرون) أى و لايتشاءمون بنحو الطير و لاياخذون من الحيوانات و الكلمات المسموعات علامة الشر و الخير بل يقولون كما ورد اللهم لاطير الا طيرك و لاخير الاخيرك و لا اله غيرك اللهم لايأتى بالحسنات الا أنت و لايذهب بالسيآت الا أنت (و على ربهم يتوكلون) أى فى جميع ما يفعلون و يتركون قال الطيبى رحمه الله الجمع بين جملتى لايسترقون و لايتطيرون من الثانى الذى يراد به الاستيعاب لقولهم لاينفع زيد و لا عمرو

متفق عليه ✱ و عنه قال خرج رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم يوما فقال عرضت على الامم فجعل يمر النبي و معه الرجل و النبي و معه الرجلان و النبي و معه الرهط و النبي و ليس معه أحد فرأيت سوادا كثيرا سد الافق فرجوت أن يكون أمتي فقيل هذا موسى فى قومه ثم قيل لى انظر فرأيت سوادا كثيرا سد الافق

على معنى لاينفع انسان ما قال صاحب النهاية هذا من صفة الاولياء المعرضين عن أسباب الدنيا و عوائقها الذين لايلتفتون الى شئى من علائقها و تلك درجة الخواص لايبلغها غيرهم و أما العوام فرخص لهم فى التداوى و المعالجات و من صبر على البلاء و انتظر الفرج من الله سبحانه بالدعاء كان من جملة الخواص و الاولياء و من لم‌يصبر رخص له فى الرقية و العلاج و الدواء ألاترى ان الصديق لما تصدق بجميع ماله لم‌ينكر عليه صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم علما منه بيقينه و صبره و لما أتاه الرجل بمثل بيضة الحمام من الذهب و قال لا أملك غيره فضربه بحيث لو أصابه عقره و قال فيه ما قال قلت الظاهر ان سبب غضبه صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم لم‌يكن اتيانه بجميع ماله بل افشاء سره و اظهار حالة بقوله لا أملك غيره مع الايماء الى توهم السمعة و الرياء و الله تعالى أعلم و فى شرح مسلم للنووى رحمه الله تعالى قال المازرى احتج بعضهم به على ان التداوى مكروه و معظم العلماء على خلاف ذلك و احتجوا بالاحاديث الواردة فى منافع الادوية و بانه صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم تداوى و باخبار عائشة رضى‌الله تعالى عنها عن كثرة تداويه و بما علم من الاستشفاء برقياه فاذا ثبت هذا حمل الحديث على قوم يعتقدون ان الادوية نافعة بطبعها و لايفوضون الامر الى الله تعالى قلت لايصح حمل الحديث المذكور على القول المسطور فانه صريح فى أنهم من كمل الاولياء و خلص الاصفياء فالصواب ما ذكره صاحب النهاية من أن الاولى فى حق أهل الهداية انما هو عدم تعاطى الاسباب الغير العادية و ان كان جاز هذا للعوام و باب البداية و يحمل فعله عليه الصلاة والسلام فى المعالجة بالادوية على اختيار الرخصة رعاية لعامة الامة أو على مرتبة جمع الجمع المشهور عند الصوفية من ان مشاهدة الاسباب و ملاحظة صنائع رب الارباب هو الاكمل و الافضل عند الكمل فتدبر و تأمل و لعل الحديث مقتبس من أحد معنيين فى قوله تعالى انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب و الله تعالى أعلم بالصواب (متفق عليه ✱ و عنه) أى عن ابن‌عباس (قال خرج رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم يوما فقال عرضت على) أى أظهرت لدى (الامم) أى مع أنبيائهم (فجعل يمر النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم) التعريف فيه للجنس و هو ما يعرفه كل أحد انه ما هو فهو بمنزلة النكرات ذكره الطيبى رحمه الله فالمعنى انه يمر نبى منهم عند العرض على (و معه الرجل) أى الواحد من اتباعه ليس له تابع غيره (و النبى و معه الرجلان و النبى و معه الرهط) أى الجماعة و المراد الرجال (و النبى و ليس معه أحد) أي لا من الرجال و لا من النساء و المراد من النبى هنا الرسول عليه الصلاة والسلام المأمور بالتبليغ و قيد الرجولية واقعية غالبية أو قضية مثالية و المراد الوحدة و التثنية و الجمعية (فرأيت) أى من امامى (سوادا كثيرا) أى جمعا عظيما و فوجا جسيما (سد الافق) أى ستر طرف السماء بكثرته (فرجوت أن يكون) أى السواد الكثير (أمتى فقيل هذا موسى فى قومه) أى من آمن به و لم‌يتغير عن دينه (ثم قيل لى انظر) فكانه صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم أطرق حينئذ و أعرض عن موضع العرض حياء فقيل له انظر ترى رجالا (فرأيت) أى من قدامى (سوادا كثيرا سد الافق)

فقيل لى انظر هكذا و هكذا فرأيت سوادا كثيرا سد الافق فقيل هؤلاء أمتك و مع هؤلاء سبعون ألفا قدامهم يدخلون الجنة بغير حساب هم الذين لايتطيرون و لايسترقون و لايكتوون و على ربهم يتوكلون فقام عكاشة بن محصن فقال ادع الله ان يجعلنى منهم قال اللهم اجعله منهم ثم قام رجل آخر فقال ادع الله ان يجعلنى منهم قال سبقك بها عكاشة متفق عليه ✱ و عن صهيب

أى قنعت بذلك و شكرت لما هنالك (فقيل لى) أى بل لك الزيادة على ما ذكرت من الاستفادة (انظر هكذا و هكذا) أى اليمين و الشمال (فرأيت سوادا كثيرا سد الافق فقيل) أى لى (هؤلاء) أى مجموع ما بين يديك و طرفيك (أمتك و مع هؤلاء) أى من جملتهم أو زيادة عليهم (سبعون ألفا قدامهم) و فيه منقبة عظيمة لهم كما فى قوله (يدخلون الجنة بغير حساب) قال النووى رحمه الله يحتمل هذا أن يكون معناه و سبعون ألفا من أمتك غير هؤلاء و أن يكون معناه فى جملتهم سبعون ألفا و يؤيد هذا رواية البخارى هذه أمتك و يدخل الجنة من هؤلاء سبعون ألفا (هم) استئناف بيان أى السبعون هم (الذين لايتطيرون و لايسترقون و لايكتوون) أى الا عند الضرورة لما وقع الكى من بعض الصحابة منهم سعد بن أبى وقاص أحد العشرة المبشرة أو مطلقا استسلاما للقضاء و تلذذا بالبلاء مع علمهم بانه لايضر و لاينفع الا الله و لا تأثير بحسب الحقيقة لما سواه فهم فى مرتبة الشهود خارجون عن دائرة الوجود فانون عن حظوظ أنفسهم باقون بحق الله فى خراسة أنفاسهم كما قال (و على ربهم يتوكلون فقام عكاشة) بضم العين و تشديد الكاف و تخفف على ما فى القاموس و المغنى (ابن محصن) بكسر ميم و فتح صاد قال المؤلف أسدى شهد بدرا و ما بعدها و انكسر سيفه يوم بدر فاعطاه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عرجونا أو عودا فصار فى يده سيفا و كان من فضلاء الصحابة مات فى خلافة الصديق و له خمس و أربعون سنة روى عنه أبو هريرة و ابن عباس و أخته أم قيس (فقال ادع الله أن يجعلنى منهم) ما أحسن هذا السؤال المشير الى انه من أصحاب الكمال بل من أرباب الوصال حيث علم انه لم يصل الى هذا المقال و الحال الا بوسيلة دعائه صلى الله تعالى عليه وسلم من ذى الجلال و الجمال (قال اللهم اجعله منهم ثم قام رجل آخر فقال ادع الله أن يجعلنى منهم) و الظاهر ان الاول كان ناويا قاصدا للقيام بافعالهم بل متصفا باحوالهم و ان الثانى طلبه على وجه التمنى من غير التعنى و طريق التقليد فى التحلى من غير قصد التجلى (قال سبقك بها) أى بهذه الدعوة أو هذه المسئلة (عكاشة) و قد استجيب له و المعبر فيها هى الاولية كما ورد ان الصبر عند الصدمة الاولى و لعل وجه الامتناع من الدعاء ان لاينفتح هذا الباب المتفرع عليه الاكتفاء قال ابن الملك لانه لم يؤذن له فى ذلك المجلس بالدعاء الا لواحد و فيه حث على المسارعة الى الخيرات و طلب دعاء الصالحين لان فى التأخير آفات و قيل كان الرجل منافقا فاجابه صلى الله تعالى عليه وسلم بكلام محتمل و لم يصرح بانك لست منهم لحسن خلقه انتهى و قيل قد يكون سبق عكاشة بوحى و لم يحصل ذلك للآخر و قال القاضى عياض قيل ان الرجل الثانى لم يكن ممن يستحق تلك المنزلة و لا كان بصفة أهلها بخلاف عكاشة و فى شرح الطيبى رحمه الله قال الشيخ و قد ذكر الخطيب البغدادى انه قال فى كتابه فى الاسماء المبهمة انه يقال ان هذا الرجل هو سعد بن عبادة فان صح هذا بطل قول من زعم انه منافق (متفق عليه ✱ و عن صهيب) بالتصغير قال المؤلف هو ابن سنان مولى عبدالله ابن جدعان التيمى يكنى أبا يحيى كانت منازلهم بارض الموصل فيما بين دجلة و الفرات فاغارت

قال قال رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم عجبا لامر المؤمن ان أمره کله له خیر و لیس ذلک لاحد الا للمؤمن ان أصابته سراء شکر فکان خیرا له و ان أصابته ضراء صبر فکان خیرا له رواه مسلم ★ و عن أبی‌هریرة قال قال رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم

الروم علی تلک الناحیة فسبته و هو غلام صغیر فنشأ بالروم فاتباعه منهم کلب ثم قدمت به مکة فاشتراه عبدالله بن جدعان فاعتقه فاقام معه الی أن هلک و أسلم قدیما بمکة و کان من المستضعفین المعذبین فی الله بمکة ثم هاجر الی المدینة و فیه نزل و من الناس من یشری نفسه ابتغاء مرضات الله روی عنه جماعة مات سنة ثمانین و هو ابن تسعین سنة و دفن بالبقیع (قال قال رسول‌الله صلی‌الله‌تعالی‌علیه‌وسلم عجبا) أی عجبت عجبا (لامر المؤمن) أی لشأنه و ماله فی کل حاله (ان أمره کله) بالنصب و یجوز رفعه کما قریٔ بالوجهین فی قوله تعالی قل ان الامر کله لله أی جمیع أموره (له خیر) أی خیر له فی المآل و ان کان بعضه شرا صوریا فی الحال و قدم الظرف اهتماما (و لیس ذلک لاحد الا للمؤمن) قال الطیبی رحمه الله مظهر وقع موقع المضمر لیشعر بالعلیة انتهی و فیه ان الاظهار و الاضمار مستویان فی الاشعار بالعلیة و لعل النکتة هی اظهار الاشعار علی وجه التصریح فانه آکد من طریق التلویح ثم بینه علی وجه التوضیح بقوله (ان أصابته سراء) أی نعماء و سعة عیش و رخاء و توفیق طاعة من أداء و قضاء (شکر فکان) أی شکره (خیرا له و ان أصابته ضراء) أی فقر و مرض و محنة و بلیة (صبر فکان) أی صبره (خیرا له) و بهذا تبین قول بعض العارفین انه لایقال علی الاطلاق ان الفقیر الصابر أفضل من الغنی الشاکر بل حالة التفویض و التسلیم أولی و القیام بمقتضی الوقت أعلی بحسب اختلاف الاحوال و تفاوت الرجال قال تعالی جل جلاله و الله یعلم و أنتم لاتعلمون و قال تعالی ان ربک یبسط الرزق لمن یشاء و یقدر انه کان بعباده خبیرا بصیرا و فی الحدیث القدسی ان من عبادی من لایصلحه الا الفقر فلو اغنیته لفسد حاله و ان من عبادی من لایصلحه الا الغنی فلو أفقرته لضاع حاله ولذا قال عمر رضی‌الله‌تعالی‌عنه الفقر و الغنی مطیتان لا أبالی أیتهما ارکب و علی هذا الاختلاف الواقع بین القوم فی طلب طول العمر لطاعة الله أو طلب الموت لخوف الفتنة أو للاشتیاق الی لقاء الله تعالی ثم المعتمد التفویض و التسلیم کما أشار الیه صلی‌الله‌تعالی‌علیه‌وسلم فی دعائه اللهم احینی ما کانت الحیاة خیرا لی و توفنی اذا کانت الوفاة خیرا لی و اجعل الحیاة زیادة لی فی کل خیر و اجعل الموت راحة لی من کل شر ثم وجه حصر الخیر فی کل حال للمؤمن الکامل لان غیره ان أصابته سراء شبع و بطر و ان أصابته ضراء جزع و کفر بخلاف حال المؤمن فانه کما قال بعض أرباب الکمال

اذا کان شکر نعمة الله نعمة ★ علی له فی مثلها یجب الشکر

فکیف بلوغ الشکر الا بفضله ★ و ان طالت الایام و اتسع العمر

اذا مس بالنعماء عم سرورها ★ و ان مس بالضراء أعقبه الاجر

(رواه مسلم) و کذا الامام أحمد و روی أحمد و ابن حبان عن أنس مرفوعا عجبت للمؤمن ان الله تعالی لم‌یقض له قضاء الا کان خیرا له و روی الطیالسی و البیهقی فی شعب الایمان عن سعد مرفوعا عجبت للمسلم اذا أصابته مصیبة احتسب و صبر و اذا أصابه خیر حمد الله و شکر ان المسلم یؤجر فی کل شئ حتی فی اللقمة یرفعها الی فیه ★(و عن أبی‌هریرة قال قال رسول‌الله

المؤمن القوى خير و أحب الى الله من المؤمن الضعيف و فى كل خير احرص على ما ينفعك و استعن بالله و لا تعجز و ان أصابك شئ فلا تقل لو أنى فعلت كان كذا و كذا و لكن قل قدر الله و ما شاء فعل فان لو تفتح عمل الشيطان رواه مسلم

صلى الله تعالى عليه وسلم المؤمن القوى) أى القادر على تكثير الطاعة (خير و أحب الى الله) عطف تفسير (من المؤمن الضعيف) أى العاجز عنه (و فى كل خير) أى أصل الخير موجود فى كل منهما قيل المراد بالمؤمن القوى الصابر على مخالطة الناس و تحمل أذيتهم و تعليمهم الخير و ارشادهم الى الهدى و يؤيده ما رواه أحمد و غيره عن ابن عمر مرفوعا المؤمن الذى يخالط الناس و يصبر على أذاهم أفضل من المؤمن الذى لايخالط الناس و لايصبر على أذاهم و قيل أراد بالمؤمن القوى الذى قوى فى ايمانه و صلب فى ايقانه بحيث لايرى الاسباب و وثق بمسبب الاسباب و المؤمن الضعيف بخلافه و هو فى أدنى مراتب الايمان و قال النووى رحمه الله القوة هنا يراد بها عزيمة النفس فى أمور الآخرة فيكون صاحب هذا أكثر اقداما على الغزو و الجهاد و أسرع خروجا و ذهابا فى طلبه و أشد عزيمة فى الامر بالمعروف و النهى عن المنكر و الصبر على الاذى فى كل ذلك و قوله فى كل خير معناه فى كل من القوى و الضعيف خير لاشتراكهما فى الايمان مع ما ياتى به الضعيف من العبادات (احرص) بكسر الراء و منه قوله تعالى ان تحرص على هداهم و فى نسخة بفتحها ففى القاموس حرص كضرب و سمع و المعنى كن حريصا (على ما ينفعك) أى من أمور الدين (و استعن بالله) أى على فعلك فانه لاحول و لا قوة الا بالله (و لا تعجز) بكسر الجيم و منه قوله تعالى جل جلاله أعجزت و فى نسخة بالفتح ففى القاموس عجز كضرب و سمع أى و لا تعجز عن الحرص و الاستعانة فان الله سبحانه و تعالى قادر على ان يعطيك قوة على طاعته اذا استقمت على استعانته و قيل معناه لا تعجز عن العمل بما أمرت و لا تتركه مقتصرا على الاستعانة به فان كمال الايمان ان يجمع بينهما قال الطيبى رحمه الله يمكن ان يذهب الى اللف و النشر فيكون قوله احرص على ما ينفعك و لاتترك الجهد بيان للقوى و لا تعجز بيان للضعيف (و ان أصابك شئ) أى من أمر دينك أو دنياك (فلا تقل لو أنى فعلت) أى كذا و كذا (كان) أى لصار (كذا و كذا) فان هذا القول غير سديد و مع هذا غير مفيد فانه قال تعالى جل شانه قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا و قال صلى الله تعالى عليه وسلم ما أصابك لم يكن ليخطئك و ما أخطأك لم يكن ليصيبك و قد قال تعالى لكيلا تأسوا على ما فاتكم (و لكن قل) أى بلسان القال أو لسان الحال (قدر الله) بتشديد الدال أى قل قدر الله و يجوز تخفيفها أى قل قدر الله كذا و كذا أى وقع ذلك بمقتضى قضائه و على وفق قدره (و ما شاء) أى الله فعله (فعل) فانه فعال لما يريد و لا راد لقضائه و لامعقب لحكمه (فان لو) أى كلمة الشرط أو ان (تفتح عمل الشيطان) قال الشاطبى رحمه الله ولم و لو وليت تورث القلب انقلاقا قال بعض شراح المصابيح أى ان قول لو و اعتقاد معناها يفضى بالعبد الى التكذيب بالقدر أو عدم الرضا بصنع الله لان القدر اذا ظهر بما يكره العبد قال لو فعلت كذا لم يكن كذا و قد قدر فى علم الله انه لايفعل الا الذى فعل و لايكون الا الذى كان و قد أشار صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله قبل ذلك و لكن قدر الله و ما شاء فعل و لم يرد كراهة التلفظ بلو فى جميع الاحوال و سائر الصور و انما عنى الاتيان بها فى صيغة تكون فيها منازعة القدر و التاسف على ما فاته من أمور الدنيا و الا فقد ورد

★ (الفصل الثانی) ★ عن عمر بن الخطاب قال سمعت رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم یقول لو انکم تتوکلون علی الله حق توکله لرزقکم کما یرزق الطیر

فی القرآن مثل لو کنتم فی بیوتکم لبرز الذین کتب علیهم القتل و فی الحدیث لو أنی استقبلت من أمری ما استدبرت لانه لم یرد به منازعة القدر و قال القاضی رحمه الله قوله فان لو تفتح أی لو کان الامر لی و کنت مستبدا بالفعل و الترک کان کذا و کذا و فیه تاسف علی الفائت و منازعة للقدر و ایهام بان ما کان یفعله باستبداده و مقتضی رأیه خیر مما ساقه القدر الیه من حیث ان لو تدل علی انتفاء الشئ لانتفاء غیره فیما مضی و لذلک استکرهه و جعله مما یفتح عمل الشیطان و قوله علیه الصلاة والسلام فی حدیث فسخ الحج الی العمرة و لو انی استقبلت من أمری ما استدبرت لیس من هذا القبیل و انما هو کلام قصد به تطییب قلوبهم و تحریضهم علی التحلل باعمال العمرة و فی شرح مسلم للنووی رحمه الله و قال القاضی عیاض رحمه الله هذا النهی انما هو لمن قاله معتقدا ذلک حتما و أما قول أبی بکر رضی‌الله‌عنه لو أن أحدهم رفع رأسه لرآنا فهذا لاحجة فیه لانه انما أخبر عن مستقبل و کذا قوله صلی‌الله‌تعالی‌علیه‌وسلم لو کنت راجما بغیر بینة لرجمت هذا و شبه ذلک لا اعتراض فیه علی قدر فلا کراهة فیه لانه انما أخبر عن اعتقاده فیما کان یفعل لو لا المانع و عما هو فی قدرته و أما الماضی فلیس فی قدرته و أما معنی قوله فان لو تفتح عمل الشیطان انه یلقی فی القلب معارضة القدر و یوسوس به الشیطان قال الشیخ رحمه الله تعالی و قد جاء استعمال لو فی الماضی کقوله صلی‌الله‌تعالی‌علیه‌وسلم لو استقبلت من أمری ما استدبرت لم‌اسق الهدی فالظاهر انما ورد فیما لا فائدة فیه فیکون نهی تنزیه لاتحریم و أما من قاله متاسفا علی ما فات من طاعة الله أو هو معتذر من ذلک فلاباس به و علیه یحمل أکثر استعمال لو الموجودة فی الاحادیث أقول بل التاسف علی فوت طاعة الله مما یثاب فینبغی ان یعد من باب الاستحباب فقد روی الرازی فی مشیخته عن أبی‌عمرو من اسف علی دنیا فاتته اقترب من النار مسیرة الف سنة و من أسف علی آخرة فاتته اقترب من الجنة مسیرة ألف سنة ذکره السیوطی فی الجامع (رواه مسلم) و لفظ الجزری فی الحصن و من وقع له ما لا یختاره فلایقل لو انی فعلت کذا و کذا أی لکان کذا و کذا و لو للتمنی و لکن لیقل بقدر الله و ما شاء فعل رواه مسلم و النسائی و ابن ماجه و ابن السنی لکن لفظ النسائی و ابن السنی قدر الله موضع بقدر الله و قد ضبط بصیغة الفعل مخففا و مشددا و بصیغة المصدر بالرفع مضافا و أیضا لفظهما صنع بدل فعل و الله تعالی أعلم و روی أبوداود و النسائی و ابن السنی عن عوف بن مالک الاشجعی مرفوعا من غلبه أمر فلیقل حسبی الله و نعم الوکیل

★ (الفصل الثانی) ★ (عن عمر بن الخطاب رضی‌الله‌تعالی‌عنه قال سمعت رسول‌الله صلی‌الله‌تعالی علیه‌وسلم یقول لو انکم تتوکلون) و فی روایة الجامع بحذف احدی التائین أی تعتمدون (علی الله حق توکله) أی بان تعلموا یقینا ان لا فاعل فی الوجود موجود الا الله و ان کل موجود من خلق و رزق و عطاء و منع و ضر و نفع و فقر و غنی و مرض و صحة و موت و حیاة و غیر ذلک مما یطلق علیه اسم الموجود من الله تعالی ثم یستعمل فی الطلب علی الوجه الجمیل و یشهد لذلک تشبیهه بالطیر فانها تغدو خماصا ثم تسرح فی طلب القوت فتروح بطانا (لرزقکم) و لو ترکتم الاسباب فانه یرزق البطال و العمال وقد یرزق الضعیف بحیث یتعجب القوی (کما یرزق الطیر)

تغدو خماصا و تروح بطانا رواه الترمذى و ابن‌ماجه ★ وعن ابن مسعود قال قال رسول‌الله صلى‌الله عليه‌وسلم أيها الناس ليس من شئ يقربكم الى الجنة و يباعدكم من النار الا قد أمرتكم به و ليس من شئ يقربكم من النار و يباعدكم من الجنة الا قد نهيتكم عنه و ان الروح الامين

بصيغة الفاعل (تغدو) أى تذهب أول النهار (خماصا) بكسر الخاء المعجمة جمع خميص أى جياعا (و تروح) أى ترجع آخر النهار (بطانا) بكسر الموحدة جمع بطين و هو عظيم البطن و المراد شباعا و فى قوله تغدو ايماء الى ان السعى بالاجمال لاينافى الاعتماد على الملك المتعال كما قال تعالى جل جلاله و كاين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها و اياكم فالحديث للتنبيه على ان الكسب ليس برازق بل الرازق هو الله تعالى لا للمنع عن الكسب فان التوكل محله القلب فلا ينافيه حركة الجوارح مع انه قد يرزق أيضا من غير حركة بل بتحريك غيره اليه يصل رزق الله ببركته كما يستفاد العموم من قوله تعالى و ما من دابة فى الارض الا على الله رزقها و قد حكى ان فرخ الغراب عند خروجه من بيضته يكون أبيض فيكرهه الغراب فيتركه و يذهب و يبقى الفرخ ضائعا فيرسل الله تعالى اليه الذباب و النمل فيلتقطهما الى ان يكبر قليلا يسود فيرجع اليه الغراب فيراه اسود فيضمه الى نفسه فيتعهده فهذا يصل اليه رزقه بلاسعى و الحكايات فى ذلك كثيرة و الروايات به شهيرة و من غرائب ما حكى أنه سبحانه و تعالى قال لعزرائيل هل رحمت على احد عند نزع الارواح فقال نعم يا رب حين غرق أهل سفينة و بقى بعض أهله على الالواح و كانت امرأة بولدها ترضعه فوق لوح فامرت بقبض روحها فرحمت حينئذ على ولدها قال تعالى فالقيته على جزيرة و أرسلت اليه اسدا ترضعه الى ان كبر قليلا ثم قيضت له بعضا من الجن ليعلمه لسان الانس الى ان نشا نشاة كاملة و دخل فى العمارة و حصل له الامارة و وصل الى مرتبة السلطنة و أحاط بجميع المملكة فادعى الالوهية و نسى العبودية و حقوق الربوبية و اسمه شداد والله رؤف بالعباد فالرحيم الذى يرزق أعداءه كيف ينسى أحباءه قال الشيخ أبوحامد رحمه الله تعالى قد يظن ان معنى التوكل ترك الكسب بالبدن و ترك التدبير بالقلب و السقوط على الارض كالخرقة الملقاة أو كاللحم على وضم و هذا ظن الجهال فان ذلك حرام فى الشرع والشرع قد أثنى على المتوكلين فكيف ينال مقام من مقامات الدين بمحظور من محظورات الدين بل نكشف عن الحق فيه فنقول انما يظهر تاثير التوكل فى حركة العبد و سعيه بعمله الى مقاصده و قال الامام أبو القاسم القشيرى اعلم ان التوكل محله القلب و أما الحركة بالظاهر فلاتنافى التوكل بالقلب بعد ما يحقق العبد ان الرزق من قبل الله تعالى فان تعسر شئ فبتقديره و ان تيسر شئ فبتيسيره (رواه الترمذى و ابن ماجه) و كذا أحمد و الحاكم ★(و عن ابن مسعود قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم أيها الناس ليس من شئ) من زائدة مبالغة أى ليس شئ ما من الاشياء (يقربكم) بتشديد الراء أى يجعلكم قريبا (الى الجنة و يباعدكم) أى و من شئ يبعدكم (من النار) أى على وجه النسبية فالنسبة فى الفعلين مجازية (الا قد أمرتكم به) أى بما ذكر أو بكل منهما (و ليس شئ) ليس من هنا فى الاصول (يقربكم من النار و يباعدكم من الجنة الا قد نهيتكم عنه) و فيه دليل صريح على ان جميع العلوم من الامور النافعة و الامور الدافعة يستفاد من الكتاب و السنة و ان الاشتغال بغيرهما تضييع العمر من غير المنفعة (و ان الروح الامين) و فى نسخة و ان روح الامين أى جبرائيل عليه السلام كما قال تعالى نزل به الروح الامين

و فى رواية و ان روح القدس نفث فى روعى ان نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها ألا فاتقوا الله و اجملوا فى الطلب و لايحملنكم استبطاء الرزق ان تطلبوه بمعاصى الله فانه لايدرك ما عند الله الا بطاعته رواه فى شرح السنة و البيهقى فى شعب الايمان الا انه لم يذكر و ان روح القدس

(و فى رواية و ان روح القدس) بضمتين و تسكن الدال كقوله تعالى و أيدناه بروح القدس أى الروح المقدسة من الاخلاق المدنسة قال الطيبى رحمه الله هو كما يقال حاتم الجود و رجل صدق و هو من باب اضافة الموصوف الى الصفة للمبالغة فى الاختصاص فى الصفة القدس منسوب اليها و فى الاضافة بالعكس نحو مال زيد (نفث فى روعى) بضم الراء. أى أوحى الى و ألقى من النفث بالفم و هو شبيه بالنفخ و هو أقل من التفل لان التفل لا يكون الا و معه شئ من الريق و الروع الجلد و النفس كذا فى النهاية و المعنى انه أوحى الى وحيا خفيا (ان نفسا) بفتح الهمزة و يجوز الكسر لان الايحاء فى معنى القول و المعنى ان نفسا ذات نفس و هى حى مخلوق (لن تموت حتى تستكمل رزقها) أى المقدر لها كما أشار اليه سبحانه بقوله الله الذى خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم (ألا) للتنبيه أى تنبهوا (فاتقوا الله) فانكم مأمورون بالتقوى و بالسعى الى الدرجات العلى (و اجملوا) أى من الاجمال أى و احسنوا (فى الطلب) أى فى تحصيل الرزق و لا تبالغوا فى طلبه فانكم غير مكلفين بطلب الرزق قال تعالى و ما خلقت الجن و الانس الا ليعبدون ما أريد منهم من رزق و ما أريد أن يطعمون ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين و قال عزوجل و أمر أهلك بالصلاة و اصطبر عليها لانسألك رزقا نحن نرزقك و العاقبة للتقوى فالامر للاباحة أو المعنى اطلبوا من الحلال فالامر للوجوب و يؤيده قوله (و لايحملنكم) بكسر الميم أى لايبعثكم (استبطاء الرزق) أى تأخيره و مكثه عليكم (ان تطلبوه) أى على ان تبتغوه (بمعاصى الله) أى بسبب ارتكابها بطريق من طرق الحرام كسرقة و غصب و خيانة و اظهار سيادة و عبادة و ديانة و أخذ من بيت المال على وجه زيادة و نحو ذلك (فانه) أى الشأن (لايدرك ما عند الله) أى من الرزق الحلال أو من الجنة و حسن المآل (الا بطاعته) أى لابتحصيل المال من طريق الوبال قال الطيبى رحمه الله قوله فاجملوا أى اكتسبوا المال بوجه جميل و هو ان لا تطلبه الا بالوجه الشرعى و الاستبطاء بمعنى الابطاء و السين فيه للمبالغة كما ان استعف بمعنى عف فى قوله تعالى و من كان غنيا فليستعفف و فيه ان الرزق مقدر مقسوم لابد من وصوله الى العبد لكن العبد اذا سعى و طلب على وجه مشروع وصف بانه حلال و اذا طلب بوجه غير مشروع فهو حرام فقوله ما عند الله اشارة الى ان الرزق كله من عند الله الحلال و الحرام و قوله ان تطلبوه بمعاصى الله تعالى اشارة الى ان ما عند الله اذا طلب بمعصية الله ذم و سمى حراما و قوله الابطاعته اشارة الى أن ما عند الله اذا طلب بطاعته مدح و سمى حلالا و فى هذا دليل بين لاهل السنة على ان الحلال و الحرام يسمى رزقا و كله من عند الله خلافا للمعتزلة (رواه) أى البغوى (فى شرح السنة و البيهقى فى شعب الايمان الا انه) أى البيهقى (لم يذكر و ان روح القدس) فرواية روح القدس من روايات البغوى أو غيره قال ميرك و رواه ابن أبى الدنيا فى القناعة و الحاكم و صححه عنه و عن جابر رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يا أيها الناس اتقوا الله و اجملوا فى الطلب فان نفسا لن تموت حتى تستوفى رزقها و ان أبطأ عنها فاتقوا الله و اجملوا فى الطلب خذوا ما حل و دعوا ما حرم رواه ابن ماجه

✱وعن أبى ذر عن النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال الزهادة فى الدنيا ليست بتحريم الحلال و لا اضاعة المال و لكن الزهادة فى الدنيا ان لا تكون بما فى يديك أوثق بما فى يدى الله و ان تكون فى ثواب المصيبة اذا أنت أصبت بها ارغب فيها لو انها أبقيت لك رواه الترمذى و ابن ماجه و قال الترمذى هذا حديث غريب و عمرو بن واقد الراوى منكر الحديث

و اللفظ له و الحاكم و قال صحيح على شرط مسلم قلت و روى أبو نعيم فى الحلية عن أبى أمامة مرفوعا ان روح القدس نفث فى روعى ان نفسا لن تموت حتى تستكمل أجلها و تستوعب رزقها فاجملوا فى الطلب و لايحملن أحدكم استبطاء الرزق أن يطلبه بمعصية الله فان الله تعالى لاينال ما عنده الا بطاعته ✱(و عن أبى ذر عن النبى صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم قال الزهادة) بفتح الزاى أى ترك الرغبة فى الدنيا (ليست بتحريم الحلال) كما يفعله بعض الجهال زعما منهم ان هذا من الكمال فيمتنع من أكل اللحم أو الحلواء و الفواكه و لبس الثوب الجديد و من التزوج و نحو ذلك و قد قال تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم و لا تعتدوا ان الله لايحب المعتدين و قد ثبت انه صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم فعل هذه الافعال و لا أكمل من حاله الكمال (و لا اضاعة المال) أى بتضييعه و صرفه فى غير محله بان يرميه فى بحر او يعطيه للناس من غير تمييز بين غنى و فقير و حاصله انه لاعبرة بالزهادة الظاهرة و خلو اليد عن الاموال الظاهرة ثم توجه القلب الى الخلق عند الاحتياج الى المعيشة الحاضرة بل المدار على الزهد القلبى بالانجذاب الربى ولذا استدرك ما سبقه من المقال حيث قال (و لكن الزهادة) بتشديد النون و يخفف أى و لكن الزهادة المعتبرة الكاملة (فى الدنيا) أى فى شأنها (ان لا تكون بما فى يديك) أى من الاموال أو من الصنائع و الاعمال (أوثق) أى أرجى منك (بما فى يدى‌الله) بصيغة التثنية أى بخزائنة الظاهرة و الباطنة و فيه نوع من المشاكلة و المعنى ليكن اعتمادك بوعد الله لك من ايصال الرزق اليك و من انعامه عليك من حيث لا تحتسب و من وجه لاتكتسب أقوى و أشد مما فى يديك من الجاه و المال و العقار و أنواع الصنائع من الاستعمال و لو علم الكيميا و علم السيميا فان ما فى يديك يمكن تلفه و فناؤه بخلاف ما فى خزائنه فانه محقق بقاؤه كما قال تعالى ما عندكم ينفد و ما عند الله باق (و ان تكون) عطف على ان لاتكون و الزهادة فيها أيضا ان لا تلتفت الى التنعم فيها و التلذذ بوجود نعمها بل و ان تغتنم حصول المحنة و وصول البلية فيها لئلايميل قلبك اليها و لا تستأنس نفسك بما عليها فتكون حينئذ (فى ثواب المصيبة اذا أنت أصبت بها) بصيغة المجهول (أرغب فيها) أى فى حصول المصيبة (لو انها) أى لو فرض ان تلك المصيبة (أبقيت لك) أى منعت لاجلك و أخرت عنك فوضع أبقيت موضع لم‌تصب و جواب لو ما دل عليه ما قبلها و خلاصته أن تكون رغبتك فى وجود المصيبة لاجل ثوابها أكثر من رغبتك فى عدمها فهذان الامران شاهدان عدلان على زهدك فى الدنيا و ميلك فى العقبى و قال الطيبى لو انها أبقيت لك حال من فاعل أرغب و جواب لو محذوف و اذا ظرف و المعنى ان تكون فى حال المصيبة وقت اصابتها أرغب من نفسك فى المصيبة حال كونك غير مصاب بها لانك تصاب بوصولها اليك و يفوتك الثواب اذا لم‌تصل اليك (رواه الترمذى و ابن ماجه و قال الترمذى هذا حديث غريب و عمرو بن واقد الراوى منكر الحديث) قلت و غايته انه حديث ضعيف مبنى لكنه حديث شريف معنى و مثله

★ و عن ابن عباس قال. كنت خلف رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم يوما فقال يا غلام احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك

يعتبر فى فضائل الاعمال فى جميع الاقوال و من جملتها الزهادة فى الدنيا و الرغبة فى العقبى
★ (و عن ابن عباس قال كنت خلف رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم يوما) أى رديفه و فيه اشعار بكمال حفظه و احسانه و استحضار لفظه و اتقانه فهذا الحديث من جملة أحاديثه التى سمعها من رسول‌الله صلى‌الله تعالى‌عليه‌وسلم و الا فاكثر مروياته بالواسطة لكنها معتبرة لكونها من مراسيل الصحابة و ما ذاك الا لاجل صغره فى زمانه صلى‌الله تعالى‌عليه‌وسلم قال المؤلف ولد قبل الهجرة بثلاث سنين و توفى النبى صلى‌الله تعالى عليه‌وسلم و هو ابن ثلاث عشرة سنة و قيل خمس عشرة و قيل عشر لكن صار حبر هذه الامة و عالمها لانه قد دعا له النبى صلى‌الله تعالى عليه‌وسلم بالحكمة و الفقه و التأويل و رأى جبريل عليه السلام مرتين و كف بصره فى آخر عمره و مات بالطائف سنة ثمان و ستين فى أيام ابن الزبير و هو ابن احدى و سبعين سنة و روى عنه خلق كثير من الصحابة و التابعين قيل المعنى أمشى خلفه لا انه راكب رديفه و هو مردود لما فى وسيط الواحدى عن ابن عباس انه أهدى كسرى الى النبى صلى‌الله تعالى‌عليه‌وسلم بغلة فركبها بحبل من شعر ثم أردفنى خلفه و سار بى ميلا ثم التفت (فقال يا غلام) بالرفع كذا فى الاصول المعتمدة و النسخ المتعددة و الظاهر كسر الميم بناء على ان أصله يا غلامى بفتح الياء وسكونها ثم بعد حذفها تخفيفا اكتفى بكسرة ما قبلها لكن قد يضم و ذلك فى الاسم الغالب عليه الاضافة الى الياء للعلم بالمراد و منه القراءة الشاذة رب احكم بضم الباء على انه يحتمل وقوع ضمها لمشاكلة ضم الكاف كما حقق فى و ان أحكم حيث قرئ بالوجهين من السبعة ثم فى يا غلام لغة أخرى و هى قلب الياء ألفا و قد جاء شاذا يا غلام بالفتح اكتفاء بالفتحة عن الالف ثم الاظهر أنه صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم وقف عليه بالسكون و لم يظهر عليه اعرابا على ما هو المتعارف فى مثله هذا و المراد بالغلام هنا الولد الصغير لا المملوك ففى القاموس الغلام الطار الشارب و الكهل ضد أو من حين يولد الى حين يشب و المقصود من النداء استحضاره لديه و توجهه الى ما يلقى اليه و زاد فى الاربعين انى أعملك كلمات أى فصولا مفيدة فى دفع اللأواء و جلب المنافع و الآلاء (احفظ الله) أى أمره و نهيه (يحفظك) أى يحفظك فى الدنيا من الآفات و المكروهات و فى العقبى من أنواع العقاب و الدركات جزاء وفاقا فان من كان لله كان الله له (احفظ الله) أى حقه من دوام ذكره و تمام فكره و قيام شكره (تجده تجاهك) بضم التاء أى أمامك و المعنى انك تجده حينئذ كانه حاضر تلقاءك و قدامك و تشاهده فى مقام احسانك و ايقانك و كمال ايمانك كانك تراه بحيث تفنى بالكلية عن نظرك ما سواه فاول حال المراقبة و الثانى مقام المشاهدة وقيل المعنى اذا حفظت طاعة الله وجدته يحفظك و ينصرك فى مهماتك أينما توجهت و يسهل لك الامور التى قصدت و قيل المعنى تجد عنايته و رأفته قريبا منك يراعيك فى جميع الحالات و ينقذك من جميع المضرات و يسعدك بانواع التحف و الكرامات فهو تلميح الى قوله تعالى و هو أقرب اليه من حبل الوريد و قد أشار بعض العارفين الى انه لا ذرة من ذرات العالم الا و نور الانوار محيط بها قاهر عليها قريب من وجوده اليها لا بمجرد العلم فقط و لا بمعنى الايجاد فقط بل بمعنى آخر لا يجوز كشفه رمزت اليه حذار الرقيب و كتمان سر الحبيب

و اذا سألت فاسأل الله و اذا استعنت فاستعن بالله و اعلم ان الامة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشئ لم ينفعوك الا بشئ قد كتبه الله لك و لو اجتمعوا على أن يضروك بشئ لم يضروك الا بشئ قد كتبه الله عليك

اذا ما تلاشيت فى نوره ★ يقول لى ادع فانى قريب

قال الطيبى رحمه الله أى راع حق الله و تحر رضاه تجده تجاهك أى مقابلك و حذاءك و التاء بدل من الواو كما فى تقاة و تخمة أى احفظ حق الله تعالى حتى يحفظك الله من مكاره الدنيا و الآخرة (و اذا سألت) أى أردت السؤال (فاسئل الله) باثبات الهمز و يجوز نقله أى فاسأل الله وحده فان خزائن العطايا عنده و مفاتيح المواهب و المزايا بيده و كل نعمة أو نقمة دنيوية أو أخروية فانها تصل الى العبد أو تندفع عنه برحمته من غير شائبة غرض و لا ضميمة علة لانه الجواد المطلق و الغنى الذى لايفتقر فينبغى أن لايرجى الا رحمته و لايخشى الا نقمته و يلتجىء فى عظائم المهام اليه و يعتمد فى جمهور الامور عليه و لايسأل غيره لان غيره غير قادر على العطاء و المنع و دفع الضر و جلب النفع فانهم لايملكون لانفسهم نفعا و لا ضرا و لايملكون موتا و لا حياتا و لا نشورا و لا يترك السؤال بلسان الحال أو ببيان المقال فى جميع الاحوال ففى الحديث من لم يسأل الله يغضب عليه اذ السؤال اظهار شعائر الانكسار و الاقرار بسمت العجز و الافتقار و الافلاس عن ذروة القوة و الطاقة الى حضيض الاستكانة و الفاقة و نعم ما قيل

الله يغضب ان تركت سؤاله ★ و بنى آدم حين يسئل يغضب

(و اذا استعنت) أى أردت الاستعانة فى الطاعة و غيرها من أمور الدنيا و الآخرة (فاستعن بالله) فانه المستعان و عليه التكلان فى كل زمان و مكان (و أعلم) زيادة حث على التوجه اليه والتقرب بالاستفادة لديه (ان الامة) أى جميع الخلق من الخاصة و العامة و الانبياء و الاولياء و سائر الامة (لو اجتمعت) أى اتفقت فرضا و تقديرا (على أن ينفعوك بشئ) أى فى أمر دينك أو دنياك (لم ينفعوك) أى لم يقدروا أن ينفعوك (الا بشئ قد كتبه الله لك) أى قدره و أثبته فى الذكر و فرغ منه و قد أذنهم فى ذلك (و لو اجتمعوا) وقع فى الاربعين هنا بلفظ و ان اجتمعوا فقال بعض الشراح من المحققين ان لفظة لو فيما سبق بمعنى ان اذ المعنى على الاستقبال لقوله تعالى لو تركوا من خلفهم فنكتة العدول هو ان اجتماعهم على الامداد من المستحيلات بخلاف الاتفاق على الايذاء فانه ممكن و لذا قيل

الظلم من شيم النفوس فان تجد ★ ذا عفة فلعله لايظلم

انتهى كلامه و هو غفلة منه عن الحكم المقرر فى الاعتقاد أن اجتماعهم على ايصال النفع و الضر بدون المشيئة من المحال فان ثبتت الرواية بالاختلاف فهو من باب التفنن و اختيار لو فى القرينة الاولى اولى لانها أدل على الفرضية المحالية و وقوع ان فى الثانية على أصلها مع استفادة الحكم من المطوف عليها (على أن يضروك بشئ) أى من سلب نفع أو جلب ضر (لم يضروك) أى لم يقدروا أن يضروك (الا بشئ قد كتبه الله عليك) و خلاصة المعنى انك وحد الله فى المطلب و المهرب فهو الضار النافع و المعطى المانع و فى بعض الكتب الالهية و عزتى و جلالى لاقطعن من يؤمل غيرى و ألبسنه ثوب المذلة عند الناس ولاجنبنه من قربى و لابعدنه من وصلى ولاجعلنه متفكرا حيران يؤمل غيرى فى الشدائد و الشدائد بيدى و أنا الحى القيوم و يطرق بالفكر أبواب

غيرى و بيدى مفاتيح الابواب و هى مغلقة و بابى مفتوح لمن دعانى هذا و أورد اللام فى جانب النفع لانه للملك وحقيقته الاختصاص النافع و قوله و أن أساتم فلها مجاز فى صورة الضر على ماهو المشهور عند الجمهور (رفعت الاقلام) أى من كتابة الاحكام (و جفت الصحف) أى نشفت ما دونه فيها من أقضية المخلوقين الى يوم القيامة فلايوضع عليها قلم بعد بتدوين شئ و تغيير أمر و خلاصته انه كتب فى اللوح المحفوظ ما كتب من التقديرات و لايكتب بعد الفراغ منه شئ آخر فعبر عن سبق القضاء و القدر برفع القلم و جفاف الصحيفة تشبيها بفراغ الكاتب فى الشاهد من كتابته و قد سبق فى أول الكتاب حديث ان أول ما خلق الله القلم فقال اكتب قال و ما أكتب قال اكتب القدر فكتب ما كان و ما هو كائن الى الابد و حديث جف القلم على علم الله أى ما علمه الله و حكم به فى الازل لا يتغير و لا يتبدل و جفاف القلم عبارة عنه و الله تعالى أعلم لايقال هذا ينافى قوله تعالى يمحوا الله ما يشاء و يثبت لانا نقول المحو والاثبات أيضا مما جفت الصحف لان القضاء قسمان مبرم و معلق و هذا بالنسبة الى اللوح المحفوظ و أما بالاضافة الى علم الله فلا تبديل و لا تغيير و لهذا قال و عنده أم الكتاب و قيل عند الله كتابان اللوح و هو الذى لا يتغير و الذى يكتبه الملك على الخلق و هو محل المحو و الاثبات فهذا القدر من الحديث (رواه أحمد و الترمذى) و قال هذا حديث حسن صحيح كما قاله النووى ثم قال و فى رواية غير الترمذى احفظ الله تجده امامك تعرف الى الله بتشديد الراء أى تحبب اليه بحفظ أحكامه ذكره النووى رحمه الله لان المعرفة سبب المحبة يعرفك فى الشدة بتخفيف الراء أى يجازك فيها و أعلم ان ما أخطأك أى جاوز عنك من النعمة و الرخاء و الشدة و البلاء و أصل الخطا العدول عن الجهة لم يكن ليصيبك أى محال أن يصيبك و فيه مبالغة من وجوه من حيث دخول اللام المؤكدة للنفى على الخبر و تسليط النفى على الكينونة و سرايته فى الخبر و ما أصابك لم يكن ليخطئك فيه الحث على التوكل و الرضا و نفى الحول و القوة عنه اذ ما من حادثة من سعادة و شقاوة و عسر و يسر و خير و شر و نفع و ضر و أجل و رزق الا و يتعلق بقدره وقضائه قبل أن يخلق السموات و الارض بخمسين ألف عام جرى قلم القضاء بما يكون فسيان التحرك و السكون فيجب الشكر فى حال السراء و الصبر فى حال الضراء قائلا كما قال تعالى قل كل من عند الله و أعلم أن النصر أى على الاعداء مع الصبر أى على المحن و البلاء و ان الفرج و هو الخروج من الغم مع الكرب أى الغم الذى باخذ بنفس النفس و لذا ورد ★ اشتدى أزمة تنفرجى ★ و ان مع العسر يسرا قال شارح و قد وقعت الآية فى القرآن مكررة ليعلم انه لايوجد عسر الا معه يسران و هذا مبنى على القاعدة المشهورة ان النكر المعادة غير الاولى و المعرفة المعادة عين الاولى لكنها غالبية لان قوله تعالى قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك لا شك فيه ان اللام الاولى للاستغراق و الثانية للجنس الذى يحصل بوجود فرد منه ثم قيل مع بمعنى بعد و هذا بعيد عن حقيقة المعنى و ارادة المبالغة فى المبنى حيث قصد معاقبة احدهما للآخر واتصاله به حتى جعله كالمقارن لزيادة فى التسلية و التنفيس على ان المحن لا تخلو عن المنح بل انها عينها و فى ذلكم بلاء من ربكم عظيم و ما يلقاها الا ذو حظ عظيم هذا و قد قال القطب الربانى والغوث الصمدانى السيد عبد القادر الجيلانى قدس سره فى فتوحات الغيب ينبغى لكل مؤمن أن يجعل هذا

★ و عن سعد قال قال رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم من سعادة ابن آدم رضاه بما قضی الله له و من شقاوة ابن آدم ترکه استخارة الله و من شقاوة ابن آدم سخطه بما قضی الله له

الحديث مرآة قلبه و شعاره و دثاره و حديثه فيعمل به فی جميع حركاته و سكناته حتی يسلم فی الدنيا و الآخرة و يجد العزة فيها برحمة الله تعالی رواه أحمد و الترمذی قال الطيبی رحمه الله و زاد بعد قوله تجاهک فی رواية رزين تعرف الی الله فی الرخاء يعرفک فی الشدة و فی آخره فان استطعت ان تعمل لله بالرضا فی اليقين فافعل فان لم‌تستطيع فان فی الصبر علی ما تكره خيرا كثيرا و أعلم ان النصر مع الصبر و الفرج مع الكرب و ان مع العسر يسرا و لن يغلب عسر يسرين و الحديث بطوله قد جاء مثله أو نحوه فی مسند أحمد بن حنبل رحمه الله فی النهاية معنی تعرف الی الله أی اجعل تعرفک بطاعته و العمل فيما أولاك من نعمته فانه يجازيک عند الشدة و الحاجة اليه فی الدنيا و الآخرة و أراد بقوله لن يغلب عسر يسرين ان التعريف فی العسر الثانی فی قوله تعالی للعهد و التنكير فی يسرا للنوع فيكون العسر واحدا و اليسر اثنين فالعسر ما كانوا عليه من متاعب الدنيا و مشاقها و اليسر فی الدنيا الفتح و النصرة علی الاعداء و فی العقبی الفوز بالحسنی و لقاء الاحباء ★(و عن سعد) أی ابن أبی وقاص (قال قال رسول‌الله صلی‌الله‌تعالی‌عليه‌وسلم من سعادة ابن آدم رضاه بما قضی الله له) أی و من سعادة ابن آدم استخارة الله ثم رضاه بما حكم به و قدره و قضاه كما يدل عليه مقابلته بقول (و من شقاوة ابن آدم تركه استخارة الله) أی طلب الخيرة منه فانه يختارله ما هو خير له ولذا قال بعض العارفين اترك الاختيار و ان كنت لابد أن تختار فاختران لا تختار و ربک يخلق ما يشاء و يختار و قد قال تعالی و ما كان لمؤمن و لامؤمنة اذا قضی الله و رسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم (و من شقاوة ابن آدم سخطه) أی غضبه و عدم رضاه (بما قضی الله له) فالرضا بالقضاء باب الله الاعظم و هو من بين منازل السائرين موسوم بالمقام الافخم ثم تقديم الاستخارة لانه سبب للرضا و لانها توجد قبل تحقق القضاء قال الطيبی رحمه الله أی الرضا بقضاء الله و هو ترک السخط علامة سعادته و انما جعله علامة سعادة العبد لامرين أحدهما ليتفرغ للعبادة لانه اذا لم‌يرض بالقضاء يكون مهموما أبدا مشغول القلب بحدوث الحوادث و يقول لم كان كذا ولم لايكون كذا و الثانی لئلايتعرض لغضب الله تعالی بسخطه و سخط العبد ان يذكر غير ما قضی الله له و قال انه أصلح و أولی فيما لايستيقن فساده و صلاحه فان قلت ما موقع قوله و من شقاوة ابن آدم تركه استخارة الله بين المتقابلين قلت موقعه بين القرينتين لدفع توهم من يترك الاستخارة و يفوض أمره بالكلية انتهی و فيه أن الاستخارة و التفويض مآلهما واحد و كذا اكتفی بالاستخارة فی القرينتين فی رواية علی ما يأتی ثم لاشک ان التسليم المطلق أولی من الاستخارة لانها نوع طلب و ارادة و ضيق منازعة فی أمر قد تحقق هذا و حقيقة الاستخارة هی أن يطلب الخير من الله فی جميع أمره بل و ان يعتقد ان الانسان لايعلم خيره من شره كما قال تعالی و عسی أن تكرهوا شيأ و هو خير لكم و عسی أن تحبوا شيأ و هو شر لكم و الله يعلم و أنتم لا تعلمون ثم يترق بان يری أن لايقع فی الكون غير الخير و لذلک ورد الخير بيديک و الشر ليس اليک ثم المستحب دعاء الاستخارة بعد تحقق المشاورة فی الامر المهم من الامور الدينية و الدنيوية و أقله أن يقول اللهم خرلی و اخترلی و لا تكلنی الی اختياری و الاكمل ان يصلی ركعتين من غير الفريضة ثم يدعو بالدعاء المشهور

رواه أحمد و الترمذى و قال هذا حديث غريب

★ (الفصل الثالث) ★ عن جابر أنه غزا مع النبى صلى الله عليه وسلم قبل نجد فلما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم قفل معه فادركتهم القائلة فى واد كثير العضاه فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم و تفرق الناس يستظلون بالشجر فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت سمرة فعلق بها سيفه و نمنا نومة فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعونا و اذا عنده اعرابى فقال ان هذا اخترط على سيفى و أنا نائم فاستيقظت و هو فى يده صلتا قال من يمنعک منّى

فى السنة على ما قدمناه فى كتاب الصلاة (رواه أحمد و الترمذى و قال هذا حديث غريب) تمامه و لانعرفه الا من حديث محمد بن حميد و ليس هو بالقوى عند أهل الحديث و رواه الحاكم فى صحيحه و زاد فيه من سعادة ابن آدم استخارته الله و من شقاوته تركه استخارة الله رواه الحاكم و الترمذى قال ميرك كلاهما من حديث سعد بن أبى وقاص و قال الترمذى غريب . و لفظه من سعادة ابن آدم كثرة استخارته الله تعالى و رضاه بما قضى الله تعالى له و من شقاوة ابن آدم تركه استخارة الله تعالى و سخطه بما قضى الله تعالى له و فى الجامع أسند الحديث الى الترمذى و الحاكم عن سعد لكن لفظه من سعادة ابن آدم استخارته الله تعالى و من سعادة ابن آدم رضاه بما قضى الله و من شقاوة ابن آدم تركه استخارة الله و من شقاوة ابن آدم سخطه بما قضى الله فهذا و ما قبله مما يدل على ان لفظ المشكاة وقع فيه اختصار مخل و الله سبحانه و تعالى أعلم و روى الطبرانى فى الاوسط عن أنس مرفوعا ما خاب من استخار و لاندم من استشار و لا عال من اقتصد و قال بعض الحكماء من أعطى أربعا لم يمنع أربعا من أعطى الشكر لم يمنع المزيد و من أعطى التوبة لم يمنع القبول و من أعطى الاستخارة لم يمنع الخير و من أعطى المشورة لم يمنع الصواب

★ (الفصل الثالث) ★ (عن جابر انه غزا مع النبى) و فى نسخة رسول الله (صلى الله تعالى عليه وسلم قبل نجد) بكسر القاف و فتح الباء أى جهته و جانبه و فى النهاية النجد ما ارتفع من الارض و هو اسم خاص لما دون الحجاز (فلما قفل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أى رجع و سمى القافلة قافلة و لو كانت ذاهبة تفاؤلا بمآلها (قفل معه) أى قفل جابر مع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (فادركتهم) أى الصحابة أو الغزاة (القائلة) أى الظهيرة أو وقت القيلولة (فى واد كثير العضاه) بكسر العين و هو الشجر الذى له شوك (فنزل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أى فاراد النزول أو أمر بالنزول (و تفرق الناس يستظلون بالشجر) أى بجنسه من أنواع الاشجار (فنزل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم تحت سمرة) بفتح سين فضم ميم شجرة من الطلح و هى العظام من شجر العضاه (فعلق بها) أى بغصن من أغصانها (سيفه و نمنا) بكسر أوله (نومة) أى خفيفة (فاذا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يدعونا) أى ينادينا و يطلبنا (و اذا) و فى نسخة فاذا (عنده اعرابى) أى بدوى كافر (فقال) أى النبى صلى الله عليه وسلم (ان هذا) أى الاعرابى (اخترط) أى سل (على سيفى) أى المعلق (و أنا نائم) حال (فاستيقظت و هو) أى و الحال أن سيفى (فى يده صلتا) بفتح الصاد و يضم أى مسلولا مجردا عن الغمد قال الجوهرى هو بفتح الصاد و ضمها و فى القاموس الصلت السيف الصقيل الماضى و يضم و فى النهاية و سيف مجرد (قال) أى الاعرابى (من يمنعک منى) أى من أذيتى فالفعل على حقيقته و المضاف مقدر قال الطيبى رحمه الله أى من يحميک منى قال فى أساس البلاغة و من المجاز فلان يمنع الجار أى يحميه من أن يضام

فقلت الله ثلثا و لم يعاقبه و جلس متفق عليه و فى رواية أبى بكر الاسماعيلى فى صحيحه فقال من يمنعك منى قال الله فسقط السيف من يده فاخذ رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم السيف فقال من يمنعك منى فقال كن خير آخذ فقال تشهد أن لا اله الا الله و انى رسول‌الله قال لا و لكنى أعاهدك على ان لا أقاتلك و لا أكون مع قوم يقاتلونك فخلى سبيله فاتى أصحابه فقال جئتكم من عند خير الناس هكذا فى كتاب الحميدى و فى الرياض ★ و عن أبى ذر ان رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال انى لاعلم آية لو أخذ الناس بها لكفتهم و من يتق الله يجعل له مخرجا و يرزقه من حيث لايحتسب رواه أحمد و ابن ماجه و الدارمى ★ و عن ابن مسعود قال أقرأنى رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم انى أنا الرزاق

(فقلت الله) أى الله يمنعنى على الحقيقة أو نظرا الى العصمة الموعودة بقوله سبحانه و الله يعصمك من الناس (ثلاثا) أى ثلاث مرات و فيه ايماء الى انه يستحب تثليث لفظ الجلالة حالة الاستغاثة و الاستعانة (و لم يعاقبه) أى الاعرابى (و جلس) أى النبى صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم بعد ما كان قائما أو مضطجعا ثم يحتمل أن تكون القضية وقعت قبل المنادات فاخبرهم بما وقع من خرق العادة و يمكن أن تكون بعدها فناداهم ليريهم المعجزة و الاول أظهر و الله أعلم (متفق عليه و فى رواية أبى بكر الاسماعيلى فى صحيحه فقال من يمنعك منى فقال الله تعالى فسقط السيف من يده فاخذ رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم السيف فقال من يمنعك منى فقال كن خير آخذ) أى متناول للسيف و هو كناية للعفو مع القدرة و قال الطيبى رحمه الله تعالى أى بالجنايات يريد العفو انتهى فالاخذ بمعنى المؤاخذة (فقال تشهد) أى أتشهد (أن لا اله الا الله و انى رسول‌الله قال لا) أى لا أشهد (و لكن أعاهدك على أن لا أقاتلك) أى بانفرادى (و لا أكون) أى و لا أن أكون رفيقا (مع قوم يقاتلونك فخلى سبيله) أى فتركه حتى مضى الى طريقه (فاتى) أى الاعرابى (أصحابه) أى قومه (فقال جئتكم من عند خير الناس) أى كرما و حلما (هكذا) أى هذا الحديث المتفق عليه مع الزيادة (فى كتاب الحميدى و فى الرياض) أى و كذا فى كتاب رياض الصالحين للنووى ★(و عن أبى ذر ان رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم قال انى لاعلم آية لو أخذ الناس) أى عملوا (بها) أى بانفرادها (لكفتهم و من يتق الله يجعل له مخرجا) أى من البلايا (و يرزقه من حيث لايحتسب) أى من العطايا و ما بعده و من يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شئ قدرا قال الطيبى رحمه الله يريد الآية بتمامها فقوله و من يتق الله الى قوله من حيث لايحتسب اشارة الى أنه تعالى يكفيه جميع ما يخشى و يكره من أمور الدنيا و الآخرة و قوله و من يتوكل الخ اشارة الى انه تعالى يكفيه جميع ما يطلبه و يبتغيه من أمور الدنيا و الآخرة و بالغ أمره أى نافذ أمره و فيه بيان لوجوب التوكل عليه و تفويض الامر اليه لانه اذا علم ان كل شئ من الرزق و نحوه لايكون الا بتقديره و توفيقه لم يبق الا التسليم للقدر و القضاء و التوكل و أنشد

اذا المرء أمسى حليف التقى ★ فلم يخش من طارق حله

ألم تسمع الله سبحانه ★ و من يتق الله يجعل له مخرجا

(رواه أحمد و ابن ماجه و الدارمى ★ و عن ابن مسعود قال أقرأنى رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم) أى حملنى على ان أقرأ ذكره الطيبى و الاظهر ان معناه علمنى (انى أنا الرزاق) أى قراءته

ذو القوة المتين رواه أبوداود و الترمذى و قال هذا حديث حسن صحيح ★ و عن أنس قال كان اخوان على عهد رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم فكان أحدهما يأتى النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم و الآخر يحترف فشكا المحترف أخاه النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم فقال لعلك ترزق به رواه الترمذى و قال هذا حديث صحيح غريب ★ و عن عمرو بن العاص قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم ان قلب ابن آدم بكل واد شعبة فمن اتبع قلبه الشعب كلها لم‌يبال الله باى واد أهلكه و من توكل على الله كفاه الشعب رواه ابن ماجه ★ و عن أبى‌هريرة ان النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال قال ربكم عزوجل لو أن عبيدى أطاعونى لاسقيتهم المطر بالليل و أطلعت

هكذا قال الطيبى رحمه الله هى قراءة شاذة منسوبة الى رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم و المشهورة ان الله هو الرزاق انتهى و المراد انها كانت قراءة قطعية متواترة معنوية و كان علمها رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم ابن مسعود لكنها نسخت أو شذت طرقها بعد ابن مسعود (ذو القوة المتين) أى الشديد القوة والمعنى فى وصفه بالقوة و المتانة انه القادر البليغ الاقتدار على كل شئ و قوله ذو القوة خبر بعد خبر و فيه من المبالغات تصدير الجملة بان و توسيط ضمير الفصل المفيد للاختصاص و تعريف الخبر بلام الجنس ثم أردفه بقوله ذو القوة و تتميمه بالمتانة فوجب أن لايتوكل الا عليه و لايفوض الامور الا اليه ذكره الطيبى رحمه الله (رواه أحمد و الترمذى و قال هذا حديث حسن صحيح ★ و عن أنس قال كان اخوان) أى اثنان من الاخوان (على عهد النبى صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم) أى فى زمنه (فكان أحدهما يأتى النبى صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم) أى لطلب العلم و المعرفة (و الآخر يحترف) أى يكتسب أسباب المعيشة فكانهما كانا يأكلان معا (فشكا المحترف) أى فى عدم مساعدة أخيه أياه فى حرفته أو فى كسب آخر لمعيشة (أخاه النبى) بنزع الخافض أى الى النبى (صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم فقال لعلك ترزق به) بصيغة المجهول أى أرجو أو أخاف انك مرزوق ببركته لا انه مرزوق بحرفتك فلا تمنن عليه بصنعتك و فى الحديث دليل على جواز أن يترك الانسان شغل الدنيا و أن يقبل على العلم و العمل و التجرد لزاد العقبى قال الطيبى رحمه الله و معنى لعل فى قوله لعلك يجوز أن يرجع الى رسول‌الله صلى‌الله تعالى‌عليه‌وسلم فيفيد القطع و التوبيخ كما ورد فهل ترزقون الا بضعفائكم و أن يرجع للمخاطب ليبعثه على التفكر و التأمل فينتصف من نفسه (رواه الترمذى و قال هذا حديث صحيح غريب) و رواه الحاكم أيضا ★ (وعن عمرو بن العاص قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم ان قلب ابن آدم بكل واد شعبة) أى لقلبه قطعة و المعنى بعض توجه منه لان القلب واحد و أودية الهموم متعددة و ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه ففى النهاية الشعبة الطائفة من كل شئ و القطعة منه قال الطيبى رحمه الله و لابد فيه من تقدير أى فى كل واد له شعبة (فمن اتبع قلبه الشعب كلها) من الاتباع أى من جعل قلبه تابعا لشعب الهموم فى أودية الغموم (لم‌يبال الله باى واد أهلكه و من توكل على الله كفاه الشعب) أى كفاه الله مؤن حاجاته المنشعبة المختلفة و فى معناه ما روى عن النبى صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم من جعل الهموم هما واحدا هم الدين كفاه الله هم الدنيا و الآخرة (رواه ابن ماجه ★ و عن أبى‌هريرة ان النبى صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم قال قال ربكم عزوجل لو أن عبيدى أطاعونى) أى فى أمرى و نهيى (لاسقيتهم) أى لانزلت عليهم (المطر بالليل) أى و هم نائمون مستريحون (و أطلعت) من باب الافعال أى أظهرت

عليهم الشمس بالنهار و لم اسمعهم صوت الرعد رواه أحمد ★ و عنه قال دخل رجل على أهله فلما رأى ما بهم من الحاجة خرج الى البرية فلما رأت امرأته قامت الى الرحى فوضعتها و الى التنور فسجرته ثم قالت اللهم ارزقنا فنظرت فاذا الجفنة قد امتلأت قال و ذهبت الى التنور فوجدته ممتلئا قال فرجع الزوج قال أصبتم بعدى شيأ قالت امرأته نعم من ربنا وقام الى الرحى فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال أما انه لو لم يرفعها لم تزل تدور الى يوم القيامة رواه أحمد ★ و عن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرزق ليطلب العبد كما يطلبه أجله رواه أبو نعيم فى الحلية

و أبرزت (عليهم الشمس بالنهار) أى و هم بمكاسبهم و أمورهم مشتغلون . (و لم أسمعهم) و فى رواية الجامع و لما أسمعتهم (صوت الرعد) أى لا ليلا و لا نهارا كيلا يخافوا و لا ينفجعوا فلا يتضررون قال الطيبى رحمه الله هو من باب التتميم فان السحاب مع وجود الرعد فيه شائبة الخوف لقوله تعالى هو الذى يريكم البرق خوفا و طمعا فنفاه ليكون رحمة محضة (رواه أحمد) و كذا الحاكم ★ (و عنه قال دخل رجل على أهله) أى أهل بيته و أصحاب نفقته (فلما رأى ما بهم من الحاجة) أي من الجوع و الفاقة (خرج الى البرية) أى الى قطعة من الارض منسوبة الى البر للتضرع الى خالق البرية (فلما رأت امرأته) أى خلو يد الرجل و ادباره عن الاهل من الحياء و الخجل (قامت الى الرحى فوضعتها) أى الطبقة العليا على السفلى و المعنى فهيأتها و نظفتها (و الى التنور فسجرته) بتخفيف الجيم و تشدد أى أوقدته (ثم قالت) فيه أشارة الى ان العبد يسعى فى طلب الحلال ما أمكنه الوقت و يقتضيه الحال ثم يستعين فى تحصيل أمره الى الملك المتعال بالدعاء بنحو (اللهم ارزقنا) أى من عندك فانك خير الرازقين و قد انقطع طمعنا عن غيرك و لانطمع الا فى خيرك (فنظرت) أى الى الرحى (فاذا الجفنة) و هى القصعة على ما فى القاموس أو القصعة الكبيرة على ما فى خلاصة اللغة و المراد هنا ما يوضع تحت الرحى ليجتمع فيها الدقيق (قد امتلأت) أى من الدقيق (قال) أى الراوى (و ذهبت) و فى نسخة صحيحة فذهبت (الى التنور) أى لتخبز فيه من الدقيق بعد عجنه (فوجدته ممتلئا) أى من الخبز الملتصق به (قال) أى الراوى (فرجع الزوج) أى راجيا لما قام بامر الله داعيا (قال) أى الزوج و هو استئناف بيان (أصبتم) أى أكلتم أو حصلتم (بعدى شيأ) أى من الاشياء أو من الاصابة (قالت امرأته نعم) أى أصبنا (من ربنا) أى من عند ربنا أو من رزقه و ما اخطانا و أغرب الطيبى رحمه الله فى قوله اللهم ارزقنا حيث قال دعت أن تصيب زوجها بماتطحنه وتعجنه و تخبزه فهيأت الاسباب لذلك انتهى (و قام) أى فتعجب الزوج و قام (الى الرحى) أى و رفعها ليرى أثرها (فذكر) بصيغة المجهول و فى نسخة صحيحة فذكر أى هو بنفسه (ذلك) أى ما ذكر من القضية بتمامها (للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال أما) بالتخفيف للتنبيه (انه) أى الشان (لو لم يرفعها لم تزل تدور الى يوم القيامة رواه أحمد ★ و عن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الرزق ليطلب العبد كما يطلبه أجله) أقول بل حصول الرزق أسبق و أسرع من وصول أجله لان الاجل لايأتى الا بعد فراغ الرزق قال الله تعالى الله الذى خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم . (رواه أبو نعيم فى الحلية) قال ميرك نقلا عن المنذرى رواه ابن ماجه فى صحيحه و البزار و رواه الطبرانى باسناد جيد الا انه قال ان الرزق ليطلب العبد

★ و عن ابن مسعود قال كأنى انظر الى رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم يحكى نبيا من الانبياء ضربه قومه فادموه و هو يمسح الدم عن وجهه و يقول اللهم اغفر لقومى فانهم لايعلمون متفق عليه

★ (باب الرياء و السمعة) ★

أكثر مما يطلبه أجله قلت و كذا رواه ابن عدى فى الكامل و هو يؤيد ما قررته و فيما سبق من المعنى حررته و روى أبو نعيم فى الحلية عن جابر مرفوعا لو ان ابن آدم هرب من رزقه كما يهرب من الموت لادركه رزقه كما يدركه الموت ★ (و عن ابن مسعود قال كأنى انظر الى رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم) أى فى استحضار القضية و استحفاظ القصة (يحكى نبيا) أى حال كونه يحكى حال نبى (من الانبياء ضربه قومه) أى قد ضربه قومه فهو حال بتقدير قد و جوز بدونه أيضا قال الطيبى رحمه الله قوله نبيا منصوب على شريطة التفسير بقرينة قوله ضربه قومه و هو حكاية لفظ الرسول صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم و يجوز ان تقدر مضافا أى يحكى حال نبى من الانبياء و هو معنى ما تلفظ به و حينئذ ضربه يجوز أن يكون صفة للنبى و أن يكون استئنافا كان سائلا سأل ما حكاه فقيل ضربه قومه (فادموه) أى جعلوه صاحب دم خارج من رأسه (و هو يمسح الدم عن وجهه) أى خوفا من الوقوع فى فمه أو عينه (و يقول) أى من كمال صبره (اللهم اغفر لقومى) أى فعلهم هذا بمعنى لاتعذبهم به فى الدنيا و لاتستأصلهم و الا فمن المعلوم ان مغفرة الكفار بمعنى العفو عن شركهم و كفرهم غير جائز بالاجماع و يمكن أن تكون المغفرة كناية عن التوبة الموجبة للمغفرة و اليه الاشارة بقوله (فانهم لايعلمون) و هذا من كمال حلمه وحسن خلقه حيث أذنب القوم وهو يعتذر عنهم عند ربهم انهم ما فعلوا ما فعلوا الا لجهلهم بالله و رسوله ففيه أشعار بان الذنب مع الجهل أهون فى الجملة بالنسبة الى الذنب مع العلم ولذا ورد ويل للجاهل مرة و ويل للعالم سبع مرات (متفق عليه)

★ (باب الرياء و السمعة) ★ فى المغرب يقال فعل ذلك سمعة أى ليريه الناس من غير أن يكون قصد به التحقيق و سمع بكذا شهرة تسميعا انتهى و التحقيق ان الرياء مأخوذ من الرؤية فهو ما يفعل ليراه الناس و لايكتفى فيه برؤية الله سبحانه و السمعة بالضم ماخوذة من السمع فهو ما يفعل أو يقال ليسمعه الناس و لايكتفى فيه بسمعه تعالى ثم يستعمل كل منهما موضع الآخر و قد يجمع بينهما تأكيدا أو لارادة أصل المعنيين تفصيلا و ضدهما الاخلاص فى العمل لله على قصد الخلاص ثم الرواية الصحيحة فى الرياء الهمز و عليه السبعة و يجوز ابداله ياء و به قرأ بعض القراء و هو المشهور على السنة العامة

★ (الفصل الاول) ★ (عن أبى هريرة قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم ان الله لاينظر) أى نظر اعتبار (الى صوركم) اذ لا اعتبار بحسنها و قبحها (و أموالكم) اذ لا اعتبار بكثرتها و قلتها (و لكن) و زاد فى الجامع و لكن انما (ينظر الى قلوبكم) أى الى ما فيها من اليقين و الصدق و الاخلاص و قصد الرياء و السمعة و سائر الاخلاق الرضية و الاحوال الردية (و أعمالكم) أى من صلاحها و فسادها فيجازيكم على وفقها هذا و فى النهاية معنى النظر ههنا الاجتباء و الرحمة و العطف لان النظر فى الشاهد دليل المحبة و ترك النظر دليل البغض و الكراهة و ميل النفس الى الصور المعجمة و الامور الفانية و الله يتقدس عن شبه المخلوقين فجعل نظره الى ما هو البر و اللب و هو القلب و العمل و النظر يقع على الاجسام و المعانى

★ (الفصل الاول) ★ عن أبي هريرة قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم ان الله لاينظر الى صوركم و أموالكم و لكن ينظر الى قلوبكم و أعمالكم رواه مسلم ★ و عنه قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال الله تعالى أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك فيه معى غيرى تركته و شركه و فى رواية فانا منه برئ هو للذى عمله

فما كان بالابصار فهو للاجسام و ما كان بالبصائر كان للمعانى ذكره الطيبى رحمه الله و لا يخفى بعد المراد من النظر هنا ما ذكره من الرحمة و العطف لاسيما فى جانب النفى فتدبر خصوصا فيما ذكره من تنصيل النظر فان نفيه فى حقه تعالى لايتصور و الله تعالى أعلم (رواه مسلم) و كذا ابن ماجه ★ (و عنه) أى عن أبي هريرة (قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم قال الله تعالى أنا أغنى الشركاء) أى أنا اغنى من يزعم انهم شركاء على فرض ان لهم غنى (عن الشرك) أى عما يشركون به مما بينى و بين غيرى فى قصد العمل و المعنى ما أقبل الا ما كان خالصا لوجهى و ابتغاء لمرضاتى فاسم المصدر الذى هو الشرك مستعمل فى معنى المفعول و يؤيد ما قررناه ما أوضحه بطريق الاستئناف بقوله (من عمل عملا أشرك فيه) أى فى قصد ذلك العمل (معى) أى مع ابتغاء وجهى (غيرى) أى من المخلوقين فلا يضره قصد الجنة و توابعها مثلا فانها من جملة مرضاته سبحانه و ان كان المقام الاكمل أن لايعبده لطمع جنة أو خوف نار فانه عد كفرا عند بعض العارفين لكن التحقيق فيه انه لوكان بحيث لو لم يخلق جنة و لا نار لما عبده سبحانه لكان كافرا فانه يستحق العبادة لذاته و لذا مدح صهيب بما روى فى حقه نعم العبد صهيب لو لم يخف الله ما عصاه و قوله (تركته و شركه) خبر من و الواو بمعنى مع أو المعنى تركته عن نظر الرحمة و تركت عمله المشترك عن درجة القبول (و فى رواية فانا منه برئ) قيل من ذلك العمل و الاظهر من عامل ذلك العمل لئلا يكون تكرارا فى قوله (هو) أى ذلك العمل (للذى عمله) أى لاجله ممن قصده بذلك العمل رياء و سمعة و هو تاكيد لما قبله و قال شارح أى هو لفاعله يعنى تركت ذلك العمل و فاعله لا أقبله و لا أجازى فاعله بذلك العمل لانه لم يعمله لى انتهى و فيه انه يلزم منه أن يكون عمله حينئذ مباحا مع ان العمل على وجه الاشراك حرام اجماعا فيعاقب فاعله بذلك العمل فتأمل و لنذكر بقية كلام الشراح فقال ابن الملك رحمه الله أغنى أفعل التفضيل من غنى به عنه غنية أى استغنى به عنه و اضافته أما للزيادة المطلقة أى أنا غنى من بين الشركاء و أما للزيادة على ما أضيف اليه أى أنا أكثر الشركاء استغناء عن الشرك لكون استغنائه من جميع الجهات و فى جميع الاوقات و فيما ذكره من الوجه الثانى ما لا يخفى و قال الطيبى رحمه الله اسم التفضيل هنا لمجرد الزيادة و الاضافة فيه للبيان أو على زعم القوم و فيه ان وجه الاضافة للبيان يحتاج الى مزيد البيان و كانه أراد ان معناه أنا غنى مما بينهم دونهم ثم قال و الضمير المنصوب فى تركته يجوز أن يرجع الي العمل و المراد من الشرك الشريك قال النووى رحمه الله تعالى معناه أنا غنى عن المشاركة و غيرها فمن عمل شيأ لى و لغيرى لم أقبله بل أتركه مع ذلك الغير و يدل عليه الحديث الاول من الفصل الثانى و يجوز أن يرجع الى العامل والمراد بالشرك الشركة و قوله هو يعود الى العمل على الوجه الاول و الى العامل على الوجه الثانى أى العامل لما عمل به من الشرك يعنى يختص به و لايتجاوز عنه و كذا الضمير فى منه أقول و يمكن أن يقال معناه أنا أغنى كل من يطلق عليه اسم الشريك كقوله تعالى أحسن الخالقين

رواه مسلم ★ و عن جندب قال قال رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم من سمع سمع الله به و من یرائی یرائی الله به متفق علیه ★ و عن أبی‌ذر قال قیل لرسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم أ رأیت

فان کثیرا من الشرکاء فی الدنیا من الاغنیاء اذا وقع لهم سهم مع الفقراء فانهم یسامحولهم به و یعطونهم ایاه أو یهبونه لواحد منهم من أفقرهم فاذا کان هذا وصف بعض الشرکاء من الضعفاء فکیف بالذی لا شریک له و له وصف العظمة و الکبریاء هذا و قال الامام حجة الاسلام درجات الریاء أربعة أقسام الاولی و هی أغلظها أن لایکون مراده الثواب أصلا کالذی یصلی بین أظهر الناس و لو انفرد لکان لایصلی بل ربما یصلی من غیر طهارة مع الناس فهذا جرد قصده للریاء فهو الممقوت عند الله تعالی و الثانیة أن یکون له قصد الثواب أیضا و لکن قصدا ضعیفا بحیث لو کان فی الخلوة لکان لایفعله و لا یحمله ذلک القصد علی العمل و لو لم‌یکن الثواب لکان قصد الریاء یحمله علی العمل فقصد الثواب فیه لاینفی عنه المقت و الثالثة أن یکون قصد الثواب و الریاء متساویین بحیث لو کان واحد خالیا عن الآخر لم‌یبعثه علی العمل فلما اجتمعا انبعثت الرغبة و ظواهر الاخبار تدل علی أنه لایسلم رأسا برأس و الرابعة أن یکون اطلاع الناس مرجحا مقویا لنشاطه و لو لم‌یکن لم‌یترک العبادة و لو کان قصد الریاء وحده لما أقدم فالذی نظنه و العلم عند الله أنه لا یحبط أصل الثواب و لکنه ینقص منه أو یعاقب علی مقدار قصد الریاء و یثاب علی مقدار قصد الثواب و أما قوله صلی‌الله‌تعالی‌علیه‌وسلم أنا أغنی الشرکاء فهو محمول علی ما اذا تساوی القصدان أو کان قصد الریاء أرجح (رواه مسلم) و کذا ابن ماجه الروایة الاولی ★ (و عن جندب) مر ذکره (قال قال النبی) و فی نسخة رسول‌الله (صلی‌الله‌تعالی‌علیه‌وسلم من سمع) بتشدید المیم أی من عمل عملا للسمعة بان نوه بعمله و شهره لیسمع الناس به و یتمدحوه (سمع الله به) بتشدید المیم أیضا أی شهره الله بین اهل العرصات و فضحه علی رؤس الاشهاد و أما ما نقله الطیبی رحمه الله عن النووی رحمه الله بان معناه من أظهر عمله للناس ریاء فهو غیر ملائم لمقام التفصیل و التمییز بین المعنیین من السمعة و الریاء حیث قال (و من یرائی یرائی الله به) باثبات الیاء فی الفعلین علی ان من موصولة مبتدأ و المعنی من یعمل عملا لیراه الناس فی الدنیا یجازیه الله تعالی به بان یظهر ریاءه علی الخلق و خلاصة القرینتین و زبدة الجملتین ان المعنی یسمع الله الخلق بکونه مسمعا و یظهر لهم بکونه مرائیا و فی شرح مسلم معنی من یرائی بین أظهر للناس العمل الصالح لیعظم عندهم و لیس هو کذلک یرائی الله به أی یظهر سریرته علی رؤس الخلائق و فیه ان قیده بقوله و لیس هو کذلک ظاهره انه لیس کذلک بل هو علی اطلاقه سواء یکون کذلک أو لایکون کذلک ثم قال و قیل معناه من سمع بعیوب الناس و أذاعها أظهر الله عیوبه و قیل أسمعه المکروه و قیل أراه الله ثواب ذلک من غیر أن یعطیه أیاه لیکون حسرة علیه و قیل معناه من أراد أن یعلمه الناس أسمعه الله الناس و کان ذلک حظه منه قال الشیخ أبوحامد الریاء مشتق من الرؤیة و السمعة من السماع و انما الریاء أصله طلب المنزلة فی قلوب الناس بارائهم الخصال المحمودة فحد الریاء هو ارادة العبادة بطاعة الله تعالی فالمرائی هو العابد و المرأی له هو الناس و المرأی به هو الخصال الحمیدة و الریاء هو قصد أظهار ذلک (متفق علیه) و رواه أحمد و مسلم و ابن عباس و لفظه بن سمع سمع الله به و من رأی رأی الله به ★ (و عن أبی‌ذر قال قیل لرسول‌الله صلی‌الله‌تعالی‌علیه‌وسلم أرأیت) أی أخبرنی کما قاله شارح

الرجل يعمل العمل من الخير ويحمده الناس عليه و فى رواية ويحبه الناس عليه قال تلك عاجل بشرى المؤمن رواه مسلم

★(الفصل الثانى)★ عن أبى سعد بن أبى فضالة عن رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال اذا جمع‌الله الناس يوم القامة ليوم لاريب فيه نادى مناد من كان أشرك فى عمل عمله لله أحدا فليطلب ثوابه من عند غير الله فان الله أغنى الشركاء عن الشرك رواه أحمد ★ و عن عبدالله بن عمرو انه سمع رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم يقول من سمع الناس بعمله سمع الله به

فقوله (الرجل يعمل العمل) مبتدأ و خبر فى محل النصب و قال الطيبى رحمه الله أى أخبرنا بحاله فالرجل منصوب بنزع الخافض و المراد بالعمل جنسه و قوله (من الخير) بيان له و من المعلوم ان لاخير فى العمل للرياء فيكون عمله خالصا (و يحمده الناس عليه) أى يثنونه على ذلك العمل أو على ذلك الخير (و فى رواية و يحبه الناس) أى يعظمونه (عليه) أى على ذلك الخير أو لاجل ذلك العمل (قال تلك) أى المحمدة أو المحبة أو الخصلة أو المثوبة (عاجل بشرى المؤمن) أى معجل بشارته و أما مؤجلها فباق الى يوم آخرته وظاهره انه يستوى فيه انه يعجبه حمدهم ومحبتهم أولا و الثانى أولى و الاول أظهر وسيجىء التصريح به فى حديث أبى هريرة من الفصل الآتى قال المظهر أى أخبرنا بحال من يعمل عملا صالحا لله تعالى لا للناس و يمدحونه هل يبطل ثوابه فقال صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم تلك عاجل بشرى المؤمن يعنى هو فى عمله ذلك ليس مرائيا فيعطيه الله تعالى به ثوابين فى الدنيا و هو حمد الناس له و فى الآخرة ما أعد له (رواه مسلم)

★(الفصل الثانى عن أبى سعد بن أبى فضالة)★ بفتح الفاء قال الطيبى رحمه الله أبو سعد بسكون العين كذا فى مسند أحمد و فى الاستيعاب و جامع الاصول و فى نسخ المصابيح أبو سعيد بياء بعد العين انتهى قال الجزرى هو تصحيف و قال المؤلف اسمه كنيته و هو حارثى انصارى يعد فى أهل المدينة (عن رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم قال اذا جمع الله الناس يوم القيامة ليوم) أى لحسابه و جزائه (لاريب فيه) أى فى وقوع ذلك اليوم أو فى حصول ذلك الجمع قال الطيبى رحمه الله اللام متعلق بجمع و معناه جمع الله الخلق ليوم لابد من حصوله و لايشك فى وقوعه لتجزى كل نفس بما كسبت و قوله يوم القيامة توطئة له و يجوز أن يكون ظرفا لجمع كما جاء فى الاستيعاب اذا كان يوم القيامة جمع الله الاولين و الآخرين ليوم لاريب فيه الحديث فعلى هذا قوله ليوم مظهر وقع مقام المضمر أى جمع الله الخلق يوم القيامة ليجزيهم فيه (نادى مناد من كان أشرك فى عمل عمله لله أحدا) منصوب على انه مفعول أشرك أى أحدا غير الله ولذا قال (فليطلب ثوابه من عند غير الله) و لعل وجه العدول عن قوله من عنده أو من عند ذلك الاحد ما يحصل به من ابهام الايهام ويخل به مقام المرام (فان الله أغنى الشركاء عن الشرك) فهذا الحديث يؤيد ما قررناه آخرا فى معنى الحديث الاول فتأمل (رواه أحمد) و كذا الترمذى و ابن ماجه و رجاله رجال مسلم الازياد بن مينا و قد وثقوه و رواه ابن‌حبان فى صحيحه و البيهقى ذكره ميرك ★(و عن عبدالله بن عمرو) بالواو (انه سمع رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم يقول من سمع الناس) بتشديد الميم أى رآهم بعمله أى المطلوب منه ان يخفيه عن نظر الخلق فاظهره لهم فكأنه ناداهم (سمع الله) بالتشديد أيضا أى أسمع (به) أى بعمله الريائى و السمعى

أسامع خلقه وحقره وصغره رواه البيهقى فى شعب الايمان ✱ وعن أنس ان النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال من كانت نيته طلب الآخرة جعل الله غناه فى قلبه و جمع له شمله و أتته الدنيا و هى راغمة و من كانت نيته طلب الدنيا جعل الله الفقر بين عينيه و شتت عليه أمره و لاياتيه منها الا ما كتب له رواه الترمذى و رواه أحمد و الدارمى عن أبان عن زيد بن ثابت ✱ وعن أبى هريرة قال قلت يا رسول‌الله بينا أنا فى بيتى فى مصلاى اذ دخل على رجل فاعجبنى الحال التى رآنى عليها

(أسامع خلقه) أى آذانهم و محال سماعهم و المعنى جعله مسموعا لهم و مشهورا فيما بينهم فى العقبى أو أظهر لهم سريرته و ملأ أسماعهم مما ينطوى عليه من خبث سرائره جزاء لفعله و يمكن أن يكون الضمير فى قوله به راجعا الى الموصول ففى شرح السنة يقال سمعت بالرجل تسميعا اذا أشهرته و قوله أسامع خلقه هى جمع أسمع يقال سمع و أسمع و أسامع جمع الجمع يريد ان الله يسمع اسماع خلقه به يوم القيامة و حاصله أن أسامع بالنصب مفعول سمع أى بلغ الله مسامع خلقه أنه مراء مزور و أشهره بذلك فيما بين الناس فاسامع جمع أسمع و هو جمع سمع بمعنى الاذن و روى سامع خلقه مرفوعا على انه صفة لله فالمعنى سمع الله الذى هو سامع خلقه يعنى فضحه الله قال صاحب الفائق فى هذه الرواية و لو روى بالنصب لكان المعنى سمع الله به من كان له سمع من خلقه (و حقره و صغره) بالتشديد فيهما أى جعله حقيرا ذليلا من الصغار و هو الذل و لايبعد ان يجعله كالذر صغيرا كما ورد فى حق المتكبرين و الله سبحانه و تعالى أعلم (رواه البيهقى) و فى نسخة صحيحة رواه أحمد و البيهقى (فى شعب الايمان) قال ميرك حديث عبدالله بن عمرو رواه الطبرانى باسانيد أحدها صحيح و البيهقى كذا قاله المنذرى ✱(وعن أنس ان النبى صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم قال من كانت نيته) أى قصده الاصلى فى الامر العلمى و العملى (طلب الآخرة) أى مرضاة مولاه (جعل الله غناه فى قلبه) أى جعله قانعا بالكفاف و الكفاية كيلايتعب فى طلب الزيادة (و جمع له شمله) أى أموره المتفرقة بان جعله مجموع الخاطر بتهيئته أسبابه من حيث لايشعر به (و أتته الدنيا) أى ما قدر و قسم له منها (و هى راغمة) أى ذليلة حقيرة تابعة له لايحتاج فى طلبها الى سعى كثير بل تاتيه هينة لينة على رغم انفها و انف أربابها ولذا قيل العلم يعطى و لو يبطى (و من كانت نيته طلب الدنيا جعل الله الفقر) أى جنس الاحتياج الى الخلق كالامر المحسوس منصوبا (بين عينيه و شتت) بتشديد التاء الاولى أى فرق (عليه أمره و لاياتيه منها) أى من الدنيا (الا ما كتب له) أى و هو راغم فلايأتيه ما يطلب من الزيادة على رغم أنفه و أنف أصحابه قال الطيبى رحمه الله تعالى يقال جمع الله شمله أى ما تشتت من أمره و فرق الله شمله أى ما اجتمع من أمره فهو من الاضداد و الحديث من باب التقابل و المطابقة فقوله جعل الله غناه فى قلبه مقابل لقوله جعل الله الفقر بين عينيه و قوله جمع له شمله مقابل لقوله و شتت عليه أمره و قوله و أتته الدنيا و هى راغمة لقوله و لا يأتيه منها الا ما كتب له فيكون معنى الاول و أتاه ما كتب له من الدنيا و هى راغمة و معنى الثانى و أتاه ما كتب له من الدنيا و هو راغم (رواه الترمذى) أى عن أنس (و رواه أحمد و الدارمى عن أبان) بفتح همزة و تخفيف موحدة يصرف و لايصرف و هو ابن عثمان بن عفان تابعى سمع أباه و كثيرا من الصحابة (عن زيد بن ثابت) قال ميرك و رواه البزار و الطبرانى بمعناه و ابن حبان فى صحيحه ✱(وعن أبى هريرة قال قلت يا رسول‌الله بينا أنا فى بيتى فى مصلاى اذ دخل على رجل فاعجبنى الحال التى رآنى عليها

فقال رسول‌الله صلی‌اللہ‌علیه‌وسلم رحمک الله یا أبا هریرة لک أجران أجر السر و أجر العلانیة رواه الترمذی و قال هذا حدیث غریب ✶ و عنه قال قال رسول‌الله صلی‌اللہ‌علیه‌وسلم یخرج فی آخر الزمان رجال یختلون الدنیا بالدین یلبسون للناس جلود الضأن من اللین ألسنتهم أحلی من السکر و قلوبهم قلوب الذئاب

فقال رسول‌الله صلی‌اللہ‌تعالی‌علیه‌وسلم رحمک الله یا أبا هریرة) قال الطیبی رحمه الله صدر الحدیث اخبار فی معنی الاستخبار یعنی هل تحکم علی هذا انه ریاء أم‌لا و کذلک طابقه قوله صلی‌اللہ‌تعالی علیه‌وسلم رحمک الله یا أبا هریرة (لک أجران أجر السر) أی لاخلاصک (و أجر العلانیة) أی للاقتداء بک أو لفرحک بالطاعة و ظهورها منک قیل معناه فاعجبه رجاء ان یعمل من رآه بمثل عمله فیکون له مثل أجره و هذا معنی قوله صلی‌اللہ‌تعالی‌علیه‌وسلم من سن سنة حسنة کان له أجرها و أجر من عمل بها ذکره فی شرح السنة و الاظهر ان اعجابه بحسب أصل الطبع المطابق للشرع من انه یعجبه انه رآه أحد علی حالة حسنة و یکره ان یراه علی حالة قبیحة مع قطع النظر عن ان یکون ذلک العمل مطمحا للریاء و مطمعا للسمعة فیکون من قبیل قوله صلی‌اللہ‌تعالی‌علیه‌وسلم علی ما رواه الطبرانی عن أبی موسی من سرته حسنة و ساءته سیئة فهو مؤمن و قد قال تعالی قل بفضل الله و برحمته فبذلک فلیفرحوا هو خیر مما یجمعون فالمؤمن یفرح بتوفیق الاعمال کما ان غیره یفرح بتکثیر الاموال و الله تعالی أعلم بالاحوال (رواه الترمذی و قال هذا حدیث غریب) أی اسنادا و قال میرک نقلا عن الجزری رواه صاحب المصابیح فی شرح السنة بهذا السیاق من طریق سعد بن بشر عن الاعمش عن أبی هریرة ثم قال قال أبوعیسی الترمذی هذا حدیث غریب و ظاهر هذا الکلام یدل علی ان الترمذی رواه هکذا و الذی فی الترمذی بغیر هذا اللفظ فقال حدثنا محمد بن المثنی حدثنا أبو سنان الشیبانی عن حبیب بن أبی ثابت عن أبی صالح عن أبی هریرة قال قال رجل یارسول‌الله الرجل یعمل العمل فیسره فاذا اطلع علیه أعجبه ذلک فقال رسول‌الله صلی‌اللہ‌تعالی‌علیه‌وسلم له أجران أجر السر و أجر العلانیة قال أبوعیسی هذا حدیث غریب و قد روی الاعمش و غیره عن حبیب عن أبی صالح عن النبی صلی‌اللہ‌تعالی‌علیه‌وسلم مرسلا انتهی کلام الترمذی و الله تعالی أعلم ✶(و عنه) أی عن أبی هریرة (قال قال رسول‌الله صلی‌اللہ‌تعالی‌علیه‌وسلم یخرج فی آخر الزمان) أی یظهر (رجال یختلون) بسکون الخاء و کسر التاء أی یطلبون (الدنیا بالدین) أی بعمل أهل الآخرة أو یستبدلونها به و یختارونها عنه و الاظهر ان معناه یخدعون أهل الدنیا بعمل الدین من ختله اذا خدعه و المعنی یختلون فی طلبها بملابسة الامور الدینیة و التدرع بلباسها علی وجه الریاء و السمعة و سائر الاحوال الدنیة کما یدل علیه قوله (یلبسون للناس) أی لا لله (جلود الضأن) بسکون الهمزة و یبدل و المراد به عینه أو ما علیه من الصوف و هو الاظهر فالمعنی انهم یلبسون الاصواف لیظنهم الناس زهادا و عبادا تارکین الدنیا راغبین فی العقبی (من اللین) أی من أجل اظهار التلین و التلطف و التمسکن و التقشف مع الناس و أرادوا به فی حقیقة الامر التملق و التواضع فی وجوه الناس لیصیروا مریدین لهم و معتقدین لاحوالهم (ألسنتهم أحلی من السکر و قلوبهم قلوب الذئاب) بهمز و یبدل أی أمر من مرارتها من شدة حب الدنیا و الجاه و کثرة البغض و العداوة لاهل التقوی و غلبة الصفات البهیمیة و الشهوات الحیوانیة و الارادات النفسانیة کما قال تعالی و من الناس من یعجبک قوله فی الحیاة الدنیا و یشهد الله علی ما فی قلبه

يقول الله أبى يغترون أم على يجترؤن فبى حلفت لابعثن على أولئك منهم فتنة تدع الحليم فيهم حيران رواه الترمذى ★ و عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الله تبارك و تعالى قال لقد خلقت خلقا ألسنتهم أحلى من السكر و قلوبهم أمر من الصبر فبى حلفت لاتيحنهم فتنة تدع الحليم فيهم حيران فبى يغترون أم على يجترؤن رواه الترمذى و قال هذا حديث غريب ★ و عن أبى هريرة قال قال النبى صلى الله عليه وسلم ان لكل شئ شرة و لكل شرة فترة فان صاحبها سدد و قارب

و هو ألد الخصام أى على الطعام و على تحصيل المال الحرام (يقول الله أبى) أى باموالى (يغترون) أى لم يدروا انى أمهل و لا أهمل و المراد بالاغترار هنا عدم الخوف من الله تعالى و ترك التوبة من فعلهم القبيح أى أفلايخافون من سخطى و عقابى (أم على) أى على مخالفتى (يجترئون) أى بمكرهم الناس فى اظهار الاعمال الصالحة افتعال من الجراءة ولذا قيل الاجتراء الانبساط و التشجع قال الطيبى رحمه الله أم منقطعة أنكر أولا اغترارهم بالله و باهماله اياهم حتى اغتروا ثم أضرب عن ذلك و أنكر عليهم ما هو أطم منهم و هو اجتراؤهم على الله (فبى) أى فبذاتى و صفاتى (حلفت لابعثن) من البعث أى لاسلطن أو لاقضين (على أولئك) أى الموصوفين بما ذكر (منهم) أى مما بينهم بتسليط بعضهم على بعض (فتنة تدع الحليم) أى تترك العالم الحازم فضلا عن غيره و فى بعض نسخ المصابيح الحكيم بالكاف بدل الحليم باللام و المؤدى واحد (فيهم) أى فيما بينهم (حيران) أى حال كونه متحيرا فى الفتنة لايقدر على دفعها و لا على الخلاص منها لا بالاقامة فيها و لا بالفرار منها قال الاشرف من فى منهم يجوز أن يكون للتبيين بمعنى الذين و الاشارة الى الرجال وتقديره على أولئك الذين يختلون الدنيا بالدين و أن يجعل متعلقا بالفتنة أى لابعثن على الرجال الذين يختلون الدنيا بالدين فتنة ناشئة منهم (رواه الترمذى ★ و عن ابن عمر عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان الله تبارك) أى تكاثر خيره و بره (و تعالى) أى تعظم أن يدرك كنهه (قال لقد خلقت خلقا) أى جمعا من المخلوقين (ألسنتهم أحلى من السكر) أى لما يظهر عليهم من أثر الوعظ و الذكر و أثر الصبر و الشكر (و قلوبهم أمر من الصبر) ضبط فى أكثر النسخ بكسر الباء و فى بعضها بسكونها و فى القاموس الصبر ككتف و لايسكن الا فى ضرورة الشعر عصارة شجر مر و المشهور على السنة العامة بكسر الصاد وسكون الباء ولعله مأخوذ من لغات الكتف فيكون من باب النقل تخفيفا (فبى حلفت لاتيحنهم) من الاتاحة بمعنى التقدير يقال أتاح الله لفلان كذا اى قدره له و أنزله به فالفعل من باب الحذف و الايصال فالمعنى لأتيحن لهم (فتنة تدع الحليم فيهم حيران فبى يغترون) بتقدير الاستفهام (أم على يجترؤن رواه الترمذى و قال هذا حديث غريب ★ و عن أبى هريرة قال قال النبى) و فى نسخة رسول الله (صلى الله تعالى عليه وسلم ان لكل شئ شرة) بكسر الشين المعجمة و تشديد الراء الحرص على الشئ و النشاط فيه و الرغبة (ولكل شرة فترة) بفتح الفاء و سكون التاء أى وهنا و ضعفا و فى نسخة برفعها و المعنى ان العابد يبالغ فى العبادة فى أول أمره و كل مبالغ يفتر و يسكن حدته و مبالغته فى أمره و لو بعد حين (فان صاحبها) فاعل فعل دل عليه قوله (سدد) أى قصد السداد و الاستقامة أو اقتصد فى أمر على مداومته لكن لاتقطعه الطاعة و العبادة (و قارب) أى دنا من التوسيط و احترز من الافراط

فارجوه و ان أشير اليه بالاصابع فلا تعدوه رواه الترمذی ★ و عن أنس عن النبی صلی‌الله‌علیه وسلم قال بحسب امریء من الشر أن يشار اليه بالاصابع فی دين أو دنيا الا من عصمه الله

و التفريط (فارجوه) أی أن يكون من الفائزين فان من سلک الطريق المتوسط يقدر علی مداومته لكن لاتقطعوا له فان الله هو الذی يتولی السرائر (و ان أشير اليه بالاصابع) أی و ان اجتهد و بالغ فی العمل ليصير مشهورا بالزهد و العبادة و صار مشهورا و مشارا اليه فيها (فلا تعدوه) أی شيأ و لاتعتقدوه صالحا لكونه من المرائين حيث جعل أوقات فترته عبادة و هو لايتصور الا فيما يتعلق به رياء و سمعة و أيضا اذا أقبل الناس عليه بوجوههم ربما زاد فی العبادة و حصل له عجب و غرور فصار من الهالكين الا أن يتداركه الله بفضله و جعله من المخلصين و توضيحه ان الانسان يشتغل بالاشياء علی حرص شديد و مبالغة عظيمة فی أول الامر ثم ان تلك الشرة يتبعها فترة فان كان مقتصدا محترزا عن جانبی الافراط و التفريط و سالكا الطريق المستقيم فارجوا كونه من الفائزين الكاملين و ان سلک طريق الافراط حتی يشار اليه بالاصابع فلاتلتفتوا اليه و لا تعولوا عليه فانه ربما يكون من الهالكين لكن لا تجزموا بانه من الخاسرين و لاتعدوه منهم لكن لاترجوه كما رجوتم المقتصد اذ قد يعصم الله فی صورة الافراط و الشهرة كما انه قد يعفو عن صاحب التفريط و راعی التقصير فی العبادة قال الطيبی رحمه الله و يؤيد هذا التأويل الحديث الذی يليه و الاستثناء فيه فترك ما للقسم الثالث لظهوره (رواه الترمذی) و رواه البيهقی عن ابن عمر مرفوعا و لفظه ان لكل شیء شرة و لكل شرة فترة فمن كانت فترته الی سنتی فقد اهتدی و من كانت فترته الی غير ذلک فقد هلک ★ (و عن أنس عن النبی صلی‌الله‌تعالی‌علیه‌وسلم قال بحسب امریء) الباء زائدة أی يكفيه (من الشر أن يشار اليه بالاصابع فی دين أو دنيا) فان من اشتهر بخصلة قلما سلم من الآفات الخفية كالكبر و العجب و الرياء و السمعة و غير ذلک من الاخلاق الدنية (الا من عصمه الله) أی حفظه الله فی مقام تقواه و لذا أختار طائفة من الصوفية طريق الملامية فی كتمان العبادات الدينية اظهارا للشهوات النفسانية الدنية قيل للحسن البصری ان الناس قد أشاروا اليک بالاصابع فقال لايريد النبی صلی‌الله‌تعالی‌علیه‌وسلم ذلک و انما عنی به المبتدع فی دينه الفاسق فی دنياه انتهی و وجهه أن الاشارة انما تكون فی البدعة والغرابة لكن قد توجد فی الكثرة المجاوزة عن حد العادة فيحصل به الاشارة و الشرة فتارة تفضی بصاحبها الی الرياء و السمعة و الطمع من الناس فی المنزلة و تارة يعصمه الله من نظر ما سواه فلا يلتفت الی غيره و يعرف أن الغير لايقدر علی دفع الشر و لا جلب الخير و لا اعتبار بالخلق مدحا و ذما لا فی العبارة و لا فی الاشارة فانه ما أيسر الدعوی و ما أعسر المعنی فهذه حالة فيها أشارة الی كمال البشارة لكنه مزلة الاقدام للرجال و مزلقة افهام الجبال كما ورد لايؤمن أحدكم حتی يكون الخلق عنده كالاباعر و توضيحه ما ذكره الطيبی رحمه الله باحسن عبارة و أزين أشارة حيث قال و بين الحال يعنی حب الرياسة و الجاه فی قلوب الناس هو من أحر غوائل النفس و مواطن مكائدها يبتلی به العلماء و العباد و المشمرون عن ساق الجد لسلوك طريق الآخرة من الزهاد فانهم مهما قهروا أنفسهم و فطموها عن الشهوات وصانوها عن الشبهات وحملوها بالقهر علی أصناف العبادات عجزت نفوسهم عن الطمع فی المعاصی الظاهرة الواقعة علی الجوارح فطلبت الاستراحة الی التظاهر بالخير و اظهار العلم و العمل فوجدت مخلصا من مشقة المجاهدة الی لذة القبول عند الخلائق

رواه البيهقى فى شعب الايمان

★ (الفصل الثالث) ★ عن أبي تميمة قال شهدت صفوان و أصحابه و جندب يوصيهم فقالوا هل سمعت من رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم شيأ قال سمعت رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم يقول من سمع سمع الله به يوم القيامة و من شاق شق الله عليه يوم القيامة قالوا أوصنا فقال ان أول ما ينتن من الانسان بطنه فمن استطاع أن لا يأكل الا طيبا فليفعل

و لم تقنع باطلاع الخالق و فرحت بحمد الناس و لم تقنع بحمد الله وحده فاحب مدحهم و تبركهم بمشاهدته و خدمته و اكرامه و تقديمه فى المحافل فاصابت النفس فى ذلك أعظم اللذات و ألذ الشهوات و هو يظن ان حياته بالله تعالى و عباداته و انما حياته بهذه الشهوات الخفية التى تعمى عن دركها الا العقول الناقدة قد أثبت أسمه عند الله من المنافقين و هو يظن انه عند الله من عباده المقربين فهذه مكيدة للنفس لايسلم عنها الا الصديقون من المخلصين و لذلك قيل آخر ما يخرج من رؤس الصديقين حب الرياسة و هو أعظم شبكة للشياطين فاذا المحمود هو المخمول الا من شهره الله تعالى بنشر دينه من غير تكلف منه كالانبياء و المرسلين و الخلفاء الراشدين و العلماء المحققين و السلف الصالحين و الحمد لله رب العالمين (رواه البيهقى فى شعب الايمان) أى عن أنس و عن أبى‌هريرة أيضا على ما فى الجامع

★ (الفصل الثالث) ★ (عن أبى تميمة) قال المؤلف هو طريف بن مجالد الجهمى البصرى كان أصله من عرب اليمن فباعه عمه و هو تابعى روى عنه نفر من الصحابة و عنه قتادة و غيره مات سنة خمس و تسعين (قال شهدت صفوان و أصحابه) الظاهر ان المراد به صفوان بن سليم الزهرى مولى حميد بن عبد الرحمن بن عوف تابعى جليل القدر من أهل المدينة مشهور روى عن أنس ابن مالك و نفر من التابعين كان من خيار عباد الله الصالحين يقال انه لم يضع جنبه على الارض أربعين سنة و يقال ان جبهته ثقبت من كثرة السجود و كان لايقبل جوائز السلطان و مناقبه كثيرة روى عنه ابن عيينة ذكره المؤلف ثم الظاهر ان المراد باصحابه اتباعه فى العلم و العمل (و جندب) أى حضرتهم و الحال ان جندب بن عبد الله بن سفيان البجلى وهو من أكابر الصحابة (يوصيهم) بالتخفيف و يشدد و المعنى يعظهم فى الاستقامة على المجاهدة أو بزيادة العبادة أو بالاقتصاد فى الطاعة أو بالاحتراز عن الرياء و السمعة و عن الاشارة و الشهرة و الاظهر الاخيران كما يدل عليه السؤال و الجواب (فقالوا هل سمعت من رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه وسلم شيأ) أى من الاحاديث فحدثنا به وأفدنا من كلامه فانه اقوى تاثيرا وألطف تعبيرا (قال سمعت رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم يقول من سمع سمع الله به يوم القيامة) سبق مبناه و معناه (و من شاق) صيغة المفاعلة اذا لم تكن للمغالبة فهى للمبالغة فالمعنى ان من شق على نفسه بان يكلفها فوق طاقتها أو شق على غيره بان حمله فوق استطاعته و منه قوله صلى‌الله‌عليه‌وسلم لولا ان أشق على أمتى لامرتهم بالسواك عند كل صلاة قال الطيبى رحمه الله أطلق ليشمل فتأمل (شق الله) و فى نسخة صحيحة شاق الله (عليه يوم القيامة قالوا) أى الصحابة للنبى صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم بدلالة المقام على ذكرهم و هو الظاهر أو صفوان و أصحابه لجندب على ماهو المتبادر من قاعدة رجوع الضمير (أوصنا فقال ان أول ما ينتن) بضم أوله أى ما يفسد (من الانسان بطنه) أى فى الدنيا فانه محل النتن أو فى القبر بالتفقع (فمن استطاع ان لاياكل الا طيبا) أى حلالا (فليفعل) أى

و من استطاع ان لايحول بينه و بين الجنة ملء كف من دم أهراقه فليفعل رواه البخارى ★ و عن عمر ابن الخطاب انه خرج يوما الى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد معاذ بن جبل قاعدا عند قبر النبى صلى الله عليه وسلم يبكى فقال ما يبكيك قال يبكينى شئ سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان يسير الرياء شرك و من عادى لله وليا فقد بارز الله بالمحاربة ان الله يحب الابرار الاتقياء الاخفياء الذين اذا غابوا لم يتفقدوا

ما استطاع أو معناه فليأكل فان من عرف ان مآل المأكول ما ذكر من الاحوال فلاينبغى له ان يجتهد فى لذات النفس من طرق الوبال بل عليه ان يكتفى بالحلال و لو بقليل من المال و قد أنشد ابن أدهم

و ما هى الاجوعة قد سددتها ★ و كل طعام بين جنبى واحد

و تكلف الطيبى رحمه الله حيث قال نتن البطن كناية عن مسه النار و انما يفتقر الى هذا التأويل ليطابق قوله فمن استطاع ان لايأكل الا طيبا أى حلالا و نظيره قوله تعالى ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون فى بطونهم نارا و لادلالة على ان أول ما يمس النار منه هو البطن (و من استطاع ان لايحول) أى من قدر على ان لايمنع (بينه و بين الجنة) أى دخولها أولا مع الفائزين (ملء كف من دم اهراقه) بفتح الهاء و يسكن أى صبه (فليفعل) أى ما استطاع مما ذكر و قلله بقوله ملء كف اشارة الى أن القليل يحول فكيف بالكثير و قيل اشعار الى تسفيه القائل بان فوت الجنة على نفسه بهذا الشئ الحقير المسترذل (رواه البخارى) و ذكره السيوطى فى باب نتن الميت و بلاء جسده الا الانبياء و من الحق بهم من كتاب شرح الصدور فى أحوال القبور و أخرج البخارى من حديث جندب البجلى أول ما ينتن من الانسان بطنه انتهى و الظاهر من عبارته ان الحديث بكماله مرفوع و الله تعالى أعلم ★(و عن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه أنه خرج يوما الى مسجد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فوجد معاذ بن جبل قاعدا عند قبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يبكى فقال) أى عمر رضى الله تعالى عنه (ما يبكيك) أى أى شئ يجعلك باكيا أشوقا الى اللقاء أم وقوعا من الله بعض البلاء أو غير ذلك من أسباب البكاء (قال يبكينى شئ سمعته من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) جواب سؤال مقدر (يقول ان يسير الرياء) أى قليله (شرك) أى عظيم أو نوع من الشرك يعنى و هو فى غاية من الخفاء لانه أدق من دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء فى الليلة الظلماء و قلما يسلم منه الا قوياء فكيف الضعفاء فهو من جملة أسباب البكاء و سبب آخر اذى الاولياء و غالبهم أخفياء كما فى الحديث القدسى أوليائى تحت قبائى لايعرفهم غيرى و الانسان لايخلو عن بذاذة اللسان مع الاخوان مما يجر الى العصيان و كانه أراد هذا المعنى بقوله (و من عادى) أى آذى و أغضب بالفعل أو القول (لله وليا) أى واحدا من أوليائه تعالى (فقد بارز الله) أى أظهر له نفسه (بالمحاربة) و فى التعبير عن المخالفة بالمحاربة اشارة الى انها جراءة عظيمة و جناية جسيمة قال الطيبى رحمه الله قوله لله لايجوز ان يكون متعلقا بعادى فهو اما متعلق بقوله وليا أو صفة له قدم فصار حالا منه (ان الله يحب الابرار) أى الذين يعملون عمل البر و هو الطاعة للحق و الاحسان للخلق ولذا قال بعض العارفين مدار الدين على التعظيم لامر الله و الشفقة على خلق الله (الاتقياء) أى عن الشرك الجلى و الخفى و عن المناهى و الملاهى (الاخفياء) أى عن نظر الخلق من عامتهم و عن مخالطتهم و معاشرتهم (الذين اذا غابوا) أى من غاية الخمول (لم يتفقدوا) بصيغة المجهول ففى القاموس تفقده طلبه عند غيبته و منه

و ان حضروا لم يدعوا و لم يقربوا قلوبهم مصابيح الهدى يخرجون من كل غبراء مظلمة رواه ابن ماجه و البيهقى فى شعب الايمان ✱ و عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان العبد اذا صلى فى العلانية فاحسن

قوله تعالى و تفقد الطير (و ان حضروا) أى فيما بينهم (لم يدعوا) بصيغة المفعول أى لم يطلبوا الى الدعوة و غيرها (و لم يقربوا) بالمجهول أيضا أى و لم يقربهم العامة و لم يعرفوا قدر قربهم و مقدار منزلتهم قال الطيبى رحمه الله قوله ان الله استئناف مبين لحقيقة الولى و ذكر لهم احوالا ثلاثا اذا كانوا سفرا لم يتفقدوا و اذا كانوا حاضرين لم يدعوا الى مادبة و ان حضروها لم يقربوا و تركوا فى صف النعال و هذا تفصيل ما ورد رب أشعث أغبر لايؤبه به لو أقسم على الله لابره (قلوبهم مصابيح الهدى) أى هم أدلة الهداية و هداة العناية فيستحقون الرعاية بل ينبغى ان يطلب منهم الحماية (يخرجون من كل غبراء مظلمة) أى من عهدة كل مسئلة مشكلة أو بلية معضلة و قال الطيبى رحمه الله كناية عن حقارة مساكنهم و انها مظلمة مغبرة لفقدان أداة ما يتنور و يتنظف به (رواه ابن ماجه) أى فى سننه (و البيهقى فى شعب الايمان) و قد جاء فى صدر حديث من أحاديث الاربعين مما رواه البخارى عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب قال شارح له أى أعلمته بمحاربته و معاداته معى أو بانى ساحاربه و أقهره و أنتصر منه و أنتقم له و فى رواية و انى لاغضب لاوليائى كما يغضب الليث للجرو أى لولده و فى أخرى انه ينتقم بعدوه ثم الولى بحسب التركيب يدل على القرب فكانه قريب منه سبحانه لاستغراقه فى نور معرفته و جماله و جلاله و كمال مشاهدته و اختلفوا فى تعريفه فقال المتكلمون الولى من كان آتيا بالاعتقاد الصحيح المبنى على الدليل و بالاعمال الشرعية أى كذلك و يؤيده ما قاله بعض الكبراء انه ان كان العلماء ليسوا باولياء فليس لله ولى و قال الغزالى رحمه الله تعالى الولى من كوشف ببعض المغيبات و لم يؤمر باصلاح الناس و فى كل منهما نظر اذ أكثر الاولياء لاسيما من السلف الصالحين لم يظهر عليهم كرامة و كشف حالة بخلاف بعض الخلف المتأخرين فقيل لقوة قلوب الاولين و ضعف دين الآخرين و لان الاولياء و هم العلماء العاملون لاشك انهم كاملون فى أنفسهم مكملون لغيرهم فهم الآمرون بالمعروف و الناهون عن المنكر و الحافظون لحدود الله و الواعظون عن الاشتغال بما سواه كما أشار اليه الحديث بقوله مصابيح الهدى فطوبى لمن بهم اقتدى و بنورهم استضاء و اهتدى فالاقرب فى معناه ما ذكره القشيرى رحمه الله من ان الولى اما فعيل بمعنى المفعول و هو من يتولى الله حفظه و حراسته على التوالى أو بمعنى الفاعل أى من يتولى عبادة الله و طاعته و يتوالى عليها من غير تخلل معصية و كلا الوصفين شرط فى الولاية انتهى كلامه و فيه اشعار بان أو للتنويع و ايماء فى الاول الى المجذوب السالك المعبر عنه بالمراد و فى الثانى الى السالك المجذوب المعبر عنه بالمريد و قد أشار اليهما سبحانه فى قوله الله يجتبى اليه من يشاء و يهدى اليه من ينيب و تحقيقه ان يقال الولى هو من يتولى الله بذاته أمره فلا تصرف له أصلا اذ لا وجود له و لا ذات و لا فعل و لا وصف فهو الفانى بيد الباقى كالميت بين يدى الغاسل يفعل به ما يشاء حتى يمحو رسمه و اسمه و يمحو عينه و أثره و يحييه بحياته و يبقيه ببقائه و يوصوله الى لقائه ✱ (و عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان العبد اذا صلى فى العلانية فاحسن) أى فى أداء صلاته بالقيام

و صلى فى السر فاحسن قال الله تعالى هذا عبدى حقا رواه ابن ماجه ★ و عن معاذ بن جبل ان النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال يكون فى آخر الزمان أقوام اخوان العلانية أعداء السريرة فقيل يا رسول‌الله و كيف يكون ذلك قال ذلك برغبة بعضهم الى بعض و رهبة بعضهم من بعض ★ وعن شداد بن أوس قال سمعت رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم يقول من صلى يرائى فقد أشرك و من صام يرائى فقد أشرك و من تصدق يرائى فقد أشرك رواهما أحمد ★ و عنه انه بكى فقيل له ما يبكيك قال شئ سمعت من رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم يقول فذكرته فابكانى سمعت رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم يقول أتخوف على أمتى الشرك

بشرائطه و واجباته و سننه و مستحباته و كذا فى سائر طاعاته و عباداته (و صلى فى السر) أى فى الخلوة عن الخلق (فاحسن) أى عمله اكتفاء بنظر الحق (قال الله تعالى هذا) أى العبد (عبدى) أى المخلص لى (حقا) أى صدقا خاليا عن ان يكون عمله فى العلانية نفاقا و لعل هذا هو السر فى حثه صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم ان يصلى السنن و النوافل فى البيت (رواه ابن ماجه ★ و عن معاذ ابن جبل ان النبى صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم قال يكون) ان يوجد و يحدث (فى آخر الزمان أقوام) أى جماعات كثيرة أو مختلفة مؤتلفة (اخوان العلانية أعداء السريرة) أى احباء فى الظواهر و اعداء فى السرائر ذكرهما من غير عطف على سبيل التعداد أو من قبيل الخبر بعد الخبر قال الطيبى رحمه‌الله فى مقدرة فيها و فى قرينتها الجوهرى السر ما يكتم و السريرة مثله (فقيل يا رسول‌الله و كيف يكون ذلك) أى ما ذكر و ما يكون سببه (قال ذلك برغبة بعضهم الى بعض) أى بسبب طمع طائفة منهم الى أخرى (و رهبة بعضهم) أى خوفهم (من بعض) و الحاصل انهم ليسوا من أهل الحب فى الله و البغض لله بل أمورهم متعلقة بالاغراض الفاسدة و المقاصد الكاسدة فتارة يرغبون فى قوم لاغراض فيظهرون لهم الصداقة و تارة يكرهون قوما لعلل فيظهرون لهم العداوة و خلاصته انه لاعبرة بمحبة الخلق و عداوتهم فانهما مبنيتان على غرضهم و شهوتهم ★ (و عن شداد بن أوس قال سمعت رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم يقول من صلى يرائى) أى مرائيا (فقد أشرك) أى شركا خفيا كما سيجيء مصرحا فيما يليه من حديثه (و من صام يرائى فقد أشرك) فيه اشعار بان الرياء له مدخل فى الصيام أيضا خلافا لمن نفاه و علله بان مدار الصوم على النية و لايدخل فيها الرياء و لاعبرة بعدم أكله و شربه مع عدم صحة الطوية فانانقول الرياء المحض لايتصور فى الصوم لكن الرياء قد يوجد على وجه الاشتراك بان يريد به وجه الله و يريد به أيضا التشهير أو غرضا سواه سواء يكون المقصدان متساويين أو متقابلين على ما تقدم تفصيل المرام فى كلام حجة الاسلام (و من تصدق يرائى فقد أشرك رواهما) أى الحديثين (أحمد ★ و عنه) أى عن شداد (انه بكى فقيل له ما يبكيك قال شئ) أى يبكينى شئ (سمعت) أى سمعته (من رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم) فيه استعمال من على أصله (يقول) أى حال كونه قائلا و فيه نوع من التأكيد (فذكرته) أى المسموع أو المقول (فابكانى) أى فصار ذلك سببا لحزنى و بكائى وفيه نوع من الاجمال ولذا استأنف بيانه فقال (سمعت رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم يقول أتخوف) قال الراغب الخوف توقع أمر مكروه عن أمارة مظنونة أو معلومة و التخوف ظهور الخوف من الانسان انتهى و الظاهر ان التاء للمبالغة و المعنى أخاف خوفا كثيرا (على أمتى الشرك) أى الخفى و يدل على صحة تقديرنا ما جاء فى رواية أخوف ما أخاف على أمتى الاشراك بالله

والشهوة الخفية قال قلت يارسول الله أتشرك أمتك من بعدك قال نعم أما أنهم لا يعبدون شمسا ولا قمرا و لا حجرا و لا وثنا و لكن يراؤن باعمالهم و الشهوة الخفية أن يصبح أحدهم صائما فتعرض له شهوة من شهواته فيترك صومه رواه أحمد . و البيهقي في شعب الايمان ★ و عن أبي سعيد الخدري قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم و نحن نتذاكر المسيح الدجال فقال ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال فقلنا بلى يا رسول الله قال الشرك الخفي أن يقوم الرجل فيصلي فيزيد صلاته لما يرى من نظر رجل رواه ابن ماجه

(و الشهوة الخفية) أي التي لا يدركها إلا أصحاب الرياضات الرضية و المجاهدات القدسية والمخالفات النفسية (قال قلت يا رسول الله أ تشرك) بالتذكير وتؤنث (أمتك من بعدك قال نعم أما) بالتخفيف للتنبيه على انه لا يريد به الشرك الجلي (انهم لا يعبدون شمسا و لا قمرا و لا حجرا و لا وثنا) أي أي و لا صنما و نحو ذلك فهو تعميم بعد تخصيص (و لكن يراؤن باعمالهم) و قد قال تعالى فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا و لا يشرك بعبادة ربه أحدا (و الشهوة الخفية أن يصبح أحدهم صائما) أي ناويا للصوم (فتعرض) بكسر الراء مرفوعا و منصوبا أي فتظهر (له شهوة من شهواته) أي كالاكل و الجماع و غيرهما ذكره الطيبي رحمه الله و الاظهر ان المراد بالشهوة الخفية شهوة خاصة عزيزة الوجود من بين مشبهاته بحيث لا توجد في جميع أوقاته فيميل اليها بالطبع و لا يلاحظ مخالفته للشرع حيث قال تعالى و لا تبطلوا أعمالكم و النفل يلزم بالشروع فيجب اتمامه (فيترك صومه) أي و هو حرام عليه من غير ضرورة داعية اليه قال الطيبي رحمه الله يعني اذا كان الرجل في طاعة من طاعات الله تعالى فتعرض له شهوة من شهوات نفسه يرجح جانب النفس على جانب الله تعالى فيتبع هوى نفسه فيؤديه ذلك الى الهلاك و الردى قال تعالى فاما من طغى و آثر الحياة الدنيا فان الجحيم هي الماوى و أما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي الماوى اه و فيه ان المراد بالهوى في الآية الشهوة الجلية وهي المحرمات و الامور المنهية ثم قال و سمى خفيا لخفاء هلاكه أو مشاكلة لقوله الشرك لان المراد منه الشرك الخفي بدلالة ما ذكر في الحديث الآتي انتهى و فيه انه لا يظهر وجه المشاكلة لا في الاطلاق و لا في التقييد بحسب المقابلة (رواه أحمد) أي في مسنده (و البيهقي في شعب الايمان) قال ميرك و رواه الحاكم و قال صحيح الاسناد و في الجامع الشهوة الخفية و الريا شرك رواه الطبراني عن شداد و رواه ابن ماجه عنه و لفظه ان أخوف ما أخاف على أمتي الإشراك بالله أما اني لست أقول يعبدون شمسا و لا قمرا و لا وثنا و لكن أعمالا لغير الله و شهوة خفية ★ (وعن أبي سعيد) أي الخدري كما في نسخة (قال خرج علينا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم و نحن نتذاكر المسيح الدجال فقال ألا أخبركم) قال الطيبي رحمه الله الا ليست للتنبيه بل هي لا النافية دخلت عليها همزة الاستفهام يعني بقرينة بلى في جوابهم و المعنى ألا أعلمكم (بما هو أخوف عليكم) أي لعمومه و خفائه (عندي) أي في شريعتي و طريقتي (من المسيح الدجال) أي لخصوص وقته و لظهور مقته فيجب عليكم رعاية محافظته (فقلنا بلى يا رسول الله قال الشرك الخفي أن يقوم) بدل مما قبله أو التقدير هو ان يقوم (الرجل فيصلي) بالرفع و النصب و كذا قوله (فيزيد) أي في الكمية أو الكيفية (صلاته) أي في جميع أركانها أو بعضها (لما يرى من نظر رجل) أي مخلوق مثله (اليه) و لم يكتف باطلاعه سبحانه عليه (رواه ابن ماجه)

★ و عن محمود بن لبيد ان النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال ان أخوف ما أخاف عليكم الشرك الاصغر قالوا يا رسول‌الله و ما الشرك الاصغر قال الرياء رواه أحمد و زاد البيهقى فى شعب الايمان يقول الله لهم يوم يجازى العباد باعمالهم اذهبوا الى الذين كنتم تراؤن فى الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء و خيرا ★ و عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم لو ان رجلا عمل عملا فى صخرة لا باب لها و لا كوة خرج عمله الى الناس كائنا ما كان ★ و عن عثمان ابن عفان قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم من كانت له سريرة صالحة أو سيئة أظهر الله منها رداء يعرف به ★ و عن عمر بن الخطاب عن النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال انما أخاف على هذه الامة كل منافق يتكلم بالحكمة و يعمل بالجور

★(وعن محمود بن لبيد) انصارى اشهلى ولد على عهد رسول‌الله صلى‌الله تعالى‌عليه‌وسلم وحدث عنه أحاديث قال البخارى له صحبة و قال أبوحاتم لايعرف له صحبة و ذكره مسلم فى التابعين و قال ابن عبدالبر الصحيح قول البخارى (ان النبى صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم قال ان أخوف ما أخاف عليكم الشرك الاصغر قالوا يا رسول‌الله و ما الشرك الاصغر) فيه دلالة على ان التعبير بالشرك الاصغر وقع فى هذا الحديث أولا (قال الرياء) أى جنس الرياء و السمعة من الظهور و الخفاء (رواه أحمد و زاد البيهقى فى شعب الايمان يقول الله لهم) أى للمرائين (يوم يجازى العباد) على بناء الفاعل و نصب العباد و فى نسخة على بناء المفعول و رفع العباد (باعمالهم) أى ان خيرا فخير و ان شرا فشر (اذهبوا) أى أيها المراؤن (الى الذى كنتم تراؤن) أى فى حسن العبادة أو أصلها نظرهم تراءون (فانظروا هل تجدون عندهم جزاء وخيرا) الواو بمعنى أوكما فى نسخة أوعطف‌تفسير و الله تعالى أعلم قال الحافظ المنذرى حديث محمود بن لبيد هذا رواه أحمد باسناد جيد و ابن أبى الدنيا و البيهقى فى الزهد و غيره ★ (و عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم لو ان رجلا عمل عملا فى صخرة) أى فى داخل حجر صلب فرضا أو فى جوف كهف جبل (لا باب لها و لا كوة) بفتح الكاف و تضم و تشديد الواو أى طاقة و قيل هى بالفتح اذا كانت غير نافذة و بالضم اذا كانت نافذة فالاولى أولى لانها فى باب المبالغة أعلى (خرج عمله الى الناس) أى ظهر عليهم (كائنا) أى ذلك العمل (ما كان) أى من الاعمال و نصب كائنا على الحال أى حال كون ذلك العمل أى شئ كان خيرا أو شرا من الاقوال و الافعال و فى نسخة من كان فالتقدير كائنا ذلك العامل أو صاحب العمل من كان أى سواء أراد ظهوره أو لم يرده لقوله تعالى و الله مخرج ما كنتم تكتمون ★ (و عن عثمان بن عفان) بلاصرف و يصرف (رضى‌الله عنه قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم من كانت) بالتأنيث و فى نسخة من كان (له سريرة) أى طوية (صالحة أو سيئة أظهر الله منها) أى من تلك السريرة (رداء) أى علامة من هيئة و صورة (يعرف به) أى يمتاز به عن غيره كما يعرف بالرداء كون الرجل من الاعيان أو غيره من الاعوان ★ (و عن عمر بن الخطاب رضى‌الله تعالى عنه عن النبى صلى‌الله تعالى‌عليه‌وسلم قال انما أخاف على هذه الامة) أى امة الاجابة (كل منافق) بالنصب و المعنى ما أخاف عليهم الا شر كل منافق أى مراء أو فاسق (يتكلم بالحكمة) أى بالشريعة و الموعظة الحسنة (و يعمل بالجور) أى بالظلم و السيئة و يعدل عن جادة الاستقامة وقد أبعد الطيبى رحمه الله حيث جوز أن يكون كل منافق مجرورا بدلا من هذه الامة فانه يقتضى أن يكون التقدير ما أخاف الا على كل منافق و لا يخفى فساده

روى البيهقى الاحاديث الثلاثة فى شعب الايمان ✶ و عن المهاجر بن حبيب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى انى لست كل كلام الحكيم أتقبل و لكنى أتقبل همه و هواه فان كان همه و هواه فى طاعتى جعلت صمته حمدا لى و وقارا و ان لم يتكلم رواه الدارمى

✶ (باب البكاء و الخوف) ✶ ✶ (الفصل الاول) ✶ عن أبى هريرة قال قال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم و الذى نفسى بيده لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيرا و لضحكتم قليلا رواه البخارى

اللاحق سواء جعل بدل الكل أو البعض فان المبدل حينئذ يكون فى قوة المطروح و يقع الاهتمام بشأن البدل فتأمل ثم لا يفيده استدراكه بقوله أى أخاف عليهم من النفاق فان هذا المعنى صحيح فى نفس الامر بالوفاق (روى البيهقى الاحاديث الثلاثة فى شعب الايمان ✶ و عن المهاجر ابن حبيب) لم يذكره المؤلف فى أسمائه (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال الله تعالى انى لست كل كلام الحكيم) أى جميع قول العالم و هو مفعول مقدم لخبر ليس و هو قوله (أتقبل) لانى لا أنظر الى الاقوال و حركة اللسان بل أنظر الى الاحوال و بركة الجنان و هذا معنى قوله (و لكنى أتقبل همه) أى نيته و لو كانت فى أوائل مراتب الخواطر (و هواه) أى قصده المتقرر فى الاواخر لان نية المؤمن خير من عمله حتى له الاجر على طول امله و لو بعد خلول أجله (فان كان همه و هواه فى طاعتى) أى فى موافقتى (جعلت صمته) أى سكوته (حمدا لى) أى بمنزلة الثناء اللسانى على (و وقارا) أى سكينة و طمأنينة و رزانة فى الحلم و متانة فى العلم (و لو لم يتكلم) أى بالحمد و نحوه و مفهومه فان كان همه و هواه فى معصيتى أى مخالفتى جعلت كلامه وزرا و ان تكلم بالحمد و أظهر علما و ذكرا (رواه الدارمى) فى مسنده

✶ (باب البكاء و الخوف) ✶

جمع بينهما تنبيها لتلازمهما غالبا و قدم البكاء و لو سببه الخوف لظهوره أولا أو أريد بالخوف التعميم فذكره بعد البكاء كالتتميم ثم البكا بالقصر خروج الدمع مع الحزن و بالمد خروجه مع رفع الصوت كذا قيل و المد أشهر و الظاهر ان المراد به ههنا المعنى الاعم فحمله على التجريد فى أحد معنييه هو الاتم —

✶ (الفصل الاول) ✶ (عن أبى هريرة قال قال أبو القاسم صلى الله تعالى عليه وسلم و الذى نفسى بيده لو تعلمون ما أعلم) أى من عقاب الله للعصاة و شدة المناقشة يوم الحساب للعتاة و كشف السرائر و خبث النيات (لبكيتم) جواب القسم الساد مسد جواب لو (كثيرا) أى بكاء كثيرا أو زمانا كثيرا أى من خشية الله ترجيحا للخوف على الرجاء و خوفا من سوء الخاتمة (و لضحكتم قليلا) و كان الحديث مقتبس من قوله تعالى فليضحكوا قليلا و ليبكوا كثيرا قال الغزالى رحمه الله هذا الحديث من الاسرار التى أودعها قلب محمد الامين الصادق و لا يجوز افشاء السر فان صدور الاحرار قبور الاسرار بل كان يذكر ذلك لهم حتى يبكوا و لا يضحكوا فان البكاء ثمرة شجرة حياة القلب الحى بذكر الله و استشعار عظمته و هيبته و جلاله و الضحك نتيجة القلب الغافل عن ذلك فبان الحقيقة حث الخلق على طلب القلب الحى و التعوذ من القلب الغافل (رواه البخارى) أى من حديث أبى هريرة و هو متفق عليه من حديث أنس و كذا رواه الترمذى و النسائى ذكره ميرك و فى الجامع رواه أحمد و الشيخان و الترمذى و النسائى و ابن ماجه عن أنس و الحاكم عن أبى هريرة و رواه الضياء عن أبى ذر و زاد و لما ساغ لكم الطعام و الشراب

✱ و عن أم العلاء الانصارية قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم و الله لا أدرى و الله لا أدرى و أنا رسول الله ما يفعل بى و لا بكم رواه البخارى ✱ وعن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عرضت على النار فرأيت فيها امرأة من بنى اسرائيل تعذب فى هرة

و رواه الطبرانى و الحاكم و البيهقى عن أبى الدرداء و لفظه لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيرا و لضحكتم قليلا و لخرجتم الى الصعدات تجأرون الى الله تعالى لاتدرون تنجون أو لاتنجون وسيأتى هذا الحديث فى الفصل الثانى مطولا و روى ان المنادى ينادى من السماء ليت هذا الخلق لم يخلقوا و ليتهم اذا خلقوا علموا لما ذا خلقوا و عن الصديق الاكبر انه قال وددت انى أكون خضرا تاكلنى الدواب مخافة العذاب و عن عمر الفاروق انه سمع انسانا يقرأ هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيأ مذكورا فقال ليتها تمت بل ورد عنه صلى الله تعالى عليه وسلم فى رواية انه قال ليت رب محمد لم يخلق محمدا و عن الفضيل انه قال انى لا أغبط ملكا مقربا و لا نبيا مرسلا و لا عبدا صالحا أليس هؤلاء يعاينون يوم القيامة انما أغبط من لا يخلق ✱(وعن أم العلاء الانصارية) هى من المبايعات روى عنها خارجة بن زيد بن ثابت و هى أمه و كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يعوذها فى مرضها (قالت قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم و الله لا أدرى) و فى نسخة (و الله لا أدرى) مكررا (و أنا رسول الله) صلى الله عليه وسلم جملة حالية (ما يفعل بى و لا بكم) مفعول لا أدرى و دخول لا لمزيد التأكيد ليفيد اشتمال النفى على كل واحد من القبيلين على حدة قال الطيبى رحمه الله فيه وجوه أحدها ان هذا القول منه حين قالت امرأة عثمان بن مظعون لما توفى هنيئا لك الجنة زجرا لها على سوء الادب بالحكم على الغيب و نظيره قوله لعائشة رضى الله عنها و عن أبيها حين يسمعها تقول طوبى لهذا عصفور من عصافير الجنة قلت لايخفى ان هذا سبب ورود الحديث و زمان صدوره و لامدخل له فى ازالة اشكال معناه و ثانيها ان يكون هذا منسوخا بقوله تعالى ليغفر لك ما تقدم من ذنبك و ما تأخر كما ذكره ابن عباس فى قوله تعالى لا أدرى ما يفعل بى و لا بكم قلت و فيه ان النسخ على تقدير صحة تاخير الناسخ انما يكون فى الاحكام لا فى الاخبار كما هو مقرر فى الاعتبار و ثالثها أن يكون نفيا للدراية المفصلة دون المجملة قلت هذا هو الصحيح و رابعها أن يكون مخصوصا بالامور الدنيوية من غير نظر الى سبب ورود الحديث قلت و هذا مندرج فيما قبله و الحكم بطريق الاعم هو الوجه الاتم و المراد من الامور الدنيوية بالنسبة اليه صلى الله تعالى عليه وسلم هى الجوع و العطش و الشبع و الرى و المرض و الصحة و الفقر و الغنى و كذا حال الامة و قيل المعنى و أخرج من بلدى أم أقتل كما فعل بالانبياء قبلى و أترمون بالحجارة أم يخسف بكم كالمكذبين من قبلكم و الحاصل انه يريد نفى علم الغيب عن نفسه و انه ليس بمطلع على المكنون قال التوربشتى لايجوز حمل هذا الحديث و ما ورد فى معناه على ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كان مترددا فى عاقبة أمره غير متيقن بما له عند الله من الحسنى لما ورد عنه صلى الله تعالى عليه وسلم من الاحاديث الصحاح التى ينقطع العذر دونها بخلاف ذلك و أنى يحمل على ذلك و هو المخبر عن الله تعالى انه يبلغه المقام المحمود و انه أكرم الخلائق على الله تعالى و انه أول شافع و أول مشفع الى غير ذلك (رواه البخارى ✱ و عن جابر قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عرضت على النار) أى اظهرت لى و أهلها (فرأيت فيها امرأة من بنى اسرائيل) أى من مؤمنيهم (تعذب فى هرة) أى فى شأن هرة و لاجلها

لها ربطتها فلم تطعمها و لم تدعها تاكل من خشاش الارض حتى ماتت جوعا و رأيت عمرو بن عامر الخزاعي يجر قصبه فى النار و كان أول من سيب السوائب رواه مسلم ★ وعن زينب بنت جحش ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عليها يوما فزعا يقول لا اله الا الله ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج و مأجوج مثل هذه و حلق باصبعيه الابهام و التى تليها

و فى نسخة صحيحة فى هرة لها (ربطتها) استئناف بيان (فلم تطعمها) أى كفايتها (و لم تدعها) أى و لم تتركها (تاكل) بالرفع و الجملة حال أى تصيد و تأكل (من خشاش الارض) بفتح الخاء المعجمة و تكسر و تضم ففى القاموس الخشاش مثلث حشرات الارض وقال ابن الملك هو بفتح الخاء المعجمة و كسرها و ضمها و الفتح أظهر و فى النهاية و روى بالحاء المهملة و هو يابس النبات و هو وهم (حتى ماتت) أى الهرة (جوعا و رأيت عمرو بن عامر الخزاعى) بضم الخاء المعجمة نسبة الى بنى خزاعة قبيلة مشهورة قال التوربشتى هو أول من سن عبادة الاصنام بمكة و حمل أهلها بالتقرب اليها بتسييب السوائب و هو ان يترك الدابة فتسيب حيث شاءت فلاترد عن حوض و لاعلف و لايتعرض لها بركوب و لاحمل و كانوا يسيبون العبيد أيضا بان يعتقوهم و لايكون الولاء للمعتق و لا على المعتق حجر فى ماله فيضعه حيث شاء و قد قال له انه سائبة (يجر) أى يجذب (قصبه) بضم قاف فسكون صاد مهملة أى امعاءه (فى النار) و قيل لعل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كوشف من سائر ما كان يعاقب به فى النار بجر قصبه فى النار لانه استخرج من باطنه بدعة جر بها الجريرة الى قومه الجريمة (و كان أول من سيب السوائب) أى وضع تحريم السوائب جمع سائبة و هى ناقة يسيبها الرجل عند برئه من المرض أو قدومه من السفر فيقول ناقتى سائبة فلا تمنع من المرعى و لاترد عن حوض و لا عن علف و لايحمل عليها و لايركب عليها و لاتحلب و كان ذلك تقربا منهم الى أصنامهم وَ قيل ناقة ولدت عشر اناث على التوالى ذكره ابن الملك (رواه مسلم) أى من حديث طويل يتضمن ذكر صلاة الكسوف عن جابر و اتفق هو و البخارى على اخراج حديث الهرة عن ابن عمر و عن أبى هريرة أيضا و ليس فيه ذكر عمرو بن عامر لكن رؤيا حديث عمرو من حديث أبى هريرة كذا نقله ميرك عن التصحيح و فى الجامع رأيت عمرو بن عامر الخزاعى يجر قصبه فى النار و كان أول من سيب السوائب و بحر البحائر يعنى اذا نتجت الناقة خمسة أبطن بحروا اذنها أى شقوها و خلوا سبيلها فلا تركب و لا تحلب ★(و عن زينب بنت جحش) مر ذكرها و هى احدى أمهات المؤمنين (ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم دخل عليها يوما فزعا) بفتح فكسر أى خائفا (يقول لا اله الا الله ويل للعرب) ففى القاموس الويل حلول الشر و هو تفجيع انتهى و خص بذلك العرب لانهم كانوا معظم من أسلم حينئذ (من شر) أى خروج جيش يقاتل العرب (قد اقترب) أى قرب ذلك الشر فى غاية القرب بيانه قوله (فتح اليوم من ردم يأجوج و مأجوج) بالالف و يهمز فيهما بلا انصراف و المراد بالردم السد و الاسم و المصدر فيه سواء و هو السد الذى بناه ذو القرنين (مثل هذه) بالرفع على انه نائب الفاعل لقوله فتح و الاشارة الى الحلقة المبينة بقوله (و حلق) بتشديد اللام أى جعل حلقة (باصبعيه) أى بضمهما (الابهام و التى تليها) بالنصب على انه مفعول حلق أو على تفسير الاصبعين بتقدير أعنى و يجوز جرهما على البدلية و المراد انه لم يكن فى ذلك الردم ثقبة الى اليوم و قد انفتحت فيه اذ انفتاحها من علامات قرب الساعة فاذا اتسعت خرجوا

قالت زينب فقلت يا رسول‌الله أفنهلک و فينا الصالحون قال نعم اذا كثر الخبث متفق عليه
★ و عن أبي عامر أو أبي مالک الاشعری قال سمعت رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم يقول ليكونن من أمتى أقوام يستحلون الخز و الحرير و الخمر و المعازف و لينزلن أقوام الى جنب علم يروح عليهم بسارحة لهم

و ذلک بعد خروج الدجال كما سيأتى قريبا و يأجوج و مأجوج جنسان من بنى آدم و طائفتان كافرتان من الترك (قالت زينب فقلت يا رسول‌الله أفنهلک) بصيغة المجهول من الاهلاك و فى نسخة صحيحة بفتح النون و كسر اللام (و فينا الصالحون) أى أنعذب فنهلک نحن معشر الامة و الحال ان بعضنا مؤمنون و فينا الطيبون الطاهرون و يمكن أن يكون هذا من باب الاكتفاء على تقدير الاستغناء أى و فينا الصالحون و منا القاسطون (قال نعم) أى يهلک الطيب أيضا (اذا كثر الخبث) بفتحتين أى الفسق و الفجور و الشرك و الكفور و قيل معناه الزنا و المقصود ان النار اذا وقعت فى موضع و أشتدت أكلت الرطب و اليابس و غلبت على الطاهر و النجس و لاتفرق بين المؤمن و المنافق و المخالف و الموافق و سياتى ان الله اذا أنزل بقوم عذابا أصاب العذاب من كان فيهم ثم بعثوا على أعمالهم و فى نسخة صحيحة الخبث بضم فسكون أى الفواحش و الفسوق أو معناهما واحد (متفق عليه) و روى أبوداود و الحاكم عن ابى‌هريرة ويل للعرب من شر قد اقترب قد أفلح من كف يده ★ (وعن أبي عامر) هو عم أبي موسى الاشعرى و أسمه عبيد بن وهب (و أبي مالک الاشعرى) و يقال له الأشجعى و اسمه مختلف فيه و قد أخرج حديثه البخارى بالشک فقال عن أبي مالک الاشعرى أو أبي عامر (قال) أى أحدهما (سمعت رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم يقول ليكونن من أمتى) كذا هو فى نسخ البخارى أى من جملتهم و وقع فى المصابيح فى أمتى (أقوام) أى جماعات (يستحلون الخز) بفتح الخاء المعجمة و تشديد الزاى نوع من الحرير رديه (و الحرير و الخمر) تخصيص بعد تعميم أو المراد بالنهى عن الخز هو الركوب عليه و فرشه للوطء لانه من الاسراف و هو مكروه و الا فلا و نهيه عن لبسه فانه ثوب ينسج من صوف و ابريسم نعم اذا كان لحمته جريرا و سداه غيره فممنوع لبسه الا فى الحرب بخلاف العكس فانه قطنى مشروع لبسه (والمعازف) بفتح الميم أى آلات اللهو يضرب بها كالطنبور و العود و المزمار و نحوها و المعنى يعدون هذه المحرمات حلالات بايرادات شبهات و أدلة واهيات منها ما ذكره بعض علمائنا من أن الحرير انما يحرم اذا كان ملتصقا بالجسد و أما اذا لبس من فوق الثياب فلا بأس به فهذا تقييد من غير دليل نقلى و لا عقلى و لاطلاق كلام الشارع صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم بقوله من لبس الحرير فى الدنيا لم‌يلبسه فى الآخرة و كثير من الامراء و العوام اذا قيل لهم لبس الحرير حرام يقولون لو كان حراما لما لبسه القضاة و علماء الاعلام فيقعون فى استحلال الحرام و كذلک لبعض العلماء تعلقات بالمعازف يطول بيانها فاعرضت عن تفصيل شانها فانه يحتاج الى مصنف مستقل فى تبيانها و هذا الحديث مؤيد بقوله تعالى و من الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم و روى ابن أبي الدنيا فى ذم الملاهى عن أنس مرفوعا ليكونن فى هذه الامة خسف و قذف و مسخ و ذلک اذا شربوا الخمور و اتخذوا القينات و ضربوا بالمعازف أى اذا فعلوا هذه الاشياء مستحلين لها (و لينزلن أقوام) أى منهم على ما هو الظاهر من استحقاقهم العذاب (الى جنب علم)

يأتيهم رجل لحاجة فيقولون ارجع الينا غدا فيبيتهم الله و يضع العلم و يمسخ آخرين قردة و خنازير الى يوم القيامة رواه البخارى و فى بعض نسخ المصابيح الحر بالحاء و الراء المهملتين و هو تصحيف و انما هو بالخاء و الزاى المعجمتين نص عليه الحميدى و ابن الاثير فى هذا الحديث و فى كتاب الحميدى عن البخارى و كذا فى شرحه للخطابى تروح عليهم سارحة لهم يأتيهم لحاجة

أى جبل (يروح) أى يسير (عليهم بسارحة لهم) أى ماشية لهم و الباء زائدة فى الفاعل و قيل الصواب يروح عليهم رجل بسارحة ذكره الطيبى رحمه الله و الاظهر ان الفعل نزل منزلة اللازم و التقدير يقع السير عليهم بسير ماشية و فيه أشارة لطيفة الى انهم فى سيرهم تابعون لحيواناتهم على مقتضى الطباع الحيوانية و الشهوات النفسانية و تاركون متابعة العلماء بالآيات القرآنية و الاحاديث النورانية و لذا وقعوا فيماوقعوا أولا و جوزوا على مافعلوه آخرا و قيل الاظهر ان الفاعل ضمير مفهوم من السياق أى يأتيهم راعيهم كل حين بسارحة أى ماشية لهم تسرح بالغدوة ينتفعون بالبانها و أوبارها (يأتيهم رجل لحاجة) أى ضرورية و الا فهم متبعدون من أن يأتيهم الناس أو من أن يحصل لهم باجد من المؤمنين شئى من الاستئناس (فيقولون) أى تعللا أو بخلا و تذللا (ارجع الينا غدا) أى لنقضى حاجتك أو لنؤدى طلبتك من غير أن يقولوا ان شاء الله (فيبيتهم) بالتشديد أى يعذبهم (الله) بالليل فانه أدهى بالويل (و يضع) أى يوقع الله و يسقط (العلم) أى الجبل على بعضهم كما يدل عليه قوله (و يمسخ آخرين قردة و خنازير) أى و يحول صور بعضهم الى صور القردة و الخنازير فيكون نصبها بنزع الخافض و ايصال الفعل اليهما ففى القاموس مسخه كمنعه حول صورته الى أخرى و لعل المراد ان شبابهم صاروا قردة و شيوخهم خنازير لكثرة ذنوب الكبار و تخفيف أمر الصغار فان القردة يبقى فيه نوع من المعرفة و صنف من المشابهة بالجنس الانسانى و قوله (الى يوم القيامة) أشارة الى ان مسخهم امتد الى الموت و ان من مات فقد قامت قيامته و يمكن أن يكون حشرهم على تلك الصور أيضا (رواه البخارى) و كذا أبوداود و روى الطبرانى عن أبى أمامة ليبيتن أقوام من أمتى على أكل و لهو و لعب ثم ليصبحن قردة و خنازير (و فى بعض نسخ المصابيح الحر بالحاء) أى المكسورة (و الراء) أى المخففة (المهملتين و هو تصحيف و انما هو بالخاء) أى المفتوحة (و الزاى) أى المشددة (المعجمتين نص عليه الحميدى) أى الجامع بين الصحيحين (و ابن الاثير) أى صاحب جامع الاصول (فى هذا الحديث و فى كتاب الحميدى عن البخارى) أى رواية عنه أيضا (و كذا فى شرحه) أى شرح البخارى (للخطابى تروح) قيل بالتأنيث و يجوز تذكيره بل هو الاظهر فتدبر (عليهم سارحة لهم) أى بغير الباء الجارة (يأتيهم لحاجة) أى بحذف الفاعل و التقدير يأتيهم الآتى أو المحتاج أو الرجل على ما يفهم من السياق و للاسماعيلى يأتيهم طالب حاجة على ما ذكره العسقلانى و الله تعالى أعلم ثم للشراح هنا مباحث شريفة و اجوبة لطيفة منها قول الشيخ التوربشتى رحمه الله الحر بتخفيف الراء الفرج و قد صحف هذا اللفظ فى كتاب المصابيح و كذلك صحفه بعض الرواة من أصحاب الحديث فحسبوه الخز بالخاء و الزاى المنقوطتين والخز لم يحرم حتى يستحل و لقد وجدت من الناس من اعتنى بخط من كان يعرف بعلم الحديث و حفظه فقد كان قيده بالخاء و الزاى المنقوطتين حتى ثبت له انه صحف أو اتبع رواية بعض من لم يعلم و منها قوله أيضا فى قوله تروح عليهم بسارحته سقط منه فاعل تروح فالتبس المعنى على من لم يعلم به

و انما الصواب يروح عليهم رجل بسارحة لهم كذا رواه مسلم فى كتابه و انما السهو من المؤلف لانا وجدنا النسخ سائرها على ذلك و منها قوله و يضع العلم سقط كلمة و هى عليهم انتهى و يؤيده ما ذكره صاحب المفاتيح من شراح المصابيح من ان الحر بحاء مهملة مكسورة و راء مهملة مخففة و أصله الحرح فحذفت الحاء الاخيرة و جمعه احراح و الحر الفرج يعنى قد يكون جماعة فى آخر الزمان يزنون و يعتقدون انه اذا رضى الزوج والمرأة حل منها جميع أنواع الاستمتاعات و يقولون المرأة مثل البستان فكما ان لصاحب البستان أن يبيح ثمرة بستانه لمن شاء فكذلك للزوج أن يبيح زوجته لمن شاء و الذين لهم هذا الاعتقاد هم الحرفيون و الملاحدة و أما لبس الحرير فهو حرام على الرجال و من اعتقد حله فهو كافر و فى هذا الحديث اختلف نسخ المصابيح فى موضعين أحدهما فى الحر فانه فى بعض النسخ بالخاء و الزاى المعجمتين و الصواب ما قلنا فانه ذكر فى سنن أبى داود بالحاء و الراء المهملتين و الموضع الثانى قوله يروح عليهم رجل بسارحة لهم ففى بعض النسخ هكذا و فى بعضها يروح عليهم من غير لفظ رجل و الرجل مذكور فى سنن أبى داود و أفاد هذا الحديث انه يكون فى آخر الزمان نزول الفتن و مسخ الصور فليجتنب المؤمن العاصى كيلا يقع فى العذاب و مسخ الصور قال الطيبى رحمه الله بعد نقله كلام الشارح الاول أما قوله أولا فقد صحف الى آخره فجوابه ما ذكره الحميدى فى الجمع بين الصحيحين فى هذا الحديث بعد ما روى يستحلون الخز بالخاء و الزاى المعجمتين قلت معارضة الخصم لاتصلح أن تكون جوابا قال و الذى ذكره أبو اسحق الحربى فى باب الحاء و الراء ليس من هذا فى شئ انما هو حديث آخر عن أبى ثعلبة عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال أول دينكم نبوة و رحمة ثم ملك و رحمة و خيرة ثم ملك عض يستحل فيه الحر و الحرير يريد استحلال الحرام من الفروج و هذا لايتفق مع الذى أخرجه البخارى و كذلك أخرجه أبوداود فى السنن فى كتاب اللباس فى باب الخز و لباسه و انما ذكرنا ذلك لان من الناس من يتوهم فى ذلك شيأ فبيناه و حديث أبى ثعلبة ليس من شرط الصحيح تم كلامه أى كلام أبى اسحق و قريب منه ما ذكره صاحب النهاية فى باب الحاء و الراء المهملتين قلت كونه حديثا آخر مسلم لكنه مؤيد للمنازع فيه بل نص فى المعنى المراد و لايضره انه ليس على شرط الشيخين اذا ثبت صحته و الاصل توافق الاحاديث لان بعضها يفسر بعضا لاسيما و الخز بالزاى ليس من المحرمات حتى يكون استحلاله من الكفريات ثم رأيت فى الجامع الصغير ان ابن عساكر روى عن على مرفوعا أوشك أمتى أن تستحل فروج النساء والحرير و أما قوله ثانيا والخز لم يحرم حتى يستحل فجوابه ما ذكره ابن الاثير فى النهاية فى حديث على أنه نهى عن ركوب الخز والجلوس عليه والخز المعروف فى الزمن الاول ثياب تنسج من صوف و ابريسم و هى مباحة و قد لبسها الصحابة و التابعون فيكون النهى عنها لاجل التشبه بالعجم و زى المترفين و ان أريد بالخز النوع الآخر و هو المعروف الآن فهو حرام لان جميعه معمول من الابريسم و عليه يحمل الحديث الآخر قوم من هذا الحديث يستحلون الخز و الحرير تم كلامه أى كلام ابن الاثير و فيه ان كون الركوب على الخز و فراشه مكروها مع ان الحرير كذلك لايقتضى أن استباحته كفر يوجب العذاب لاسيما و الخز لغة و اصطلاحا فى زمنه صلى الله تعالى عليه وسلم كان من جملة المباحات فكيف يصح أن يحمل عليه و أما على ما تعورف عند بعض الناس من حمل الخز على الابريسم فيبعد كلامه صلى الله تعالى عليه وسلم أن يفسر به لاسيما مع وقوع تكراره مع صريح لفظ الحرير و الاصل التغاير بين المتعاطفين قال الطيبى رحمه الله

فان قلت كيف يعطف الحرير على الخز و الاول مكروه و الثانى حرام على المعنى الاول و على الثانى يلزم عطف الشئى على نفسه أو كيف يحرم و انه لم يكن مصطلحا حينئذ و الجواب عن الاول انه صلى الله تعالى عليه وسلم ذهب الى التغليب لارادة التغليظ قلت التغليب تغلب و عن ظاهره تقلب قال و الجواب عن الثانى انه عطف بيان و عن الثالث بانه اخبار عن الغيب فكان معجزة قلت عطف البيان مسلم لو كان الخز فى زمنه يطلق على الحرير و اما جعله معجزة بانه يطلق بعده على الحرير ففى غاية من البعد قال و أما قوله ثالثا سقط منه فاعل يروح فالتبس المعنى فجوابه انه ما التبس منه بل رواه البخارى كما فى المصابيح و لكن الحميدى و الخطابى و صاحب جامع الاصول ذكروا تروح عليهم سارحة بالتاء المقيدة بنقطتين من فوق و برفع سارحة على الفاعلية فوجب ان يقال ان الباء زائدة على ان الباء تزاد فى الفاعل كما استدل بقول امرئ القيس

ألا هل أتاها و الحوادث جمة ★ بان امرأ القيس بن تملك بيقرا

قلت لاشك فى وقوع الالتباس على تلك النسخة و زيادة الباء فى الفاعل من مختصات كفى و البيت ليس نصا فى المعنى بل الاظهر فيه حذف الفاعل على ما جوزه بعضهم قال و أما نسبته الى مسلم و انه رواه فى كتابه كذا فهو سهو منه لانى ما وجدت الحديث فى كتاب مسلم فكيف و قد أورده الحميدى فى أفراد البخارى فحسب و صاحب جامع الاصول رواه عن البخارى و أبى داود قلت من حفظ حجة على من لم يحفظ و المثبت مقدم على النافى و الشيخ ثقة محقق لاسيما و هو فى صدد الاحتجاج قال و أما قوله رابعا و قد سقط منه كلمة عليهم فانى ما وجدت فى الاصول هذه الكلمة ثابتة قلت تثبت المدعى بالاقوى مع انه أثبت وجوده فى بعض النسخ و أسنده الى مسلم و اسناده مسلم ثم قال فان قلت كيف يكون نزول بعضهم الى جنب علم و رواح سارحتهم عليهم و دفعهم ذا الحاجة بالمطل و التسويف سببا لهذا العذاب الاليم و النكال الهائل العظيم قلت انهم لما بالغوا فى الشح و المنع بولغ فى العذاب و بيان ذلك ان فى ايثار ذكر العلم على الجبل ايذانا بان المكان مخصب مرع و مقصد لذوى الحاجات فيلزم منه ان يكونوا ذوى ثروة و موئلا للملهوفين فلما دل خصوصية المكان على ذلك المعنى دل خصوصية الزمان فى قوله تروح عليهم سارحتهم و تعديته بعلى المنبهة للاستعلاء على ان ثروتهم حينئذ أوفر و اظهر و أن احتياج الواردين اليهم أشد و أكثر لانهم أحوج ما يكونون حينئذ و فى قولهم ارجع الينا غدا ادماج لمعنى الكذب و خلف الموعد و استهزاء بالطالب فاذا يستاهلون قلت هذا كله لم يفد استحقاق العذاب الشديد من المسخ المقرر فانه لايوجد فى غير أهل الكفر فالصواب ما قررناه و فيما سبق قدرناه و حررناه قال و انما قلنا ان العلم يدل على الشهرة و المقصد لقول الخنساء فى مدح أخيها ★ كانه علم فى رأسه نار ★ نبهت به على ان أخاها مشهور معروف و ملجأ للملهوفين و مأمن للمضطرين فان رواح السارحة دل على وفور الثروة و ظهورها كقوله تعالى و لكم فيها جمال حين تريحون و حين تسرحون قال صاحب الكشاف فان قلت لم قدمت الاراحة على التسريح قلت لان الجمال فى الاراحة أظهر اذا اقبلت ملأ البطون حافلة الضروع ثم أدبرت الى الحظائر قال الخطابى فيه بيان ان المسخ قد يكون فى هذه الامة و كذلك الخسف كما كانا فى سائر الامم خلاف قول من زعم ان ذلك لايكون انما مسخها بقلوبها أقول فما جاء فى الاحاديث من نفيها فهو اما محمول على أول زمان الامة فهو عام خص منه آخر الزمان بهذا الحديث و اما محمول على مسخ جميع الامة و خسفهم و المثبت منهما ما وقع لبعضهم و الله تعالى أعلم

✱ و عن ابن عمر قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم اذا أنزل الله بقوم عذابا أصاب العذاب من كان فيهم ثم بعثوا على أعمالهم متفق عليه ✱ و عن جابر قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم يبعث كل عبد على ما مات عليه رواه مسلم

✱ (الفصل الثانى) ✱ عن أبى‌هريرة قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم ما رأيت مثل النار نام هاربها و لا مثل الجنة نام طالبها رواه الترمذى ✱ وعن أبى‌ذر قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم انى أرى ما لاترون و أسمع ما لا تسمعون أطت السماء و حق لها ان تئط و الذى نفسى بيده ما فيها موضع أربع أصابع الا و ملك واضع جبهته ساجدا لله .

✱(و عن ابن عمر قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم اذا أنزل الله بقوم عذابا أصاب العذاب من كان فيهم) أى جميعهم الصالحين و الطالحين (ثم بعثوا) أى يوم القيامة (على أعمالهم) أى بعث الصالح على عمله و كذا الطالح قال المظهر يعنى اذا أذنب بعض القوم نزل العذاب بجميع من كان فى القوم سواء فيه المذنب و غيره بشرهم و لكنهم مجزيون يوم القيامة على حسب أعمالهم ان‌خيرا فخير و ان شرا فشر (متفق عليه) أى من حديث عبدالله بن‌عمر بن‌الخطاب رضى‌الله عنهما عن أبيه ذكره ميرك فكان حق المؤلف ان يسند الحديث الى عمر رضى‌الله‌تعالى‌عنه ✱(و عن جابر قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم يبعث) أى يحشر يوم القيامة (كل عبد على ما مات عليه) أى من العمل خيرا كان أو شرا فيجازى به (رواه مسلم) و كذا ابن ماجه و فى رواية أحمد عن أبى‌هريرة مرفوعا يبعث الناس على نياتهم

✱ (الفصل الثانى) ✱ (عن أبى‌هريرة قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم ما رأيت) فيه معنى التعجب أى ما علمت (مثل النار) أى شدة و هولا (نام هاربها) مفعول ثان و يمكن أن يكون رأيت بمعنى أبصرت فتكون الجملة صفة أو حالا أى صار غافلا عنها و ينبغى للهارب من عذاب النار ان يفر من عمل الفجار (و لا مثل الجنة) أى نعمة و نزلا (نام طالبها) و ينبغى له ان يجد كل الجد فى امتثال الاوامر ليدرك الحد (رواه الترمذى) و رواه الطبرانى فى الاوسط عن أنس ✱(و عن أبى‌ذر قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم انى أرى ما لاترون) أى أبصر ما لاتبصرون بقرينة قوله (و اسمع ما لا تسمعون) ثم بين سماعه لقربه و لكونه نتيجة لكثرة ما رآه بقوله (أطت السماء) بتشديد الطاء من الاطيط و هو صوت الاقتاب و اطيط الابل أصواتها و حنينها على ما فى النهاية أى صوتت (و حق) بصيغة المجهول أى و يستحق و ينبغى (لها ان تئط) أى تصوت ثم بين سببه و هو ما رآه من الكثرة بقوله (و الذى نفسى بيده ما فيها) أى ليس فى السماء جنسها (موضع أربعة أصابع) بالرفع على انه فاعل للظرف المعتمد على حرف النفى و المذكور بعد الا فى قوله (الا و ملك) حال منه أى و فيه ملك (واضع جبهته ساجدا لله) أى منقادا ليشمل ما قيل ان بعضهم قيام و بعضهم ركوع و بعضهم سجود كما قال تعالى حكاية عنهم و ماننا الا له مقام معلوم أو خصه باعتبار الغالب منهم أو هذا مختص باحدى السموات و الله تعالى أعلم ثم اعلم ان أربعة بغير هاء فى جامع الترمذى و ابن ماجه و مع الهاء فى شرح السنة و بعض نسخ المصابيح و سببه ان الاصبع يذكر و يؤنث قال الطيبى رحمه الله أى ان كثرة ما فيها من الملائكة قد أثقلها حتى أطت و هذا مثل و ايذان بكثرة الملائكة و ان لم‌يكن ثمة أطيط و انما هو كلام تقريب أريد به تقرير عظمة الله تعالى قلت ما المحوج عن عدول كلامه

و الله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا و لبكيتم كثيرا و ما تلذذتم بالنساء على الفرشات ولخرجتم الى الصعدات تجأرون الى الله قال أبوذر يا ليتنى كنت شجرة تعضد رواه أحمد و الترمذى و ابن ماجه ★ و عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من خاف أدلج و من أدلج بلغ المنزل ألا أن سلعة الله غالية ألا أن سلعة الله الجنة رواه الترمذى ★ و عن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال يقول الله جل ذكره

صلى الله تعالى عليه وسلم من الحقيقة الى المجاز مع امكانه عقلا و نقلا حيث صرح بقوله و اسمع ما لا تسمعون مع انه يحتمل ان يكون أسيط السماء صوتها بالتسبيح و التحميد و التقديس و التمجيد لقوله سبحانه و ان من شئى الا يسبح بحمده لاسيما و هى معبد المسبحين و العابدين و منزل الراكعين و الساجدين (و الله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا و لبكيتم كثيرا و ما تلذذتم بالنساء على الفرشات) بضم الفاء و الراء جمع فرش فهو جمع الجمع للمبالغة (و لخرجتم) أى من منازلكم العاليات (الى الصعدات) بضمتين أى الى الصحاوى و اختيار الجمع للمبالغة والصعد جمع صعيد كطرق جمع طريق و الطرقات و الصعيد هو الطريق و فى الاصل التراب أى لخرجتم الى الطرقات البرارى و الصحارى و ممر الناس كما يفعل المحزون لبث الشكوى و الهم المكنون و الاظهر ان الصعيد هو وجه الارض و قيل التراب و لا معنى له ههنا قال التوربشتى المعنى لخرجتم من منازلكم الى الجبانة متضرعين الى الله تعالى و من حال المحزون أن يضيق به المنزل فيطلب القضاء الخالى لشكوى بثه (تجأرون الى الله) أى تتضرعون اليه بالدعاء ليدفع عنكم البلاء (قال أبوذر يا ليتنى كنت شجرة تعضد) بصيغة المجهول أى تقطع و تستأصل و هذا نشا من كمال خوفه من عذاب ربه (رواه أحمد و الترمذى و ابن ماجه) قال التوربشتى رحمه الله قوله يا ليتنى هو من قول أبى ذر و لكن ليس فى كتاب أحمد ممن نقل هو عن كتابه قال أبوذر بل أدرج فى الحديث و منهم من قال قيل هو من قول أبى ذر و قد علموا انه بكلام أبى ذر أشبه والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم أعلم بالله من أن يتمنى عليه حالا هى أوضع مما هو فيه ثم انها مما لا تكون قال الطيبى رحمه الله تعالى فى جامع الترمذى و جامع الاصول هكذا تجأرون الى الله لوددت انى شجرة تعضد و فى رواية ان أباذر قال لوددت أنى شجرة تعضد و يروى عن أبى ذر موقوفا و فى سنن ابن ماجه كما فى المتن و نسخ المصابيح قال أبوذر ياليتنى الى آخره و للبحث فيه مجال ★ (و عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من خاف) أى البيات و الاغارة من العدو وقت السحر (أدلج) أى سار أول الليل و من خاف فوت المطلوب سهر فى طلب المحبوب (و من أدلج) أى بالسهر (بلغ المنزل) أى وصل الى المطلب قال الطيبى رحمه الله هذا مثل ضربه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لسالك الآخرة فان الشيطان على طريقه و النفس و أمانيه الكاذبة اعوانه فان تيقظ فى مسيره و أخلص النية فى عمله أمن من الشيطان و كيده و من قطع الطريق باعوانه ثم ارشد الى ان سلوك طريق الآخرة صعب و تحصيل الآخرة متعسر لا يحصل بادنى سعى فقال (ألا) بالتخفيف للتنبيه (ان سلعة الله) أى متاعه من نعيم الجنة المعبر عنه بالحسنى و زيادة (غالية) بالغين المعجمة أى رفيعة القدر (ألا ان سلعة الله) أى الغالية (الجنة) أى العالية و المعنى ثمنها الاعمال الباقية المشار اليها بقوله سبحانه و الباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا و خير أملا و المومى اليها بقوله عزوعلا ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم و أموالهم بان لهم الجنة (رواه الترمذى)

أخرجوا من النار من ذكرني يوما أو خافني في مقام رواه الترمذي و البيهقي في كتاب البعث و النشور ★ و عن عائشة قالت سألت رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم عن هذه الآية و الذين يؤتون ما آتوا و قلوبهم وجلة أ هم الذين يشربون الخمر و يسرقون قال لا يا ابنت الصديق و لكنهم الذين يصومون و يصلون و يتصدقون

و كذا الحاكم ★ (و عن أنس عن النبي صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم قال يقول الله جل ذكره) أي عظم ذكره و فخم ذاكره و ما أحسن رفع ذكره في هذا المقام من حيث انه توطئة لذكره في الايام و خوفه في كل مقام (أخرجوا من النار من ذكرني) أي بشرط كونه مؤمنا مخلصا (يوما) أي وقتا و زمانا (أو خافني في مقام) أي مكان في ارتكاب معصية من المعاصي كما قال تعالى و أما من خاف مقام ربه و نهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى قال الطيبي رحمه الله أراد الذكر بالاخلاص وهو توحيد الله عن اخلاص القلب و صدق النية و الا فجميع الكفار يذكرونه باللسان دون القلب يدل عليه قوله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم من قال لا اله الا الله خالصا من قلبه دخل الجنة و المراد بالخوف كف الجوارح عن المعاصي و تقيدها بالطاعات و الا فهو حديث نفس وحركة لايستحق أن يسمى خوفا وذلك عند مشاهدة سبب هائل و اذا غاب ذلك السبب عن الحس رجع القلب الى الفضلة قال الفضيل اذا قيل لك هل تخاف الله فاسكت فانك اذا قلت لا كفرت و اذا قلت نعم كذبت أشار به الى الخوف الذي هو كف الجوارح عن المعاصي (رواه الترمذي) أي في سنة (و البيهقي في كتاب البعث و النشور ★ و عن عائشة قالت سألت رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم عن هذه الآية و الذين يؤتون ما آتوا) أي يعطون ما أعطوه من الزكاة و الصدقات و قرئ يأتون ما أتوا بالقصر أي يفعلون ما فعلوه من الطاعات (و قلوبهم وجلة) أي خائفة أن لايقبل منهم و أن لايقع على الوجه اللائق فيؤاخذون به و تمامه انهم الى ربهم راجعون أي لان مرجعهم اليه أولئك الذين يسارعون في الخيرات أي يرغبون في الطاعات أشد الرغبة فيبادرونها و هم لها سابقون أي لاجلها فاعلون السبق أو سابقون الناس الى الطاعات أو الثواب أو الجنة قال الطيبي رحمه الله هو كذا في نسخ المصابيح و هي القراءة المشهورة ومعناه يعطون ما أعطوا و سؤال عائشة رضي‌الله تعالى عنها (أ هم الذين يشربون الخمر و يسرقون) لايطابقها و قراءة رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم يأتون ما أتوا بغير مد أي يفعلون ما فعلوا و سؤالها مطابق لهذه القراءة و هكذا هو في تفسير الزجاج و الكشاف قلت مؤدى القراءتين واحد لان المراد بالقراءة الشاذة المنسوبة اليه صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم قبل قطع طرق التواتر يفعلون ما فعلوه من الطاعة لا ما ظنت عائشة رضي‌الله عنها ان المراد به مافعلوه من المعصية و لا المعنى الاعم من الخير و الشر لعدم مطابقته لقوله سبحانه أولئك يسارعون في الخيرات (قال) أي النبي صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم (لا) أي ليسوا هم أو ليس المراد من الآية أمثالهم (يا بنت الصديق) و في نسخة يا ابنة الصديق و في هذا النداء منقبة عظيمة لها و لابيها على وجه التحقيق فكأنه قال ليس كذلك و أنت الصادقة على ما هو المتعارف من حسن الآداب بين الاحباب (و لكنهم الذين يصومون و يصلون و يتصدقون) فهذا تفسير لقوله تعالى و الذين يؤتون ما آتوا على القراءتين غايته ان في كل نوع منهما تغليب فالمشهورة ظاهرها متعلق بالعبادة المالية كما ان الشاذة تتعلق بالطاعة البدنية على ان المشهورة يمكن أن يقال في تفسيرها يعطون من أنفسهم

و هم يخافون أن لايقبل منهم أولئك الذين يسارعون فى الخيرات رواه الترمذى و ابن ماجه
★ وعن أبى بن كعب قال كان النبى صلى‌اللّٰه‌عليه‌وسلم اذا ذهب ثلثا الليل قام فقال يا أيها الناس
اذكروا الله اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه جاء الموت بما فيه رواه
الترمذى ★ وعن أبى‌سعيد قال خرج النبى صلى‌اللّٰه‌عليه‌وسلم لصلاة فرأى الناس كانهم يكتشرون قال أما

ما أعطوا من الطاعات فيشمل النوعين من العبادة (و هم يخافون أن لايقبل منهم) أى لا انهم يخافون مما فعلوا بدليل قوله تعالى (أولئك الذين يسارعون فى الخيرات) فانه لايصح أن يحمل على شربة الخمر و سرقة المال و سائر السيآت (رواه الترمذى و ابن ماجه ★ و عن أبى بن كعب قال كان النبى صلى‌اللّٰه‌تعالى‌عليه‌وسلم اذا ذهب ثلثا الليل قام فقال يا أيها الناس) أراد به النائمين من أصحابه الغافلين عن ذكر الله ينبهم عن النوم ليشتغلوا بذكر الله تعالى و التهجد و فى هذا مأخذ للمذكرين من المؤذنين و انه ينبغى لهم أن لايقوموا قبل مضى الثلثين من الليل و فيه أشارة الى استحباب القيام فى الثلث الاخير من الليل استحبابا مؤكدا (اذكروا الله) أى بوحدانية ذاته و سائر صفاته (اذكروا الله) أى عقابه و ثوابه لتكونوا بين الخوف و الرجاء و ممن قال تعالى فيهم تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا و طمعا و فى نسخة اذكروا الله ثلاث مرات أى آلاءه و نعماءه و سراءه و ضراءه (جاءت الراجفة) فيه أشارة الى قوله تعالى يوم ترجف الراجفة و عبر بصيغة المضى لتحقق وقوعها فكانها جاءت و المراد انه قارب وقوعها فاستعدوا لتهويل أمرها و الراجفة هى الاجرام الساكنة التى تشتد حركتها حينئذ من الارض و الجبال لقوله تعالى يوم ترجف الارض و الجبال أو مجاز عن الواقعة التى ترجف الاجرام عندها و هذا المعنى أنسب بالحديث فى هذا المقام و هى النفخة الاولى (تتبعها الرادفة) أى التابعة و هى السماء و الكواكب تنشق و تنتثر أو النفخة الثانية هى التى يحيى فيها الخلق و الجملة فى موقع الحال أو استئناف بيان لما يقع بعد الرجفة قال الطيبى رحمه الله أراد بالراجفة النفخة الاولى التى يموت منها جميع الخلق و الراجفة صيحة عظيمة فيها تردد و اضطراب كالرعد اذا تمعص و أراد بالرادفة النفخة الثانية ردفت النفخة الاولى أنذرهم صلى‌اللّٰه‌تعالى‌عليه‌وسلم باقتراب الساعة لئلايغفلوا عن استعدادها (جاء الموت بما فيه) أى مع ما فيه من الشدائد الكائنة فى حالة النزع و القبر و ما بعده و فيه أشارة الى ان من مات فقد قامت قيامته فهى القيامة الصغرى الدالة على القيامة الكبرى (جاء الموت بما فيه) لعل الاول بيان ما وقع و تحقق لمن قبلنا موعظة لنا فقد ورد كفى بالموت واعظا و الثانى أشارة الى قرب مجيئه بالموجودين و هذا التأسيس السديد المؤسس على التأبيد أولى من حمل التكرار على التأكيد (رواه الترمذى) قال المنذرى رواه أحمد و الترمذى و الحاكم و صححه و قال الترمذى حديث حسن صحيح ★ (و عن أبى سعيد قال خرج النبى صلى‌اللّٰه‌تعالى‌عليه‌وسلم لصلاة) أى لاداء صلاة و الظاهر المتبادر من مقتضى المقام انها صلاة جنازة لما ثبت انه عليه‌الصلاة والسلام اذا رأى جنازة رؤيت عليه كآبة أى حزن شديد و أقل الكلام (فرأى الناس كانهم يكتشرون) أى يضحكون من الكشر و هو ظهور الاسنان للضحك و لعل التاء للمبالغة ففى القاموس كشر عن اسنانه أبدى يكون فى الضحك و غيره انتهى فيؤخذ منه انهم جمعوا بين الضحك البالغ و الكلام الكثير قال التوربشتى رحمه الله أى يضحكون و المشهور فى اللغة الكسر (قال أما) بالتخفيف لينبه على نوم الغفلة الباعث على الضحك

انكم لو أكثرتم ذكر هاذم اللذات لشغلكم عما أرى الموت فاكثروا ذكر هاذم اللذات الموت فانه لم يأت على القبر يوم الا تكلم فيقول أنا بيت الغربة و أنا بيت الوحدة و أنا بيت التراب و أنا بيت الدود و اذا دفن العبد المؤمن قال له القبر مرحبا. و أهلا أما ان كنت لاحب من يمشى على ظهرى الى فاذ وليتك اليوم و صرت الى فسترى صنيعى بك قال

و المكالمة (انكم لو أكثرتم ذكر هادم اللذات) بالدال المهملة فى أصل السيد و أكثر النسخ المعتمدة و فى بعضها بالذال المعجمة و اقتصر عليه السيوطى رحمه الله فى حاشية الترمذى و فى القاموس هذم بالمعجمة قطع و أكل بسرعة و بالمهملة نقض البناء و المعنى لو أكثرتم من ذكر قاطع اللذات (لشغلكم عما أرى) أى من الضحك و كلام أهل الغفلة (الموت) بالجر تفسير لهادم اللذات أو بدل منه كما ياتى فيما بعده و بالنصب باضمار أعنى و بالرفع بتقدير هو الموت (فاكثروا ذكر هادم اللذات) أى الموجودة المعمولة للاغنياء و المفقودة المسؤلة للفقراء فهو موعظة بليغة للطائفتين و من الغريب ان ذكر الموت يحيى القلب النائم و النوم أخو الموت و كان شيخنا العارف بالله تعالى رحمه الله الولى مولانا نورالدين على المتقى يعمل كيسا مكتوبا عليه لفظ الموت يعلق فى رقبة المريد ليستفيد منه انه قريب غير بعيد فيقصر أمله و يكثر عمله و كان بعض الصالحين من السلاطين أمر واحدا من أمرائه ان يقف دائما من ورائه يقول الموت الموت ليكون دواء لدائه ثم انه صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم بين للصحابة وجه حكمة الامر باكثار ذكر الموت و اسبابه بقوله (فانه) أى الشان (لم يات على القبر يوم) أى وقت و زمان (الا تكلم) أى بلسان القال أو بيان الحال و فى رواية زيادة فيه أى فى ذلك اليوم (فيقول أنا بيت الغربة) أى فكن فى الدنيا كانك غريب (و أنا بيت الوحدة) أى فلاينفع الا التوحيد و شهود الواحد القهار (و أنا بيت التراب) أى أصل كل حى مخلوق فمن مرجعه للتراب ينبغى أن يكون مسكينا ذا متربة لئلا تفوته جنسية المناسبة (و أنا بيت الدود) أى فلاينبغى أن تكون همتكم و نهمتكم فى استعمال اللذات من المأكول و المشروب لان مآل أمرها الى الفناء و لاينفع فى ذلك المكان الا العمل الصالح فالقبر صندوق العمل قيل يتولد الدود من العفونة و تاكل الاعضاء ثم ياكل بعضها بعضا الى أن تبقى دودة واحدة فتموت جوعا و استثنى الأنبياء و الشهداء و الاولياء و العلماء من ذلك فقد قال صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم ان الله حرم على الارض ان تاكل أجساد الأنبياء و قال تعالى فى حق الشهداء و لاتحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون و العلماء العاملون المعبر عنهم بالاولياء مدادهم أفضل من دماء الشهداء (و اذا دفن العبد المؤمن قال له القبر) أو ما يقوم مقامه (مرحبا) أى أتيت مكانا واسعا لرقدتك (و أهلا) أى و حضرت أهلا لمحبتك (أما) بتخفيف الميم للتنبيه (ان كنت) أى انه كنت فان مخففة من المثقلة و اللام فارقة بينها و بين ان النافية فى قوله (لاحب) و هو أفعل تفضيل بنى للمفعول أى لا فضل (من يمشى على ظهرى الى) متعلق باحب (فاذ) بسكون الذال و أبعد الطيبى حيث قال و فى اذ معنى التعليل اذ الصحيح انه هنا ظرف محض و العلة و السبب كونه مؤمنا أى فحين (وليتك) من التولية مجهولا أو من الولاية معلونا أى صرت قادرا حاكما عليك (اليوم) أى هذا الوقت و هو ما بعد الموت و الدفن (و صرت الى) أى مقهورا و مجبورا (فسترى) أى ستبصر أو تعلم (صنيعى بك) من الاحسان اليك بالتوسيع عليك (قال) أى النبى صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم و انما أعاده لطول

فيتسع له مد بصره و يفتح له باب الى الجنة و اذا دفن العبد الفاجر أو الكافر قال له القبر لامرحبا و لا أهلا أما ان كنت لابغض من يمشي على ظهري الى فاذ وليتك اليوم و صرت الى فسترى صنيعي بك قال فيلتئم عليه حتى تختلف أضلاعه قال و قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم باصابعه فادخل بعضها فى جوف بعض قال و يقيض له سبعون تنينا لو أن واحدا منها نفخ فى الارض ما أنبتت شيأ ما بقيت الدنيا فينهسنه و يخدشنه حتى يفضى به الى الحساب

الكلام و لئلايتوهم أن ما بعده من كلام الراوى تفسير للمرام (فيتسع) أى فيصير القبر وسيعا و فى رواية فيوسع (له) أى للمؤمن (مد بصره) أى من كل جانب حقيقة أو كشفا أو مجازا عن عدم التضييق حسا و معنى و فيه كناية عن تنويره أيضا (و يفتح له باب الى الجنة) أى و يعرض له مقعده منها يأتيه من روحها و نسيمها و يشم من طيبها و تقر عينه بما يرى فيها من حورها و قصورها و أنهارها و أشجارها و أثمارها (و اذا دفن العبد الفاجر) أى الفاسق و المراد به الفرد الاكمل و هو الفاسق بقرينة مقابلته لقوله العبد المؤمن سابقا و لما سيأتى من قول القبر له بكونه أبغض من يمشي على ظهره و منه قوله تعالى أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا الآية (أو الكافر) شك من الراوى لا للتنويع و قد جرت عادة الكتاب و السنة على بيان حكم الفريقين فى الدارين و السكوت عن حال المؤمن الفاسق سترا عليه أو ليكون بين الرجاء و الخوف لا لاثبات المنزلة بين المنزلتين كما توهمت المعتزلة (قال له القبر لامرحبا و لا أهلا أما ان كنت لابغض من يمشي على ظهرى الى فاذ وليتك اليوم و صرت الى فسترى صنيعي بك قال) أى النبى صلى‌الله تعالى‌عليه‌وسلم (فيلتئم) أى ينضم القبر (عليه حتى تختلف أضلاعه) أى يدخل بعضها فى بعض و فى رواية حتى تلتقى و تختلف أضلاعه (قال) أى الراوى (و قال) أى أشار (رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه وسلم باصابعه) أى من اليدين الكريمتين (فادخل بعضها) و هو أصابع اليد اليمنى (فى جوف بعض) و فيه اشارة الى أن تضييق القبر و اختلاف الاضلاع حقيقى لا أنه مجاز عن ضيق الحال و ان الاختلاف مبالغة فى أنه على وجه الكمال كما توهمه بعض أرباب النقصان حتى جعلوا عذاب القبر روحانيا لاجسمانيا و الصواب ان عذاب الآخرة و نعيمها متعلقان بهما (قال) أى النبى صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم (و يقيض) بتشديد الياء المفتوحة أى يسلط و يوكل (له) أى بخصوصه و الا فهو عليه (سبعون تنينا) بكسر التاء و تشديد النون الاولى مكسورة أى حية عظيمة يقال له ازرد بالفارسى و بالعربى أفعى و عدد السبعين يحتمل التحديد و التكثير و يؤيد الثانى ما ذكره فى الاحياء عن أبى‌هريرة مرفوعا هل تدرون فيما ذا أنزلت فان له معيشة ضنكا قالوا الله و رسوله أعلم قال عذاب الكافر فى قبره يسلط عليه تسعة و تسعون تنينا هل تدرون ما التنين قال تسعة و تسعون حية لكل واحدة تسعة و تسعون رأسا يخدشنه و يلحسنه و ينفخن فى جسمه الى يوم القيامة انتهى (لو أن واحدا منها نفخ) بالخاء المعجمة أى تنفس (فى الارض ما أنبتت) أى الارض (شيأ) أى من الانبات أو النباتات (ما بقيت الدنيا) أى مدة بقائها (فينهسنه) بفتح الهاء و سكون السين المهملة أى يلدغنه و فى القاموس نهس اللحم كمنع و فرح أخذه بمقدم اسنانه و نتفه (و يخدشنه) بكسر الدال أى يجرحنه (حتى يفضى) بضم فسكون فاء ففتح ضاد معجمة أى يوصل (به) أى بالكافر (الى الحساب) أى و ثم الى العقاب و فيه دليل على ان الكفر يحاسب خلافا لما توهم بعضهم ان الكافر يدخل النار بغير حساب اللهم الا ان يقال المراد بالحساب الجزاء

قال و قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم انما القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار رواه الترمذى ★ وعن أبى جحيفة قال قالوا يا رسول‌الله قد شبت قال شيبتنى سورة هود وأخواتها

و ان ظواهر الآيات من قوله و من خفت موازينه فصريح فى حسابهم نعم يمكن أن يكون بعضهم من العصاة العتاة يدخلون النار من غير حساب و لا كتاب كما يدخل بعض المؤمنين المبالغين فى الصبر و التوكل على ما سبق بغير حساب و الله تعالى أعلم بالصواب (قال) أى الراوى (وقال رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم) أى فى هذا المحل أو فى وقت آخر فتأمل (انما القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار) بصيغة الافراد المناسبة للفظة الجنة و فى نسخة النيران لمناسبة جمع الحفر و لان المراد بالجنة الجنان قال الطيبى رحمه الله قوله من حفر النار كذا فى جامع الترمذى و جامع الاصول و أكثر نسخ المصابيح و فى بعضها النيران بالجمع (رواه الترمذى) قال السيوطى رحمه الله و حسنه و أخرج الطبرانى فى الاوسط عن أبى هريرة قال خرجنا مع رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم فى جنازة فجلس الى قبر فقال ما يأتى على هذا القبر من يوم الا و هو ينادى بصوت طلق ذلق يا ابن آدم كيف نسيتنى ألم‌تعلم انى بيت الوحدة و بيت الغربة و بيت الوحشة و بيت الدود و بيت الضيق الا من وسعنى الله عليه ثم قال رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم القبر روضة و فى نسخة أما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار قال سفيان الثورى من أكثر من ذكر القبر وجده روضة من رياض الجنة و من غفل عن ذكره وجده حفرة من حفر النار ★ (و عن أبى جحيفة) بضم الجيم و فتح الحاء المهملة و بالفاء ذكر ان النبى صلى‌الله‌تعالى‌عليه وسلم توفى و لم‌يبلغ الحلم و لكنه سمع منه و روى عنه مات بالكوفة روى عنه ابنه عون وجماعة من التابعين (قال قالوا) أى بعض الصحابة (قد شبت) أى ظهر عليك آثار الضعف قيل أو ان الكبر و ليس المراد منه ظهور كثرة الشعر الابيض عليه لما روى الترمذى عن أنس قال ما عددت فى رأس رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم و لحيته الا اربع عشرة شعرة بيضا (قال شيبتنى هود) بغير انصراف و فى نسخة بالصرف قيل ان جعل هود اسم السورة لم يصرف والا صرف فالمضاف مقدر حينئذ أقول لانه اذا لم‌يصرف كان كجور و اذا صرف كان التقدير سورة هود و يؤيده ما فى نسخة صحيحة سورة هود (و أخواتها) أى و اشباهها من السور التى فيها ذكر القيامة و العذاب قال التوربشتى رحمه الله تعالى يريد ان اهتمامى بما فيها من أهوال القيامة و الحوادث النازلة بالامم الماضية أخذ منى مأخذه حتى شبت قبل أوان المشيب خوفا على أمتى و ذكر فى شرح السنة عن بعضهم قال رأيت النبى صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم فى المنام فقلت له روى عنك انك قلت شيبتنى هود فقال نعم فقلت باية آية قال قوله فاستقم كما أمرت قال الامام فخر الدين رحمه الله الملك المعين و ذلك ان الاستقامة على الطريق المستقيم من غير ميل الى طرفى الافراط و التفريط فى الاعتقادات و الاعمال الظاهرة و الباطنة عسرا جدا قلت لاشك ان الاستقامة خير من ألف كرامة لكونها أصعب من جسر القيامة مع انها أدق من الشعر و أمر من الصبر و أحد من السيف و أحر من الصيف لكن حمل الحديث على الآية غير ظاهر لقوله و أخواتها المفسرة بالسور الآتية التى ليس فيها ذكر الاستقامة فاما أن يقال المقصود من ذكر القيامة و أهوالها و النار و أهوالها انما هو تحصيل الاستقامة للتخليص عن الندامة و الملامة فكانها مذكورة فى جميعها أو يقال الجواب للنائم كان على طبق ما يناسبه من المقام الذى هو فيه و التحريض على ما هو المطلوب منه فيكون

رواه الترمذى ★ و عن ابن عباس قال قال أبوبكر يا رسول‌الله قد شبت قال شيبتنى هود و الواقعة و المرسلات و عم يتساءلون و اذا الشمس كورت رواه الترمذى و ذكر حديث أبى‌هريرة لايلج النار فى كتاب الجهاد

★ (الفصل الثالث) ★ عن أنس قال انكم لتعملون أعمالا هى أدق فى أعينكم من الشعر كنا نعدها على عهد رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم من الموبقات يعنى المهلكات رواه البخارى ★ و عن عائشة ان رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال يا عائشة اياك و محقرات الذنوب فان لها من الله طالبا رواه ابن ماجه و الدارمى و البيهقى فى شعب الايمان

من باب أسلوب الحكيم و الله سبحانه و تعالى أعلم (رواه الترمذى) أى عن أبى جحيفة و رواه الطبرانى عن عقبة بن عامر و عن أبى جحيفة أيضا و زاد ابن مردويه عن أبى‌بكر قبل المشيب ★ (وعن ابن عباس قال قال أبوبكر يا رسول‌الله قد شبت قال شيبتنى هود و الواقعة و المرسلات) بالرفع و يجوز كسرها على الحكاية (و عم يتساءلون و اذا الشمس كورت) يعنى و أمثالها مما فيه ذكر القيامة و أهوالها (رواه الترمذى) و كذا الحاكم و رواه أيضا عن أبى‌بكر و رواه ابن مردويه عن سعد و رواه سعيد بن منصور فى سننه عن أنس و ابن مردويه عن عمران بلفظ شيبتنى هود و أخواتها من المفصل و فى رواية لابن مردويه عن أنس شيبتنى سورة هود وأخواتها الواقعة و القارعة و الحاقة و اذا الشمس كورت و سأل سائل (و ذكر حديث أبى‌هريرة لايلج النار) أى لايدخلها من بكى من خشية الله الحديث بطوله (فى كتاب الجهاد) أى فاسقط للتكرار

★ (الفصل الثالث) ★ (عن أنس قال انكم لتعملون أعمالا) أى عظيمة فى نفس الامر و تستصغرونها و تعدونها من الكرامات و هذا معنى قوله (هى أدق فى أعينكم من الشعر) قال الطيبى رحمه الله عبارة عن تدقيق النظر فى العمل و امعانه فيه و المعنى انكم تعملون أعمالا و تحسبون انكم تحسنون صنعا و ليس كذلك فى الحقيقة (كنا نعدها) أى تلك الاعمال (على عهد رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم) أى فى زمانه (من الموبقات) بكسر الموحدة يعنى المهلكات تفسير من أحد الرواة أى يريد أنس بالموبقات المهلكات و منه قوله تعالى و جعلنا بينهم موبقا بفتح الميم أى مهلكا (رواه البخارى ★ و عن عائشة ان رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم قال يا عائشة اياك و محقرات الذنوب) أى صغائرها و خص بها فانه ربما يسامح صاحبها فيها بعدم تداركها بالتوبة و بعدم الالتفات بها فى الخشية غفلة عنه انه لا صغيرة مع الاصرار و ان كل صغيرة بالنسبة الى عظمة الله و كبريائه كبيرة و القليلة منها كثيرة و لذا قد يعفو الله عن الكبيرة و يعاقب على الصغيرة كما يستفاد من قوله تعالى و يغفر ما دون ذلك لمن يشاء و أما قوله تعالى أن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيآتكم الصغيرة بسبب العبادات المكفرة لكن بشرط اجتنابكم الكبائر لا بمجرد اجتناب الكبائر على ما ذهب اليه المعتزلة و الله تعالى أعلم (فان لها) أى للمحقرات من الذنوب (من الله) أى من عنده سبحانه (طالبا) أى نوعا من العذاب يعقبه فكانه يطلبه طلبا لامرد له فالتنوين للتعظيم أى طالبا عظيما فلا ينبغى أن يغفل عنه بل ينبغى أن يخشى منه و قال الطيبى رحمه الله قوله من الله طالبا هو من باب التجريد كقول القائل ★ و فى الرحمن للضعفاء كاف ★ و أقول الظاهر فى قول القائل ان معناه و فى رحمة الرحمن للضعفاء كفاية فان اسم الفاعل قد يأتى بمعنى المصدر كما هو مذكور فى مقامه المقرر

★ و عن أبى بردة بن أبى موسى قال قال لى عبد الله بن عمر هل تدرى ما قال أبى لابيک قال قلت لا قال فان أبى قال لابيک يا أبا موسى هل يسرك ان اسلامنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم و هجرتنا معه و جهادنا معه و عملنا كله معه برد لنا و ان كل عمل عملنا بعده نجونا منه كفافا رأسا برأس فقال أبوك لابى لا و الله قد جاهدنا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم و صلينا و صمنا و عملنا خيرا كثيرا و أسلم على أيدينا بشر كثير و أنا لنرجو ذلک قال أبى و لکنى أنا والذى نفس عمر بيده لوددت ان ذلک برد لنا و ان كل شئى عملنا بعده نجونا منه كفافا رأسا برأس

(رواه ابن ماجه) أى فى سننه (و الدارمى) أى فى مسنده (و البيهقى فى شعب الايمان) و رواه أحمد و الطبرانى و البيهقى و الضياء عن سهل بن سعد مرفوعا و لفظه اياكم و محقرات الذنوب فانما مثل محقرات الذنوب كمثل قوم نزلوا بطن واد فجاء ذا بعود و جاء ذا بعود حتى حملوا ما أنضجوا به خبزهم و ان محقرات الذنوب متى يؤخذ بها صاحبها تهلكه و رواه أحمد والطبرانى أيضا عن ابن مسعود نحوه ★ (و عن أبى بردة بن أبى موسى) قال المؤلف هو عامر بن عبد الله ابن قيس الاشعرى أحد التابعين المشهورين المكثرين التابعين سمع أباه و عليا و غيرهما كان على قضاء الكوفة بعد شريح فعزله الحجاج (قال قال لى عبد الله بن عمر هل تدرى ما قال أبى لابيک) أى فى أمر غلبة الخوف المعنون به الباب (قال) أى أبو بردة أو التقدير قال الراوى ناقلا عن أبى بردة (قلت لا) أى لا أدرى (قال فان أبى قال لابيک يا أبا موسى) ناداه بكنيته اشعارا بعظمته و تقريبا لحضرته (هل يسرك) أى يوقعک فى السرور (ان اسلامنا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أى منضما مع بعثته (و هجرتنا معه و جهادنا معه و عملنا) كالصلاة و الصوم و الزكاة و الحج و أمثالها (كله) أى جميعه بجميع افراده و أصنافه (معه) أى فى زمنه (برد) أى ثبت و دام (لنا) ففى النهاية فى الحديث الصوم فى الشتاء الغنيمة الباردة أى لاتعب فيه و لا مشقة و كل محبوب عندهم بارد و قيل معناه الغنيمة الثابتة المستقرة من قولهم برد لنا على فلان حق أى ثبت انتهى كلامه و هو خبر قوله ان اسلامنا و الجملة فاعل هل يسرك ذكره الطيبى رحمه الله (و ان كل عمل) عطف على ان اسلامنا (عملناه بعده) أى بعد موت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (نجونا منه) أى من ذلک العمل كله (كفافا) بفتح الكاف أى سواء (رأسا برأس) بدل أو بيان و نصبه على الحال من فاعل نجونا أى متساويين لايكون لنا و لا علينا بان لايوجب ثوابا و لا عقابا وقال الطيبى رحمه الله قوله كفافا نصب على الحال من الضمير المجرور أى نجونا منه فى حالة كونه لايفضل علينا شئى منه أو من الفاعل أى مكفوفا عنا شره (فقال أبوك لابى لا و الله) أى لايسرنا و بين سببه بقوله (قد جاهدنا) أى الكفار (بعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم و صلينا) أى صلوات (و صمنا) أى سنوات (و عملنا خيرا كثيرا) أى من الصدقات و نوافل العبادات (و أسلم على أيدينا) أى بسببنا (بشر كثير) أى من فتح البلاد (و أنا لنرجو ذاك) و فى نسخة ذلک أى ثواب ما ذكر زيادة على ما سبق لنا من الاسلام و الهجرة و سائر الاعمال (قال أبى) يعنى عمر (لکنى أنا) زيد للتأكيد (و الذى نفس عمر بيده لوددت ان ذلک) أى ما سبق لنا من العمل معه صلى الله تعالى عليه وسلم (برد لنا) أى تم و لم يبطل و لم ينتقص ببركة وجوده و فضله و جوده صلى الله تعالى عليه وسلم (و ان كل شئى عملناه) باثبات الضمير هنا (بعده) أى بعد مماته و فقد حياته و بعد بركاته (نجونا منه كفافا رأسا برأس)

فقلت ان أباك و الله كان خيرا من أبي رواه البخارى ★و عن أبي هريرة قال قال رسول‌الله صلى‌الله عليه‌وسلم أمرني ربي بتسع خشية الله في السر و العلانية و كلمة العدل في الغضب و الرضا و القصد في الفقر و الغنى و ان أصل من قطعني و أعطي من حرمني و اعفو عمن ظلمني و ان يكون صمتي فكرا

و ذلك والله‌تعالى أعلم ان التابع أسير المتبوع في الصحة و الفساد اعتقادا و اخلاصا و علما و عملا أما ترى صحة بناء صلاة المقتدى على صلاة الامام المقتدى و كذا فسادها و لاشك في وصول الكمال و حصول صحة الاعمال في حال ملازمته صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم و اما بعده فما وقع من الطاعات لايخلو من تغيير النيات و فساد الحالات و مراعات المرايات كما أخبر بعض الصحابة عند الوفاة بقوله فما نفضنا أيدينا عن التراب و انا لفى دفنه صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم حتى أنكرنا قلوبنا يعني بالمظلمة الناشئة عن غيبة نور شمس وجوده و قمر جوده فالغنيمة الباردة أن يكون في مرتبة السزيات بين الطاعات و السيآت و هذا بالنسبة الى اجلاء الصحابة و عظماء الخلافة و اما من بعدهم فطاعاتهم المشحونة بالغرور و العجب و الرياء أسباب للمعاصي و وسائل لعقوبات العاصي غالبا الا ان يتفضل الله برحمته و عين عنايته بان يلحق المسيئين بالمحسنين بل قال بعض العارفين معصية أورثت ذلا و استصغارا خير من طاعة أورثت عجبا و استكبارا (فقلت ان أباك) أي عمر (و الله كان خيرا من أبي) أي أبي موسى في كل شئ فهذا كذلك لان كلام السادات سادات الكلام و كيف و هو الناطق بالصواب و الفاروق الذى يفرق بين الحق و الباطل من كل باب و الموافق رأيه نزول الكتاب و قد طابق قوله حديثه صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم انا أعلمكم بالله و أخشاكم له و قال سبحانه وتعالى انما يخشى الله من عباده العلماء هذا و قال الطيبي رحمه الله قوله لوددت خبر لكني مع اللام وهو ضعيف و يجوز أن يكون لوددت جواب القسم و الجملة القسمية خبر لكني على التأويل قلت بل الحديث حجة للكوفيين ففي المغنى و لايدخل اللام في خبر لكن خلافا للكوفيين احتجوا بقوله ★ ولكنني من حبها لعميد ★ و خرج على زيادة اللام أو على ان الاصل لكن انني ثم حذفت الهمزة تخفيفا و نون لكن للساكنين قلت هذه كلها تكلفات بعيدة و تعسفات مزيدة ما أنزل الله بها من سلطان و لادليل و لابرهان فالصواب انها للتأكيد كما جوز في بعض أخوات لكن على القياس السديد لاسيما و قد ورد على لسان الاوحدى من فصحاء العرب باسناد هو أصح الاسانيد (رواه البخارى) ثم من أعجب الغرائب و أغرب العجائب انه لو حكى من طريق الاصمعي و نحوه ان اعرابيا ممن يبول على عقبيه تكلم بمثله نثرا أو نظما أخذ النحاة به و جعلوه أصلا ممهدا و أساسا مؤبدا فصدق من قال ان أدلة الصرفيين و النحويين كنارات بيت العنكبوت فتارة تطرد و تارة تفوت ★(و عن أبي هريرة قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم أمرني ربي بتسع) أي خصال (خشية الله) بالجر و يجوز اخواته أي خوفه المقرون بالعظمة (في السر و العلانية) أي في القلب و القالب أو في الخلا و الملا (و كلمة العدل في الغضب و الرضا) بالقصر أي في الحالين (و القصد) أي الاقتصاد في المعيشة أو التوسط بين الصبر و الشكر غير خارج عنهما بالجزع و الطغيان (في الفقر و الغنى و ان أصل من قطعني) أي من ذوى الارحام أو غيرهم و هذا غاية الحلم و نهاية التواضع (و أعطي من حرمني) و هذا كمال الكرم و الجود (و أعفو عمن ظلمني) أي مع قدرتي على الانتقام و هذا نتيجة الصبر و قضية الشكر و رعاية الاحسان و الرحمة على أفراد الانسان (و أن يكون صمتي فكرا) أي في أسمائك و صفاتك و مصنوعاتك و معاني آياتك

و نطق ذكرا و نظرى عبرة و آمر بالعرف و قيل بالمعروف رواه رزين ✦ و عن عبدالله ابن مسعود قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم ما من عبد مؤمن يخرج من عينيه دموع و ان كان مثل رأس الذباب من خشية الله ثم يصيب شيأ من حر وجهه الا حرمه الله على النار رواه ابن ماجه ✦ (باب تغير الناس) ✦ ✦ (الفصل الاول) ✦ (عن ابن عمر قال قال رسول‌الله صلى‌الله عليه‌وسلم انما الناس كالابل المائة لاتكاد تجد فيها راحلة متفق عليه

(و نطقى ذكرا) أى بتسبيحك و تحميدك و تقديسك و تمجيدك و تكبيرك و توحيدك و تلاوة كتابك و موعظة عبادك (و نظرى عبرة) أى فى الآفاق و الانفس و ملكوت السموات و الارض (و آمر بالعرف و قيل بالمعروف) أى بدلا عن العرف بالضم و السكون و لم يقل و انهى عن المنكر اكتفاء أو العرف يشمل المعروف فى الشرع ارتكابا و اجتنابا قال الطيبى رحمه الله ذكر تسعا و أتى بعشر فالوجه ان يحمل العاشر و هو الامر بالمعروف على انه مجمل عقب التفصيل لان المعروف هو اسم جامع لكل ما عرف من طاعة الله و التقرب اليه و الاحسان الى الناس و كل ما ندب اليه الشرع و نهى عنه من المحسنات و المقبحات كانه قيل أمرنى ربى بان اتصف بهذه الصفات و آمر غيرى بالاتصاف بها فالواوات كلها عطفت المفرد على المفرد و فى قوله و آمر بالمعروف عطفت المجموع من حيث المعنى على المجموع بحسب اللفظ و نحوه فى التفرقة بين الواوين قوله تعالى و ما يستوى الاعمى و البصير و لا الظلمات و لا النور و لا الظل و لا الحرور (رواه رزين ✦ و عن ابن مسعود قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم ما من عبد مؤمن يخرج من عينيه) أى أو من أحدهما (دموع) أى دمعات أقلها ثلاث (و ان كان) أى الخارج أو كل دمع (مثل رأس الذباب) أى كمية أو كيفية (من خشية الله ثم يصيب) بالرفع و قيل بالنصب أى يصل الدمع (شيأ من حر وجهه) بضم الحاء و تشديد الراء المهملتين أى خالصه ففى القاموس حر الوجه ما أقبل عليك و بدا لك منه (الا حرمه الله على النار) و ضمير المفعول راجع الى العبد المؤمن الموصوف و يمكن ان يرجع الى حر وجهه فيكون كناية عن تحريم ذاته و الله تعالى أعلم (رواه ابن ماجه) و فى الجامع بلفظ ما من عبد مؤمن يخرج من عينيه من الدموع مثل رأس الذباب من خشية الله فيصيب حر وجهه فتمسه النار أبدا رواه ابن ماجه عن ابن مسعود ـــ

✦ (باب تغير الناس) ✦

أى بتغير الزمان على ما هو المتبادر الموافق لمضمون أكثر أحاديث الباب أو المراد بالتغير اختلاف حالاتهم و مراتبهم فى منازلاتهم الشاملة لتغير أزمنتهم و عليه ظاهر الحديث الاول من الفصل الاول فتأمل ✦ (الفصل الاول) ✦ (عن ابن عمر قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم انما الناس) أى فى اختلاف حالاتهم و تغير صفاتهم (كالابل المائة) قال الطيبى رحمه الله تعالى جل جلاله اللام فيهما للجنس قال التوربشتى رحمه الله تعالى الرواية فيه على الثبت كابل مائة بغير ألف و لام فيهما (لا تكاد) أى لاتقرب أيها المخاطب خطابا عاما (تجد فيها)أى فى مائة من الابل (راحلة) أى ناقة شابة قوية مرتاضة تصلح للركوب فكذلك لا تجد فى مائة من الناس من يصلح للصحبة و حمل المودة و ركوب المحبة فيعاون صاحبه و يلين له جانبه و هذا زبدة كلام الشارح الاول و من تابعه من شراح المصابيح و قال الخطابى معناه ان الناس فى أحكام الدين سواء لا فضل فيها لشريف على مشروف و لا لرفيع منهم على وضيع كابل المائة لا يكون فيها راحلة قال الطيبى

★ و عن أبي سعيد قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر و ذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتوهم قيل يا رسول‌الله اليهود و النصارى قال

رحمه الله على القول الاول لا تجد فيها راحلة صفة لابل و التشبيه مركب تمثيلي و على الثاني هو وجه الشبه و بيان لمناسبة الناس للابل قلت و لايخفى ظهور المعنى الاول فتدبر و تامل و خلاصته ان المرضى المنتخب من الناس الصالح للصحبة سهل الانقياد عسر وجوده كالنجيبة الصالحة للركوب التي لا توجد في الابل الكثيرة القوية على الاحمال و الاسفار فذكر المائة للتكثير لا للتحديد فان وجود العالم العامل المخلص من قبيل الكيمياء أو من باب تسمية العنقاء ولذا قال بعض العرفاء

أتمنى على الزمان محالا ★ ان ترى مقلتاى طلعة حر

و قال الآخر و اذا صفا لك من زمانك واحد ★ فهو المراد و اين ذاك الواحد

و كان يقول بعض أرباب الحال هذا زمان قحط الرجال و روى ان سهلا التسترى خرج من مسجد و رأى خلقا كثيرا في داخله و خارجه فقال أهل لا اله الا الله كثير و المخلصون منهم قليل و قد نبه سبحانه على هذا المعنى في آيات منها قوله تعالى و قليل من عبادى الشكور و منها الا الذين آمنوا و عملوا الصالحات و قليل ما هم و منها قوله تعالى في وصف السابقين المقربين ثلة من الاولين و قليل من الآخرين (متفق عليه) و رواه الترمذى و هذا لفظ البخارى نقله ميرك عن التصحيح و في الجامع بلفظ انما الناس كابل مائة بالتنكير رواه أحمد و الشيخان و الترمذى و ابن ماجه ★(و عن أبي سعيد قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم لتتبعن) بتشديد التاء الثانية و ضم العين أى لتوافقن بالتبعية (سنن من قبلكم) بضم السين جمع سنة و هى لغة الطريقة حسنة كانت أو سيئة و المراد هنا طريقة أهل الاهواء و البدع التي ابتدعوها من تلقاء أنفسهم بعد أنبيائهم من تغير دينهم و تحريف كتابهم كما أتى على بنى اسرائيل حذوا النعل بالنعل و في بعض النسخ بفتح السنين ففى المقدمة أى طريقهم (شبرا بشبر) حال مثل يدا بيد و كذا قوله (ذراعا بذراع) أى ستفعلون مثل فعلهم سواء بسواء (حتى لو دخلوا) أى من قبلكم من بنى اسرائيل (جحر ضب) و هو من أضيق أنواع الجحر و أخبثها (تبعتموهم) و لعل الحكمة في ذلك انه صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم لما بعث لاتمام مكارم الاخلاق في آخر الامم فيقتضى أن يكون أهل الكمال منهم موصوفين بجميع الخصال الحميدة في الاديان المتقدمة و من لوازم ذلك أن يكون أهل النقصان منهم في كمال مرتبة القصور منعوتين بجميع الخلال الذميمة الكائنة في الامم السابقة و نظيره ان بعض المشايخ ذكر انه ارتاض بجميع ما سمع من رياضات أرباب الولايات فاعطى له جميع أصناف الكرامات و خوارق العادات و يناسبه ما ذكره بعض المحققين من ان التوقف لايوجد في حق الانسان فان لم يكن في الزيادة فهو في النقصان و أيضا نوع بنى آدم معجون مركب من الطبع الملكى الروحانى العلوانى و من الطبع الحيوانى النفسانى السفلانى فان كان يميل الى العلو فيصير الى الرتبة الاولى من الملا الاعلى و ان كان يميل الى أسفل فيسير في طريقته من مراتب البهائم أدنى كما أشار اليه سبحانه بقوله أولئك كالانعام بل هم أضل و هنا ينفتح باب القضاء و لاخلاص الى القضاء الا بقوله لايسأل عما يفعل فتأمل (قيل يارسول‌الله اليهود و النصارى) بالنصب أى أتعنى بمن نتبعهم أو بمن قبلنا سنة اليهود و النصارى (قال) أى النبي

فمن متفق عليه ★ وعن مرداس الاسلمي قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم يذهب الصالحون الاول فالاول و تبقى حفالة كحفالة الشعير أو التمر لايباليهم الله بالة رواه البخارى
★ (الفصل الثانى) ★ عن ابن عمر قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم اذا مشت أمتى المطيطياء و خدمتهم ابناء الملوك ابناء فارس و الروم سلط الله شرارها على خيارها

صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم (فمن) أى ان لم‌أردهم فمن سواهم و المعنى انهم الغالبون المشهورون من أهل الكتاب و غيرهم مندرسون فاذا أطلق من قبلكم فهم المراد و كان غيرهم غير موجودين فى الاعتبار عند الاطلاق و قال شارح فمن استفهام أى فمن يكون غيرهم يعنى المتبوعين لكم هم لا غيرهم و قال ابن الملك روى اليهود بالجر أى هل نتبع سنن اليهود و بالرفع على انه خبر المبتدأ على تقدير حرف الاستفهام يعنى من قبلنا هم اليهود انتهى و قيل التقدير أى المتبوعون هم اليهود و النصارى أم غيرهم (متفق عليه) و رواه الحاكم عن ابن عباس ولفظه لتركبن سنن من قبلكم شبرا بشبر و ذراعا بذراع حتى لو ان أحدهم دخل جحر ضب لدخلتم و حتى لو ان أحدهم جامع امرأته بالطريق لفعلتموه ★ (وعن مرداس) بكسر الميم (الاسلمى) كان من أصحاب الشجرة يعد فى الكوفيين روى عنه قيس بن أبى‌حازم حديثا واحدا ليس له غيره (قال قال النبى) و فى نسخة صحيحة رسول‌الله (صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم يذهب) أى يموت (الصالحون الاول فالأول) بالرفع بدل من الصالحون و بالنصب حال أى واحدا بعد واحد أو قرنا بعد قرن (و تبقى حفالة) بضم الحاء المهملة و فى نسخة حثالة بالثاء المثلثة بدل الفاء و معناهما الردىء من الشئ و التنكير فى حفالة للتحقير (كحفالة الشعير) أى نخالته (أو التمر) أى دقله قال الطيبى رحمه الله الفاء للتعقيب و لابد من التقدير أى الاول منهم فالاول من الباقين منهم و هكذا حتى ينتهى الى الحفالة مثل الافضل فالافضل قال القاضى الحفالة رذالة الشئ و كذا الحثالة والفاء و الثاء يتعاقبان كثيرا (لايباليهم الله) أى لايرفع لهم قدرا و لايقيم لهم وزنا (بالة) أى مبالاة فيكون بحذوف الميم و الالف لكونهما من الزوائد كما قيل فى لبيك فانه مأخوذ من ألب بالمكان أقام به و أصل بالة بالية مثل عافاه الله عافية فحذفوا الياء منها تخفيفا يقال ما باليته و ما باليت به و منه أى لم أكترث به و قيل بالة بمعنى حالة أى لايبالى الله حالة من أحواله و منه البال بمعنى الحال (رواه البخارى) و كذا الامام أحمد
★ (الفصل الثانى) ★ (عن ابن عمر قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم اذا مشت أمتى المطيطياء) بضم الميم و فتح المهملة الاولى و كسر الثانية ممدودة و تقصر بمعنى التمطى و هو المشى فيه التبختر و مد اليدين و يروى بغير الياء الاخيرة و هو لفظ الجامع و نصبه على انه مفعول مطلق أى مشى تبختر و قيل انه حال أى اذا صاروا فى نفوسهم متكبرين و على غيرهم متجبرين (و خدمتهم) فى الجامع خدمها و هو الانسب بالسابق و اللاحق و المعنى قام بخدمتهم و انقاد فى حضرتهم (أبناء الملوك أبناء فارس و الروم) بدل مما قبله و بيان له (سلط الله شرارها) و لفظ الجامع سلط شرارها أى ظلمة الامة (على خيارها) أى مظلوميهم قال الشراح و هذا الحديث من دلائل نبوته صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم لانه أخبر عن المغيب و وافق الواقع خبره فانهم لما فتحوا بلاد فارس و الروم و أخذوا أموالهم و تجملاتهم و سبوا أولادهم فاستخدموهم سلط الله قتلة عثمان رضى‌الله عنه عليه حتى قتلوه ثم سلط بنى أمية على بنى هاشم ففعلوا ما فعلوا

رواه الترمذی و قال هذا حدیث غریب ★ و عن حذیفة ان النبی صلی‌الله‌علیه‌وسلم قال لاتقوم الساعة حتی تقتلوا امامکم و تجتلدوا باسیافکم و یرث دنیاکم شرارکم رواه الترمذی ★ و عنه قال قال رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم لاتقوم الساعة حتی یکون أسعد الناس بالدنیا لکع بن لکع رواه الترمذی و البیهقی فی دلائل النبوة

و هکذا (رواه الترمذی) و کذا ابن حبان ذکره میرک (و قال) أی الترمذی (هذا حدیث غریب ★ و عن حذیفة ان النبی صلی‌الله‌تعالی‌علیه‌وسلم قال لاتقوموا الساعة حتی تقتلوا امامکم) أی الخلیفة أو السلطان (و تجتلدوا) أی تتضاربوا (باسیافکم و یرث دنیاکم شرارکم) بأن یصیر الملک و المال والمناصب فی أیدی الظلمة وغیر أرباب الاستحقاق (رواه الترمذی ★ وعنه) أی عن حذیفة (قال قال رسول‌الله صلی‌الله‌تعالی‌علیه‌وسلم لاتقوم الساعة حتی یکون أسعد الناس) بنصب أسعد و یرفع أی أکثرهم مالا و أطیبهم عیشا و أرفعهم منصبا و أنفذهم حکما (بالدنیا) أی باموره‌ا أو فیها (لکع بن لکع) بضم اللام و فتح الکاف غیر مصروف أی لئیم بن لئیم أی ردیء النسب دنیء الحسب و قیل أراد به من لایعرف له أصل و لایحمد له خلق و حذف ألف ابن لاجراء اللفظین مجری علمین لشخصین خسیسین لئیمین قال ابن الملک رحمه الله فی بعض النسخ بنصب أسعد علی انه خبر یکون و فی بعضها برفعه علی ان الضمیر فی یکون للشأن والجملة بعده تفسیر للضمیر المذکور انتهی و لایجوز أن یکون أسعد أسما و لکع بنصب علی الخبریة لفساد المعنی کما لایخفی فلا یغرک ما فی بعض النسخ من نصب لکع فانه مخالف للروایة والدرایة و قد اقتصر شارح علی نصب أسعد و قال لکع بالرفع اسم یکون و هو الاحمق و قیل العبد و هو معدول عن اللکع یقال لکع الوسخ علیه لکعا فهو لکع اذا ألصق به و للرجل اللئیم کما عدلت لکاع المرأة اللئیمة ثم استعمل للاحمق و العبد لما فیه من الذلة و للحمش لما فیه من الخفة و للصبی لما فیه من الضعف و یقال للذلیل الذی تکون نفسه کالعبید و أرید به ههنا الذی لایعرف له أصل و لا یحمد له خلق انتهی و بهذا ظهر معنی قوله صلی‌الله‌تعالی‌علیه‌وسلم فی حق الحسن بن علی رضی‌الله تعالی عنهما أثم لکع و حاصله انه یطلق علی الصغیر قدرا وجثة بحسب ما یقتضیه المقام من المعنی المناسب للمرام و لذا قیل یقال للصبی الصغیر لکع مصروفا ذهابا الی صغر جثته و یطلق علی العبد و اللئیم و الاحمق لصغر قدرهم فاذا عرفت هذا فیصلح أن یراد بلکع کل من هذه المعانی من الصغیر و الحقیر و العبد و الاحمق و اللئیم ثم قال بعضهم هو لیس بمعدول و انما هو مثل صرد و نغر فحقه أن ینون لانه لیس بمعدول و فی القاموس اللکع کصرد اللئیم و العبد و الاحمق و من لایتجه لمنطق و لا لغیره و المهر و الصغیر و الوسخ و یقول فی النداء یا لکع و لایصرف فی المعرفة لانه بمعدول عن اللکع انتهی و هذا یؤید أن یکون لکع هنا مصروفا و قال الطیبی رحمه الله و هو غیر منصرف للعدل و الصفة (رواه الترمذی) أی فی سننه (و البیهقی فی دلائل النبوة) و کذا أحمد و الضیاء و روی أحمد و أبوداود و ابن ماجه و ابن حبان عن أنس مرفوعا لاتقوم الساعة حتی یتباهی الناس فی المساجد و روی أبو نعیم فی الحلیة عن ابی هریرة لاتقوم الساعة حتی یکون الزهد روایة و الورع تصنعا و روی أحمد و مسلم عن ابن مسعود لاتقوم الساعة الا علی شرار الناس و روی أبو یعلی الموصلی و الحاکم عن أبی سعید لاتقوم الساعة حتی لایحج البیت و روی السجزی عن ابن عمر لاتقوم الساعة حتی یخرج سبعون

✱ و عن محمد بن كعب القرظى قال حدثنى من سمع على بن أبى طالب قال أنا لجلوس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد فاطلع علينا مصعب بن عمير ما عليه الا بردة له مرقوعة بفرو فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم بكى للذى كان فيه من النعمة والذى هوفيه اليوم ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف

كذابا و روى أحمد و مسلم و الترمذى عن أنس لاتقوم الساعة حتى لايقال فى الارض الله الله و سيأتى فى أول باب الملاحم من حديث أبى هريرة المشتمل على ثلاث عشرة علامة لقيام الساعة مستوفى الكلام عليها ان شاء الله تعالى ✱ (و عن محمد بن كعب القرظى) بضم قاف و فتح راء فظاء معجمة نسبة الى بنى قريظة طائفة من يهود المدينة شرفها الله ذكره المصنف فى التابعين وقال سمع نفرا من الصحابة و منه محمد بن المنكدر و غيره و كان أبوه ممن لم يثبت يوم قريظة فترك (قال حدثنى من سمع على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه) لم يسم هذا السامع لكن تابعى تغفر جهالته مع احتمال كونه صحابيا آخر فتدبر (قال) أى على رضى الله عنه (أنا لجلوس) أى لجالسون (مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى المسجد) أى مسجد المدينة أو مسجد قباء (فاطلع) بتشديد الطاء أى فظهر (علينا مصعب بن عمير) بضم الميم و فتح العين و عمير مصغرا (ما عليه) أى ليس على بدنه (الا بردة له) أى كساء مخلوط السواد و البياض (مرقوعة بفرو) أى مرقعه بجلد قال ميرك هو قرشى هاجر الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم و ترك النعمة و الاموال بمكة و هو من كبار أصحاب الصفة الساكنين فى مسجد قباء و قال المؤلف عبدرى كان من أجلة الصحابة و فضلائهم هاجر الى أرض الحبشة فى أول من هاجر اليها ثم شهد بدرا و كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بعث مصعبا بعد العقبة الثانية الى المدينة يقرئهم القرآن و يفقههم فى الدين و هو أول من جمع الجمعة بالمدينة قبل الهجرة و كان فى الجاهلية من أنعم الناس عيشا و ألينهم لباسا فلما أسلم زهد فى الدنيا و قيل أنه بعثه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بعد أن بايع العقبة الاولى فكان يأتى الانصار فى دورهم و يدعوهم الى الاسلام فيسلم الرجل و الرجلان حتى فشا الاسلام فيهم فكتب الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يستأذنه أن يجمع بهم فاذن له ثم قدم على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم مع السبعين الذين قدموا عليه فى العقبة الثانية فاقام بمكة قليلا و فيه نزل رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه و كان اسلامه بعد دخول النبى صلى الله تعالى عليه وسلم دار الارقم (فلما رآه) أى أبصر مصعبا بتلك الحال الصعباء (رسول الله صلى الله عليه وسلم بكى للذى) أى للامر الذى (كان فيه) أى قبل ذلك اليوم (من النعمة و الذى هو فيه) أى و للامر الذى هو فيه من المحنة و المشقة (اليوم) أى فى الوقت الحاضر و الظاهر المتبادر أن بكاءه عليه الصلاة والسلام انما كان رحمة له و شفقة عليه لما رآه من فقره و فاقته لاسيما و قد كان عزيزا فى قومه و منغمسا فى نعمته لكن ينافيه بعض المنافاة ما وقع له صلى الله تعالى عليه وسلم مع عمر حيث بكى عمر رضى الله تعالى عنه لما رأى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم مضطجعا على حصير سرير ليس بينه و بينه شئ و قد أثر الحصير على بدنه الشريف و تذكر عمر تنعم كسرى و قيصر فقال له أ أنت فى هذا المقام يا عمر أما ترضى أن تكون لهم الدنيا و لنا الآخرة فالاولى أن يحمل البكاء على الفرح فى أنه وجد فى أمته من أختار الزهد فى الدنيا و الاقبال على العقبى أو على الحزن فى فقد ما عنده من بعض المساعدة لبعض الكسوة أو المعاونة فى بعض المعيشة والله تعالى أعلم و يؤيد تاويلنا نقل الراوى (ثم قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كيف)

بكم اذا غدا أحدكم فى حلة و راح فى حلة و وضعت بين يديه صحفة و رفعت أخرى و سترتم بيوتكم كما تستر الكعبة فقالوا يا رسول‌الله نحن يومئذ خير منا اليوم تنفرغ للعبادة و نكفى المؤنة قال لا أنتم اليوم خير منكم يومئذ رواه الترمذى ✱ وعن أنس قال قال رسول‌الله صلى‌الله عليه‌وسلم ياتى على الناس زمان الصابر فيهم على دينه كالقابض على الجمر

أى الحال (بكم اذا غدا) أى ذهب أول النهار (أحدكم فى حلة) بضم فتشديد أى فى ثوب أو فى ازار و رداء (و راح) أى ذهب آخر النهار (فى حلة) أى أخرى من الاولى قال ابن الملك أى كيف يكون حالكم اذا كثرت أموالكم بحيث يلبس كل منكم أول النهار حلة و آخره أخرى من غاية التنعم (و وضعت بين يديه صحفة) أى قصعة من مطعوم (و رفعت أخرى) أى من نوع آخر كما هو شأن المترفين من طائفة الاروام و هو كناية عن كثرة أصناف الاطعمة الموضوعة على الاطباق بين يدى المتنعمين من طبقة الاعجام (و سترتم بيوتكم) بضم الموحدة و كسرها أى جدرانها و المعنى زينتموها بالثياب النفيسة من فرط التنعم (كما تستر الكعبة) و فيه اشارة الى ان سترها من خصوصياتها لامتيازها (فقالوا يا رسول‌الله نحن يومئذ خير منا اليوم) و بينوا سبب الخيرية بقولهم مستأنفا فيه معنى التعليل (تنفرغ) أى عن العلائق و العوائق (للعبادة) أى بانفسنا (و نكفى) بصيغة المجهول المتكلم (المؤنة) أى بخدمنا و الواو لمطلق الجمع فالمعنى ندفع عنا تحصيل القوت لحصوله باسباب مهيأة لنا فنتفرغ للعبادة من تحصيل العلوم الشرعية و العمل بالخيرات البدنية و المبرات المالية (قال) و فى نسخة فقال (لا) أى ليس الامر كما ظننتم (أنتم اليوم خير منكم يومئذ) لان الفقير الذى له كفاف خير من الغنى لان الغنى يشتغل بدنياه و لايتفرغ للعبادة مثل من له كفاف لكثرة اشتغاله بتحصيل المال فالحديث صريح فى تفضيل الفقير الصابر على الغنى الشاكر فان الغنى بالنسبة الى الصحابة و هم أقوياء اذا كان كذلك فما بال غيرهم من الضعفاء و يؤيده ما رواه الديلمى فى الفردوس عن ابن عمر مرفوعا ما زويت الدنيا عن أحد الا كانت خيرة له أقول قوله عن أحد على عمومه فان الكافر الفقير عذابه أخف من الكافر الغنى فى النار فاذا نفع الفقر الكافر فى تلك الدار فكيف لاينفع المؤمن الصابر فى دار القرار (رواه الترمذى ✱ و عن أنس قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم ياتى على الناس زمان الصابر فيهم) أى فى أهل ذلك الزمان (على دينه) أى على حفظ أمر دينه بترك دنياه (كالقابض) أى كصبر القابض فى الشدة و نهاية المحنة (على الجمر) جمع الجمرة و هى شعلة من نار قال الطيبى رحمه الله الجملة صفة زمان و الراجع محذوف أى الصابر فيه و فيه ان الرابط مذكور فيه بقوله فيهم كما أشرنا اليه سابقا قال و المعنى كما لايقدر القابض على الجمر ان يصبر لاحراق يده كذلك المتدين يومئذ لايقدر على ثباته على دينه لغلبة العصاة و المعاصى و انتشار الفسق و ضعف الايمان انتهى و الظاهر ان معنى الحديث كما لايمكن القبض على الجمرة الا بصبر شديد و تحمل غلبة المشقة كذلك فى ذلك الزمان لايتصور حفظ دينه و نور ايمانه الا بصبر عظيم و تعب جسيم و من المعلوم ان المشبه به يكون أقوى فالمراد به المبالغة فلاينافيه ان ما أحد يصبر على قبض الجمر ولذا قال تعالى فما أصبرهم على النار مع أنه قد يقبض على الجمر أيضا عند الاكراه على أمر أعظم منه من قتل نفس أو احراق أو اغراق و نحوها ولذا قال تعالى قل نار جهنم أشد حرا و قد أشار الشاطبى رحمه الله فى زمانه الى هذا المعنى بقوله

رواه الترمذى و قال هذا حديث غريب اسنادا ★ وعن أبى هريرة قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم اذا كان أمراؤكم خياركم و أغنياؤكم سمحاءكم و أموركم شورى بينكم فظهر الارض خير لكم من بطنها و اذا كان أمراؤكم شراركم و أغنياؤكم بخلاءكم و أموركم الى نسائكم فبطن الارض خير لكم من ظهرها رواه الترمذى و قال هذا حديث غريب ★ وعن ثوبان قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم يوشك الامم ان تداعى عليكم كما تداعى الآكلة الى قصعتها

و هذا زمان الصبر من لك بالتى ★ كقبض على جمر فتنجو من البلاء

قال الجعبرى أى هذا الزمان زمان الصبر لانه قد أنكر المعروف و عرف المنكر و فسدت النيات و ظهرت الخيانات و أوذى المحق و أكرم المبطل فمن يسمح لك بالحالة التى لزومها فى الشدة كالقابض على جمر النار فقد روى أبو ثعلبة الخشنى عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال ائتمروا بالمعروف و تناهوا عن المنكر حتى اذا رأيت شحا مطاعا و هوى متبعا و دنيا مؤثرة و أعجاب كل برأيه فعليك خاصة نفسك ودع العوام فان وراءكم أياما الصبر فيهن مثل القبض على الجمر للعامل فيهن أجر خمسين رجلا يعملون مثل عملكم انتهى (رواه الترمذى و قال هذا حديث غريب اسنادا) قال ميرك نقلا عن التصحيح هذا الحديث وقع له ثلاثيا و فى سنده عمر ابن شاكر شيخ الترمذى وحده و قد ذكره ابن‌حبان فى الثقات انتهى و روى ابن عساكر عن أنس أيضا يأتى على الناس زمان يكون المؤمن فيه أذل من شاته ★(وعن أبى‌هريرة قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم اذا كان) و لفظ الجامع اذا كانت (أمراؤكم خياركم) أى أتقياءكم (و أغنياؤكم سمحاءكم) أى اسخياءكم واحده سمح فكانه جمع سميح بمعنى سمح (و أموركم شورى بينكم) مصدر بمعنى التشاور أى ذوات شورى على تقدير مضاف أو على أن المصدر بمعنى المفعول أى متشاور فيها و منه قوله تعالى و أمرهم شورى بينهم و قد قال سبحانه عزوجل لنبيه صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم و شاورهم فى الامر و المعنى ما دمتم متشاورين فى أموركم (فظهر الارض خير لكم من بطنها) أى لاجل انكم عاملون بما فى الكتاب و السنة و طوبى لمن طال عمره و حسن عمله (و اذا كان أمراؤكم شراركم) أى بالفسق و الظلم (و أغنياؤكم بخلاءكم) أى بقلة الرحمة و الشفقة (و أموركم الى نسائكم) أى مفوض الى رأيهن و الحال انهن من ناقصات العقل و الدين و قد ورد شاوروهن و خالفوهن و فى معناهن كل من يكون فى مرتبة حالهن من الرجال ممن يغلب عليه حب الجاه و المال و لم‌يعلم ما يتعلق بضرر الدين و وبال المال (فبطن الارض خير لكم من ظهرها) أى فان من لم‌يغلب خيره شره الموت خير له (رواه الترمذى و قال هذا حديث غريب ★ و عن ثوبان) و هو مولى للنبى صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم (قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم يوشك الامم) أى يقرب فرق الكفر و الضلالة (ان تداعى) حذف احدى التاءين أى تتداعى (عليكم) بان يدعو بعضهم بعضا لمقاتلتكم و كسر شوكتكم و سلب ما ملكتموه من الديار و الاموال (كما تداعى) أى تتداعى (الآكلة) بالمد و هى الرواية على نعت الفئة و الجماعة أو نحو ذلك كذا روى لنا عن كتاب أبى‌داود و هذا الحديث من افراده ذكره الطيبى رحمه الله و لو روى الاكلة بفتحتين على انه جمع آكل اسم فاعل لكان له وجه وجيه و المعنى كما يدعو أكلة الطعام بعضهم بعضا (الى قصعتها) أى التى يتناولون منها بلا مانع و لامنازع فيأكلونها عفوا صفوا كذلك ياخذون ما فى أيديكم بلا تعب ينالهم أو ضرر يلحقهم

فقال قائل و من قلة نحن يومئذ قال بل أنتم يومئذ كثير و لكنكم غثاء كغثاء السيل و لينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم و ليقذفن فى قلوبكم الوهن قال قائل يا رسول‌الله و ما الوهن قال حب الدنيا و كراهية الموت رواه أبوداود و البيهقى فى دلائل النبوة

★ (الفصل الثالث) ★ عن ابن عباس قال ما ظهر الغلول فى قوم الا ألقى الله فى قلوبهم الرعب و لا فشا الزنا فى قوم الا كثر فيهم الموت و لا نقص قوم المكيال و الميزان الا قطع عنهم الرزق و لا حكم قوم بغير حق الا فشا فيهم الدم و لا ختر قوم بالعهد الا سلط عليهم العدو رواه مالك

★ (باب الانذار و التحذير) ★ (الفصل الاول) ★ عن عياض بن حمار المجاشعى

أو باس يمنعهم (فقال قائل و من قلة) خبر مبتدا محذوف و قوله (نحن يومئذ) مبتدأ و خبر صفة لها أى اذلك التداعى لاجل قلة نحن عليها يومئذ (قال بل أنتم يومئذ كثير) أى عددا و قليل مددا و هذا معنى الاستدارك بقوله (و لكنكم غثاء) بالضم ممدودا قال الطيبى رحمه الله (كغثاء السيل) قال الطيبى بالتشديد أيضا ما يحمله السيل من زبد و وسخ شبههم به لقلة شجاعتهم و دناءة قدرهم و خفة أحلامهم و خلاصته و لكنكم تكونون متفرقين ضعيفى الحال خفيفى البال مشتتى الآمال ثم ذكر سببه بعطف البيان فقال (و لينزعن) أى ليخرجن (الله من صدور عدوكم المهابة) أى الخوف و الرعب (منكم) أى من جهتكم (و ليقذفن) بفتح الياء أى و ليرمين أى الله (فى قلوبكم الوهن) أى الضعف و كانه أراد بالوهن ما يوجبه و لذلك فسره بحب الدنيا و كراهة الموت حيث قال (قال قائل يا رسول‌الله و ما الوهن) أى ما سببه و ما موجبه قال الطيبى رحمه الله سؤال عن نوع الوهن أو كانه أراد من أى وجه يكون ذلك الوهن (قال حب الدنيا و كراهية الموت) و هما متلازمان فكانهما شئ واحد يدعوهم الى اعطاء الدنية فى الدين من العدو المبين و نسأل الله العافية فقد ابتلينا بذلك فكانما نحن الميتون بما ذكر هنالك (رواه أبوداود) أى فى سننه (و البيهقى فى دلائل النبوة) .

★ (الفصل الثالث) ★ (عن ابن عباس) أى موقوفا (قال ما ظهر الغلول) بالضم أى خيانة المغنم (فى قوم الا ألقى الله فى قلوبهم الرعب) بسكون العين و ضمها أى خوف العدو (و لا فشا الزنا) أى انتشر (فى قوم الا كثر فيهم الموت) أى بالوباء أو الطاعون أو موت القلب أو موت العلماء (و لا نقص قوم المكيال و الميزان) أى و ما فى معناهما كالذراع و العدد من طريق الغش و الخديعة (الا قطع عنهم الرزق) أى الحلال أو بركة الرزق الذى فى أيديهم (و لا حكم قوم) أى من الحكام (بغير حق) أى بغير استحقاق أو بغير علم فى أحكامهم الفاسدة بل بآرائهم الكاسدة (الا فشا فيهم الدم) أى القتل و المراد ما ينجر اليه (و لا ختر) بفتح الخاء المعجمة و الفوقية و منه قوله تعالى ان الله لا يحب كل ختار أى غدر (قوم بالعهد) أى بنقضه خديعة رجاء الغلبة (الا سلط) بصيغة المجهول أى بتسليط الله (عليهم العدو رواه مالك) أى فى باب ما جاء فى الغلول من الموطا

★ (باب) ★ كذا فى الاصول المعتمدة و النسخ المصححة من غير ترجمة و هو مرفوع على انه خبر مبتدأ محذوف أو الباء ساكن على الوقف و قال ابن الملك باب فى ذكر الانذار و التحذير أى التخويف و التذكير

★ (الفصل الاول) ★ (عن عياض بن حمار المجاشعى) بضم الميم قال المؤلف و كان صديقا

ان رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال ذات يوم في خطبته الا ان ربى أمرنى ان أعلمكم ما جهلتم مما علمنى يومى هذا كل مال نحلته عبدا حلال و انى خلقت عبادى حنفاء كلهم و انهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم و حرمت عليهم ما أحللت لهم و أمرتهم أن يشركوا بى ما لم أنزل به سلطانا

لرسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم قديما روى عنه جماعة وهو تميمى يعد فى البصريين (ان رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم قال ذات يوم فى خطبته) أى المعروفة أو فى موعظته (ألا) بالتخفيف للتنبيه (أن ربى أمرنى أن أعلمكم ما جهلتم مما علمنى) يحتمل أن يكون من بيان ما أو تبعيضية على انه منقطع عما قبله خبر لنا بعده مستأنف أى من جملة ما علمنى (يومى هذا) أى بما أوحى الله الى فى هذا اليوم بخصوصه (كل مال نحلته) أى أعطيته (عبدا) أى من عبادى و ملكته اياه فلايدخل الحرام (حلال) أى فلايستطيع أحد أن يحرمه من تلقاء نفسه و يمنعه من التصرف فيه تصرف الملاك فى أملاكهم و هذا من مقول الله كما يدل عليه قوله (و أنى خلقت عبادى حنفاء) أى مستعدين لقبول الحق و مائلين اليه عن الباطل .(كلهم) أى جميعهم لقوله صلى‌الله‌تعالى‌عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة و هى التوحيد المطلق و ما به يتعلق لقوله تعالى فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله أى لاتبدلوا مخلوقاته باليهودية و النصرانية و المجوسية و نحوها ذلك الدين القيم أى المستقيم فلا تعدلوا عن الجادة الى الطريق الزايغة كما قال تعالى و ان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه و لاتتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله أى عن طريقه الحقيقى الواصل اليه المقبول لديه لمن أراد المنة عليه و منه قوله تعالى و على الله قصد السبيل و منها جائر و لو شاء لهدا كم أجمعين ثم بين سبب ضلالة الخلق و غوايتهم عن الحق بقوله (وانهم) أى عبادى الحنفاء (أتتهم الشياطين) أى جاؤهم بالوسوة (فاجتالتهم) أى صرفتهم و ساقتهم مائلين (عن دينهم) من اجتاله أى ساقه و ذهب به و قيل الافتعال هنا للحمل على الفعل كاختطب زيد عمرا أى حمله على الخطبة فالمعنى حملتهم الشياطين على جولانهم و ميلانهم عن دينهم (و حرمت) أى الشياطين (عليهم ما أحللت لهم) أى من البحيرة و السائبة و غيرهما وتوضيحه ما حققه القاضى حيث قال قوله كل مال نحلته حكاية ما علمه الله تعالى و أوحى اليه فى يومه هذا و المعنى ما أعطيت عبدا من مال فهو حلال له ليس لاحد أن يحرم عليه و ليس لقائل أن يقول هذا يقتضى أن لايكون الحرام رزقا لان كل رزق ساقه الله تعالى الى عبد نحله و أعطاه و كل ما نحله و أعطاه فهو حلال فيكون كل رزق رزقه الله اياه فهو حلال و ذلك يستلزم أن يكون كل ما ليس بحلال ليس برزق لانا نقول الرزق أعم من الاعطاء فانه يتضمن التمليك و لذا قال الفقهاء لو قال لامرأته ان أعطيتنى الفا فانت طالق فاعطته ألفا بانت و دخل الالف فى ملكه و لا كذلك الرزق (و أمرتهم) أى الشياطين لهم (أن يشركوا بى ما) أى اشرا كا أو شيأ (.لم أنزل به) أى بوجوده (سلطانا) أى حجة و برهانا سميت به لتسلطه على القلوب عند هجوم الخواطر عليها بالقهر و الغلبة و المعنى ما ليس على اشرا كه دليل عقلى و لا نقلى اذ لو كان أحدهما لبينه سبحانه وتعالى بل الامر بخلافه حيث قال و قضى ربك أن لاتعبدوا الا أياه و القرآن مشحون بالادلة على بطلان الاشراك بالله تعالى قال القاضى هو مفعول يشركوا يريد به الاصنام و سائر ما عبد من دون الله أى أمرتهم بالاشراك بالله بعبادة ما لم يأمر الله بعبادته و لم ينصب دليلا على استحقاقه للعبادة و قال الطيبى رحمه الله ما لم أنزل به سلطانا أى لا انزال سلطان و لا شريك على أسلوب قوله

و ان الله نظر الى أهل الارض فمقتهم عربهم و عجمهم الا بقايا من أهل الكتاب و قال انما بعثتک لابتليک و أبتلي بک و أنزلت عليک كتابا لايغسله الماء تقرأه نائما و يقظان و ان الله أمرنی أن أحرق

★ على لاحب لايهتدى بمناره ★ أى لا منار و لا اهتداء به و قوله ★ و لايرى الضب بها ينجمعر ★ أى لا ضب و لا انجمعار نفيا للاصل و الفرع أى القيد و المقيد و قيل هذا على سبيل التهكم اذ لا يجوز على الله أن ينزل برهانا أن يشرك به غيره (و ان الله نظر الى أهل الارض) أى رآهم و وجدهم متفقين على الشرك منهمكين فى الضلالة (فمقتهم) أى أبغضهم (عربهم و عجمهم) بدل من الضمير و المراد بالعجم غير العرب و المعنى أبغضهم بسوء صنيعهم و خبث عقيدتهم و اتفاقهم قبل بعثة محمد صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم على الشرك و انغماسهم فى الكفر قوم موسى عليه السلام كفروا بعيسى و عبدوا عزيرا و ذهبوا الى أنه ابن الله و قوم عيسى ذهبوا الى التثليث أو الى أنه ابن الله و غير ذلک (الابقايا من أهل الكتاب) أى من اليهود و النصارى تبرؤا عن الشرك كذا قاله بعضهم و الاظهر ان المراد بهم جماعة من قوم عيسى بقوا متابعته الى أن آمنوا بنبينا صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم (و قال) أى الله تعالى (انما بعثتک) أى أرسلتک يا محمد (لابتليک) أى لامتحنک كيف تصبر على ايذاء قومک اياك (و ابتلى بک) أى قومک هل يؤمنون بک أم يكفرون (و أنزلت عليک كتابا) أى عظيما و هو القرآن (لايغسله الماء) أى أى لم نكتف بايداعه الكتب فيغسله الماء بل جعلناه قرآنا محفوظا فى صدور المؤمنين قال تعالى بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم و قال سبحانه انا نحن نزلنا الذكر و أنا له لحافظون أو المراد بالغسل النسخ و الماء مثل أى لاينزل بعده كتاب ينسخه و لا نزل قبله كتاب يبطله كما قال تعالى لايأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه تنزيل من حكيم حميد قال الطيبى رحمه الله أى كتابا محفوظا فى القلوب لايضمحل بغسل القراطيس أو كتابا مستمرا متداولا بين الناس مادامت السموات و الارض لاينسخ و لاينسى بالكلية و عبر عن ابطال حكمه و ترك قراءته و الاعراض عنه بغسل أوراقه بالماء على سبيل الاستعارة أو كتابا واضحا آياته بينا معجزاته لايبطله جور جائر و لايدحضه شبهة مناظر فمثل الابطال معنى بالابطال صورة و قيل كنى به عن غزارة معناه و كثرة جدواه من قولهم مال فلان لايفنيه الماء أو النار و قوله (تقرؤه) أى أنت (نائما و يقظان) بسكون القاف و المعنى يصير لک ملكة بحيث يحضر فى ذهنک و تلتفت اليه نفسک فى أغلب الاحوال فلاتغفل عنه نائما و يقظان و قد يقال للقادر على الشئ الماهر به و هو يفعله بالماء كذا ذكره الطيبى رحمه الله و خلاصته انه فى قلبک و أنت نائم و أقول لا احتياج الى التأويل بالنسبة الى قلبه الجليل لانه تنام عيناه و لاينام قلبه و قد شوهد كثير من الناس صغيرا و كبيرا انهم يقرؤن و هم نائمون و أغرب من هذا ما حكى بعض المريدين انه و شيخه كانا يتدارسان وقت السحر فى تلاوة القرآن عشرا عشرا فلما توفى الشيخ رحمه الله تعالى أتاه المريد وقت السحر على عادته عند قبره و أراد أن يقرأ ورده فلما تم عشر سمع من القبر صوت شيخه انه قرأ عشرا و سكت و هكذا كان الامر مستمرا الى انه حكى المريد القضية لبعض أصحابه فوقع تحت حجابه و نظيره سماع سعيد بن المسيب صوت الاذان من الضريح الانور أيام فتنة يزيد فى المدينة المعظمة حيث لم يبق فى المسجد أحد الا سعيد و كانوا يقولون انه شيخ مجنون (و ان الله أمرنى ان أحرق)

قريشا فقلت رب اذا يثلغوا رأسي فيدعوه خبزة قال استخرجهم كما أخرجوك و اغزهم نغزك و أنفق فسننفق عليك و ابعث جيشا نبعث خمسة مثله و قاتل بمن أطاعك من عصاك رواه مسلم ✦ و عن ابن عباس قال لما نزلت و أنذر عشيرتك الاقربين صعد النبي صلى الله عليه وسلم الصفا فجعل ينادي يا بني فهر يا بني عدي لبطون قريش حتى اجتمعوا فقال أرأيتكم لو أخبرتكم ان خيلا بالوادي تريد ان تغير عليكم

أي أهلك (قريشا) أي كفارهم (فقلت رب) أي يا رب (اذا) بالتنوين (يثلغوا) بفتح اللام أي يشدخوا و يكسروا (رأسي فيدعوه) بفتح الدال أي رأسي (خبزة) أي فيتركوه بالشدخ بعد الشكل الكروي مصحفا مثل خبزة (قال) أي الله لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم (استخرجهم) أي قريشا و المراد كفارهم (كما أخرجوك) أي كاخراجهم اياك جزاء وفاقا و ان كان بين الاخراجين بون بين فان اخراجهم اياه بالباطل و اخرجه اياهم بالحق (و اغزهم) أي و جاهدهم فالواو لمطلق الجمع فان القتال مقدم على الاخراج (نغزك) بضم النون من أغزيته اذا جهزته للغزو و هيأت له أسبابه (و انفق) أي ما في جهدك في سبيل الله (سننفق عليك)أي نخلف عليك بدله في الدنيا و الاخرى قال تعالى و ما أنفقتم من شئ فهو يخلفه و هو خير الرازقين و فيه وعد و تسلية (و ابعث) أي ارسل أنت (جيشا) أي كبيرا و صغيرا (نبعث خمسة) أي مقدار خمسة (مثله) بالنصب و المعنى نبعث من الملائكة خمسة أمثال تعينهم كما فعل ببدر قال تعالى بلى ان تصبروا و تتقوا و يأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين و كان المشركون يومئذ ألفا و المسلمون ثلثمائة (و قاتل بمن أطاعك) أي بمعونته أو معه (من عصاك) أي بعدم الايمان بك (رواه مسلم ✦ وعن ابن عباس قال لما نزلت و انذر عشيرتك الاقربين صعد) بكسر العين وهو جواب لما و في بعض النسخ فصعد بالفاء فلا وجه له أي طلع (النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الصفا) و هو جبل معروف بمكة من شعائر الله (فجعل) أي فشرع (النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ينادي) أي قبائل العرب (يا بني فهر) بكسر الفاء و سكون الهاء قبيلة من قريش على ما في القاموس(يابني عدي) و هم قبيلة من قريش أيضا على ما في القاموس فقوله (لبطون قريش) فيه اشكال اذ البطن دون القبيلة أو دون الفخذ و فوق العمارة و القبيلة واحد قبائل الرأس لقطع الشعوب بعضها الى بعض و منه قبائل العرب واحد هم قبيلة و هم بنو اب واحد كذا في القاموس و الحاصل ان القبيلة بمنزلة الجنس و البطن بمنزلة النوع و الفخذ بمنزلة الفصل و قد يستعار بعضها لبعض والله تعالى أعلم و قال الطيبي رحمه الله اللام فيه بيان كقوله تعالى لمن أراد ان يتم الرضاعة كانه قيل لمن قيل لبطون قريش (حتى اجتمعوا) أي من كل قبيلة و بطن جمع (فقال أرأيتكم) بفتح التاء و يجوز تحقيق الهمزة الثانية و تسهيلها و أبدالها و حذفها و المعنى أخبروني و تحقيقه ما ذكره الطيبي رحمه الله من ان الضمير المتصل المرفوع من الخطاب العام و الضمير الثاني لا محل له و هو كالبيان للاول لان الاول بمنزلة الجنس الشائع في المخاطبين فيستوي فيه التذكير و التأنيث و الافراد و الجمع فاذا أريد بيانه باحد هذه الانواع بين به فاتى في الحديث بعلامة الجمع بيانا للمراد انتهى فكانه قال أرأيتم فان رأيتم فاعلموني (لو أخبرتكم ان خيلا) أي جيشا (بالوادي) أي نزل به قال شارح وهو موضع معروف بقرب مكة و كانه أريد به الوادي المشهور بوادي فاطمة بين مكة و المدينة شرفها الله (تريد) أي الخيل (ان تغير عليكم) من الاغارة و هي النهب و البيوتة

أ كنتم مصدق قالوا نعم ما جربنا عليک الا صدقا قال فانی نذير لکم بين يدی عذاب شديد فقال أبولهب تبا لک سائر اليوم الهذا جمعتنا فنزلت تبت يدا أبی لهب و تب

بالغفلة يعنی أصحابها علی أحد المجازين فی قوله تعالی و اسأل القرية (أ كنتم مصدق) أی مصدقين لی فی قولی (قالوا نعم) أی كنا نصدقک و سببه انا فی جميع عمرنا (ما جربنا عليک الا صدقا) قال الطيبی رحمه الله ضمن جرب معنی الالقاء و عداه بعلی أی ما ألقينا عليک قولا مجربين لک فيه هل تكذب فيه أم لا ما سمعنا منک الا صدقا (قال فانی نذير لکم بين يدی عذاب شديد) أی قبل نزول عذاب عظيم و عقاب أليم و المعنی انکم ان لم تؤمنوا بی ينزل عليکم عذاب قريب قال الطيبی رحمه الله قوله بين يدی ظرف لغو نذير و هو بمعنی قدام لان كل من يكون قدام أحد يكون بين الجهتين المسامتتين ليمينه و شماله و فيه تمثيل مثل انذاره القوم بعذاب الله تعالی النازل علی القوم بنذير قوم يتقدم جيش العدو فينذرهم (فقال أبو لهب) مشهور بكنيته و اسمه عبد العزی و هو ابن عبدالمطلب بن هاشم عم النبی صلی الله تعالی عليه وسلم (تبا لک) أی خسرانا و هلاكا و نصبه بعامل مضمر قاله القاضی فهو اما نصب علی المصدر و المعنی تب تبا أو باضمار فعل أی الزمک الله هلاكا و خسرانا و ألزم تبا لک (سائر اليوم) أی فی باقی الاوقات أو فی جميع الايام قال التوربشتی رحمه الله من ذهب فی سائر الی البقية فانه غير مصيب لان الحرف من السير لا من السور و فی أمثالهم فی اليأس من الحاجة أسائر اليوم و قد زال الظهر قال الطيبی رحمه الله و فيه نظر لانه قال صاحب النهاية السائر مهموز الباقی و الناس يستعملونه فی معنی الجميع و ليس بصحيح و قد تكررت هذه اللفظة فی الحديث و كلها بمعنی باقی الشیٔ و يدل علی تصحيح ما فی النهاية ما فی أساس البلاغة فانه أورده فی باب السين مع الهمزة قائلا سار الشارب فی الاناء سورا و سورة أی بقية و فی المثل أسائر اليوم و قد زال الظهر انتهی كلامه فعلی هذا المراد بسائر اليوم بقية الايام المستقبلة و فی القاموس السؤر البقية و الفضلة و أسأر أبقاه كسأر كمنع و الفاعل منهما سائر و القياس مسئر و يجوز و السائر الباقی لا الجميع كما توهم جماعات أو قد يستعمل له و منه قول الاحوص

فجلتها لنا لبابة لما ★ وقذ النوم سائر الحراس

و ضاف اعرابی قوما فامروا الجارية بتطييبه فقال بطنی عطری و سائری ذری و أغير علی قوم فاستصرخوا بنی عمهم فابطؤا عنهم حتی أسروا و ذهب بهم ثم جاؤا يسالون عنهم فقال لهم المسؤل أسائر اليوم و قد زال الظهر أی تطمعون فيما بعد و قد تبين لکم اليأس لان من كانت حاجته اليوم باسره و زال الظهر وجب ان ييأس كما ييأس منها بالغروب (١) (الهذا) أی لهذا الاستخبار و الاخبار (جمعتنا) أی بالمناداة (فنزلت تبت) أی هلكت وخسرت (يدا أبی لهب) بفتح الهاء و يسكن أی نفسه كقوله تعالی و لا تلقوا بايديکم أی بانفسکم و الباء زائدة و قيل المراد بهما دنياه و أخراه و قيل انما خصتا لانه لما قال الهذا دعوتنا أخذ حجرا ليرميه به فنزلت و انما كناه و الكنية تكرمة لاشتهاره بكنيته أو لان اسمه عبد العزی فاستکره ذكره أو لانه لما كان من أهل النار كانت الكنية أوفق بحاله و ان كان كنی لكمال جماله و قریٔ أبو لهب كما قيل علی ابن أبو طالب علی لغة من قصر علی الواو فی الاسماء الستة كما قصر بعضهم علی الالف فيها كقوله ان أباها و أبا أباها (و تب) اخبار بعد خبر للتاكيد و التعبير بالماضی لتحقق وقوعه

(١) صحح نظرا الی القاموس —

متفق عليه و فى رواية نادى يا بنى عبد مناف انما مثلى و مثلكم كمثل رجل رأى العدو فانطلق يربأ أهله فخشى ان يسبقوه فجعل يهتف يا صباحاه ★ و عن أبى هريرة قال لما نزلت و انذر عشيرتك الاقربين دعا النبى صلى الله عليه وسلم قريشا فاجتمعوا فعم و خص فقال يا بنى كعب ابن لؤى انقذوا أنفسكم من النار يا بنى مرة بن كعب انقذوا أنفسكم من النار يا بنى عبد شمس انقذوا أنفسكم من النار يا بنى عبد مناف انقذوا أنفسكم من النار يا بنى هاشم انقذوا أنفسكم من النار يا بنى عبدالمطلب انقذوا أنفسكم من النار يا فاطمة انقذى نفسك من النار فانى لا أملك لكم من الله شيأ غير ان لكم رحما سابلها

أو الاول دعاء و الثانى اخبار (متفق عليه و فى رواية) قال ميرك هذه الرواية من أفراد مسلم (نادى يا بنى عبد مناف) هو أخو هاشم و عبد شمس و المطلب و مناف صنم كذا فى القاموس (انما مثلى و مثلكم كمثل رجل رأى العدو) أى بعينه (فانطلق) أى ذهب مسرعا (يربأ) بفتح الموحدة و بالهمز أى يحفظ من العدو (أهله) أى قومه و يرقبهم بقتالهم على موضع عال (فخشى) أى الرجل (ان يسبقوه) أى يسبق العدو الى أهله و يصلوا الى القوم قبل ان يصل اليهم بنفسه (فجعل) أى فشرع (يهتف) بكسر التاء أى يصيح و ينادى من أعلى جبل و ربما يجعل ثوبه على يده أو على خشب يرفعه لزيادة الاعلام و منه النذير العريان أو هو كناية عن خلوه من العرض أو ايماء الى انه أخذ و سلب عنه ثوبه و هرب منهم فحينئذ كل أحد يصدقه فى قوله (يا صباحاه) بسكون الهاء و لما كانت الغارة غالبا تكون فى الصباح خصت به و لو كانت فى المساء أيضا و الله تعالى أعلم فهى كلمة تقال لانذار أمر مخوف و المعنى يا قوم احذروا الاغارة بالذهاب قبل مجىء العدو فكأنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال احذروا عقاب الله بالايمان قبل نزوله ★(وعن أبى هريرة قال لما نزلت و انذر عشيرتك الاقربين دعا النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قريشا) أى قبائله (فاجتمعوا فعم) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى النداء بما ذكره (و خص) ثم بين الراوى كيفية العموم و الخصوص بقوله (فقال) أى النبى صلى الله عليه وسلم (يا بنى كعب بن لؤى) بضم لام و فتح همز و قد يبدل واوا فتحتية مشددة و هو ابن غالب بن فهر (انقذوا) بفتح همزة و كسر قاف أى خلصوا (أنفسكم من النار يا بنى مرة بن كعب) بضم ميم و تشديد راء أى أبو قبيلة من قريش على ما فى القاموس (انقذوا أنفسكم من النار يا بنى عبد شمس انقذوا أنفسكم من النار يا بنى عبد مناف انقذوا أنفسكم من النار يا بنى هاشم انقذوا أنفسكم من النار يا بنى عبد المطلب انقذوا أنفسكم من النار يا فاطمة انقذى نفسك من النار) ختم بها لانها خلاصة قومها ثم عم فى تبرئ انقاذه اياهم من النار بغير الايمان و العمل الصالح بقوله (فانى لا أملك لكم) أى لجميعكم عامكم و خاصكم (من الله) أى من عذابه (شيأ) أى من الملك و القدرة و الدفع و المنفعة و المعنى انى لا أقدر ان أدفع عنكم من عذاب الله شيأ ان أراد الله ان يعذبكم و هو مقتبس من قوله سبحانه قل فمن يملك لكم من الله شيأ أن أراد بكم ضرا أو أراد بكم نفعا بل قال الله تعالى قل لا أملك لنفسى نفعا و لا ضرا الا ما شاء الله و هذا التوحيد على وفق التفريد و هو صلى الله تعالى عليه وسلم و ان كان قد ينفع المؤمنين بالشفاعة حيث يشفع و يشفع لكن أطلقه ترهيبا لهم على الاتكال عليه و ترغيبا لهم على الاجتهاد فى أمر زاد المعاد و الله رؤف بالعباد و هذا معنى قوله (غير ان لكم رحما) أى قرابة (سابلها) بضم موحدة و تشديد لام أى ساصلها

بيلالها رواه مسلم و فى المتفق عليه قال يا معشر قريش اشتروا أنفسكم لا أغنى عنكم من الله شيأ و يا بنى عبد مناف لا أغنى عنكم من الله شيأ يا عباس بن عبد المطلب لا أغنى عنك من الله شيأ و يا صفية عمة رسول الله لا أغنى عنك من الله شيأ و يا فاطمة بنت محمد سليني ما شئت من مالى لا أغنى عنك من الله شيأ

✱ (الفصل الثانى) ✱ عن أبى موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمتى هذه أمة مرحومة ليس عليها عذاب فى الآخرة عذابها فى الدنيا الفتن و الزلازل و القتل

(ببلالها) بكسر الموحدة و يفتح أى بصلتها و بالاحسان اليها و مجمله انى ساصل تلك القرابة بالشئى الذى يتوصل به الى الاقارب من الاحسان و دفع الظلم و الضر عنهم و غير ذلك ففى النهاية البلال جمع بلل و العرب يطلقون النداوة على الصلة كما يطلق اليبس على القطيعة لانهم لما رأوا ان بعض الأشياء يتصل بالنداوة و يحصل بينها التجافى و التفرق باليبس استعاروا البلل لمعنى الوصل و اليبس لمعنى القطيعة و المعنى أصلكم فى الدنيا و لا أغنى عنكم من الله شيأ (رواه مسلم و فى المتفق عليه) هذا موجود فى بعض النسخ المصححة (يا معشر قريش اشتروا أنفسكم) أى اعتقوها وخلصوها من النار بالايمان و ترك الكفران و بالطاعة لما جئت به و الانقياد لمامنعت منه (لا أغنى عنكم من الله شيأ) أى لا أبعد منكم و لا أدفع عنكم شيأ من عذاب الله (يا بنى عبد مناف لا أغنى عنكم من الله شيأ يا عباس بن عبد المطلب) بالنصب فيهما و فى نسخة برفع عباس (لا أغنى عنك من الله شيأ و يا صفية) بالواو العاطفة بخلاف ما قبله من ألفاظ النداء فانها كانت على سبيل التعداد و صفية مرفوعة و قوله (عمة رسول الله) منصوبة (لا أغنى عنك من الله شيأ) و كذا قوله (و يا فاطمة بنت محمد سليني ما شئت مما لى) كذا فى نسخ من موصولة قال التوربشتى رحمه الله تعالى أرى أنه ليس من المال المعروف فى شئى و انما عبر به عما يملكه من الامر و ينفذ تصرفه فيه و لم يثبت عندنا أنه كان ذا مال لاسيما بمكة و يحتمل ان الكلمتين أعنى من و ما وقع الفصل فيهما من بعض من لم يحققه من الرواة فكتبهما بنفصلتين انتهى و فيه انه يرده قوله تعالى و وجدك عائلا فاغنى أى بمال خديجة رضى الله عنها على ما قاله المفسرون و أيضا لم يلزم من عدم وجود المال الحاضر للجواد أن لايدخل فى يده شئى من المال فى الاستقبال فيحمل الوعد المذكور على تلك الحال و مهما أمكن الجمع لتصحيح الدراية تعين عدم التخطئة فى الرواية و الله سبحانه و تعالى أعلم (لا أغنى عنك من الله شيأ)

✱ (الفصل الثانى) ✱ (عن أبى موسى) أى الاشعرى رضى الله عنه (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم امتى هذه) أى امة الاجابة الموجودة ذهنا المعهودة معنى كانها المذكورة حسا (أمة مرحومة) أى رحمة زائدة على سائر الامم لكون نبيهم رحمة للعالمين بل مسمى بنبى الرحمة و هم خير أمة (ليس عليها عذاب) اى شديد (فى الآخرة) بل غالب عذابهم انهم مجزيون باعمالهم فى الدنيا بالمحن و الامراض و أنواع البلايا كما حقق فى قوله تعالى من يعمل سوأ يجز به على ما تقدم و الله تعالى أعلم و يؤيده قوله (عذابها فى الدنيا الفتن و الزلازل و القتل) أى بغير حق و قيل الحديث خاص بجماعة لم تات كبيرة و يمكن أن تكون الاشارة الى جماعة خاصة من الامة و هم المشاهدون من الصحابة أو المشيئة مقدرة لقوله تعالى ان الله لايغفر أن يشرك به و يغفر ما دون ذلك لمن يشاء و قال المظهر هذا حديث مشكل لان مفهومه أن لايعذب أحد

رواه أبوداود ★ و عن أبي عبيدة و معاذ بن جبل عن رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال ان هذا الامر بدأ نبوة و رحمة ثم يكون خلافة و رحمة ثم ملكا عضوضا ثم كائن

من أمته صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم سواء فيه من ارتكب الكبائر و غيره فقد وردت الاحاديث بتعذيب مرتكب الكبيرة اللهم الا أن يؤول بان المراد بالامة هنا من اقتدى به صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم كما ينبغي و يمتثل بما أمر الله و ينتهي عما نهاه و قال الطيبي رحمه الله الحديث وارد في مدح أمته صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم و اختصاصهم من بين سائر الامم بعناية الله تعالى و رحمته عليهم و انهم أن أصيبوا بمصيبة في الدنيا حتى الشوكة يشاكها ان الله يكفر بها في الآخرة ذنبا من ذنوبهم و ليست هذه الخاصية لسائر الامم و يؤيده ذكر هذه و تعقيبها بقوله مرحومة فانه يدل على مزية تمييزهم بعناية الله تعالى و رحمته و الذهاب الى المفهوم مهجور في مثل هذا المقام و هذه الرحمة هي المشار اليها بقوله و رحمتي وسعت كل شئ فسأكتبها للذين يتقون الى قوله الذين يتبعون الرسول النبي الامي انتهى و لا يخفى عليك ان هذا كله مما لايدفع الاشكال فانه لاشك عند أرباب الحال ان رحمة هذه الامة انما هي على وجه الكمال و انما الكلام في ان هذا الحديث بظاهره يدل على ان أحدا منهم لايعذب في الآخرة و قد تواترت الاحاديث في ان جماعة من هذه الامة من أهل الكبائر يعذبون في النار ثم يخرجون أما بالشفاعة و أما بعفو الملك الغفار و هذا منطوق الحديث و معناه الماخوذ من ألفاظه و مبناه و ليس بمفهومه المتعارف المختلف في اعتباره حتى يصح قوله ان هذا المفهوم مهجور بل المراد بمفهومه في كلام المظهر المعلوم في العبارة ثم قول الطيبي رحمه الله و ليست هذه الخاصية و هي كفارة الذنوب بالبلية لسائر الامم يحتاج الى دليل مثبت و لا عبرة بما فهم من المفهوم من قوله عذابها في الدنيا الفتن الى آخره فانه قابل للتقييد بكون وقوع عذابها بها غالبا . (رواه أبوداود) و كذا الحاكم في مستدركه و صححه و أقره الذهبي ذكره ميرك و في الجامع بلفظ أمتي هذه أمة مرحومة ليس عليها عذاب انما عذابها في الدنيا الفتن و الزلازل و القتل و البلايا رواه أبوداود و الطبراني و الحاكم و البيهقي عن أبي موسى و رواه الحاكم في الكنى عن أنس أمتي أمة مرحومة مغفور لها متاب عليها أي يتوب الله عليها و لايتركها مصرة على الذنوب ففيه دليل على ان المراد به خواص هذه الامة و الله تعالى أعلم ★ (و عن أبي عبيدة و معاذ بن جبل عن رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم قال ان هذا الامر) أي ما بعث به من اصلاح الناس دينا و دنيا و هو الاسلام و ما يتعلق به من الاحكام (بدا) بالالف أي ظهر و في نسخة بالهمزة أي ابتدأ أول أمر الدين الى آخر زمانه صلى‌الله‌تعالى عليه‌وسلم زمان نزول الوحي و الرحمة (نبوة و رحمة) نصبهما على التمييز أو الحال أي ذا نبوة و رحمة كاملة من نبي الرحمة على الامة المرحومة (ثم يكون) أي أمر الدين (خلافة) أي نيابة عن حضرة النبوة (و رحمة) أي شفقة على الامة بطريق كمال الولاية على وجه التبعية الى ثلاثين سنة فانقضت بستة أشهر أيام الحسن فليس لمعاوية نصيب في الخلافة خلافا لمن خالفه (ثم ملكا عضوضا) بفتح العين فعول للمبالغة من العض بالسن أي يصيب الرعية فيه ظلم يعضون فيه عضا و روى بضم العين جمع عض بالكسر و هو الخبيث الشرير أي يكون ملوك يظلمون الناس و يؤذونهم بغير حق و هذا مبني على الغالب اذ النادر لا حكم له فلايشكل بان عمر ابن عبد العزيز كان عادلا حتى سمي عمر الثاني و قضاياه مشهورة و مناقبه مسطورة (ثم كائن)

جبرية و عتوا و فسادا فى الارض يستحلون الحرير و الفروج و الخمور يرزقون على ذلک و ينصرون حتى يلقوا الله رواه البيهقى فى شعب الايمان ✱ وعن عائشة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أن أول ما يكفأ قال زيد بن يحيى الراوى يعنى الاسلام كما يكفأ الاناء يعنى الخمر

أى ذلک الامر أو ثم هذا الامر كائن (جبرية) بفتح الجيم و الموحدة على النصب أى قهرا و غلبة (و عتوا) بضمتين فتشديد أى تكبرا (و فسادا فى الارض) أى فى الحرث و الانعام و غير ذلک من منكرات العظام و لعل وجه العدول فى الكلام هو الاستمرار و الدوام كما هو مشاهد فى هذه الايام حيث استقرت الخلافة فى أيدى الظلمة بطريق التسلط و الغلبة من غير مراعاة شروط الامامة أولا ثم فى زيادة الظلم و التعدى على الرعايا و التحكم عليهم بانواع البلايا و أصناف الرازيا ثانيا ثم فى اعطاء المناصب لغير أربابها المستحق نها و عدم الالتفات الى العلماء العاملين و الاولياء الصالحين ثالثا ثم غالب سلاطين زماننا تركوا القتال مع المشركين و توجهوا الى مقاتلة المسلمين لاخذ البلاد و اعطاء الفساد ولذا قال بعض علمائنا من قال سلطان زماننا عادل فهو كافر و من أقبح ما صدر من بعض خوانين الازبک فى زماننا انه أمر بالقتل العام فى بلد عظيم من بلدان أهل الاسلام المشتمل على المشايخ الكرام و السادات العظام و علماء الاسلام و النساء و الضعفاء و الاطفال و سائر المرضى و العميان و الاهل و العيال ألوف مؤلفة و صنوف مؤتلفة و الحال ان أهل البلد المذكور على الملة الحنيفية و مذهب الحنفية من جملة أهل السنة و الجماعة و مدعى السلطنة يزعم انه على تعظيم العلم و الشريعة و قد صرح علماؤنا بان المسلمين لو فتحوا قلعة من أهل الكفر و يوجد فيهم الوف من أهل الحرب لكن فيهم ذمى واحد مجهول العين فيما بينهم لايحل قتل العام فى ذلک المقام فلاحول و لا قوة الابالله و ما شاء الله كان و ما لم يشأ لم يكن أعلم ان الله على كل شئى قدير و ان الله قد أحاط بكل شئى علما هذا و قد ظهر الفساد فى البر و البحر حتى فى الحرمين الشريفين مما لم يمكن ذكره و مما لم يتصور فكره و الله ولى دينه و ناصر نبيه و كل عام بل كل يوم بل كل ساعة شر مما قبله الى أن تقوم الساعة و لم يكن فى الارض من يقول الله الله و يؤيده قوله (يستحلون الحرير و الفروج و الخمور) أى بانواعها كما سبق (يرزقون) و فى نسخة و يرزقون أى و الحال انهم يرزقون (على ذلک) أى ما ذكر من الاستحلال و سائر قبائح الافعال (و ينصرون) أى على مقاصدهم من الاعمال لحكمة عجزت عن ادراكها أرباب الكمال (حتى يلقوا الله) اشارة الى قوله تعالى و لا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار (رواه البيهقى فى شعب الايمان) قلت و كان الاولى ان يذكره فى كتابه دلائل النبوة ✱ (و عن عائشة قالت سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول ان أول ما يكفأ) بصيغة المجهول مهموزا من كفأت الاناء أى قلبته و أملته و كببته لافراغ ما فيه قيل انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يتحدث فى الخمر فقال فى اثناء حديثه ان أول الى آخره فالخبر محذوف أى الخمر لكنه غير ملائم لما بعده من نقل المؤلف (قال زيد بن يحيى الراوى) أى أحد رواة هذا الحديث (يعنى الاسلام) فان الظاهر ان مراده تقدير الخبر و ان معناه أول ما يتغير الاسلام و هو الانقياد الظاهر المتعلق بارتكاب الطاعات واجتناب المحرمات و يؤيده قوله (كما يكفأ الاناء) أى ما فيه و لهذا قال الراوى (يعنى) أى يريد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله الاناء (الخمر) اما على مجاز الحذف أى مظروف الاناء و اما على ذكر

قيل فكيف يا رسول‌الله و قد بين الله فيها ما بين قال يسمونها بغير اسمها فيستحلونها رواه الدارمى
★ (الفصل الثالث) ★ عن النعمان بن بشير عن حذيفة قال، قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها الله تعالى ثم تكون خلافة على منهاج النبوة ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها الله تعالى ثم تكون ملكا عاضا فيكون ما شاء الله أن يكون ثم يرفعها الله تعالى

المحل و ارادة الحال كما حقق فى قوله تعالى و اسئل القرية لكن يشكل بقوله (قيل فكيف يا رسول‌الله) أى يشربون الخمر و يمكن دفعه بان يقال المعنى فكيف الحال فى انقلاب أحكام الاسلام و تبيان الحلال و الحرام (و قد بين الله فيها) أى فى الخمر مثلا (ما بين) أى من تحريمها (قال يسمونها بغير اسمها) أى يسمونها باسم النبيذ و المثلث (فيستحلونها) أى حقيقة فيصيرون كفرة أو فيظهرون انهم يشربون شيأ حلالا فيكونون فسقة مكرة ولذا قال بعض الشراح يعنى انهم يستترون بما أبيح لهم من الانبذة فيتوصلون بذلك الى استحلال ما حرم عليهم منها هذا ما ظهر لى فى هذا المقام من حل المرام و قال الطيبى رحمه الله خبر ان محذوف و هو الخمر و الكاف فى كما، يكفأ صفة مصدر محذوف يعنى أول ما يكفأ من الاسلام اكفاء مثل اكفاء ما فى الاناء انتهى و أفاد أن التقدير من الاسلام و ان من تبعيضية ساقطة من الكلام أى من أحكامه و قال القاضى يكفأ يقلب و يمال و يقال كفأت القدر اذا قلبتها لينصب عنها ما فيها و المراد به الشرب ههنا فان الشارب يكفأ القدح عند الشرب و قول الراوى يعنى الاسلام يريد به فى الاسلام و سقط عنه و المعنى أن أول ما يشرب من المحرمات و يجترأ على شربه فى الاسلام كما يشرب الماء و يجترأ عليه هو الخمر و يؤولون فى تحليلها بان يسموها بغير اسمها كالنبيذ و المثلث انتهى فيفيد ان النبيذ و المثلث حلالان و ان حقيقة الشئ لايتغير بتغير اسم شئ عليه كما يسمى الزنجى بالكافور فلايصح استدلال من توهم حرمة القهوة المحدثة بانها من أسماء الخمر و لابانها تشرب على هيئة أهل الشرب لانا نقول لاخصوصية حينئذ بالقهوة فان اللبن و الماء و ماء الورد كذلك على ان الشرب المتعارف فى الحرمين الشريفين و غيرهما ليس على منوال شرب الفسقة فانه يتناول الزبادى المتعددة و شرب جماعة فى حالة متحدة و بهذا تزول المشابهة و ترتفع الشبهة و مما يدل على اباحتها ما نص الله فى كلامه بقوله هو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعا و ان الاصل فى الاشياء الاباحة ما لم يصرف عنها دليل من الكتاب و السنة و اجماع الامة أو القياس على وجه الصحة (رواه الدارمى) و روى أحمد و الضياء عن عبادة بن الصامت مرفوعا لتستحلن طائفة من أمتى الخمر باسم يسمونها اياه

★ (الفصل الثالث) ★ (عن النعمان بن بشير) له و لابويه صحبة (عن حذيفة) أى صاحب أسرار النبوة المحمدية (قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم تكون النبوة) بالرفع على أن تكون تامة أى توجد و تقع (فيكم ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها الله تعالى ثم تكون خلافة) بالرفع و فى بعض النسخ المصححة بالنصب على أن تكون ناقصة و هو الملائم لما سيأتى من قوله ثم تكون ملكا و المعنى ثم تنقلب النبوة خلافة أو تكون الحكومة أو الامارة خلافة أى بنيابة حقيقية (على منهاج النبوة) أى طريقتها الصورية و المعنوية (ما شاء الله أن تكون) أى الخلافة و هى ثلاثون سنة على ما ورد (ثم يرفعها الله تعالى ثم تكون ملكا عاضا) أى يعض بعض أهله بعضا كعض الكلاب (فيكون) أى الملك أى الامر على هذا المنوال (ماشاءالله أن يكون ثم يرفعهاالله تعالى)

ثم تكون ملكا جبرية فيكون ما شاء الله أن يكون ثم يرفعها الله تعالى ثم تكون خلافة على منهاج النبوة ثم سكت قال حبيب فلما قام عمر بن عبد العزيز كتبت اليه بهذا الحديث أذكره اياه و قلت أرجو أن تكون أمير المؤمنين بعد الملك العاض و الجبرية فسر به و أعجبه يعنى عمر بن عبد العزيز رواه أحمد و البيهقى فى دلائل النبوة

★ (كتاب الفتن) ★ ★ (الفصل الاول) ★ عن حذيفة قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما ما ترك شيأ يكون فى مقامه ذلك الى قيام الساعة الا حدث به حفظه من حفظه و نسيه من نسيه قد علمه أصحابى هؤلاء

أى تلك الحالة (ثم تكون) أى الحكومة (ملكا جبرية) أى جبروتية و سلطنة عظموتية (فيكون) أى الامر على ذلك (ما شاء الله أن يكون ثم يرفعها الله تعالى) أى الجبرية (ثم تكون) أى تنقلب و تصير (خلافة) و فى نسخة بالرفع أى تقع و تحدث خلافة كاملة (على منهاج نبوة) أى من كمال عدالة و المراد بها زمن عيسى عليه الصلاة والسلام و المهدى رحمه الله (ثم سكت) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عن الكلام (قال حبيب) قال المؤلف هو حبيب بن سالم مولى النعمان بن بشير و كاتبه روى عنه و عن محمد بن المنتشر و غيره (فلما قام عمر بن عبدالعزيز) أى بامر الخلافة (كتبت اليه هذا الحديث أذكره اياه) بتشديد الكاف من التذكير بمعنى الموعظة (و قلت أرجو أن تكون) أى أنت أو الخليفة (أمير المؤمنين) و فى نسخة بالغيبة أى يكون الموعود أمير المؤمنين و قال الطيبى رحمه الله أمير المؤمنين خبر يكون و قوله (بعد الملك العاض و الجبرية) ظرف للخبر على تاويل الحاكم العادل نحو قوله تعالى و هو الله فى السموات أى معبود فيها قلت و فى بعض النسخ بالتذكير فى يكون و بالرفع فى أمير المؤمنين فيكون قوله بعد الملك ظرفا واقعا خبرا ليكون (فسر) بضم السين و تشديد الراء أى فرح (به) أى بهذا الحديث رجاء أن يكون فى حقه (و أعجبه) عطف تفسيرى (يعنى) أى يريد القائل بالضميرين (عمر بن عبد العزيز رواه أحمد) أى فى مسنده (و البيهقى فى دلائل النبوة) و فى الجامع يكون أمراء يقولون و لا يرد عليهم يتهافتون فى النار يتبع بعضهم بعضا رواه الطبرانى عن معاوية وروى ابن عساكر عن على رضى الله تعالى عنه مرفوعا يكون لاصحابى زلة يغفرها الله تعالى لسابقتهم معى

★ (كتاب الفتن) ★ الفتن جمع الفتنة و هى الامتحان و الاختبار بالبلية

★ (الفصل الاول) ★ (عن حذيفة قال قام) أى خطيبا أو واعظا (فينا) أى فيما بيننا أو لاجل ان يعظنا و يخبرنا بما سيظهر من الفتن لنكون على حذر منها فى كل الزمن (رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مقاما) اما مصدر ميمى أو اسم مكان و قيل اسم زمان و الجملة المنفية و هى قوله (ما ترك شيأ) الخ صفة و قوله (يكون) بمعنى يوجد صفة شيأ و قوله (فى مقامه) متعلق بترك و وضع مقامه موضع ضمير الموصوف و قوله (ذلك) صفة مقامه اشارة الى زمانه صلى الله تعالى عليه وسلم و قوله (الى قيام الساعة) غاية ليكون و المعنى قام مقاما ما ترك شيأ يحدث فيه و ينبغى أن يخبر بما يظهر من الفتن من ذلك الوقت الى قيام الساعة (الاحدث به) أى بذلك الشئ الكائن (حفظه من حفظه) أى المحدث به (و نسيه من نسيه قد علمه) أى هذا القيام أو هذا الكلام بطريق الاجمال (أصحابى هؤلاء) أى الموجودون من جملة الصحابة لكن بعضهم لا يعلمونه مفصلا لما وقع لهم بعض النسيان الذى هو من خواص الانسان و أنا الآخر ممن نسى بعضه و هذا معنى قوله

و أنه ليكون منه الشئ قد نسيته فاراه فاذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل اذا غاب عنه ثم اذا رآه عرفه متفق عليه ★ و عنه قال سمعت رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم يقول تعرض الفتن على القلوب كالحصير عودا عودا فاى قلب أشربها نكتت فيه نكتة سوداء و أى قلب أنكرها نكتت فيه نكتة بيضاء

(و انه) أى الشان و أبعد من قال ان الضمير لقوله شيأ (ليكون منه الشئ قد نسيته) صفة لشئ و اللام فيه زائدة و اللام فى ليكون مفتوحة على انه جواب لقسم مقدر و المعنى ليقع شئ مما ذكره النبى صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم و قد نسيته (فاراه فاذكره) أى فاذا عاينته تذكرت مانسيته و العدول من المضى الى المضارع لاستحضار حكاية الحال ثم شبه الموصوف بالمعاين فقال (كما يذكر الرجل وجه الرجل اذا غاب عنه) أى ثم ينساه (ثم اذا رآه عرفه متفق عليه ★ و عنه) أى عن حذيفة (قال سمعت رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم يقول تعرض) بصيغة المجهول أى توضع و تبسط (الفتن) أى البلايا و المحن و قيل العقائد الفاسدة و الاهواء الكاسدة (على القلوب) و قيل تعرض عليه أى يظهر لها و يعرف ما يقبل منها و ما يأباه و ينفر منها من عرض العود على الاناء اذا وضعه عليه بعرضه و قيل هو من عرض الجند بين يدى السلطان لاظهارهم و اختبار أحوالهم (كالحصير) أى كما يبسط الحصير (عودا عودا) بضم عين و دال مهملة و نصبهما على الحال أى ينسج الحصير حال كونه على هذا المنوال و قال التوربشتى رحمه الله قد روى بالرفع و كذا نرويه عن كتاب مسلم و على هذا الوجه أورده صاحب المصابيح و التقدير هو عود عود و رواه آخرون بالنصب انتهى فهو خبر مبتدأ مقدر او التقدير ينسج عود عود فهو مفعول ما لم يسم فاعله و فى نسخة عوذا عوذا بفتح العين و الذال المعجمة أى نعوذ بالله من ذلك عوذا بعد عوذ قال النووى رحمه الله هذان الحرفان مما اختلف فى ضبطه على ثلاثة أوجه أظهرها و أشهرها ضم العين و الدال المهملة و الثانى فتح العين و الدال المهملة أيضا و الثالث فتح العين و الذال المعجمة و معنى تعرض أى تلصق بعرض القلوب أى جانبها كما تلصق الحصير بجنب النائم و تؤثر فيه بشدة التصاقها و معنى عودا عودا أى يعاد و يكرر شيأ بعد شئ قال ابن السراج رحمه الله و من رواه بالذال المعجمة فمعناه سؤال الاستعاذة منها كما يقال غفرا غفرا أى نسألك أن تعيذنا من ذلك و ان تغفر لنا وقال الخطابى معناه تظهر على القلوب أى تظهر لها فتنة بعد أخرى كما ينسج الحصير عودا عودا و شطية بعد أخرى قال القاضى عياض و على هذا تتوجه رواية العين و ذلك ان ناسج الحصير عند العرب كلما صنع عودا أخذ آخر و نسجه فشبه عرض الفتن على القلوب واحدة بعد أخرى بعرض قضبان الحصير على صانعها واحدا بعد واحد انتهى فاذا كان الامر كذلك (فاى قلب أشربها) بصيغة المفعول يقال اشرب فى قلبه حبه أى خالطه فالمعنى خالط الفتن و اختلط بها و دخلت فيه دخولا تاما و لزمها لزوما كاملا و حلت منه محل الشراب فى نفوذ المسام و تنفيذ المرام و منه قوله تعالى و اشربوا فى قلوبهم العجل بكفرهم أى حب العجل و الاشراب خلط لون بلون كان أحد اللونين شرب الآخر و كسى لونا آخر فالمعنى جعل متأثرا بالفتن بحيث يتداخل فيه حبها كما يتداخل الصبغ الثوب (نكتت) بصيغة المجهول أى نقطت و أثرت (فيه) أى فى قلبه (نكتة سوداء) و اصل النكت ضرب الارض بقضيب فيؤثر فيها (و أى قلب انكرها) أى رد الفتن و امتنع من قبولها (نكتت فيه نكتة بيضاء) أى ان لم تكن فيه ابتداء و الا فمعنى

حتى تصير على قلبين أبيض مثل الصفا .فلاتضره فتنة مادامت السموات و الارض و الآخر أسود مرباداً كالكوز مجخيا لايعرف معروفا و لاينكر منكرا الا ما أشرب من هواء رواه مسلم ✱ و عنه قال حدثنا رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم حديثين

نكتت أثبتت فيه و دامت و استمرت (حتى) غاية للامرين (تصير) بالفوقية و فى نسخة بالتحتية أى تصير قلوب أهل ذلك الزمان أو يصير الانسان باعتبار قلبه أو يصير قلبه (على قلبين) أى نوعين أو صفتين (أبيض) بالرفع أى أحدهما أبيض (مثل الصفا) بالقصر أى مثل الحجر المرمر الاملس من غاية البياض و الصفا و فى نسخة بفتحهما على ان الاول بدل البعض من قلبين و الثانى على الحال منه أى مماثلا و مشابها للصفا فى النور و البهاء (فلاتضره فتنة) و ظلمة و بلية (مادامت السموات و الارض) لانها قلوب صافية قد أنكرت تلك الفتن فى ذلك الزمن فحفظها عنها بعد تلك الساعة الى يوم القيامة (و الآخر) بالرفع و كذا قوله (اسود مرباداً) بكسر الميم و بالدال المشددة من ارباد كاحمار أى صار كلون الرماد من الربدة لون بين السواد و الغبرة وهو حال أو منصوب على الذم (كالكوز) أى يشبه الآخر الكوز حال كونه (مجخيا) بضم ميم و سكون جيم و خاء مكسورة و ياء آخر الحروف مشددة و قد تخفف و فى النهاية و روى بتقديم الخاء على الجيم أى مائلا منكوسا مشبها من هو خال من العلوم و المعارف بكوز مائل لايثبت فيه شئى و لايستقر و هذا معنى قوله (لايعرف) أى هذا القلب (معروفا و لاينكر منكرا) و المعنى لايبقى فيه عرفان ما هو معروف و لا انكار ما هو منكر (الا ما أشرب) أى القلب (من هواه) أى فيتبعه طبعا من غير ملاحظة كونه معروفا أو منكرا شرعا هذا مجمل الكلام و تفصيله ما ذكره شراح الكنز فى هذا المقام قال القاضى رحمه الله أى حتى يصير جنس الانس على قسمين قسم ذو قلب أبيض كالصفا و ذو قلب أسود مربدا قال المظهر الضمير فى يصير للقلوب أى تصير القلوب على نوعين أحدهما أبيض و ثانيهما أسود قال التوربشتى رحمه الله الصفا الحجارة الصافية الملساء و أريد به هنا النوع الذى صفا بياضه و عليه نبه بقوله أبيض و انما ضرب المثل به لان الاحجار اذا لم‌تكن معدنية لم‌تتغير بطول الزمان و لم‌يدخلها لون آخر لاسيما النوع الذى ضرب به المثل فانه ابدا على البياض الخالص الذى لايشوبه كدرة و انما وصف القلب بالربدة لانه أنكر ما يوجد من السواد بخلاف ما يشوبه صفاء و تعلوه طراوة من النوع الخالص و فى شرح مسلم قال القاضى عياض رحمه الله تعالى ليس تشبيهه بالصفا بيانا لبياضه لكنه صفة أخرى لشدته على عقد الايمان و سلامته من الخلل و ان الفتن لم‌تلصق به و لم‌تؤثر فيه كالصفا و هو الحجر الاملس الذى لايعلق به شئى و أما قوله مربادا فكذا هو فى روايتنا و أصول بلادنا و هو منصوب على الحال و ذكر القاضى عياض رحمه الله خلافا فى ضبطه فان منهم من ضبطه كما ذكرناه و منهم من روى مربئد بهمزة مكسورة بعد الباء و أصله أن لايهمز و يكون مربدا مثل مسود و محمر لانه من اربد الا على لغة من قال احمأر بهمز بعد الميم لالتقاء الساكنين فيقال اربأد فهو مربئد و الدال مشددة على القولين قال المظهر قوله الا ما أشرب يعنى لايعرف القلب الا ماقيل من الاعتقادات الفاسدة و الشهوات النفسانية و قال الطيبى رحمه الله و لعله أراد من باب تأكيد الذم بما يشبه المدح أى ليس فيه خير البتة الا هذا و هذا ليس بخير فيلزم منه أن لايكون فيه خير (رواه مسلم ✱ وعنه) أى عن حذيفة (قال حدثنا رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم حديثين)

رأيت احدهما و أنا أنتظر الآخر حدثنا ان الامانة نزلت فى جذر قلوب الرجال ثم علموا من القرآن ثم علموا من السنة و حدثنا عن رفعها قال ينام الرجل النومة فتقبض الامانة من قلبه فيظل أثرها مثل أثر الوكت ثم ينام النومة فتقبض فيبقى أثرها مثل أثر المجل كجمر دحرجته على رجلك فنفط فتراه منتبرا

أى فى أمر الامانة الحادثة فى زمن الفتنة و بهذا يظهر وجه مناسبة ذكرهما فى الباب قال النووى رحمه الله الاول حدثنا ان الامانة نزلت الى آخره و الثانى حدثنا عن رفعها (رأيت أحدهما) و هو نزول الامانة (و أنا أنتظر الآخر) وهو رفع الامانة (حدثنا) وهو الحديث الاول (ان الامانة) و هى الايمان و منه قوله تعالى انا عرضنا الامانة و عبر عنه بها لانها مدار أمر الديانة (نزلت فى جذر قلوب الرجال) بفتح الجيم و يكسر أى أصل قلوبهم قال شارح جذر كل شئ أصله أى ان الامانة أول ما نزلت فى قلوب رجال الله و استولت عليها فكانت هى الباعث على الاخذ بالكتاب و السنة و هذا هو المعنى بقوله (ثم علموا) أى بنور الايمان (من القرآن) أى مما يتلقون عنه صلى الله تعالى عليه وسلم واجبا كان أو نفلا حراما أومباحا مأخوذا من الكتاب أو الحديث و قوله (ثم من السنة) و فى نسخة صحيحة ثم علموا من السنة فيه أشارة الى تاخير رتبة المأخوذ من الحديث بالنسبة الى نص كلام القديم قال النووى رحمه الله الظاهر ان المراد بالامانة التكليف الذى كلف الله تعالى به عباده و العهد الذى أخذه عليهم قال صاحب التقرير الامانة فى الحديث هى الامانة المذكورة فى قوله تعالى انا عرضنا الامانة و هى عين الايمان انتهى و الظاهر ان المراد بالعهد فى كلام النووى العهد الميثاق وهو الايمان الفطرى فذكر قول صاحب التقرير لبيان مزيد تحرير التقرير لا لانه مخالف للظاهر على ما هو المتبادر فانه غير موافق لصدر الحديث السابق و كذا ما يأتيه من ختم الحديث بقوله اللاحق حيث قال و ما فى قلبه مثقال حبة من خردل من ايمان على ان الايمان هو منع الامانة و أما قوله صلى الله تعالى عليه وسلم لا ايمان لمن لا أمانة له فالمراد به نفى التكمال و الله تعالى أعلم بالحال (و حدثنا) وهو الحديث الثانى (عن رفعها) أى ارتفاع ثمرة الايمان و انتقاصه فانه سيكون بعد عصره فى عصر الصحابة (قال ينام الرجل النومة) و هى أما على حقيقتها فما بعده أمر اضطرارى و أما النومة كناية عن الغفلة الموجبة لارتكاب السيئة الباعثة على نقص الامانة و نقص الايمان (فتقبض الامانة) أى بعضها كما يدل عليه مابعده والمعنى يقبض بعض ثمرة الايمان (من قلبه فيظل) بفتحات فتشديد لام أى فيصير (أثرها) أى أثر الامانة و هو ثمرة الايمان (مثل أثر الوكت) بفتح الواو و أسكان الكاف و بالفوقية وهو الاثر اليسير كالنقطة فى الشئ (ثم ينام النومة) أى الاخرى (فتقبض) أى الامانة أى بعض ما بقى منها (فيبقى) معروفا و قيل مجهولا (أثرها مثل اثر المجل) بفتح الميم و سكون الجيم و تفتح و هو أثر العمل فى اليد (كجمر) أى تاثيرا كتاثير جمر و قال شارح أبدل من مثل أثر المجل أى يكون أثرها فى القلب كاثر جمر أو خبر مبتدأ محذوف أى هو يعنى أثر المجل كجمر (دحرجته) أى قلبته و دورته (على رجلك فنفط) بكسر الفاء ذكر الضمير فيه و كذا قوله (فتراه منتبرا) بكسر الموحدة أى منتفخا مع ان الرجل مؤنث سماعى على ارادة الموضع المدحرج عليه الجمر و منه قول عمر رضى الله تعالى عنه اياكم و التخلل بالقصب فان الفم ينتبر منه أى يرم و ينتفط قيل المعنى يخيل اليك ان الرجل ذو أمانة وهو فى ذلك بمثابة نقطة تراها منتفطة مرتفعة كبيرة لا طائل تحتها و فى الفائق الفرق بين الوكت و المجل ان الوكت النقطة فى الشئ من غير لونه

و ليس فيه شئ و يصبح الناس يتبايعون و لايكاد أحد يؤدى الامانة فيقال ان فى بنى فلان رجلا أمينا و يقال للرجل ما أعقله و ما أظرفه و ما أجلده و ما فى قلبه مثقال حبة من خردل من ايمان متفق عليه ✱ و عنه قال كان الناس يسألون رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم عن الخير

و المجل غلظ الجلد من العمل لا غير و يدل عليه قوله فتراه منتبرا (و ليس فيه شئ) أى صالح بل ماء فاسد و فى شرح مسلم قال صاحب التحرير معنى الحديث أن الامانة تزول عن القلوب شيأ فشيأ فاذا زال أول جزء منها زال نورها و خلفته ظلمة كالوكت و هو اعتراض لون مخالف للون الذى قبله فاذا زال شئ آخر صار كالمجل و هو أثر محكم لايكاد يزول الا بعد مدة و هذه الظلمة فوق التى قبلها ثم شبه زوال ذلك النور بعد وقوعه فى القلب وخروجه بعد استقراره فيه واعتقاب الظلمة إياه بجمر يدحرجه على رجله حتى يؤثر فيها ثم يزول الجمر و يبقى النفط و انما ذكر نفط و لم يقل نفطت اعتبارا بالعضو انتهى و قال شارح من علمائنا يريد ان الامانة ترفع عن القلوب عقوبة لاصحابها على ما اجترحوا من الذنوب حتى اذا استيقظوا من منامهم لم يجدوا قلوبهم على ما كانت عليه و يبقى فيه أثر تارة مثل الوكت و تارة مثل المجل و هو انتفاط اليد من العمل والمجل و ان كان مصدرا الا إن المراد به ههنا نفس النفطة و هذا أقل من المرة الاولى لانه شبهها بالمجوف بخلاف المرة الاولى أراد به خلو القلب عن الامانة مع بقاء أثرها من طريق الحساب (و يصبح الناس) أى يدخلون فى الصباح أو يصيرون (يتبايعون) أى يجرى بينهم التبايع ويقع عندهم التعاهد (و لايكاد أحد يؤدى الامانة) بل يظهر من كل أحد منهم الخيانة فى المبايعة و المواعدة و المعاهدة و من المعلوم ان حفظ الامانة أثر كمال الايمان فاذا نقص الامانة نقص الايمان و بطل الايقان و زال الاحسان (فيقال) أى من غاية قلة الامانة فى الناس (ان فى بنى فلان رجلا أمينا) أى كامل الايمان و كامل الامانة (و يقال) أى فى ذلك الزمان (للرجل) أى من أرباب الدنيا ممن له عقل فى تحصيل المال و الجاه و طبع فى الشعر و النثر و فصاحة و بلاغة و صباحة و قوة بدنية و شجاعة و شوكة (ما أعقله و ما أظرفه و ما أجلده) تعجبا من كماله و استغرابا من مقاله و استبعادا من جماله و حاصله انهم يمدحونه بكثرة العقل و الظرافة و الجلادة و يتعجبون منه و لايمدحون أحدا بكثرة العلم النافع و العمل الصالح (و ما فى قلبه) حال من الرجل و الحال انه ليس فى قلبه (مثقال حبة)أى مقدار شئ قليل (من خردل) من بيانية لحبة أى هى خردل (من ايمان) أى كائنا منه و هو يحتمل أن يكون المراد منه نفى أصل الايمان أو كماله و الله تعالى أعلم قال الطيبى رحمه الله لعله انما حملهم على تفسير الامانة فى قوله ان الامانة نزلت بالايمان لقوله آخرا و ما فى قلبه مثقال حبة من خردل من ايمان فهلا حملوها على حقيقتها لقوله و يصبح الناس يتبايعون و لايكاد أحد يؤدى الامانة فيكون وضع الايمان آخرا موضعها تفخيما لشانها و حثا على أدائها قال صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم لادين لمن لا أمانة له قلت انما حملهم عليه ما ذكر آخرا و ما صدر أولا من قوله نزلت فى جذر قلوب الرجال فان نزول الامانة بمعنى الايمان هو المناسب لاصل قلوب المؤمنين ثم يعلمون ايقانه و ايقانهم بتتبع الكتاب و السنة و أما الامانة فهى جزئية من كلية ما يتعلق بالايمان و القرآن و الله سبحانه و تعالى أعلم (متفق عليه ✱ و عنه) أى عن حذيفة رضى‌الله‌تعالى‌عنه (قال كان الناس) أى أكثرهم (يسألون رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم عن الخير) أى عن الطاعة ليمتثلوها أو عن السعة و الرخاء ليفرحوا به

و كنت أسأله عن الشر مخافة ان يدركنى قال قلت يا رسول‌الله انا كنا فى جاهلية و شر فجاءنا الله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير من شر قال نعم قلت .و هل بعد ذلک الشر من خير قال نعم و فيه دخن قلت و ما دخنه قال قوم يستنون بغير سنتى و يهدون بغير هديى تعرف منهم و تنكر قلت فهل بعد ذلک الخير من شر قال نعم دعاة

و يحتعينوا بالدنيا على الاخرى (و كنت أسأله عن الشر) أى عن المعصية أو الفتنة المترتبة على التوسعة (مخافة ان يدركنى) أى خشية أن يلحقنى الشر نفسه أو بسببه و هذا الطريق هو مختار الحكماء و كثير من الفضلاء ان رعاية الاحتماء أولى فى دفع الداء من استعمال الدواء و ان التخلية مقدمة على التحلية و فى كلمة التوحيد اشارة الى ذلک حيث نفى السوى ثم أثبت المولى بل مدارج معرفة الله سبحانه على النعوت التنزيهية كقوله تعالى جل جلاله ليس كمثله شئ دون الصفات الثبوتية لظهور وجودها فى خالق الاشياء بالضرورة العقلية قال الطيبى رحمه الله تعالى المراد بالشر الفتنة و وهن عرى الاسلام و استيلاء الضلالة و فشو البدعة و الخير عكسه يدل عليه ما نقله الراوى عنه (قال قلت يا رسول‌الله انا كنا فى جاهلية) أى أيام غلب فيها الجهل بالتوحيد و النبوة و ما يتبعهما من سائر أحكام الشريعة فقوله (و شر) عطف تفسيرى أو المعنى به الكفر فهو تخصيص بعد تعميم (فجاءنا الله بهذا الخير) أى الخير العظيم و هو الاسلام ببركة بعثتک و مفهومه انه ذهب بالشرعنا بهدم قواعد الكفر و الضلال و لعله حذف و جعل من باب الاكتفاء لاسيما و هما ضدان لايجتمعان (فهل بعد هذا الخير) أى الثابت (من شر) أى من حدوث بعض شر (قال نعم قلت و هل بعد ذلک الشر من خير قال نعم و فيه دخن) بفتحتين أى كدورة الى سواد و المراد ان لايكون خيرا صفوا بحتا بل يكون مشوبا بكدورة و ظلمة (قلت و ما دخنه قال قوم يستنون) بتشديد النون الاولى أى يعتقدون (بغير سنتى و يهدون) أى يدلون الناس (بغير هديى) أى بغير طريقتى و يتخذون سيرة غير سيرتى (تعرف منهم و تنكر) قال المظهر أى ترى فيهم ما تعرفه انه من دينى و ترى أيضا ما تنكر انه دينى قال الاشرف يعرف منهم المنكر بان يصدر المنكر عنهم و تنكر هو خبر بمعنى الامر أى أنكر عليهم صدور المنكر عنهم قال الطيبى رحمه الله الوجه الاول راجع الى معنى قوله نعم و فيه دخن أى تعرف فيهم الخير فتقبل و الشر فتنكر فهو من المقابلة المعنوية و الوجه الثانى راجع الى معنى قوله يستنون بغير سنتى فالوجه ان يكون المعطوف و المعطوف عليه كلاهما فى معنى الامر أى اعرف منهم ذلک و أنكر و الخطاب فى تعرف و تنكر من الخطاب العام أقول و فيه نظر لايخفى اذ ليس كل أحد له قابلية معرفة المعروف و انكار المنكر فالخطاب خاص لحذيفة و أمثاله من أهل العلم و الديانة قيل المراد بالشر الاول الفتن التى وقعت عند قتل عثمان رضى‌الله تعالى عنه و ما بعده و بالخير الثانى ما وقع فى خلافة عمر ابن عبدالعزيز رضى‌الله‌عنه و بالذين تعرف منهم و تنكر الامراء بعده فكان فيهم من يتمسک بالسنة و العدل و منهم من يدعو الى البدعة و يعمل بالجور أو و منهم من يعمل بالمعروف تارة و يعمل بالمنكر أخرى بحسب ما يقع لهم من تتبع الهوى و تحصيل غرضهم من أمور الدنيا لا انهم يريدون تحرى الاحرى و رعاية الدار الاخرى كما عليه بعض أمراء زماننا و قيل المراد من الشر الاول فتنة عثمان رضى‌الله‌عنه و ما بعده و بالخير الثانى ما وقع من صلح الحسن مع معاوية و الاجماع عليه و بالدخن ما كان فى زمنه من بعض الامراء كزياد بالعراق و خلاف من خالف

على ابواب جهنم من أجابهم اليها قذفوه فيها قلت يا رسول‌الله صفهم لنا قال هم من جلدتنا و يتكلمون بالسنتنا قلت فما تأمرنى ان ادركنى ذلک قال تلزم جماعة المسلمين و امامهم قلت فان لم يكن لهم جماعة و لا امام قال فاعتزل تلک الفرق كلها و لو ان تعض باصل شجرة حتى يدركک الموت و أنت على ذلک متفق عليه و فى رواية لمسلم

عليه من الخوارج (قلت فهل بعد ذلک الخير من شر قال نعم دعاة) جمع داع (على أبواب جهنم) قال الاشرف أى جماعة يدعون الناس الى الضلالة و يصدونهم عن الهدى بانواع من التلبيس و من الخير الى الشر و من السنة الى البدعة و من الزهد الى الرغبة جعل النبى صلى‌الله تعالى‌عليه‌وسلم دعوة الدعاة و اجابة المدعوين سببا لادخالهم اياهم فى جهنم و دخولهم فيها و جعل كل نوع من أنواع التلبيس بمنزلة باب من أبواب جهنم (من أجابهم) أى الدعاة (اليها) أى الى جهنم يعنى الى الضلالة المؤدية اليها (قذفوه فيها) أى رموه و صاروا سببا لقذفه فى جهنم قيل المراد بالدعاة من قام فى طلب الملک من الخوارج و الروافض و غيرهما ممن لم‌يوجد فيهم شروط الامارة و الامامة و الولاية و جعلوا دعاة على أبواب جهنم باعتبار المآل نحو قوله تعالى ان الذين ياكلون أموال اليتامى ظلما انما ياكلون فى بطونهم نارا و قيل هو كقوله تعالى ان الابرار لفى نعيم و ان الفجار لفى جحيم فكانهم كائنون على أبواب جهنم داعين الناس الى الدخول فى ضيافتهم أو لان المباشر بسبب شئ فكانه واقع به داخل فيه (قلت يا رسول‌الله صفهم لنا) أى انهم منا أو من غيرنا (قال هم من جلدتنا) أى من أنفسنا و عشيرتنا كذا فى النهاية و قيل معناه من أهل ملتنا ذكره الاشرف و هو الالطف و قيل من أبناء جنسنا و فيه ان الجلدة أخص من الجلد و جلد الشئ ظاهره و هو فى الاصل غشاء البدن (و يتكلمون بالسنتنا) أى بالعربية أو بالمواعظ و الحكم أو بما قال الله و قال رسوله و ما فى قلوبهم شئ من الخير يقولون بالسنتهم ما ليس فى قلوبهم (قلت فما تأمرنى) أى ان أفعل به فيهم (ان أدركنى ذلک) أى ذلک الزمان (قال تلزم جماعة المسلمين) أى طريقتهم وحضور جمعتهم و جماعتهم (و امامهم) أى و رعاية امامهم و متابعتهم و مساعدتهم (قلت فان لم تكن لهم جماعة) أى متفقة (و لا امام) أى أمير يجتمعون عليه و هو يحتمل فقدهما أو فقد أحدهما (قال فاعتزل تلک الفرق كلها) أى الفرق الضالة الواقعة على خلاف الجادة من طريق أهل السنة و الجماعة (و لو ان تعض باصل شجرة) أى و لو كان الاعتزال بالعض و ان مصدرية و تعض منصوب فى النسخ المصححة و الاصول المعتمدة و قيل ان مخففة من المثقلة قال التوربشتى رحمه الله أى تمسک بما يصبرک و تقوى به على اعتزالک و لو بما لايكاد يصح أن يكون متمسكا قال الطيبى رحمه الله هذا شرط يعقب به الكلام تتميما و مبالغة أى اعتزل الناس اعتزالا لا غاية بعده و لو قنعت فيه بعض أصل الشجر افعل فانه خير لک (حتى يدركک الموت و أنت على ذلک) أى على ما ذكرت من الاعتزال أو العض أو الخير (متفق عليه و فى رواية لمسلم) قال ميرك أخرج مسلم هذه الرواية عقب الحديث المتقدم من حديث أبى سلام عن حذيفة و ذكر الدارقطنى ان أبا سلام لم‌يسمع من حذيفة و لذا قال فيه قال حذيفة فيكون الحديث منقطعا و قال بعض الحفاظ انما لم‌يخرج البخارى لابى سلام شيأ فى صحيحه لان رواياته مرسلة اه و أبوسلام اسمه ممطر الاسود الحبشى و قال النووى رحمه الله ما قاله الدارقطنى صحيح و لكن المتن صح بالطريق

قال يكون بعدى أئمة لايهتدون بهداى و لايستنون بسنتى و سيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين فى جثمان أنس قال حذيفة قلت كيف أصنع يا رسول‌الله أن أدركت ذلک قال تسمع و تطيع الامير و ان ضرب ظهرك و أخذ مالک فاسمع و أطع ✱ و عن أبى‌هريرة قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم بادروا بالاعمال فتنا كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمنا و يمسى كافرا و يمسى مؤمنا و يصبح كافرا يبيع دينه بعرض

الاول و انما أتى مسلم بها متابعة فان المرسل اذا أتى من طريق آخر تبين به صحة المرسل و جاز به الاحتجاج و يصير فى المسئلة حديثان صحيحان و الله تعالى أعلم اقول هذا الاشكال انما هو على قول الشافعى و من تبعه من أن المرسل ليس بحجة و أما على قول الجمهور بانه حجة و معهم أبوحنيفة رحمه الله عنه فلاشبهة فيه (قال) اى النبى صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم (يكون بعدى أئمة) بتحقيق الهمزة الثانية و تسويلها و ابدالها جمع امام على ان أصله أئممة على وزن أفعلة أى جماعة يطلق عليهم الأئمة (لايهتدون بهداى) أى من حيث العلم (و لايستنون بسنتى) أى من حيث العمل و المعنى انهم لايأخذون بالكتاب و السنة (و سيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين) أى كقلوبهم فى الظلمة و القساوة و الوسوسة و التلبيس و الآراء الكاسدة و الاهواء الفاسدة (فى جثمان أنس) بضم الجيم أى فى جسده و المراد به جنس الانس فيطابق جمع السابق (قال حذيفة قلت كيف أصنع يا رسول‌الله ان أدركت ذلک) أى ذلک الوقت أو ما ذكر من أهل ذلک الزمان (قال تسمع) أى ما يأمرك الامير خبر بمعنى الامر و كذا قوله (و تطيع) فيما لامعصية فيه (الامير) مفعول تنازع فيه الفعلان (و ان ضرب ظهرك) بصيغة المجهول أى و لو ضربت (و أخذ مالک) و فى نسخة بصيغة المعلوم فيهما ففيهما ضمير للامير و الاسناد حقيقى أو مجازى و تخصيص الظهر لبيان الواقع غالبا و قوله (فاسمع و أطع) جزاء الشرط أتى لمزيد تقرير و اهتمام تحرير بشأنه و الا فما قبل الشرط أغنى عنه قال ابن الملک الا اذا أمرك باثم فلاتطعه لكن لاتقاتل بل فر منه ✱ (و عن أبى‌هريرة قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم بادروا) أى سابقوا و سارعوا (بالاعمال) أى بالاشتغال بالاعمال الصالحة (فتنا) أى وقوع فتن (كقطع الليل المظلم) بكسر القاف و فتح الطاء جمع قطعة و المعنى كقطع من الليل المظلم لفرط سوادها و ظلمتها و عدم تبين الصلاح و الفساد فيها و فيه ايماء الى ان أهل هذه الفتن ما قال تعالى فى حقهم كانما أغيشت وجوههم قطعا من الليل مظلما و قد قرأ ابن كثير و الكسائى فى الآية بسكون الطاء على ان المراد به جزء من الليل أو من سواده و يرادفه قطعة وحاصل المعنى تعجلوا بالاعمال الصالحة قبل مجىء الفتن المظلمة من القتل و النهب و الاختلاف بين المسلمين فى أمر الدنيا و الدين فانكم لاتطيقون الاعمال على وجه الكمال فيها و المراد من التشبيه بيان حال الفتن من حيث انه بشيع فظيع و لايعرف سببها و لا طريق الخلاص منها . فالمبادرة المسارعة بادراك الشئ قبل فواته أو بدفعه قبل وقوعه (يصبح الرجل مؤمنا) أى موصوفا بأصل الايمان أو بكماله (و يمسى كافرا) أى حقيقة أو كافرا للنعمة أو مشابها للكفرة أو عاملا عمل الكافر (و يمسى مؤمنا و يصبح كافرا) و قيل المعنى يصبح محرما ما حرمه الله و يمسى مستحلا اياه و بالعكس و حاصله التذبذب فى أمر الدين و التتبع لامر الدنيا كما بينه بقوله (يبيع) أى الرجل أو أحدهم كما فى الجامع (دينه) أى بتركه (بعرض) بفتحتين أى باخذ متاع دنىء وثمن

من الدنيا رواه مسلم ✽ وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم و القائم فيها خير من الماشي و الماشي فيها خير من الساعي من تشرف لها تستشرفه فمن وجد ملجأ

ردیء (من الدنيا) زاد في الجامع قليل بالجر على انه صفة عرض و قد روى ابن ماجه و الطبراني عن أبي أمامة مرفوعا ستكون فتن يصبح الرجل فيها مؤمنا ويمسي كافرا الا من أحياه الله بالعلم فقوله يصبح استئناف لبيان بعض الفتن في ذلك الزمن و قال الطيبي رحمه الله استئناف بيان لحال المشبه و هو قوله فتنا و قوله يبيع الخ بيان للبيان قال المظهر فيه وجوه أحدها أن يكون بين الطائفتين من المسلمين قتال لمجرد العصبية و الغضب فيستحلون الدم و المال و ثانيها أن يكون ولاة المسلمين ظلمة فيريقون دماء المسلمين و يأخذون أموالهم بغير حق و يزنون و يشربون الخمر فيعتقد بعض الناس انهم على الحق و يفتيهم بعض علماء السوء على جواز ما يفعلون من المحرمات من اراقة الدماء و أخذ الاموال و نحوها و ثالثها ما يجري بين الناس مما يخالف الشرع في المعاملات و المبايعات و غيرها فيستحلونها و الله تعالى أعلم (رواه مسلم) و كذا أحمد و الترمذي و روى البيهقي عن أبي أمامة مرفوعا بادروا بالاعمال هرما ناغضا و موتا خالسا و مرضا حابسا و تسويفا مسيئا و روى الترمذي و الحاكم عن أبي هريرة مرفوعا بادروا بالاعمال سبعا ما تنتظرون الا فقرا منسيا أو غنى مطغيا أو مرضا مفسدا أو هرما مفندا أو موتا مجهزا أو الدجال فانه شر منتظر أو الساعة و الساعة أدهى و أمر و روى الطبراني عن عابس الغفاري مرفوعا بادروا بالاعمال ستا امارة السفهاء و كثرة الشرط و بيع الحكم و استخفافا بالدم و قطيعة الرحم و نشوا يتخذون القرآن مزامير يقدمون أحدهم ليغنيهم و ان كان أقلهم فقها ✽ (و عنه) أي عن أبي هريرة (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ستكون فتن) أي عظيمة أو كثيرة متعاقبة متوالية . أو متراخية (القاعد فيها) أي في تلك الفتن (خير من القائم) لانه يرى و يسمع ما لايراه و لايسمعه القاعد فيكون اقرب من عذاب تلك الفتنة بمشاهدته ما لايشاهده القاعد و يمكن أن يكون المراد بالقاعد هو الثابت في مكانه غير متحرك لما يقع من الفتنة في زمانه و المراد بالقائم ما يكون فيه نوع باعث و داعية لكنه متردد في اثارة الفتنة (و القائم فيها) أي من بعيد متشرف عليها أو القائم بمكانه في تلك الحالة (خير من الماشي) أي من الذاهب على رجله اليها (و الماشي فيها) أي اليها أو فيما بينها (خير من الساعي) أي من المسرع اليها ماشيا أو راكبا (من تشرف لها) بتشديد الراء اي من نظر اليها (تستشرفه) بالجزم و يرفع أي تطلبه و تجذبه اليها قال التوربشتي رحمه الله أي من تطلع لها دعته الى الوقوع فيها و التشرف التطلع و استعير هنا للاصابة بشرها أو أريد به انها تدعوه الى زيادة النظر اليها و قيل انه من استشرفت الشئ أي علوته يريد من انتصب لها انتصبت له و صرعته و قيل هو من المخاطرة و الاشفاء على الهلاك أي من خاطر بنفسه فيها أهلكته قال الطيبي رحمه الله و لعل الوجه الثالث أولى لما يظهر منه معنى اللام في لها و عليه كلام الفائق و هو قوله أي من غالبها غلبته قلت و لعل الوجه الاول أولى لما فيه من رعاية المعنى المفهوم منه المبالغة المفيدة للاحتراس و اختيار الاخرى النافع في الدنيا و الاخرى قال شارح تشرف و استشرف أي صعد شرفا أي مرتفعا لينظر الى شئ هذا هو الاصل ثم استعملا في النظر الى أي شئ في أي مكان كان يعني من قرب من تلك الفتن و نظر اليها نظرت اليه الفتن و جره الى نفسها فالخلاص في التباعد منها و الهلاك في مقاربتها (فمن وجد ملجأ)

أو معاذا فليعذ به متفق عليه و فى رواية لمسلم قال تكون فتنة النائم فيها خير من اليقظان و اليقظان فيها خير من القائم و القائم فيها خير من الساعى فمن وجد ملجأ أو معاذا فليستعذ به ✱ و عن أبى بكرة قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم انها ستكون فتن ألا ثم تكون فتن ألا ثم تكون فتنة القاعد خير من الماشى فيها و الماشى فيها خير من الساعى اليها الا فاذا وقعت فمن كان له ابل فليلحق بابله و من كان له غنم فليلحق بغنمه و من كانت له أرض فليلحق بأرضه فقال رجل يا رسول‌الله أرأيت من لم‌يكن له ابل و لا غنم و لا أرض قال يعمد الى سيفه فيدق على حده بحجر ثم لينج ان استطاع النجاء

أى مناصا و مفرا و مهربا (أو معاذا) بفتح الميم أى موضعا أو شخصا ملاذا يتخلص بالذهاب اليه و بالعياذ به من الفتن (فليعذ) بضم العين أى فليستعذ (به) أى بالمعاذ أو بما ذكر من الملجأ و المعاذ أى فليعذ اليهما (متفق عليه) و رواه أحمد (و فى رواية لمسلم رحمه الله قال تكون فتنة) أى عظيمة (النائم فيها خير من اليقظان) بسكون الكاف أى المنتبه لعدم شعور النائم عنها و فى معناه الغافل و لو كان يقظان فالمراد باليقظان هو العالم بالفتنة سواء كان مضطجعا أو قاعدا أو قائما (و اليقظان) أى مضطجعا أو جالسا (خير من القائم) أى لتطلعه و اشرافه أو لان فيه نوع حركة (و القائم فيها) أى لتوقفه فى مكانه (خير من الساعى) أى مشيا أو ركوبا اليها (فمن وجد ملجأ أو معاذا فليستعذ به) و فى الجامع روى الحاكم عن خالد بن عرفطة ستكون احداث و فتنة و فرقة و اختلاف فان استطعت أن تكون المقتول لا القاتل فافعل ✱ (وعن أبى بكرة) أى الثقفى (قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم انها) أى القصة (ستكون) أى ستوجد و تحدث و تقع (فتن ألا) للتنبيه (ثم تكون فتنة) أى عظيمة و فى بعض النسخ المصححة ألا ثم تكون فتن بصيغة الجمع ثم بعده ألا ثم تكون فتنة بصيغة الوحدة قال الطيبى رحمه الله فيه ثلاث مبالغات أقحم حرف التنبيه بين المعطوف و المعطوف عليه لمزيد التنبه لها و عطف بثم لتراخى مرتبة هذه الفتنة الخاصة تنبيها على عظمها و هولها على انه من عطف الخاص على العام لاختصاصها بما يفارقها من سائر اشكالها و انها كالداهية الدهياء نسأل الله العافية منها بفضله و عميم طوله (القاعد فيها خير من الماشى و الماشى فيها خير من الساعى اليها) أى يجعلها غاية سعيه و منتهى غرضه لايرى مطلبا غيرها و لام الغرض و الى الغاية متقاربان معنى فحينئذ يستقيم التدرج و الترقى من الماشى فيها الى الساعى اليها (ألا) للتنبيه زيادة للتاكيد (فاذا وقعت) أى الفتن أو تلك الفتنة (فمن كان له ابل) أى فى البرية (فليلحق بابله و من كان له غنم فليلحق بغنمه و من كانت له أرض) أى عقار أو مزرعة بعيدة عن الخلق (فليلحق بأرضه) فان الاعتزال و الاشتغال بخويصة الحال حينئذ واجب لوقوع عموم الفتنة العمياء بين الرجال كما قال الشاعر

ان السلامة من ليلى و جارتها ✱ ان لاتمر على حال بواديها

(فقال رجل يا رسول‌الله أرأيت) أى أخبرنى (من لم‌تكن له ابل و لا غنم و لا أرض) أى فاين يذهب أو كيف يفعل (قال يعمد) بكسر الميم أى يقصد (الى سيفه) أى ان كان له (فيدق على حده) أى فيضرب على جانب سيفه الحاد (بحجر) و المعنى فليكسر سلاحه كيلا يذهب به الى الحرب لان تلك الحروب بين المسلمين فلايجوز حضورها (ثم لينج) بكسر اللام و يسكن و بفتح الياء وسكون النون و ضم الجيم أى ليفر و يسرع هربا حتى لاتصيبه الفتن (ان استطاع النجاء)

اللهم هل بلغت ثلاثا فقال رجل يا رسول‌الله أرأيت إن أكرهت حتى ينطلق بي إلى أحد الصفين فضربني رجل بسيفه أو يجيء سهم فيقتلني قال يبوء بإثمه و اثمك و يكون من أصحاب النار رواه مسلم ✱ و عن أبي سعيد قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال و مواقع القطر يفر بدينه

بفتح النون و المد أي الاسراع قال الطيبي رحمه الله قوله يعمد الخ عبارة عن تجرده تجردا تاما كأنه قيل من لم‌يكن له ما يشتغل به من مهامه فلينج برأسه اه و الظاهر انه جمل قوله فلينج على انه أمر من النجاة و ليس كذلك كما يدل عليه قوله ان استطاع النجاء حيث لم‌يقل ان استطاع النجاة اللهم الا أن يراد به حاصل المعنى مع قطع النظر عن المادة و المبنى و الله تعالى أعلم (اللهم) أي قال صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم بعد ذكر هذه الفتن و التحذير عن الوقوع في محن ذلك الزمن اللهم أي يا الله (هل بلغت) أي قد بلغت الى عبادك ما أمرتني به أن أبلغه أياهم (ثلاثا) مصدر للفعل المقدر أي قاله ثلاث مرات (فقال رجل يا رسول‌الله أرأيت) أي أخبرني (أن أكرهت) أي أخذت بالكره و أجبرت (حتى ينطلق) بصيغة المجهول أي يذهب (بي الى أحد الصفين) أي صفي المتخاصمين (فضربني رجل بسيفه أو) للتنويع (يجيء سهم) بصيغة المضارع عطفا على الماضي (فيقتلني) الظاهر انه تفريع على الاخير و الاسناد مجازي و يحتمل أن يشتمل أيضا على الاول فتأمل و المعنى فما حكم القاتل و المقتول (قال يبوء) أي يرجع القاتل و قيل المكره (بإثمه) أي بعقوبة ما فعله من قبل عموما (و اثمك) أي و بعقوبة قتله اياك خصوصا أو المراد بإثمه قصده القتل و بإثمك لو مددت يدك اليه أو المراد بإثمك سيآتك التي فعلتها بان توضع في رقبة القاتل بعد فقد حسناته على ما ورد (و يكون) أي هو (من أصحاب النار) قال تعالى و ذلك جزاء الظالمين و انما لم‌يقل و أنت من أصحاب الجنة و ان كان هذا هو المفهوم منه و ترك للاكتفاء احتياطا لتبادر الفهم الى الخطاب المعين لا المفروض المقدر المراد به الخطاب العام على طريق الابهام ثم الحكم مقتبس من قوله تعالى و اتل عليهم نبأ ابني أدم بالحق الخ و قد قال صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم كن خير ابني آدم و في رواية كن عبد الله المقتول و لاتكن عبد الله القاتل قال الطيبي رحمه الله قوله يبوء الخ فيه وجهان أحدهما أراد بمثل اثمك على الاتساع أي يرجع بإثمه و بمثل اثمك المقدر لو قتلته و ثانيهما أراد بمثل قتلك على حذف المضاف و اثمه السابق على القتل (رواه مسلم ✱ و عن أبي سعيد قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى عليه‌وسلم يوشك) أي يقرب (أن يكون خير مال المسلم) بالنصب (غنم) أي قطعة من الغنم قال الطيبي رحمه الله غنم نكرة موصوفة و هو اسم يكون و الخبر قوله خير مال معرف فلايجوز اللهم الا أن يراد بالمسلم الجنس فلايعتبر فيه حينئذ و فائدة التقديم ان المطلوب حينئذ الاعتزال و تحري الخير باي وجه كان اه و قيل يجوز رفع خير و غنم على الابتداء و الخبر و في يكون ضمير الشأن كذا في المفاتيح (يتبع) بتشديد التاء و في بعض النسخ بسكونها و فتح الموحدة أي يتتبع (بها) أي مع الغنم أو بسببها (شعف الجبال) بفتح الشين و العين أي رؤس الجبال أو أعاليها واحدها شعفة (و مواقع القطر) بفتح فسكون أي مواضع المطر و آثاره من النبات و أوراق الشجر يريد بها المرعى من الصحراء و الجبال فهو تعميم بعد تخصيص و في تقديم شعف الجبال اشعار بالمبالغة في فضيلة الاعتزال عن الخلق في تلك الحال (يفر بدينه) أي بسبب

من الفتن رواه البخارى ★ و عن أسامة بن زيد قال أشرف النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم على اطم من آطام المدينة فقال هل ترون ما أرى قالوا لا قال فانى لارى الفتن تقع خلال بيوتكم كوقع المطر متفق عليه ★ و عن أبى‌هريرة قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم هلكة أمتى على يدى غلمة من قريش رواه البخارى ★ و عنه قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم يتقارب الزمان و يقبض العلم و تظهر الفتن و يلقى الشح و يكثر الهرج قالوا و ما الهرج قال القتل متفق عليه ★ و عنه قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم

حفظه من الفتن أى المحن الدينية أو يهرب (من الفتن) الدنيوية مصحوبا بدينه ليتخلص باقامته هناك عنها (رواه البخارى ★ و عن أسامة بن زيد) صحابيان (قال أشرف النبى صلى‌الله‌تعالى‌عليه وسلم) أى اطلع (على أطم) بضمتين أى شاهق جبل أو حصن أو بناء مرتفع (من آطام المدينة) بمد أوله جمع الاطم (فقال هل ترون ما أرى) أى من الاشياء الظاهرة منه المرتفعة عنه (قالوا لا قال فانى لارى الفتن تقع) أى منه (خلال بيوتكم) أى وسطها (كوقع المطر) و المعنى ان الله تعالى أرى نبيه صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم حين رأى ذلك الاطم أو حين صعده اقتراب الفتن ليخبر بها أمته فيكونوا على حذر و يعرفوا أنها من قدر و يعدوا معرفتها من معجزاته صلى‌الله تعالى‌عليه‌وسلم قال الطيبى رحمه الله قوله تقع يحتمل أن يكون مفعولا ثانيا و الاقرب الى الذوق أن يكون حالا و الرؤية بمعنى النظر أى كشف لى فابصرها عيانا (متفق عليه) و فى الجامع برواية أحمد و الشيخين عن أسامة بلفظ هل ترى ما أرى أنى لارى مواقع الفتن خلال بيوتكم كمواقع القطر ★ (و عن أبى‌هريرة قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم هلكة أمتى) بفتح الهاء و اللام أى هلاكهم و المراد بالامة هنا الصحابة لانهم خيار الامة و أكابر الائمة (على يدى) تثنية مضافة الى (غلمة من قريش) بكسر الغين جمع غلام أى على أيدى الشبان الذين ماوصلوا الى مرتبة كمال العقل و الاحداث السن الذين لا مبالاة لهم باصحاب الوقار و أرباب النهى و الظاهر ان المراد ما وقع بين عثمان رضى‌الله تعالى عنه و قتلته و بين على و الحسن رضى‌الله تعالى عنهما و من قاتلهم و قال المظهر لعله أريد بهم الذين كانوا بعد الخلفاء الراشدين مثل يزيد و عبدالملك بن مروان و غيرهما (رواه البخارى) و لفظ الجامع هلاك أمتى على يدى غلمة من قريش رواه أحمد و البخارى عن أبى‌هريرة ★ (وعنه) أى عن أبى‌هريرة (قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم يتقارب الزمان) أى زمان الدنيا و زمان الآخرة فيكون المراد اقتراب الساعة قال التوربشتى رحمه الله يريد به اقتراب الساعة و يحتمل انه أراد بذلك تقارب أهل الزمان بعضهم من بعض فى الشر أو تقارب الزمان نفسه فى الشر حتى يشبه أوله آخره و قيل بقصر أعمار أهله اه و يحتمل أن يكون كناية عن قلة بركة الزمان من كثرة العصيان و قال القاضى يحتمل أن يكون المراد به أن يتسارع الدول الى الانقضاء و القرون الى الانقراض فيتقارب زمانهم و يتدانى ايامهم (و يقبض العلم) أى فى ذلك الزمان بقبض العلماء الاعيان (و تظهر الفتن) أى و يترتب عليها المحن (و يلقى الشح) فى قلوب أهله أى على اختلاف أحوالهم حتى يبخل العالم بعلمه و الصانع بصنعته و الغنى بماله و ليس المراد وجود أصل الشح لانه موجود فى جبلة الانسان الا من حفظه الله و لذا قال تعالى و من يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون (و يكثر الهرج) بفتح الهاء و سكون الراء و بالجيم (قالوا و ما الهرج قال القتل) فى القاموس هرج الناس وقعوا

و الذى نفسى بيده لاتذهب الدنيا حتى يأتى على الناس يوم لايدرى القاتل فيم قتل و لا المقتول فيم قتل فقيل كيف يكون ذلك قال الهرج القاتل و المقتول فى النار رواه مسلم ✱ و عن معقل ابن يسار قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم العبادة فى الهرج كهجرة الى رواه مسلم ✱ و عن الزبير بن عدى قال أتينا أنس بن مالك فشكونا اليه ما نلقى من الحجاج فقال اصبروا فانه لايأتى عليكم زمان الا الذى بعده أشر منه حتى تلقوا ربكم سمعته من نبيكم صلى‌الله‌عليه‌وسلم رواه البخارى

فى فتنة و اختلاط و قتل اهـ فعلم ان المراد بالهرج قتل خاص و هو الممزوج بالفتنة و الاختلاط فاللام فيه للعهد (متفق عليه ✱ وعنه) أى عن أبى‌هريرة (قال قال رسول‌الله صلى‌الله تعالى‌عليه‌وسلم و الذى نفسى بيده لاتذهب الدنيا) أى جميعها (حتى يأتى على الناس يوم) أى يوم عظيم فيه شر جسيم (لايدرى القاتل فيم قتل) أى المقتول هل يجوز قتله أم لا (و لا المقتول) أى نفسه أو أهله (فيم قتل) هل بسبب شرعى أو بغيره كما كثر النوعان فى زماننا (فقيل كيف يكون ذلك) أى ما سبب وقوع القتل بحيث لايعرف القاتل و لا المقتول بسببه (قال الهرج) أى الفتنة و الاختلاط الكثيرة الموجبة للقتل المجهول و المعنى سببه ثوران الهرج بالكثرة و هيجانه بالشدة (القاتل و المقتول فى النار) أما القاتل فلقتله مسلما و أما المقتول فلانه كان حريصا على قتل مسلم أيضا و لم‌يجد الفرصة قال النووى رحمه الله أما القاتل فظاهر و أما المقتول فانه أراد قتل صاحبه و فيه دلالة للمذهب الصحيح المشهور أن من نوى المعصية و أصر على النية يكون آثما و ان لم‌يفعلها و لم‌يتكلم بها (رواه مسلم ✱ و عن معقل ابن يسار) هو ممن بايع تحت الشجرة مزنى سكن البصرة و اليها ينسب مات زمن ابن زياد و قيل زمن معاوية (قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم العبادة) أى ثوابها مع الاستقامة و الاستدامة عليها (فى الهرج) أى زمن الفتنة و وقت المحاربة بين المسلمين (كهجرة الى) أى قبل فتح مكة و من كانت هجرته الى الله و رسوله فهجرته الى الله و رسوله و نظيره ما ورد ذاكر الله فى الغافلين بمنزلة الصابر فى الفارين (رواه مسلم) و كذا أحمد و الترمذى و ابن ماجه ✱ (وعن الزبير بن عدى) قال المؤلف همدانى بسكون الميم كوفى كان قاضى الرى و هو تابعى سمع أنس ابن مالك روى عنه الثورى و غيره (قال أتينا أنس بن مالك فشكونا اليه ما نلقى من الحجاج) بفتح الحاء أى من ظلمه و هو حجاج بن يوسف روى انه قتل مائة و عشرين ألفا سوى ما قتل فى حروبه (فقال اصبروا فانه لايأتى عليكم زمان الا الذى بعده أشر منه) أى غالبا و من وجه دون وجه (حتى تلقوا ربكم) قال القاضى رحمه الله أخير و أشر أصلان متروكان لايكاد يستعملان الا نادرا و انما المتعارف فى التفضيل خير و شر و فى القاموس هو شر منه و أشر منه قليلة أو ردية و فيه أيضا هو أخير منك كخير اهـ و فيه تنبيه ان استعمال أخير خير من استعمال أشر و لعل السبب فيه ان خير يستعمل للتفضيل و غيره فيكون أخير نصا فى المقصود بخلاف شر وانما يبالغ فيه باتيان الهمز و الله سبحانه و تعالى أعلم (سمعته) أى قوله اصبروا الخ و الاظهر لماسيأتى انه لايأتى عليكم الخ (من نبيكم صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم) قيل هذا الاطلاق يشكل بزمن عمر ابن عبدالعزيز فانه بعد الحجاج بيسير و بزمن المهدى و عيسى عليه‌الصلاة و السلام و أجيب بانه محمول على الاكثر الاغلب و ان المراد بالازمنة الفاضلة فى السوء من زمن الحجاج الى زمن الدجال و أما زمان عيسى عليه‌الصلاة والسلام فله حكم مستأنف و أقول الاظهر أن يقال ان زمن

✪ (الفصل الثاني) ★ عن حذيفة قال و الله ما أدري أنسي أصحابي أم تناسوا و الله ما ترك رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم من قائد فتنة الى أن تنقضي الدنيا يبلغ من معه ثلثمائة فصاعدا الا قد سماه لنا باسمه و اسم أبيه و اسم قبيلته

عيسى عليه‌الصلاة والسلام مستثنى شرعا من الكلام و أما بقية الازمنة فيمكن أن تكون الاشرية فيها موجودة من حيثية دون حيثية و باعتبار دون آخر و في موضع دون موضع و في أمر دون أمر من علم و عمل و حال و استقامة و غيرها مما يطول تفصيلها و هذا من مقتضيات البعد البعدية عن زمان الحضرة النبوية فانها بمنزلة المشعل المنور للعالم فكلما أبعد عن قربه وقع في زيادة ظلام و حجبة و قد أدركت الصحابة رضي‌الله تعالى عنهم أجمعين مع كمال صفاء باطنهم التغير من أنفسهم بعد دفنه صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم و حكي عن بعض المشائخ الكبار اني كنت في جامع شيراز مشغولا بوردي في ليل اذ هجم على الخاطر و أراد بالخروج من غير ظهور داع و باعث له فخرجت فاذا امرأة ملتصقة بجدار فخطر لي انها تريد بيتها و تخاف في طريقها من أهل الفساد فذكرت لها ذلك فاشارت الي بأن نعم فتقدمت عليها و قلت لها ما قال موسى عليه‌الصلاة‌والسلام لابنة شعيب ان أخطأت الطريق القويم ارمي حجرا يدلني على الطريق المستقيم فاوصلتها الى بيتها و رجعت الى حزبي و لم يخطر لي حينئذ شئ من الخطرات النفسانية ثم بعد مدة من الازمنة المتأخرة عن تلك الحالة الروحانية هجس في النفس و توسوس في الخاطر من الامور الشيطانية فتأملت انه هل باعث هذا تغير في مأكلي أو مشربي أو ملبسي أو في مقصدي لعبادتي و طاعتي أو حدوث حادث في صحبة أحبتي أو خلطة ظالم و أمثال ذلك فما رأيت سببا لظهور هذه الظلمة الا البعد عن نور زمان الحضرة الموجب لحصول مثل هذه الخطرة (رواه البخاري) و في الجامع عن انس مرفوعا بلفظ لايأتي عليكم عام و لا يوم الا و الذي بعده شر منه حتى تلقوا ربكم رواه أحمد و البخاري و النسائي و أخرج الطبراني عن أنس مرفوعا ما من عام الا الذي بعده شر منه حتى تلقوا ربكم و في الكبير للطبراني عن أبي الدرداء مرفوعا ما من عام الا ينقص الخير فيه و يزيد الشر قال الزركشي رحمه الله و أخرج الطبراني عن ابن عباس رضي‌الله عنه قال ما من عام الا و يحدث الناس بدعة و يميتون سنة حتى تمات السنن و تحيا البدع فهذا الحديث صريح في ان المراد بالشر موت السنن و احياء البدع و لاشك في تحقق هذين الامرين في كل زمن من الملوين ويؤيده ما في البخاري عن أنس مرفوعا لا يأتي على الناس زمان الا الذي بعده شر منه و أما ما اشتهر على السنة العامة من حديث كل عام ترذلون فهو من كلام الحسن البصري رحمه الله في رسالته على ما ذكره الزركشي و غيره و الله تعالى أعلم

✪ (الفصل الثاني) ✪ (عن حذيفة قال و الله ما أدري أنسي أصحابي) أي من الصحابة (أم تناسوا) أي أظهروا النسيان (و الله ما ترك رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم من قائد فتنة) أي داعي ضلالة و باعث بدعة و من زائدة لتأكيد الاستغراق في النفي (الى أن تنقضي الدنيا) أي الى انقضائها و انتهائها (يبلغ) صفة للقائد أي يصل (من معه) أي مقدار اتباعه (ثلاثمائة فصاعدا) أي فزائدا عليه (الا قد سماه) أي ذكر ذلك القائد (لنا باسمه و اسم أبيه و اسم قبيلته) والمعنى ما جعله متصفا بوصف الا بوصف تسميته الخ يعني وصفا واضحا مفصلا لا مبهما مجملا فالاستثناء متصل و قال الطيبي رحمه الله قوله الى أن تنقضي متعلق بمحذوف أي ما ترك رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم

رواه أبوداود ★ و عن ثوبان قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم انما أخاف على أمتى الائمة المضلين و اذا وضع السيف فى أمتى لم‌يرفع عنهم الى يوم القيامة رواه أبوداود و الترمذى ★ و عن سفينة قال سمعت النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم يقول الخلافة ثلاثون سنة ثم تكون ملكا ثم يقول سفينة أمسک خلافة أبى بكر سنتين

ذكر قائد فتنة الى أن تنقضى الدنيا مهملا لكن قد سماه فالاستثناء منقطع قال المظهر أراد بقائد الفتنة من يحدث بسببه بدعة أو ضلالة أو محاربة كعالم مبتدع يأمر الناس بالبدعة أو أمير جائر يحارب المسلمين (رواه أبوداود ★ و عن ثوبان) هو مولى النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم (قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم انما أخاف على أمتى الائمة المضلين) الائمة جمع امام و هو مقتدى القوم و رئيسهم و من يدعوهم الى قول أو فعل أو اعتقاد (و اذا وضع السيف فى أمتى لم‌يرفع عنهم الى يوم القيامة) أى فان لم‌يكن فى بلد يكون فى بلد آخر (رواه أبوداود والترمذى ★ وعن سفينة) هو أيضا مولى رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم و يقال ان سفينة لقب له و اسمه مختلف فيه و ان النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم كان فى سفر و هو معه فاعيا رجل فالقى عليه سيفه و ترسه و رمحه فحمل شيأ كثيرا فقال له النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم أنت سفينة روى عنه بنوه عبد الرحمن و محمد و زياد و كثير (قال سمعت النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم يقول الخلافة) أى الحقة أو المرضية لله و رسوله أو الكاملة أو المتصلة (ثلاثون سنة ثم تكون) أى تنقلب الخلافة و ترجع (ملكا) بضم الميم أى سلطنة و غلبة على أهل الحق قال فى شرح العقائد و هذا مشكل لان أهل الحل و العقد كانوا متفقين على خلافة الخلفاء العباسية و بعض المروانية كعمر بن عبد العزيز و لعل المراد أن الخلافة الكاملة التى لايشوبها شئ من المخالفة و ميل عن المتابعة تكون ثلاثين سنة و بعدها قد تكون و قد لاتكون اه و أعلم ان المروانية أولهم يزيد بن معاوية ثم ابنه معاوية ابن يزيد ثم عبد الملک ثم هشام بن عبد الملک ثم الوليد ثم سليمان ثم عمر بن عبد العزيز ثم الوليد بن يزيد ثم يزيد بن الوليد ثم مروان بن محمد ثم خرجت منهم الخلافة الى بنى العباس هذا و فى شرح السنة يعنى ان الخلافة حق الخلافة انما هى للذين صدقوا هذا الاسم باعمالهم و تمسكوا بسنة رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم من بعده فاذا خالفوا السنة و بدلوا السيرة فهم حينئذ ملوك و ان كان أساميهم خلفاء و لا بأس أن يسمى القائم بامور المسلمين أمير المؤمنين و ان كان مخالفا لبعض سير أئمة العدل لقيامه بامر المؤمنين و يسمى خليفة لانه خلف الماضى قبله و قام مقامه و لايسمى أحد خليفة الله بعد آدم و داود عليهما الصلاة والسلام قلت و لاشک ان نبينا صلى‌الله‌عليه‌وسلم خليفته فى خليقته بل و يدل اطلاقها على غيره صلى‌الله‌عليه‌وسلم أيضا ماسيأتى من قوله صلى‌الله‌عليه‌وسلم فان كان لله فى الارض خليفة الحديث قال و قال رجل لعمر بن عبد العزيز يا خليفة الله فقال ويحک لقد تناولت متناولا ان امى سمتنى عمر فلو دعوتنى بهذا الاسم قبلت ثم وليتمونى أموركم فسميتمونى أمير المؤمنين فلو دعوتنى بذلک كفاك أى فى رعاية الادب و قصد التعظيم فهذا منه تواضع مع الخلق و تمسكن مع الخالق فليس فيه دلالة على ان مثله لايقال له خليفة الله و الله تعالى أعلم (ثم يقول سفينة) أى لراويه أو المراد به خطاب العام (أمسک) أى عد مدة الخلافة قال الطيبى رحمه الله لعل الوجه أن يقال أمسک أى اضبط الحساب عاقدا أصابعک حتى يكون امسک محمولا على أصله اه و خلاصة المعنى احسب و احفظ

و خلافة عمر عشرة و عثمان اثنتى عشرة و على ستة رواه أحمد و الترمذى و أبوداود
✱ وعن حذيفة قال قلت يارسول الله أيكون بعد هذا الخير شر كما كان قبله شر قال نعم قلت فما العصمة
قال السيف قلت و هل بعد السيف بقية قال نعم تكون امارة على اقذاء و هدنة على دخن قلت ثم ما ذا

(خلافة أبي بكر سنتين و خلافة عمر عشرة) أى أعوام (و عثمان) أى خلافته (اثنتى عشرة سنة) و فى نسخة اثنى عشر أى عاما (و على) أى و خلافة على (ستة) أى ستة أعوام فعلى خاتم الخلفاء كالنبي خاتم الانبياء و المهدى خاتم الاولياء (رواه أحمد و الترمذى و أبوداود) و كذا النسائى ذكره السيد جمال الدين و فى الجامع الخلافة بعدى فى أمتى ثلاثون سنة ثم ملك بعد ذلك رواه أحمد و الترمذى و أبويعلى و ابن حبان عن سفينة و روى البخارى فى تاريخه و الحاكم عن أبى هريرة الخلافة بالمدينة و الملك بالشام ففيه تنبيه على ان الخلافة الحقيقية ما توجد فى مكان صاحب النبوة على اتفاق جمهور الصحابة من أهل الحل و العقد و انه لاعبرة فى الحقيقة باهل الحل و العقد فى غير ذلك المكان و من أمثال غير ذلك الزمان و انما ينعقد بطريق التسلط التى تسمى ملكا لضرورة الداعية الى نظام حال العامة و لئلا يؤدى الى الفتنة الطامة و الله تعالى أعلم ✱(و عن حذيفة قال قلت يا رسول الله أيكون بعد هذا الخير) أى الاسلام و النظام التام المشار اليه بقوله تعالى اليوم أكملت لكم دينكم و المعنى أيوجد و يحدث بعد وجود هذا الخير (شر كما كان قبله) أى قبل الخير من الاسلام و هو زمن الجاهلية (شر قال نعم) أى لان ما وراء كل كمال زوال الا كمال ذى الجلال و الجمال (قلت فما العصمة) أى فما طريق النجاة من الثبات على الخير و المحافظة عن الوقوع فى ذلك الشر (قال السيف) أى تحصل العصمة باستعمال السيف أو طريقها أن تضربهم بالسيف قال قتادة المراد بهذه الطائفة هم الذين ارتدوا بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم فى زمن خلافة الصديق رضى الله عنه كذا ذكره الشراح و يمكن أن يشمل ما وقع من معاوية مع على رضى الله عنهما فان الحق كان مع على و ان العصمة كانت بالمقاتلة مع معاوية كما يدل عليه حديث عمار تقتلك الفئة الباغية و قد قال تعالى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء الى أمر الله (قلت و هل بعد السيف بقية) أى من الشر أو من الخير قال شارح أى هل يبقى الاسلام بعد محاربتنا اياهم (قال نعم تكون امارة) بكسر الهمزة أى ولاية و سلطنة (على اقذاء) فى النهاية الاقذاء جمع قذى و القذى جمع قذاة و هى ما يقع فى العين و الماء و الشراب من تراب أو تبن أو وسخ أو غير ذلك أراد أن اجتماعهم يكون على فساد فى قلوبهم فشبهه بقذى العين و نحوها قال القاضى رحمه الله أى امارة مشوبة بشئ من البدع و ارتكاب المناهى (و هدنة) بضم الهاء أى صلح (على دخن) بفتحتين أى مع خداع و نفاق و خيانة و فى الفائق هدن اى سكن ضربه مثلا لما بينهم من الفساد الباطن تحت الصلاح الظاهر اه و يمكن أن يكون المعنى ثم يكون اجتماع الناس على من جعل أميرا بكراهية نفس لابطيب قلب يقال فعلت كذا و فى العين قذى أى فعلته على كراهة و اغماض عين كما أن العين التى يقع فيها القذى ظاهرها صحيح و باطنها ضريج و أصل الدخن هو الكدورة و اللون الذى يضرب الى السواد فيكون فيه اشعار الى أنه صلاح مشوب بالفساد فيكون اشارة الى صلح الحسن مع معاوية و تفويض الملك اليه و استقرار أمر الامارة عليه و به يظهر أن معاوية بصلح الحسن لم يصر خليفة خلافا لمن توهم خلاف ذلك و الله تعالى أعلم (قلت ثم ما ذا) أى ما ذا يكون

قال ثم ينشأ دعاة الضلال فان كان لله فى الارض خليفة جلد ظهرك و أخذ مالـك فأطعه و الا فمت و أنت عاض على جذل شجرة قلت ثم ما ذا قال ثم يخرج الدجال بعد ذلـك معه نهر و نار فمن وقع فى ناره وجب أجره و حط وزره و من وقع فى نهره وجب وزره و حط أجره قال قلت ثم ما ذا قال ثم ينتج المهر فلايركب حتى تقوم الساعة

(قال ثم تنشأ) أى تظهر (دعاة الضلال) أى جماعة يدعون الناس الى البدع أو المعاصى (فان كان لله فى الارض خليفة) أى موجودا فيها و لو من صفته انه (جلد ظهرك) أى ضربک بالباطل (و أخذ مالـک) أى بالغصب أو مالـک من المنصب النصيب بالتعدى (فاطعه) أى و لا تخالفه لئلا تثور فتنة (والا) أى و ان لم يكن لله فى الارض خليفة (فمت) أمر من مات يموت اشارة الى ما قيل موتوا قبل أن تموتوا و كانه عبر عن الخمول و العزلة بالموت فان غالب لذة الحياة تـكون بالشهرة و الخلطة و الجلوة (و أنت عاض) بتشديد الضاد و الجملة حالية أى حال كونـک آخذا بقوة و ماسكا بشدة (على جذل شجرة) بكسر الجيم و يفتح أى أصلها قال القاضى أى فعليک بالعزلة و الصبر على غصص الزمان و التحمل لمشاقه و شدائده و عض جذل الشجرة و هو أصلها كناية عن مكابدة الشدائد من قولهم فلان يعض بالحجارة لشدة الالم و يحتمل أن يكون المراد منه أن يتقطع عن الناس و يتبوأ أجمة و يلزمها الى أن يموت أو ينقلب الامر من قولهم عض الرجل بصاحبه اذا لزمه و لصق به و منه عضوا عليها بالنواجذ و قيل هذه الجملة قسيمة قوله فأطعه و معناه ان لم تطعه ادتـک المخالفة الى ما لا تستطيع أن تصبر عليه و يدل على المعنى الاول قوله فى الرواية الاخرى فتنة عمياء صماء عليها دعاة على أبواب النار فان مت يا حذيفة و أنت عاض على جذل خير لـک من أن تتبع أحدا منهم قال الطيبى رحمه الله على الوجه الاول لفظه خبر و معناه الامر و هو قسيم لقوله فان كان لله فى الارض خليفة و على الثانى هو مسبب من قوله فأطعه هذا و فى نسخة قمت بصيغة الخطاب من القيام بدل فمت قال السيد جمال الدين رحمه الله قم خبر بمعنى الامر (قلت ثم ما ذا) أى من الفتن (قال ثم يخرج الدجال) أى زمن المهدى (بعد ذلـک) أى بعد ما ذكر من وقوع أنواع الشرور و الفتن (و معه نهر) بسكون الهاء و فتحها أى نهر ماء (و نار) أى خندق نار قيل انهما على وجه التخيل من طريق السحر و السيمياء و قيل ماؤه فى الحقيقة نار و ناره ماء (فمن وقع فى ناره) أى من خالفه حتى يلقيه فى ناره و أضاف النار اليه ايماء الى أنه ليس بنار حقيقة بل سحر (وجب أجره) أى ثبت و تحقق أجر الواقع (و حط) أى و رفع و سومح (وزره) أى اثمه السابق (و من وقع فى نهره) أى حيث وافقه فى أمره (وجب وزره) أى اللاحق (و حط أجره) أى بطل عمله السابق (قلت ثم ماذا قال ثم ينتج) بصيغة المجهول أى ثم يولد (المهر) بضم ميم و سكون هاء أى ولد الفرس قال التوربشتى رحمه الله ينتج من النتج لا من النتاج و هو الولاذة و لا من الانتاج يقال نتجت الفرس أو الناقة على بناء ما لم يسم فاعله نتاجا و نتجها أهلها نتجا و الانتاج اقتراب ولادها و قيل استبانة حملها (فلايركب) بكسر الكاف من قولهم أركب المهر اذا حان وقت ركوبه و فى نسخة بفتح الكاف أى فلايركب المهر لاجل الفتن أو لقرب الزمن (حتى تقوم الساعة) قيل المراد به زمن عيسى عليه الصلاة والسلام فلايركب المهر لعدم احتياج الناس فيه الى محاربة بعضهم بعضا أو المراد أن بعد خروج الدجال لايكون زمان طويل حتى تقوم الساعة أى يكون حينئذ قيام الساعة قريبا

و فى رواية قال هدنة على دخن و جماعة على اقذاء قلت يا رسول‌الله الهدنة على الدخن ما هى قال لاترجع قلوب أقوام على الذى كانت عليه قلت هل بعد هذا الخير شر قال فتنة عمياء صماء عليها دعاة على أبواب النار فان مت يا حذيفة و أنت عاض على جذل خير لك من أن تتبع أحدا منهم رواه أبوداود ✱ و عن أبى‌ذر قال كنت رديفا خلف رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم يوما على حمار فلما جاوزنا بيوت المدينة قال كيف بك يا أباذر اذا كان بالمدينة جوع تقوم عن فراشك و لاتبلغ مسجدك حتى يجهدك الجوع قال قلت الله و رسوله أعلم قال تعفف يا أباذر

قدر زمان انتاج المور و اركابه و هذا هو الظاهر و الله تعالى أعلم بالسرائر (و فى رواية) اى بدل تكون امارة على اقذاء الخ (قال هدنة على دخن) أى صلح مع كدورة و صفاء مع ظلمة (و جماعة على اقذاء) اى و اجتماع على أهواء مختلفة أو عيوب مؤتلفة (قلت يا رسول‌الله الهدنة على الدخن ما هى قال لاترجع قلوب أقوام) برفع قلوب و هو الاصح و بنصبه بنا على ان رجع لازم أو متعد أى لاتصير قلوب جماعات أو لاترد الهدنة قلوبهم (على الذى) أى على الوجه الذى أو على الصفاء الذى (كانت) أى تلك القلوب (عليه) أى لاتكون قلوبهم صافية عن الحقد و البغض كما كانت صافية قبل ذلك (قلت بعد هذا) أى يقع بعد هذا (الخير شر قال فتنة) أى نعم يقع شر هو فتنة عظيمة و بلية جسيمة (عمياء) أى يعمى فيها الانسان عن أن يرى الحق (صماء) أى يصم أهلها عن أن يسمع فيها كلمة الحق أو النصيحة قال القاضى رحمه الله المراد بكونها عمياء صماء أن تكون بحيث لايرى منها مخرجا و لايوجد دونها مستغاثا أو أن يقع الناس فيها على غرة من غير بصيرة فيعمون فيها و يصمون عن تأمل قول الحق و استماع النصح أقول و يمكن أن يكون وصف الفتنة بهما كناية عن ظلمتها و عدم ظهور الحق فيها و عن شدة أمرها و صلابة أهلها و عدم التفات بعضهم الى بعض فى المشاهدة و المكالمة و أمثالها (عليها) أى على تلك الفتنة (دعاة) أى جماعة قائمة بامرها و داعية للناس الى قبولها (على أبواب النار) حال أى فكانهم كائنون على شفا جرف من النار يدعون الخلق اليها حتى يتفقوا على الدخول فيها (فان مت) بضم الميم و كسرها (يا حذيفة و أنت عاض على جذل) أى و الحال انك على هذا المنوال من اختيار الاعتزال و القناعة بأكل قشر الاشجار و المنام فوق الأحجار (خير لك من أن تتبع) بتشديد التاء الثانية وكسر الموحدة و يجوز تخفيفها و فتح الباء (أحدا منهم) أى من أهل الفتنة أو من دعاتهم (رواه أبوداود) و النسائى ذكره ميرك ✱ (وعن أبى‌ذر قال كنت رديفا) أى راكبا (خلف رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم) قال الطيبى رحمه الله ظرف وقع صفة مؤكدة لرديفا (يوما على حمار) فيه دلالة على كمال تواضعه صلى‌الله‌عليه‌وسلم وحسن معاشرته مع أصحابه وكمال قرب أبى‌ذر له حينئذ و لذا ذكره مع الايماء الى كمال حفظه القضية و استحضاره اياها (فلما جاوزنا بيوت المدينة قال كيف بك) قال الطيبى رحمه الله مبتدأ و خبر و الباء زائدة فى المبتدأ أى كيف أنت أى حالك (يا أباذر اذا كان) أى وقع (بالمدينة جوع) أى خاص لك أو قحط عام (تقوم عن فراشك و لاتبلغ مسجدك) أى الذى قصدته أن تصلى فيه (حتى يجهدك الجوع) بضم الياء و كسر الهاء و فى نسخة بفتحهما أى يوصل اليك المشقة و يعجزك عن المشى من البيت الى المسجد (قال قلت الله و رسوله أعلم) أى بحالى وحال غيرى فى تلك الحال وسائر الاحوال (قال تعفف) بصيغة الامر أى التزم العفة (يا أباذر) و هى الصلاح و الورع و التصبر

قال كيف بك يا أباذر اذا كان بالمدينة موت يبلغ البيت العبد حتى أنه يباع القبر بالعبد قال قلت الله و رسوله أعلم قال تصبر يا أباذر قال كيف بك يا أباذر اذا كان بالمدينة قتل تغمر الدماء أحجارَ الزيت قال قلت الله و رسوله اعلم قال تأتى من أنت منه قال قلت و البس السلاح قال شاركت القوم

على أذى الجوع و التقوى و الكف عن الحرام و الشبهة و عن السؤال من المخلوق و الطمع فيه و المذلة عنده (قال كيف بك يا أباذر) فى ندائه مكررا تنبيه له على أخذ الحديث مقررا (اذا كان بالمدينة موت) أى بسبب القحط أو وباء من عفونة هواء أو غيرها (يبلغ البيت) أى يصل موضع قبر الميت (العبد) أى قيمته أو نفسه (حتى انه) بكسر الهمز و يفتح أى الشان (يباع القبر بالعبد) هذا توضيح لما قبله من ايهام البيت ففى النهاية المراد بالبيت ههنا القبر و أراد ان موضع القبور يضيق فيبتاعون كل قبر بعبد قال التوربشتى رحمه الله و فيه نظر لان الموت و ان استمر بالاحياء و فشا فيهم كل الفشو لم ينته بهم الى ذلك و قد وسع الله عليهم الامكنة اه كلامه و أجيب بان المراد بموضع القبور الجبانة المعهودة و قد جرت العادة بانهم لايتجاوزون عنها و فى شرح السنة قيل معناه ان الناس يشتغلون عن دفن الموتى بما هم فيه حتى لايوجد من يحفر قبر الميت فيدفنه الا أن يعطى عبدا أو قيمة عبد و قيل معناه انه لايبقى فى كل بيت كان فيه كثير من الناس الا عبد يقوم بمصالح ضعفة أهل ذلك البيت قال المظهر يعنى يكون البيت رخيصا فيباع بيت بعبد قال الطيبى رحمه الله على الوجهين الاخيرين لا يحسن موقع حتى حسنها على الوجهين الاولين قلت بل لايصح حينئذ وقوع حتى و لعلها غير موجودة فى المصابيح قال الخطابى قد يحتج بهذا الحديث من يذهب الى وجوب قطع النباش و ذلك ان النبى صلى‌الله‌عليه وسلم سمى القبر بيتا فدل على انه حرز كالبيوت قلت لاسيما و قد ثبت أنه عليه‌الصلاة والسلام قطع النباش لكن حمله أصحابنا على انه للسياسة و الله سبحانه و تعالى أعلم (قال قلت قلت الله و رسوله أعلم) كما تقدم (قال تصبر يا أباذر) بتشديد الموحدة المفتوحة أمر من باب التفعل و فى نسخة تصبر مضارع صبر على انه خبر بمعنى الامر أى اصبر بالبلاء و لاتجزع فى الضراء و لاتنس بقية النعماء و السراء و ارض بما يجرى من القضاء تصب الاجر من خالق الارض و السماء (قال كيف بك يا أباذر اذا كان بالمدينة قتل) أى سريع عظيم (تغمر) بسكون الغين المعجمة و ضم الميم أى تستر و تعلو (الدماء) أى كثرة دماء القتلى (أحجار الزيت) قيل هى محلة بالمدينة و قيل موضع بها قال التوربشتى رحمه الله هى من الحرة التى كانت بها الوقعة زمن يزيد و الامير على تلك الجيوش العاتية مسلم بن عقبة المرى المستبيح بحرم رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم و كان نزوله بعسكره فى الحرة الغربية من المدينة فاستباح حرمتها و قتل رجالها و عاث فيها ثلاثة أيام و قيل خمسة فلاجرم أنه انماع كما ينماع الملح فى الماء و لم يلبث ان أدركه الموت و هو بين الحرمين و خسر هنالك المبطلون (قال قلت الله و رسوله أعلم قال تأتى من أنت منه) خبر معناه أمر أى أئت من يوافقك فى دينك و سيرتك و قال القاضى أى ارجع الى من أنت جئت منه و خرجت من عنده يعنى أهلك و عشيرتك قال الطيبى رحمه الله لايطابق على هذا سؤاله (قال قلت و البس السلاح) و الظاهر أن يقال ارجع الى امامك و من بايعته فحينئذ يتوجه أن يقول و ألبس السلاح و أقاتل معه (قال) أى النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم (شاركت القوم) أى فى الاثم

اذا قلت فكيف أصنع يا رسول‌الله قال ان خشيت أن يبهرك شعاع السيف فالق ناحية ثوبك على وجهك ليبوء باثمك و اثمه رواه أبوداود ✱ وعن عبدالله بن عمرو بن العاص ان النبى صلى‌الله‌عليه وسلم‌قال كيف بك اذا أبقيت فى حثالة من الناس مرجت عهودهم و أماناتهم و اختلفوا فكانوا هكذا و شبك بين أصابعه قال فيم تأمرنى قال عليك بما تعرف

(اذا) أى اذا لبست السلاح المعنى لاتلبس السلاح وكن مع الامام و أرباب الصلاح و لاتقاتل حتى يحصل لك الفلاح هذا حاصل كلام الطيبى رحمه الله لكن فيه ان امامه اذا قاتل كيف يجوز له أن يمتنع من المقاتلة معه و قال ابن الملك رحمه الله قوله شاركت لتأكيد الزجر عن اراقة الدماء و الا فالدفع واجب اه و ذكره الطيبى رحمه الله و قرره و الصواب ان الدفع جائز اذا كان الخصم مسلما أن لم يترتب عليه فساد بخلاف ما اذا كان العدو كافرا فانه يجب الدفع مهما أمكن (قلت فكيف أصنع يا رسول‌الله قال ان خشيت أن يبهرك) بفتح الهاء أى يغلبك (شعاع السيف) بفتح أوله أى بريقه و لمعانه و هو كناية عن أعمال السيف (فالق) أمر من الالقاء أى اطرح (ناحية ثوبك) أى طرفه (على وجهك) أى لئلاترى و لاتفزع و لاتجزع و المعنى لاتحاربهم و ان حاربوك بل استسلم نفسك للقتل لان أولئك من أهل الاسلام و يجوز معهم عدم المحاربة و الاستسلام كما أشار اليه بقوله (ليبوء) أى ليرجع القاتل (باثمك) أى باثم قتلك (و اثمه) أى و بسائر اثمه (رواه أبوداود) و كذا ابن ماجه و الحاكم فى مستدركه و قال صحيح على شرط الشيخين نقله ميرك عن التصحيح ✱ (وعن عبد الله بن عمرو) صحابيان جليلان (ابن العاص) بغير ياء هو الصحيح (ان النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال كيف بك) سبق اعرابه و فى رواية كيف أنت أى كيف حالك (اذا أبقيت) مجهول من الابقاء أى اذا أبقاك الله بمعنى عمرك و فى نسخة بصيغة المعلوم من البقاء أى اذا بقيت (فى حثالة) بضم الحاء و بالثاء المثلثة و هى ما سقط من قشر الشعير و الارز و التمر و الردىء من كل شئ أى فى قوم رداى (من الناس مرجت) استئناف بيان و هو بفتح الميم و كسر الراء أى فسدت (عهودهم و أماناتهم) و فى نسخة أمانتهم بصيغة الافراد على ارادة الجنس أو باعتبار كل فرد و الجمع انما هو للمقابلة و التوزيع مع امكان حقيقة الجمع فيهما فتأمل و المعنى لايكون أمرهم مستقيما بل يكون كل واحد فى كل لحظة على طبع وعلى عهد ينقضون العهود و يخونون الامانات قال التوربشتى رحمه الله أى اختلطت و فسدت فقلقت فيهم أسباب الديانات (و اختلفوا فكانوا هكذا و شبك بين أصابعه) أى يموج بعضهم فى بعض و يلتبس أمر دينهم فلايعرف الأمين من الخائن و لا البر من الفاجر هذا و فى نسخة مرجت بفتح الراء و هو متعد و منه قوله تعالى مرج البحرين ففيه ضمير الى الحثالة فالمعنى افسدت تلك الجماعة القمامة عهودهم و أماناتهم و اختلفوا فى أمور دياناتهم فكانوا كما أخبر النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم عنهم فى الاشتباك مشبهين بالاصابع المشبكة فما كتبه ميرك على هامش الكتاب من قوله مرجت بصيغة المجهول و رمز عليه ظاهر أشارة الى انه هو الظاهر و علله باب المرج متعد و المعنى على اللزوم فهو غير ظاهر على ما يظهر من القاموس و غيره ففى القاموس المرج الخلط و المرج بحركة الفساد و القلق و الاختلاط و الاضطراب و انما يسكن مع الهرج يعنى للازدواج مرج كفرح و أمر مريج مختلط و أمرج العهد لم يف به اه و فى مختصر النهاية مرج الدين فسد و قلقت أسبابه و مرجت عهودهم أى اختلطت (قال فيم تأمرونى قال عليك بما تعرف)

و دع ما تنكر و عليك بخاصة نفسك و اياك و عوامهم و فى رواية الزم بيتك و املك عليك لسانك و خذ ما تعرف ودع ما تنكر و عليك بأمر خاصة نفسك و دع أمر العامة رواه الترمذى و صححه ✱ و عن أبى موسى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ان بين يدى الساعة فتنا كقطع الليل المظلم يصبح الرجل فيها مؤمنا و يمسى كافرا و يمسى مؤمنا و يصبح كافرا القاعد فيها خير من القائم و الماشى فيها خير من الساعى فكسروا فيها قسيكم و قطعوا فيها أوتاركم و اضربوا سيوفكم بالحجارة فان دخل على أحد منكم فليكن كخير ابنى آدم رواه أبوداد و فى رواية له ذكر الى قوله خير من الساعى ثم قالوا فما تأمرنا قال كونوا أحلاس بيوتكم

أى الزم و افعل ما تعرف كونه حقا (ودع ما تنكر) أى و اترك ما تنكر انه حق (و عليك بخاصة نفسك و اياك و عوامهم) أى عامتهم و المعنى الزم أمر نفسك و احفظ دينك و إترك الناس و لاتتبعهم و هذا رخصة فى ترك الامر بالمعروف و النهى عن المنكر اذا كثر الاشرار و ضعف الاخيار (و فى رواية الزم بيتك و املك) أمر من الاملاك بمعنى الشد و الاحكام أى امسك (عليك لسانك) و لاتتكلم فى أحوال الناس كيلا يؤذوك (و خذ ما تعرف ودع ما تنكر و عليك بامر خاصة نفسك ودع أمر العامة رواه الترمذى و صححه) قال ميرك و الرواية الثانية رواها أبوداود و النسائى أيضا ✱(و عن أبى موسى) أى الاشعرى (عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ان بين يدى الساعة) أى قدامها من اشراطها (فتنا) أى فتنا عظاما و محنا جساما (كقطع الليل المظلم) بكسر القاف و فتح الطاء و يسكن أى كل فتنة كقطعة من الليل المظلم فى شدتها و ظلمتها وتقدم تبين أمرها قال الطيبى رحمه الله يريد بذلك التباسها و فظاعتها و شيوعها و استمرارها (يصبح الرجل فيها) أى فى تلك الفتن (مؤمنا و يمسى كافرا و يمسى مؤمنا و يصبح كافرا) و الظاهر أن المراد بالاصباح و الامساء تقلب الناس فيها وقتا دون وقت لابخصوص الزمانين فكانه كناية عن تردد أحوالهم و تذبذب أقوالهم و تنوع أفعالهم من عهد و نقض و أمانة و خيانة و معروف و منكر و سنة و بدعة و ايمان و كفر (القاعد فيها خير من القائم و الماشى فيها خير من الساعى) أى كلما بعد الشخص عنها و عن أهلها خير له من قربها و اختلاط أهلها لما سيؤل أمرها الى محاربة أهلها فاذا رأيتم الامر كذلك (فكسروا فيها قسيكم) بكسرتين و تشديد التحتية جمع القوس و فى العدول عن الكسر الى التكسير مبالغة لان باب التفعيل للتكثير و كذا قوله (و قطعوا) أمر من التقطيع (فيها أوتاركم) و فيه زيادة من المبالغة اذ لامنفعة لوجود الاوتار مع كسر القسى أو المراد به انه لاينتفع بها الغير و لايستعملها فى الشر دون الخير (و اضربوا سيوفكم بالحجارة) أى حتى تنكسر أو حتى تذهب حدتها و على هذا القياس الارماح و سائر السلاح (فان دخل) بصيغة المفعول و نائب الفاعل قوله (على أحد) و من فى قوله (منكم) بيانية (فليكن) أى ذلك الاحد (كخير ابنى آدم) أى فليستسلم حتى يكون قتيلا كهابيل و لايكون قاتلا كقابيل (رواه أبوداود و فى رواية له) أى لابى داود عنه (ذكر) أى الحديث (الى قوله خير من الساعى ثم قالوا) أى بعض الصحابة (فما تأمرنا) أى أن نفعل حينئذ (قال كونوا احلاس بيوتكم) احلاس البيوت ما يبسط تحت حر الثياب فلا تزال ملقاة تحتها و قيل الحلس هو الكساء على ظهر البعير تحت القتب و البرذعة شبهها به للزومها و دوامها و المعنى الزموا بيوتكم و التزموا سكوتكم كيلا تقعوا فى الفتنة التى بها دينكم يفوتكم

و فى رواية الترمذى أن رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال فى الفتنة كسروا فيها قسيكم و قطعوا فيها أوتاركم و الزموا فيها أجواف بيوتكم و كونوا كابن آدم و قال هذا حديث صحيح غريب ✱ وعن أم مالك البهزية قالت ذكر رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم فتنة فقربها قلت يا رسول‌الله من خير الناس فيها قال رجل فى ماشيته يؤدى حقها و يعبد ربه و رجل آخذ برأس فرسه يخيف العدو و يخوفونه رواه الترمذى ✱ و عن عبدالله بن‌عمرو قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم ستكون فتنة تستنظف العرب قتلاها فى النار اللسان فيها أشد من وقع السيف

(و فى رواية الترمذى أن رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال فى الفتنة) أى فى ايامها و زمنها و هو ظرف لقوله (كسروا فيها قسيكم و قطعوا فيها أوتاركم و الزموا فيها أجواف بيوتكم) أى كونوا ملازميها لئلا تقعوا فى الفتنة و المحاربين فيها (و كونوا كابن آدم) المطلق ينصرف الى الكامل و فيه اشارة لطيفة تحت عبارة ظريفة و هو أن هابيل المقتول المظلوم هو ابن آدم لاقابيل القاتل الظالم كما قال تعالى فى حق ولد نوح عليه الصلاة والسلام انه ليس من أهلك انه عمل غير صالح (و قال) أى الترمذى (هذا حديث صحيح غريب ✱ و عن أم مالك البهزية) بفتح الموحدة و سكون الهاء و بالزاى و ياء النسبة قال المؤلف لها صحبة و رواية و هى حجازية روى عنها طاوس و مكحول (قالت ذكر رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم فتنة فقربها) بتشديد الراء أى فعدها قريبة الوقوع قال الاشرف معناه وصفها للصحابة وصفا بليغا فان من وصف عند أحد وصفا بليغا فكانه قرب ذلك الشئ اليه (قلت يا رسول‌الله من خير الناس فيها قال رجل فى ماشيته) أى من الغنم و نحوها (يؤدى حقها) أى من الزكاة و غيرها (و يعبد ربه) لقوله تعالى جلا جلاله و لا اله غيره ففروا الى الله و قوله و تبتل اليه تبتيلا و قوله و اليه يرجع الامر كله فاعبده و توكل عليه و ما ربك بغافل عما تعملون (و رجل آخذ) بصيغة اسم الفاعل أى ماسك (برأس فرسه يخيف العدو) من الاخافة بمعنى التخويف أى يخوف الكفار (و يخوفونه) قال المظهر يعنى رجل هرب من الفتن و قتال المسلمين و قصد الكفار يحاربهم و يحاربونه يعنى فيبقى سالما من الفتنة و غانما للاجر و المثوبة (رواه الترمذى ✱ و عن عبدالله بن عمرو قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم ستكون فتنة) أى عظيمة و بلية جسيمة (تستنظف العرب) أى تستوعبهم هلاكا من استنظفت الشئ أخذته كله كذا فى النهاية و بعض الشراح و قيل أى تطهرهم من الارذال و أهل الفتن (قتلاها) جمع قتيل بمعنى مقتول مبتدأ خبره قوله (فى النار) أى سيكون فى النار أو هم حينئذ فى النار لانهم يباشرون ما يوجب دخولهم فيها كقوله تعالى ان الابرار لفى نعيم و ان الفجار لفى جحيم قال القاضى رحمه الله المراد بقتلاها من قتل فى تلك الفتنة و انما هم من أهل النار لانهم ما قصدوا بتلك المقاتلة و الخروج اليها اعلاء دين أو دفع ظالم أو اعانة محق و انما كان قصدهم التباغى و التشاجر طمعا فى المال و الملك (اللسان) أى وقعه و طعنه على تقدير مضاف و يدل عليه رواية و اشراف اللسان أى اطلاقه و اطالته (فيها أشد من وقع السيف) و قال الطيبى رحمه الله القول و التكلم فيها اطلاقا للمحل و ارادة الحال اه و الحاصل أنه لابد من ارتكاب أحد المجازين المذكورين فى قوله تعالى و اسأل القرية قال المظهر يحتمل هذا احتمالين أحدهما أن من ذكر أهل تلك الحرب بسوء يكون كمن حاربهم لانهم مسلمون و غيبة المسلمين اثم قلت و فيه انه ورد اذكروا الفاجر بما فيه يحذره الناس و لاغيبة لفاسق و نحو ذلك فلايصح هذا على اطلاقه ولذا

استدرك كلامه بقوله و لعل المراد بهذه الفتنة الحرب التى وقعت بين أمير المؤمنين على رضى‌الله عنه و بين معاوية رضى‌الله‌عنه و لاشك ان من ذكر أحدا من هذين الصدرين و أصحابهما يكون مبتدعا لان أكثرهم كانوا أصحاب رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم اه و قد قال صلى‌الله‌عليه‌وسلم اذا ذكر أصحابى فامسكوا أى عن الطعن فيهم فان رضا الله تعالى فى مواضع من القرآن تعلق بهم فلابد أن يكون مآلهم الى التقوى و رضا المولى و جنة المأوى و أيضا لهم حقوق ثابتة فى ذمة الامة فلاينبغى لهم أن يذكروهم الا بالثناء الجميل و الدعاء الجزيل و هذا مما لاينافى أن يذكر أحد مجملا أو معينا بان المحاربين مع على ما كانوا من المخالفين أو بان معاوية و حزبه كانوا باغين على ما دل عليه حديث عمار تقتلك الفئة الباغية لان المقصود منه بيان الحكم المميز بين الحق و الباطل و الفاصل بين المجتهد المصيب و المجتهد المخطئ مع توقير الصحابة و تعظيمهم جميعا فى القلب لرضا الرب ولذا لما سئل بعض الاكابر عمر بن عبد العزيز أفضل أم معاوية قال لغبار أنف فرس معاوية حين غزا فى ركاب رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم أفضل من كذا و كذا من عمر بن عبد العزيز اذ من القواعد المقررة ان العلماء و الاولياء من الامة لم‌يبلغ أحد منهم مبلغ الصحابة الكبراء و قد أشار الى هذا المعنى قوله سبحانه و تعالى لايستوى منكم من أنفق من قبل الفتح و قاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد و قاتلوا و كذا قوله تعالى و السابقون الاولون من المهاجرين و الانصار و قوله و السابقون السابقون أولئك المقربون قال المظهر و الثانى أن المراد به ان من مد لسانه فيه بشتم أو غيبة يقصدونه بالضرب و القتل و يفعلون به ما يفعلون بمن حاربهم اه و حاصله أن الطعن فى احدى الطائفتين و مدح الاخرى حينئذ مما يثير الفتنة فالواجب كف اللسان و هذا المعنى فى غاية من الظهور فتأمل لكن الطيبى رجح المعنى الاول حيث قال و يؤيد قوله و لعل المراد بهذه الفتنة الخ ما روينا عن الاحنف بن قيس قال خرجت و انما أريد هذا الرجل فلقينى أبوبكرة فقال أين تريد يا أحنف قلت أريد نصر ابن عم رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال فقال يا أحنف ارجع فانى سمعت رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم يقول اذا توجه المسلمان بسيفهما فالقاتل و المقتول فى النار قال فقلت يارسول‌الله هذا القاتل فما بال المقتول قال انه كان حريصا على قتل صاحبه متفق عليه قلت محمل هذا الحديث اذا كان القتال بين المسلمين على جهة العصبية و الحمية الجاهلية كما يقع كثيرا فيما بين أهل حارة و حارة و قرية و قرية و طائفة و طائفة من غير أن يكون هناك باعث شرعى لاحدهما و لايصح حمل الحديث على اطلاقه الشامل لقضية صفين و نحوها لئلاينافى قوله تعالى جل شأنه فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التى تبغى و لان الاجماع على ان قتلى طائفة على ليسوا فى النار فكلام أبى بكرة اما محمول على انه كان مترددا متحيرا فى أمر على و معاوية و لم‌يكن يعرف الحق من الباطل و لم‌يميز أحدهما من الآخر و اما فهم من كلام الاحنف انه يريد حماية العصبية لا اعلاء الكلمة الدينية على ما يشير اليه قوله أريد نصر ابن عم رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم و لم‌يقل أريد معاونة الامام الحق و الخليفة المطلق و بهذا يتبين أن حمل هذه الفتنة على قضية على لايجوز و يؤول بما قال الطيبى رحمه الله و أما قوله قتلاها فى النار فللزجر و التوبيخ و التغليظ عليهم و أما كف الالسنة عن الطعن فيهم فان كلا منهم مجتهد و ان كان على رضى‌الله‌عنه مصيبا فلايجوز الطعن فيهما و الاسلم للمؤمنين أن لايخوضوا فى أمرهما قال عمر بن عبد العزيز تلك دماء طهر الله أيدينا منها فلا نلوث ألسنتنا بها قال النووى رحمه الله كان بعضهم مصيبا و بعضهم مخطئا معذورا

رواه الترمذی و ابن ماجه ✱ و عن أبی هريرة أن رسول‌الله صلی‌الله‌عليه‌وسلم قال ستكون فتنة صماء بكماء عمياء من أشرف لها استشرفت له و اشراف اللسان فيها كوقوع السيف رواه أبوداود
✱ وعن عبدالله بن عمر قال كنا قعودا عند النبی صلی‌الله‌عليه‌وسلم فذكر الفتن فأكثر فی ذكرها حتی ذكر فتنة الاحلاس قال قائل و ما فتنة الاحلاس قال هی هرب و حرب

فی الخطأ لانه كان بالاجتهاد و المجتهد اذا أخطأ لا اثم عليه و كان علی رضی‌الله عنه هو المحق المصيب فی تلک الحروب هذا مذهب أهل السنة و كانت القضايا بشتبهة حتی ان جماعة من الصحابة تحيروا فيها فاعتزلوا الطائفتين و لم‌يقاتلوا و لو تيقنوا الصواب لم‌يتأخروا عن مساعدته قلت و سبب هذا التحير لم‌يكن فی أن عليا أحق بالخلافة أم معاوية لانهم أجمعوا علی ولاية علی و اجتمع أهل الحل و العقد علی خلافته و انما وقع النزاع بين معاوية و علی فی قتلة عثمان حيث تعلل معاوية بانی لم‌أسلم لک الامر حتی تقتل أهل الفساد و الشرور ممن حاصر الخليفة و أعان علی قتله فان هذا ثلمة فی الدين و خلل فی أئمة المسلمين . و اقتضی رأی علی و هو الصواب ان قتل فئة الفتنة يجر الی اثارة الفتنة التی هی تكون أقوی من الاولی مع أن هجوم العوام و عدم تعيين أحد منهم بمباشرة قتل الامام ليس بموجب لامام آخر أن يقتلهم قتلا عاما و لا من يتهم بقتله من غير حجة أو بينة شرعية لاسيما و قد رجعوا الی الحق و دخلوا فی بيعة الخليفة و من المعلوم ان أهل البغی اذا رجعوا عن بغيهم أو شردوا عن قتالهم فليس لاحد أن يتعرض لهم هذا و لما كان صلی‌الله‌عليه‌وسلم ذكر الفتن و حذر عن الدخول فيها و رغب عن البعد عنها و رهب عن القرب اليها و أطلقها نظرا الی فساد غالبها و لم‌يبين هذه الفتنة بخصوصها مفصلة و ان وقعت مجملة تحير فيها بعض الصحابة وظنوا ان الاسلم فيها بالخصوص أيضا اما ذكره صلی‌الله‌عليه‌وسلم فيها بالعموم لكن لما تبين لهم فی الآخر حقية علی كرم‌الله وجهه و خطأ معاوية ندموا علی ما فعلوا من العزلة و تحسروا علی ما فاتهم من مثوبة الجلوة و لله حكمة فی ذلک كله لله الامر من قبل و من بعد فلا مقدم لما أخر و لا مؤخر لما قدم و الله تعالی أعلم (رواه الترمذی و ابن ماجه) قال ميرك رواه أبوداود أيضا كلهم مرفوعا و قال البخاری الاصح وقفه علی عبدالله بن عمرو بن العاص أقول لكن هذا الموقوف فی حكم المرفوع لان قوله قتلاها فی النار لايتصور أن يصدر من رأی أحد ✱ (و عن أبی هريرة أن رسول‌الله صلی‌الله‌عليه‌وسلم قال ستكون فتنة صماء عمياء بكماء) أی باعتبار أصحابها حيث لايجدون لها مستغاثا و لايرون منها مخرجا وخلاصا و المعنی لايميزون فيها بين الحق و الباطل و لايسمعون النصيحة والامر بالمعروف والنهی عن المنكر بل من تكلم فيها بحق أوذی و وقع فی الفتن و المحن (من أشرف لها) أی من أطلع عليها و قرب منها (استشرفت له) أی اطلعت تلک الفتنة عليه و جذبته اليها (و اشراف اللسان) أی اطلاقه و اطالته (فيها كوقوع السيف) أی فی تأثيره بل أبلغ لما قيل.
جراحات السنان لها التئام ✱ و لايلتام ما جرح اللسان و لهذا قال فی الرواية السابقة أشد من وقع السيف (رواه أبوداود ✱ و عن عبدالله بن عمر قال كنا قعودا) أی قاعدين (عند رسول‌الله صلی‌الله‌عليه‌وسلم فذكر الفتن) أی الواقعة فی آخر الزمان (فأكثر) أی البيان (فی ذكرها حتی ذكر فتنة الاحلاس) سبق معناه اللغوی (فقال قائل و ما فتنة الاحلاس قال هی هرب) بفتحتين أی يفر بعضهم من بعض لما بينهم من العداوة و المحاربة (و حرب) بفتحتين أی أخذ

ثم فتنة السراء دخنها من تحت قدمي رجل من أهل بيتي يزعم انه مني و ليس مني انما أوليائي المتقون ثم يصطلح الناس على رجل كورك على ضلع ثم فتنة الدهيماء لاتدع أحدا من هذه الامة الا لطمته لطمة فاذا قيل انقضت

مال و أهل بغير استحقاق (ثم فتنة السراء) بالرفع عطف على هرب بحسب المعنى فكأنه قال و فتنة الاحلاس حرب و هرب و فتنة السراء و فى نسخة بالنصب عطفا على فتنة الاحلاس و المراد بالسراء النعماء التي تسر الناس من الصحة و الرخاء و العافية من البلاء و الوباء و أضيفت الى السراء لان السبب فى وقوعها ارتكاب المعاصي بسبب كثرة التنعم أو لانها تسر العدو و قال التوربشتي رحمه الله يحتمل أن يكون سبب وقوع الناس فى تلك الفتنة و ابتلائهم بها أثر النعمة فاضيفت الى السراء يعني يكون التركيب من قبيل اضافة الشئي الى سببه و يحتمل أن يكون صفة للفتنة وأضيفت اليها أضافة مسجد الجامع و يراد منها سعتها لكثرة الشرور و المفاسد و من ذلك قولهم قفاه سراء اذا كانت وسيعة يعني يكون التقدير فتنة الحادثة السراء أي الواسعة التي تعم الكافة من الخاصة و العامة و قوله (دخنها) بفتحتين أي اثارتها و هيجانها و شبهها بالدخان الذي يرتفع كما شبه الحرب بالنار و انما قال (من تحت قدمي رجل من أهل بيتي) تنبيها على أنه هو الذي يسعى فى اثارتها أو الى انه يملك أمرها (يزعم انه مني) أي فى الفعل و ان كان مني فى النسب و الحاصل ان تلك الفتنة بسببه وانه باعث على اقامتها (و ليس مني) أي من اخلائي أو من أهلي فى الفعل لانه لوكان من أهلي لم يهيج الفتنة و نظيره قوله تعالى انه ليس من أهلك انه عمل غير صالح أوليس من أوليائي فى الحقيقة و يؤيده قوله (انما أوليائي المتقون) وهذا أبلغ من حديث آل محمد كل تقي (ثم يصطلح الناس على رجل) أي يجتمعون على بيعة رجل (كورك) بفتح و كسر (على ضلع) بكسر ففتح و يسكن واحد الضلوع أو الاضلاع و تسكين اللام فيه جائز على ما فى الصحاح وهذا مثل و المراد انه لايكون على ثبات لان الورك لثقله لايثبت على الضلع لدقته و المعنى انه يكون غير أهل الولاية لقلة علمه و خفة رأيه و حلمه و فى النهاية أي يصطلحون على رجل لا نظام له و لا استقامة لامره لان الورك لايستقيم على الضلع و لايتركب عليه لاختلاف ما بينهما و بعده و فى شرح السنة معناه ان الامر لايثبت و لايستقيم له و ذلك ان الضلع لايقوم بالورك و لا يحمله و حاصله انه لايستعد و لايستبد لذلك فلايقع عنه الامر موقعه كما ان الورك على ضلع يقع غير موقعه قال و انما يقال فى باب الملاءمة و الموافقة اذا وصفوا به هو ككف فى ساعد و ساعد فى ذراع و نحو ذلك يريد ان هذا الرجل غير لائق للملك و لا مستقل به (ثم فتنة الدهيماء) بالرفع وينصب على ما سبق و هي بضم ففتح و الدهماء السوداء و التصغير للذم أي الفتنة العظماء و الطامة العمياء و فى النهاية هي تصغير الدهماء يريد الفتنة المظلمة و التصغير فيها للتعظيم و قيل المراد بالدهيماء الداهية و من أسماء الداهية الدهيم زعموا ان الدهيم اسم ناقة غزا عليها سبعة اخوة متعاقبين فقتلوا عن آخرهم و حملوا عليها حتى رجعت بهم فصارت مثلا فى كل داهية (لاتدع) أي لاتترك تلك الفتنة (أحدا من هذه الامة الا لطمته لطمة) أى أصابته بمحنة و مسته ببلية و أصل اللطم هو الضرب على الوجه ببطن الكف و المراد ان أثر تلك الفتنة يعم الناس و يصل لكل أحد من ضررها قال الطيبي رحمه الله هو استعارة مكنية شبه الفتنة بانسان ثم خيل لاصابتها الناس اللطم الذي هو من لوازم المشبه به و جعلها قرينة لها (فاذا قيل انقضت) أي فهما

تمادت يصبح الرجل فيها مؤمنا و يمسى كافرا حتى يصير الناس الى فسطاطين فسطاط ايمان لا نفاق فيه و فسطاط نفاق لا ايمان فيه فاذا كان ذلك فانتظروا الدجال من يومه أو من غده رواه أبوداود ✱ و عن أبى هريرة ان النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال ويل للعرب من شر قد اقترب أفلح من كف يده رواه أبوداود

توهموا ان تلك الفتنة انتهت (تمادت) بتخفيف الدال أى بلغت المدى أى الغاية من التمادى و فى نسخة بتشديد الدال من التمادد تفاعل من المد أى استطالت و استدرت و استقرت (يصبح الرجل فيها مؤمنا) أى لتحريمه دم أخيه و عرضه و ماله (و يمسى كافرا) أى لتحليله ما ذكر و يستمر ذلك (حتى يصير الناس الى فسطاطين) بضم الفاء و تكسر أى فرقتين و قيل مدينتين و أصل الفسطاط الخيمة فهو من باب ذكر المحل و ارادة الحال (فسطاط ايمان) بالجر على انه بدل و فى نسخة بالرفع و اعرابه مشهور أى ايمان خالص (لا نفاق فيه) أى لا فى أصله و لا فى فصله من اعتقاده و عمله (و فسطاط نفاق لا ايمان فيه) أى أصلا أو كمالا لما فيه من أعمال المنافقين من الكذب و الخيانة و نقض العهد و أمثال ذلك (فاذا كان ذلك فانتظروا الدجال) أى ظهوره (من يومه أو من غده) و هذا يؤيد ان المراد بالفسطاطين المدينتان فان المهدى يكون فى بيت المقدس فيحاصره الدجال فينزل عيسى عليه‌الصلاة والسلام فيذوب الملعون كالملح ينماع فى الماء فيطعنه بحربة له فيقتله فيحصل الفرج العام و الفرح التام كما قال سيد الانام ✱ اشتدى أزمة تنفرجى ✱ و قد قال تعالى فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا و ان يغلب عسر يسرين و هما هنا الاقتران بين القمرين و ضياء انوارهما فى أمر الكونين قال الطيبى رحمه الله الفسطاط بالضم و الكسر المدينة التى فيها يجتمع الناس و كل مدينة فسطاط و أضافة الفسطاط الى الايمان أما بجعل المؤمنين نفس الايمان مبالغة و أما بجعل الفسطاط مستعارا للكنف و الوقاية على المصرحة أى هم فى كنف الايمان و وقايته (رواه أبوداود) أى و سكت عليه و أقره المنذرى و رواه الحاكم و صححه و أقره الذهبى نقله ميرك عن تصحيح الجزرى ✱ (وعن أبى هريرة أن النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال ويل للعرب) الويل حلول الشر و هو تفجيع أو ويل كلمة عذاب أو واد فى جهنم و خص العرب بذلك لانهم كانوا حينئذ معظم من أسلم (من شر) أى عظيم (قد اقترب) أى ظهوره و الاظهر ان المراد به ما أشار اليه صلى‌الله‌عليه‌وسلم فى الحديث المتفق عليه بقوله فتح اليوم من ردم يأجوج و مأجوج الحديث كما تقدم و الله تعالى أعلم قال الطيبى رحمه الله أراد به الاختلاف الذى ظهر بين المسلمين من وقعة عثمان رضى‌الله عنه أو ما وقع بين على كرم‌الله وجهه و معاوية رضى‌الله عنه أقول أو أراد به قضية يزيد مع الحسين رضى‌الله عنه و هو فى المعنى أقرب لان شره ظاهر عند كل أحد من العجم و العرب و قال ابن الملك رحمه الله قوله من شر أى من خروج جيش يقاتل العرب و قيل أراد به الفتن الواقعة فى العرب أولها قتل عثمان و استمرت الى الآن أقول و لم يعرف ما يقع فى مستقبل الزمان و الله المستعان و عليه التكلان (أفلح) أى نجا و ظفر على المدعى و انتصر على الاعداء (من كف يده) أى عن الاذى أو ترك القتال اذا لم يتميز الحق من الباطل أقول و لعل وجه عدول الشراح عن المعنى الذى قدمته الى ما ذكروه ان قوله أفلح من كف يده يدل على خلاف ذلك فان وقت خروجهم ليس لاحد طاقة المقاتلة معهم فمورد هذا الحديث غير الاول فتدبر و تأمل اللهم الا أن يقال ان هذا جملة مستقلة

و عن المقداد بن الاسود قال سمعت رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم يقول ان السعيد لمن جنب الفتن ان السعيد لمن جنب الفتن ان السعيد لمن جنب الفتن و لمن ابتلى فصبر فواها رواه أبوداود

وعن ثوبان قال قال رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم اذا وضع السيف فى أمتى لم‌يرفع عنها الى يوم القيامة و لاتقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتى بالمشركين وحتى تعبد قبائل من أمتى الاوثان و انه سيكون فى أمتى كذابون ثلاثون

والمعنى أفلح من كف يده عمن قال لا اله الا الله الا باذن شرعى حكم به و قضاه (رواه أبوداود) أى باسناد رجاله رجال الصحيح و الحديث متفق عليه من حديث طويل خلا قوله قد أفلح من كف يده نقله ميرك عن التصحيح و فى الجامع بلفظ المشكاة رواه أبوداود و الحاكم و فيه أيضا حديث ويل واد فى جهنم يهوى فيه الكافر أربعين خريفا قبل أن يبلغ قعره رواه أحمد و النسائى و الحاكم و ابن حبان عن أبى سعيد و فيه أيضا ويل لامتى من علماء السوء رواه الحاكم فى تاريخه عن أنس (و عن المقداد بن الاسود) قال المؤلف هو ابن عمرو الكندى و ذلک ان أباه حالف كندة فنسب اليها و انما سمى ابن الأسود لانه كان حليفه أو لانه كان فى حجره و قيل بل كان عبدا فتبناه و كان سادسا فى الاسلام (قال سمعت رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم يقول ان السعيد لمن) باللام المفتوحة للتأكيد فى خبر ان أى للذى (جنب) بضم الجيم و تشديد النون المكسورة أى بعد (الفتن) منصوب على انه مفعول ثان و منه ما ورد من الدعاء اللهم جنبنا الشيطان و قيل انه منصوب بنزع الخافض أى بعد عنها (ان السعيد لمن جنب الفتن ان السعيد لمن جنب الفتن) كررها ثلاثا للمبالغة فى التأكيد و يمكن أن يكون التكرار باعتبار أول الفتن و آخرها (و لمن ابتلى) اللام للابتداء أى لمن امتحن بتلک الفتن (فصبر) أى على أذاهم و لم‌يحاربهم فى ذلک الزمن (فواها) بالتنوين اسم صوت وضع موضع المصدر سد مسد فعله ذكره الطيبى رحمه الله و قال ابن الملک معناه التلهف و قد يوضع موضع الاعجاب بالشئ و الاستطابة له أى ما أحسن و ما أطيب صبر من صبر و قيل معناه فطوبى له و فى النهاية قيل معنى هذه التلهف و قد يوضع موضع الاعجاب بالشئ يقال واها له و قد يرد بمعنى التوجع و قيل يقال فى التوجع آهاله قال الطيبى رحمه الله و يجوز أن يكون فواها خبرا لمن و الفاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط فعلى هذا فيه معنى التعجب أى من ابتلى فصبر فطوبى له و أن لايكون خبرا على أن اللام مفتوحة و يكون قوله و لمن ابتلى عطفا على قوله لمن جنب الفتن فعلى هذا واها للتحسر أى فواها على من باشرها و سعى فيها اه و يؤيده ما فى الجامع بلفظ ان السعيد لمن جنب الفتن و لمن ابتلى فصبر و قيل اللام مكسورة و يكون فواها بمعنى التعجب أى و لمن ابتلى فصبر يجب أن يتعجب من حاله هذا و فى القاموس واها و يترك تنوينه كلمة تعجب من طيب شئ و كلمة تلهف أى من تلف شئ (رواه أبوداود و عن ثوبان قال قال رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم اذا وضع السيف فى أمتى) أى من بعضهم لبعض (لم‌يرفع عنها الى يوم القيامة) و قد ابتدئ فى زمن معاوية و هلم جرا لايخلو عنه طائفة من الامة فصدق فى اخباره امام الائمة ثم الحديث مقتبس من قوله تعالى أو يلبسكم شيعا و يذيق بعضكم باس بعض و تحقيقه فى الاحاديث المنثورة فى تفسير الدر المنثور (و لاتقوم الساعة حتى يلحق قبائل من أمتى بالمشركين) منها ما وقع بعد وفاته صلی‌الله‌علیه‌وسلم فى خلافة الصديق رضى‌الله‌عنه (و حتى تعبد قبائل من أمتى الاوثان) أى الاصنام حقيقة و لعله يكون فيما سيأتى أو معنى و منه تعس عبد الدينار

كلهم يزعم انه نبى الله و أنا خاتم النبيين لانبى بعدى و لاتزال طائفة من أمتى على الحق ظاهرين لايضرهم من خالفهم حتى يأتى أمر الله رواه أبوداود و الترمذى ✱ و عن عبدالله بن مسعود عن النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال تدور رحى الاسلام لخمس و ثلاثين أو ست و ثلاثين أو سبع و ثلاثين فان يهلكوا فسبيل من هلك

و عبد الدرهم (و انه) أى الشان (سيكون فى أمتى كذابون) أى فى دعوتهم النبوة (ثلاثون) أى هم أو عددهم ثلاثون (كلهم يزعم) أفرد للفظ كل (انه نبى الله و أنا خاتم النبيين) بكسر التاء و فتحها و الجملة حالية و قوله (لانبى بعدى) تفسير لما قبله (و لاتزال طائفة من أمتى على الحق) خبر لقوله لاتزال أى ثابتين على الحق علما و عملا (ظاهرين) أى غالبين على أهل الباطل و لو حجة قال الطيبى رحمه الله يجوز أن يكون خبرا بعد خبر و أن يكون حالا من ضمير الفاعل فى ثابتين أى ثابتين على الحق فى حالة كونهم غالبين على العدو (لايضرهم من خالفهم) أى لثباتهم على دينهم (حتى يأتى أمر الله) متعلق بقوله لاتزال (رواه أبوداود و الترمذى) و كذا ابن ماجه ذكره السيد جمال‌الدين رحمه الله و فى الجامع لاتزال طائفة من أمتى ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله و هم ظاهرون رواه الشيخان عن المغيرة ✱(و عن عبدالله بن مسعود عن النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم تدور رحى الاسلام) أى تستقر و تستمر دائرة رحى الاسلام و يستقيم دورانها على وجه النظام أو يبتدئ دوران دائرة الحرب و تزلزله و حركاته و سكناته فى الاسلام (لخمس و ثلاثين) أى لوقت خمس و ثلاثين من ابتداء ظهور دولة الاسلام و هى زمن هجرة خير الانام و بانتهاء المدة تنقضى خلافة الخلفاء الثلاثة بلاخلاف بين الخاص و العام اذ بعدها مقتل عثمان رضى‌الله‌عنه (أو ست و ثلاثين) و فيه قضية الجمل (أو سبع و ثلاثين) و فيه وقعة صفين و أو فيها للتنويع أو بمعنى بل فان الامر فيهما أهون مما بعدهما لاسيما أمر الاسلام و نظام الاحكام و ظهور الصحابة و العلماء الاعلام و لهذا قال (فان يهلكوا) أى ان اختلفوا بعد ذلك و استهانوا فى أمر الدين و اقترفوا المعاصى (فسبيل من هلك) أى فسبيلهم سبيل من هلك من الامم الماضية الذين زاغوا عن الحق فى اختلافهم و زيغهم عن الحق و وهنهم فى الدين و سمى أسباب الهلاك و الاشتغال بما يؤدى اليه هلاكا هذا مجمل الكلام و أما تفصيل المرام فقال الخطابى دوران الرحى كناية عن الحرب و القتال شبهها بالرحا الدوارة التى تطحن الحب لما يكون فيها من تلف الارواح و هلاك الانفس قال الشاعر ✱ فدارت رحانا و استدارت رحاهم ✱ قلت هو معنى ما قال غيره فيوما علينا و يوما لنا ✱ فيوما نساء و يوما نسر و قال تعالى و تلك الايام نداولها بين الناس ثم الرحا و ان كان فيها ما ذكر من تلف الارواح و هلاك الانفس لكن فيها أيضا قوت الاشباح و قوة الارواح قال التوربشتى رحمه الله انهم يكنون عن اشتداد الحرب بدوران الرحى و يقولون دارت رحا الحرب أى استتب أمرها و لم‌تجدهم استعملوا دوران الرحا فى امر الحرب من غير جريان ذكرها أو الاشارة اليها و فى هذا الحديث لم‌يذكر الحرب و انما قال رحى الاسلام فالاشبه انه أراد بذلك ان الاسلام يستتب أمره و يدوم على ما كان عليه المدة المذكورة فى الحديث و يصح أن يستعار دوران الرحى فى الامر الذى يقوم لصاحبه و يستمر له فان الرحى توجد على نعت الكمال ما دامت دائرة مستمرة و يقال فلان صاحب دارتهم اذا كان أمرهم يدور عليه و رحى الغيث معظمه و يؤيد ما ذهبنا اليه ما رواه الحربى فى بعض طرقه تزول

و أن يقم لهم دينهم يقم لهم سبعين عاما قلت أمما بقي أو مما مضى قال مما مضى رواه أبوداود
★ (الفصل الثالث) ★ عن أبي واقد الليثي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خرج الى غزوة حنين مر بشجرة للمشركين كانوا يعلقون عليها أسلحتهم .

رحى الاسلام مكان تدور ثم قال كان تزول أقرب لانها تزول عن ثبوتها و استقرارها و أشار بالسنين الثلاث الى الفتن الثلاث مقتل عثمان رضي الله عنه وكان سنة خمس و ثلاثين و حرب الجمل و كانت سنة ست وحرب صفين و كانت سنة سبع فانها كانت متتابعة في تلك الاعوام الثلاثة (و أن يقم لهم دينهم) أى و ان صفت تلك المدد و لم يتفق لهم اختلاف و خور في الدين و ضعف في التقوى (يقم لهم سبعين عاما) تتمادى بهم قوة الدين و استقامة أمره سبعين سنة و قد وقع المحذور في الموعد الاول و لم يزل ذلك كذلك الى الآن قال الخطابي أراد بالدين الملك قال و يشبه أن يكون أراد بهذا ملك بنى أمية و انتقاله عنهم الى بنى العباس وكان ما بين استقرار الملك لبني أمية الى أن ظهرت الدعاة بخراسان و ضعف أمر بنى أمية و دخل الوهن فيه نحوا من سبعين سنة قال التوربشتي يرحم الله أبا سليمان فانه لو تأمل الحديث كل التأمل و بنى التأويل على سياقه لعلم ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يرد بذلك ملك بنى أمية دون غيرهم من الامة بل أراد به استقامة أمر الامة في طاعة الولاة و اقامة الحدود و الاحكام و جعل المبدأ فيه أول زمان الهجرة و أخبرهم انهم يلبثون على ما هم عليه خمسا و ثلاثين أو ستا و ثلاثين أو سبعا و ثلاثين ثم يشقون عصا الخلاف فتفرق كلمتهم فان هلكوا فسبيلهم سبيل من قد هلك قبلهم وان عاد أمرهم الى ما كان عليه من ايثار الطاعة و نصرة الحق يتم لهم ذلك الى تمام السبعين هذا مقتضى اللفظ و لو اقتضى اللفظ أيضا غير ذلك لم يستقم لهم ذلك القول فان الملك في أيام بعض العباسية لم يكن أقل استقامة منه في أيام المروانية و مدة أمارة بنى أمية من معاوية الى مروان بن محمد كانت نحوا من تسع و ثمانين سنة و التواريخ تشهد له مع ان بقية الحديث ينقض كل تأويل يخالف تأويلنا هذا و هي قول ابن مسعود (قلت) أى يا رسول الله (أمما بقي أو مما مضى) يريد ان السبعين تتم لهم مستأنفة بعد خمس وثلاثين أم تدخل الاعوام المذكورة في جملتها (قال مما مضى) يعني يقوم لهم أمر دينهم الى تمام سبعين سنة من أول دولة الاسلام لا من انقضاء خمس و ثلاثين أو ست و ثلاثين أو سبع و ثلاثين الى انقضاء سبعين و في جامع الاصول قيل ان الاسلام عند قيام أمره على سنن الاستقامة والبعد من احداثات الظلمة الى أن ينقضي مدة خمس وثلاثين سنة و وجهه أن يكون قد قاله و قد بقيت من عمره صلى الله عليه وسلم خمس سنين أو ست فاذا انضمت الى مدة خلافة الخلفاء الراشدين و هي ثلاثون سنة كانت بالغة ذلك المبلغ و ان كان أراد سنة خمس و ثلاثين من الهجرة ففيها خرج أهل مصر و حصروا عثمان رضي الله عنه و ان كان سنة ست و ثلاثين ففيها كانت وقعة الجمل و ان كانت سنة سبع و ثلاثين ففيها كانت وقعة صفين (رواه أبوداود)

★ (الفصل الثالث) ★ (عن أبي واقد الليثي) قال المؤلف هو حرث بن عوف قديم الاسلام عداده في أهل المدينة و جاور بمكة سنة و مات بها و دفن بفخ (ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خرج الى غزوة حنين) أى بعد فتح مكة و معه بعض من دخل في الاسلام حديثا و لم يتعلم من أدلة الاحكام آية و لاحديثا (مر بشجرة للمشركين كانوا يعلقون عليها أسلحتهم) أى ويعكفون

يقال لها ذات أنواط فقالوا يا رسول‌الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط فقال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم سبحان الله هذا كما قال قوم موسى أجعل لنا الها كما لهم آلهة و الذى نفسى بيده لتركبن سنن من كان قبلكم رواه الترمذى ★ و عن ابن المسيب قال وقعت الفتنة الاولى يعنى مقتل عثمان فلم‌يبق من أصحاب بدر أحد ثم وقعت الفتنة الثانية يعنى الحرة فلم‌يبق من أصحاب الحديبية أحد ثم وقعت الفتنة الثالثة فلم‌ترفع و بالناس طباخ رواه البخارى

★ (باب الملاحم) ★

حولها يقال لها ذات أنواط جمع نوط و هو مصدر ناطه أى علقه (فقالوا) أى بعضهم ممن لم‌يكمل له مرتبة التوحيد و لم‌يطلع على حقيقة التفريد (يا رسول‌الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط) أى شجرة نحن أيضا نعلق عليها أسلحتنا وكانهم أرادوا به الضدية و المخالفة العرفية وغفلوا عن القاعدة الشرعية (فقال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم سبحان الله) تنزيها و تعجبا (هذا) أى هذا القول منكم (كما قال قوم موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة) لكن لايخفى ما بينهما من التفاوت المستفاد من التشبيه حيث يكون المشبه به أقوى (و الذى نفسى بيده لتركبن) بضم الموحدة أى لتذهبن أنتم أيها الامة (سنن من كان قبلكم) بضم السين أى طرقوم و مناهجهم و سبل أفعالهم و فى نسخة بفتحها أى على منوالهم و طبق حالهم و شبه قالهم (رواه الترمذى) و رواه أيضا عن ابن عمر رضى‌الله عنهما مرفوعا لياتين على أمتى ما أتى على بنى اسرائيل حذو النعل بالنعل حتى ان كان منهم من أتى أمه علانية لكان فى أمتى من يصنع ذلك و رواه الحاكم عن ابن عباس لتركبن سنن من قبلكم شبرا بشبر و ذراعا بذراع حتى لو أن أحدهم دخل جحر ضب لدخلتم وحتى لو ان أحدهم جامع امرأته بالطريق لفعلتموه ★ (وعن ابن المسيب) بفتح التحتية المشددة و قد تكسر تابعى جليل (قال وقعت الفتنة الاولى يعنى) هذا كلام الراوى عن ابن المسيب و تفسير لكلامه أى يريد بالفتنة الاولى (مقتل عثمان فلم‌يبق من أصحاب بدر أحد) هذا كلام ابن المسيب أى انهم ماتوا منذ قامت الفتنة بمقتل عثمان الى أن قامت الفتنة الاخرى بوقعة الحرة و الحاصل انهم ما ابتلوا بالفتنة مرتين لما صانهم الله ببركة غزوة بدر (ثم وقعت الفتنة الثانية يعنى الحرة) فى النهاية هذه أرض بظاهر المدينة بها حجارة سود كثيرة كانت الوقعة المشهورة فى الاسلام أيام يزيد بن معاوية لما انتهب المدينة عسكره من أهل الشام الذين ندبهم لقتال أهل المدينة من الصحابة و التابعين و أمر عليهم مسلم بن عقبة المرى فى ذى الحجة سنة ثلاث و ستين (فلم‌يبق من أصحاب الحديبية) بالتخفيف و يشدد أى من أهل بيعة الرضوان (أحد ثم وقعت الفتنة الثالثة) لعلها فتنة ابن الزبير و ما حصل له و لاهل مكة من الحجاج (فلم‌ترفع) و فى نسخة و لم‌ترتفع (و بالناس طباخ) أى أحد و هو بفتح الطاء و تخفيف الباء الموحدة و بالخاء المعجمة على ما صرح به صاحب المشارق و المفهوم من النهاية فلاوجه لما ضبط فى بعض النسخ من كسر الطاء نعم فى القاموس الطباخ كسحاب و بضم القوة و الاحكام و السمن قال الطيبى رحمه الله أصل الطباخ القوة و السمن ثم استعمل فى غيره فقيل فلان لاطباخ له أى لاعقل له و لاخير عنده أراد انها لم‌تبق فى الناس من الصحابة أحدا فالمراد بالناس الصحابة فأل للعهد أو المراد بهم الكاملون فى مرتبة الانس و رتبة الانس (رواه البخارى)

★ (باب الملاحم) ★ بفتح الميم و كسر الحاء جمع الملحمة و هى المقتلة أو هى الواقعة

★ (الفصل الاول) ★ عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاتقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان تكون بينهما مقتلة عظيمة دعواهما واحدة و حتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين كلهم يزعم انه رسول الله و حتى يقبض العلم و تكثر الزلازل و يتقارب الزمان و يظهر الفتن و يكثر الهرج و هو القتل

العظيمة و في النهاية هي الحرب و موضع القتال مأخوذ من اشتباك الناس و اختلاطهم فيها كاشتباك لحمة الثوب بالسدى و قيل هو من اللحم لكثرة لحوم القتلى فيها اه و من اسمائه صلى الله عليه وسلم نبي الملحمة و فيه أشارة الى انه معدن الجلال كما انه منبع الجمال لكونه نبي الرحمة و الجمع بينهما هو الكمال و أنما أطلق سبحانه في حقه قوله و ما أرسلناك الا رحمة للعالمين بناء على غلبة رحمته تخلقا باخلاق الله و صفته كما ورد في الحديث القدسي سبقت رحمتي غضبي و لذا ينادي بيا أرحم الراحمين بل الملحمة في الحقيقة عين المرحمة كما ان المحن من عنده سبحانه هي المنح و المنن و البلاء عين الولاء و في ذلكم بلاء من ربكم عظيم

★ (الفصل الاول) ★ (عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاتقوم الساعة) بتأنيث الفعل و يذكر وكذا قوله (حتى تقتتل فئتان عظيمتان) أي كثيرتان أو كمية وكيفية لما كان في كل منهما جماعة من الصحابة و يمكن حمله على التغليب اذ الجماعة العظيمة في الحقيقة انما كانت جماعة على كرم الله وجهه قال الا كمل و هذا من المعجزات لانه وقع بعده في الصدر الاول (تكون بينهما مقتلة عظيمة) أي حرب عظيم و قتال قوي (دعواهما واحدة) أي كل واحدة من الفئتين تدعي الاسلام قال ابن الملك المراد علي و معاوية و من معهما و يؤخذ من قوله دعواهما واحدة الرد على الخوارج في تكفيرهم كلتا الطائفتين اه و في كون الحديث رداً عليهم مجرد دعوى لا يخفى فانه لايلزم من تحقق الدعوى وصول المدعى و حصول المعنى مع ان الدعوى قد تصرف الى دعوى الخلافة و نحوها (و حتى يبعث) أي يرسل من عالم الغيب الى صحن الوجود و يظهر (دجالون) أي مبالغون في فساد العباد و البلاد (كذابون) أي على الله و رسوله في شرح السنة كل كذاب دجال يقال دجل فلان الحق بباطله غطاه و منه أخذ الدجال و دجله سحره و كذبه و قيل سمي الدجال دجالا لتمويهه على الناس و تلبيسه يقال دجل اذا موه و لبس (قريب من ثلاثين) و هذا لاينافي جزمه فيما سبق بقوله ثلاثون فانه أما متاخر و أما المراد منه التقريب و كذا لاينافي ما رواه الطبراني عن ابن عمر و لاتقوم الساعة حتى يخرج سبعون كذابا فان المراد منه التكثير أو الثلاثون مقيدون بدعوى النبوة و الباقون بغيرها على احتمال ان السبعين غير الثلاثين فتكمل المائة و الله تعالى أعلم (كلهم يزعم انه رسول الله) و في نسخة نبي الله (و حتى يقبض) أي يؤخذ و يرفع (العلم) أي النافع المتعلق بالكتاب و السنة بقبض العلماء من أهل السنة و الجماعة فيكثر أهل الجهل و البدعة (و تكثر الزلازل) أي الحسية وهي تحريك الارض أو المعنوية وهي أنواع البلية فان موت العلماء فوت العالم (و يتقارب الزمان) قال الخطابي أراد به زمان المهدي لوقوع الامن في الارض فيستلذ العيش عند ذلك لانبساط عدله فتستقصر مدته لانهم يستقصرون مدة أيام الرخاء و ان طالت ويستطيلون أيام الشدة و ان قصرت (و يظهر الفتن) أي و يترتب عليها المحن (و يكثر الهرج) قيل المراد بكثرته شموله و دوامه (و هو) أي الهرج (القتل) يحتمل أن يكون مرفوعا و الاظهر انه تفسير

و حتى يكثر فيكم المال فيفيض حتى يهم رب المال من يقبل صدقته و حتى يعرضه فيقول الذى يعرضه عليه لا أرب لى به و حتى يتطاول الناس فى البنيان و حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول يا ليتنى مكانه و حتى تطلع الشمس من مغربها فاذا طلعت و رآها الناس آمنوا أجمعون فذلك حين لاينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى ايمانها خيرا

من أحد الرواة فهو جملة معترضة (و حتى يكثر فيكم المال فيفيض) بالنصب و يرفع من فاض الماء اذا انصب عند امتلائه و الضمير الى المال فهو مبالغة لحصول المنال فى الدال (حتى يهم) بضم الياء و كسر الهاء و تشديد الميم من أهمه أحزنه و أقلقه و قوله (رب المال) منصوب على انه مفعول و الفاعل قوله (من يقبل صدقته) على تقدير مضاف أى حتى يوقع فى الحزن فقدان من يقبل الصدقة رب المال حيث لم يجد من يقبله و التمليك شرط لحصول الزكاة كما ان القبض شرط لحصول الصدقة و فى بعض النسخ بضم الياء و فتح الهاء على ان همه لغة بمعنى أحزنه فرب المال منصوب على حاله و فى بعضها برفعه على انه فاعل و من مفعوله أى يقصده رب المال عكس المتعارف فى بقية الازمنة و الاحوال من هم به اذا قصده فيكون من باب الحذف و الايصال و المعنى الاول هو المعول فتأمل قال النووى رحمه الله فى شرح مسلم ضبطوه بوجهين و أشهرهما ضم أوله و كسر الهاء قال الطيبى رحمه الله و فى جامع الاصول مقيد بضم الياء و رب المال مفعوله و الموصول مع صلته فاعله و قوله (حتى يعرضه) بكسر الراء عطف على مقدر و المعنى حتى يهم طلب من يقبل الصدقة صاحب المال فيطلبه حتى يجده و حتى يعرضه اه أى حتى يعرض المال الذى أراد ان يتصدق به على من يظن انه يقبله (فيقول الذى يعرضه عليه لا أرب لى به) بفتح الهمزة و الراء أى لاحاجة لى اليه اما لغنى قلبه أو لغنى يده و الاظهر انه لهما جميعا فكان الخير وسع الجميع بمافيه وقنع كل أحد بما يكفيه فلايريد ما يطغيه أو ما لايعنيه والا فمن المعلوم انه لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى ثالثا ولن يملأ جوف ابن آدم الا التراب ويتوب الله على من تاب على ما ورد فى الحديث بل فى القرآن المنسوخ التلاوة فكان أهل ذلك الزمان كلهم ممن تاب الله عليهم حتى رجعوا الى مقام الرضا بالقضاء و القناعة بالكفاية و الاستغناء بما قسمه الله على الناس فان الاستئناس بالناس من علامة الافلاس (و حتى يتطاول الناس فى البنيان) أى حتى يتزايدوا فى طوله و عرضه أو يفتخروا فى تزيينه و تحسينه و هذا غير مقيد بزمان المهدى بل المراد به اما بعده و اما قبله فان الآن قد كثر البنيان و افتخر به أهل الزمان و تطاول به اللسان فى كل مكان و هدموا العمارة الموضوعة للخيرات و جعلوها دورا و بساتين و مواضع التنزهات و محال التلهيات (و حتى يمر الرجل) أى من كثرة همومه و غمومه فى أمر دينه أو كثرة بلائه و قلة دوائه (بقبر الرجل) أى من أقاربه أو أجانبه (فيقول) بالنصب و يرفع (يا ليتنى مكانه) نقل بالمعنى اذ لفظه بمكانك أى ليتنى كنت ميتا حتى لا أرى الفتنة و لا أشاهد المحنة (و حتى تطلع الشمس من مغربها فاذا طلعت و رآها الناس آمنوا أجمعون) تأكيد للناس أو لضميره أى كلهم لما رأوه من الآية الملجئة و العلامة العيانية و كان المطلوب منهم الايمان فى الحالة الغيبة كما أشار اليه سبحانه الذين يؤمنون بالغيب ولذا قال (فذلك) أى الوقت (حين لاينفع نفسا ايمانها) و كذا ما يترتب على ايمانها من عمل خيرها أى الحادثين فى ذلك الوقت كما بينه بقوله (لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى ايمانها خيرا) فاو للتنويع اذ قد يوجد ايمان مجرد عن العمل و قد

و لتقومن الساعة و قد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلايتبايعانه و لايطويانه و لتقومن الساعة و قد انصرف الرجل بلبن لقحته فلايطعمه و لتقومن الساعة و هو يليط حوضه فلايسقى فيه و لتقومن الساعة و قد رفع أكلته الى فيه فلايطعمها متفق عليه ✶ و عنه قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم لاتقوم الساعة حتى تقاتلوا قوما نعالهم الشعر و حتى تقاتلوا الترك صغار الاعين حمر الوجوه ذلف الانوف

يقترن العمل بالايقان لكن لما كان وقوعهما فى حال البأس و وقت اليأس لايكونان نافعين قال تعالى فلم‌يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا و قيل التقدير لاينفع ايمانها و لا كسبها ان لم‌تكن آمنت من قبل أو لم‌تكن كسبت فالكلام من ألف التقديرى و النشر الظاهرى هذا و قيل جملة لم‌تكن آمنت صفة نفس و الاولى ان تحمل على الاستئناف لئلايقع الفصل بين الصفة و الموصوف و قوله من قبل أى قبل اتيان بعض آيات الرب على ما فى القرآن مبهما و مجملا و من قبل طلوع الشمس من مغربها على ما فى الحديث مفسرا و مبينا ثم قيل أو كسبت عطف على آمنت و المراد بالخير التوبة أو الاخلاص فتنوينه للتعظيم أى لاينفع تلك النفس ايمانها و قبول توبتها فيفيد أن أو للتنويع فكأنه قال لاينفعها توبة عن الشرك و لا توبة عن المعاصى و بهذا يندفع استدلال المعتزلة بالآية على ان العمل المعبر عنه بالخير جزاء للايمان مع أن الظاهر من قوله تعالى فى ايمانها خيرا يدفع ذلك ثم قيل عدم قبول الايمان و التوبة فى ذلك الوقت مخصوص بمن شاهد طلوعها حتى ان من ولد بعده أو لم‌يشاهده يقبل كلاهما منه و الصحيح انه غير مخصوص للخبر الصحيح ان التوبة لا تزال مقبولة حتى يغلق بابها فاذا طلعت الشمس من مغربها أغلق (و لتقومن الساعة) أى النفخة الاولى و هى بمقدمة الساعة فاطلقت عليها (و قد نشر الرجلان) الجملة حالية أى و الحال انهما فتحا و فرقا (ثوبهما بينهما) الاضافة لاحدهما على انه صاحبه و للآخر على أنه طالبه (فلايتبايعانه) أى لا يكملان البيع و الشراء (و لايطويانه) أى و لايجمعان الثوب فيفترقان بل تقع الساعة عليهما و هما مشغولان بالبيع و الشراء كما قال تعالى ما ينظرون الا صيحة واحدة تأخذهم و هم يخصمون فلايستطيعون توصية و لا الى أهلهم يرجعون و حاصله ان قيام الساعة يكون بغتة لقوم و هم فى أشغالهم كما قال تعالى لا تأتيكم الابغتة (و لتقومن الساعة و قد انصرف الرجل بلبن لقحته) بكسر اللام و سكون القاف أى ناقة ذات لبن (فلايطعمه) أى فلايمكن الرجل أن يشرب اللبن الذى حلبه و هو فى يده (و لتقومن الساعة و هو يليط) بفتح أوله أى يطين و يصلح (حوضه) أى ليسقى ابله أو غنمه منه (فلايسقى) أى ابله و هو بفتح الياء و يجوز ضمها (فيه) أى فى ذلك الحوض أو من مائه و المعنى ان الساعة تأخذ الناس بغتة تأتيهم و هم فى أشغالهم فلاتمهلهم ان يتموها (و لتقومن الساعة و قد رفع أكلته) بضم الهمزة أى لقمته (الى فيه فلايطعمها) أى فلايبلعها و لا ياكلها و هذا أبلغ مما قبله من الصور (متفق عليه ✶ وعنه)أى عن أبى هريرة رضى‌الله‌عنه (قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم لاتقوم الساعة حتى تقاتلوا قوما نعالهم الشعر) بفتحتين و سكون العين أى من جلود مشعرة غير مدبوغة (و حتى تقاتلوا الترك) قال السدى من الترك شرذمة يأجوج و مأجوج و عن قتادة انهم كانوا ثنتين و عشرين قبيلة بنى ذو القرنين السد على احدى و عشرين و بقيت واحدة و هى الترك سموا بذلك لانهم تركوا خارجين (صغار الاعين) بالنصب و هو من امارات الحرص على أمتعة الدنيا صغيرها و حقيرها

كان وجوههم المجان المطرقة متفق عليه ✱ وعنه قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا خوزا و كرمان من الاعاجم حمر الوجوه فطس الانوف صغار الاعين وجوههم المجان المطرقة نعالهم الشعر رواه البخارى و فى رواية له

و البخل على نقيرها و قطميرها (حمر الوجوه) أى من شدة حرارة باطنهم و غليان الغضب فى أجوافهم (ذلف الانوف) بضم الذال المعجمة أى صغيرها فيكون كناية عن عدم شموسهم الحق أو عريضها فيدخل فيها الحق و الباطل من غير تمييز لهم بينهما و الاظهر أن معناه فطس الانوف كما فى الرواية الآتية جمع أفطس من الفطس بالتحريك و هو تطامن قصبة الانف و انخفاضها و انتشارها فيرجع الى معنى عريضها و قال القاضى ذلف جمع أذلف و هو الذى يكون أنفه صغيرا و يكون فى طرفه غلظ (كان) بتشديد النون (وجوههم المجان) بفتح الميم و تشديد النون جمع المجن بكسر الميم و هو الترس (المطرقة) بضم الميم و فتح الراء المخففة المجلدة طبقا فوق طبق و قيل هى التى ألبست طراقا أى جلدا يغشاها و قيل هى اسم مفعول من الاطراق و هو جعل الطراق بكسر الطاء أى الجلد على وجه الترس اه شبه وجوههم بالترس لتبسطها و تدويرها و بالمطرقة لغلظها و كثرة لحمها و فيه اشارة الى أنهم لكبر وجوههم و ادارتها و كثرة لحمها و يبوستها ٧ أبوا الوجوه الطامعة فى المال و الاهل ليس فيها لينة الانسانية و لاملاءمة الاحسانية بل كانهم نوع آخر من جنس الناس ينبغى ان يقال انهم نسناس و يكفى فى ذمهم انهم فضلة يأجوج و مأجوج و من اخوانهم و أنموذج و عينة من أعيانهم فلاشك انهم يكونون فى غاية من الفساد و نهاية من الضرر للعباد و البلاد و لا أرانا الله وجوههم الى يوم الميعاد قال القاضى رحمه‌الله و قد ورد ذلك فى الحديث الذى بعده صفة لخوز و كرمان و لو لم‌يكن ذلك من بعض الرواة فلعل المراد بهما صفتان من الترك كان أحد أصول أحدهما من خوز و احد أصول الآخر من كرمان فسماهم الرسول صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم باسمه و ان لم‌يشتهر عندنا كما نسبهم الى قنطوراء و هى أمة كانت لابراهيم عليه‌الصلاة‌والسلام و لعل المراد بالموعود فى الحديث ما وقع فى هذا العصر بين المسلمين و الترك اه و الاقرب انه اشارة الى قضية جنكين و ما وقع له من الفساد و خصوصا فى بغداد و الله رؤف بالعباد (متفق عليه ✱ و عنه) أى عن أبى‌هريرة (قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا خوزا) بضم الخاء المعجمة و سكون الواو و بالزاى فى القاموس الخوز بالضم جيل من الناس و اسم لجميع بلاد خوزستان (و كرمان) بكسر الكاف و تفتح كذا ضبط فى النسخ المصححة لكن فى القاموس كرمان و قد يكسر أو لحن اقليم بين فارس و سجستان و قال التوربشتى رحمه الله الخوز جيل من الناس و انما جاء فى الحديث منونا بسكون وسطه هكذا و قد ذكر ابن الاثير بالخاء المعجمة المضمومة و بالزاى مع الاضافة يقال خوز كرمان من غير واو العطف قال و روى خوز و كرمان قال و الخوز جيل معروف و كرمان صقع معروف فى العجم و يروى بالراء المهملة و هو من أرض فارس و صوبه الدارقطنى رحمه الله و قيل انه اذا أضيف به فبالراء و اذا عطف فبالزاى نقله الجزرى (من الاعاجم) بيان لهما قال شارح المراد صنفان من الترك سماهما باسم أبويهما و لا نحمله على أهل خورستان و كرمان لانهم لم‌يوجدوا على النعت المذكور فى الحديث بل وجد عليه الترك (حمر الوجوه فطس الانوف صغار الاعين وجوههم المجان المطرقة نعالهم الشعر رواه البخارى و فى رواية له)

عن عمرو بن تغلب عراض الوجوه ✱ و عنه قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم لاتقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يختبىء اليهودى من وراء الحجر و الشجر فيقول الحجر و الشجر يا مسلم يا عبد الله هذا يهودى خلفى فتعال فاقتله الا الغرقد فانه من شجر اليهود رواه مسلم ✱ و عنه قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم لاتقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه متفق عليه ✱ و عنه قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم لاتذهب الايام و الليالى حتى يملك رجل يقال له الجهجاه و فى رواية حتى يملك رجل من الموالى يقال له الجهجاه رواه مسلم ✱ و عن جابر بن سمرة قال سمعت رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم يقول لتفتحن

أى للبخارى (عن عمرو بن تغلب) بالتاء فوقها نقطتان و بالغين المعجمة و هو غير منصرف قال المؤلف فى فصل الصحابة هو العبدى ابن عبدالقيس روى عنه الحسن البصرى و غيره (عراض الوجوه) بالنصب على الحكاية و بالرفع على الاعراب لكونه مبتدأ لخبر مقدم ✱ (وعنه) أى عن أبى هريرة نظرا الى ان مرجع الضمير الى المضمون السابق و فى نسخة صحيحة و عن أبى هريرة بالاظهار لئلايتوهم عود الاضمار الى الصحابى اللاحق فانه لقربه ربما يظن انه الاحق بمرجع اللاحق (قال قال رسول‌الله صلى‌الله تعالى عليه وسلم لاتقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم) أى غالبهم أو فيغلبهم (المسلمون حتى يختبئ) أى يختفى (اليهودى من الحجر و الشجر فيقول الحجر و الشجر) أى كلاهما أو أحدهما (يا مسلم يا عبدالله) جمعا بين الوصفين لزيادة التعظيم (هذا) أى تنبه ذا (يهودى خلفى فتعال فاقتله الا الغرقد) استثناء من الشجر و هو نوع شجر ذو شوك يقال له العوسج كذا ذكره شارح و فى النهاية هو ضرب من شجر العضاه و شجر الشوك ومنه قيل لبقيع أهل المدينة بقيع الغرقد لانه كان فيه غرقد و قطع (فانه من شجر اليهود) أضيف اليهم بادنى ملابسة قيل هذا يكون بعد خروج الدجال حين يقاتل المسلمون من تبعه من اليهود (رواه مسلم ✱ و عنه) أى عن أبى هريرة (قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم لاتقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان) بفتح القاف و سكون الحاء و هو أبو اليمن و قيل قبيلة منهم (يسوق الناس) أى لاجل حكمه (بعصاه) هذا عبارة عن تسخير الناس و استرعائهم كسوق الراعى غنمه بعصاه قيل لعل الرجل القحطانى هو الذى يقال له جهجاه على ما سيأتى (رواه البخارى ✱ و عنه) أى عن أبى هريرة (قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم لاتذهب الايام و الليالى) أى لاينقطع الزمان و لاتأتى القيامة (حتى يملك رجل يقال له الجهجاه) قال النووى رحمه الله بفتح الجيم وسكون الهاء و فى بعض النسخ الجهجها بهاءين و فى بعضها الجهجا بحذف الهاء التى بعد الالف و الاول هو المشهور (متفق عليه و فى رواية حتى يملك رجل من الموالى) بفتح الميم جمع المولى أى المماليك و المعنى حتى يصير حاكما على الناس (يقال له الجهجاه) قال الجزرى لم أجد هذه الرواية فى واحد من الصحيحين نقله ميرك فيكون من غير الصحيحين للاستشهاد و الاعتضاد فلايرد على المؤلف ايرادها فى الفصل الاول لان اختصاصه بحديث الشيخين انما هو فى الاصول ✱ (وعن جابر بن سمرة قال سمعت رسول‌الله صلى‌الله تعالى‌عليه‌وسلم يقول لتفتحن) بفتح الحاء و فى نسخة صحيحة لتفتتحن قال التوربشتى رحمه الله وجدناه فى أكثر النسخ المصابيح بتاءين بعد الفاء و نحن نرويه عن كتاب مسلم بتاء واحدة و هو أمثل معنى لان الافتتاح أكثر ما يستعمل

عصابة من المسلمين كنز آل كسرى الذى فى الابيض رواه مسلم ✱ و عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هلك كسرى فلايكون كسرى بعده و قيصر ليهلكن ثم لايكون قيصر بعده و لتقسمن كنوزهما فى سبيل الله و سمى الحرب خدعة

بمعنى الاستفتاح فلايقع موقع الفتح فى تحقيق الامر و وقوعه و الحديث انما ورد فى معنى الاخبار عن الكوائن و المعنى لتأخذن (عصابة) بكسر العين أى جماعة من المسلمين (كنز آل كسرى) بكسر الكاف و يفتح و الآل مقحم أو المراد به أهله و أتباعه (الذى فى الابيض) قال القاضى رحمه الله الابيض قصر حصين كان بالمدائن و كانت الفرس تسميه سفيد كوشك و الآن بنى مكانه مسجد المدائن و قد أخرج كنزه فى أيام عمر رضى الله تعالى عنه و قيل الحصن الذى بهمدان بناه دارين دارا يقال له شهرستان (رواه مسلم ✱ و عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هلك كسرى) جملة خبرية أى سيهلك ملكه و انما عبر عنه بالمضى لتحقق وقوعه و قربه أو دعاء و تفاؤل (فلايكون كسرى) و فى نسخة بالتنوين حيث أريد به التنكير (بعده) أى بعد كسرى الموجود فى زمنه صلى الله تعالى عليه وسلم و المعنى لايملك كسرى كافر بل يملكه المسلمون بعده الى يوم القيامة (و قيصر) و هو ملك الروم مبتدأ و خبره ليهلكن و التغاير بينهما للتفنن أو عطف على كسرى و أتى بقوله (ليهلكن) للتأكيد مع زيادة المبالغة المستفادة من لام القسم و نون التأكيد (ثم لايكون قيصر) بالوجهين أى قيصر آخر (بعده) أى بعد الاول قال الطيبى رحمه الله هلاك كسرى و قيصر كانا متوقعين فاخبر عن هلاك كسرى بالماضى دلالة على انه كالواقع بناء على اخبار الصادق و أتى فى الاخبار عن قيصر بلام القسم فى المضارع و بنى الكلام على المبتدأ و الخبر اشعارا لاهتمامه بالاعتناء بشأنه و انه أطلب منه و ذلك ان الروم كانوا سكان الشام و كان صلى الله تعالى عليه وسلم فى فتحه أشد رغبة و من ثم غزا صلى الله تعالى عليه وسلم تبوك و هو من الشام أقول لما كان هلاك كسرى قبل قيصر بحسب وقائع الحال فناسب أن يعبر عن الاول بالماضى و عن الثانى بالاستقبال (و لتقسمن) بصيغة المجهول مخففا (كنوزهما) أى كنز كل منهما (فى سبيل الله و سمى) عطف على قال رسول الله أى قال الراوى و سمى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (الحرب خدعة) بفتح الخاء و ضمها مع سكون الدال و بضم الخاء مع فتح الدال على ما سبق مبناه و تحقق معناه و مجمله ما فى القاموس الحرب خدعة مثلة و كهمزة و روى بهن جميعا أى ينقضى بخدعة هذا و الراوى جمع بين حديثين و الظاهر انهما وقعا فى وقتين فلايحتاج الى طلب المناسبة بين ايرادهما معا على ان فى ذكره اشارة الى ان هلاكهما و أخذ كنوزهما انما يكون بالحرب و ربما يكون محتاجا الى خدعة فنبه أصحابه الى جوازها حتى لايتوهموا ان الخدعة من باب الغدر و الخيانة و الله تعالى أعلم و قال الطيبى رحمه الله فان قلت ما وجه المناسبة بين قوله و سمى الحرب خدعة و بين الكلام السابق قلت هو وارد على سبيل الاستطراد لان أصل الكلام كان فى ذكر الفتح و كان حديثا مشتملا على الحرب فأورده فى الذكر كما أورد قوله تعالى و من كل تأكلون لحما طريا بعد قوله و ما يستوى البحران هذا عذب فرات اذ المراد منهما المؤمن و الكافر قلت فقوله من كل تأكلون أشارة الى تكميل التشبيه و تتميم و تذييل و هو افادة انه ينتفع بهما و نظام العالم بوجودهما بل هما الدالان على مظهر الجمال و الجلال و هما صفتا الكمال و عليهما مدار الكونين و مآل الفريقين كما دل عليهما مثال البحرين حيث قال

متفق عليه ✱ و عن نافع بن عتبة قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم تغزون جزيرة العرب فيفتحها الله ثم فارس فيفتحها الله ثم تغزون الروم فيفتحها الله ثم تغزون الدجال فيفتحها الله رواه مسلم ✱ و عن عوف بن مالک قال أتيت النبي صلى‌الله‌عليه‌وسلم فى غزوة تبوك و هو فى قبة من أدم فقال اعدد ستا بين يدى الساعة موتى ثم فتح بيت المقدس ثم موتان يأخذ فيكم كقعاص الغنم ثم استفاضة المال حتى يعطى الرجل مائة دينار فيظل ساخطا ثم فتنة

هذا عذب فرات و هذا ملح أجاج فكل فى بابه فى غاية من الكمال يضل من يشاء و يهدى من يشاء و يعذب من يشاء و يغفر لمن يشاء و هو على كل شئ قدير (متفق عليه ✱ و عن نافع ابن عتبة) أى ابن أبى وقاص الزهرى القرشى يعرف بالمرقال بكسر الميم و سكون الراء وبالقاف و هو ابن أخى سعد بن أبى وقاص صحابى من مسلمة الفتح من المؤلفة روى عنه ابن عمر و جابر ابن سمرة نقله ميرك عن التصحيح (قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم تغزون) أى بعدى (جزيرة العرب) و قد سبق تفسيرها و تحريرها و تقريرها و مجمله على ما حكى عن مالک مكة و المدينة و اليمامة و اليمن فالمعنى بقية الجزيرة أو جميعها بحيث لايترك كافر فيها (فيفتحها الله) أى عليكم (ثم فارس) أى ثم تغزونها (فيفتحها الله ثم تغزون الروم فيفتحها الله ثم تغزون الدجال) الخطاب فيه للصحابة و المراد الامة (فيفتحه الله) أى يجعله مقهورا مغلوبا و يقع هلاكه على أيدى بنى اسرائيل لمعاونة الامة و أنزل لمساعدة الملة (رواه مسلم) أى فى الفتن من حديث جابر بن سمرة عن نافع بن عتبة و لفظه حفظت من رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم أربع كلمات عدهن فى يدى قال تغزون جزيرة العرب فيفتحها الله الخ و العجب ان الحاكم أخرجه فى مستدركه على الصحيح و قال على شرط مسلم و أقره الذهبى نقله ميرك عن التصحيح و فيه ان الظاهر هو ان الحاكم رواه باسناد آخر رجاله رجال مسلم فيكون مستدركا و لايكون مستدركا ✱ (و عن عوف بن مالک) أى الاشجعى صحابى مشهور (قال أتيت النبى صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم فى غزوة تبوك و هو فى قبة) أى خيمة (من أدم) بفتحتين أى من جلد (فقال اعدد) أى احسب و عد (ستا) أى من العلامات الواقعة (بين يدى الساعة) أى قدامها (موتى) أى فوتى بانتقالى من دار الدنيا الى الاخرى لانه أول زوال الكمال بحجاب الجمال (ثم فتح بيت المقدس) بفتح ميم و سكون قاف و كسر دال و فى نسخة بضم ففتح فتشديد (ثم موتان) بضم الميم أى وباء (يأخذ فيكم) أى يتصرف فى أبدانكم (كقعاص الغنم) بضم القاف داء يأخذ الغنم فلايلبثها أن تموت قال التوربشتى رحمه الله أراد بالموتان الوباء و هو فى الاصل موت يقع فى الماشية و الميم منه مضمومة و استعماله فى الانسان تنبيه على وقوعه فيهم وقوعه فى الماشية فانها تسلب سلبا سريعا و كان ذلک فى طاعون عمواس زمن عمر بن الخطاب رضى‌الله تعالى عنه و هو أول طاعون وقع فى الاسلام مات منه سبعون ألفا فى ثلاثة أيام و عمواس قرية من قرى بيت المقدس و قد كان بها معسكر المسلمين (ثم استفاضة المال) أى كثرته فى شرح السنة و أصله التفرق و الانتشار يقال استفاض الحديث اذا انتشر و فى النهاية هو من فاض الماء و الدمع و غيرهما اذا كثر (حتى يعطى الرجل مائة دينار فيظل) بالرفع و جوز النصب أى فيصير (ساخطا) أى غضبان لعده المائة قليلا و هذه الكثرة ظهرت فى خلافة عثمان رضى‌الله تعالى عنه عند الفتوح و أما اليوم فبعض أهل زماننا يعدون ألفا قليلا و يحقرونه (ثم فتنة) أى بلية عظيمة قيل هى

لايبقى بيت من العرب الا دخلته ثم هدنة تكون بينكم و بين بنى الاصفر فيغدرون فيأتونكم تحت ثمانين غاية تحت كل غاية اثنا عشر ألفا رواه البخارى ✱ و عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتقوم الساعة حتى ينزل الروم بالاعماق أو بدابق فيخرج اليهم جيش من المدينة من خيار أهل الارض يومئذ فاذا تصافوا قالت الروم خلوا بيننا و بين الذين سبوا منا نقاتلهم

مقتل عثمان و ما بعده من الفتن المترتبة عليها (لايبقى بيت من العرب الا دخلته) قيل المراد من بيوت أمته و انما خص العرب لشرفها و قربها منه ففيه نوع تغليب أو ايماء الى ما قيل ان من أسلم فهو عربى (ثم هدنة) أى مصالحة (تكون بينكم و بين بنى الاصفر) أى الاروام سموا بذلك لان أباهم الاول و هو الروم بن عيصو بن يعقوب بن اسحق كان أصفر فى بياض و قيل سموا باسم رجل اسود ملك الروم فنكح من نسائها فولد له أولاد فى غاية الحسن فنسب الروم اليه (فيغدرون) أى ينقضون عهد الهدنة (فيأتونكم تحت ثمانين غاية) أى راية و هى العلم قال الطيبى رحمه الله تعالى و من رواه بالباء الموحدة أراد بها الاجمة فشبه كثرة رماح العسكر بها (تحت كل غاية اثنا عشر ألفا) أى ألف فارس قال الاكمل جملته سبعمائة ألف و ستون ألفا (رواه البخارى) و كذا ابن ماجه و الحاكم فى المستدرك و قال صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه و أقره الذهبى و هذا أيضا من الوهم فان الحديث فى صحيح البخارى فى كتاب الجهاد فى باب ما يجوز من الغدر نقله ميرك عن التصحيح و قدمت ما يدفع عنه و الله تعالى أعلم بالصحيح ✱ (و عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتقوم الساعة حتى تنزل الروم بالاعماق) بفتح الهمزة قال التوربشتى رحمه الله العمق ما بعد من أطراف المفاوز و ليس الاعماق ههنا بجمع و انما هو اسم موضع بعينه من أطراف المدينة (أو بدابق) بفتح الموحدة و قد تكسر و لايصرف و قد يصرف قال التوربشتى رحمه الله هو بفتح الباء دار نخلة موضع سوق بالمدينة و فى المفاتيح هما موضعان أو شك من الراوى و قال الجزرى دابق بكسر الموحدة و هو الصواب و ان كان عياض فى المشارق ذكر فيه الفتح و لم يذكر غيره و هو موضع معروف من عمل حلب و مرج دابق مشهور قال صاحب الصحاح الاغلب التذكير و الصرف لانه فى الاصل اسم قال و قد يؤنث و لايصرف اه و الذى يؤنثه و لايصرفه يريد به البقعة قلت و فى القاموس دابق كصاحب موضع بحلب لكن المضبوط فى النسخ بغير صرف (فيخرج) بالنصب و يرفع (اليهم جيش من المدينة) قال ابن الملك قيل المراد بها حلب و الاعماق و دابق موضعان بقربه و قيل المراد بها دمشق و قال فى الازهار و أما ما قيل من أن المراد بها مدينة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فضعيف لان المراد بالجيش الخارج الى الروم جيش المهدى بدليل آخر الحديث و لان المدينة المنورة تكون خرابا فى ذلك الوقت (من خيار أهل الارض) بيان للجيش (يومئذ) احتراز من زمنه صلى الله تعالى عليه وسلم (فاذا تصافوا) بتشديد الفاء المضمومة (قالت الروم خلوا بيننا و بين الذين سبوا منا) على بناء الفاعل (نقاتلهم) يريدون بذلك مخاتلة المؤمنين و مخادعة بعضهم عن بعض و يبغون به تفريق كلمتهم و المرادون بذلك هم الذين غزوا بلادهم فسبوا ذريتهم كذا ذكره التوربشتى رحمه الله تعالى و هو الموافق للنسخ و الاصول قال ابن الملك و روى سبوا ببناء المجهول قال القاضى ببناء المعلوم هو الصواب و قال النووى رحمه الله كلاهما صواب لان عساكر الاسلام فى بلاد الشام و مصر كانوا مسبيين ثم هم اليوم بحمد الله يسبون الكفار قال التوربشتى و الاظهر هذا

فيقول المسلمون لا و الله لانخلى بينكم و بين اخواننا فيقاتلونهم فينهزم ثلث لايتوب الله عليهم أبدا و يقتل ثلثهم أفضل الشهداء عند الله و يفتتح الثلث لايفتنون أبدا فيفتتحون قسطنطينية فبيناهم يقتسمون الغنائم قد علقوا سيوفهم بالزيتون اذ صاح فيهم الشيطان ان المسيح قد خلفكم فى أهليكم فيخرجون و ذلك باطل فاذا جاؤا الشام خرج فبيناهم يعدون للقتال يسوون الصفوف اذ أقيمت الصلاة

القول منهم يكون بعد الملحمة الكبرى التى تدور رحاها بين الفئتين بعد المصالحة و المناجزة لقتال عدو يتوجه الى المسلمين و بعد غزوة الروم لهم و ذلك قبل فتح قسطنطينية فيطأ الروم أرض العرب حتى ينزل بالاعماق أو بدابق فيسأل المسلمين ان يخلوا بينهم و بين من سبى ذريتهم فيردون الجواب على ما ذكر فى الحديث (فيقول المسلمون لا و الله لا نخلى بينكم و بين اخواننا فيقاتلونهم) أى المسلمون الكفرة (فينهزم ثلث) أى من المسلمين (لايتوب الله عليهم أبدا) كناية عن موتهم على الكفر و تعذيبهم على التأبيد (و يقتل ثلثهم أفضل الشهداء) بالرفع على تقدير مبتدأ هو هم و فى نسخة بالنصب على انه حال (و يفتتح الثلث) أى الباق من المسلمين (لايفتنون) أى لايبتلون ببلية أو لايمتحنون بمقاتلة أو لايعذبون (أبدا) ففيه اشارة الى حسن خاتمتهم (فيفتتحون) الفاء تعقيبية أو تفريعية قال ابن الملك و فى نسخة فيفتحون بتاء واحدة و هو الاصوب لان الافتتاح أكثر ما يستعمل فى معنى الاستفتاح فلايقع موقع الفتح قلت سبق مثل هذا فى كلام التوربشتى لكن الظاهر ان فيه ايماء الى ان الفتح كان بمعالجة تامة و فى القاموس فتح كمنع ضد أغلق كفتح و افتتح و الفتح النصر و افتتاح دار الحرب و الاستفتاح الاستنصار و الافتتاح و المعنى فيأخذون من أيدى الكفار (قسطنطينية) و هى بضم القاف و سكون السين و ضم الطاء الاولى و كسر الثانية و بعدها ياء ساكنة ثم نون قال النووى رحمه الله هكذا ضبطناه ههنا و هو المشهور و نقل القاضى رحمه الله فى المشارق عن المتقنين زيادة ياء مشددة بعد النون قلت و نسخ المشكاة متفقة على ما قاله عياض و فى بعض النسخ زيادة ياء مخففة بدل ياء مشددة فقد قال الجزرى ثم نون ثم ياء مخففة و حكى بعضهم تشديدها و قال آخرون بحذفها و نقله عياض عن الاكثرين ثم هى مدينة مشهورة أعظم مدائن الروم قال الترمذى و القسطنطينية قد فتحت فى زمن بعض أصحاب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم و تفتح عند خروج الدجال قال الحجازى فى حاشية الشفاء قسطنطينة و قسطنطينية و يروى بلام التعريف دار ملك الروم و فيها ست لغات فتح الطاء الاولى و ضمها مع تخفيف الياء الاخيرة و تشديدها و مع حذفها و فتح النون و هذه بضم الطاء أكثر استعمالا و القاف مضموم بكل حال (فبيناهم) أى المسلمون (يقتسمون الغنائم قد علقوا سيوفهم بالزيتون) أراد الشجر المعروف و الجملة حال دال على كمال الامن (اذ صاح فيهم الشيطان) أى نادى بصوت رفيع (ان المسيح) بكسر الهمزة لما فى النداء من معنى القول و يجوز فتحها أى أعلمهم و المراد بالمسيح ههنا الدجال (قد خلفكم) بتخفيف اللام أى قام مقامكم (فى أهليكم) أى فى ذراريكم كما فى رواية (فيخرجون) أى جيش المدينة من قسطنطينية (و ذلك) أى القول من الشيطان (باطل) أى كذب و زور (فاذا جاؤا) أى المسلمون (الشام) الظاهر ان المراد به القدس منه لما فى بعض الروايات تصريح بذلك (خرج فبيناهم يعدون) بضم فكسر أى يستعدون و يتهيؤن (للقتال) فقوله (يسوون الصفوف) بدل منه (اذ أقيمت الصلاة) و فى نسخة صحيحة اذا بالالف أى

فينزل عيسى بن مريم فامهم فاذا رآه عدو الله ذاب كما يذوب الملح فى الماء فلو تركه لانذاب حتى يهلك و لكن يقتله الله بيده فيريهم دمه فى حربته رواه مسلم ✱ و عن عبدالله بن مسعود قال ان الساعة لاتقوم حتى لايقسم ميراث ولايفرح بغنيمة ثم قال عدو يجمعون لاهل الشام و يجمع لهم أهل الاسلام يعنى الروم فيتشرط المسلمون شرطة

وقت اقامة المؤذن للصلاة (فينزل عيسى بن مريم) أى من السماء على منارة مسجد دمشق فيأتى القدس (فامهم) عدل الى الماضى تحقيقا للوقوع و اشعارا بجواز عطف الماضى على المضارع و عكسه أى أم عيسى المسلمين فى الصلاة و من جملتهم المهدى و فى رواية قدم المهدى معللا بان الصلاة انما أقيمت لك و اشعارا بالمتابعة و انه غير متبوع استقلالا بل هو مقرر و مؤيد ثم بعد ذلك يؤم بهم على الدوام فقوله فامهم فيه تغليب أو تركب مجاز أى أمر امامهم بالامامة و يكون الدجال حينئذ محاصرا للمسلمين (فاذا رآه) أى رأى عيسى (عدو الله) بالرفع أى الدجال (ذاب) أى شرع فى الذوبان (كما يذوب الملح فى الماء فلو تركه) أى لو ترك عيسى عليه الصلاة والسلام الدجال و لم يقتله (لانذاب حتى يهلك) أى بنفسه بالكلية (و لكن يقتله الله بيده) أى بيد عيسى عليه الصلاة والسلام (فيريهم) أى عيسى عليه الصلاة والسلام أو الله تعالى المسلمين أو الكافرين أو جميعهم (دمه) أى دم الدجال (فى حربته) أى فى حربة عيسى عليه الصلاة والسلام و هى رمح صغير و قد روى الترمذى عن مجمع بن جارية مرفوعا يقتل ابن مريم الدجال باب لد و المشهور انه من أبواب مسجد القدس و فى النهاية هو موضع بالشام و قيل بفلسطين ذكره السيوطى رحمه الله فى شرحه للترمذى و لعل الدجال يهرب من بيت المقدس بعد ما كان محاصرا فيلحقه عيسى عليه الصلاة والسلام فى أحد الاماكن فيقتله و الله تعالى أعلم (رواه مسلم) أى بهذا السياق و روى البخارى خروج الدجال و نزول عيسى عليه الصلاة والسلام كذا ذكره ميرك عن التصحيح ✱(و عن عبدالله بن مسعود قال ان الساعة لاتقوم حتى لايقسم ميراث) أى من كثرة المقتولين و قيل من كثرة المال و الاول أصح كذا فى الازهار و قيل حتى يوجد وقت لايقسم فيه ميراث لعدم من يعلم الفرائض و أقول لعل المعنى انه يرفع الشرع فلايقسم ميراث أصلا أو لايقسم على وفق الشرع كما هو مشاهد فى زماننا و يحتمل ان يكون معناه انه من قلة المال و كثرة الفقراء لايقسم ميراث بين الورثة اما لعدم وجود شئ أو لكثرة الديون المستغرقة أو لان أصحاب الاموال تكون ظلمة فيرجع مالهم الى بيت المال فلايبقى لاولادهم نصيب فى المال و لا لهم خلاق فى المآل و الله تعالى أعلم بالحال و يؤيده قوله (و لايفرح) بصيغة المجهول أى و لايفرح أحد (بغنيمة) اما لعدم العطاء أو ظلم الظلمة و اما للغش و الخيانة فلايتهنأ بها أهل الديانة و من القواعد المقررة ان العبرة بعموم اللفظ لابخصوص السبب فلايضره ما ذكره الراوى (ثم قال) أى ابن مسعود (عدو) أى من الروم أو عدو كثير و هو مبتدأ خبره (يجمعون) أى الجيش و السلاح (لاهل الشام) أى لمقاتلة أهل الشام (و يجمع لهم) أى لقتال أهل الشام (أهل الاسلام يعنى) أى قال الراوى يريد ابن مسعود بالعدو (الروم فيتشرط المسلمون) من باب التفعل استعمل تشترط مكان اشترط يقال اشترط فلان بنفسه لامر كذا أى قدمها و أعلمها و أعدها و أشرط نفسه للشئ أعلمه و يروى فيشترط المسلمون أى يهيؤن و يعدون (شرطة) بضم الشين و سكون الراء طائفة من الجيش تتقدم للقتال و تشهد

للموت لاترجع الا غالبة فيقتتلون حتى يحجز بينهم الليل فيفيء هؤلاء و هؤلاء كل غير غالب و تفنى الشرطة ثم يتشرط المسلمون شرطة للموت لاترجع الا غالبة فيقتتلون حتى يحجز بينهم الليل فيفئ هؤلاء و هؤلاء كل غير غالب و تفنى الشرطة ثم يتشرط المسلمون شرطة

الواقعة سموا بذلك لانهم كالعلامة للجيش و قوله (للموت) أى للحرب و فيه نوع تجريد ففى القاموس الشرطة واحد الشرط كصرد وهم كتيبة تشهد الحرب و تتهيأ للموت و طائفة من أعوان الولاة اه و المراد هنا المعنى الاول و قيل سموا بها لانهم يشترطون أن يتقدموا و يعدوا أنفسهم للهلكة و يؤيده قوله (لاترجع) أى تلك الشرطة (الا غالبة) فالجملة صفة شرطة كاشفة مبينة موضحة و المعنى ان المسلمين يبعثون مقدمتهم على أن لاينهزموا بل يتوقفوا و يتثبتوا الى أن يقتلوا أو يغلبوا (فيقتتلون) أى المسلمون و الكفار (حتى يحجز) بضم جيم و يكسر أى يمنع (بينهم الليل) أى دخوله و ظلامه فيتركون القتال (فيفيء) مضارع من الفيء بمعنى الزوال أى يرجع (هؤلاء) أى المسلمون (و هؤلاء) أى الكافرون (كل) أى من الفريقين (غير غالب) أى و غير مغلوب (و تفنى) أى تهلك و تقتل (الشرطة) أى جنسها من الجانبين و الحاصل انه يرجع معظم الجيش و صاحب الريات من الطرفين و لم يكن لاحدهما غلبة على الآخر و تفنى شرطة الطرفين، و الا لكانت الغلبة لمن تفنى شرطهم و قد قال كل غير غالب هذا و فى بعض النسخ المصححة شرطة بفتح الشين فقال السيد جمال الدين أعلم ان لفظ الشرطة يحتمل وجهين ان كان الشين فيها مفتوحة فمعناه يشترطون معهم شرطة واحدة ومعنى فيئهما زوالها بسبب دخول الليل و ان كانت مضمومة فالمراد منها طائفة هى خيار الجيش ففيه اشكال من حيث ان الشرطة اذا فاءت غير غالبة لم تفن اذ لو فنيت غير غالبة فكيف قال فيفيء هؤلاء و هؤلاء كل غير غالب و تفنى الشرطة و يمكن أن يقال كان مع الشرطة جمع آخر من الجيش و هم الراجعون غير غالبين لا الشرطة أو كان سائر المسلمين فى كل يوم مع الشرطة ذلك اليوم فالراجع سائرهم دونها اه و المعتمد ما قدمناه ثم يؤيد ما قررناه ما ذكره الطيبى رحمه الله حيث قال فى الفائق يقال شرط نفسه لكذا اذا أعلمها له و أعدها فحذف المفعول و الشرط نخبة الجيش و صاحب رايتهم لا النفر الذين تقدموا و هم الشرطة و قوله فيتشرط فانه فى الحديث كذلك استعمل تشرط مكان اشترط يقال اشترط فلان بنفسه لامر كذا أى قدمها و أعدها و أعلمها و لو وجدت الرواية بفتح الشين من الشرط لكان معناها أوضح و أقوم مع قوله و تفنى الشرطة أى يشترطون فيمابينهم شرطا أن لايرجعوا الا غالبة يعنى يومهم ذلك فاذا حجز بينهم الليل ارتفع الشرط الذى شرطوه و انما أدخل فيه التاء لتدل على التوحيد أى يشترطون شرطة واحدة لا مثنوية فيها و لانعرف ذلك من طريق الرواية فقال الطيبى رحمه الله اذا وجدت الرواية الصريحة الصحيحة وجب الذهاب اليها و الانحراف عن التحريف من ضم الشين الى فتحها و التزام التكلف فى تأويل التاء و العدول عن الحقيقة فى نفى الشرطة الى ذلك المجاز البعيد و أى مانع من أن يفرض ان الفئة العظيمة من المسلمين أفرزوا من بينهم طائفة تتقدم الجيش للمقاتلة و اشترطوا عليها أن لاترجع الا غالبة فلذلك بذلوا جهدهم و صدقوا فيما عاهدوا و قاتلوا حتى قتلوا عن آخرهم و هو المراد من قولهم و تفنى الشرطة . قال الجوهرى قد شرط عليه كذا و اشترط عليه و شرط و قوله فيفيء هؤلاء و هؤلاء المراد منهما الفئتان العظيمتان لا الشرطة (ثم يتشرط المسلمون شرطة) أى أخرى

للموت لاترجع الا غالبة فيقتتلون حتى يمسوا فيفيء هؤلاء و هؤلاء كل غير غالب و تفنى الشرطة فاذا كان يوم الرابع نهد اليهم بقية أهل الاسلام فيجعل الله الدبرة عليهم فيقتتلون مقتلة لم ير مثلها حتى ان الطائر ليمر بجنباتهم فلا يخلفهم حتى يخر ميتا فيتعاد بنو الاب كانوا مائة فلا يجدونه بقى منهم الا الرجل الواحد فبأى غنيمة يفرح أو أى ميراث يقسم فبيناهم كذلك اذ سمعوا بباس هو أكبر من ذلك

(للموت لاترجع الا غالبة فيقتتلون حتى يحجز بينهم الليل فيفئ هؤلاء و هؤلاء كل غير غالب و تفنى الشرطة ثم يتشرط المسلمون شرطة) أى ثالثة (للموت لاترجع الا غالبة فيقتتلون حتى يمسوا) أى يدخلوا فى المساء بان يدخل الليل ففى العبارة تفنن (فيفيء هؤلاء و هؤلاء كل غير غالب و تفنى الشرطة فاذا كان يوم الرابع نهد اليهم) أى نهض و قام و قصد الى قتالهم (بقية أهل الاسلام فيجعل الله الدبرة) بفتح المهملة و الموحدة اسم من الادبار و روى الداير و هى بمعنى الاولى أى الهزيمة (عليهم) أى على الكفار و قال شارح أى على الروم (فيقتتلون) من باب الافتعال هذا هو الصحيح الموجود فى أكثر النسخ المعتمدة و فى نسخة فيقتلون بصيغة المجهول من الثلاثى و هذا مبنى لما توهم من انه متعلق بقوله فيجعل الله و الحال ان الامر خلاف ذلك بل هو متعلق بمجموع ما تقدم و الله تعالى أعلم و قوله (مقتلة) مفعول مطلق من غير بابه أو بحذف زوائده و نظيره قوله تعالى و الله أنبتكم من الارض نباتا و المعنى مقاتلة عظيمة (لم ير) أى لم يبصر أو لم يعرف (مثلها حتى ان الطائر) بكسر الهمزة و تفتح (ليمر) أى ليريد المرور (بجنباتهم) بجيم فنون مفتوحتين فموحدة أى بنواحيهم (فلا) و فى نسخة صحيحة فما (يخلفهم) بكسر اللام المشددة من خلفت فلانا ورائى اذا جعلته متأخرا عنك و المعنى فلا يجاوزهم (حتى يخر) بكسر معجمة و تشديد راء أى حتى يسقط الطائر (ميتا) بتشديد التحتية و يخفف قال المظهر يعنى يطير الطائر على أولئك الموتى فما وصل الى آخرهم حتى يخر و يسقط ميتا من نتنهم أو من طول مسافة مسقط الموتى و قال الطيبى رحمه الله تعالى و المعنى الثانى ينظر الى قول البحترى فى وصف بركة لايبلغ السمك المحصور غايتها ✱ لبعد مابين قاصيها و دانيها (فيتعاد) بصيغة المعلوم و قيل بالمجهول من باب التفاعل و المعنى يعد (بنو الاب) أى جماعة حضروا تلك الحرب كلهم أقارب (كانوا مائة فلا يجدونه) الضمير المنصوب لمائة بتأويل المعدود أو العدد أى فلا يجدون عددهم أو لبنى الاب لانه ليس بجمع حقيقة لفظا بل معنى كذا قيل و الحاصل ان بنى الاب بمعنى القوم و القوم مفرد اللفظ جمع المعنى فروعى كل منهما حيث قال فلا يجدونه (بقى منهم الا الرجل الواحد) و خلاصة المعنى انهم يشرعون فى عد أنفسهم فيشرع كل جماعة فى عد أقاربهم فلا يجدون من مائة الا واحدا و زبدته إنه لم يبق من مائة الا واحد (فبأى غنيمة يفرح) الفاء تفريعية أو فصيحة قال الطيبى رحمه الله هو جزاء شرط محذوف ابهم أولا فى قوله تعالى ان الساعة لاتقوم حتى لايقسم ميراث و لايفرح بغنيمة حيث أطلقه ثم بينه بقوله عد الخ بان ذلك مقيد بهذه الصفة فحينئذ يصح أن يقال فاذا كان كذلك فبأى غنيمة يفرح (أو أى ميراث) الظاهر انه بالرفع أى فأى ميراث (يقسم) و أو للتنويع و فى النسخ بالجر فالمعنى فبأى ميراث تقع القسمة و تأخير الميراث مع تقدمه سابقا نظيره قوله تعالى يوم تبيض وجوه و تسود وجوه فاما الذين أسودت وجوههم الآية (فبيناهم كذلك اذ سمعوا)

فجاءهم الصريخ ان الدجال قد خلفهم فى ذراريهم فيرفضون ما فى أيديهم و يقبلون فيبعثون عشر فوارس طليعة قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم أنى لاعرف أسماءهم و أسماء آباءهم و ألوان خيولهم هم خير فوارس أو من خير فوارس على ظهر الارض يومئذ رواه مسلم ★ و عن أبى‌هريرة ان النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال هل سمعتم بمدينة جانب منها فى البر و جانب منها فى البحر قالوا نعم يا رسول‌الله قال لاتقوم الساعة حتى يغزوها سبعون ألفا من بنى اسحق فاذا جاؤها نزلوا فلم يقاتلوا بسلاح و لم يرموا بسهم قالوا لا اله الا الله و الله أكبر فيسقط أحد جانبيها قال ثور ابن يزيد الراوى

أى المسلمون (بباس) بموحدة و همزة ساكنة و يبدل أى بحرب شديد (هو أكبر) أى اعظم (من ذلك) أى مما سبق و المراد بالباس أهله بارتكاب أحد المجازين المشهورين (فجاءهم) أى المسلمين (الصريخ) فعيل من الصراخ و هو الصوت أى صوت المستصرخ و هو المستغيث (ان الدجال) بفتح ان و يكسر (قد خلفهم) بتخفيف اللام أى قعد مكانهم (فى ذراريهم) بتشديد الياء أى أولادهم و فى رواية فى أهليهم (فيرفضون) بضم الفاء أى فيتركون و يلقون (ما فى أيديهم) أى من الغنيمة و سائر الاموال فزعا على الاهل و العيال (و يقبلون) من الاقبال أى و يتوجهون الى الدجال (فيبعثون) أى يرسلون (عشر فوارس) جمع فارس أى راكب فرس (طليعة) و هو من يبعث ليطلع على حال العدو كالجاسوس فعيلة بمعنى فاعلة يستوى فيه الواحد و الجمع و انما قال عشر نظرا الى ان الفوارس طلائع (قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم انى لاعرف أسماءهم) أى العشرة (و أسماء آباءهم و ألوان خيولهم) فيه مع كونه من المعجزات دلالة على ان علمه تعالى محيط بالكليات و الجزئيات من الكائنات و غيرها (هم خير فوارس أو من خير فوارس) ظاهره انه شك من الراوى (على ظهر الارض) احتراز من الملائكة (يومئذ) أى حينئذ و هو احتراز من العشرة المبشرة و أمثالهم (رواه مسلم ★ و عن أبى‌هريرة ان النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال هل سمعتم بمدينة جانب منها فى البر و جانب منها فى البحر قالوا نعم يا رسول‌الله) قال شارح هذه المدينة فى الروم و قيل الظاهر انها قسطنطينية ففى القاموس هى دار ملك الروم و فتحها من اشراط الساعة و تسمى بالرومية بورنطيا و ارتفاع سوره أحد وعشرون زراعا و كنيستها مستطيلة و بجانبها عمود عال من دور أربعة أبواع تقريبا و فى رأسه فرس من نحاس وعليه فارس و فى أحدى يديه كرة من ذهب وقد فتح أصابع يده الاخرى مشيرا بها وهو صورة قسطنطين بانيها اه و يحتمل انها مدينة غيرها بل هو الظاهر لان قسطنطينية تفتح بالقتال الكثير و هذه المدينة تفتح بمجرد التهليل و التكبير (قال لاتقوم الساعة حتى يغزوها سبعون ألفا من بنى اسحق) قال المظهر من اكراد الشام هم من بنى اسحق النبى عليه الصلاة و السلام و هم مسلمون اه و هو يحتمل أن يكون معهم غيرهم من بنى اسمعيل و هم العرب أو غيرهم من المسلمين و اقتصر على ذكرهم تغليبا لهم على من سواهم و يحتمل أن يكون الامر مختصا بهم (فاذا جاؤها) أى المدينة (نزلوا) أى حواليها محاصرين أهلها (فلم يقاتلوا بسلاح و لايرموا بسهم) تخصيص بعد تعميم لتأكيد افادة عموم النفى (قالوا) استئناف أو حال (لا اله الا الله و الله اكبر فيسقط) بصيغة المضارع (أحد جانبيها) أى أحد طرفى سور المدينة (قال ثور ابن يزيد الراوى) قال المؤلف فى فصل التابعين هو كلاعى شامى حمصى سمع خالد بن معدان

لا أعلمه الا قال الذى فى البحر ثم يقولون الثانية لا اله الا الله و الله أكبر فيسقط جانبها الآخر ثم يقولون الثالثة لا اله الا الله و الله أكبر فيفرج لهم فيدخلونها فيغنمون فبيناهم يقتسمون المغانم اذ جاءهم الصريخ فقال ان الدجال قد خرج فيتركون كل شئ و يرجعون رواه مسلم

★ (الفصل الثانى) ★ عن معاذ بن جبل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عمران بيت المقدس خراب يثرب و خراب يثرب خروج الملحمة و خروج الملحمة فتح قسطنطينية و فتح قسطنطينية خروج الدجال

روى عنه الثورى و يحيى بن سعيد له ذكر فى باب الملاحم (لا أعلمه) أى لا أظن أبا هريرة (الا قال الذى فى البحر) أحد جانبيها الذى فى البحر و المعنى لكنى لا أجزمه و يمكن ان يكون هذا منه ردا على من نازعه ممن سمع الحديث عن أبى هريرة بغير هذا القيد و بهذا يندفع ما قال الطيبى رحمه الله تعالى هذا اشارة الى ان ما وقع فى نسخ المصابيح من قوله الذى فى البحر مدرج من قول الراوى (ثم يقولون) أى المسلمون (الثانية) أى الكرة الثانية (لا اله الا الله و الله أكبر فسقط) بصيغة الماضى تفننا و تحققا (جانبها الآخر) أى الذى فى البر (ثم يقولون الثالثة لا اله الا الله و الله أكبر فيفرج) بتشديد الراء المفتوحة أى فيفتح (لهم) و الظرف نائب الفاعل (فيدخلونها فيغنمون) أى ما فيها (فبيناهم يقتسمون المغانم) أى يريدون الاقتسام و يشرعون فيه (اذ جاءهم الصريخ فقال ان الدجال قد خرج فيتركون كل شئ) أى من الغنائم و غيرها من الانفال (و يرجعون) أى سريعا لمقابلة الدجال و مساعدة الاهل و العيال (رواه مسلم)

★ (الفصل الثانى) ★ (عن معاذ بن جبل قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عمران بيت المقدس) بالتخفيف و تشدد و عمرانه بضم العين و سكون الميم أى عمارته بكثرة الرجال و العقار و المال (خراب يثرب) أى وقت خراب المدينة قيل لان عمرانه باستيلاء الكفار و فى الازهار قال بعض الشارحين المراد بعمران بيت المقدس عمرانه بعد خرابه فانه يخرب فى آخر الزمان ثم يعمره الكفار و الاصح ان المراد بالعمران الكمال فى العمارة أى عمران بيت المقدس كاملا مجاوزا عن الحد وقت خراب يثرب فان بيت المقدس لايخرب قال ابن الملك و أما الآن فقد عمره السلطان الملك الناصر و استخرج فيه العيون و أجرى فيه المياه جزاه الله خيرا قلت و زاد بنو عثمان حفظهم الله من آفات الدوران فى عمارته و ارزاقه و تكياته لكنه مع هذا لم يبلغ عمارة المدينة المعطرة (و خراب يثرب خروج الملحمة) أى ظهور الحرب العظيم قال ابن الملك قيل بين أهل الشام و الروم و الظاهر انه يكون بين تاتار و الشام قلت الاظهر هو الاول لما فى الحديث السابق و لما سيأتى فى الحديث اللاحق و لقوله (و خروج الملحمة فتح قسطنطينية و فتح قسطنطينية) و فى نسخة بالتعريف (خروج الدجال) قال الاشرف لما كان بيت المقدس باستيلاء الكفار عليه و كثرة عمارتهم فيها أمارة مستعقبة بخراب يثرب و هو أمارة مستعقبة بخروج الملحمة و هو امارة مستعقبة بفتح قسطنطينية و هو امارة مستعقبة بخروج الدجال جعل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كل واحد عين ما بعده و عبر به عنه اه و خلاصته ان كل واحد من هذه الامور أمارة لوقوع ما بعده و ان وقع هناك مهلة قال الطيبى رحمه الله فان قلت قال هنا فتح القسطنطينية خروج الدجال و فى الحديث السابق اذا صاح فيهم الشيطان ان المسيح قد خلفكم فى أهليكم فيخرجون و ذلك باطل فكيف الجمع بينهما قلت انه صلى الله تعالى عليه وسلم جعل الفتح علامة لخروج

رواه أبوداود ✱ وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الملحمة العظمى و فتح القسطنطينية و خروج الدجال فى سبعة أشهر رواه الترمذى و أبوداود ✱ وعن عبدالله بن بسر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بين الملحمة و فتح المدينة ست سنين و يخرج الدجال فى السابعة رواه أبوداود و قال هذا أصح ✱ و عن ابن عمر قال يوشك المسلمون ان يحاصروا الى المدينة حتى يكون أبعد مسالحهم سلاح

الدجال لا انها مستعقبة له من غير تراخ و صراخ الشيطان كان للايذان بانه واقع ليشتغلوا عن القسم و كان باطلا يدل عليه الحديث الآتى الملحمة العظمى و فتح القسطنطينية و خروج الدجال فى سبعة أشهر و التعريف فى الصارخ فى هذا الحديث للعهد و المعهود الشيطان أقول و الذى يظهر ان القضية متعددة و ان المسلمين كانوا متفرقة و ان المدينة غير القسطنطينية اذ قصة القسطنطينية كانت بالمقاتلة و فتح المدينة انما هو بالتهليل و التكبير من غير المحاربة فحينئذ يحمل صريخ الشيطان بالنسبة الى غزاة قسطنطينية و صريخ المسلمين الى أصحاب فتح المدينة و أن كلا من الفريقين تركوا الغنائم و توجهوا الى قتال الدجال و الله تعالى أعلم بالحال (رواه أبوداود) أى و سكت عليه كما ذكره ميرك و رواه أحمد عن معاذ أيضا ✱(وعنه) أى عن معاذ (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الملحمة العظمى) و فى الجامع الملحمة الكبرى قيل هى التى يتعاد فيها بنو الاب و لايجدون من مائة الا واحدا كما مر لكن الاظهر ان المراد بها فتح المدينة حيث فتحت بعظمة أسماء الله الحسنى ولذا صح عطف قوله (و فتح القسطنطينية) و هى بلام التعريف هنا اذ الاصل فى العطف التغاير مع انضمامه الى التبادر (و خروج الدجال فى سبعة اشهر) أى باعتبار توجه المسلمين الى البلدتين و ظهور الدجال و أما باعتبار فتحهما فهو متعاقب لهما من غير تراخ بينهما (رواه الترمذى و أبوداود) و كذا ابن ماجه ذكره السيد جمال الدين رحمه الله و فى الجامع رواه أحمد و أبوداود و الترمذى و ابن ماجه و الحاكم ✱(و عن عبدالله ابن بسر) بضم موحدة و سكون مهملة (ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بين الملحمة و فتح المدينة) أراد باحدهما المدينة السابقة و بالاخرى القسطنطينية و هذا نص فى المغايرة بينهما و قوله (ست سنين) مشكل مخالف لما تقدم و يمكن أن يقال اللام فى الملحمة غير القسطنطينية من سائر الملاحم فاللام للعهد بالنظر الى ملحمة سابقة و يدل عليه انها ما وصفت بالعظمى و نحوه (و يخرج الدجال فى السابعة) أى فى السنة السابعة فى آخر السادسة التى فيها فتح المدينة و أول السابعة التى رجع المسلمون عنها الى الدجال و أما ما قيل من انه لايبعد من أن يشتبه سبع سنين بسبعة أشهر ففى غاية من البعد (رواه أبوداود) و كذا ابن ماجه (و قال هذا أصح) أى من الحديث السابق ففيه دلالة على ان التعارض ثابت و الجمع ممتنع و الاصح هو المرجع و حاصله ان بين الملحمة العظمى و بين خروج الدجال سبع سنين أصح من سبعة أشهر ✱(و عن ابن عمر قال يوشك المسلمون أن يحاصروا) على بناء المجهول أى يحبسوا و يضطروا و يلتجؤا (الى المدينة) أى مدينة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لمحاصرة العدو اياهم أو يفر المسلمون من الكفار و يجتمعون بين المدينة و سلاح و هو موضع قريب من خيبر أو بعضهم دخلوا فى حصن المدينة و بعضهم ثبتوا حواليها احتراسا عليها و هذا المعنى أظهر بقوله (حتى يكون أبعد مسالحهم) بفتح الميم (سلاح) بفتح السين و قد ضبط برفعه مضموما على انه اسم مؤخر و الخبر قوله أبعد و فى نسخة برفعه منونا و فى أخرى بكسر الحاء ففى القاموس سلاح كسحاب و قطام موضع أسفل خيبر و قال

و سلاح قريب من خيبر رواه أبوداود ★ و عن ذى مخبر قال سمعت رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم يقول ستصالحون الروم صلحا آمنا فتغزون أنتم و هم عدوا من ورائكم فتنصرون و تغنمسون و تسلمون ثم ترجعون حتى تنزلوا بمرج ذى تلول فيرفع رجل من أهل النصرانية الصليب فيقول غلب الصليب فيغضب رجل من المسلمين فيدقه فعند ذلك تغدر الروم و تجمع للملحمة و زاد بعضهم فيثور المسلمون الى أسلحتهم فيقتتلون فيكرم الله تلك العصابة بالشهادة رواه أبوداود ★ و عن عبد الله بن عمرو عن النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال اتركوا الحبشة ما تركوكم فانه لايستخرج كنز الكعبة

ابن الملك سلاح هو منون فى نسخة و مبنى على الكسر فى أخرى و قيل مبنى على الكسر فى الحجاز غير منصرف فى بنى تميم ثم فى النهاية المسالح جمع المسلح و المسلحة القوم الذين يحفظون الثغور من العدو و سموا مسلحة لانهم يكونون ذوى سلاح أو لانهم يسكنون المسلحة و هى كالثغر و المرقب يكون فيه أقوام يرقبون العدو لئلايطرقهم على غفلة فاذا رأوه أعلموا أصحابهم ليتأهبوا له (و سلاح قريب) أى موضع قريب (من خيبر) و هذا تفسير من الراوى و المعنى أبعد ثغورهم هذا الموضع القريب من خيبر و هذا يدل على كمال التضييق عليهم و احاطة الكفار حواليهم (رواه أبوداود ★ وعن ذى مخبر) بكسر الميم و سكون الخاء المعجمة و فتح الموحدة ابن أخى النجاشى خادم النبى صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم روى عنه خيبر ابن نفير و غيره يعد فى الشاميين ذكره المؤلف (قال سمعت رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم يقول ستصالحون الروم) الخطاب للمسلمين (صلحا) مفعول مطلق من غير بابه أو بحذف الزوائد (آمنا) بالمد صفة صلحا أى صلحا ذا أمن أو على ان الاسناد مجازى (فتغزون أنتم) أى فتقاتلون أيها المسلمون (و هم) أى الروم المصالحون معكم (عدوا من ورائكم) أى من خلفكم (فتنصرون) بصيغة المفعول أى فينصركم الله عليهم (و تغنمون) أى الاموال (و تسلمون) أى من القتل و الجرح فى القتال (ثم ترجعون) أى عن عدوكم (حتى تنزلوا) أى أنتم و أهل الروم (بمرج) بفتح فسكون أى روضة و فى النهاية أرض واسعة ذات نبات كثيرة (ذى تلول) بضم التاء جمع تل بفتحها وهو موضع مرتفع (فيرفع رجل من أهل النصرانية) و هم الاروام حينئذ (الصليب) وهو خشبة مربعة يدعون ان عيسى عليه الصلاة و السلام صلب على خشبة كانت على تلك الصورة (فيقول) أى الرجل منهم (غلب الصليب) أى غلبنا ببركة الصليب (فيغضب رجل من المسلمين) حيث نسب الغلبة لغير الحبيب (فيدقه) أى فيكسر المسلم الصليب (فعند ذلك تغدر الروم) بكسر الدال أى تنقض العهد (و تجمع) أى رجالهم و يجتمعون (للملحمة) أى للقتال أو للمقتلة (و زاد بعضهم) أى الرواة (فيثور) أى يعدو و يقوم (المسلمون الى أسلحتهم) أى مسرعين و ناهضين اليها (فيقتتلون) أى معهم (فيكرم الله تلك العصابة) أى الجماعة من المسلمين (بالشهادة) و جعلهم‌الله شهداء أحياء عند ربهم يرزقون فرحين الآية (رواه أبوداود) و كذا ابن ماجه و سكت عليه أبوداود و رواه الحاكم فى مستدركه و قال صحيح ذكره ميرك ★ (و عن عبدالله بن عمرو) بالواو (عن النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال اتركوا الحبشة) فى القاموس الحبش و الحبشة محركتين جنس من السودان (ما تركوكم) أى مادام انهم تركوكم (فانه لايستخرج كنز الكعبة) أى كنزا مدفونا تحت الكعبة و قيل مخلوقا فيها و قيل المراد

الا ذو السويقتين من الحبشة رواه أبوداود ★ و عن رجل من أصحاب النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال دعوا الحبشة ما ودعوكم و اتركوا الترك ما تركوكم

ما يجمعه أهل السدانة من هدايا الكعبة كذا فى الازهار (الا ذو السويقتين) أى صاحب دقيق الساقين (من الحبشة) أى هو منهم و يكون أميرهم أو المراد به جنس الحبش لكون هذا الوصف غالبا فيهم قال النووى هما تصغير ساق الانسان لدقتها و هى صفة سوق السودان غالبا و لايعارض هذا قوله تعالى حرما آمنا لان معناه آمنا الى قرب القيامة و خراب الدنيا و قيل يخص منه قصة ذى السويقتين و قال القاضى عياض رحمه الله القول الاول أظهر أقول الاظهر انه تعالى جعله حرما آمنا باعتبار غالب الاحوال كما يدل عليه قضية ابن الزبير و قصة القرامطة و نحوهما المراد بجعله حرما آمنا انه حكم بانهم يؤمنون الناس و لايتعرضون لاحد فيه كما أجاب بهذا بعض أهل التوفيق لما قال رئيس أهل الذندقة من القرامطة بعد ما فعلوا من الفساد من قبل العباد و خراب البلاد فأين كلام الله و من دخله كان آمنا فقال انما معناه فامنوا من دخله و لاتتعرضوا فى مدخله بنهبه أو قتله (رواه أبوداود) وكذا الحاكم فى مستدركه ★ (و عن رجل من أصحاب النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال دعوا الحبشة) أى اتركوهم (ما ودعوكم) بتخفيف الدال أى ما تركوكم قال التوربشتى قلما يستعملون الماضى منه الا ما روى فى بعض الاشعار كقول القائل ★ غاله فى الحب حتى ودعه ★ و يحتمل أن يكون الحديث ما وادعوكم أى ما سالموكم فسقط الالف من قلم بعض الرواة قال الطيبى رحمه الله لا افتقار الى هذا الطعن مع وروده فى التنزيل الكشاف فى قوله تعالى ما ودعك ربك و قرىء بالتخفيف يعنى ما تركك قال و ثم ودعنا الى عمر و عامر و لان لفظ الازدواج ورد العجز على الصدر يجوز لذلك و قد جاء فى كلامهم انى لآتيه بالغدايا و العشايا و قوله ارجعن مأزورات غير ماجورات قال المظهر كلام النبى صلى‌الله عليه‌وسلم متبوع لا تابع بل فصحاء العرب عن آخرهم بالاضافة اليه باقل و أيضا فلغات العرب مختلفة منهم من انقرض لغته فأتى صلى‌الله‌عليه‌وسلم بها قال‌شمر زعمت النحوية ان العرب أماتوا مصدره و ماضيه و النبى صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم أفصح أقول فاحياهما باستعمال الماضى فى هذا الحديث و بالمصدر فى الحديث الذى رواه أحمد و مسلم و غيرهما عن ابن عباس و ابن عمر مرفوعا لينتهين أقوام عن ودعهم الجمعات أو ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين هذا وهومن باب الشاذ الموافق للقياس المخالف للاستعمال كالمسجد و نظائره (و اتركوا الترك ما تركوكم) قال الخطابى أعلم ان الجمع بين قوله تعالى قاتلوا المشركين كافة و بين هذا الحديث ان الآية مطلقة و الحديث مقيد فيحمل المطلق على المقيد و يجعل الحديث مخصصا لعموم الآية كما خص ذلك فى حق المجوس فانهم كفرة و مع ذلك أخذ منهم الجزية لقوله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم سنوا بهم سنة أهل الكتاب قال الطيبى رحمه الله و يحتمل أن تكون الآية ناسخة للحديث لضعف الاسلام و أما تخصيص الحبشة و الترك بالترك و الودع فلان بلاد الحبشة و غيره بين المسلمين و بينهم مهامه و قفار فلم‌يكلف المسلمين دخول ديارهم لكثرة التعب و عظمة المشقة و أما الترك فباسهم شديد و بلادهم باردة و العرب و هم جند الاسلام كانوا من البلاد الحارة فلم‌يكلفهم دخول البلاد فلهذين السرين خصصهم و أما اذا دخلوا بلاد المسلمين قهرا و العياذ بالله فلايجوز لاحد ترك القتال لان الجهاد فى هذه الحالة فرض عين و فى الحالة الاولى فرض كفاية قلت وقد أشار

رواه أبوداود و النسائي ✱ و عن بريدة عن النبي صلى‌الله‌عليه‌وسلم فى حديث يقاتلكم قوم صغار الاعين يعنى الترك قال تسوقونهم ثلاث مرات حتى تلحقوهم بجزيرة العرب فأما فى السياقة الاولى فينجو من هرب منهم و أما فى الثانية فينجو بعض و يهلك بعض و أما فى الثالثة فيصطلمون أو كما قال رواه أبوداود ✱ و عن أبى بكرة ان رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال ينزل أناس من أمتى بغائط يسمونه البصرة عند نهر يقال له دجلة يكون عليه جسر يكثر أهلها

صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم الى هذا المعنى حيث قال ما تركوكم وحاصل الكلام ان الامر فى الحديث للرخصة و الاباحة لا للوجوب ابتداء أيضا فان المسلمين قد حاربوا الترك و الحبشة بادين و الى الآن لا يخلو زمان عن ذلك و قد أعز الله الاسلام و أهله فيما هنالك (رواه أبوداود و النسائى) و روى الطبرانى عن ابن مسعود مرفوعا و لفظه اتركوا الترك ما تركوكم فان أول من يسلب أمتى ملكهم و ما خولهم الله بنو قنطوراء ففى النهاية هى جارية ابراهيم الخليل ولدت له أولادا منهم الترك و الصين اه و سيأتى زيادة تحقيق لهذا فى حديث أبى‌بكرة ✱(و عن بريدة عن النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم فى حديث يقاتلكم) ظاهره أن يكون بالاضافة لكنه فى جميع النسخ بالتنوين و فك الاضافة فالوجه ان قوله يقاتلكم خبر مبتدأ محذوف أى هو يقاتلكم الخ و الجملة صفة حديث و المعنى فى حديث هو ان ذلك الحديث يقاتلكم (قوم صغار الاعين يعنى الترك) تفسير من الراوى و هو الصحابى أو التابعى (قال) أى النبى صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم أو قال ابن مسعود مرفوعا (تسوقونهم) من السوق أى يصيرون مغلوبين مقهورين منهزمين بحيث انكم تسوقونهم (ثلاث مرات) أى من السوق (حتى تلحقوهم) أى توصلوهم آخرا (بجزيرة العرب) قيل هى اسم لبلاد العرب سميت بذلك لاحاطة البحار و الانهار بحر الحبشة و بحر فارس و دجلة و الفرات و قال مالك هى الحجاز و اليمامة و اليمن و ما لم يبلغه ملك فارس و الروم ذكره الطيبى رحمه الله و تبعه ابن الملك (فأما فى السياقة الاولى فينجو) أى يخلص (من هرب منهم) أى من الترك (و أما فى الثانية فينجو بعض و يهلك بعض) اما بنفسه أو بأخذه و اهلاكه و هو الظاهر (و أما فى الثالثة فيصطلمون) بصيغة المجهول أى يحصدون بالسيف و يستأصلون من الصلم و هو القطع المستأصل (أو كما قال) أى قال غير هذا اللفظ مما يكون بمعناه و هذا من غاية ورع الراوى حيث لم يرض أن يكون النقل بالمعنى (رواه أبوداود ✱ وعن أبى‌بكرة) بالتاء (ان رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال ينزل أناس) بضم الهمزة لغة فى ناس (من أمتى بغائط) أى بغائر من الارض ذكره شارح و فى الفائق أى بواد مطمئن (يسمونه البصرة) بفتح الموحدة و فى نسخة بكسرها و فى القاموس البصرة بلدة معروفة و يحرك و يكسر الصاد أو هو معرب بس راه أى كثير الطرق (عند نهر) بفتح الهاء و يسكن (يقال له دجلة) بكسر الدال و يفتح نهر بغداد (يكون عليه جسر) أى قنطرة و معبر (يكثر أهلها) أى أهل البصرة و فى حاشية الشفاء للحلبى البصرة مثلث الباء و الفتح أفصح بناها عتبة بن غزوان فى خلافة عمر رضى‌الله‌تعالى‌عنه و لم يعبد الصنم قط على ظهرها و النسبة اليها بالكسر و الفتح قال المغنى و الكسر فى النسبة أفصح من الفتح قلت و لعله لمجاورة كسر الراء هذا و قد قال الاشرف أراد صلى‌الله‌عليه‌وسلم بهذه المدينة مدينة السلام بغداد فان دجلة هى الشط و جسرها فى وسطها لا فى وسط البصرة و انما عرفها النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم بالبصرة لان فى بغداد موضعا خارجيا منه قريبا من بابه يدعى باب البصرة فسمى النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم

و يكون من أمصار المسلمين و اذا كان فى آخر الزمان جاء بنو قنطوراء عراض الوجوه صغار الاعين حتى ينزلوا على شط النهر فيتفرق أهلها ثلاث فرق فرقة يأخذون فى أذناب البقر و البرية و هلكوا و فرقة يأخذون لانفسهم و هلكوا و فرقة يجعلون ذراريهم خلف ظهورهم و يقاتلونهم و هم الشهداء

بغداد باسم بعضها أو على حذف المضاف كقوله تعالى و اسئل القرية و بغداد ما كانت مبنية فى عهد النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم على هذه الهيئة و لا كان مصرا من الامصار فى عهده صلى‌الله‌عليه‌وسلم ولذا قال صلى‌الله‌عليه‌وسلم (و يكون من أمصار المسلمين) بلفظ الاستقبال بل كان فى عهده صلى‌الله عليه‌وسلم قرى متفرقة بعد ما خربت مدائن كسر منسوبة الى البصرة محسوبة من أعمالها هذا و ان أحدا لم‌يسمع فى زماننا بدخول الترك بصرة قط على سبيل القتال و الحرب و معنى الحديث إن بعضنا من أمتى ينزلون عند دجلة و يتوطنون ثمة و يصير ذلك الموضع مصرا من أمصار المسلمين و هو بغداد (و اذا كان) اسمه مضمر (فى آخر الزمان جاء بنو قنطوراء) بفتح القاف و سكون النون مقصورا و قد يمد اى يجيئون ليقاتلوا أهل بغداد و قال بلفظ جاء دون يجيء ايذانا بوقوعه فكانه قد وقع و بنو قنطورا اسم أبى الترك و قيل اسم جارية كانت للخليل عليه الصلاة والسلام ولدت له أولادا جاء من نسلهم الترك و فيه نظر فان الترك من أولاد يافث بن نوح و هو قبل الخليل بكثير كذا ذكره بعضهم و يمكن دفعه بان الجارية كانت من أولاد يافث أو المراد بالجارية بنت منسوبة للخليل لكونها من بنات أولاده و قد تزوجها واحد من أولاد يافث فاتت بابى هذا الجيل فيرتفع الاشكال بهذا القال و القيل و يصح انتسابهم الى يافث و الخليل (عراض الوجوه) بدل أو عطف بيان و كذا قوله (صغار الاعين حتى ينزلوا على شط النهر فيتفرق أهلها ثلاث فرق) بكسر ففتح جمع فرقة (فرقة) بالرفع و يجوز نصبها (يأخذون فى أذناب البقر) من أخذ فى الشئ شرع فيه و قوله (فى البرية) تتميم و تذييل لان أخذ اذناب البقر لايكون غالبا الا فى البرية الخارجة عن المدينة التى يعبر عنها بالبحرية و منه قوله تعالى ظهر الفساد فى البر و البحر أو المراد بقوله فى البرية اختيار العزلة و ايثار الصحراء و الخلاء على البلد و اجتماع الملأ فعلى الاول صفة أو حال و على الثانى بدل كل أو بعض و يمكن أن تكون فى تعليلية و قوله (و هلكوا) فذلكة و نتيجة لافعالهم و المعنى ان فرقة يعرضون عن المقاتلة هربا منها و طلبا لخلاص أنفسهم و مواشيهم و يحملون على البقر فيهيمون فى البوادى و يهلكون فيها أو يعرضون عن المقاتلة و يشتغلون بالزراعة و يتبعون البقر للحراثة الى البلاد الشاسعة فيهلكون قال الطيبى رحمه الله قوله يأخذون فى أذناب البقر على معنى يوقعون الاخذ فى الاذناب كقوله ★ يجرح فى عراقيبها نصلى ★ و كانهم يبالغون فى الاشتغال و لايعبؤن بأمر آخر أو يوغلون فى السير خلفها الى البلاد الشاسعة فيهلكون فيها (و فرقة يأخذون) أى يطلبون أو يقبلون الامان من بنى قنطوراء (لانفسهم و هلكوا) أى بايديهم و لعل المراد بهذه الفرقة المستعصم بالله و من معه من المسلمين طلبوا الامان لانفسهم و لاهل بغداد و هلكوا بايديهم عن آخرهم و قال شارح أراد النبى صلى‌الله عليه‌وسلم بالبصرة بغداد لان بغداد كانت قرية فى عهد النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم من قرى البصرة اطلاقا لاسم الجزء على الكل فالواقعة وقعت كما ذكره النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم و أن أراد البصرة المعهودة فلعله يقع بعد ذلك اذ لم‌يسمع ان الكفار نزلوا بها قط للقتال (و فرقة يجعلون ذراريهم) أى

رواه أبوداود ✱ و عن أنس أن رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال يا أنس ان الناس يمصرون امصارا فان مصرا منها يقال له البصرة فان أنت مررت بها أو دخلتها فاياك و سباخها و كلاءها و نخيلها و سوقها و باب أمرائها و عليك بضواحيها فانه يكون بها خسف و قذف و رجف و قوم يبيتون و يصبحون قردة و خنازير رواه ✱ و عن صالح بن درهم يقول انطلقنا حاجين فاذا رجل فقال لنا الى جنبكم قرية يقال لها الابلة

أولادهم الصغار و نساءهم (خلف ظهورهم و يقاتلونهم و هم الشهداء) أى الكاملون و المعنى ان فرقة ثالثة هم الغازية المجاهدة فى سبيل الله قاتلوا الترك قبل ظهورهم على أهل الاسلام فاستشهد معظمهم ونجت منهم شرذمة قليلون كذا ذكره الاشرف و قال غيره و هذا من معجزاته صلى‌الله‌عليه‌وسلم فانه وقع كما أخبر و كانت هذه الواقعة فى صفر سنة ست و خمسين و ستمائة (رواه أبوداود ✱ و عن أنس أن رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال يا أنس ان الناس يمصرون) بتشديد الصاد (امصارا) بفتح الهمزة جمع مصر أى يتخذون بلادا و التمصير اتخاذ المصر على ما ذكره الطيبى رحمه الله فالتقدير يتخذون امصارا ففيه تجريد و قال شارح أى يضعون أساس مصر و بناءه (و ان مصرا منها) أى من الامصار (و يقال له البصرة فان أنت مررت بها أو دخلتها) أو للتنويع لا للشك (فاياك و سباخها) أى فاحذر سباخها و هو بكسر السين جمع سبخة بفتح فكسر أى أرض ذات ملح و قال الطيبى رحمه الله هى الارض التى تعلوها الملوحة و لاتكاد تنبت الا بعض الشجر (و كلاءها) بفتح الكاف و تشديد اللام ممدودا موضع بالبصرة و قال شارح هو شط النهر و هو موضع حبس السفينة و قيل هو موضع الرعى و يؤيده ما فى بعض النسخ بالتخفيف و التصر و قد اقتصر عليه نسخة السيد جمال الدين رحمه الله هذا و قوم يجعلون كلاء البصرة اسم من كل على فعلاء و لايصرفونه و المعنى انه موضع تكل فيه الريح عن عملها فى غير هذا الموضع فكان الحذر عنها لعفونة هواه (و نخيلها) اما لشبهة فيها أو لخوف غرة بها (و بسوقها) اما لحصول الغفلة فيها أو لكثرة اللغو بها أو فساد العقود و نحوها (و باب امرائها) أى لكثرة الظلم الواقع بها (و عليك بضواحيها) جمع الضاحية و هى الناحية البارزة للشمس و قيل المراد بها جبالها و هذا أمر بالعزلة فالمعنى الزم نواحيها (فانه يكون بها) قيل الضمير للسباخ و الصواب للمواضع المذكورة (خسف) أى ذهاب فى الارض و غيبوبة فيها (و قذف) أى ريح شديدة باردة أو قذف الارض الموتى بعد دفنها أو رمى أهلها بالحجارة بان تمطر عليهم (و رجف) أى زلزلة شديدة (و قوم يبيتون) أى أهل ذلك المصر قوم يبيتون بحذف المبتدأ أو فيها قوم بحذف الخبر كذا قاله الشارح و الظاهر أن قوم عطف على خسف أى يكون بها قوم يمسون طيبين (و يصبحون قردة) أى شبابهم (و خنازير) أى شيوخهم قال الطيبى رحمه الله المراد به المسخ و عبر عنه بما هو أشنع اه و قيل فى هذا اشارة الى أن بها قدرية لان الخسف و المسخ انما يكون فى هذه الامة للمكذبين بالقدر (رواه) هنا بياض فى الاصل و قال الجزرى رواه أبوداود من طريق لم يجزم بها الراوى بل قال لا أعلمه الا عن عيسى بن أنس عن أنس بن مالك ✱ (و عن صالح ابن درهم) بكسر الدال و فتح الهاء و فى القاموس درهم كمنبر و زبرج معلوم قال المؤلف باهلى روى عن أبى هريرة و سمرة و عنه شعبة و القطان ثقة (يقول انطلقنا حاجين) أى ذهبنا مريدين الحج (فاذا رجل) المراد به أبوهريرة و هو مبتدأ خبره محذوف و قوله (فقال) عطف عليه أى فاذا

قلنا نعم قال من يضمن لى منكم أن يصلى لى فى مسجد العشار ركعتين أو أربعا و يقول هذه لابى هريرة سمعت خليلى

رجل واقف فقال (لنا الى جنبكم قرية) بحذف الاستفهام (يقال لها الابلة) بضم الهمزة و الباء و تشديد اللام البلد المعروف قرب البصرة من جانبها البحرى كذا فى النهاية و هى أحد المنتزهات الاربع و هى أقدم من البصرة قال الاصمعى هى اسم نبطى ذكره ميرك عن التصحيح و قال شارح هى من جنان الدنيا و هى أربع أبلة البصرة و غوطة دمشق و سغد سمرقند و شعب بوان ثم قيل بوان هو كرمان و قيل توبندجان فى الفارس (قلنا نعم قال من يضمن) استفهام للالتباس و السؤال و المعنى من يتقبل و يتكفل (لى) أى لاجلى (منكم أن يصلى لى) أن بنيتى (فى مسجد العشار) بفتح العين المهملة و تشديد الشين المعجمة مسجد مشهور يتبرك بالصلاة فيه ذكره ميرك (ركعتين أو أربعا) أى أربع ركعات و أو للتنويع أو بمعنى بل (و يقول) أى عند النية أو بعد فراغ الصلاة (هذه) أى الصلاة أو ثوابها (لابى هريرة) قيل فان قيل الصلاة عبادة بدنية و لا تقبل النيابة فما معنى قول أبى هريرة قلنا يحتمل أن يكون هذا مذهب أبى هريرة قاس الصلاة على الحج و ان كان فى الحج شائبة مالية و يحتمل أن يكون معناه ثواب هذه الصلاة لابى هريرة فان ذلك جوزه بعضهم كذا ذكره الطيبى رحمه الله و قال علماؤنا الاصل فى الحج عن الغير ان الانسان له أن يجعل ثواب عمله لغيره من الاموات و الاحياء حجا أو صلاة أو صوما أو صدقة أو غيرها كتلاوة القرآن و الاذكار فاذا فعل شيأ من هذا و جعل ثوابه لغيره جاز و يصل اليه عند أهل السنة و الجماعة (سمعت خليلى) قال التوربشتى رحمه الله قد سبق منه هذا القول فى عدة أحاديث و كانه قول لم يصدر عن روية بل كان الباعث عليه ما عرف من قلبه من صدق المحبة و لو تدبر القول لم يلتبس عليه كون ذلك زائغا عن نهج الادب و قد قال صلى الله تعالى عليه وسلم لو كنت متخذا من الناس خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا و قال صلى الله تعالى عليه وسلم انى ابرأ الى كل خليل من خلته فليس لاحد أن يدعى خلته مع براءته عن خلة كل خليل قال الطيبى رحمه الله لو تأمل حق التأمل ما ذهب الى ما ذهب اليه لان المحب من فرط المحبة و صدق الوداد يرفع الاحتشام من البين لاسيما اذا امتد زمان المفارقة على أنه نسب الخلة الى جانبه لا الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لانه رضى الله عنه مذ أسلم ما فارق حضرة الرسالة مع شدة احتياجه وفاقته و الناس مشتغلون بتجارتهم وزروعهم أقول قوله لان صدق الوداد يرفع الاحتشام من البين الخ كلام مدخول و تعليل معلول اذ مثل هذا لا يقال الا فى المتساويين من المتصاحبين و لا يقاس الملوك بالحدادين فأين منصب صاحب النبوة و الرسالة عن مرتبة أبى هريرة فى الحضرة أو الغيبة حتى يعبر عنه صلى الله عليه وسلم بأنه خليله باى معنى يكون سواء من اضافة الوصف الى فاعله أو مفعوله و من المعلوم أن مثل هذا لو صدر عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه لا نكر عليه لانه بظاهره مصادم لقوله صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذا الحديث هذا و قد قيل فى سبب تسمية ابراهيم بالخليل أنه بعث الى خليل له بمصر فى أزمة أصابت الناس يمتار منه فقال خليله لو كان ابراهيم يطلب الميرة لنفسه لفعلت و لكنه يريدها للاضياف فاجتاز غلمانه ببطحاء لينة فملؤا منها الغرائر حياء من الناس فلما أخبروا ابراهيم عليه الصلاة والسلام ساءه الخبر فحملته عيناه و عمدت امرأته الى غرارة منها فأخرجت أحسن حوارى و اختبزت و استنبه فاشتم رائحة الخبز فقال من أين لكم هذه

أبا القاسم صلى الله عليه وسلم يقول ان الله عزوجل يبعث من مسجد العشار يوم القيامة شهداء لايقوم مع شهداء بدر غيرهم رواه أبوداود و قال هذا المسجد مما يلى النهر و سنذكر حديث أبى الدرداء ان فسطاط المسلمين فى باب ذكر اليمن و الشام ان شاء الله تعالى

✱ (الفصل الثالث) ✱ عن شقيق عن حذيفة قال كنا عند عمر فقال أيكم يحفظ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الفتنة فقلت أنا أحفظ كما قال قال هات انك لجرىء و كيف قال

فقالت امرأته من خليلك المصرى فقال بل من عند خليلى الله فسماه الله خليلا هكذا ذكره فى الكشاف قال النووى رحمه الله أصل الخلة الاختصاص و الاستقصاء و قيل أصلها الانقطاع الى من خاللت ماخوذ من الخلة و هى الحاجة فسمى ابراهيم عليه الصلاة والسلام بذلك لانه قصر حاجته الى الله سبحانه و تعالى جل جلاله و لا اله غيره و قيل الخلة صفاء المودة التى توجب تخلل الاسرار و قيل معناها المحبة و الالطاف هذا كلام القاضى رحمه الله و قال ابن الانبارى الخليل معناه المحب الكامل المحبة و المحبوب الموفى بحقيقة المحبة التى ليس فى حبه نقص و لاخلل قال الواحدى هذا القول هو الاختيار لان الله تعالى خليل ابراهيم و ابراهيم خليل الله و لايجوز أن يقال الله تعالى خليل ابراهيم من الخلة التى هى الحاجة اه و به تبين أن الخلة بالمعانى الذى ذكروها لاتصدق على أبى هريرة فكيف يسوغ له أن يخص نفسه من بين الاصحاب و يقول سمعت خليلى (أبا القاسم صلى الله عليه وسلم) بدل أو عطف بيان (يقول) فاعل سمعت (ان الله عزوجل يبعث) أى يحشر (من مسجد العشار يوم القيامة شهداء لايقوم) أى من القبور أو فى المرتبة (مع شهداء بدر غيرهم) و لم يعرف انهم من شهداء هذه الامة أو من الامم السابقة (رواه أبوداود و قال) أى أبوداود (هذا المسجد مما يلى النهر) أى نهر الفرات قال المؤلف (و سنذكر حديث أبى الدرداء إن فسطاط المسلمين) تمامه يوم الملحمة بالغوطة الى جانب المدينة يقال لها دمشق من خير مدائن الشام (فى باب ذكر اليمن و الشام ان شاء الله تعالى) جل شأنه

✱ (الفصل الثالث) ✱ (عن شقيق) و هو ابن أبى سلمة أدرك زمن النبى صلى الله عليه وسلم و لم يره و لم يسمع منه و روى عن خلق من الصحابة منهم عمر بن الخطاب و ابن مسعود و كان خصيصا به من أكابر الصحابة و هو كثير الحديث ثقة حجة مات زمن الحجاج (عن حذيفة) أى ابن اليمان قال المؤلف هو صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم و قد روى عنه عمر و أبوالدرداء و غيرهم من الصحابة و التابعين مات بالمدائن بعد قتل عثمان بأربعين ليلة و قبره بها (قال كنا عند عمر فقال أيكم يحفظ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الفتنة فقلت أنا أحفظ كما قال) صفة مصدر محذوف أى أنا أحفظ مقوله صلى الله عليه وسلم حفظا مماثلا لما قال ذكره الطيبى رحمه الله فاحفظ متكلم لاتفضيل كما يتوهم (قال هات) بكسر التاء أى اعطنى على ما فى القاموس (انك لجرىء) فعيل من الجراءة و هى الاقدام على الشئ و معناه انك غير هائب قد تجاسرت على ما لا أعرفه و لايعرفه أصحابك و ادعيت انك عرفت صريح القول و من ثم قال هات (و كيف قال) أى النبى صلى الله عليه وسلم قال الطيبى رحمه الله تعالى هو عطف على هات أى هات ما قال و بين كيفيته اه و قد يقال ان الظاهر بالنظر الى حال حذيفة و ما كان معلوما عندهم من انه صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يقع من الفتن أن يكون المعنى انك لجراءتك و كثرة مساءلتك أخذت عن النبى صلى الله عليه وسلم ما لم نأخذه منه فهات و بين

قلت سمعت رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم يقول فتنة الرجل فى أهله و ماله و نفسه و ولده و جاره يكفرها الصيام و الصلاة و الصدقة و الامر بالمعروف و النهى عن المنكر فقال عمر ليس هذا أريد انما أريد التى تموج كموج البحر قال قلت ما لک و لها يا أمير المؤمنين ان بينک و بينها بابا مغلقا قال فيكسر الباب أو يفتح قال قلت لا بل يكسر قال ذلک أحرى ان لايغلق أبدا

(قلت سمعت رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم يقول فتنة الرجل فى أهله) أى عياله من امرأته و جاريته أو أقاربه (و ماله و نفسه و ولده و جاره) أى و أمثال ذلک و المعنى ان الرجل يبتلى و يمتحن فى هذه الاشياء و يسأل عن حقوقها و قد يحصل له ذنوب من تقصيره فيها فينبغى أن يكفرها بالحسنات لقوله تعالى ان الحسنات يذهبن السيآت و اليه أشار بقوله (يكفرها الصلاة و الصيام و الصدقة و الامر بالمعروف و النهى عن المنكر فقال عمر ليس هذا أريد) قال الطيبى رحمه الله و ذلک ان عمر رضى‌الله‌تعالى‌عنه لما سأل أيكم يحفظ حديث رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم فى الفتنة و احتمل أن يراد بالفتنة الاختبار و الابتلاء كما فى قوله تعالى و لنبلونكم بشئ من الخوف و الجوع و نقص من الاموال و الانفس و الثمرات و بشر الصابرين و ان يراد بها وقعة القتال و كان سؤاله عن الثانى قال ليس هذا أريد (انما أريد التى تموج كموج البحر) أى تضرب اضطراب البحر عند هيجانه و كنى بذلک عن شدة المخاصمة و كثرة المنازعة و ما ينشأ عن ذلک من المشاتمة و المقاتلة و انما أنث عمر رضى‌الله‌تعالى‌عنه المشار اليه بعد ما ذكره باعتبار المذكور دلالة على فظاعة المشار اليه و انها الداهية الدهياء (قال قلت ما لک و لها) استفهام انكار أى أى شئ لک من الحاجة الى تلک الفتنة و الى سؤالها و ما يترتب عليها من المحنة و أى شئ لها من الوصول اليک و الحصول لديک فانه ليس لک و لها اقتران و اجتماع فى زمان (يا أمير المؤمنين) يحتمل تعلقه بما قبله و ما بعده (ان بينک و بينها بابا مغلقا) استئناف تعليل (قال فيكسر الباب) أى من شدته و صعوبته و الاستفهام مقدر ولذا قابله بقوله (أو يفتح) أى من خفته و سهولته (قال قلت لا) أى لايفتح فانصب النفى على الفعل القريب لكن لما كان موهما أن يتعلق بالفعلين جميعا استدركه و قال (بل يكسر) و فائدته التأكيد و التأبيد و قال الطيبى رحمه الله فان قلت كان يكفى فى الجواب أن يقول يكسر فلم أتى بلا و بل قلت للتنبيه على ان هذا ليس من مقام الترديد فى الكسر لظهوره فلايسأل بام المعادلة كما سبق مرارا اه و لايخفى ما فيه من الاعتراض البارد على من هو من زبدة الفصحاء و عمدة البلغاء و كذا من دعوى الظهور الذى لايتوهمه أحد من الاغبياء مع ان أم ليس موجودا فى العبارة بل الترديد انما وقع بلفظ أو و فرق بينهما عند أرباب الاشارة بل الظاهر انما هو الاعتراض على حذيفة فى جوابه لما تقرر فى محله من ان جواب أم المتصلة بالتعيين دون نعم أولا لانهما لايفيدان التعيين بخلاف أو مع الهمزة كما اذا قلنا جاءك زيد أو عمرو فانه يصح جوابه بلا و نعم لان المقصود بالسؤال أحدهما لا على التعيين أجاءك أولا و لاشک هذا المعنى غير مراد هنا فى جوابه بل المراد التعيين و هو المقصود فى الحكم بالكسر غايته أنه نفى مقابله و هو الفتح أولا ثم أثبت الكسر لزيادة افادة الحصر كما حقق فى كلمة التوحيد فانه لو قيل الله موجود أو ثابت أو محقق لم يفد نفى ما سواه فلذا عدل عنه الى قوله لا اله الا الله (قال) أى عمر رضى‌الله‌عنه (ذاك) كذا بلا لام فى النسخ المصححة أى ذاك الباب الذى من وصفه أن يكسر و لايفتح (أحرى) أى حرى و حقيق (أن لايغلق أبدا)

قال فقلنا لحذيفة هل كان عمر يعلم من الباب قال نعم كما يعلم ان دون غد ليلة انى حدثته حديثا ليس بالاغاليط قال فهبنا ان نسأل حذيفة من الباب فقلنا لمسروق سله فسأله فقال عمر متفق عليه
★ و عن أنس قال فتح القسطنطينية مع قيام الساعة رواه الترمذى و قال هذا حديث غريب

★ (باب أشراط الساعة) ★

لان الفتح قد يرجى اغلاقه بخلاف الكسر فانه يبعد من الرجاء ذكره الطيبى و مما يقوى هذا المعنى ما رواه الترمذى عن ثوبان اذا وضع السيف فى أمتى لم يرفع عنها الى يوم القيامة (قال) أى الراوى و هو شقيق (فقلنا لحذيفة هل كان عمر يعلم من الباب) كان الظاهر أن يقال ما الباب فكانهم تفرسوا ان المراد بالباب الشخص لا الباب الحقيقى كذا حققه الطيبى رحمه الله و فى الكسر شهادة على شهادة عمر رضى الله عنه فكان ابن الخطاب كان باب الصواب و مفتاحا لعز الاسلام و ما منا من الفتن بين الانام فرضى الله تعالى عنه و أدخله دار السلام (قال) أى حذيفة (نعم) أى كان يعلم من الباب (كما يعلم) أى كعلمه (ان دون غد) أى قدامه (ليلة) و المعنى ان الغد لايتصور الا متأخرا عن حصول الليلة و كانه جعل زمن الامن فى قوة اليوم الحاضر و وقت الفتن بمنزلة الغد الحاضر و الحاجز بينهما فى مرتبة ليل سائر و ما أحسن تعبير حذيفة رضى الله عنه عن ظهور يوم الفتنة بالغد الواقع بعد تحقق الظلمة المعبر عنها بالليلة لخفاء أمر الفتنة و شدة بلائها فان الليل أدهى للويل و حاصله أن علمه بانه هو الباب أمر ظاهر لايشك فيه أحد من أولى الألباب (انى حدثته) استئناف فيه معنى التعليل أى ذكرت (له حديثا) أى ظاهرا (ليس بالاغاليط) و هى جمع الاغلوطة و هى المسئلة التى يغلط بها قال الطيبى رحمه الله أراد أن ما ذكرت له لم يكن مبهما محتملا كالاغاليط بل صرحته تصريحا و فيه أنه قد آثر حذيفة الحرص على حفظ السر و لم يصرح لعمر بما سأل عنه و انما كنى عنه كناية أى لايخرج من الفتن شئ فى حياتك و كانه مثل الفتن بدار مقابل لدار الامن و حياته بباب مغلق و موته بفتح ذلك الباب ثم انه كنى بالكسر عن القتل و بالفتح عن الموت و حاصله أنه لم يكن الكلام من باب الصريح بل من قبيل الرمز و التلويح لكن عمر ممن لايخفى عليه ألاشارة فضلا عن العبارة بل هو أيضا من أصحاب الاسرار و أرباب الانوار و أنما أراد بالسؤال تحقيق الحال و أنه هل بقى أحد من الصحابة ممن يكون هذا العلم منه على الباب ولذا جزم حذيفة بقوله نعم و الله تعالى أعلم ثم قول الطيبى رحمه الله و لعله لهذا السر قال له عمر انك لجرىء و فيه نظر ظاهر لان اظهار الحق المسموع من سيد الخلق لايستبعد حتى يسمى جراءة على الرد فالصواب ما تقدم و الله تعالى أعلم (قال) ى شقيق (فهبنا) بكسر الهاء من الهيبة أى فخشينا (أن نسأل حذيفة من الباب) أى فى ذلك المجلس (فقلنا لمسروق) و هو تابعى جليل (سله) أى سل حذيفة (فسأله فقال) أى حذيفة (عمر) أى هو الباب بمعنى السد للفتنة عن الاصحاب و الاحباب أو لانه باب النطق بالصواب (متفق عليه) و فى الجامع فتنة الرجل فى أهله و ماله و ولده و نفسه و جاره يكفرها الصيام و الصدقة و الامر بالمعروف و النهى عن المنكر رواه الشيخان و الترمذى و ابن ماجه عن حذيفة ★(و عن أنس قال فتح القسطنطينية مع قيام الساعة) أى مع قرب قيامها و قد سبق تحقيق المبانى و ما يتعلق به من المعانى (رواه الترمذى و قال هذا حديث غريب) أى اسنادا أو متنا و الله تعالى أعلم و أحكم

★ (باب أشراط الساعة) ★ أى علامات القيامة ففى النهاية الاشراط العلامات واحدتها

✦(الفصل الاول)✦ عن أنس قال سمعت رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم يقول ان من أشراط الساعة أن يرفع العلم و يكثر الجهل و يكثر الزنا و يكثر شرب الخمر و يقل الرجال و يكثر النساء حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد و فى رواية يقل العلم و يظهر الجهل متفق عليه ✦ وعن جابر بن سمرة قال سمعت النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم يقول ان بين يدى الساعة كذا بين فاحذروهم رواه مسلم

شرط بالتحريك و به سميت شرط السلطان لانهم جعلوا لانفسهم علامات يعرفون بها هكذا قال أبوعبيدة و حكى الخطابى عن بعض أهل اللغة انه أنكر هذا التفسير و قال أشراط الساعة ما ينكره الناس من صغار أمورها قبل أن تقوم الساعة اه و كانه أخذه مما ذكره صاحب القاموس ان الشرط محركة العلامة و أول الشئ و رذال المال و صغارها و هو لاينافى أن يكون الشرط له معنيان كل واحد منهما يصلح للمقام فلاوجه للانكار مع ان قوله ما ينكره الناس ليس على اطلاقه اذ قد يوجد فى الناس من لاينكر صغار أمور الساعة لما حصل له من علم اليقين من صاحب السيادة و السعادة أولا و زيادة عين اليقين فى مقام المشاهدة آخرا

✦ (الفصل الاول) ✦ (عن أنس قال سمعت رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم يقول ان من أشراط الساعة أن يرفع العلم) أى يرتفع اما بقبض العلماء و اما بخفضهم عند الامراء (و يكثر الجهل) أى بغلبة السفهاء (و يكثر الزنا) أى لاجل قلة الحياء (و يكثر شرب الخمر) بضم الشين و فتحها و قرئ بهما فى المتواتر عند قوله تعالى فشاربون شرب الهيم و يجوز كسرها ففى القاموس شرب كسمع شربا و يثلث ثم كثرة شرب الخمر مورثة لكثير من الفساد فى البلاد و العباد فيحصل الاعتداء (و يقل الرجال) أى وجودهم المطلوب منهم نظام العالم (و يكثر النساء) أى ممن لايتعلق بظهورهن الامر الاهم بل وجودهن مما يكثر الغم و الهم و يقتضى تحصيل الدينار و الدرهم (حتى يكون لخمسين امرأة القيم) بكسر التحتية المشددة أى القائم (الواحد) أى المنفرد لمصالحهن و ليس المراد انهن زوجات له بل أعم منها و من الامهات و الجدات و الاخوات و العمات و الخالات (و فى رواية يقل العلم و يظهر الجهل) و الظاهر انهما بدلان من يرفع و يكثر فالتقدير ان يقل العلم و يظهر الجهل و لعل هذه الرواية مبنية على أول الامر فان مآل آخره الى رفع العلم بالكلية كما جاء فى حديث رواه السجزى عن ابن عمر مرفوعا لاتقوم الساعة حتى يرفع الركن و القرآن و فى حديث أحمد و مسلم و الترمذى عن أنس لاتقوم الساعة حتى لايقال فى الارض الله الله (متفق عليه) و رواه الترمذى و ابن ماجه ذكره السيد جمال الدين رحمه الله و فى الجامع رواه أحمد و الشيخان و الترمذى و النسائى و ابن ماجه عن أنس بلفظ ان من أشراط الساعة أن يرفع العلم و يظهر الجهل و يفشو الزنا و يشرب الخمر و يذهب الرجال و يبقى النساء حتى يكون لخمسين امرأة قيم واحد و فى رواية لاحمد و الشيخين عن ابن مسعود و أبى موسى مرفوعا ان بين يدى الساعة لاياما ينزل فيها الجهل و يرفع فيها العلم و يكثر فيها الهرج و المرج و هو القتل

✦(و عن جابر بن سمرة قال سمعت النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم يقول ان بين يدى الساعة كذا بين) قال المظهر أراد منه كثرة الجهل و قلة العلم و الاتيان بالموضوعات من الاحاديث و ما يفترونه على رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم و يحتمل أن يراد به ادعاء النبوة كما كان فى زمانه و بعد زمانه و أن يراد بهم جماعة يدعون أهواء فاسدة و يسندون اعتقادهم الباطل اليه صلى‌الله‌عليه‌وسلم كاهل البدع كلهم (فاحذروهم رواه مسلم) قال ابن الملك فى شرح المشارق قوله فاحذروهم غير

✱ و عن أبي هريرة قال بينما النبي صلى الله عليه وسلم يحدث اذ جاء اعرابي فقال متى الساعة قال اذا ضيعت الامانة فانتظر الساعة قال كيف اضاعتها قال اذا وسد الامر الى غير أهله فانتظر الساعة . رواه البخاري .

مذكور في صحيح مسلم لكن جاء في بعض روايات غيره و قيل انه قول جابر اه و في الجامع كلفظ المشكاة بكماله و قال رواه أحمد و مسلم عن جابر بن سمرة ✱(و عن أبي هريرة) رضي الله عنه (قال بينما النبي صلى الله عليه وسلم يحدث) أي يتكلم في أمر مع أصحابه (اذ جاء اعرابي فقال متى الساعة قال اذا ضيعت) بصيغة المفعول من التضييع و في نسخة من الاضاعة (الامانة) أي حين جعلت الامانة ضائعة بالخيانة أو وضعت عند غير أرباب الديانة (فانتظر الساعة) أي فانه من أشراط القيامة (قال كيف اضاعتها) هذا يؤيد النسخة ٧ أي كيف تضييع الامانة و الائمة قائمون بامرها و العامة معتنون بقدرها (قال اذا وسد) بضم الواو و تشديد السين و قد تخفف على ما في المقدمة أي أسند و فوض (الامر) أي أمر السلطنة أو الامارة أو القضاء أو الحكومة (الى غير أهله) أي ممن لم يوجد فيه شرائط الاستحقاق كالنساء و الصبيان و الجهلة و الفسقة و البخيل و الجبان و من لم يكن قرشيا و لو كان من نسل سلاطين الزمان هذا في الخليفة و قس على هذا سائر أولي الامر و الشان و أرباب المناصب من التدريس و الفتوى و الامامة و الخطابة و أمثال ذلك مما يفتخر به الاقران قال التوربشتي رحمه الله معناه أن يلي الامر من ليس له بأهل فيلقى له وسادة الملك و أراد بالامر بالخلافة و ما ينضم اليها من قضاء و امارة و نحوها و التوسيد أخذ من الوساد يقال وسدته الشئ بالتخفيف فتوسده اذا جعله تحت رأسه و لفظة الى فيها اشكال اذ كان من حقه أن يقال وسد الامر لغير أهله فلعله أتى بها ليدل على اسناد الامر اليه اه و في القاموس ان الى تأتي مرادفة للام نحو قوله تعالى و الامر اليك اه و يريد أن المعنى و الامر لك لكن الاظهر أن يقال الامر راجع اليك و الاحسن في الحديث أن يضمن معنى التفويض و الاسناد كما أشرنا اليه أولا (فانتظر الساعة) للدلالة على قرب قيامها و انما دل ذلك على دنو الساعة لافضائه الى اختلال الامر و عدم تمام النظام و وهن أمور الدين و ضعف أحكام الاسلام و قال الطيبي رحمه الله لان تغير الولاة و فسادهم مستلزم لتغير الرعية و قد قيل الناس على دين ملوكهم قال القاضي رحمه الله أخرج الجوابين مخرج الاستئناف للتأكيد و لان السؤال الاول لما لم يكن مما يمكن أن يجيب عنه بجواب حقيقي يطابقه فان تأقيت الساعة غيب لايعلمه ملك مقرب و لا نبي مرسل عدل عن الجواب الى ذكر ما يدل على المسؤل عنه دلالة من أماراتها و سلك في الجواب الثاني مسلك الاول لينتسق الكلام قال الطيبي رحمه الله كان من حق الظاهر أن يكتفي عن جواب السؤال الاول بقوله اذا ضيعت الامانة و أن يؤتى في السؤال الثاني بمتى ليطابق الجواب فزاد في الاول فانتظر الساعة لينبه على ان قوله اذا ضيعت الامانة ليس أبان الساعة بل من أماراتها فلا تكون اذا شرطية و تأويل السؤال الثاني متى تضيع الامانة و كيف حصول التضييع فقال اذا وسد الامر فاطنب في الاول لافادة معنى زائد و اختصر في الثاني لدلالة الكلام عليه تفننا اه و فيه انه يوهم ان قوله فانتظر الساعة غير موجود في الجواب الثاني و الحال أن الامر بخلافه بل هو موجود في الجوابين و لعله سقط من أصل الطيبي رحمه الله و الله تعالى أعلم (رواه البخاري) و لفظ الجامع اذا وسد الامر الى غير أهله فانتظر الساعة رواه البخاري عن أبي هريرة ✱(و عنه)

★ و عنه قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم لاتقوم الساعة حتى يكثر المال و يفيض حتى يخرج الرجل زكاة ماله فلايجد أحدا يقبلها منه و حتى تعود أرض العرب مروجا و أنهارا رواه مسلم و فى رواية له قال تبلغ المساكن اهاب أو يهاب ★ و عن جابر قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه وسلم يكون فى آخر الزمان خليفة يقسم المال و لايعده و فى رواية قال يكون فى آخر أمتى خليفة يحثى المال حثيا

أى عن أبى‌هريرة (قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم لاتقوم الساعة حتى يكثر المال) أى ابتلاء فى الحال والمآل (و يفيض) بفتح الياء فيه وفيما قبله وهو عطف تفسير أى يسيل من كثرته من كل جانب كالسيل ليميل الخلق اليه كل الميل (حتى يخرج) بضم الياء أى يفرز (الرجل زكاة ماله فلايجد أحدا يقبلها منه) أى لكثرة المال و لقلة الميل اليه بتشوش الحال (و حتى تعود أرض العرب) أى تصير أو ترجع (مروجا) بالضم أى رياضا كما كانت بنباتاتها و أشجارها و أثمارها (و أنهارا) أى مياها كثيرة جارية فى أنهارها و فى النهاية المرج الارض الواسعة ذات نبات كثير تمرج فيه الدواب أى تخلى تسرح مختلطة كيف شاءت اه و فيه اشارة الى ما قيل من أن الدنيا جنة الحمقى فى انهم يأكلون كما تأكل الانعام غافلين عن العقبى (رواه مسلم و فى رواية له) أى لمسلم (قال تبلغ المساكن) أى تصل نهاية مساكن المدينة (اهاب) بكسر الهمزة و فتح الموحدة (أو يهاب) بكسر الياء التحتية و هو الانسب للازدواج المعتبر عند الفصحاء و البلغاء و فى نسخة صحيحة بفتحها و هما موضعان قرب المدينة فأو للتنويع و عدم صرفهما باعتبار البقعة و المراد كثرة عمارة المدينة و ما حولها و قال شارح أو نهاب بالنون المكسورة و روى بالياء المكسورة قال النووى رحمه الله أما اهاب فبكسر الهمزة و أما يهاب فبياء مثناة تحتية مفتوحة و مكسورة و لم‌يذكر القاضى فى الشرح و المشارق الا الكسر و حكى القاضى رحمه الله عن بعضهم نهاب بالنون و المشهور الاول و قد ذكر فى الكتاب انه موضع بقرب المدينة على أميال منها قال التوربشتى رحمه الله يريد أن المدينة يكثر سوادها حتى يتصل مساكن أهلها باهاب أو يهاب شك الراوى فى اسم الموضع أو كان يدعى بكلا الاسمين فذكر أو للتخيير بينهما و فى التصحيح على ما نقله ميرك ان قوله اهاب بكسر الهمزة و لم‌يصرفه على قصد البقعة و يهاب بياء آخر الحروف مكسورة كذا قيده عياض فى المشارق و قيده غيره بالفتح و قيل فيه نهاب بالنون و كانه تصحيف و الشك فيه من الراوى و فى القاموس الاهاب ككتاب الجلد و كسحاب موضع قرب المدينة و لم‌يذكر فيه يهاب و الله تعالى أعلم بالصواب ★ (و عن جابر قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم يكون) أى يوجد (فى آخر الزمان خليفة) أى سلطان بحق (يقسم المال) أى على المستحقين بالعدل و لا يخزنه كسلاطين زماننا (و لايعده) بفتح الياء و ضم العين و الدال المشددة أى و يعطى كثيرا من غير عد و احصاء بل يكون احسانه جزفا قال ابن الملك رحمه الله و يحتمل كونه من الاعداد و هو جعل الشئ عدة و ذخيرة أى لايدخر لعدو لايكون له خزانة كفعل الانبياء عليهم الصلاة و السلام و قد سبقه شارح حيث قال أما بفتح الياء و ضم العين أى لا يحصيه أو يعد بضم الياء و كسر العين أى لايدخره و هو كذا فى بعض النسخ لكن يضعف هذا الاحتمال مبنى و معنى قوله (و فى رواية قال يكون فى آخر أمتى خليفة يحثى المال) بفتح الياء و كسر المثلثة أى يعطيه بالكفين (حثيا) مفعول مطلق أتى به

و لايعده عدا رواه مسلم ★ و عن أبي هريرة قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم يوشك الفرات ان يحسر عن كنز من ذهب فمن حضر فلايأخذ منه شيأ متفق عليه ★ و عنه قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم لاتقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب يقتتل الناس عليه فيقتل من كل مائة تسعة و تسعون و يقول كل رجل منهم لعلي أكون أنا الذى أنجو رواه مسلم ★ و عنه قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم تقيء الارض أفلاذ كبدها أمثال الاسطوانة

للمبالغة أى حثيا بليغا ثم أكد ذلك بقوله (و لايعده عدا) مصدر بين ان فعله ثلاثى لا رباعى قال النووى رحمه الله تعالى و الحثو الذى يفعله هذا الخليفة يكون لكثرة الاموال و الغنائم و الفتوحات مع سخاء نفسه و قال ابن الملك السر فيه ان ذلك الخليفة يظهر له كنوز الارض أو يعلم الكيمياء أو يكون من كرامته أن ينقلب الحجر ذهبا كما روى عن بعض الاولياء (رواه مسلم ★ و عن أبي هريرة قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم يوشك الفرات أن يحسر) بضم السين و كسرها أى يكشف (عن كنز) ففى النهاية يقال حسرت العمامة عن رأسى و حسرت الثوب عن بدنى أى كشفتهما و قال شارح أى يظهر و يكشف نفسه عن كنز ففيه اشارة الى أن حسر متعد و قال الخلخالى أحد شراح المصابيح أى سيظهر فرات عن نفسه كنزا ففيه ايماء الى أنه وقع القلب فى الكلام فهو من باب عرضت الناقة على الحوض و فى القاموس حسره يحسره و يحسره كشفه و الشئ حصورا انكشف فالفعل متعد و لازم و على تقدير اللزوم لا يحتاج الى تكلف فالاولى حمله عليه فالمعنى يقرب الفرات أن ينكشف عن كنز أى انكشافا صادرا عن كنز عظيم (من ذهب) أى كثير (فمن حضر) أى فالغائب بالاولى (فلايأخذ) بصيغة النهى (منه شيأ) أى لما يترتب على الاخذ منه ما سيأتى من المقاتلة الكثيرة و المنازعة الكبيرة و يحتمل أن يكون فلاياخذ نفيا و يؤيده ما سيأتى من قوله فلايأخذون منه شيأ (متفق عليه) و رواه أبوداود و الترمذى ★ (و عنه) أى عن أبي هريرة (قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم لاتقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب) الظاهر أن القضية متحدة و الرواية متعددة فالمعنى عن كنز عظيم مقدار جبل من ذهب و يحتمل أن يكون هذا غير الاول و يكون الجبل معدنا من ذهب (يقتتل الناس عليه) أى على تحصيله و أخذه (فيقتل من كل مائة تسعة و تسعون) أى من الناس المتقاتلين (و يقول كل رجل منهم) أى من الناس أو من التسعة و التسعين (لعلي أكون أنا الذى أنجو) قال الطيبى رحمه الله هو من باب قوله ★ أنا الذى سمتنى أمى حيدره ★ أى أنا الذى ينجو فنظر الى المبتدا فحمل الخبر عليه لا على الموصول اه أى يرجو كل واحد منهم أن يكون هو الناجى فيقتل الباق فى الحال رجاء أن ينجو فى المآل فيأخذ المال و هذا من سوء الآمال و تضييع الاعمال قال الطيبى رحمه الله فيه كناية لان الاصل أن يقال أنا الذى أفوز به فعدل الى أنجو لانه اذا نجا من القتل تفرد بالمال و ملكه (رواه مسلم ★ وعنه) أى عن أبي هريرة (قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى عليه‌وسلم تقيء الارض) بمضارع من القيء أى تلقى الارض (أفلاذ كبدها) بفتح الهمز جمع الفلذة و هى القطعة المقطوعة طولا و سمى ما فى الارض كبدا تشبيها بالكبد التى فى بطن البعير لانها أحب ما هو مخبأ فيها كما ان الكبد أطيب ما فى بطن الجزور و احبه الى العرب و انما قلنا فى بطن البعير لان ابن الاعرابى قال الفلذ لايكون الا للبعير فالمعنى تظهر كنوزها و تخرجها من بطونها الى ظهورها (أمثال الاسطوان) بضم الهمز و الطاء و فى نسخة صحيحة الاسطوانة فهى

من الذهب و الفضة فيجيء القاتل فيقول فى هذا قتلت و يجيء القاطع فيقول فى هذا قطعت رحمى و يجيء السارق فيقول فى هذا قطعت يدى ثم يدعونه فلاياخذون منه شيأ رواه مسلم ★ و عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم و الذى نفسى بيده لاتذهب الدنيا حتى يمر الرجل على القبر فيتمرغ عليه و يقول يا ليتنى كنت مكان صاحب هذا القبر و ليس به الدين الا البلاء رواه مسلم ★ و عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز

واحدة و الاول جنس و هو الانسب بجمع الامثال و قوله (من الذهب و الفضة) لبيان مجمل الحال قال القاضى رحمه الله معناه ان الارض تلقى من بطنها ما فيه من الكنوز و قيل ما رسخ فيها من العروق المعدنية و يدل عليه قوله أمثال الاسطوانة و شبهها بافلاذ الكباد هيئة و شكلا فانها قطع الكبد المقطوعة طولا أقول و لعل الحديث فيه اشارة الى قوله تعالى اذا زلزلت الارض زلزالها و أخرجت الارض أثقالها (فيجيء القاتل) أى قاتل النفس (فيقول فى هذا) أى فى طلب هذا الغرض و لاجل تحصيل هذا المقصود (قتلت) أى من قتلت من الانفس (و يجيء القاطع) أى قاطع الرحم (فيقول فى هذا قطعت رحمى و يجيء السارق فيقول فى هذا قطعت يدى) بصيغة المجهول و لو روى معلوما لكان له وجه أى تسبب لقطع يدى (ثم يدعونه) بفتح الدال أى يتركون ما قاءه الارض من الكنز أو المعدن (فلاياخذون منه شيأ رواه مسلم) و كذا الترمذى ★ (و عنه) أى عن أبى هريرة رضى الله عنه (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم و الذى نفسى بيده لاتذهب الدنيا) أى لاتفرغ و لاتنقضى (حتى يمر الرجل على القبر) المراد بهما الجنس فهما فى قوة النكرة و يمكن أن يراد بهما الاستغراق فكل فرد فى هذا الاستحقاق (فيتمرغ) أى يتقلب الرجل (عليه) أى فوق القبر و قال ابن الملك أى يتمسك على رأس القبر و يتقلب فى التراب (و يقول يا ليتنى كنت مكان صاحب هذا القبر) أى ميتا (و ليس به الدين) بكسر الدال (الا البلاء) أى الحامل له على التمنى ليس الدين بل البلاء و كثرة المحن و الفتن و سائر الضراء قال المظهر الدين هنا العادة و ليس فى موضع الحال من الضمير فى يتمرغ يعنى يتمرغ على رأس القبر و يتمنى الموت فى حال ليس التمرغ من عادته وانما حمل عليه البلاء و قال الطيبى رحمه الله و يجوز أن يحمل الدين على حقيقته أى ليس ذلك التمرغ و التمنى لامر اصابه من جهة الدين لكن من جهة الدنيا فيفيد البلاء المطلق بالدنيا بواسطة القرينة السابقة (رواه مسلم) أى بهذا اللفظ و اتفقا على لاتقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول يا ليتنى مكانه كذا ذكره ميرك عن التصحيح قلت و هذا اللفظ فى الجامع أسند الى أحمد و الشيخين و أخرج أبونعيم عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخرج الدجال حتى لايكون شئ أحب الى المؤمن من خروج نفسه و أخرج أيضا عن أبى هريرة قال يوشك أن يكون الموت أحب الى المؤمن من الماء البارد يصب عليه العسل فيشربه و أخرج أيضا عن أبى ذر قال ليأتين على الناس زمان تمر الجنازة فيهم فيقول الرجل يا ليت أنى مكانه و أخرج ابن سعد عن أبى سلمة بن عبد الرحمن قال مرض أبوهريرة فأتيت أعوده فقلت اللهم اشف أباهريرة فقال اللهم لاترجعها و قال يوشك يا أباسلمة أن يأتى على الناس زمان يكون الموت أحب الى أحدهم من الذهب الاحمر و يوشك يا أبا سلمة ان بقيت الى قريب أن يأتى الرجل القبر فيقول يا ليتنى مكانك ★ (و عنه) أى عن أبى هريرة (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز)

تضيء أعناق الابل ببصرى متفق عليه ★ و عن أنس أن رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال أول اشراط الساعة نار تحشر الناس من المشرق الى المغرب رواه البخارى

★ (الفصل الثانى) ★ عن أنس قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم لاتقوم الساعة حتى يتقارب الزمان فتكون السنة كالشهر

أى مكة و المدينة و ما حولهما (تضيء) بضم أوله أى تنور (أعناق الابل) جمع العنق بضمتين و هو العضو المعروف و قيل بفتحتين و هو الجماعة (ببصرى) بضم موحدة و هى مدينة حوران بالشام و قيل مدينة قيسارية البصرة قال النووى رحمه الله هكذا الرواية بنصب أعناق و هو مفعول تضيء يقال أضاءت النار و اضاءت غيرها و بصرى بضم الباء مدينة معروفة بالشام و هى مدينة حوران بينها و بين دمشق نحو ثلاث مراحل و قد خرجت فى زماننا نار بالمدينة سنة ست و خمسين و ستمائة و كانت نارا عظيمة خرجت من جنب المدينة شرفها الله تعالى الشرق وراء الحرة و تواتر العلم بها عند جميع أهل الشام و سائر البلدان و أخبرنى من حضرها من أهل المدينة قال التوربشتى رحمه الله رأى هذه النار أهل المدينة و من حولهم رؤية لامرية فيها و لاخفاء فانها لبثت نحوا من خمسين يوما تتقد و ترمى بالاحجار المجمرة بالنار من بطن الارض الى ما حولها مشاكلة للوصف الذى ذكره الله تعالى فى كتابه عن نار جهنم ترمى بشرر كالقصر كانه جمالات صفر و قد سال من ينبوع النار فى تلك الصحارى مد عظيم شبيه بالصفر المذاب فيجمد الشئ بعد الشئ فيوجد شبيها بخبث الحديد قال القاضى رحمه الله فان قلت كيف يصح أن يحمل هذا عليها و قد روى فى الحديث الذى يليه انه صلى‌الله‌عليه‌وسلم أنه قال اول أشراط الساعة نار تحشر الناس و هى لم تحدث بعد قلت لعله لم يرد بذلك أول الاشراط مطلقا بل الاشراط المتصلة بالساعة الدالة على انها تقوم عما قريب فان من الاشراط بعثة النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم و لم تتقدمها تلك النار أو أراد بالنار نار الحرب و الفتن كفتنة التتر فانها سارت من المشرق الى المغرب (متفق عليه) قال ميرك نقلا عن التصحيح و العجب من الحاكم انه أخرجه فى مستدركه على الصحيحين و أسنده من طريق رشد بن سعد عن عقبة عن الزهرى عن ابن المسيب عن أبى هريرة و ساقه بلفظه فستدركه عليهما و هو فيهما و أعجب من هذا روايته له من طريق رشد ابن سعد و هو ضعيف باتفاق الحفاظ اه و قد سبق جوابه بانه أتى باسناد غير اسناد الصحيحين فيكون مستدركا لامستدركا و يدل عليه انه روى من طريق رشد و لعله قوى عنده أو له متابع أو مشاهد ينجبر به مع انه قل راو أجمعوا على ضعفه و الله تعالى أعلم ★(و عن أنس أن رسول‌الله صلى‌الله عليه‌وسلم قال أول أشراط الساعة) سبق الكلام عليه (نار) أى شعلة ساطعة أو فتنة طالعة (تحشر الناس) أى تجمعهم (من المشرق الى المغرب رواه البخارى) و رواه الطيالسى عنه بلفظ أول شئ يحشر الناس نار تحشرهم من المشرق الى المغرب كذا فى الجامع و به يزول الاشكال السابق

★ (الفصل الثانى) ★ (عن أنس قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم لاتقوم الساعة حتى يتقارب الزمان) أى زمان الدنيا و الآخرة أو يتقارب أهل بعضهم من بعض فى الشر أو يتقارب الزمان نفسه فى الشر حتى يشبه أوله آخره أو تقصر الايام و الليالى و هو المناسب هنا لقوله (فتكون) بالرفع و ينصب و هو بالتأنيث و يجوز تذكيره ليلائم عطف الشهر عليه و المعنى فتصير (السنة كالشهر) قال التوربشتى رحمه الله يحمل ذلك على قلة بركة الزمان و ذهاب فائدته فى كل مكان أو على أن الناس لكثرة اهتمامهم بما دهمهم من النوازل و الشدائد و شغل قلبهم بالفتن العظام

و الشهر كالجمعة و تكون الجمعة كاليوم و يكون اليوم كالساعة و تكون الساعة كالضرمة بالنار رواه الترمذى ✱ و عن عبدالله بن حوالة قال بعثنا رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم لنغنم على أقدامنا فرجعنا فلم نغنم شيأ و عرف الجهد فى وجوهنا فقام فينا

لايدرون كيف تنقضى أيامهم و لياليهم فان قيل العرب تستعمل قصر الايام و الليالى فى المسرات و طولها فى المكاره قلنا المعنى الذى يذهبون اليه فى القصر و الطول مفارق للمعنى الذى يذهب اليه فان ذلك راجع الى تمنى الاطالة للرخاء أو الى تمنى القصر للشدة و الذى يذهب اليه راجع الى زوال الاحساس بما يمر عليهم من الزمان لشدة ما هم فيه و ذلك أيضا صحيح (و الشهر) أى و يكون الشهر (كالجمعة) بضم الميم و يسكن و المراد بها الاسبوع (و تكون) بالتأنيث رفعا و ينصب أى و تصير (الجمعة كاليوم) أى كالنهار (و يكون اليوم كالساعة) أى العرفية النجومية و هى جزء من أجزاء القسمة الاثنى عشرية فى اعتدال الازمنة الصيفية و الشتائية(و تكون الساعة كالضرمة بالنار) بفتح الضاد و سكون الراء و يفتح أى مثلها فى سرعة ابتدائها و انقضائها قال القاضى رحمه الله أى كزمان ايقاد الضرمة و هى ما يوقد به النار أولا كالقصب و الكبريت و فى القاموس الضرمة محركة السعفة أو الشيحة فى طرفها نار و فى الازهار الضرمة بفتح المعجمة و سكون الراء غصن النخل و الشيحة نبت فى طرفها نار فانها اذا اشتعلت تحرق سريعا اه فالمراد بها الساعة اللغوية و هى أدنى ما يطلق عليه اسم الزمان من اللمحة و اللحظة و الطرفة قال الخطابى و يكون ذلك فى زمن المهدى أو عيسى عليه‌الصلاة‌والسلام أو كليهما قلت و الاخير هو الاظهر لظهور هذا الامر فى خروج الدجال و هو فى زمانهما قال فان قيل اذا كانت السنة كالشهر والشهر كالجمعة و الجمعة كاليوم و اليوم كالساعة و الساعة كالضرمة فما وجه التقارب و معناه قلنا المراد بذلك أن السنة ذات شهور و جمع و أيام و ساعات فان كل سنة اثنا عشر شهرا و ثمان و أربعون جمعة و ثلثمائة و ستون يوما و أربعة آلاف و ثلثمائة و عشرون ساعة و اذا عادت السنة الى الشهر عادت جمعتها الى جمعة شهر تلك السنة و هى أربع و أيامها الى أيام شهر بتلك السنة و هى ثلاثون يوما و ساعاتها الى ساعات شهر بتلك السنة و هى ثلثمائة و ستون ساعة و نسبة كل منها الى السنة كجزء من اثنى عشر جزأ بلا زيادة و نقص نعم يزيد و ينقص من أمد الضرمة بالنار فانها غير مقدرة شرعا و لاعرفا و لايتبين للناظر فى رأى العين فلذا قال يتقارب الزمان و لم يقل يتساوى الزمان اه و سيأتى لهذا الحديث زيادة تحقيق و بيان و ما يتعلق به من اداء الصلاة فى كل زمان فى حديث النواس من الباب الآتى (رواه الترمذى ✱ و عن عبدالله بن حوالة) بفتح الحاء المهملة و تخفيف الواو قال المؤلف فى فصل الصحابة أزدى نزل الشام روى عنه جبير ابن نفير و غيره (قال بعثنا رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم) أى أرسلنا (لنغنم) أى لنأخذ الغنيمة (على أقدامنا) أى ماشين عليها و هو حال من الضمير فى بعثنا أى بعثنا رجالا غير ركاب (فرجعنا) أى سالمين مأمونين (فلم نغنم شيأ) أى فصرنا مغمومين محزونين (و عرف الجهد) بالفتح و فى نسخة صحيحة بالضم ففى القاموس الجهد الطاقة و يضم و المشقة و قال ابن الملك الجهد بالضم الطاقة و بالفتح المشقة قلت الظاهر انهما لغتان لكل منهما و المراد به هنا المشقة و قد صرح شارح بالفتح و اقتصر عليه السيد فى أصله أى و عرف مشقة ألم فقد الغنيمة (فى وجوهنا) أى فيما ظهر عليها من آثار الكآبة و الحزن و الخجالة و الحياء (فقام) أى خطيبا (فينا) أى لاجلنا أو فيما بيننا

فقال اللهم لاتكلهم الى فاضعف عنهم و لاتكلهم الى أنفسهم فيعجزوا عنها و لاتكلهم الى الناس فيستأثروا عليهم ثم وضع يده على رأسى ثم قال يا ابن حوالة اذا رأيت الخلافة قد نزلت الارض المقدسة فقد دنت الزلازل و البلابل و الامور العظام و الساعة يومئذ أقرب من الناس من يدى هذه الى رأسك رواه ✶ وعن أبى هريرة قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم اذا اتخذ الفىء دولا

(فقال اللهم لاتكلهم) من الوكول أى لاتترك أمورهم (الى) أى الى أمرى (فاضعف عنهم) بالنصب جوابا للنهى و السبب فى ذلك أن الانسان خلق ضعيفا و أن المخلوق من حيث هو عاجز عن نفسه فكيف عن غيره ولذا ورد فى الدعاء النبوى اللهم لاتكلنى الى نفسى طرفة عين و لا أقل من ذلك فانك ان تكلنى الى نفسى تكلنى الى ضعف و عورة و ذنب و خطيئة و انى لا أثق الا برحمتك و قال تعالى قل لا أملك لنفسى ضرا و لانفعا الا ما شاء الله و هذا هو التوحيد المبين بقوله لاحول و لاقوة الا بالله و قد ورد فى حديث رواه ابن عدى فى الكامل ان الياس و الخضر عليهما الصلاة والسلام يلتقيان فى كل عام بالموسم فيحلق كل واحد منهما رأس صاحبه و يفترقان عن هؤلاء الكلمات بسم الله ما شاء لايسوق الخير الا الله ما شاء الله لايصرف السوء الا الله ما شاء الله ما كان من نعمة فمن الله ما شاء الله لاحول و لاقوة الابالله ثم لما كان له القرب الالهى قدم دفع وكولهم اليه أولا ثم قال (و لاتكلهم الى أنفسهم فيعجزوا عنها) بكسر الجيم و تفتح ففى القاموس عجز من باب ضرب و سمع ثم فى تأخير أنفسهم عن نفسه الانفس ايماء الى قوله تعالى النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم (و لاتكلهم الى الناس) أى الى الخلق و انما خص الناس لقرب الاستئناس (فيستأثروا عليهم) عدل عن قوله فيعجزوا لظهوره الى قوله فيستأثروا اشعارا بانهم ما يكتفون باظهار العجز بل يتبادرون الى ان يختاروا الجيد لانفسهم و الردىء لغيرهم ففيه تعليم للامة فى شهود صنع الله و الغيبة عما سواه حتى يكلوا أمورهم اليه و يعتمدوا فى جميع حوائجهم عليه لان من توكل على الله كفاه أمور دينه و دنياه كما قال و من يتوكل على الله فهو حسبه قال الطيبى رحمه الله المعنى لاتفوض أمورهم الى فاضعف عن كفاية مؤنتهم وسد خلتهم و لاتفوضهم الى أنفسهم فيعجزوا عن أنفسهم لكثرة شهواتها و شرورها و لاتفوضهم الى الناس فيختاروا أنفسهم على هؤلاء فيضيعوا بل هم عبادك فافعل بهم ما يفعل السادة بالعبيد (ثم وضع يده على رأسى) أى لحكمة ستأتى مع ما فيه من البركة و هو يحتمل الاستمرار على ذلك المرام حتى فرغ من الكلام و يحتمل انه وضعها ثم رفعها (ثم قال يا ابن حوالة اذا رأيت الخلافة) أى خلافة النبوة (قد نزلت الارض المقدسة) أى من المدينة الى أرض الشام كما وقعت فى امارة بنى أمية (فقد دنت) أى قربت (الزلازل) أى وقوعها و هى مقدمات زلزلة الساعة التى هى شئ عظيم و قد أخبر سبحانه أيضا بقوله اذا زلزلت الارض زلزالها و الزلزلة هى الحركة و الزلزال مصدر (و البلابل) جمع بلبلة ففى النهاية هى الهموم و الاحزان و بلبلة الصدر وسواسه (و الامور العظام) أى من اشراط الساعة (و الساعة يومئذ أقرب من الناس من يدى هذه) أى الموضوعة على رأسك (الى رأسك رواه)
كذا هنا بياض بالاصل و الحق فى الحاشية أبوداود و اسناده حسن و رواه الحاكم فى صحيحه جزرى و الحق فى نسخة رواه أبوداود و الحاكم ✶(و عن أبى هريرة قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم اذا اتخذ) بصيغة المجهول أى اذا أخذ (الفىء) أى الغنيمة (دولا) بكسر الدال و فتح الواو و يضم أوله جمع دولة بالضم و الفتح أى غلبة فى المداولة و المناولة ففى القاموس الدولة انقلاب الزمان

و الامانة مغنما و الزكاة مغرما و تعلم لغير الدين و أطاع الرجل امرأته و عق أمه و أدنى صديقه و أقصى أباه و ظهرت الاصوات فى المساجد و ساد القبيلة فاسقهم و كان زعيم القوم أرذلهم و أكرم الرجل مخافة شره

و العقبة فى المآل و يضم أو الضم فيه و الفتح فى الحرب أو هما سواء أو الضم فى الآخرة و الفتح فى الدنيا الجمع دول مثلثة و فى شرح ابن الملك قال الازهرى الدولة بالضم اسم لما يتناول من المال يعنى الفىء و بالفتح الانتقال من حال البؤس و الضر الى حال السرور قال التوربشتى رحمه الله أى اذا كان الاغنياء و أصحاب المناصب يستأثرون بحقوق الفقراء أو يكون المراد منه ان أموال الفىء تؤخذ غلبة و أثرة صنيع أهل الجاهلية و ذوى العدوان (و الامانة مغنما) أى بان يذهب الناس بودائع بعضهم و أماناتهم فيتخذونها كالمغانم يغنمونها (و الزكاة مغرما) أى بان يشق عليهم أداؤها حتى تعد غرامة (و تعلم) بصيغة المجهول من باب التفعل (لغير الدين) قال الطيبى رحمه الله هو بالالف و اللام كذا فى جامع الترمذى و جامع الاصول و فى نسخة المصابيح بغير اللام و الاولى أولى أى رواية و دراية أى يتعلمون العلم لطلب الجاه و المال لا للدين و نشر الاحكام بين المسلمين لاظهار دين الله (و أطاع الرجل امرأته) أى فيما تامره و تهواه مخالف لامر الله و هداه (و عق أمه) أى خالفها فيما تأمره و تنهاه و فى القرينتين اشعار بانقلاب الدهر لانعكاس الامر كما فى قوله (و أدنى صديقه و أقصى أباه) حيث قرب صديقه الاجنبى اليه و بعد أقرب الاقربين منه مع أنه أشفق الاشفقين عليه هذا و قال ابن الملك خص عقوق الام بالذكر و ان كان عقوق كل من الابوين معدودا من الكبائر لتأكد حقها أو لكون قوله و أقصى أباه بمنزلة وعق أباه فيكون عقوقهما مذكورا أقول ففيه تفنن و تسجيع مع زيادة المبالغة فى قوله أقصى على قوله عق على انه يفهم عقوق الاب من عقوق الام بالاولى و قال الطيبى رحمه الله قوله و أدنى صديقه و أقصى أباه كلاهما قرينة لقوله و أطاع الرجل امرأته و عق أمه لكن المذموم فى الاولى الجمع بينهما لان ادناء الصديق محمود بخلاف الثانية فان الافراد و الجمع بينهما مذمومان أقول فيه نظر لان اطاعة المرأة و الام فى المباح مندوبتان و فى المعصية منهيتان فالغرابة بينهما انما هى فى انعكاس القضية و انقلاب البلية و كذا فى القرينتين الاولين اذ يتصور ادناء الصديق الصالح و ابعاد الاب الصالح و يؤيد ما حررناه قوله فرجح جانب الزوجة لانها محل الشهوة على جانب الام فانها مرضاة الرب و خص الام بالذكر لزيادة حقها و تأكد مشقتها فى تربيته فعقوقها أقبح من عقوق الاب و أدنى صديقه أى قربه الى نفسه للمؤانسة و المجالسة و أقصى أباه أبعده و لم يستصحبه و لم يستأنس به (و ظهرت الاصوات) أى رفعها (فى المساجد) و هذا مما كثر فى هذا الزمان و قد نص بعض علمائنا بان رفع الصوت فى المسجد و لو بالذكر حرام (و ساد القبيلة) و فى معناه البلد و المحلة (فاسقهم) و ظالمهم بالاولى و قد كثر هذا أيضا و الظاهر ان الكثرة هى العلامة و الا فلم يكن يخلو زمان عن مثل هذه الاشياء و قد قال تعالى و كذلك جعلنا فى كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها (و كان زعيم القوم) أى المتكفل بامرهم (أرذلهم) أى أبخلهم أو أكثرهم رذالة فى النسب و الحسب قال السيوطى زعيم القوم رئيسهم و فى القاموس الزعيم الكفيل و سيد القوم و رئيسهم و المتكلم عنهم ثم أعلم ان النسخ جميعها على رفع زعيم و نصب أرذلهم و كان الظاهر أن يعكس اللهم الا أن يراد بالزعيم الكريم

و ظهرت القينات و المعازف و شربت الخمور و لعن آخر هذه الامة أولها فارتقبوا عند ذلك ريحا حمراء و زلزلة و خسفا و مسخا و قذفا و آيات

و بالارذل الاحمق و الاخمل و فى المال و الجاه أقل (و أكرم الرجل) أى عظم (مخافة شره) أى لا لسبب غيره من نحو رجاء خيره (و ظهرت القينات) بفتح القاف و سكون التحتية أى الاماء المغنيات (و المعازف) بفتح الميم و كسر الزاى أى و ظهرت آلات اللهو (و شربت) بصيغة المجهول (الخمور) أى أنواع الخمر و المراد انها تشرب شربا ظاهرا (و لعن آخر هذه الامة أولها) فيه أشارة الى ان هذه العلامة من خصوصيات هذه الامة و انها لم تقع فى الامم السابقة و هى المناسبة أن تكون من اشراط الساعة و يؤيده انه لو قيل لليهود و النصارى من أفضل أهل ملتكم قالوا أصحاب موسى و عيسى عليهما الصلاة و السلام قال الطيبى رحمه الله أى طعن الخلف فى السلف و ذكروهم بالسوء و لم يقتدوا بهم فى الاعمال الصالحة فكانه لعنهم أقول اذا كانت الحقيقة متحققة فما الحوج الى العدول عنها الى المعنى المجازى و قد كثرت كثرة لا تخفى فى العالم مع ان الله تعالى قال فى حق الاولين و السابقون الاولون من المهاجرين و الانصار والذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم و رضوا عنه و قال لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة و الكتاب و السنة مشحونان بمناقبهم و فضائلهم و هم الذين نصروا نبيهم فى اجتهاده و جاهدوا فى الله حق جهاده فتحوا بلاد الاسلام و حفظوا الاحكام و سائر العلوم من سيد الانام و انتفعوا بهم علماء الاعلام و مشائخ الكرام و قد علمنا الله فى كتابه ان نقول فى حقهم ربنا اغفر لنا و لاخواننا الذين سبقونا بالايمان و قد ظهرت طائفة لاعنة ملعونة أما كافرة أو مجنونة حيث لم يكتفوا باللعن و الطعن فى حقهم بل نسبوهم الى الكفر بمجرد أوهامهم الفاسدة و افهامهم الكاسدة من أن أبابكر و عمر و عثمان رضى الله تعالى عنهم أخذوا الخلافة و هى حق على بغير حق و الحال ان هذا باطل بالاجماع سلفا و خلفا و لا اعتبار بانكار المنكرين و أى دليل لهم من الكتاب و السنة يكون نصا على خلافة على ثم من خالفه من بعض الصحابة فى أيام خلافته أيضا بناء على اختلاف اجتهاد فليس يستحق اللعن غايته انه كان مخطئا و لو فرضنا انه كان مسيئا فلعله مات تائبا أو باقيا تحت المشيئة مع غالب رجاء المغفرة والشفاعة ببركة الخدمة المتقدمة و قد روى ابن عساكر عن على كرم الله تعالى وجهه مرفوعا يكون لاصحابى زلة يغفر الله لهم لسابقتهم معى فنحن مع كثرة ذنوبنا من الصغائر و الكبائر اذا كنا راجين رحمة ربنا و شفاعة نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فكيف باكابر هذه الامة و بأنصار هذه الملة و من العجيب ان طائفة الرافضة المرفوضة الباغضة المبغوضة أفسق الخلق و أظلمهم و أحمق العالمين و أجهلهم فطوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس هذا و قد قال صلى الله تعالى عليه وسلم لا تذكروا موتاكم الا بخير و قال اذا ذكر أصحابى فامسكوا وقد أخرج ابن عساكر عن جابر مرفوعا حب أبى بكر و عمر من الايمان وبغضهما كفر و حب الانصار من الايمان و بغضهم كفر و حب العرب من الايمان و بغضهم كفر و من سب أصحابى فعليه لعنة الله و من حفظنى فيهم فأنا أحفظه يوم القيامة (فارتقبوا) جواب اذا و المعنى فانتظروا (عند ذلك) أى عند وجود ما ذكر (ريحا حمراء) أى شديدة فى الهواء (و زلزلة) أى حركة عظيمة للارض (و خسفا) أى ذهابا فى الارض و غيبوبة فيها (ومسخا) بتغيير الصور على طبق اختلاف تغير السير (و قذفا) أى رمى حجارة من السماء (و آيات)

تتابع كنظام قطع سلكه فتتابع رواه الترمذى ★ و عن على قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم اذا فعلت أمتى خمس عشرة خصلة حل بها البلاء وعد هذه الخصال و لم‌يذكر تعلم لغير الدين قال و بر صديقه و جفا أباه و قال و شرب الخمر و لبس الحرير رواه الترمذى ★ و عن عبدالله ابن مسعود قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم لاتذهب الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتى يواطئ اسمه اسمى رواه الترمذى و أبوداود

أى علامات أخر لدنو القيامة و قرب الساعة (تتابع) بحذف أحدى التاءين أى يتبع بعضها بعضا (كنظام) بكسر النون أى عقد من نحو جوهر و خرز (قطع سلكه) بكسر السين أى انقطع خيطه (فتتابع) أى ما فيه من الخرز و هو فعل ماض بخلاف الماضى فانه حال أو استقبال (رواه الترمذى) أى و قال غريب و روى أحمد و الحاكم عن ابن عمر مرفوعا الآيات خرزات منظومات فى سلك فانقطع السلك فيتبع بعضها بعضا ★(و عن على رضى‌الله‌تعالى‌عنه قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه وسلم اذا فعلت أمتى خمس عشرة) بسكون الشين المعجمة و يكسر (خصلة) أى فعلة ذميمة (حل بها البلاء) أى نزل (و عد) أى و أحصى النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم (هذه الخصال) أى الخمس عشرة (و لم‌يذكر) أى على رضى‌الله‌عنه (تعلم لغير الدين) قال الطيبى رحمه الله هذا كلام صاحب المصابيح و ذلك ان الترمذى ذكر الحديثين على الولاء وعد فى كل واحد منهما الاعداد الخمسة عشر (قال) أى على (و بر صديقه) أى بدل أدنى (و جفا أباه) بدل أقصى فهو اختلاف عبارة و كذا قوله (و قال)أى على (و شرب الخمر)أى بدل شربت الخمور بتغيير الفعل و الفاعل (و لبس) بصيغة‌المجهول (الحرير) قال صاحب المختصر هذا بدل من اللعن و هو غير صحيح لان اللعن مذكور فى حديث على رضى‌الله‌عنه فالصواب انه بدل من تعلم لغير الدين فتطابق العددان فى الروايتين فصح قول الطيبى انه عد فى كل واحد منهما الاعداد الخمسة عشر و بطل قول صاحب المختصر ان المجموع خمسة عشر و أما المذكور فى الحديث السابق فستة عشر اه وها أنا أذكر لك مفصلا ما ذكره المؤلف مجملا بل مختصرا مخلا مهملا بقوله (رواه الترمذى) ففى الجامع اذا فعلت أمتى خمس عشرة خصلة حل بها البلاء اذا كان المغنم دولا و الامانة مغنما و الزكاة مغرما و أطاع الرجل زوجته وعق أمه و بر صديقه و جفا أباه و ارتفعت الاصوات فى المساجد و كان زعيم القوم أرذلهم و أكرم الرجل مخافة شره و شربت الخمور و لبس الحرير و اتخذت القينات و المعازف و لعن آخر هذه الامة أولها فليرتقبوا عند ذلك ريحا حمراء أو خسفا أو مسخا رواه الترمذى عن على رضى‌الله‌عنه فاو هنا للتنويع و الواو هناك للجمع و به يحصل الجمع ★(و عن عبدالله بن مسعود قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم لاتذهب الدنيا) أى لاتفنى و لاتنقضى (حتى يملك العرب) أى و من تبعهم من أهل الاسلام فان من أسلم فهو عربى (رجل من أهل بيتى يواطئ) أى يوافق (اسمه اسمى) أى و يطابق رسمه رسمى فانه محمد المهدى و بهديه صلى‌الله‌عليه‌وسلم للناس يهدى و قال الطيبى رحمه الله لم‌يذكر العجم و هم مرادون أيضا لانه اذا ملك العرب و اتفقت كلمتهم و كانوا يدا واحدة قهروا سائر الامم و يؤيده حديث أم سلمة بعيد هذا اه و يمكن أن يقال ذكر العرب لغلبتهم فى زمنه أو لكونهم أشرف أو هو من باب الاكتفاء و مراده العرب و العجم كقوله تعالى سرابيل تقيكم الحر أى و البرد و الاظهر انه اقتصر على ذكر العرب لانهم كلهم يطيعونه بخلاف العجم بمعنى ضد العرب فانه قد يقع منهم خلاف فى طاعته و الله تعالى أعلم (رواه الترمذى و أبوداود

و فی روایة له قال لو لم یبق من الدنیا الا یوم لطول الله ذلک الیوم حتی یبعث الله فیه رجلا منی أو من أهل بیتی یواطئی اسمه اسمی و اسم أبیه اسم أبی یملأ الأرض قسطا و عدلا کما ملئت ظلما و جورا
✶ و عن أم سلمة قالت سمعت رسول الله صلی الله علیه وسلم یقول المهدی من عترتی من أولاد فاطمة

و فی روایة له) أی لابی داود (قال لو لم یبق من الدنیا الا یوم لطول الله ذلک الیوم حتی یبعث الله) أی یظهر (فیه) أی فی ذلک الیوم (رجلا) أی کاملا (منی) أی من نسبی (أو من أهل بیتی) شک من الراوی و لفظ الجامع حتی یبعث فیه رجل من أهل بیتی و اختلف فی أنه من بنی الحسن أو من بنی الحسین و یمکن أن یکون جامعا بین النسبتین الحسنین و الاظهر انه من جهة الاب حسنی و من جانب الام حسینی قیاسا علی ما وقع فی ولدی ابراهیم و هما اسمعیل و اسحق علیهم الصلاة والسلام حیث کان أنبیاء بنی اسرائیل کلهم من بنی اسحق و انما نبئی من ذریة اسمعیل نبینا صلی الله علیه وسلم و قام مقام الکل و نعم العوض و صار خاتم الانبیاء فکذلک لما ظهرت أکثر الائمة و أکابر الامة من أولاد الحسین فناسب أن ینجبر الحسن بان أعطی له ولد یکون خاتم الاولیاء و یقوم مقام سائر الاصفیاء علی انه قد قیل لما نزل الحسن رضی الله تعالی عنه عن الخلافة الصوریة کما ورد فی منقبته فی الاحادیث النبویة أعطی له لواء ولایة المرتبة القطبیة فالمناسب أن یکون من جملتها النسبة المهدویة المقارنة للنبوة العیسویة و اتفاقهما علی أعلاء کلمة الملة النبویة علی صاحبها ألوف السلام و آلاف التحیة و سیأتی فی حدیث أبی اسحق عن علی کرم الله تعالی وجهه ما هو صریح فی هذا المعنی و الله تعالی أعلم (یواطئی اسمه اسمی و اسم أبیه اسم أبی). فیکون محمد بن عبدالله فیه رد علی الشیعة حیث یقولون المهدی الموعود هو القائم المنتظر و هو محمد بن الحسن العسکری (یملأ الارض) استئناف مبین لحسبه کما ان ما قبله معین لنسبه أی یملأ وجه الارض جمیعا أو ارض العرب و ما یتبعها و المراد أهلها (قسطا) بکسر أوله و تفسیره قوله (وعدلا) أتی بهما تأکیدا و کذا الجمع فی قوله (کما ملئت) أی الارض قبل ظهوره (ظلما و جورا) علی انه یمکن ان یغایر بینهما بان یجعل الظلم هنا قاصرا لازما و الجور تعدیا متعدیا و کذلک یحتمل ان یراد بالقسط اعطاء کل ذی حق حقه و بالعدل النصفة و الحکم بمیزان الشریعة و انتصار المظلوم و انتقامه من الظالم فیکون جامعا لما قال تعالی ان الله یأمر بالعدل و الاحسان و قائما بما قاله العلماء من ان الدین هو التعظیم لامر الله و الشفقة علی خلق الله و موصوفا بوصف الکمال و هو اجراء کل من تجلی الجمال و تجلی الجلال فی محله اللائق بکل حال من الاحوال هذا و رواه أحمد و أبوداود عن علی رضی الله تعالی عنه مرفوعا لو لم یبق من الدهر الا یوم لبعث الله تعالی رجلا من أهل بیتی یملأها عدلا کما ملئت جورا و رواه ابن ماجه عن أبی هریرة مرفوعا لو لم یبق من الدنیا الا یوم لطول الله ذلک الیوم حتی یملک رجل من أهل بیتی یملک جبال الدیلم و القسطنطینیة و فی القاموس الدیلم جیل معروف و رواه الرویانی عن حذیفة مرفوعا المهدی رجل من ولدی وجهه کالکوکب الدری ✶(و عن أم سلمة) رضی الله عنها و هی من أمهات المؤمنین (قالت سمعت رسول الله صلی الله علیه وسلم یقول المهدی من عترتی) قال بعض الشراح العترة ولد الرجل من صلبه و قد تکون العترة الاقرباء أیضا و هی العمومة قلت المعنیان لایلائمان بیانه بقوله (من أولاد فاطمة) رضی الله تعالی عنها و فی النهایة عترة الرجل أخص أقاربه و عترة النبی صلی الله علیه وسلم بنو عبد المطلب و قیل قریش کلهم و المشهور المعروف

رواه أبوداود ★ و عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول‌الله صلی‌الله‌عليه‌وسلم المهدی مني أجلی الجبهة أقنی الانف يملأ الارض قسطا و عدلا كما ملئت ظلما و جورا يملك سبع سنين رواه أبوداود ★ وعنه عن النبي صلی‌الله‌عليه‌وسلم في قصة المهدی قال فيجیء اليه الرجل فيقول يا مهدی اعطني اعطني قال فيحثی له في ثوبه ما استطاع ان يحمله رواه الترمذی ★ وعن أم سلمة عن النبي صلی‌الله عليه‌وسلم قال يكون اختلاف عند موت خليفة فيخرج رجل من أهل المدينة

انهم الذين حرمت عليهم الزكاة أقول المعنی الاول هو المناسب للمرام و هو لا ينافی ان يطلق علی غير بحسب ما يقتضيه المقام و قيل عترته أهل بيته لخبر ورد و قيل أزواجه و ذريته و قيل أهله و عشيرته الاقربون و قيل نسله و رهطه الادنون و عليه اقتصر الجوهری قلت و هو الذی ينبغی هنا أن عليه يقتصر و يختصر (رواه أبوداود) و كذا ابن ماجه و رواه الحاكم و صححه و أما ما رواه الدارقطني في الافراد عن عثمان رضی‌الله‌تعالی‌عنه المهدی من ولد العباس عمي فمع ضعف اسناده محمول علی المهدی الذی وجد من الخلفاء العباسية أو يكون للمهدی الموعود أيضا نسبة نسبية الی العباسية فقد رواه أحمد و ابن ماجه عن علي مرفوعا المهدی من أهل البيت يصلحه الله في ليلة أی يصلح أمره و يرفع قدره في ليلة واحدة أو في ساعة واحدة من الليل حيث يتفق علی خلافته أهل الحل و العقد فيها ★(و عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول‌الله صلی‌الله عليه‌وسلم المهدی مني) أی من نسلي و ذريتي أو من عشيرتي و أهل بيتي (أجلی الجبهة) قال شارح أی واسعها و في النهاية خفيف الشعر ما بين النزعتين من الصدغين و الذی انحسر الشعر عن جبهته كذا ذكره الطيبي رحمه الله تعالی مختصرا و في النهاية النزعتان من جانبي الرأس مما لا شعر عليه و الجلا مقصورا انحسار مقدم الرأس من الشعر أو نصف الرأس أو هو دون الصلع و النعت أجلی و جلواء و جبهة جلواء واسعة فهذا يؤيد قول الشارح السابق و هو الموافق للمقام و المطابق (أقنی الانف) أی مرتفعه كذا قال شارح و في النهاية القنا في الانف طوله و دقة أرنبته مع حدب في وسطه يقال رجل أقنی و مرأة قنواء انتهی ففي الكلام تجريد و الارنبة طرف الانف علی ما في القاموس و الحدب الارتفاع و هو ضد الانخفاض و المراد انه لم يكن افطس فانه مكروه الهيئة (يملأ الارض قسطا و عدلا كما ملئت ظلما ، جورا يملك سبع سنين) و أما ما سيأتي من قول راو أو ثمان سنين أو تسع سنين فهو شك منه فيحتمل ان هذه الرواية مجزومة بالسبع و يؤيده ما سيأتي من رواية أبي‌داود أيضا عن أم سلمة و يحتمل أن تكون مشكوكة و طرح الشك و لم يذكره و اكتفی باليقين و الله تعالی أعلم (رواه أبوداود) و صححه ابن العربي و رواه الحاكم في مستدركه ★(وعنه) أی عن أبي سعيد (عن النبي صلی‌الله‌تعالی‌عليه‌وسلم في قصة المهدی قال فيجیء اليه الرجل فيقول يا مهدی اعطني أعطني) التكرير للتأكيد و يمكن أن يقول أعطني مرة بعد أخری لما تعود من كرمه و احسانه (قال) أی النبي صلی‌الله‌تعالی‌عليه‌وسلم (فيحثی له في ثوبه ما استطاع أن يحمله) لما رأی من حرصه علی المال و مطالبته منه في كل الاحوال فاغناه عن السؤال و خلص نفسه عن الملال (رواه الترمذی ★ و عن أم‌سلمة عن النبي صلی‌الله‌تعالی‌عليه وسلم قال يكون) أی يقع (اختلاف) أی فيما بين أهل الحل و العقد (عند موت خليفة) أی حكمية و هی الحكومة السلطانية بالغلبة التسليطية (فيخرج رجل من أهل المدينة) أی كراهية لاخذ منصب الامارة أو خوفا من الفتنة الواقعة فيها و هی المدينة المعطرة أو المدينة التي فيها

هاربا الى مكة فيأتيه ناس من أهل مكة فيخرجونه و هو كاره فيبايعونه بين الركن و المقام و يبعث اليه البعث من الشام فيخسف بهم بالبيداء بين مكة و المدينة فاذا رأى الناس ذلك أتاه ابدال الشام

الخليفة (هاربا الى مكة) لانها مأمن كل من التجأ اليها و معبد كل من سكن فيها قال الطيبى رحمه الله وهو المهدى بدليل ايراد هذا الحديث أبوداود فى باب المهدى (فيأتيه ناس من أهل مكة) أى بعد ظهور أمره و معرفة نور قدره (فيخرجونه) أى من بيته (و هو كاره) أما بلية الامارة و أما خشية الفتنة و الجملة حالية معترضة (فيبايعونه بين الركن) أى الركن الاسعد و هو الحجر الاسود (و المقام) أى مقام ابراهيم عليه الصلاة و السلام و يقع ما بين زمزم أيضا شرفه الله و هذا المثلث هو المسمى بالحطيم من الزمن القديم و سمى به لان من حلف فيه و حنث أو خالف العهد و نقض حطم أى كسر رقبته و قطع حجته و هلك دولته (و يبعث اليه) بصيغة المجهول أى يرسل الى حربه و قتاله مع أنه من أولاد سيد الانام و أقام فى بلد الله الحرام (بعث من الشام) أى جيش من أهل الشام و الملام (فيخسف بهم) أى كرامة للامام (بالبيداء) بفتح الموحدة و سكون التحتية (بين مكة و المدينة) و لعل تقديم مكة لفضيلتها و تقدمها قال التوربشتى رحمه الله هى أرض ملساء بين الحرمين و فى الحديث يخسف بالبيداء بين المسجدين و ليست بالبيداء التى امام ذى الحليفة و هى شرف من الارض قلت ولابدع أن تكون هى أياها مع انها المتبادر منها و لعل الشيخ ظفر بنقل صريح أو بنى على أن الطريق أهل الشام من قديم الايام ليس على المدينة و لهذا جعل ميقاتهم الجحفة لكنهم عدلوا عن طريقهم المشهورة و مالوا الى دخول المدينة المطهرة لمصالح دينية و منافع دنيوية و أما اذا كان غرضهم محاربة المهدى فمن المعلوم انهم ما يطولون على أنفسهم المسافة بل يريدون المسابقة و المسارعة الى المحاربة و المسايفة (فاذا رأى الناس ذلك) أى ما ذكر من خرق العادة و ما جعل للمهدى من العلامة (أتاه ابدال الشام) و نعم البدل من الكرام عن اللئام و فى النهاية ابدال الشام هم الاولياء و العباد الواحد بدل كجمل أو بدل كحمل سموا بذلك لانه كلما مات منهم واحد بدل بآخر قال الجوهرى الابدال قوم من الصالحين لا تخلو الدنيا منهم اذا مات واحد أبدل الله مكانه بآخر قال ابن دريد واحده بديل قلت و يؤيده انه يقال لهم بدلاء أيضا فيكون نظير شريف و اشراف و شرفاء ثم قيل انهم سموا ابدالا لانهم قد يرتحلون الى مكان ويقيمون فى مكانهم الاول شبحا آخر شبيها بشبحهم الاصلى بدلا عنه و فى القاموس الابدال قوم بهم يقيم الله عزوجل الارض و هم سبعون أربعون بالشام و ثلاثون فى غيرها انتهى و الظاهر ان المراد بالشام جهته و ما يليه من ورائه لا بخصوص دمشق الشام و الله تعالى أعلم بالمرام ثم يحتمل انهم سموا ابدالا لانهم أبدلوا الاخلاق الدنية بالشمائل الرضية أو لانهم ممن بدل الله سيآتهم حسنات و قال القطب الحقانى الشيخ عبدالقادر الجيلانى انما سموا ابدالا لانهم فنوا عن اراداتهم فبدلت بارادة الحق عزوجل فيريدون بارادة الحق أبدا الى الوفاة فذنوب هؤلاء السادة أن يشركوا ارادة الحق باراداتهم على وجه السهو و النسيان و غلبة الحال و الدهشة فيدركهم الله تعالى برحمته باليقظة و التذكرة فيرجعون عن ذلك و يستغفرون ربهم عزوجل أقول و لعل العارف ابن الفارض أشار الى هذا المعنى فى قوله و لو خطرت لى فى سواك ارادة ✦ على خاطرى سهوا حكمت بردتى

و عصائب أهل العراق فيبايعونه ثم ينشأ رجل من قريش أخواله كلب فيبعث اليهم بعثا فيظهرون عليهم و ذلك بعث كلب و يعمل فى الناس بسنة نبيهم و يلقى الاسلام بجرانه فى الارض فيلبث سبع سنين ثم يتوفى و يصلى عليه المسلمون رواه أبوداود

فان حسنات الابرار سيآت المقربين و قد علم كل أناس مشربهم من ماء معين و الله المعين (وعصائب أهل العراق) أى خيارهم من قولهم عصبة القوم خيارهم و لعله من قوله تعالى و نحن عصبة أو طوائفهم فان العصابة تأتى بمعنى الجماعة يتعصب بعضهم لبعض و شد بعضهم ظهر بعض و تعضده و فى النهاية العصائب جمع عصابة و هى الجماعة من الناس من العشرة الى الاربعين و لا واحد لها من لفظها و منه حديث على رضى الله تعالى عنه الابدال بالشام و النجباء بمصر و العصائب بالعراق أراد أن التجمع للحروب يكون بالعراق و قيل أراد جماعة من الزهاد سماهم بالعصائب لانه قرنهم بالابدال و النجباء ذكر أبو نعيم الاصفهانى فى حلية الاولياء باسناده عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خيار أمتى فى كل قرن خمسمائة و الابدال أربعون فلا الخمسمائة ينقصون و لا الاربعون كلما مات رجل أبدل الله عزوجل من الخمسمائة مكانه و أدخل فى الاربعين و كانهم قالوا يا رسول الله دلنا على أعمالهم قال يعفون عمن ظلمهم و يحسنون الى من أساء اليهم و يتواسون فيما آتاهم الله عزوجل و باسناده أيضا عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان لله عزوجل فى الخلق سبعة و ساق الحديث الى قوله فبهم يحيى و يميت و يمطر و ينبت و يدفع البلاء قيل لعبد الله بن مسعود كيف بهم يحيى و يميت قال لانهم يسألون الله عزوجل اكثار الامم فيكثرون و يدعون على الجبابرة فيقصمون و يستسقون فيسقون و يسألون فتنبت لهم الارض و يدعون فيدفع بهم أنواع البلاء انتهى و المعنى أن الابدال و العصائب يأتون المهدى (فيبايعونه ثم ينشأ) أى يظهر ((رجل من قريش) هذا هو القوى الذى يخالف المهدى (أخواله كلب) و هم قبيلة فتكون أمه كلبية و فيه أشارة خفية و بشارة جلية و تفاؤل بغلبة ذرية خير البرية قال التوربشتى رحمه الله يريد أن أم القرشى تكون كلبية فينازع المهدى فى أمره و يستعين عليه بأخواله من بنى كلب (فيبعث) أى الكلبى (اليهم) أى الى المبايعين للمهدي (بعثا) أى جيشا (فيظهرون عليهم) أى فيغلب المبايعون على البعث الذى بعثه الكلبى (وذلك) أى البعث (بعث كلب) أى جيش كلب باعثه هوى نفس الكلبى (و يعمل) أى المهدى فى الناس (بسنة نبيهم) أى شريعته (و يلقى) بضم أوله أى يرمى و يرخى (الاسلام) أى المشبه بالبعير المنقاد للانام (بجرانه) بكسر الجيم فراء و نون و هو مقدم عنقه أى بكماله ففيه مجاز التعبير عن الكل بالجزء كاطلاق الرقبة على المملوك و فى النهاية الجران باطن العنق و منه الحديث أن ناقته صلى الله تعالى عليه وسلم وضعت جرانها و حديث عائشة رضى الله تعالى عنها حتى ضرب الحق بجرانه أى قر الاسلام و استقر قراره و استقام كما أن البعير اذا برك و استراح مد عنقه على الارض قيل ضرب الجران مثل للاسلام اذا استقر قراره فلم يكن فتنة و جرت أحكامه على السنة و الاستقامة و العدل (فيلبث) بفتح الياء و الموحدة أى المهدى بعد ظهوره (سبع سنين ثم يتوفى و يصلى عليه المسلمون رواه أبوداود) قال الحافظ السيوطى رحمه الله فى تعليقه على أبى داود لم يرد فى الكتب الستة ذكر الابدال الا فى هذا الحديث عند أبى داود و قد أخرجه الحاكم و صححه و قال الشيخ زكريا رحمه الله فى رسالته المشتملة

على تعريف غالب ألفاظ الصوفية القطب و يقال له الغوث هو الواحد الذى هو محل نظر الله تعالى من العالم فى كل زمان أى نظرا خاصا يترتب عليه افاضة الفيض و استفاضته فهو الواسطة فى ذلك بين الله تعالى و بين عباده فيقسم الفيض المعنوى على أهل بلاده بحسب تقديره و مراده ثم قال الاوتاد أربعة منازلهم على منازل الاركان من العالم شرق و غرب و شمال و جنوب مقام كل منهم مقام تلك الجهة قلت فهم الاقطاب فى الاقطار يأخذون الفيض من قطب الاقطاب المسمى بالغوث الاعظم فهم بمنزلة الوزراء تحت حكم الوزير الاعظم فاذا مات القطب الافخم أبدل من هذه الاربعة أحد بدله غالبا ثم قال الابدال قوم صالحون لا تخلو الدنيا منهم اذا مات واحد منهم أبدل الله مكانه آخر و هم سبعة قلت الابدال اللغوى صادق على رجال الغيب جميعا و قد سبق للبدل معنى آخر فالاولى حمله عليه و لعلهم خصوا بذلك لكثرتهم و لحصول كثرة البدل فيهم لغلبتهم فانهم أربعون على ما فى الحديث السابق أو سبعون على ما ذكره صاحب القاموس فقوله و هم سبعة وهم ثم قال النقباء هم الذين استخرجوا خبايا النفوس و هم ثلثمائة أقول لعله أخذ هذا المعنى من النقب بمعنى الثقب و الاظهر ان النقباء جمع نقيب و هو شاهد القوم و ضمينهم و عريفهم على ما فى القاموس و منه قوله تعالى و بعثنا منهم اثنى عشر نقيبا أى شاهدا من كل سبط ينقب عن أحوال قومه و يفتش عنها أو كفيلا يكفل عليهم بالوفاء بما أمروا به و عاهدوا عليه على ما فى البيضاوى و الظاهر انهم خمسمائة على ما سبق فى الحديث ثم قال النجباء هم المشتغلون بحمل اثقال الخلق و هم أربعون أقول كانه أخذ هذا المعنى من اللغة ففى القاموس ناقة نجيب و نجيبة و جمعه نجائب و الانسب ما ذكر فيه أيضا من ان النجيب الكريم و الجمع نجباء و المنتجب المختار و نجائب القرآن أفضله هذا و قد أخرج ابن عساكر عن ابن مسعود مرفوعا ان الله تعالى ثلاثمائة نفس قلوبهم على قلب آدم عليه الصلاة و السلام و له أربعون قلوبهم على قلب موسى عليه الصلاة و السلام و له سبعة قلوبهم على قلب ابراهيم عليه الصلاة و السلام و له خمسة قلوبهم على قلب جبريل عليه الصلاة و السلام و له ثلاثة قلوبهم على قلب ميكائيل عليه الصلاة و السلام و له واحد قلبه على قلب اسرافيل عليه الصلاة و السلام كلما مات الواحد أبدل الله مكانه من الثلاثة و كلما مات واحد من الثلاثة أبدل الله مكانه من الخمسة وكلما مات من الخمسة واحد أبدل الله مكانه من السبعة وكلما مات واحد من السبعة أبدل الله مكانه من الاربعين وكلما مات واحد من الاربعين أبدل الله مكانه من الثلاث مائة و كلما مات واحد من الثلاثمائة أبدل الله مكانه من العامة بهم يدفع الله الهم عن هذه الامة انتهى و أرجو من الله تعالى و حسن فضله و كرمه و عموم جوده انه اذا وقع محلولا من هذه المناصب العلية أن يجعلنى منصوبا على طريق البدلية و لو من مرتبة العامة الى أدنى مرتبة الخاصة و يتم على هذه النعمة مع الزيادة الى حسن الخاتمة ثم فى الحديث دلالة على ما ذكرنا من الاحتمال ان الابدال لا تكون من خواص الابدال بل تعم الرجال من أرباب الاحوال و فيه تنبيه نبيه على انه لم يذكر ان أحدا يكون على قلب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اذ لم يخلق الله فى عالمى الخلق و الامر أشرف و الطف من قلبه الاكرم صلى الله تعالى عليه وسلم و فيه أيضا ما يشعر بظاهره بتفضيل خواص الملك على خواص البشر و كذا تفضيل اسرافيل و ميكائيل على جبرائيل و الجمهور على خلاف ذلك و الله تعالى أعلم هذا و قال العارف الصمدانى الشيخ علاء الدولة السمنانى فى العروة الوثقى ان الابدال من بدلاء السبعة كما أخبر عنه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال هو من السبعة و سيدهم أقول

لابد من ثبوت هذا من ثقات و سندهم قال و كان القطب فى زمان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عم اويس القرنى عصام فحرى أن يقول انى لاجد نفس الرحمن من قبل اليمن و هو مظهر خاص للتجلى الرحمانى كما كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم مظهرا خاصا للتجلى الالهى المخصوص باسم الذات و هو الله قلت هذا يفيد مؤيدا لما سبق من ان أحدا لم يشاركه صلى الله تعالى عليه وسلم فى مقامه الاعظم لكن فى كون القطبية لعصام و هو غير معروف فى انه من الصحابة أو التابعين بخلاف اويس فانه مشهور و قد ورد فى حقه انه سيد التابعين اشكالا عظيما فانه كيف يكون له القطبية الكبرى مع وجود الخلفاء الاربعة و سائر فضلاء الصحابة الذين هم أفضل الناس بعد الانبياء بالاجماع و أيضا فقد قال اليافعى رحمه الله و قد سترت أحوال القطب و هو الغوث عن العامة و الخاصة غيرة من الحق عليه لكنى أقول الظاهر ان هذا غالبى لثبوت القطبية للسيد عبدالقادر رحمه الله بلانزاع ثم أعلم ان كثيرا من الناس ادعوا انه المهدى فمنهم من أراد المعنى اللغوى فلا اشكال و منهم من ادعى باطلا و زورا و اجتمع عليه جمع من الاوباش و أراد الفساد فى البلاد فقتل و استراح منه العباد و منهم من رأى واقعة الحال فحملها شيخه على الآفاق و كان حقه ان يحملها على الانفس لئلايحصل الاختلال و هو رئيس النوربخشية أحد مشائخ الكبروية و قد ظهر فى البلاد الهندية جماعة تسمى المهدوية و لهم رياضات عملية و كشوفات سفلية و جهالات ظاهرية من جملتها انهم يعتقدون ان المهدى الموعود هو شيخهم الذى ظهر و مات و دفن فى بعض بلاد خراسان و ليس يظهر غيره مهدى فى الوجود و من ضلالتهم انهم يعتقدون ان من لم يكن على هذه العقيدة فهو كافر و قد جمع شيخنا العارف بالله الولى الشيخ على المتقى رحمه الله رسالة جامعة فى علامات المهدى منتخبة من رسائل السيوطى رحمه الله و استفتى من علماء عصره الموجودين فى مكة من المذاهب الاربعة و قد افتوا بوجوب قتلهم على من يقدر من و لاة الامر عليهم و كذا معتقد الطائفة الشيعة من الامامية إن المهدى الموعود هو محمد بن حسن العسكرى و انه لم يمت بل هو مختف عن أعين الناس من العوام و الاعيان و انه امام الزمان و انه سيظهر فى وقته و يحكم فى دولته و هو مردود عند أهل السنة و الجماعة و الادلة مستوفاة فى الكتب الكلامية و قد صرح فى العروة الوثقى بان محمد بن الحسن العسكرى اذا اختفى دخل فى دائرة الابدال أولا و بقى فيهم حتى لم يبق منهم أحد فصار سيد الابدال ثم دخل فى دائرة الابطال يعنى دائرة الاربعين و بقى فيهم حتى لم يبق منهم أحد فصار سيد الابطال ثم دخل فى دائرة السياح و هم السبعة و بقى فيهم أحد فصار سيد السياح ثم دخل فى دائرة الاوتاد و هم الخمسة و بقى فيهم حتى لم يبق منهم أحد فصار سيد الاوتاد ثم دخل فى دائرة الافذاذ و هم الثلاثة و بقى فيهم حتى لم يبق منهم أحد فصار سيد الافذاذ ثم جلس على الاريكة القطبية بعد ان توفى الله على بن الحسن البغدادى القطب اليه و انه دفن فى بغداد فى الشونيز بروح و ريحان و بقى فى المرتبة القطبية تسع عشرة سنة ثم توفاه الله اليه بروح و ريحان انتهى و قد نقل مولانا عبدالرحمن الجامى قدس الله سره السامى هذا عنه فى بعض كتبه و اعتمد عليه فى اعتقاده لكن لايخفى ان الشيخ علاء الدولة ظهر بعد محمد بن الحسن العسكرى بزمان كثير و لم يسند هذا القول الى من كان فى ذلك الوقت و الظاهر انه يدعى هذا من طريق الكشف و كذا لايمكن من غيره أيضا الا كذلك و لايخفى ان مبنى الاعتقاد لايكون الا على الادلة اليقينية و مثل هذا المعنى الذى أساسه على ذلك المبنى لايصلح أن يكون من الادلة الظنية ولذا لم يعتبر أحد من الفقهاء جواز العمل فى الفروع الفقهية بما يظهر للصوفية

★ و عن أبي سعيد قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلاء يصيب هذه الامة حتى لايجد الرجل ملجأ يلجأ اليه من الظلم فيبعث الله رجلا من عترتي و أهل بيتي فيملأ به الارض قسطا و عدلا كما ملئت ظلما و جورا يرضى عنه ساكن السماء و ساكن الارض لاتدع السماء من قطرها شيأ الاصبته مدرارا و لاتدع الارض من نباتها شيأ الا أخرجته حتى يتمنى الاحياء الاموات يعيش فى ذلك سبع سنين أو ثمان سنين أو تسع سنين رواه الحاكم ★ وعن على قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج رجل من وراء النهر يقال له الحارث حراث على مقدمته رجل يقال له منصور

من الامور الكشفية أو من الحالات المنامية و لو كانت منسوبة الى الحضرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة و أكمل التحية لكن الاحاديث الواردة فى أحوال المهدى مما جمعه السيوطى رحمه الله و غيره ترد على الشيعة فى اعتقاداتهم الفاسدة و آرائهم الكاسدة بل جعلوا تمام ايمانهم و بناء اسلامهم و أركان أحكامهم بان محمد بن الحسن العسكرى هو الحى القائم المنتظر و هو المهدى الموعود على لسان صاحب المقام المحمود و الحوض المورود ★(و عن أبي سعيد قال ذكر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بلاء) أى عظيما (يصيب هذه الامة حتى لايجد الرجل ملجأ) أى ملاذا (يلجأ اليه) أى يعوذ و يلوذ به (من الظلم) أى بلاء ناشئا من الظلم العام (فيبعث الله رجلا) أى كاملا عادلا عالما عاملا و هو المهدى (من عترتى) أى أقاربى (و أهل بيتى) أى من أخصهم (فيملأ) أى الله (به) أى بسبب وجود ذلك الرجل (الارض) أى جميعها و فى نسخة ضعيفة تملأ بالتأنيث مجهولا فالارض مرفوع (قسطا و عدلا) تمييز من النسبة (كما ملئت) أى بغيره (ظلما و جورا يرضى عنه ساكن السماء) أى جنسه من الملائكة و أرواح الانبياء عليهم الصلاة والسلام (و ساكن الارض) أى من المؤمنين أو حتى الدواب فى البر و الحيتان فى البحر كما سبق فى فضل العلماء و الجملة استئناف بيان كقوله (لاتدع السماء) أى لاتترك فى زمانه (من قطرها شيأ) أى من أقطار أمطارها (الا صبته) أى كبته (مدرارا) فى الفائق المدرار الكثير الدر و مفعال مما يستوى فيه المذكر و المؤنث كقولهم امرأة معطار و مطفال و هو منصوب على الحال من السماء أى من فاعل صبته (و لاتدع الارض من نباتها) أى من أنواع نباتاتها و أصنافها (شيأ الا أخرجته) أى أنبتته و أظهرته (حتى يتمنى الاحياء) بفتح الهمزة جمع الحى مرفوع و أخطأ من كسر الهمزة و نصبه (الاموات) بالنصب و من عكس الترتيب لم يصب قال التوربشتى رحمه الله الاحياء رفع بالفاعلية و فى الكلام حذف أى يتمنون حياة الاموات أو كونهم أحياء و انما يتمنون ليروا ما هم فيه من الخير و الامن و يشاركوهم فيه و من زعم فيه الاحياء بالنصب من باب الافعال و فاعل التمنى الاموات فقد أحال (يعيش) أى المهدى (فى ذلك) أى فيما ذكر من العدل و أنواع الخير (سبع سنين) و هو مجزوم به فى أكثر الروايات (أو ثمان سنين) شك من الراوى و كذا قوله (أو تسع سنين رواه) ترك هنا بياضا فى الاصل و الحق به رواه الحاكم فى مستدركه و قال صحيح لكن نقل الجزرى ان الذهبى قال اسناده مظلم ★(و عن على رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يخرج رجل) أى صالح (من وراء النهر) أى مما وراءه من البلدان كبخارى و سمرقند و نحوهما (يقال له الحارث) اسم له و قوله (حراث) بتشديد الراء صفة له أى زراع (على مقدمته) أى مقدمة جيشه (رجل يقال له منصور) اسم له او صفة و قيل المراد به أبو منصور الماتريدى و هو امام جليل

يوطن أو يمكن لآل محمد كما مكنت قريش لرسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم وجب على كل مؤمن نصره أو قال أجابته رواه أبوداود ★ وعن أبي سعيد الخدري قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم والذى نفسى بيده لاتقوم الساعة حتى تكلم السباع الانس و حتى تكلم الرجل عذبة سوطه و شراك نعله و يخبره فخذه بما أحدث أهله بعده رواه الترمذى

مشهور و عليه مدار أصول الحنفية فى العقائد الحنيفية لكن ايراد الحديث فى هذا الباب غير ملائم له و مع هذا لايمنع من الاحتمال و الله تعالى أعلم بالحال مع ان عنوان الباب أشراط الساعة و هو أعم من المهدى و غيره و نقل عن خواجه عبيد الله السمرقندى النقشبندى رحمه الله أنه قال المنصور هو الخضر و مثل هذا لم يصدر عنه الا بنقل قال أو كشف حال (يوطن) أى يقرر و يثبت الامر و أصل التوطين جعل الوطن لاحد (أو يمكن) شك من الراوى و منه قوله تعالى الذين ان مكناهم فى الارض أو هى بمعنى الواو أى يهيىء الاسباب بامواله و خزائنه و سلاحه و يمكن أمر الخلافة و يقويها و يساعدها بعسكره (لآل محمد) أى لذريته و أهل بيته عموما و للمهدى خصوصا أو الآل مقحم و المعنى لمحمد المهدى (كما مكنت قريش) أى كتمكينهم (لرسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم) و المراد من آمن منهم و دخل فى التمكين أبوطالب أيضا و ان لم يؤمن عند أهل السنة و قال الطيبى رحمه الله قوله يمكن لآل محمد أى فى الارض كقوله تعالى مكناهم فى الارض ما لم نمكن لكم أى جعل له فى الارض مكانا و اما كنته (؟) فى الارض فاثبته فيها و معناه جعلهم فى الارض ذوى بسطة فى الاموال و نصرة على الاعداء و أراد بقوله كما مكنت لرسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه وسلم قريش آخر أمرها فان قريشا و ان أخرجوا النبى صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم أولا من مكة لكن بقاياهم و أولادهم أسلموا و مكنوا محمدا صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم و أصحابه فى حياته و بعد مماته انتهى و لايخفى ان المراد بالتمكين فى الآية غير التمكين فى الحديث مع أن المراد من تمكين المشبه تمكينه فى أول أمره فلا يحسن حمل المشبه به على آخر أمره ثم قوله أخرجوا ليس على ظاهره الموهم لاهانته صلى‌الله‌تعالى‌عليه وسلم ولذا قيل بكفر من أطلق هذا القول وتأويله أنهم تسببوا لخروجه بالهجرة الى مكان أنصاره من المدينة المعطرة فقوله تعالى و كاين من قرية هى أشد قوة من قريتك التى أخرجتك على حذف المضاف و أجراء أحكامه على المضاف اليه و الاخراج باعتبار السبب على ما صرح به البيضاوى رحمه الله و غيره (وجب على كل مؤمن نصره) أى نصر الحارث و هو الظاهر أو نصر المنصور وهو الابلغ أو نصر من ذكر منهما أو نصر المهدى بقرينة المقام اذ وجود نصرهما على أهل بلادهما و من يمران به لكونهما من أنصار المهدى (أو قال اجابته) شك من الراوى و المعنى قبول دعوته و القيام بنصرته (رواه أبوداود) أى فى باب المهدى بناء على المعنى المتبادر أو لما قام عنده من الدليل الظاهر قال السيد و فيه انقطاع ★ (و عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم و الذى نفسى بيده لاتقوم الساعة حتى تكلم السباع) أى سباع الوحش كالاسد أو سباع الطير كالبازى و لامنع من الجمع (الانس) أى جنس الانسان من المؤمن والكافر (و حتى تكلم الرجل) فى تقديم المفعول هنا تفنن فى العبارة و بيان جواز فى الاستعمال مع أنه يجب تأخير الفاعل فى مثل هذا لحال (عذبة سوطه) بفتح العين المهملة و الذال المعجمة أى طرفه على ما فى القاموس و غيره و قال شارح أى رأس سوطه و هى قد تكون فى طرفه يساق به الفرس من عذب الماء اذا طاب وساغ فى الحلق اذبها يطيب سير الفرس و يسترح را كبه و قيل من

✦ (الفصل الثالث) ✦ عن أبي قتادة قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم الآيات بعد المائتين رواه ابن ماجه ✦ و عن ثوبان قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم اذا رأيتم الرايات السود قد جاءت من قبل خراسان فأتوها فان فيها خليفة الله المهدى رواه أحمد و البيهقى فى دلائل النبوة ✦ و عن أبي اسحق قال قال علي و نظر الى ابنه الحسن قال ان ابنى هذا سيد كما سماه رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم و سيخرج من صلبه رجل يسمى باسم نبيكم يشبهه فى الخلق و لايشبهه فى الخلق ثم ذكر قصة يملأ

العذاب اذبها يجلد الفرس و يعذب فيرتاض و يهذب به أهله بعده (و شراك نعله و يخبره فخذه بما أحدث بعده رواه الترمذى) و كذا الحاكم و صححه

✦ (الفصل الثالث) ✦ (عن أبي قتادة قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم الآيات) أى آيات الساعة و علامات القيامة تظهر باعتبار ابتدائها ظهورا كاملا (بعد المائتين) أى من الهجرة أو من دولة الاسلام أو من وفاته عليه‌الصلاة والسلام و يحتمل أن يكون اللام فى المائتين للعهد أى بعد المائتين بعد الالف و هو وقت ظهور المهدى و خروج الدجال و نزول عيسى عليه‌الصلاة والسلام و تتابع الآيات من طلوع الشمس من مغربها و خروج دابة الارض و ظهور يأجوج و مأجوج و أمثالها قال الطيبى الآيات بعد المائتين مبتدأ و خبر أى تتابع الآيات و ظهور أشراط الساعة على التتابع و التوالى بعد المائتين و يؤيده قوله فى الحديث السابق و آيات تتابع كنظام قطع سلكه فتتابع و الظاهر اعتبار المائتين بعد الاخبار انتهى و لايخفى عدم ظهوره على ذوى النهى (رواه ابن ماجه) و كذا الحاكم فى مستدركه ✦ (و عن ثوبان قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم اذا رأيتم) المقصود منه الخطاب العام أى اذا أبصرتم (الرايات) أى الاعلام (السود) و يحتمل أن يكون السواد كناية عن كثرة عساكر المسلمين من قبل خراسان الظاهر انهم عسكر الحارث و المنصور (فأتوها) أى فأتوا الرايات و استقبلوا أهلها و أقبلوا أمر أميرها (فان فيها خليفة الله المهدى) أى نصرته و أجابته فلايتنافى أن ابتداء ظهور المهدى انما يكون فى الحرمين الشريفين ثم دل ظاهره على جواز أن يقال فلان خليفة الله اذا كان على طريق الحق و سبيل العدل و قد سبق منعه لكن قد يؤول بان المراد منه انه منصوب من الله خليفة لانبيائه فيصح أن يكون المنصوب هو المنسوب و نظيره قوله تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله (رواه أحمد) أى فى مسنده (و البيهقى فى دلائل النبوة) وكذا الحاكم فى مستدركه

✦ (و عن أبي اسحق) الظاهر ان المراد به أبو اسحق السبيعى الهمدانى الكوفى قال المؤلف رأى عليا و ابن عباس و غيرهما من الصحابة و سمع البراء بن عازب و زيد بن أرقم و روى عنه الاعمش و شعبة و الثورى و هو تابعى مشهور كثير الرواية ولد لستتين من خلافة عثمان و مات سنة تسع و عشرين و مائة (قال قال على رضى‌الله تعالى عنه) أى موقوفا (و نظر الى ابنه الحسن قال) الجملة حال معترضة بين القول و مقوله و أتى بقوله قال أما تأكيدا للمبالغة أو لتوهم الاطالة (ان ابنى هذا) اشارة الى تخصيص الحسن لئلايتوهم أن المراد هو الحسين أو الجنس (سيد كما سماه رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم) أى بقوله على ما سيأتى فى المناقب ان ابنى هذا سيد و لعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين (و سيخرج من صلبه) أى من ذريته (رجل يسمى باسم نبيكم يشبهه فى الخلق) بضم الخاء و اللام و تسكن (و لايشبهه فى الخلق)

الارض عدلا رواه أبوداود و لم يذكر القصة ★ و عن جابر بن عبد الله قال فقد الجراد في سنة من سني عمر التي توفي فيها فاهتم بذلك هما شديدا فبعث الى اليمن راكبا و راكبا الى العراق و راكبا الى الشام يسأل عن الجراد هل أرى منه شيأ فاتاه الراكب الذي من قبل اليمن بقبضة فنثرها بين يديه فلما رآها عمر كبر و قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله عزوجل خلق ألف أمة ستمائة منها في البحر و أربعمائة في البر و أن أول هلاك هذه الامة الجراد

أي في جميعه اذ سبق بعض نعته الموافق لخلقه صلى الله تعالى عليه وسلم (ثم ذكر قصة يملأ الارض عدلا) بالاضافة و دونها فهذا الحديث دليل صريح على ما قدمناه من ان المهدي من أولاد الحسن و يكون له انتساب من جهة الام الى الحسين جمعا بين الادلة و به يبطل قول الشيعة ان المهدي هو محمد بن الحسن العسكري القائم المنتظر فانه حسيني بالاتفاق لايقال لعل عليا رضي الله تعالى عنه أراد به غير المهدي فانا نقول يبطله قصة يملأ الارض عدلا اذ لايعرف في السادات الحسينية ولا الحسنية من ملأ الارض عدلا الا ما ثبت في حق المهدي الموعود (رواه أبوداود و لم يذكر القصة) هذا أعني و لم يذكر القصة كلام جامع الاصول نقله عنه صاحب المشكاة وهذا معنى كلام الطيبي رحمه الله قوله لم يذكر القصة التعريف فيه للعهد و هذا كلام جامع الاصول و ليس في سنن أبي داود ثم أعلم ان حديث لا مهدي الا عيسى بن مريم ضعيف باتفاق المحدثين كما صرح به الجزري على انه من باب لا فتى الا على قال الطيبي رحمه الله الاحاديث عنه صلى الله تعالى عليه وسلم في التنصيص على خروج المهدي من عترته من ولد فاطمة ثابتة أصح من هذا الحديث فالحكم لها دونه قال و يحتمل معناه لا مهدي كاملا معصوما الا عيسى عليه السلام انتهى و أخرج الدارقطني في سننه عن محمد بن علي قال ان لمهدينا آيتين لم تكونا منذ خلق الله السموات و الارض ينكسف القمر لاول ليلة من رمضان و تنكسف الشمس في النصف منه كذا في العرف الوردي في أخبار المهدي للجلال السيوطي رحمه الله ★ (و عن جابر بن عبد الله قال فقد الجراد) أي عدم (في سنة) أي عام (من سني عمر) أي من أيام خلافته (التي توفي فيها) صفة لسنة (فاهتم) أي اغتم عمر (بذلك) أي بفقده (هما شديدا) أي خوفا من هلاك سائر الامم لما سيأتي (فبعث الى اليمن راكبا و راكبا الى العراق) و هو المشرق تفنن في العبارة (و راكبا الى الشام) و لعل عدم بعثه الى الغرب لبعده أو لفصله بالبحر أو لقلة وجوده غالبا في ذلك القطر (يسأل) أي عمر أو كل من الركبان يتفحص (عن الجراد) و قوله (هل أرى) روي مجهولا و معلوما أي يبعث قائلا هل أرى (منه) أي من الجراد (شيأ) أي من أثره أو خبره و هو تمن (فاتاه الراكب الذي من قبل اليمن بقبضة) بفتح القاف و الضاد المعجمة أي بمقبوضة من الجراد (فنثرها بين يديه فلما رآها عمر كبر) أي فرحا لما سيأتي (و قال) أي عمر رضي الله عنه (سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول ان الله عزوجل خلق ألف أمة) المراد كل جنس من أجناس الدواب كما في قوله تعالى و ما من دابة في الارض و لا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم (ستمائة) بالرفع (منها) أي من الالف (في البحر و أربعمائة في البر) و في نسخة بالنصب في ستمائة و أربع مائة على البدلية من ألف أمة (فان أول هلاك هذه الامة) أشارة الى قوله ألف أمة فالمراد بها الجنس (الجراد) و في رواية ان أول هذه الامة بدون لفظ هلاك فيقدر هلاكا أو المراد ان أول هذه الامة خلقا الجراد و يمكن أن يكون المراد بهذه

فاذا هلك الجراد تتابعت الامم كنظام السلك رواه البيهقى فى شعب الايمان

★ (باب العلامات بين يدى الساعة و ذكر الدجال) ★ (الفصل الاول) ★ عن حذيفة ابن أسيد الغفارى قال اطلع النبى صلى الله عليه وسلم علينا و نحن نتذاكر فقال ما تذكرون قالوا نذكر الساعة قال انها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات فذكر الدخان و الدجال و الدابة و طلوع الشمس من مغربها و نزول عيسى بن مريم

الامة أمته صلى الله تعالى عليه وسلم (فاذا هلك الجراد تتابعت الامم) أى فى الهلاك (كنظام السلك) أى كتتابع خرز منظوم الخيط فى النثر اذا انقطع السلك أو كتتابع وجود الخرز فى حال نظام السلك لان المقصود من التشبيه هو التوالى و هو حاصل فى الصورتين لكن الاول أبلغ و أكمل فى ملاحظة وجه الشبه فى الهلاك (رواه البيهقى فى شعب الايمان)

★ (باب العلامات بين يدى الساعة و ذكر الدجال) ★ و فى نسخة باب علامات و قوله بين يدى الساعة أى قدامها و أصله ان يستعمل فى مكان يقابل صدر الشخص مما بين يديه ثم نقل الى الزمان ثم قوله و ذكر الدجال من باب التخصيص بعد التعميم و هو من دجل اذا ساح فى الارض و يقال دجل فلان الحق اذا أعطاه و فى النهاية أصل الدجل الخلط يقال دجل اذا لبس و موه و الدجال فعال من ابنية المبالغة أى يكثر منه الكذب و التلبيس و هو الذى يظهر فى آخر الزمان يدعى الالهية

★ (الفصل الاول عن حذيفة بن أسيد) ★ بفتح الهمزة و كسر السين المهملة ذكره ابن الملك و لم يذكره المؤلف فى أسمائه (الغفارى) بكسر الغين المعجمة نسبة الى قبيلة منهم أبوذر (قال اطلع) بتشديد الطاء أى أشرف (النبى صلى الله تعالى عليه وسلم علينا) أى و شرفنا بطلعة وجهه المشتمل على الخدين الغالب نورهما على طلوع القمرين حيث يستفاد منه ضياء الدارين (و نحن نتذاكر) أى فيما بيننا (فقال ما تذكرون) أى بعضكم مع بعض (قالوا) و فى نسخة قلنا (نذكر الساعة) أى أمر القيامة و احتمال قيامها فى كل ساعة (قال انها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات) أى علامات (فذكر) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بيانا للعشر (الدخان) قال الطيبى رحمه الله هو الذى ذكر فى قوله تعالى يوم تاتى السماء بدخان مبين و ذلك كان فى عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انتهى و يؤيده ما قال ابن مسعود هو عبارة عما أصاب قريشا من القحط حتى يرى الهواء لهم كالدخان لكن قال حذيفة هو على حقيقته لانه صلى الله تعالى عليه وسلم سئل عنه فقال يملأ ما بين المشرق و المغرب يمكث أربعين يوما و ليلة و المؤمن يصير كالزكام و الكافر كالسكران فقوله يصير كالزكام أى كصاحب أو مصدر بمعنى المفعول أى كالمزكوم أو هو من باب المبالغة كرجل عدل (و الدجال و الدابة) و هى المذكورة فى قوله تعالى أخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم (و طلوع الشمس من مغربها) قيل للدابة ثلاث خرجات أيام المهدى ثم أيام عيسى ثم بعد طلوع الشمس من مغربها ذكره ابن الملك (و نزول عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام) أى المنضم الى ظهور المهدى الاعظم فهو من باب الاكتفاء و قد روى الطبرانى عن أوس بن أوس مرفوعا ينزل عيسى بن مريم عند المنارة البيضاء شرق دمشق و روى الترمذى عن مجمع بن جارية مرفوعا يقتل ابن مريم الدجال بباب لد فى النهاية هو موضع بالشام و قيل بفلسطين كذا فى شرح الترمذى للسيوطى و فى القاموس لد بالضم قرية بفلسطين يقتل

و ياجوج و ماجوج و ثلاثة خسوف خسف بالمشرق و خسف بالمغرب و خسف بجزيرة العرب و آخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس الى محشرهم و فى رواية نار تخرج من قعر عدن تسوق الناس الى المحشر و فى رواية فى العاشرة و ريح تلقى الناس فى البحر رواه مسلم ✻ وعن أبى هريرة قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم بادروا بالاعمال ستا الدخان و الدجال و دابة الارض و طلوع الشمس من مغربها و أمر العامة

عيسى عليه‌الصلاة‌والسلام الدجال عند بابها هذا و قد قيل ان أول الآيات الدخان ثم خروج الدجال ثم نزول عيسى عليه‌الصلاة‌والسلام ثم خروج ياجوج و ماجوج ثم خروج الدابة ثم طلوع الشمس من مغربها فان الكفار يسلمون فى زمن عيسى عليه السلام حتى تكون الدعوة واحدة و لو كانت الشمس طلعت من مغربها قبل خروج الدجال و نزوله لم‌يكن الايمان مقبولا من الكفار فالواو لمطلق الجمع فلايرد ان نزوله قبل طلوعها و لا ما سيأتى ان طلوع الشمس أول الآيات (و ياجوج و ماجوج) بالف فيهما و يهمز أى خروجهما (و ثلاثة خسوف) قال ابن الملك قد وجد الخسف فى مواضع لكن يحتمل أن يكون المراد بالخسوف الثلاثة قدرا زائدا على ما وجد كان يكون أعظم مكانا و قدرا (خسف بالمشرق و خسف بالمغرب و خسف بجزيرة العرب) بالرفع فى الثلاثة على تقدير احدها أو منها و لو روى بالجر لكان له وجه من البدلية (و آخر ذلك) أى ما ذكر من الآيات (نار تخرج من اليمن) و فى رواية تخرج من أرض الحجاز قال القاضى عياض لعلها ناران تجتمعان تحشران الناس أو يكون ابتداء خروجها من اليمن و ظهورها من الحجاز ذكره القرطبى رحمه الله ثم الجمع بينه و بين ما فى البخارى ان أول اشراط الساعة نار تخرج من المشرق الى المغرب بان آخريتها باعتبار ما ذكر من الآيات و أوليتها باعتبار انها أول الآيات التى لاشئ بعدها من أمور الدنيا أصلا بل يقع بانتهائها النفخ فى الصور بخلاف ما ذكر معها فانه يبقى مع كل آية منها أشياء من أمور الدنيا كذا ذكره بعض المحققين من العلماء الموفقين (تطرد) أى تسوق تلك النار (الناس الى محشرهم) بفتح الشين و يكسر أى الى مجمعهم و موقفهم قيل المراد من المحشر أرض الشام اذ صح فى الخبر ان الحشر يكون فى أرض الشام لكن الظاهر ان المراد أن يكون مبتدؤه منها أوتجعل واسعة تسع خلق العالم فيها (و فى رواية) أى لمسلم أو غيره (نار تخرج من قعر عدن) أى أقصى أرضها و هو غير منصرف و قيل منصرف باعتبار البقعة و الموضع ففى المشارق عدن مدينة مشهورة باليمن و فى القاموس عدن محركة جزيرة باليمن (تسوق) أى تطرد النار (الناس الى المحشر و فى رواية فى العاشرة) أى فى بيانها و بدلا عما ذكر فيها من النار (و ريح تلقى الناس فى البحر) و لعل الجمع بينهما ان المراد بالناس الكفار و ان نارهم تكون منضمة الى ريح شديدة الجرى سريعة التأثير فى القائها اياهم فى البحر و هو موضع حشر الكفار أو مستقر الفجار كما ورد ان البحر يصير نارا و منه قوله تعالى و اذا البحار سجرت بخلاف نار المؤمنين فانها لمجرد التخويف بمنزلة السوط مهابة لتحصيل السوق الى المحشر و الموقف الاعظم و الله تعالى أعلم (رواه مسلم) و كذا أبوداود و الترمذى و النسائى ✻ (وعن أبى هريرة قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم بادروا) أى اسرعوا و سابقوا (بالاعمال) أى الصالحة النافعة فى الآخرة (ستا) أى ست آيات أى علامات لوجود الساعة اذ يعسر العمل و يصعب فيما بعدها أو لم‌يقبل و لم‌يعتبر بعد تحققها (الدخان و الدجال و دابة الارض و طلوع الشمس من مغربها و أمر العامة) أى الفتنة

و خويصة أحدكم رواه مسلم ✱ و عن عبدالله بن عمرو قال سمعت رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم يقول أن أول الآيات خروجا طلوع الشمس من مغربها و خروج الدابة على الناس ضحى و أيهما ما كانت قبل صاحبتها فالاخرى على أثرها قريبا رواه مسلم ✱ و عن أبي‌هريرة قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم ثلاث اذا خرجن لاينفع نفسا ايمانها لم‌تكن آمنت من قبل أو كسبت فى ايمانها خيرا طلوع الشمس من مغربها و الدجال و دابة الارض

التى تعم الناس أو الامر الذى يستبد به العوام و يكون من قبلهم دون الخواص من تأمير الامة (و خويصة أحدكم) بضم و فتح و سكون و تشديد و هو تصغير خاصة أى الواقعة التى تخص أحدكم قيل يريد الموت و قيل هى ما يختص به الانسان من الشواغل المتعلقة فى نفسه و ماله و ما يهتم به و صغرت لاستصغارها فى جنب سائر الحوادث من البعث و الحساب و غير ذلك و يؤيده ما قررناه بحسب ما حررناه ما قاله الشارح بعين ما ذكرناه أى قبل ظهور الآيات الست المذكورة فى الحديث لان ظهورها يوجب عدم قبول ايمان اليأس لكونها ملجئة الى الايمان فلا ثواب للمكلف عند الالجاء على عمله فاذا انقطع الثواب انقطع التكليف و قال القاضى أمرهم أن يبادروا بالاعمال قبل نزول هذه الآيات فانها اذا نزلت دهشتهم و شغلتهم عن الاعمال أو سد عليهم باب التوبة و قبول الاعمال و فى الفائق معنى مبادرة الست بالاعمال الانكماش فى الاعمال الصالحة و الاهتمام بها قبل وقوعها و تأنيث الست لانها دواه و مصائب (رواه مسلم) و كذا أحمد فى مسنده ✱(و عن عبدالله بن عمرو) بالواو (قال سمعت رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم يقول ان أول الآيات خروجا طلوع الشمس من مغربها) قال الطيبى رحمه الله فان قيل طلوع الشمس من مغربها ليس أول الآيات لان الدخان و الدجال قبله قلنا الآيات اما أمارات لقرب قيام الساعة و اما أمارات دالة على وجود قيام الساعة و حصولها و من الاول الدخان و خروج الدجال و نحوهما و من الثانى ما نحن فيه من طلوع الشمس من مغربها و الرجفة و خروج النار و طردها الناس الى المحشر و انما سمى أولا لانه مبتدأ القسم الثانى و يؤيده حديث أبى‌هريرة بعده لاتقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها (و خروج الدابة) هو بالرفع عطف على طلوع الشمس و هو خبر أول فيلزم أن يكون الاول متعددا و لهذا قال ابن الملك و لعل الواو بمعنى أو و يؤيده ما فى رواية أو خروج الدابة (على الناس ضحى) بالتنوين أى وقت ارتفاع النهار ثم الظاهر ان نسبة الاولية الحقيقية اليهما مبهمة و انها بالنسبة الى أحدهما مجازية ولذا قال (و أيهما) و لفظ الجامع فايتهما بالفاء و التانيث (ما كانت) ما زائدة أى و أى الآيتين المذكورتين وقعت (قبل صاحبتها فالاخرى على أثرها) بفتحتين و بكسر فسكون أى تحصل عقبها (قريبا) أى حصولا أو وقوعها قريبا و قد تقدم ما يتعلق بتحقيق الترتيب بينهما و قال ابن الملك إن قيل كل منهما ليس باول الآيات لان بعض الآيات وقع قبلهما قلنا الآيات أما أمارات دالة على قربها فاولها بعثة نبينا صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم أو أمارات متوالية دالة على وقوعها قريبا و هى المرادة هنا و أما حديث ان أولها خروج الدجال فلاصحة له كذا فى جامع الاصول (رواه مسلم) و كذا أحمد و أبوداود و ابن ماجه ✱ (و عن أبى‌هريرة قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم ثلاث) أى آيات (اذا خرجن) فيه تغليب أو معناه ظهرن و المراد هذه الثلاثة باسرها (لاينفع نفسا ايمانها لم‌تكن آمنت من قبل أو كسبت فى ايمانها خيرا طلوع الشمس من مغربها و الدجال و دابة الارض)

رواه مسلم ✱ و عن أبي‌ذر قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم حين غربت الشمس أتدرى أين تذهب هذه قلت الله و رسوله أعلم قال فانها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستأذن فيؤذن لها و يوشک أن تسجد و لايقبل منها و تستأذن فلايؤذن لها و يقال لها ارجعى من حيث جئت فتطلع من مغربها فذلک قوله تعالى و الشمس تجرى لمستقر لها قال مستقرها تحت العرش متفق عليه ✱ و عن عمران بن حصين قال سمعت رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم يقول ما بين خلق آدم الى قيام الساعة أمر أكبر من الدجال رواه مسلم ✱ و عن عبد الله قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم ان الله لايخفى عليكم ان الله تعالى ليس باعور و ان المسيح

و قدم الطلوع و ان كان متأخرا فى الوقوع لان مدار عدم قبول التوبة عليه و ان ضم خروج غيره اليه (رواه مسلم) و كذا الترمذى ✱ (و عن أبي‌ذر قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى عليه‌وسلم حين غربت الشمس أتدرى أين تذهب هذه) أى الشمس و الاشارة للتعظيم (قلت الله و رسوله أعلم قال فانها تذهب حتى تسجد تحت العرش) قال بعض المحققين لا يخالف هذا قوله تعالى وجدها تغرب فى عين حمئة فان المراد بها نهاية مدرك البصر و سجودها تحت العرش انما هو بعد الغروب و فى الحديث رد على من زعم ان المراد بمستقرها غاية ماتنتهى اليه فى الارتفاع وذلک يوم فى السنة الى منتهى أمرها عند انتهاء الدنيا قال الخطابى يحتمل أن يراد بذلک انها تستقر تحته استقرارا علمنا لا يحيط به (فتستأذن) بالرفع فى أصل السيد و بعض النسخ المصححة و كذا قوله (فيؤذن لها و يوشک أن تسجد و لايقبل) بالتذكير أى السجود و الظرف هو نائب الفاعل و يؤنث أى السجدة (منها) أى من الشمس و هو مرفوع و قيل منصوب و كذا قوله (و تستأذن فلايؤذن لها و يقال لها ارجعى من حيث جئت فتطلع من مغربها فذلک قوله تعالى و الشمس تجرى لمستقر لها قال مستقرها تحت العرش) وقوله لمستقر لها قال الخطابى عن بعض أهل التفسير معناه ان الشمس تجرى لاجل قدر لها يعنى الى انقطاع مدة بقاء العالم وقال بعضهم مستقرها غاية ما تنتهى اليه فى صعودها و ارتفاعها لاطول يوم من الصيف ثم تأخذ فى النزول فى أقصى مشارق الشتاء لاقصر يوم فى السنة و أما قوله مستقرها تحت العرش فلاينكر أن يكون لها استقرار تحت العرش من حيث لاندركه و لانشاهده و انما أخبر عن غيب فلانكذبه و لانكيفه لان علمنا لا يحيط به ذكره الطيبى (متفق عليه) رواه الترمذى و النسائى ✱ (و عن عمران بن حصين قال سمعت رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم يقول ما بين خلق آدم الى قيام الساعة أمر) ما نافية و المعنى ليس فيما بينهما فتنة (أكبر) أى أعظم (من الدجال) لعظم فتنته و بليته و لشدة تلبيسه و محنته ((رواه مسلم) و فى الجامع رواه أحمد و مسلم عن هشام بن عامر فلينظر فى الاصول ليتحقق النقول ✱ (و عن عبد الله) أى ابن مسعود (قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم ان الله لا يخفى عليكم) أى بالنظر الى نعوته الثبوتية و صفاته السلبية و تنزهه عن العيوب و النقائص و سائر الحدوثات الزمانية و المكانية فالجملة توطئة لقوله (ان الله ليس باعور) و مفهومه لايعتبر فان المراد به نفى النقص و العيب لا اثبات الجارحة بصفة الكمال قال الطيبى رحمه الله هو للتنزيه كما وسط سبحانه فى قوله و يجعلون لله البنات سبحانه و لهم ما يشتهون (و ان المسيح) بحاء مهملة هو الصواب المعروف و هو فعيل بمعنى فاعل لانه يمسح الارض جميعها بسرعة أو بمعنى مفعول فانه ممسوح احدى العينين قال السيوطى رحمه الله نقلا عن أبي‌بكر

الدجال أعور عين اليمنى كان عينه عنبة طافية متفق عليه ✱ و عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من نبى الا قد أنذر أمته الاعور الكذاب

ابن العربى أن من شدد سينه أو أعجم حاءه فقد حرف انتهى و هو لقب مشترك بينه و بين عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام لكنه يطلق عليه بمعنى الماسح لحصول البرء ببركة مسحه وبمعنى الممسوح لنزوله نظيفا من بطن أمه و فى القاموس المسيح عيسى عليه الصلاة والسلام لبركته و ذكرت فى اشتقاقه خمسين قولا فى شرحى لمشارق الانوار و غيره و الدجال لشؤمه أو هو كسكين و الممسوح بالشؤم و الكثير السياحة كالمسيح كسكين و الممسوح الوجه و الكذاب (الدجال) تقدم معناه (.أعور عين اليمنى) من باب اضافة الموصوف الى الصفة و من لم يجوزه كالطيبى قال أى عين الجثة أو الجهة اليمنى (كان) بتشديد النون (عينه) أى العوراء أو الاخرى (عنبة) أى شبيهة بها فهو تشبيه بليغ (طافية) بالياء و يهمز أى مرتفعة قال ميرك رويت بهمز و تركه و كلاهما صحيح قال الطيبى رحمه الله و هى النابتة عن حد اخواتها من الطفو و هو أن يعلو الشئ على الماء انتهى و منه الطافى من السمك و لاتنافى بين هذه الرواية و بين ما روى أنها ليست بناتئة و لاجحراء أى لاطافئة مرتفعة و لاغائرة منجحرة لامكان اجتماع الوصفين باختلاف المعنيين و قال ابن الملك فى شرح المشارق طافئة بالهمزة ذهب ضوءه و روى بغير الهمز أى ناتئة بارزة قال التوربشتى رحمه الله فى الاحاديث التى وردت فى وصف الدجال و ما يكون منه كلمات متنافرة يشكل التوفيق بينها و نحن نسأل الله التوفيق فى التوفيق بينها و سنبين كلا منها على حدته فى الحديث الذى ذكر فيه أو تعلق به ففى هذا الحديث انها طافية و فى آخر أنه جاحظ العين كانها كوكب و فى آخر أنها ليست بناتئة و لاجحراء و السبيل فى التوفيق بينها ان نقول انما اختلف الوصفان بحسب اختلاف المعنيين و يؤيد ذلك ما فى حديث ابن عمر هذا انه أعور عين اليمنى و فى حديث حذيفة انه ممسوح العين عليها ظفرة غليظة و فى حديثه أيضا أنه أعور عين اليسرى و وجه الجمع بين هذه الاوصاف المتنافرة أن يقدر فيها ان أحدى عينيه ذاهبة والاخرى معيبة فيصح أن يقال لكل واحدة عوراء اذ الاصل فى العور العيب و ذكر نحوه الشيخ محيى الدين كذا فى شرح الطيبى رحمه الله (متفق عليه ✱ وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما من نبى الا قد انذر أمته الاعور الكذاب) أى خوفهم به و لايشكل هذا بما ثبت انه يقتله عيسى بن مريم بعد أن ينزل و يحكم بالشريعة المحمدية لان تعيين وقت خروجه غير معلوم لهم حين أنذروا قومهم و أيضا يحمل على هذا ما فى بعض طرقه أن يخرج و أنا فيكم فانا حجيجه على ما سيأتى فان ذلك كان قبل أن يتبين له وقت خروجه و علاماته ثم تبين له وقت خروجه فاخبر به على انه يحتمل ان الابهام انما وقع بسبب ان العلامات قد يكون وجودها معلقا بشرط فاذا فقد يتصور خروجه بعدم ظهورها و نظيره خوف الانبياء و المرسلين صلوات الله تعالى و سلامه عليهم أجمعين مع تحقق عصمتهم و ثبوت أمنهم من العذاب المهين و كذلك خشية العشرة المبشرة بالجنة على لسان سيد المرسلين أو لانه لايجب على الله تعالى شئ و أفعاله لاتعلل و الاسباب لايتعين وجودها و لاتأثير لها أيضا بعد حصولها و لعل هذا هو الوجه فى السر اليهم حتى ظهر على لسان صاحب الدين الاقوم و الله سبحانه و تعالى أعلم أو يقال ان المراد بالدجال كل من يدعى الالوهية من الرجال كفرعون و شداد و نمرود و سائر الابطال و لايخلو كل منهم من نقصان

الا انه أعور و ان ربكم ليس باعور مكتوب بين عينيه ك ف ر متفق عليه ★ و عن أبي هريرة قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم ألا أحدثكم حديثا عن الدجال ما حدث به نبي قومه انه أعور و انه يجيء معه بمثل الجنة و النار فالتي يقول انها الجنة

العور سواء مما بطن فيه أو ظهر عند أهل النظر لكن اذا جاء القدر عمى البصر و بطل الحذر و يكون الدجال الموعود أشر و فتنة و بلية على العامة أظهر و كبرياء ربنا و عظمته أكبر من أن يعرف كنهه أو يقدر و مظاهر تجلياته الجمالية و الجلالية أكثر من أن تحصى و تحصر و قد قال الشيخ أبومدين‌المغربي لاتنكر الباطل في طوره ★ فانه بعض ظهوراته فينبغي للسالك أن يقول دائما بعد امتثال الاوامر و اجتناب النواهي الهي أرنا الاشياء كماهي و أرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه و أرنا الحق حقا و ارزقنا اتباعه و ارتكابه (الا) للتنبيه (انه) أي الدجال (أعور) أي و هو الغالب ان يكون طالبا للشر (و ان ربكم ليس باعور) أي تنزه أن يكون ناقصا و معيبا في ذاته و صفاته و هذا الكلام منه عليه‌الصلاة‌والسلام من باب التنزل الى عقل العوام و فهومهم كما ورد كلم الناس على قدر عقولهم و نظيره ما في التنزيل ان الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين الهم أرجل يمشون بها أم لهم ايد يبطشون بها أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم آذان يسمعون بها و المعنى ان الاصنام مع كمال عجزهن و نقصان الآتهن بالنسبة الى العابدين كيف يصلحن أن يكن في مرتبة المعبودين و ليس القصد انهن لو فرض أن تكون هذه الاعضاء ثابتة لهن لكان يجوز ان يعبدن و قد روى ان ابراهيم عليه‌الصلاة‌والسلام قال لامه من ربي فقالت أنا فقال من ربك قالت أبوك قال من ربه قالت نمروذ قال من ربه قالت هو الرب الاكبر لان جنده أكثر فقال لامه ان كان الامر كذلك فلاي شئ صورته قبيحة و صورة غلمانه مليحة و خلاصة الكلام انه عليه‌الصلاة‌والسلام جعل ذلك العيب الاكبر و النقصان الاظهر علامة كذبه و كفره لئلايبقى للناس عذر في قبول تلبيسه و مكره مع ان الدلائل العقلية و البراهين النقلية تشهد على ان الجسم لايكون الها و ان الحادث المعيوب لايصح ان يكون معبودا (مكتوب بين عينيه ك ف ر) فيه اشارة الى انه داع الى الكفر لا الى الرشد فيجب اجتنابه و هذه نعمة عظيمة من الله في حق هذه الامة حيث ظهر رقم الكفر بين عينيه قال الطيبي رحمه الله و لعل المراد بالتنصيص ان لايتوهم فيه السماحة من حيث المعنى قال النووي رحمه الله هو بيان علامة تدل على كذب الدجال دلالة قطعية بديهية يدركها كل أحد و لم يقتصر على لحوقه جسما أو غير ذلك من الدلائل القطعية لكون بعض العقول لايتهدى اليها (متفق عليه ★ و عن أبي هريرة قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم الا) للتنبيه (أحدثكم حديثا عن الدجال ما حدث) أي حديثا لم يحدث (به نبي قومه) و يمكن ان تكون الهمزة للاستفهام و لا للنفي و بلى مقدرة محذوفة أو بادر جوابهم بقوله (انه أعور) أي مصور بصورة كريهة ظاهرة و مزور بسيرة مموهة باهرة على طريقة الطائفة الساحرة و هذا معنى قوله (و انه) أي الشان (يجئ معه بمثل الجنة) و في رواية بمثال الجنة (و النار) فالباء للتعدية و المعنى انه يأتي بصورتهما معه في نظر الناس مما يقلب الله تعالى حقيقتهما في حق المؤمنين و الباء زائدة أي يسير معه مثلهما و يصحب له شكلهما و يؤيده ما في رواية يجيء معه تمثال بكسر المثناة الفوقية بدل الجار أي صورتهما (فالتي) أي فالصورة التي (يقول انها الجنة) أي و يظهر بادي الرأي انها النعمة

هى النار و انى انذركم كما أنذر به نوح قومه متفق عليه ✱ و عن حذيفة عن النبى صلى‌الله‌عليه وسلم قال ان الدجال يخرج و ان معه ماء

(هى النار) أى ذات النقمة و الظاهر ان هذا من باب الاكتفاء و يدل عليه الحديث الذى يليه فالتقدير و التى يقول انها النار هى الجنة و نظيره الدنيا فى نظر العارفين من ان نقمتها نعمة و نعمتها نقمة و محنها منحة و منحها محنة و حسنها و قبحها مختلفة كالنيل ماء للمحبوبين و دما للمحجوبين و تبنزل من القرآن ما هو شفاء و رحمة للمؤمنين قال شارح يعنى من دخل جنته استحق النار لانه صدقه فاطلق اسم السبب على المسبب أقول و كذا من لم يطعه و رماه فى النار استحق دخول الجنة لانه كذبه لكن الاظهر انهما ينقلبان و ينعكسان بالفعل عليهما كما ورد فى أن القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران و منه يا ناركونى بردا و سلاما على ابراهيم و كذا الدنيا المكدرة المسماة بالسجن تصير جنة للعارفين الواقفين فى مقام الرضا كما قيل فى قوله تعالى و لمن خاف مقام ربه جنتان جنة فى الدنيا و جنة فى العقبى و كذا زهرة الدنيا بالنسبة الى أربابها لعدم حضورهم مع ربها كالسم فى الدسم و الهم فى الدرهم و النار فى الدينار و ربما لايحسون بها كالمجنون و المجروح فى حال ابتداء الجراحة و كالمصروع ولذا قيل

سوف ترى اذا انجلى الغبار ✱ أفرس تحتك أم حمار

و قضية ولد السلطان حال كونه سكران و عناقه للميتة العجوز المعطرة مشهورة بين أهل العرفان قال النووى رحمه الله هذه الاحاديث حجة لمذهب أهل الحق فى صحة وجوده و انه شخص بعينه ابتلى الله به عباده و أقدره على أشياء من مقدورات الله تعالى من احياء الميت الذى يقتله و ظهور زهرة الدنيا و الخصب معه و اتباع كنوز الارض له و أمر السماء ان تمطر فتمطر و الارض ان تنبت فيقع كل ذلك بقدرة الله تعالى و مشيئته ثم يعجزه الله تعالى بعد ذلك فلايقدر على قتل ذلك الرجل و لاغيره و يقتله عيسى بن مريم و يثبت الله الذين آمنوا و قصته عظيمة جدا تدهش العقول و تحير الالباب مع سرعة مروره فى الارض و لايمكث بحيث يتأمل الضعفاء دلائل الحدوث و النقص فيصدقه من يصدقه فى هذه الحالة و لهذا حذرت الانبياء عليهم‌الصلاة‌والسلام من فتنته و نبهوا على نقصه و دلائل ابطاله و أما أهل التوفيق فلايغترون و لاينخدعون بما فيه لما ذكرناه من الدلائل المكذبة له مع ما سبق لهم من العلم بحاله (و انى أنذركم كما أنذر به نوح قومه) فان قيل لم خص نوحا عليه‌الصلاة‌والسلام بالذكر قلت فان نوحا عليه‌الصلاة‌والسلام تقدم المشاهير من الانبياء كما خصه بالتقديم فى قوله تعالى شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا ذكره الطيبى رحمه الله و فيه انه انما يتم هذا ان صح ان من سبقه من الانبياء انذر قومه و الافيترك على حقيقة أوليته و يدل عليه حديث انه لم يكن نبى بعد نوح الا قد انذر الدجال قومه و أما تقديمه فى الآية فلكونه مقدما على سائر أولى العزم من الرسل بحسب الوجود ولذا قدم نبينا صلى‌الله تعالى‌عليه‌وسلم فى آية أخرى على أولى العزم لكون تقدمه وجودا و رتبة و هى قوله سبحانه جل جلاله و اذ أخذنا من النبيين ميثاقهم و منك و من نوح و ابراهيم و موسى و عيسى بن مريم و حاصله ان الخمسة هم أولو العزم من الرسل و اجتمع ذكرهم فى الآيتين المذكورتين و الله تعالى أعلم (متفق عليه ✱ و عن حذيفة عن النبى صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم قال ان الدجال يخرج و ان معه ماء) أى و ما يتولد منه من أسباب النعم بحسب الظاهر المعبر عنه بالجنة فيما تقدم

و نارا فاما الذى يراه الناس ماء فنار تحرق و أما الذى يراه الناس نارا فماء بارد عذب فمن أدرك ذلك منكم فليقع فى الذى يراه نارا فانه ماء عذب طيب متفق عليه و زاد مسلم و ان الدجال ممسوح العين عليها ظفرة غليظة مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه كل مؤمن كاتب و غير كاتب ✱ وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال أعور العين اليسرى جفال الشعر معه جنته و ناره فناره جنة و جنته نار رواه مسلم ✱ و عن النواس بن سمعان قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال فقال ان يخرج و أنا فيكم فانا حجيجه دونكم

يرغب اليه من أطاعه (و نارا) أى ما يكون ظاهره سببا للعذاب و المشقة و الالم يخوف به من عصاه (فاما الذى يراه الناس ماء فنار تحرق و أما الذى يراه الناس نارا فماء بارد عذب) أى حلو يكسر العطش و المعنى ان الله تعالى يجعل ناره ماء باردا عذبا على من كذبه و ألقاه فيها غيظا كما جعل نار نمروذ بردا و سلاما على ابراهيم عليه الصلاة والسلام و يجعل ماءه الذى أعطاه من صدقه نارا محركة دائمة و محمله ان ما ظهر من فتنته ليس له حقيقة بل تخيل منه و شعبذة كما يفعله السحرة و المشعبذون مع احتمال ان الله تعالى يقلب ناره و ماءه الحقيقيان فانه على كل شئ قدير (فمن أدرك ذلك) أى الدجال أو ما ذكر من تلبيسه (منكم فليقع فى الذى يراه نارا) أى فليختر تكذيبه و لا يبالى بايقاعه فيما يراه نارا (فانه ماء عذب طيب) أى فى الحقيقة أو بالقلب أو بحسب المآل و الله تعالى أعلم بالحال و الكلام من باب الاكتفاء فالتقدير و لا يصدقه مغترا بما يراه معه ماء فانه نار و عذاب و حجاب (متفق عليه و زاد مسلم و ان الدجال ممسوح العين) أى موضع احدى عينيه ممسوح مثل جبهته ليس له أثر العين قال القاضى رحمه الله أى ممسوح احدى عينيه للحديث السابق و نظائره (عليها) أى على العين الاخرى بحيث لاتوارى الحدقة باسرها لتعميها (ظفرة) بفتحتين أى لحمة غليظة أو جلدة أو على العين الممسوحة ظفرة (مكتوب بين عينيه كافر) كما سبق (يقرؤه كل مؤمن كاتب) بالجر بدلا من مؤمن و فى نسخة بالرفع بدل بعض من كل (و غير كاتب) و فى رواية لمسلم عن أنس مرفوعا الدجال ممسوح العين مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه كل مسلم ✱(و عنه) أى عن حذيفة (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الدجال أعور العين اليسرى) قد سبق انه أعور العين اليمنى و انه ممسوح احدى عينيه فالجمع ان يقال احدى عينيه ذاهبة و الاخرى معيبة فيصح ان يقال لكل واحدة عوراء اذ العور فى الاصل هو العيب و قيل ان الاعور انما يكون بالنسبة الى أشخاص متفرقة فقوم يرونه أعور اليسرى و قوم يرونه أعور اليمنى ليدل على بطلان أمره لانه اذا كان لايرى خلقته كما هى دل على انه ساحر كذاب قال شارح و يحتمل أن يكون أحدهما من سهو الراوى و فى الجامع روى البخارى فى تاريخه عن أبى هريرة مرفوعا الدجال عينه خضراء انتهى فهو كالحرباء و الغول متلون بالوان شتى (جفال الشعر) بضم الجيم أى كثير الشعر المجتمعة كذا فى الفائق مكسر (معه جنته و ناره فناره جنة و جنته نار رواه مسلم) و كذا أحمد و ابن ماجة ✱(و عن النواس) بتشديد الواو (ابن سمعان) بكسر السين و تفتح (قال ذكر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الدجال) أى خروجه و سائر أموره و ابتلاء الناس به (فقال ان يخرج و أنا فيكم) أى موجود فيما بينكم فرضا و تقديرا (فانا حجيجه) فعيل بمعنى الفاعل من الحجة و هى البرهان أى غالب عليه بالحجة (دونكم) أى قدامكم و دافعه عنكم و انا امامكم و أمامكم و فيه ارشاد الى انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان فى المحاجة معه غير محتاج

و أن يخرج و لست فيكم فامرؤ حجيج نفسه و الله خليفتي على كل مسلم انه شاب قطط عينه طافية كانى أشبهه بعبد العزى بن قطن

الى معاونة معاون من أمته فى غلبته عليه بالحجة كذا ذكره الطيبى رحمه الله و الاظهر انه صلى الله تعالى عليه وسلم يدفعه بنور النبوة و يدفع خارق عادته الباطل بمعجزاته المقرونة بالحق من غير دليل وبرهان لان بطلانه أظهر من الشمس عند أرباب العرفان و أيضا هو من المصممين على الباطل من دعوته و لم يلتفت الى المجادلة و اثبات الادلة و الا فبحمد الله سبحانه من يوجد فى الامة من يحقق الملة بالحجة لاسيما خاتمة الاولياء و هو المهدى و زبدة الانبياء و هو عيسى عليه الصلاة والسلام و حاصله انه لاينفع معه الكلام فدفعه أما باعدامه مع وجود سيد الانام أو بذوبانه و قتله على يد عيسى عليه الصلاة و السلام هذا ما ظهر لى فى هذا المقام و الله سبحانه و تعالى أعلم بالمرام قال التوربشتى رحمه الله فان قيل أو ليس قد ثبت فى احاديث الدجال انه يخرج بعد خروج المهدى و ان عيسى عليه الصلاة والسلام يقتله الى غير ذلك من الوقائع الدالة على انه لايخرج و نبى الله بين أظهرهم بل لاتراه القرون الاولى من هذه الامة فما وجه قوله أن يخرج و أنا فيكم قلت انما سلك هذا المسلك من التورية لابقاء الخوف على المكلفين من فتنه و اللجا الى الله تعالى من شره لينالوا بذلك من الله و يتحققوا بالشح على دينهم و قال المظهر يحتمل أن يريد تحقق خروجه و المعنى لاتشكوا فى خروجه فانه سيخرج لامحالة و أن يريد به عدم علمه بوقت خروجه كما انه كان لايدرى متى الساعة قال الطيبى رحمه الله و الوجه الثانى من الوجهين هو الصواب لانه يمكن أن يكون قوله هذا قبل علمه صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك أقول كان حقه أن يقول هو الظاهر ليطابق تعليله بقوله لانه يمكن اذ مع الامكان لايقال فى حق أحدهما هو الصواب لاحتمال الخطأ فى كل واحد منهما و الله تعالى أعلم بالصواب و خلاصة المعنى انى ان كنت فيكم فا كفيكم شره وقت خروجه (و أن يخرج و لست فيكم فامرؤ حجيج نفسه) بالرفع أى فكل امرئ يحاجه و يحاوره و يغالبه لنفسه كذا قاله الطيبى رحمه الله أى ليدفع شره عن نفسه بما عنده من الحجة كما قاله ابن الملك لكن هذا على تقدير انه يسمع الحجة و الا فالمعنى ان كل أحد يدفع عن نفسه شره بتكذيبه و اختيار صورة تعذيبه (و الله خليفتى على كل مسلم) يعنى و الله سبحانه و تعالى ولى كل مسلم و حافظه فيعينه عليه و يدفع شره وهذا دليل على ان المؤمن الموقن لايزال منصورا و ان لم يكن معه نبى و لا امام ففيه رد على الامامية من الشيعة (انه) أى الدجال و هو استئناف بيان لبعض أحواله و تبيان لبعض ما يفيد فى دفع شر أفعاله (شاب) فيه اشعار بانه غير ابن الصياد و ايماء الى انه محروم من بياض الوقار و ثابت على اشتداد السواد فى الظاهر الذى هو عنوان الباطن من سواد الفؤاد (قطط) بفتح القاف و الطاء أى شديد جعودة الشعر و فيه ايماء الى استحباب تسريح الشعر دفعا للمشابهة بالهيئة البشيعة (عينه طافية) بالياء ويهمز أى مرتفعة (كانى أشبهه) بتشديد الموحدة أى أمثله (بعبد العزى) بضم العين و تشديد الزاى (ابن قطن) بفتحتين و هو يهودى قاله شارح و قال الطيبى رحمه الله قيل انه كان يهوديا و لعل الظاهر انه مشرك لان العزى اسم صنم و يؤيده ما جاء فى بعض الحواشى هو رجل من خزاعة هلك فى الجاهلية ثم قال الطيبى رحمه الله لم يقل كانه عبد العزى لانه لم يكن صلى الله تعالى عليه وسلم جازما فى تشبيهه به قلت لاشك فى تشبيهه به الا انه لما كان معرفة المشبه فى عالم الكشف أو المنام

فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف و فى رواية فليقرأ عليه بفواتح سورة الكهف فانها جواركم من فتنته

عبر عنه بكانى كما هو المعتبر فى تعبير حكاية الرؤيا و الله تعالى أعلم و يمكن أن يقال لما لم يوجد فى الكون أقبح صورة منه فلايتم التشبيه من جميع الوجوه بل و لا من وجه واحد عدل عن صيغة الجزم و عبر عنه بما عبر عنه ثم فى صيغة الحال اشعار باستحضار صورة المآل (فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف) أى أوائلها الى كذبا لدلالة تلك الآيات على معرفة ذات الله و صفاته لكن لفظه من أدرك الدجال فليقرأ عليه خواتمها فانها جوار له من فتنته و ثبوت كتابه و آيات بيناته و صدق رسوله و اتيانه بمعجزاته ما يصير خوارق عادات الدجال هباء منثورا و ان تابعه يدعو هلاكا و ثبورا قال الطيبى رحمه الله المعنى ان قراءته أمان له من فتنته كما أمن تلك الفتية من فتنة دقيانوس الجبار (و فى رواية) أى لمسلم أيضا (فليقرأ عليه بفواتح سورة الكهف فانها جواركم من فتنة) أى بلية (الدجال) و الجوار بكسر الجيم و فى آخره راء على ما فى نسخة السيد و الشيخ الجزرى و كثير من النسخ المصححة و فى بعضها بفتح الجيم و زاى فى آخره و هو الصك الذى يأخذه المسافر من السلطان أو نوابه لئلايتعرض لهم المترصدة فى الطريق و اقتصر عليه شارح المصابيح و ذكره ابن الملك ثم قال و فى بعض النسخ بكسر الجيم و بالراء فمعناه حافظكم انتهى و فى بعض شروح البردة الجوار بالكسر و الضم و الكسر أفصح هو الامان هذا و المتبادر من كلام المؤلف انها رواية لمسلم لكن صرح الجزرى فى حصنه بانها رواية أبى داود عن النواس لكن لفظه من أدرك الدجال فليقرأ عليه فواتحها فانها جوار له من فتنته ثم أعلم انه جاء فى الحصن روايات متعددة فى هذا المعنى حيث قال من قرأها أى الكهف كما أنزلت كانت له نورا من مقامه الى مكة و من قرأ بعشر آيات من آخرها فخرج الدجال لم يسلط عليه رواه النسائى و الحاكم فى مستدركه من حديث أبى سعيد الخدرى و اللفظ للنسائى و قال رفعه خطأ و الصواب انه موقوف و أخرج الطبرانى فى الاوسط من حديث أبى سعيد أيضا و اختلف فى رفعه و وقفه أيضا و لفظه من قرأ سورة الكهف كانت له نورا يوم القيامة من مقامه الى مكة و من قرأ بعشر آيات من آخرها ثم خرج الدجال لم يضره و روى مسلم و أبوداود عن أبى الدرداء مرفوعا من حفظ عشر آيات من أولها عصم من الدجال و فى رواية أبى داود و النسائى عنه من فتنة الدجال و فى رواية لمسلم و أبى داود عنه من حفظ عشر آيات و النسائى عنه من قرأ العشر الاواخر من الكهف عصم من فتنة الدجال و فى رواية للترمذى عنه من قرأ ثلاث آيات من أول الكهف عصم من فتنة الدجال و فى رواية لمسلم و الاربعة عن النواس بن سمعان من أدرك الدجال فليقرأ عليه فواتحها الحديث قيل وجه الجمع بين الثلاث و بين قوله صلى الله تعالى عليه وسلم من حفظ عشر آيات ان حديث العشر متأخر و من عمل بالعشر فقد عمل بالثلاث و قيل حديث الثلاث متأخر و من عصم بثلاث فلاحاجة الى العشر و هذا أقرب الى أحكام النسخ أقول بمجرد الاحتمال لايحكم بالنسخ مع ان النسخ انما يكون فى الانشاء لا فى الاخبار فالاظهر ان أقل ما يحفظ به من شره قراءة الثلاث و حفظها أولى و هو لاينافى الزيادة كما لايخفى و قيل حديث العشر فى الحفظ و حديث الثلاث فى القراءة فمن حفظ العشر و قرأ الثلاث كفى و عصم من فتنة الدجال و قيل من حفظ العشر عصم من ان لقيه و من قرأ الثلاث عصم من فتنته ان لم يلقه و قيل المراد من الحفظ القراءة

انه خارج خلة بين الشام و العراق فعاث يمينا و عاث شمالا يا عباد الله فاثبتوا قلنا يا رسول‌الله و ما لبثه فى الارض قال أربعون يوما يوم كسنة و يوم كشهر و يوم كجمعة و سائر أيامه كايامكم قلنا يا رسول‌الله فذلك اليوم الذى كسنة

عن ظهر القلب و من العصمة الحفظ من آفات الدجال و الله تعالى أعلم بالاحوال (انه) أى الدجال (خارج خلة) بفتح معجمة و تشديد لام أى طريقا واقعا (بين الشام و العراق) و أصله الطريق فى الرمل و قال شارح أى من سبيل بينهما ففيه أشارة الى انها منصوبة بنزع الخافض و يؤيده ما فى النهاية أى فى طريق بينهما قال النووى رحمه الله هكذا هو فى نسخ بلادنا خلة بفتح الخاء المعجمة و تنوين التاء و قال القاضى رحمه الله المشهور فيه حلة بالحاء المهملة و نصب التاء يعنى غير منونة و معناه سمت ذلك و قبالته قلت المناسب أن يكون هى الحلة قرية بناحية دجلة من بغداد أهلها شر من فى البلاد من العباد قال و رواه بعضهم حله بضم اللام و بهاء الضمير أى نزوله و حلوله قال و كذا ذكره الحميدى فى الجمع بين الصحيحين أيضا ببلادنا و قوله (فعاث) هو بعين مهملة و ثاء مثلثة ماض من العيث و هو أشد الفساد و الاسراع فيه و حكى القاضى رحمه الله انه رواه بعضهم فعاث على صيغة اسم الفاعل قال الاشرف قيل الصواب فيه فعاث بصيغة اسم الفاعل لكونه عطفا على اسم فاعل قبله و هو خارج قلت أكثر النسخ و منها أصل السيد على انه فعل ماض من العيث و فى بعضها عاث كقاض من العثى بمعنى العيث و هو الاصح الموافق لما فى التنزيل من قوله و لاتعثوا فى الارض مفسدين و لكن القول بانه الصواب خطأ اذ هما لغتان بمعنى الافساد على ما هو مقرر فى كتب اللغة فالحاصل ان الدجال فسد او مفسد (يمينا و عاث شمالا) و هما ظرفا عاث و المعنى يبعث سراياه يمينا و شمالا و لايكتفى بالافساد فيما يطؤه من البلاد و يتوجه له من الاغوار و الانجاد فلايأمن من شره مؤمن و لايخلو من فتنته موطن و لا مأمن (يا عباد الله) أى أيها المؤمنون الموجودون فى ذلك الزمان أو أنتم أيها المخاطبون على فرض انكم تدركون ذلك الاوان (فاثبتوا) أى على دينكم و ان عاقبكم قال الطيبى رحمه الله هذا من الخطاب العام أراد به من يدرك الدجال من أمته ثم قيل هذا القول منه استمالة لقلوب أمته و تثبيتهم على ما يعاينونه من شر الدجال و توطينهم على ما هم فيه من الايمان بالله تعالى و اعتقاده و تصديق ماجاء به الرسول صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم (قلنا يا رسول‌الله و ما لبثه) بفتح لام و سكون موحدة أى ما قدر مكثه و توقفه (فى الارض قال أربعون يوما) سيأتى حديث يمكث الدجال فى الارض أربعين سنة السنة كالشهر الى آخره لكنه نقل البغوى فى شرح السنة و لايصلح أن يكون معارضا لرواية مسلم هذه و على تقدير صحته لعل المراد باحد المكثين مكث خاص على وصف معين مبين عند العالم به (يوم) أى من تلك الاربعين (كسنة) أى مقدار عام فى طول الزمان أو فى كثرة الغموم و الاحزان (و يوم كشهر و يوم كجمعة و سائر أيامه كايامكم) قال ابن الملك رحمه الله قيل المراد منه ان اليوم الاول لكثرة عموم المؤمنين و شدة بلاء اللعين يرى لهم كسنة و فى اليوم الثانى يهون كيده و يضعف أمره فيرى كشهر و الثالث يرى كجمعة لان الحق فى كل وقت يزيد قدرا و الباطل ينقص حتى ينمحق أثرا او لان الناس كلما أعتادوا بالفتنة و المحنة يهون عليهم الى أن تضمحل شدتها و لكن هذا القول مردود لانه غير مناسب لما ذكر الراوى (قلنا يا رسول‌الله فذلك اليوم الذى كسنة)

أى مثلا (أ يكفينا فيه صلاة يوم قال لاأقدروا له قدره) بل هذا جار على حقيقته و لاامتناع فيه لان الله تعالى قادر على ان يزيد كل جزء من أجزاء اليوم الاول حتى يصير مقدار سنة خارقا للعادة كما يزيد فى أجزاء ساعة من ساعات اليوم انتهى و فيه ان هذا القول الذى قرره على المنوال الذى حرره لايفيد الا بسط الزمان كما وقع له صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم فى قصة الاسراء مع زيادة على المكان لكن لايخفى ان سبب وجوب كل صلاة انما هو وقته المقدر من طلوع صبح و زوال شمس و غروبها و غيبوبة شفقها و هذا لايتصور الا بتحقق تعدد الايام و الليالى على وجه الحقيقة و هو مفقود فالتحقيق ما قاله الشيخ التوربشتى رحمه الله تعالى و هو انه يشكل من هذا الفصل قوله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم يوم كسنة و يوم كشهر و يوم كجمعة مع قوله و سائر أيامه كايامكم و لاسبيل الى تأويل امتداد تلك الايام على انها وصفت بالطول و الامتداد لما فيها من شدة البلاء و تفاقم البأساء و الضراء لانهم قالوا يا رسول‌الله فذلك اليوم الذى كسنة أيكفينا فيه صلاة يوم قال لا الحديث فنقول و بالله التوفيق و منه المعونة فى التحقيق قد تبين لنا باخبار الصادق المصدوق صلوات الله تعالى و سلامه عليه ان الدجال يبعث معه من المشبهات و يفيض على يديه من التمويهات ما يسلب عن ذوى العقول عقولهم و يخطف من ذوى الابصار أبصارهم فمن ذلك تسخير الشياطين له و مجيئه بجنة و نار و احياء الميت على حسب ما يدعيه و تقويته على من يريد اضلاله تارة بالمطر و العشب و تارة بالازمة و الجدب ثم لاخفاء بانه اسحر الناس فلم يستقم لنا تأويل هذا القول الا ان نقول انه يأخذ باسماع الناس و أبصارهم حتى يخيل اليهم ان الزمان قد استمر على حالة واحدة اسفار بلا ظلام و صباح بلا مساء يحسبون ان الليل لايمد عليهم رواقه و ان الشمس لاتطوى عنهم ضياءها فيبقون فى حيرة و التباس من امتداد الزمان و يدخل عليهم دواخل باختفاء الآيات الظاهرة فى اختلاف الليل و النهار فامرهم ان يجتهدوا عند مصادمة تلك الاحوال و يقدروا لكل صلاة قدرها الى ان يكشف الله عنهم تلك الغمة هذا الذى اهتدينا اليه من التأويل و الله الموفق لاصابة الحق و هو حسبنا و نعم الوكيل و فى شرح مسلم للنووى رحمه الله قالوا هذا على ظاهره و هذه الايام الثلاثة طويلة على هذا القدر المذكور فى الحديث يدل عليه قوله و سائر أيامه كايامكم و أما قوله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم اقدروا له قدره فقال القاضى رحمه الله و غيره هذا حكم مخصوص بذلك اليوم شرعه لنا صاحب الشرع قالوا و لولا هذا الحديث وكلنا الى اجتهادنا اقتصرنا على الصلاة عند الاوقات المعروفة فى غيره من الايام و معناه اذا بعد طلوع الفجر قدر ما يكون بينه و بين الظهر فى كل يوم فصلوا الظهر ثم اذا مضى بعده قدر ما يكون بينها و بين العصر فصلوا العصر فاذا مضى بعدها قدر ما يكون بينها و بين المغرب فصلوا المغرب و كذا العشاء و الصبح ثم الظهر ثم العصر ثم المغرب و كذا حتى ينقضى ذلك اليوم و قد وقع فيه صلاة السنة فرائض مؤداة فى وقتها و أما الثانى الذى كشهر و الثالث الذى كجمعة فيقاس على اليوم الاول فى انه يقدر له كاليوم الاول على ما ذكرناه انتهى و حاصله ان الاوقات للصلاة أسباب و تقديم المسببات على الاسباب غير جائز الا بشرع مخصوص كما يقدم العصر على وقته بعرفات فمعنى اقدروا أى قدروا و خمنوا له أى لاداء الصلاة الخمس قدره أى قدر يوم كذا قيل و الاظهر ما قاله شارح أى قدروا لوقت

قلنا يا رسول‌الله و ما اسراعه فى الارض قال كالغيث استدبرته الريح فيأتى على القوم فيدعوهم فيؤمنون به فيأمر السماء فتمطر و الارض فتنبت فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت ذرى و أسبغه ضروعا و أمده خواصر ثم يأتى القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله فينصرف عنهم فيصبحون ممحلين ليس بايديهم شئى من أموالهم و يمر بالخربة فيقول لها اخرجى كنوزك فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل

صلاة يوم فى يوم كسنة مثلا قدره أى قدره الذى كان له فى سائر الايام كمحبوس اشتبه عليه الوقت (قلنا يا رسول‌الله و ما اسراعه) أى ما قدر اسراعه أو كيفية اعجاله (فى الارض) أى فى سيرها وطى ساحتها قال الطيبى رحمه الله لعلهم علموا ان له اسراعا فى الارض فسألوا عن كيفيته كما كانوا عالمين بلبثه فسألوا عن كميته بقولهم ما لبثه أى ما مدة لبثه (قال كالغيث) المراد به هنا الغيم اطلاقا للسبب على المسبب أى يسرع فى الارض اسراع الغيم (استدبرته الريح) قال ابن الملك الجملة حال أو صفة للغيث و أل فيه للعهد الذهنى و المعنى ان هذا مثال لايدرك كيفيته و لايمكن تقدير كميته (فيأتى) أى فيمر الدجال (على القوم) أى على جنس من الناس (فيدعوهم) أى الى باطله (فيؤمنون به فيأمر السماء) أى السحاب (فتمطر) من الامطار حتى تجرى الانهار (و الارض) أى و يأمرها (فتنبت) من الانبات حتى تظهر الازهار استدراجا من الواحد القهار (فتروح عليهم سارحتهم) أى فترجع بعد زوال الشمس اليهم ماشيتهم التى تذهب بالغدوة الى مراعيها (أطول ما كانت) أى السارحة من الابل و نصب أطول على الحالية و قوله (ذرى) بضم الذال المعجمة و حكى كسرها و فتح الراء منونا جمع ذروة مثلثة و هى اعلى السنام و ذروة كل شئى اعلاه و هو كناية عن كثرة السمن (و اسبغه) أى و أتم ما كانت (ضروعا) بضم أوله جمع ضرع و هو الثدى كناية عن كثرة اللبن (و أمده) أى و أمد ما كانت و هو اسم تفضيل من المد (خواصر) جمع خاصرة و هى ما تحت الجنب و مدها كناية عن الامتلاء و كثرة الاكل (ثم يأتى القوم) أى قوما آخرين و فى العدول عن قوله على بناء على ما سبق اشعار بان اتيانه على الاولين ضرر فى الحقيقة دون الآخرين (فيدعوهم) أى بدعوى ألوهيته (فيردون عليه قوله) أى لايقبلونه أو يبطلونه بالحجة (فينصرف عنهم) فيه اشارة الى انه ليس له قدرة الاجبار قال تعالى جل جلاله ان عبادى ليس لک عليهم سلطان الا من اتبعک من الغاوين و المعنى فيصرفه الله عنهم (فيصبحون ممحلين) بضم الميم و بالحاء أى داخلين فى المحل قال التوربشتى رحمه الله أمحل القوم أصابهم المحل و هو انقطاع المطر و يبس الارض من الكلا (ليس بايديهم شئى من أموالهم) و الحاصل ان المؤمنين صاروا به مبتلين بانواع من البلاء و المحن و الضراء و لكنهم صابرون و راضون و شاكرون لما أعطاهم الله من صفات الاولياء ببركة سيد الانبياء و سيد الاصفياء (و يمر على الخربة) بكسر الراء أى يمر الدجال بالارض الخربة و بالبقاع الخربة(فيقول لها اخرجى كنوزك) أى مدفونک أو معادنک (فتتبعه) بالفاء فصيحة أى فتخرج فتعقب الدجال (كنوزها كيعاسيب النحل) أى كما يتبع النحل اليعسوب قال النووى رحمه الله اليعاسيب ذكور النحل هكذا فسره ابن قتيبة و آخرون قال القاضى رحمه الله المراد جماعة النحل لا ذكورها خاصة لكنه كنى عن الجماعة باليعسوب و هو أميرها لانه متى طار تبعته جماعته و منه قيل للسيد يعسوب و روى الديلمى عن على رضى‌الله تعالى عنه مرفوعا على يعسوب المؤمنين و المال يعسوب المنافقين نفى

ثم يدعو رجلا ممتلئا شبابا فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض ثم يدعوه فيقبل و يتهلل وجهه يضحك فبينما هو كذلك اذ بعث الله المسيح بن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرق دمشق بين مهرودتين

الكلام نوع قلب اذ حق الكلام كنحل اليعاسيب و لعل النكتة فى جمع اليعاسيب هو الايماء الى كثرة الكنوز التابعة و انه قدر كانه جمع باعتبار جوانبه و أطرافه و المراد جمع من أمرائه و وكلائه و قال الاشرف قوله كاليعاسيب كناية عن سرعة اتباعه أى تتبعه الكنوز بالسرعة و قال الطيبى رحمه الله اذا كان قوله كاليعاسيب حالا من الدجال فالخربة صفة البقاع و اذا كان حالا من الكنوز فيجوز أن يكون الموصوف جمعا أو مفردا (ثم يدعو رجلا) أى يطلبه حال كونه (ممتلئا) أى تاما كاملا قويا (شبابا) تمييز عن النسبة قال الطيبى رحمه الله و الممتلئ شبابا هو الذى يكون فى غاية الشباب (فيضربه بالسيف) أى غضبا عليه لابائه قبول دعوته الالوهية أو اظهارا للقدرة و توطئة لخرق العادة (فيقطعه جزلتين) بفتح الجيم و تكسر أى قطعتين تتباعدان (رمية الغرض) أى قدر حذف الهدف فهى منصوبة بمقدر و فائدة التقييد به أن يظهر عند الناس انه هلك بلاشبهة كما يفعله السحرة و المشعبذة قال النووى رحمه الله هو بفتح الجيم على المشهور و حكى ابن دريد كسرها و معنى رمية الغرض انه يجعل بين الجزلتين مقدار رمية الغرض هذا هو الظاهر المشهور و حكى القاضى هذا ثم قال و عندى ان فيه تقديما و تأخيرا و تقديره فيصيبه اصابة رمية الغرض فيقطعه جزلتين و الصحيح الاول قال التوربشتى رحمه الله أراد برمية الغرض أما سرعة نفوذ السيف و أما اصابة المحز قال الطيبى رحمه الله و يؤيد تأويل النووى قوله فى الحديث الذى يليه ثم يمشى الدجال بين القطعتين (ثم يدعوه فيقبل) أى الرجل الشاب على الدجال (و يتهلل) أى يتلألأ و يضيء (وجهه يضحك) حال من فاعل يقبل أى يقبل ضاحكا بشاشا فيقول هذا كيف يصلح الها (فبينما) بالميم على الصحيح (هو) أى الرجل (كذلك) أى على تلك الحال و ذلك المنوال (اذ بعث الله المسيح ابن مريم) عليهما الصلاة والسلام فسبحان من يدفع المسيح بالمسيح قال تعالى جل شانه بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق (فينزل) أى عيسى عليه الصلاة والسلام (عند المنارة البيضاء شرق) بالنصب على الظرفية مضافا الى قوله (دمشق) بكسر الدال و فتح الميم و تكسر و هو المشهور الآن بالشام فانه تحت ملكه و فى الجامع روى الطبرانى عن أوس ابن أوس ينزل عيسى بن مريم عند المنارة البيضاء شرق دمشق ذكر السيوطى فى تعليقه على ابن ماجه انه قال الحافظ بن كثير فى رواية ان عيسى عليه الصلاة والسلام ينزل ببيت المقدس و فى رواية بالاردن و فى رواية بمعسكر المسلمين قلت حديث نزوله ببيت المقدس عند ابن ماجه وهو عندى أرجح و لا ينافى سائر الروايات لان بيت المقدس شرق دمشق و هو معسكر المسلمين اذ ذاك و الاردن اسم الكورة كما فى الصحاح و بيت المقدس داخل فيه و ان لم يكن فى بيت المقدس الآن منارة فلابد أن تحدث قبل نزوله و الله تعالى أعلم و قوله (بين مهرودتين) بالدال المهملة و يعجم أى حال كون عيسى بينهما بمعنى لابس حلتين مصبوغتين بورس أو زعفران قال النووى رحمه الله روى بالدال المهملة و الذال المعجمة أكثر و الوجهان مشهوران للمتقدمين و المتأخرين و أكثر ما يقع فى النسخ بالمهملة و معناه لابس ثوبين مصبوغين بالورس ثم الزعفران انتهى

واضعا كفيه على أجنحة ملكين اذا طأطأ رأسه قطر و اذا رفعه تحدر منه مثل جمان كاللؤلؤ فلايحل لكافر يجد من ريح نفسه الا مات و نفسه ينتهى حيث ينتهى طرفه فيطلبه حتى يدركه بباب لد فيقتله ثم يأتى عيسى قوم قد عصمهم الله منه فيمسح عن وجوههم

و قال ابن الانبارى يروى بدال مهملة و معجمة أى بين ممصرتين على ما جاء فى الحديث و لانسمعه الا فيه و كذلك أشياء كثيرة لم تسمع الا فى الحديث و المخصرة من الثياب التى فيها صفرة خفيفة كذا فى النهاية (واضعا كفيه على أجنحة ملكين) حال لبيان كيفية انزاله كما ان ما قبله حال لبيان كيفية لبسه و جماله ثم بين له حالة أخرى بقوله (اذا طأطأ) بهمزتين أى خفض (رأسه قطر) أى عرق (و اذا رفعه) أى رأسه (تحدر) بتشديد الدال أى نزل (منه) أى من شعره قطرات نورانية (مثل الجمان) بضم الجيم و تخفيف الميم و تشدد حب يتخذ من الفضة (كاللؤلؤ) أى فى الصفاء و البياض ففى النهاية الجمان بضم الجيم و تخفيف الميم يتخذ من الفضة على هيئة اللآلىء الكبار قال الطيبى رحمه الله شبهه بالجمان فى الكبر ثم شبه الجمان باللؤلؤ فى الصفاء و الحسن فالوجه أن يكون الوجه الكبر مع الصفاء و الحسن و فى القاموس الجمان كغراب اللؤلؤ أو هنوات اشكال اللؤلؤ و قال شارح الجمان بتشديد الميم و قال ابن الملك بالتشديد اللؤلؤ الصغار و بتخفيفها حب يتخذ من الفضة و قيل المراد بالجمان فى صفة عيسى عليه الصلاة والسلام هو الحب المتخذ من الفضة قلت بل هو المتعين بقوله كاللؤلؤ (فلايحل) بكسر الحاء أى لايمكن و لايقع (لكافر أن يجد من ريح نفسه) بفتح الفاء (الا مات) كذا ذكره النووى و قال القاضى معناه عندى حق واجب قال و رواه بعضهم بضم الحاء و هو وهم و غلط قال الطيبى رحمه الله معناه لايحصل و لايحق أن يجد من ريح نفسه و له حال من الاحوال الا حال الموت فقوله يجد مع ما فى سياقه فاعل يحل على تقدير ان (و نفسه ينتهى حيث ينتهى طرفه) بسكون الراء أى لحظه و لمحه و يجوز كون الدجال مستثنى من هذا الحكم لحكمة اراءة دمه فى الحربة ليزداد كونه ساحرا فى قلوب المؤمنين و يجوز كون هذه الكرامة لعيسى أولا حين نزوله ثم تكون زائلة حين يرى الدجال اذ دوام الكرامة ليس بلازم و قيل نفس الذى يموت الكافر هو النفس المقصود به اهلاك كافر لا النفس المعتاد فعدم موت الدجال لعدم النفس المراد و قيل المفهوم منه أن من وجد من نفس عيسى من الكفار يموت و لايفهم منه أن يكون ذلك أول وصول نفسه فيجوز أن يحصل ذلك بهم بعد أن يريهم عيسى عليه الصلاة والسلام دم الدجال فى حربته للحكمة المذكورة كذا بخط شيخنا المرحوم مولانا عبد الله السندى رحمه الله تعالى ثم من الغريب ان نفس عيسى عليه الصلاة والسلام تعلق به الاحياء لبعض و الاماتة لبعض (فيطلبه) أى يطلب عيسى عليه الصلاة والسلام الدجال (حتى يدركه بباب لد) بضم لام و تشديد دال مصروف اسم جبل بالشام و قيل قرية من قرى بيت المقدس و عليه اقتصر النووى و زاد غيره سمى به لكثرة شجره و قال السيوطى رحمه الله فى شرح الترمذى هو على ما فى النهاية موضع بالشام و قيل بفلسطين (فيقتله) فى الجامع رواه الترمذى و كذا أحمد و عن مجمع بن جارية يقتل ابن مريم الدجال بباب لد (ثم يأتى عيسى قوم قد عصمهم الله منه) أى حفظهم من شر الدجال (فيمسح عن وجوههم) أى يزيل عنها ما أصابها من غبار سفر الغزو مبالغة فى اكرامهم أو المعنى يكشف ما نزل بهم من آثار الكآبة و الحزن على وجوههم بما يسرهم من خبره بقتل

و يحدثهم بدرجاتهم فى الجنة فبينما هو كذلك اذ أوحى الله الى عيسى انى قد أخرجت عبادا لى لايدان لاحد بقتالهم فحرز عبادى الى الطور و يبعث الله يأجوج و مأجوج و هم من كل حدب ينسلون فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها و يمر آخرهم فيقول لقد كان بهذه مرة ماء ثم يسيرون حتى ينتهوا الى جبل الخمر و هو جبل بيت المقدس فيقولون لقد قتلنا من فى الارض هلم فلنقتل من فى السماء فيرمون بنشابهم الى السما فيرد الله عليهم نشابهم مخضوبة دما و يحصر نبى الله و أصحابه حتى تكون رأس الثور لاحدهم خيرا من مائة دينار لاحدكم اليوم فيرغب نبى الله

الدجال (و يحدثهم بدرجاتهم فى الجنة) قال النووى رحمه الله و هذا المسح يحتمل أن يكون على ظاهره فيمسح وجوههم تبركا أو انه أشارة الى كشف ما يكون فيه من الشدة و الخوف (فبينما هو كذلك اذ اوحى الله الى عيسى أنى) بفتح الهمزة و يكسر (قد أخرجت عبادا لى) أى أظهرت جماعة منقادة لقضائى و قدرى (لايدان) أى لاقدرة و لاطاقة (لاحد بقتالهم) و انما عبر عن الطاقة باليد لان المباشرة و المدافعة انما تكون باليد و ثنى مبالغة كان يديه معدومتان لعجزه عن دفعه و يمكن أن يكون فى التثنية ايماء الى العجز عنهما جميعا (فحرز عبادى) أى من التحريز مأخوذ من الحرز أى أحفظهم و ضمهم (الى الطور) و اجعله لهم حرزا (و يبعث الله ياجوج و ماجوج) بالالف و يبدل فيهما (و هم) أى جميع القبيلتين لقوله تعالى هذان خصمان اختصموا (من كل حدب) بفتحتين أى مكان مرتفع من الارض (ينسلون) بفتح الياء و كسر السين أى يسرعون (فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية) بالاضافة و بحيرة تصغير بحرة و هى ماء مجتمع بالشام طوله عشرة أميال و طبرية بفتحتين اسم موضع و قال شارح هى قصبة الاردن بالشام (فيشربون ما فيها) أى من الماء (و يمر آخرهم فيقول) أى آخرهم أو قائل منهم (لقد كان بهذه) أى البحيرة أو البقعة (مرة) أى وقتا (ماء) أى ماء كثير (ثم يسيرون حتى ينتهوا الى جبل الخمر) بفتح الخاء المعجمة و الميم و بالراء الشجر الملتف و فسر فى الحديث بقوله (و هو جبل بيت المقدس) لكثرة شجره أو هو كل ما سترك من شجر أو بناء أو غيره كذا فى النهاية (فيقولون لقد قتلنا من فى الارض) أى من ظهر على وجهها لما سيأتى من استثناء عيسى عليه الصلاة و السلام و أصحابه حيث كانوا محصورين محصونين (هلم) أى تعال و الخطاب لاميرهم و كبيرهم أو عام غير مخصوص باحدهم و فى النهاية فيه لغتان فاهل الحجاز يطلقونه على الواحد و الاثنين و الجمع و المؤنث بلفظ واحد مبنى على الفتح و بنو تميم تثنى و تجمع و تؤنث تقول هلم و هلمى و هلما و هلموا (فلنقتل من فى السماء فيرمون بنشابهم) بضم فتشديد مفرده نشابة و الباء زائدة أى سهامهم (الى السماء) أى الى جهتها (فيرد الله عليهم نشابهم مخضوبة) أى مصبوغة (دما) تمييز و هذا مكر و استدراج منه سبحانه مع احتمال اصابة سهامهم لبعض الطيور فى السماء فيكون فيه أشارة الى احاطة فسادهم بالسفليات و العلويات (و يحصر) بصيغة المفعول أى يحبس فى جبل الطور (نبى الله) أى عيسى عليه الصلاة و السلام (و أصحابه) أى من مؤمنى هذه الامة (حتى يكون) أى يصير من شدة المحاصرة و المضايقة (رأس الثور) أى البقر مع كمال رخصه فى تلك الديار (لاحدهم خيرا من مائة دينار لاحدكم اليوم) قال التوربشتى رحمه الله أى تبلغ بهم الفاقة الى هذا الحد

عيسى و أصحابه فيرسل الله عليهم النغف فى رقابهم فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة ثم يهبط نبى الله عيسى و أصحابه الى الارض فلايجدون فى الارض موضع شبر الا ملأه زهمهم و نتنهم فيرغب نبى الله عيسى و أصحابه الى الله فيرسل الله طيرا كاعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله و فى رواية تطرحهم بالنهبل

و انما ذكر رأس الثور ليقاس البقية عليه فى القيمة (فيرغب) أى الى الله أو يدعو (نبى الله) فيه تنبيه نبيه على انه مع متابعته شريعة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم باق على نبوته (عيسى و أصحابه) قال القاضى أى يرغبون الى الله تعالى فى اهلاكهم و انجائهم عن مكابدة بلائهم و يتضرعون اليه فيستجيب الله فيهلكهم بالنغف كما قال (فيرسل الله عليهم) أى على يأجوج و مأجوج (النغف) بفتح النون و الغين المعجمة دود يكون فى أنوف الابل و الغنم (فى رقابهم فيصبحون فرسى) كهلكى وزنا و معنى و هو جمع فريس كقتيل و قتلى من فرس الذئب الشاة اذا كسرها و قتلها و منه فريسة الأسد (كموت نفس واحدة) لكمال القدرة و تعلق المشيئة قال تعالى ما خلقكم و لابعثكم الا كنفس واحدة قال التوربشتى رحمه الله يريد ان القهر الالهى الغالب على كل شئ يفرسهم دفعة واحدة فيصبحون قتلى و قد نبه بالكلمتين أعنى النغف و فرسى على انه سبحانه يهلكهم فى أدنى ساعة باهون شئ و هو النغف فيفرسهم فرس السبع فريسته بعد ان طارت نعرة البغى فى رؤسهم فزعموا انهم قاتلوا من فى السماء (ثم يهبط) أى ينزل من الطور (نبى الله عيسى و أصحابه الى الارض فلايجدون فى الارض) أى فى وجهها جميعا و هذا هو وجه العدول عن الضمير الى الظاهر فاللام فى الاولى للعهد و فى الثانية للاستغراق بدليل الاستثناء و به يتبين ان القاعدة المعروفة ان المعرفة اذا أعيدت تكون عينا للاولى مبنية على غالب العادة أو حيث لاقرينة صارفة (موضع شبر الا ملأه زهمهم) بفتح الزاى و الهاء و قد تضم الزاى و قال شارح هو بالضم و روى بالتحريك و تفسير قوله (و نتنهم) بسكون التاء قال التوربشتى رحمه الله الزهم بالتحريك مصدر قولك زهمت يدى بالكسر من الزهومة فهى زهمة أى دسمة و عليه أكثر الروايات فيما أعلم و فيه من طريق المعنى وهن و ضم الزاى مع فتح الهاء أصح معنى و هو جمع زهمة يعنى بضم الزاى و سكون الهاء و هى الريح المنتنة و قال شارح هو أصح رواية و دراية و يوافقهما ما فى القاموس حيث قال الزهومة و الزهمة بضمها ريح لحم سمين منتن و الزهم بالضم الريح المنتنة و بالتحريك مصدر زهمت يده كفرح فهى زهمة أى دسمة انتهى و قد يقال اطلق المصدر و أريد به الوصف مبالغة كرجل عدل (فيرغب نبى الله عيسى و أصحابه الى الله) فى ضم أصحابه اليه اشارة الى أن الهيئة الاجتماعية فى الهمة الاطماعية لها تأثير بليغ فى الاجابة الدعائية أو فى ذكرهم ايماء الى انهم هم الباعث على الدعاء و التضرع الى رب السماء (فيرسل الله طيرا كاعناق البخت) بضم موحدة و سكون معجمة نوع من الابل أى طيرا أعناقها فى الطول و الكبر كاعناق البخت و الطير جمع طائر و قد يقع على الواحد ولذا قال (فتحملهم) أى تلك الطير (فتطرحهم) أى فترميهم (حيث شاء الله) أى من البحار أو مما وراء معمورة الديار أو خلف جبال قاف و نحوها أو الى عالم الاعدام و الافناء (و فى رواية تطرحهم بالنهبل) بفتح النون و سكون الهاء و فتح الموحدة موضع و قيل مكان ببيت المقدس و فيه انه كيف يسعهم و لعل المراد به موضع بعجبهم أو على طريق خرق العادة يسعهم و قيل هو حيث تطلع الشمس

و يستوقد المسلمون من قسيهم و نشابهم و جعابهم سبع سنين ثم يرسل الله مطرا لايكن منه بيت مدر و لا وبر فيغسل الارض حتى يتركها كالزلفة ثم يقال للارض انبتي ثمرتك و ردى بركتك فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة و يستظلون بقحفها و يبارك فى الرسل حتى ان اللقحة من الابل لتكفى الفئام من الناس

و فى القاموس نهبل أسن و روى الترمذى فى حديث الدجال فتطرحهم بالنهبل و هو تصحيف و الصواب بالميم انتهى و لم يذكر المهبل لا لفظا و لا معنى (و يستوقد المسلمون من قسيهم) بكسرتين فتشديد تحتية جمع قوس و الضمير ليأجوج و مأجوج (و نشابهم) أى سهامهم (و جعابهم) بكسر الجيم جمع جعبة بالفتح و هى ظرف النشاب (سبع سنين ثم يرسل الله مطرا) أى عظيما (لايكن) بفتح الياء و ضم الكاف و تشديد النون من كننت الشئى أى سترته و صنته عن الشمس و هى من أ كننت الشئى بهذا المعنى و المفعول محذوف و الجملة صفة مطرا أى لايستر و لايصون شيأ (منه) أى من ذلك المطر (بيت مدر) بفتحتين أى تراب و حجر (و لا وبر) أى صوف أو شعر و المراد تعميم بيوت أهل البدو و الحضر قال النووى رحمه الله أى لايمنع من نزول الماء بيت المدر و هو الطين الصلب و قال القاضى رحمه الله أى لايحول بينه و بين مكان ماء حائل بل يعم الاماكن كلها (فيغسل) أى المطر (الارض) أى وجهها كلها (حتى يتركها كالزلفة) بفتح الزاى و اللام و يسكن و بالفاء و قيل بالقاف و هى المرآة بكسر الميم و قيل ما يتخذ لجمع الماء من المصنع و المراد ان الماء يعم جميع الارض بحيث يرى الرائى وجهه فيه قال النووى رحمه الله روى بفتح الزاى و اللام و بالفاء و بالقاف و روى بضم الزاى اسكان اللام و بالفاء و قال القاضى رحمه الله روى بالفاء و القاف و بفتح اللام و باسكانها و كلها صحيحة قلت الاصح و هو الذى عليه الاكثر بفتحتين و الفاء و اقتصر عليه القاموس فى المعانى الآتية كلها و الله تعالى أعلم قال و اختلفوا فى معناها فقال ثعلب و أبو زيد و آخرون معناه كالمرآة و حكى صاحب المشارق هذا عن ابن عباس أيضا شبهها بالمرآة فى صفائها و نظافتها و قيل معناه كمصانع الماء أى الماء يستنقع فيها حتى تصير الارض كالمصنع الذى يجتمع فيه الماء و قال أبوعبيدة معناه الاجانة الخضراء و قيل كالصحفة و قيل كالروضة (ثم يقال للارض انبتى ثمرتك و ردى) أى الى أهلك (بركتك) أى من سائر نعمك (فيومئذ تأكل العصابة) بكسر العين أى الجماعة (من الرمانة) أى و يشبعون منها (و يستظلون بقحفها) بكسر القاف أى بقشرها قال النووى رحمة الله هو مقعر قشرها شبهها بقحف الآدمى و هو الذى فوق الدماغ و قيل هو ما انفلق من جمجمته و انفصل و قال شارح أراد نصف قشرها الاعلى و هو فى الاصل العظم المستدير فوق الدماغ و هو أيضا اناء من خشب على مثاله كانه نصف صاع و استعير هنا لما يلى رأسها من القشر (و يبارك) بصيغة المجهول أى يوضع البركة و الكثرة (فى الرسل) بكسر الراء و سكون السين أى اللبن (حتى ان اللقحة) بكسر اللام و يفتح أى الناقة الحلوبة قال النووى رحمة الله اللقحة بكسر اللام و فتحها لغتان مشهورتان و الكسر أشهر و هى القريبة العهد بالولادة و قال فى المختصر من النوق و غيرها فقوله (من الابل) بيانية (لتكفى) أى اللقحة و المراد لبنها (الفئام) بهمز على زنة رجال و العامة تبدل الهمز ياء أى الجماعة (من الناس) و لا واحد له من لفظه و المراد به ههنا أكثر من القبيلة كما ان القبيلة أكثر من الفخذ على ما سيأتى و قال النووى رحمه الله الفئام بكسر القاف و بعدها همزة ممدودة هى

و اللقحة من البقر لتكفى القبيلة من الناس و اللقحة من الغنم لتكفى الفخذ من الناس فبيناهم كذلك اذ بعث الله ريحا طيبة فتأخذهم تحت آباطهم فيقبض روح كل مؤمن و كل مسلم و يبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحمر فعليهم تقوم الساعة رواه مسلم الا الرواية الثانية و هى قوله تطرحهم بالنهبل الى قوله سبع سنين رواه الترمذى ★ و عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يخرج الدجال فيتوجه قبله رجل من المؤمنين

الجماعة الكثيرة هذا هو المشهور المعروف فى اللغة و رواية الحديث بكسر الفاء و بالهمز قال القاضى و منهم من لايجيز الهمز بل يقوله بالياء و قال فى المشارق و حكى الخليل بفتح الفاء قال و ذكره صاحب العين غير مهموز و أدخله فى حرف الياء و حكى الخطابى ان بعضهم ذكره بفتح الفاء و تشديد الياء و هو غلط فاحش (و اللقحة من البقر لتكفى القبيلة من الناس و اللقحة من الغنم لتكفى الفخذ من الناس) قال القاضى عياض رحمه الله الفخذ هنا بسكون الخاء المعجمة لا غير جماعة من الاقارب و هم دون البطن و البطن دون القبيلة و أما الفخذ بمعنى العضو فبكسر الخاء و سكونها (فبينا) بلا ميم (هم) مبتدأ خبره (كذلك) و نا عوض عن المضاف اليه و العامل فيه قوله (اذ بعث الله) و اذ للمفاجأة أى بين أوقات يتنعمون فى طيب عيش و سعة أرسل عليهم فجأة (ريحا طيبة فتأخذهم تحت آباطهم) بهمزة ممدودة جمع ابط (فتقبض) أى تلك الريح (روح كل مؤمن) أسند الفعل الى الريح مجزا (أو كل مسلم) قال النووى رحمه الله هكذا هو فى جميع النسخ بالواو يعنى كان الظاهر ان يكون بأو بالشك فانه لافرق بين المؤمن و المسلم عند أرباب الحق من أهل السنة و الجماعة فالمقصود المبالغة فى التعميم و التغاير باعتبار اختلاف الوصفين كما فى التنزيل تلك آيات الكتاب و قرآن مبين و قوله سبحانه ان المسلمين و المسلمات و المؤمنين و المؤمنات أو بناء على الفرق اللغوى بينهما من ان المراد بالمؤمن المصدق و بالمسلم المنقاد لكن لما كان أحدهما لاينفع بدون الآخر جعل الموصوف بهما واحدا و أطلق عليه كل واحد من الوصفين بطريق التساوى أو لكون أحدهما غالبا عليه فى نفس الامر و الله تعالى أعلم قال الطيبى رحمه الله المراد بالتكرار هنا الاستيعاب أى تقبض روح خيار الناس كلهم (و يبقى شرار الناس) بكسر أوله جمع شر (يتهارجون) أى يختلطون (فيها) أى فى تلك الازمنة أو فى الارض (تهارج الحمر) أى كاختلاطها و يتسافدون و قيل يتخاصمون فان الاصل فى الهرج القتل و سرعة عدو الفرس و هرج فى حديثه أى خلط قال النووى رحمه الله أى يجامع الرجال النساء علانية بحضرة الناس كما يفعل الحمير و لايكترثون لذلك و الهرج باسكان الراء الجماع و يقال هرج زوجته أى جامعها يهرجها بفتح الراء و ضمها و كسرها (فعليهم تقوم الساعة) أى لا على غيرهم و سيأتى حديث لاتقوم الساعة الا على شرار الناس و فى رواية لاتقوم الساعة حتى لايقال فى الارض الله الله (رواه) أى الحديث بكماله (مسلم الا الرواية الثانية و هى) أى الرواية و فى نسخة و هو و تذكيره لتذكير خبره و هو (قوله تطرحهم بالنهبل الى قوله سبع سنين رواها) أى تلك الرواية (الترمذى ★ وعن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يخرج الدجال فيتوجه قبله) بكسر قاف و فتح موحدة أى الى جانبه (رجل) أى عظيم (من المؤمنين) قال أبو اسحق ابراهيم بن سفيان الفقيه راوى صحيح مسلم يقال ان هذا الرجل الخضر عليه الصلاة و السلام و كذا قال معمر و هذا يقتضى أن يكون الخضر حيا و قد اختلف العلماء فى ذلك فالجمهور من

فيلقاه المسالح مسالح الدجال فيقولون له أين تعمد فيقول أعمد الى هذا الذى خرج قال فيقولون له أو ما تؤمن بربنا فيقول ما بربنا خفاء فيقولون اقتلوه فيقول بعضهم لبعض أليس قد نهاكم ربكم أن تقتلوا أحدا دونه فينطلقون به الى الدجال فاذا رآه المؤمن قال يا أيها الناس هذا الدجال الذى ذكر رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال فيأمر الدجال به فيشج فيقول خذوه و شجوه فيوسع ظهره و بطنه ضربا قال فيقول أو ما تؤمن بى قال فيقول أنت المسيح الكذاب قال فيؤمر به فيوشر

الفقهاء و المحدثين و غيرهم و بعض الصوفية على انه مات و ذهب جمهور الصوفية و بعض الفقهاء و غيرهم الى انه حى قال النووى رحمه الله و هو الصحيح ذكره الشيخ الجزرى (فيلقاه المسالح) بفتح الميم و كسر اللام جمع المسلحة و هم القوم ذوو السلاح يحفظون الثغور (مسالح الدجال) مرفوع على الابدال و فيه اشارة الى ان اللام عوض عن المضاف اليه أواللام للعهد قال القاضى رحمه الله و لعل المراد به ههنا مقدمة جيشه و أصلها موضع السلاح ثم استعمل للثغر فانه يعد فيه الاسلحة ثم للجند المترصدين ثم لمقدمة الجيش فانهم من الجيش كاصحاب الثغور ممن وراءهم من المسلمين (فيقولون له أين تعمد) بكسر الميم أى تقصد (فيقول أعمد الى هذا الذى خرج) أى خرج عن الحق أو على الخلق أو ظهر بالباطل و الاشارة للتحقير (فيقولون له أو ما تؤمن بربنا) يعنون به الدجال حيث وجدوا عنده الجاه و المال (فيقول) أى الرجل (ما بربنا) أى بربى و ربكم ففيه تغليب أو ما بربنا معشر المؤمنين (خفاء) و ما نافية أى ليس يخفى علينا صفات ربنا عن غيره لنعدل عنه اليه أو لنترك الاعتماد عليه

ففى كل شئ له شاهد ✱ يدل على انه واحد

و أما ماعداه فآثار الحدوث عليه لائحة و انواع النقصان فيه واضحة و من أظهر الادلة القطعية ان المخلوقية تنافى الربوبية و العبودية تناقض الالوهية مالتراب و رب الارباب كيف و العيوب الظاهرة فيه تشهد لمن له أدنى عقل كما لايخفى و فيه ايماء الى ما سبق من قوله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم ان الله لايخفى عليكم ان الله ليس باعور قال الطيبى رحمه الله هذا تكذيب لهم و بيان لتمويههم و تلبيسهم اذ ما يؤمن بربنا كما قال صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم ان الله لايخفى عليكم ان الله ليس باعور (فيقولون اقتلوه فيقول بعضهم لبعض أليس قد نهاكم ربكم أن تقتلوا) أى من قبلكم (أحدا دونه) أى دون علمه و أمره و اذنه (فينطلقون به الى الدجال فاذا رآه المؤمن) أى أبصر الدجال الرجل المؤمن و قد عرف علاماته (قال) تذكيرا للامة و توهينا للغمة (هذا الدجال الذى ذكر رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم) أى فى أحاديثه انه سيخرج فى آخر الزمان (قال) أى النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم (فيأمر الدجال به) أى بضربه (فيشج) بتشديد الموحدة المفتوحة أى يمد للضرب (فيقول) أى الدجال تأكيدا و تغليظا و تشديدا (خذوه) أى امسكوه أخذا شديدا (و شجوه) بضم الشين المعجمة و تشديد الجيم أى اكسروا رأسه و فى نسخة فشبحوه بفتح الشين و كسر الموحدة فحاء مهملة أى مدوه على بطنه أو على قفاه يقال تشبح الحرباء على العود أى امتد و تشبيح الشئ جعله عريضا (فيوسع) بسكون الواو و فتح السين (ظهره و بطنه ضربا) أى يكثر الضرب على ظهره و بطنه (قال فيقول) أى الدجال (أما تؤمن بى) و فى نسخة أو ما تؤمن بى أى أتنكرنى و الوهيتى و ما تؤمن بى و ربوبيتى (قال فيقول) أى المؤمن (أنت المسيح الكذاب) أى الذى يقتلك المسيح الصديق (قال فيؤمر به فيؤشر) بضم فسكون همز و يبدل

بالميشار من مفرقه حتى يفرق بين رجليه قال ثم يمشي الدجال بين القطعتين ثم يقول له قم فيستوى قائما ثم يقول له أ تؤمن بي فيقول ما ازددت فيك الا بصيرة قال ثم يقول يا أيها الناس انه لايفعل بعدى باحد من الناس قال فيأخذه الدجال ليذبحه فيجعل ما بين رقبته الى ترقوته

واوا ففتح شين أي فيقطع (بالمشار) بكسر الميم و سكون الهمز و يبدل ياء و بالنون فى بعض النسخ و هو آلة النشر و القطع (من مفرقه) بفتح الميم و كسر الراء و يفتح أي مبتدأ من فرق رأسه (حتى يفرق) بصيغة المجهول مخففا و يشدد أى حتى يفصل بدنه قطعتين واقعتين (بين رجليه) أي فى طرفى قدميه قال النووي رحمه الله قوله يشبح بشين معجمة ثم باء موحدة و حاء مهملة و كذا شبحوه أى مدوه على بطنه و جاء أيضا شجوه بجيم مشددة من الشج و هو الجرح فى الرأس ثم قال و هذه الرواية أصح عندنا و قوله فيؤشر الرواية فيه بالهمزة و المئشار بهمز بعد الميم و هو الافصح و يجوز تخفيف الهمز فيهما فيجعل فى الاول واوا و فى الثانى ياء و يجوز المنشار بالنون و على هذا يقال نشرت الخشبة و مفرقه بكسر الراء وسطه يعنى وسط فرقه أو وسط رأسه انتهى قال الجزرى رحمه الله روى هذا الحديث على ثلاثة أوجه يشبح بمعجمة فموحدة فمهملة و شجوه بالجيم من الشج و هو الجرح فى الرأس و الوجه و ثانيهما يشبح كالاول و شبحوه بالباء و الحاء و ثالثها فيشج و شجوه كلاهما بالجيم و هو الذى ذكره المؤلف و الوجه الثانى هو الذى ذكره الحميدى و صححه القاضى عياض و الاصح عند جماعة من أصحابنا الاول و الله تعالى أعلم و قال شارح يقال وشرت الخشبة بالميشار اذا نشرته بالمنشار و فى الحديث بالياء لا غير يدل عليه فيوشر قلت فيه بحث اذ قوله فيوشر يحتمل أن يكون بالهمز و أن يكون بواو مبدلة أو أصلية و كذا فى الميشار يصح همزه و ابداله من همز أو من واو و هذا لاينافى أن يكون بالهمز و أن يكون المنشار بالنون بناء على التفنن فى العبارة مع إنه هو المشهور باعتبار اللغة على لسان العامة و فى القاموس أشر الخشب بالميشار شقه و نشر الخشب نحته و وشر الخشب بالميشار غير مهموز لغة فى أشرها بالمنشار اذا نشرها انتهى و به يعلم ان الاصل هو الهمز و الواو لغة فى الشق و النون خاص بمعنى النحت (قال) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (ثم يمشى الدجال بين القطعتين) أى الشقتين من الرجل تخييلا لتحقيق القتل (ثم يقول له قم فيستوى قائما ثم يقول له أ تؤمن بي فيقول ما ازددت) بفتح الدال و قال شارح بكسر الدال الاولى على بناء المجهول أقول صحته موقوفة على اتيانه متعديا الى مفعولين و ظاهر ما فى القاموس انه لازم حيث قال زاده الله خيرا فزاد و ازداد حيث أشار الى ان زاد لازم و متعد و ان ازداد قاصر فقط حيث جعله مطاوعا نعم قوله تعالى ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم صريح فى انه متعد الى مفعول واحد و أما زاد فيجيء لازما و متعديا الى مفعول و الى مفعولين كقوله تعالى فزادهم ايمانا و قيل نصب ايمانا على التمييز و حاصل المعنى ما زدت (فيك) أى فى معرفتك بفعلك هذا من القتل والاحياء (الا بصيرة) أى زيادة علم و يقين بانك كاذب مموه (قال ثم يقول) المؤمن (أيها الناس انه) أى الشان أو الدجال (لايفعل) مفعوله محذوف أى لايفعل ما فعل بي من القتل و الاحياء فى الظاهر (بعدى) أى بعد فعله بي (باحد من الناس) و فى هذا اخبار عن سلب القدرة الاستدراجية عنه و تسلية للناس فى الخوف منه (قال فيأخذه الدجال ليذبحه فيجعل) بضم أوله و فى نسخة بفتحه أي فيجعل الله (ما بين رقبته الى ترقوته) بفتح التاء و سكون الراء و ضم القاف و فتح الواو

نحاسا فلایستطیع الیه سبیلا قال فیأخذ بیدیه و رجلیه فیقذف به فیحسب الناس انما قذفه الی النار و انما ألقی فی الجنة فقال رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم هذا أعظم الناس شهادة عند رب العالمین رواه مسلم ★ و عن أم شریک قالت قال رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم لیفرن الناس من الدجال حتی یلحقوا بالجبال قالت أم شریک قلت یا رسول‌الله فاین العرب یومئذ قال هم قلیل رواه مسلم ★ و عن أنس عن رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم قال یتبع الدجال من یهود اصفهان

العظم الذی بین ثغرة النحر و العاتق (نحاسا) أی کالنحاس لایعمل فیه السیف و فی شرح السنة قال معمر بلغنی انه یجعل علی حلقه صفحة نحاس (فلایستطیع) أی الدجال (الیه) أی الی وصول قتله و لایقدر علی حصول مضرته (سبیلا) تمییز أی طریقا من التعرض (قال فیأخذ) أی الدجال (بیدیه و رجلیه فیقذف به) أی یرمی بالمؤمن و یطرحه فی الهواء (فیحسب الناس) بکسر السین و فتحها أی فیظنون (انما قذفه الی النار) فی تأویل المصدر أی قذفه الیها و الاظهر ما اختاره الزمخشری من ان انما بالفتح یفید الحصر أیضا کما اجتمعا فی قوله تعالی قل انما یوحی الی انما الهکم اله واحد و یؤیده قوله (و انما ألقی) بصیغة المجهول أی أوقع (فی الجنة) و اللام للعهد أی فی بستان من بساتین الدنیا و یمکن انه یرمیه فی النار التی معه و یجعلها الله علیه جنة کما سبق بردا و سلاما علی ابراهیم علیه الصلاة و السلام و تصیر تلک النار روضة و جنة و علی کل تقدیر فلم‌یحصل له موت علی یده سوی ما تقدم و أما قول الراوی (فقال رسول‌الله صلی‌الله تعالی‌علیه‌وسلم هذا أعظم الناس شهادة عند رب العالمین) فالمراد بها قتله الاول فتأمل فانه موضع الزلل و الخطل و الوحل کما وقع فیه الطیبی رحمه الله بقوله فیحسب الناس ان الدجال قذفه فیما یزعم انه ناره و انما ألقی فی الجنة و هی دار البقاء یدل علیه قوله هذا أعظم الناس شهادة و نحوه قوله تعالی و لاتحسبن الذین قتلو فی سبیل الله أمواتا بل أحیاء عند ربهم یرزقون فرحین أی یسرحون فی ثمار الجنة أقول فهذا مناقض لقوله انه لایفعل بعدی باحد من الناس اللهم الا أن یقال المراد بقوله لایفعل بعدی أی بعد قتلی ثانیا باحد من الناس أی غیری و لایخفی بعده و الله تعالی أعلم و سیأتی فی حدیث أبی سعید ما یفید تایید ما اخترناه (رواه مسلم ★ و عن أم شریک) بفتح فکسر أی الانصاریة أو القرشیة (قالت قال رسول‌الله صلی‌الله‌تعالی‌علیه‌وسلم لیفرن) أی لیهربن (الناس) أی المؤمنون (من الدجال حتی یلحقوا بالجبال قالت أم‌شریک قلت یا رسول‌الله فاین العرب یومئذ) قال الطیبی رحمه الله الفاء فیه جزاء شرط محذوف أی اذا کان هذا حال الناس فاین المجاهدون فی سبیل الله الذابون عن حریم الاسلام المانعون عن أهله صولة أعداء الله فکنی عنهم بها (قال هم) أی العرب (قلیل) أی حینئذ فلایقدرون علیه (رواه مسلم) و کذا الترمذی ذکره السید و لفظ الجامع لیفرن الناس من الدجال فی الجبال رواه أحمد و مسلم و الترمذی ★ (و عن أنس عن رسول‌الله صلی‌الله‌تعالی علیه‌وسلم قال یتبع) بفتح فسکون ففتح و قال شارح من الاتباع بتشدید التاء أی یطیع (الدجال من یهود اصفهان) بفتح الهمزة و یکسر و فتح الفاء بلد معروف من بلاد الارفاض قال النووی رحمه الله یجوز فیه کسر الهمزة و فتحها و بالباء و الفاء انتهی و نسخ المشکاة کلها بالفاء و فی المشارق بفتح الهمزة و قیدها أبو عبید انعکبری بکسر أوله و أهل خراسان یقولونها بالفاء مکان الباء و فی القاموس الصواب انها أعجمیة و قد یکسر همزها و قد یبدل باؤها فاء و فی المغنی

سبعون ألفا عليهم الطيالسة رواه مسلم ✵ وعن أبي سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتى الدجال و هو محرم عليه ان يدخل نقاب المدينة فينزل بعض السباخ التى تلى المدينة فيخرج اليه رجل و هو خير الناس أو من خيار الناس فيقول اشهد انك الدجال الذى حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثه فيقول الدجال أرأيتم ان قتلت هذا ثم أحييته هل تشكون فى الامر فيقولون لا فيقتله ثم يحييه فيقول و الله ما كنت فيك أشد بصيرة منى اليوم

بكسر همزه و فتحها و بفاء مفتوحة فى أهل الشرق و باء موحدة فى الغرب انتهى و به يعلم ان اصفهان اثنان فيطابق ما نقله ابن الملك من أنه قيل المراد منه اصفهان خراسان لا اصفهان الغرب لكن فى قوله اصفهان خراسان مسامحة لان اصفهان انما هو فى العراق و لكن لما كان خراسان فى جهة الشرق أيضا و كان أشهر من العراق أضيف اليه بادنى ملابسة (سبعون ألفا) و فى رواية تسعون و الصحيح المشهور هو الاول ذكره ابن الملك (عليهم الطيالسة) بفتح طاء و كسر لام جمع طيلسان و هو ثوب معروف و فى القاموس الطيلس و الطيلسان مثلثة اللام عن عياض و غيره معرب أصله تالسان جمعه الطيالسة و الهاء فى الجمع للعجمة و استدل بهذا الحديث على ذم لبسه و رواه السيوطى فى رسالة سماها طى اللسان عن الطيلسان (رواه مسلم ✵ و عن أبى سعيد قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يأتى الدجال) أى يظهر فى الدنيا أو يتوجه الى صوب المدينة المعطرة المصونة (و هو محرم) جملة حالية أى ممنوع (عليه أن يدخل نقاب المدينة) بكسر النون كما نص عليه النووى رحمه الله و هو جمع نقب بفتح النون و هو الطريق بين الجبلين و الانقاب جمع قلة كذا فى النهاية (فينزل) أى الدجال (بعض السباخ) بكسر السين أى فى بعض الاراضى السبخة و هى ذات ملح لا تنبت (التى تلى المدينة) أى تقربها و سيأتى أنه ينزل دبر احد (فيخرج اليه رجل) أى عظيم (و هو خير الناس) أى حينئذ (أو من خيار الناس) على الاطلاق و يحتمل أن يكون الترديد منه صلى الله تعالى عليه وسلم و أو للتخيير و يمكن أن يكون من الراوى فاو للشك و تقدم أنه الخضر عليه الصلاة والسلام بناء على القول الاصح (فيقول) أى بعد رؤيته (اشهد انك الدجال الذى حدثنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حديثه) أى وصفه و حاله و لما كان الظاهر ان يقال حديثك قال الطيبى رحمه الله هو جار على قوله الدجال لان المظهر غائب لا على ضمير المخاطب و عكسه قوله ✵ أنا الذى سمتنى أمى حيدره ✵ (فيقول الدجال) أى لمن حوله (أرأيتم) أى اخبرونى (ان قتلت هذا ثم أحييته هل تشكون فى الامر) أى أمرى و قيل أى فى انى اله (فيقولون لا) أى لا نشك و هو محتمل ان يتوجه النفى الى اثبات الامر أو نفيه قال النووى رحمه الله أما قول الدجال ان قتلت هذا ثم أحييته أتشكون فى الامر فيقولون لا فقد يشكل لان ما أظهره الدجال لا دلالة فيه على ربوبيته لظهور النقص عليه و دلائل الحدوث و تشويه الذات و شهادة كذبه و كفره المكتوبة بين عينيه و غير ذلك و يجاب بانهم لعلهم قالوا خوفا منه لا تصديقا و يحتمل انهم قصدوا لا نشك فى كذبك و كفرك فان من شك فى كفره و كذبه كفر و خادعوه بهذه التورية خوفا منه و يحتمل ان الذين قالوا لا نشك هم مصدقوه من اليهود و غيرهم ممن قدر الله سبحانه و تعالى شقاوته (فيقتله) أى الرجل على ما سبق (ثم يحييه) أى و يسأله كما تقدم (فيقول) أى المقتول (و الله ما كنت) أى فى سابق الايام (فيك) أى فى بطلانك (أشد بصيرة) أى يقينا (منى) متعلق باشد (اليوم) بالنصب ظرف لاشد

فيريد الدجال ان يقتله فلا يسلط عليه متفق عليه ✱ و عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يأتي المسيح من قبل المشرق همته المدينة حتى ينزل دبر أحد ثم تصرف الملائكة وجهه قبل الشام و هنالك يهلك متفق عليه ✱ و عن أبي بكرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لايدخل المدينة رعب المسيح الدجال لها يومئذ سبعة أبواب على كل باب ملكان رواه البخاري ✱ و عن فاطمة بنت قيس قالت سمعت منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم ينادى

(فيريد الدجال ان يقتله فلايسلط) بفتح اللام المشددة أى فلا يقدر (عليه) أى على قتله بوجه من الوجوه كما قررناه فيما تقدم و الله تعالى أعلم ثم فى عجز الدجال آخرا دليل صريح فى أن قدرته أولا كانت حادثة عارضة مستعارة للاستدراج به و الابتلاء لغيره فسلبت عنه كما ستنزع عنه روحه فيبقى جيفة ملقاة بالارض يأكل منها الكلاب و ما أحسن من قال من أرباب الالباب ما للتراب و رب الارباب قال الكلاباذى فى الحديث دليل على ان الدجال لايقدر على ما يريد و انما يفعل الله ما يشاء عند حركته فى نفسه و محل قدرته ان يفعله اختبارا للخلق ليهلك من هلك عن بينة و يحيا من حى عن بينة و يضل الله من يشاء و يهدى من يشاء (متفق عليه ✱ و عن أبى هريرة عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال يأتى المسيح) أى الدجال (من قبل المشرق) بكسر القاف و فتح الموحدة أى من جهته (همته) أى قصده و نيته (المدينة) أى السكينة (حتى ينزل دبر أحد) بضم الدال و الموحدة أى خلف أحد و هو جبل معروف قريب المدينة (ثم) اى بعد ما تقع قصة الرجل السابق (تصرف الملائكة) أى ترد (وجهه) أى توجهه و قصده (قبل الشام) أى الى حيث جاء منه و فيه دليل بطلانه و امارة عجزه و نقصانه حيث رجع القهقرى و لم يقدر أن يدخل دارا فيه مدفن سيد الورى و ظاهره أنه لايدخل حرم مكة بالاولى و الاحرى (و هنالك) أى فى الشام (يهلك) أى يقتله عيسى عليه الصلاة والسلام (متفق عليه ✱ و عن أبى بكرة) بالتاء (عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال لايدخل المدينة) أى و من بها (رعب المسيح الدجال) بضم راء فسكون عين و بضمتين أى خوفه (لها) أى للمدينة (يومئذ سبعة أبواب) أى طرق أو المراد بها أبواب القلعة حينئذ (على كل باب ملكان) أى يدفعانه عن الدخول فى ذلك المكان (رواه البخارى) قال السيوطى رحمه الله ما اشتهر على الالسنة ان جبرائيل عليه الصلاة والسلام لاينزل الى الارض بعد موت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فهو شئ لا أصل له و من الدليل على بطلانه ما أخرجه الطبرانى أن جبرائيل يحضر موت كل مؤمن يكون على طهارة و أخرج أبونعيم فى الفتن قال صلى الله تعالى عليه وسلم يمر الدجال بالمدينة فاذا هو بخلق عظيم فقال من أنت قال أنا جبرائيل بعثنى لامنع حرم رسوله انتهى و لامفهوم له كما لايخفى فانه يحتمل أن يكون من باب الاكتفاء أو فوض الى جبرائيل منع حرم رسوله و أما حربه فهو له ولى و كفيل كما يشير اليه سورة الفيل و سيأتى فيما روى التميم الدارى عن الدجال أنه قال فلا أدع قرية الاهبطتها فى أربعين ليلة غير مكة و طيبة هما محرمتان على كلتا هما و قد قرره النبى صلى الله تعالى عليه وسلم و قد روى أحمد عن أبى سعيد مرفوعا الدجال لايولد و لايدخل المدينة و لا مكة ✱(و عن فاطمة بنت قيس) أى القرشية أخت الضحاك كانت من المهاجرات الاول روى عنها نفر كانت ذات جمال و عقل و كمال و زوجها النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من أسامة بن زيد مولاه رضى الله تعالى عنه (قالت سمعت منادى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ينادى) تحقيق اعرابه كما فى القرآن سمعنا مناديا ينادى للايمان

الصلاة جامعة فخرجت الى المسجد فصليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قضى صلاته جلس على المنبر و هو يضحك فقال ليلزم كل انسان مصلاه ثم قال هل تدرون لم جمعتكم قالوا الله و رسوله أعلم قال انى و الله ما جمعتكم لرغبة و لا لرهبة و لكن جمعتكم لان تميما الدارى كان رجلا نصرانيا فجاء و أسلم و حدثنى حديثا وافق الذى كنت أحدثكم به عن المسيح الدجال حدثنى انه ركب فى سفينة بحرية مع ثلاثين رجلا من لخم و جذام .

(الصلاة) بنصبها و يرفع و كذا قوله (جامعة) قال النووى رحمه الله هو بنصب الصلاة و جامعة الاول على الاغراء و الثانى على الحال و قال التوربشتى رحمه الله وجه الرواية بالرفع أن يقدر هذه أى هذه الصلاة جامعة و يجوز أن ينصب جامعة على الحال و لما كان هذا القول للدعاء اليها و الحث عليها كان النصب أجود و أشبه بالمعنى المراد منه انتهى فالتركيب ثلاثى كما لايخفى و قال شارح هذه الجملة مفعول ينادى لانه فى معنى القول و هى فى إعرابه على أربعة أوجه كما مر أى فى صلاة العيد و توضيحه ما ذكره ابن الملك هنا حيث قال برفعهما مبتدأ و خبر و نصبهما على تقدير احضروا الصلاة حال كونها جامعة و برفع الاول على تقدير هذه الصلاة و نصب الثانى على الحالية و بالعكس على تقدير احضروا الصلاة و هى جامعة وهو ضعيف لاضمار حرف العطف و على جميع التقادير محل الجملة نصب لانه مفعول ينادى حكاية لكونه فى معنى القول (فخرجت الى المسجد) و لعل خروجها قبل النهى أو كان فى الليل أو لهن رخصة فى حضور الصلاة الجامعة قياسا على صلاة العيد (فصليت مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أى صلاة نافلة أو أحدى الصلوات الخمس (فلما قضى صلاته) أى اداها و فرغ عنها (جلس على المنبر و هو يضحك) أى يتبسم ضاحكا على عادته الشريفة (فقال ليلزم) بفتح الزاى أو ليلتزم (كل انسان مصلاه) أى موضع صلاته فلايتغير و لايتقدم و لايتأخر (ثم قال هل تدرون لم جمعتكم) أى بنداء الصلاة جامعة (قالوا الله و رسوله أعلم قال انى و الله ما جمعتكم لرغبة) أى لامر مرغوب فيه من عطاء كغنيمة (و لا رهبة) أى و لا لخوف من عدو (و لكن جمعتكم لان تميما الدارى) و هو منسوب الى جدله اسمه الدار و فى نسخة صحيحة تميم الدارى و الاول هو الصحيح قال الطيبى رحمه الله كذا هو فى جامع الاصول و أكثر نسخ المصابيح و تميم الدارى من غير تنوين فى كتاب الحميدى و فى بعض نسخ المصابيح و فى مسلم لان تميم الدارى (كان رجلا نصرانيا فجاء و أسلم و حدثنى حديثا وافق الذى) أى طابق الحديث الذى (كنت أحدثكم به عن المسيح الدجال) فهذا كما فى حديث رب حامل فقه الى من هو أفقه منه و فيه اشعار ان كثرة الرواة لها دخل فى قوة الاسناد و لهذا قال على سبيل الاستشهاد و طريق الاعتضاد (حدثنى) فهو من قبيل رواية الاكابر عن الاصاغر و فيه أيماء الى الرد على الجاهل المكابر حتى يتكبر عن أخذ العلم من أهل الخمول و الاصاغر و قد قال تعالى ساصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الارض بغير الحق و قال صلى الله تعالى عليه وسلم كلمة الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها و من كلام على كرم الله وجهه انظر الى ما قال و لاتنظر الى من قال والمعنى ان تميما حكى لى (انه ركب فى سفينة بحرية) أى لا برية احترازا عن الابل فانها تسمى سفينة البر و قيل أى مركبا كبيرا بحريا لازورقا صغيرا نهريا (مع ثلاثين رجلا من لخم) بفتح لام و سكون خاء معجمة مصروف و قد لايصرف قبيلة معروفة و كذا قوله (و جذام) بضم الجيم .

فلعب بهم الموج شهرا فى البحر فارفؤا الى جزيرة حين تغرب الشمس فجلسوا فى أقرب السفينة فدخلوا الجزيرة فلقيتهم دابة أهلب كثير الشعر لايدرون ما قبله من دبره من كثرة الشعر قالوا ويلك ما أنت قالت أنا الجساسة انطلقوا الى هذا الرجل فى الدير فانه الى خبركم بالاشواق قال لما سمت لنا رجلا فرقنا منها أن تكون شيطانة قال فانطلقنا سراعا حتى دخلنا الدير

(فلعب) أى دار (بهم الموج شهرا) أى مقدار شهر (فى البحر) و اللعب فى الاصل ما لا فائدة فيه من فعل أو قول فاستعير لصد الامواج السفن عن صوب المقصد و تحويلها يمينا و شمالا (فارفؤا) بهمزتين أى قربوا السفينة (الى جزيرة حين تغرب الشمس) فى شرح التوربشتى قال الاصمعى أرفأت السفينة أرفئها ارفاء و بعضهم يقول ارفيها بالياء على الابدال و هذا مرفأ السفن أى الموضع الذى تشد اليه وتوقف عنده (فجلسوا) أى بعد ما تحولوا من المركب الكبير (فى أقرب السفينة) بفتح الهمزة و ضم الراء جمع قارب بكسر الراء و فتحه أشهر و أكثر و حكى ضمها وهو جمع على غير قياس و القياس قوارب قال النووى رحمه الله أقرب السفينة هو بضم الراء جمع قارب بكسر الراء و فتحها و هى سفينة صغيرة تكون مع الكبيرة كالجنيبة يتصرف فيها ركاب السفينة لقضاء حوائجهم و فى النهاية أما أقرب فلعله جمع قارب فليس بمعروف فى جمع فاعل أفعل و قد أشار الحميدى فى غريبه الى انكار ذلك و قال الخطابى انه جمع على غير قياس (فدخلوا فى الجزيرة) اللام للعهد أى فى الجزيرة التى هناك (فلقيتهم) أى فرأتهم (دابة أهلب) الهلب الشعر و قيل ما غلظ من الشعر و قيل ما كثر من شعر الذنب و انما ذكر لان الدابة يطلق على الذكر و الانثى لقوله تعالى و ما من دابة فى الارض كذا قالوا و الاظهر انه بتأويل الحيوان و لذا قال (كثير الشعر) و هو تفسير لما قبله و عطف بيان ثم بينه زيادة تبيان حيث قال استئنافا (لايدرون) أى لايعرف الناس الحاضرون (ما قبله من دبره) بضمتين فيهما قال الطيبى رحمه الله ما استفهامية و يدرون بمعنى يعلمون لمجيء الاستفهام تعليقا و لابد من تقدير مضاف بعد حرف الاستفهام أى ما نسبة قبله من دبره (من كثرة الشعر) أى من أجلها و بسببها (قالوا ويلك ما أنت) خاطبوها مخاطبة المتعجب المتفجع (قالت أنا الجساسة) قال النووى رحمه الله هى بفتح الجيم فتشديد المهملة الاولى قيل سميت بذلك لتجسسها الاخبار للدجال و جاء عن عبد الله بن عمرو بن العاص انها دابة الارض المذكورة فى القرآن (انطلقوا الى هذا الرجل فى الدير) بفتح الدال و سكون التحتية أى دير النصارى ففى المغرب الدير صومعة الراهب و المراد هنا القصر كما سيأتى و الجار و المجرور حال و العامل فيه اسم الاشارة أو حرف التنبيه (فانه) أى الرجل الذى فى الدير (الى خبركم) متعلق بقوله (بالاشواق) بفتح الهمزة جمع شوق أى كثير الشوق و عظيم الاشتياق و الباء للالصاق قال التوربشتى رحمه الله أى شديد نزاع النفس الى ما عندكم من الخبر حتى كان الاشواق ملصقة به أو كانه مهتم بها (قال) أى تميم (لما سمت) أى ذكرت و وصفت (لنا رجلا فرقنا) بكسر الراء أى خفنا (منها) أى من الدابة (ان تكون شيطانة) أى كراهة ان تكون شيطانة و أن يكون الرجل شيطانا متعلقا بها و قال الطيبى رحمه الله أن تكون شيطانة بدل من الضمير المجرور (قال) أى تميم (فانطلقنا سراعا) أى حال كوننا مسرعين (حتى دخلنا الدير) قال شارح دير النصارى و أصله الواو انتهى و المعنى أن أصله دار بالالف المبدلة من الواو ماخوذا من الدور لكونه مدورا أو يدار فيها أو مدار

فاذا فيه أعظم انسان ما رأيناه قط خلقا و أشده وثاقا مجموعة يده الى عنقه ما بين ركبتيه الى كعبيه بالحديد قلنا ويلك ما أنت قال قد قدرتم على خبرى فاخبرونى ما أنتم قالوا نحن أناس من العرب ركبنا فى سفينة بحرية فلعب بنا البحر شهرا فدخلنا الجزيرة فلقيتنا دابة أهلب فقالت أنا الجساسة اعمدوا الى هذا فى الدير فاقبلنا اليك سراعا فقال اخبرونى عن نخل بيسان

المعيشة و المبيت اليه ثم أبدلت الالف ياء للفرق و مراده بقوله دير النصارى انه مثله أو فى الاصل يطلق عليه و قد يطلق على بيت الخمر (فاذا فيه أعظم انسان) أى أكبره جثة أو أهيبه هيئة (رأيناه) صفة انسان احتراز عمن لم يروه و لما كان هذا الكلام فى معنى ما رأينا مثله صح قوله (قط) الذى يختص بنفى الماضى و هو بفتح القاف و تشديد الطاء المضمومة فى أفصح اللغات و قد تكسر و قد يتبع قافه طاؤه فى الضم و قد تخفف طاؤه مع ضمها و اسكانها على ما فى المغنى و وقع فى نسخة ما رأيناه قط و قوله (خلقا) تمييز أعظم (و أشده) أى أقوى، انسان (وثاقا) بفتح الواو و يكسر أى قيدا من السلاسل و الاغلال على ما سيأتى هذا و ذكر الاشرف ان ضمير المفعول راجع الى الاعظم أى ما رأيناه قط أعظم انسان خلقا و خلقا نصب على التمييز من أعظم انسان و قال الطيبى رحمه الله و يحتمل أن يقدر مضاف أى ما رأينا مثل ذلك الاعظم و أشد مرفوع عطف على الاعظم هذا و ان لفظة ما ليست فى صحيح مسلم و لا فى كتاب الحميدى و لا فى جامع الاصول و لا فى أكثر نسخ المصابيح و لعل من زادها نظر الى لفظة قط حيث يكون فى الماضى المنفى فالوجه أن يكون مراده كما جاء فى قول القائل ✱ لله يبقى على الايام ذو حيد ✱ (مجموعة) بالنصب و فى نسخة بالرفع أى مضمومة (يده على عنقه) و قوله (ما بين ركبتيه الى كعبيه) لما كان ظاهره أن يؤتى بالواو فى أوله ليكون المعنى و مجموعة ساقاه عليه و يكون قوله بالحديد قيدا لهما قال الطيبى رحمه الله ما موصولة مرفوعة المحل المعنى (بالحديد) و حذف مجموعة فى الثانى لدلالة الاولى عليه (قلنا ويلك ما أنت) استغربوه فاوردوا ما مكان من و يمكن أن يكون السؤال عن وصفه و حاله اذ قد علموا انه رجل و قد يجىء ما بمعنى من كما حقق فى قوله تعالى و السماء و ما بناها أو روعى مشاكلة ما قبلها و قال الطيبى رحمه الله كانهم لما رأوا خلقا عجيبا خارجا عما عهدوه خفى عليهم حاله فقالوا ما أنت مكان من أنت (قال قدرتم) أى تمكنتم (على خبرى) أى فانى لا أخفيه عنكم فاحدث لكم عن حالى (فاخبرونى) أى عن حالكم و ما أسأله عنكم أولا و هذا معنى قوله (ما أنتم) حيث لم يقل من أنتم و يمكن أن يكون طباقا لقولهم و جزاء لفعلهم قال الطيبى رحمه الله و مثل ما قالوا له ما أنت قال لهم ما أنتم لانه ما عهد ان انسانا يطرق ذلك المكان و قال ابن الملك أى من أنتم أو ما حالكم (قالوا) فيه التفات من التكلم الى الغيبة ذكره ابن الملك رحمه الله و يمكن أن يكون التقدير قال بعضنا ففيه تغليب للغائبين على الحاضرين (نحن أناس من العرب ركبنا فى سفينة بحرية فلعب بنا البحر شهرا فدخلنا الجزيرة فلقيتنا دابة أهلب فقالت أنا الجساسة اعمدوا) بكسر الميم أى أقصدوا (الى هذا) أى الرجل (فى الدير) أى القصر الكبير (فاقبلنا اليك سراعا فقال اخبرونى عن نخل بيسان) بفتح موحدة و سكون تحتية و هى قرية بالشام ذكره الطيبى رحمه الله قريبة من الاردن ذكره ابن الملك رحمه الله و فى القاموس قرية بالشام و قرية بمرو و موضع باليمامة و فى نسخة بنون بدل الموحدة لكن ما وجدت له اصلا فى اللغة يناسب

هل تثمر قلنا نعم قال اما انها توشک ان لاتثمر قال اخبرونی عن بحیرة الطبریة هل فیها ماء قلنا هی کثیرة الماء قال ان ماءها یوشک ان یذهب قال أخبرونی عن عین زغر هل فی العین ماء و هل یزرع أهلها بماء العین قلنا نعم هی کثیرة الماء و أهلها یزرعون من مائها قال أخبرونی عن نبی الامیین ما فعل قلنا قد خرج من مکة و نزل یثرب قال أقاتله العرب قلنا نعم قال کیف صنع بهم فاخبرناه انه قد ظهر علی من یلیه من العرب و أطاعوه قال اما ان ذلک خیر لهم ان یطیعوه و انی مخبرکم عنی انی أنا المسیح الدجال

المقام و انما ذکره فی القاموس و قال نیسان سابع الاشهر الرومیة (هل تثمر) أی تلک النخل (قلنا نعم قال أما) بالتخفیف للتنبیه (انها توشک) أی تقرب (ان لاتثمر قال) أی الرجل (اخبرونی عن بحیرة الطبریة) بفتحتین و البحیرة تصغیر البحر و فی القاموس الطبریة محرکة قصبة بالاردن و النسبة الیها طبرانی (هل فیها ماء قلنا هی کثیرة الماء قال ان ماءها یوشک ان یذهب) أی یفنی (قال اخبرونی عن عین زغر) بزای فغین معجمتین فراء کزفر بلدة بالشام قلیلة النبات قیل عدم صرفه للتعریف و التأنیث لانه فی الاصل اسم امرأة ثم نقل یعنی لیس تأنیثه باعتبار البلدة و البقعة فانه قد یذکر مثله و یصرف باعتبار البلد و المکان و قد قال شارح هو موضع بالشام و قال النووی رحمه الله هی بلدة معروفة فی الجانب القبلی من الشام (هل فی العین) أی فی عینه أو تلک العین فاللام للعوض عن المضاف الیه أو للعهد (ماء) أی کثیر لتوله (و هل یزرع أهلها) أی أهل تلک العین أو البلدة و هی الاظهر لقوله (بماء العین قلنا نعم هی کثیرة الماء و أهلها یزرعون من مائها) الظاهر ان جوابه علی طبق ما سبق و هو أما انها یوشک ان لایبقی فیها ماء یزرع به أهلها و فی الاسئلة المذکورة و اجوبتها المسطورة اشارة الی انها علامات لخروجه و امارات لذهاب برکتها بشآمة ظهوره و وصوله و لما کانت هذه الاسئلة توطئة لما بعدها (قال) أی الدجال معرضا عن الجواب الثانی و بادر الی السؤال المقصود و هو ظهور محمد المحمود (أخبرونی عن نبی الامیین) أی العرب (ما فعل) بفتحتین أی ما صنع بعد ما بعث قال ابن الملک فی شرح المشارق أراد الدجال بالامیین العرب لانهم لایکتبون و لایقرؤن غالبا و انما أضاف نبینا محمدا صلی‌الله‌تعالی‌علیه‌وسلم الیهم طعنا علیه بانه مبعوث الیهم خاصة کما زعم بعض الیهود أو بانه غیر مبعوث الی ذوی الفطنة و الکیاسة و العقل و الریاسة (قلنا قد خرج من مکة و نزل یثرب) أی هاجر منها الی المدینة (قال أقاتله العرب قلنا نعم قال کیف صنع بهم فاخبرناه انه قد ظهر) أی غلب و ظفر (علی من یلیه) أی یقربه (من العرب و أطاعوه قال اما ان ذلک خیر لهم) قال الطیبی رحمه الله المشار الیه ما یفهم من قوله و أطاعوه و قوله (ان یطیعوه) جاء لمزید البیان و یجوز أن یکون المشار الیه رسول‌الله صلی‌الله‌تعالی‌علیه‌وسلم و خیر اما خبر مسند الی أن یطیعوه و علی هذا لایکون بمعنی التفضیل أو یکون ان یطیعوه مبتدا و خیر خبره مقدما علیه و الجملة خبر ان قال التوربشتی رحمه الله فان قیل یشبه هذا القول قول من عرف الحق و المخذول من البعد من الله بمکان لم یر له فیه مساهم فما وجه قوله هذا قلنا یحتمل انه أراد به الخیر فی الدنیا أی طاعتهم له خیر لهم فانهم ان خالفوه اجتاحهم و استأصلهم و یحتمل انه من باب الصرفة صرفه الله تعالی عن الطعن فیه و التکبر علیه و تفوه بما ذکر عنه کالمغلوب علیه و المأخوذ علیه فلا یستطیع ان یتکلم بغیره تاییدا لنبیه صلی‌الله‌علیه‌وسلم ★و الفضل ما شهدت به الاعداء★

و انى يوشك ان يؤذن لى فى الخروج فاخرج فاسير فى الارض فلا أدع قرية الاهبطتها فى أربعين ليلة غير مكة و طيبة هما محرمتان على كلتاهما كلما أردت أن أدخل واحدا منهما استقبلنى ملك بيدها السيف صلتا يصدنى عنها و ان على كل نقب منها ملائكة يحرسونها قال رسول‌الله صلى‌الله عليه‌وسلم و طعن بمخصرته فى المنبر هذه طيبة هذه طيبة هذه طيبة يعنى المدينة ألا هل كنت حدثتكم فقال الناس نعم الا انه فى بحر الشام أو بحر اليمن

(و انى مخبركم عنى انى) بكسر الهمزة و فتحه (أنا المسيح) أى الدجال (و انى) بالوجهين (يوشك ان يؤذن لى فى الخروج فاخرج فاسير فى الارض فلا أدع) بالنصب فى الثلاثة و جوز رفعها أى فلا أترك (قرية الاهبطتها فى أربعين ليلة) ظرف لاسير و عدم الترك اشعارا بقوة سياحته التى هى أحد وجوه تسميته بالمسيح على أن فعيل بمعنى الفاعل لكون سياحته مرورا كالمسح (غير مكة) استثناء من القرية التى وقعت نكرة فى سياق النفى المنصب عليه الاستثناء المفيد للاستغراق (و طيبة) عطف على مكة و هى بفتح طاء و سكون تحتية فموحدة من أسماء المدينة كطابة (هما) أى مكة و طيبة (محرمتان على) أى ممنوعتان على دخولهما (كلتاهما) تأكيد لهما ثم بين سبب المنع بقوله (كلما أردت ان أدخل واحدا) أى حرما واحدا (منهما استقبلنى ملك بيده السيف صلتا) بفتح الصاد و يضم أى مجردا عن الغمد قال شارح هو بالفتح و الضم مصدر بمعنى الفاعل أو المفعول حال عن الملك أو السيف أى مصلتا أو مصلتا من قولهم أصلت سيفه أى جرده من غلافه و قوله (يصدنى عنها) أى يمنعنى عن كل واحدة منهما استئناف بيان أو حال و الضمير للملك أو السيف مجازا أو لله تعالى حقيقة و هو المذكور فى اللسان و المحظور فى الجنان فصح أن يكون مرجعا للضمير على وجه البيان كما حقق فى قوله تعالى قل هو الله أحد (و ان على كل نقب) بفتح نون و سكون قاف أى طريق أو باب (منها) أى من كل واحدة (ملائكة يحرسونها) أى يحفظونها عن الآفات و البليات من غير ذلك الملك و الظاهر انه جبريل عليه الصلاة والسلام لما تقدم و الله تعالى أعلم (قال رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم و طعن) أى و قد طعن أى ضرب (بمخصرته) بكسر الميم و فتح الصاد أى بعصاه (فى المنبر) أى عليه ففى بمعنى على كقوله تعالى و لاصلبنكم فى جذوع النخل أو فى الطعن تضمن الايقاع كقوله يجرح فى عراقيبها نصلى و فى الفائق هى قضيب يشير به الخطيب أو الملك اذا خاطب و قال التوربشتى رحمه الله المخصرة كالسوط و كل ما اختصر الانسان بيده فامسكه من عصا و نحوها فهو مخصرة و قال شارح المخصرة ما يمسكه الانسان بيده من قضيب أو عصا و نحوهما فيضع تحت خاصرته و يتكئ عليها و قيل هى كالسوط (هذه طيبة) الجملة مقول لقال و ما بينهما حال معترضة بين الفاعل و المفعول (هذه طيبة هذه طيبة) كررها ثلاثا للتأكيد (يعنى المدينة) أى يريد النبى صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم بقوله هذه الموضوعة للاشارة المحسوسة المدينة المحروسة قال التوربشتى رحمه الله لما وافق هذا القول ما كان حدثهم به أعجبه ذلك و سر به (فقال الا) أى تنبهوا (هل كنت حدثتكم) أى بمثل هذا الحديث و مطابق لهذا الخبر (فقال الناس نعم الا) للتنبيه (انه) أى الدجال (فى بحر الشام أو بحر اليمن) قيل لما حدثهم بقول تميم الدارى لم‌ير ان يبين لهم موطنه و محلسه كل التبيين لما رأى فى الالتباس من المصلحة فرد الامر فيه الى التردد بين كونه فى بحر الشام أو بحر اليمن و لم‌تكن العرب يومئذ تسافر الا فى هذين البحرين و يحتمل انه أراد ببحر الشام ما يلى

لا بل من قبل المشرق ما هو و أومأ بيده الى المشرق رواه مسلم ★ و عن عبدالله بن عمر ان رسول‌الله‌صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال رأيتني الليلة عند الكعبة فرأيت رجلا آدم كاحسن ما أنت راء من أدم الرجال له لمة كاحسن ما أنت راء من اللمم قد رجلها فهي تقطر ماء متكئا على عواتق رجلين يطوف بالبيت فسألت من هذا فقالوا هذا المسيح بن مريم قال ثم اذا أنا برجل جعد قطط أعور العين اليمنى كان عينه عنبة طافية كاشبه من رأيت

الجانب الشامي و بحر اليمن ما يلي الجانب اليماني و البحر واحد و هو الممتد على احد جوانب جزيرة العرب ثم أضرب عن القولين مع حصول اليقين في أحدهما فقال (لا بل من قبل المشرق ما هو) أي هو و ما زائدة أو موصولة بمعنى الذي أي الجانب الذي هو فيه قال القاضي رحمه الله لفظة ما هنا زائدة للكلام و ليست بنافية و المراد اثبات انه في جهة المشرق قال التوربشتي رحمه الله و يحتمل أن يكون خبرا أي الذي هو فيه أو الذي هو يخرج منه (و أومأ) بهزتين أي أي أشار (بيده الى المشرق) قال الاشرف يمكن انه صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم كان شاكا في موضعه و كان في ظنه انه لايخلو عن هذه المواضع الثلاثة فلما ذكر بحر الشام و بحر اليمن تيقن له من جهة الوحي أو غلب على ظنه انه من قبل المشرق فنفى الاولين و أضرب عنهما و حقق الثالث (رواه مسلم ★ و عن عبدالله بن عمر ان رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم قال رأيتني) من الرؤيا كذا ذكره شارح و يحتمل أن يكون بطريق المكاشفة مع ان رؤيا الانبياء حق كمكاشفاتهم (الليلة) أي البارحة ان وقع القول في النهار (عند الكعبة) ظرف للرؤية أو حال من المفعول و المعنى رأيت نفسي عند الكعبة (فرأيت رجلا آدم) بالمد أي أسمر (كاحسن ما أنت راء) أي في الاوصاف (من أدم الرجال) بضم همز و سكون دال مهملة جمع آدم كحمر جمع أحمر على ما في النهاية فما وقع في بعض النسخ من الضم فهو من سهو القلم (له لمة) بكسر اللام و تشديد الميم ما جاوز شحمة الاذن من الشعر (كاحسن ما أنت راء من اللمم) بكسر ففتح جمع لمة (قد رجلها) بتشديد الجيم أي سرحها و مشطها (فهي) أي اللمة (تقطر ماء) يحتمل ان يراد بالماء الذي سرح به اذ لايسرح الشعر و هو يابس و أن يكون كناية عن مزيد النظافة و النضارة (متكئا) صفة أخرى لرجلا أو حال منه لوصفه بآدم أي معتمدا (على عواتق رجلين) جمع عاتق و هو موضع الرداء من الكتف و قال السيوطي رحمه الله ما بين المنكب و العنق ثم التركيب من قبيل قوله تعالى فقد صغت قلوبكما و حديث انصاف ساقيه (يطوف بالبيت) استئناف بيان أو حال (فسألت) أي الطائفين أو الملائكة الحافين (من هذا) و فيه ايماء الى ان المكاشفة قد تكون في بعض الاشياء مع وجود بعض الاخفاء (فقالوا هذا المسيح بن مريم قال) أي النبي صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم (ثم اذا انا برجل جعد) بفتح جيم فسكون عين و هو من الشعر خلاف السبط أو القصير منه كذا في القاموس (قطط) بفتح الطاء الاولى و يكسر في القاموس القط القصير الجعد من الرأس كالقطط محركة (أعور العين اليمنى) بالجر في أعور مضافا (كان عينه عنبة طافية) بكسر الفاء بعدها ياء و في نسخة بالهمز قال السيوطي رحمه الله روى بالهمز بمعنى ذاهب ضوءها و بدونه و صححه الاكثر بمعنى ناتئة بارزة كنتو حبة العنب قال القاضي عياض رحمه الله كلا عينيه معيبة عوراء فاليمنى مطموسة و هي الطائفة بالهمز و اليسرى ناتئة جاحظة كانها كوكب و هي الطافية بلاهمز (كاشبه من رأيت) قال الجزري ضبطناه بالتكلم و الخطاب و هو أوضح قلت أكثر النسخ على التكلم و هو الاظهر في مقام التشبيه

من الناس بابن قطن واضعا يديه على منكبي رجلين يطوف بالبيت فسألت من هذا فقالوا هذا المسيح الدجال متفق عليه و فى رواية قال فى الدجال رجل أحمر جسيم جعد الرأس أعور عين اليمنى أقرب الناس به شبها ابن قطن و ذكر هديث أبى‌هريرة لاتقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فى باب الملاحم و سنذكر حديث ابن عمر قام رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم فى الناس فى باب قصة ابن صياد ان شاء الله تعالى

★ (الفصل الثانى) ★ عن فاطمة بنت قيس فى حديث تميم الدارى قالت قال فاذا أنا بامرأة

من الخطاب العام ثم الكاف مزيدة للمبالغة فى التشبيه و المعنى هو أشبه من أبصرته (من الناس بابن قطن) بفتحتين واحد من اليهود و الجار متعلق باشبه و فى الرواية الآتية أقرب الناس به شبها ابن قطن و لعل وجه الشبه باعتبار بعض الوجوه الآتية (واضعا) أو باعتبار ان عينه عنبة طافية (يديه) حال من الدجال (على منكبي رجلين) الظاهر ان المراد بهما من يعاونه على باطله من أمرائه كما ان المراد بالرجلين الاولين من يساعدان المسيح على حقه و لعلهما الخضر و المهدى من أصحابه (يطوف بالبيت) فيه اشعار بان أحدا لايستغنى عن هذا الجناب و لايفتح لهم غرض الا من هذا الباب و فى قوله تعالى مثابة للناس ايماء الى ذلك و لذا وجد الكفار فى الجاهلية و زمن البعثة ما كانوا يتركون الطواف و الآن أيضا يتمنى اليهود و النصارى أن يتشرفوا برؤية هذا البيت و الطواف حوله و قال التوربشتى رحمه الله طواف الدجال عند الكعبة مع انه كافر مؤول بان رؤيا النبى صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم من مكاشفاته كوشف بان عيسى عليه الصلاة والسلام فى صورته الحسنة التى ينزل عليها يطوف حول الدين لاقامة أوده و اصلاح فساده و ان الدجال فى صورته الكريهة التى ستظهر يدور حول الدين يبغى العوج و الفساد (فسألت من هذا فقالوا هذا المسيح الدجال) قال التوربشتى رحمه الله وجه تسميته بالمسيح فى أحسن الوجوه الينا ان الخير مسح عنه فهو مسيح الضلالة كما ان الشر مسح عن مسيح الهداية و قيل سمى عيسى به لانه كان لايمسح بيده ذا عاهة الا برأ و قيل لانه كان أمسح الرجل لا أخمص له و قيل لانه خرج من بطن أمه ممسوحا بالدهن و قيل لانه كان يمسح الارض أى يقطعها و قيل المسيح الصديق و سمى الدجال به لان احدى عينيه ممسوحة لايبصر بها و الأعور يسمى مسيحا انتهى و لانه يمسح فى أيام معدودة جميع مساحة الارض الا مكة و المدينة فهو فعيل بمعنى فاعل و وصف بالمسيح الدجال لان المسيح وصف غلب على عيسى عليه‌الصلاة والسلام فوصف بالدجال ليتميز المحق من المبطل (متفق عليه) قيل رواه مسلم فى باب الاسراء (و فى رواية قال) أى النبى صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم (فى الدجال) أى فى حقه و شأنه (رجل) أى هو رجل (أحمر) أى لونا (جسيم) أى بدنا (جعد الرأس) أى شعرا (أعور عين اليمنى أقرب الناس به شبها ابن قطن و ذكر حديث أبى‌هريرة لاتقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فى باب الملاحم وسنذكر حديث ابن عمر قام رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم فى‌الناس) أى فاثنى على‌الله بما هو أهله ثم ذكر الدجال الخ (فى باب قصة ابن صياد ان شاء الله تعالى) متعلق بقوله سنذكر و كان المؤلف رأى ان ذكره فى ذلك الباب أقرب الى الصواب و الله تعالى أعلم

★ (الفصل الثانى) ★ (عن فاطمة بنت قيس فى حديث تميم الدارى) أى على ما سبق بطوله (قال) أى تميم و فى نسخة قالت أى ناقلة عنه (فاذا أنا بامرأة) قال فى الحديث السابق

تجر شعرها قال ما أنت قالت أنا الجساسة اذهب الى ذلك القصر فأتيته فاذا رجل يجر شعره مسلسل فى الاغلال ينزو فيما بين السماء و الارض فقلت من أنت قال أنا الدجال رواه أبوداود ★ و عن عبادة بن الصامت عن رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال انى حدثتكم عن الدجال حتى خشيت ان لاتعقلوا ان المسيح الدجال قصير أفحج جعد أعور مطموس العين ليست بناتئة و لا جحراء فان ألبس عليكم فاعلموا ان ربكم ليس باعور رواه أبوداود ★ و عن أبى عبيدة بن الجراح قال سمعت رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم يقول انه لم يكن نبى

فلقيتهم دابة أهلب و ههنا فاذا أنا بامرأة قيل يحتمل ان للدجال جساستين أحداهما دابة و الثانية امرأة و يحتمل أن الجساسة كانت شيطانة تمثلت تارة فى صورة دابة و أخرى فى صورة امرأة و للشيطان التشكل فى أى تشكل أراد و يحتمل أن تسمى المرأة دابة مجازا قال تعالى ان شر الدواب عند الله الصم البكم قلت الاظهر فى الاستشهاد قوله سبحانه و ما من دابة فى الارض الا على الله رزقها اذ الدابة فى هذه الآية تعم المخلوقين المرزوقين بخلاف الآية السابقة فان الظاهر ان المراد من الدواب بها الحيوانات فيكون فى المعنى كقوله تعالى ان هم الا كالانعام بل هم أضل سبيلا (تجر شعرها) صفة لامرأة وهو كناية عن طول شعرها و الشعر يحرك و يسكن (قال) أى تميم (ما أنت قالت أنا الجساسة اذهب الى ذلك القصر) أى المعبر عنه فيما سبق بالدير (فاتيته فاذا رجل يجر شعره مسلسل) صفة ثانية أى مقيد بالسلاسل (فى الاغلال) أى معها (ينزو) بسكون النون و ضم الزاى أى يثب وثوبا (فيما بين السماء و الارض) و أبعد من قال انه متعلق بمسلسل (فقلت من أنت قال أنا الدجال رواه أبوداود ★ و عن عبادة بن الصامت عن رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم قال انى حدثتكم عن الدجال حتى خشيت أن لاتعقلوا) أى لاتفهموا ما حدثتكم فى شأن الدجال أو تنسوه لكثرة ما قلت فى حقه قال الطيبى رحمه الله حتى غاية حدثتكم أى حدثكم أحاديث شتى حتى خشيت أن يلتبس عليكم الامر فلا تعقلوه فاعقلوه و قوله (ان المسيح الدجال) أى بكسر ان استئناف وقع تأكيدا لما عسى أن يلتبس عليهم انتهى و قيل خشيت بمعنى رجوت و كلمة لا زائدة ثم قوله (قصير) و هو غير ملائم لما سبق من كونه أعظم انسان و وجه الجمع انه لايبعد أن يكون قصيرا بطينا عظيم الخلقة و هو المناسب لكونه كثير الفتنة أو العظمة مصروفة الى الهيبة قيل يحتمل ان الله تعالى يغيره عند الخروج (أفحج) بتقديم الحاء على الجيم أى الذى يتدانى صدور قدميه و يتباعد عقباه و ينفحج ساقاه أى ينفرج و هو خلاف الاروح كذا قاله شارح و فى النهاية الفحج تباعد ما بين الفخذين (جعد) أى شعره (أعور) أى احدى عينيه (مطموس العين) أى ممسوحها بالنظر الى الاخرى (ليست) أى عينه (بناتئة) أى مرتفعة فاعلة من النتوء (و لا جحراء) بفتح جيم و سكون حاء أى و لا غائرة و الجملة المنفية مؤكدة لاثبات العين الممسوحة وهى لاتنافى ان الاخرى ناتئة بارزة كنتو حبة العنب على ما تقدم و الله تعالى أعلم (فان ألبس عليكم) بصيغة المجهول أى ان اشتبه عليكم أمر الدجال بنسيان ما بينت لكم من الحال أو ان لبس عليكم أمره بما يدعيه من الالوهية بالامور الخارقة عن العادة (فاعلموا ان ربكم ليس باعور) أى أقل ما يجب عليكم من معرفة صفات الربوبية هو التنزيه عن الحدوث و العيوب لاسيما النقائص الظاهرة المرئية (رواه أبوداود) وكذا النسائى ★ (وعن أبى عبيدة بن الجراح قال سمعت رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم يقول انه) أى الشان (لم يكن نبى

بعد نوح الا قد أنذر الدجال قومه و انى أنذركموه فوصفه لنا قال لعله سيدركه بعض من رآنى أو سمع كلامى قالوا يا رسول الله فكيف قلوبنا يومئذ قال مثلها يعنى اليوم أو خير رواه الترمذى و أبوداود ★ و عن عمرو بن حريث عن أبى بكر الصديق قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الدجال يخرج من أرض بالمشرق يقال لها خراسان يتبعه أقوام كان وجوههم المجان المطرقة رواه الترمذى ★ وعن عمران بن حصين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سمع بالدجال فلينأ منه

يعد نوح الا قد أنذر الدجال قومه) أى خوفهم به و قدم المفعول الثانى للاهتمام بذكره و قد تقدم أن نوحا عليه الصلاة والسلام أنذر قومه فبعد نوح ليس للاحتراز (و انى أنذركموه) أى الدجال ببيان وصفه خوفا عليكم من تلبيسه و مكره (فوصفه لنا) أى ببعض أوصافه (قال) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (لعله سيدركه بعض من رآنى) أى على تقدير خروجه سريعا و قيل دل على بقاء الخضر (أو سمع كلامى) ليس أو للشك من الراوى بل للتنويع لانه لايلزم من الرؤية السماع و هو لمنع الخلو لامكان الجمع و قيل المعنى أو سمع حديثى بان وصل اليه و لو بعد حين (قالوا يا رسول الله فكيف قلوبنا يومئذ) فيه أشارة الى ان سحره لايؤثر فى قلوب المؤمنين و ان كان يخيل فى أعينهم ما ليس من اليقين (قال مثلها) أى مثل قلوبكم الآن و هو معنى قول الراوى (يعنى) أى يريد بالاطلاق تقييد الكلام بقوله (اليوم أو خير) شك من الراوى و يحتمل التنويع بحسب الاشخاص (رواه الترمذى) قيل و حسنه (و أبوداود ★ و عن عمرو بن حريث) تصغير حرث بمعنى زرع قال المؤلف قرشى مخزومى رأى النبى صلى الله عليه وسلم و مسح رأسه و دعا له بالبركة (عن أبى بكر الصديق رضى الله عنهما) بصيغة التثنية لان الحديث من باب رواية الصحابى الصغير عن الكبير (قال) أى الصديق (حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال) استئناف مؤكد لحدثنا أو بدل على مذهب الشاطبى و من تبعه من أن الابدال يجرى فى الافعال و هو أصح الاقوال أو التقدير حدثنا أشياء من جملتها (الدجال يخرج من أرض بالمشرق يقال لها خراسان) بضم أوله فى القاموس انه بلاد يعنى معروفة بين بلاد ماوراء النهر و بلدان العراق معظمها الآن بلدة هراة المسماة بخراسان كتسمية دمشق بالشام (يتبعه) بسكون التاء و فتح الباء و فى نسخة بتشديد التاء و كسر الباء أى يلحقه و يطيعه (أقوام) أى جماعات أى عظيمة و غريبة من جنس الانسان و لكنهم يشبهون الجان (كان وجوههم المجان) بفتح الميم و تشديد النون جمع المجن بكسر الميم وهو الترس و قوله (المطرقة) بضم الميم و سكون الطاء على ما فى أصل السيد و أكثر النسخ و قال السيوطى روى بتشديد الراء و تخفيفها فهى مفعولة من أطرقه أو طرقه أى جعل الطراق على وجه الترس و الطراق بكسر الطاء الجلد الذى يقطع على مقدار الترس فيلصق على ظهره و المعنى ان وجوههم عريضة و وجناتهم مرتفعة كالمجنة و هذا الوصف انما يوجد فى طائفة الترك و الازبك ما وراء النهر و لعلهم ياتون الى الدجال فى خراسان كما يشير اليه قوله يتبعه أو يكونون حينئذ موجودين فى خراسان حماه الله من آفات الزمان (رواه الترمذى) و كذا ابن ماجه و الحاكم ★(وعن عمران بن حصين) أسلم قديما و كان من فضلاء الصحابة (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من سمع بالدجال) أى بخروجه و ظهوره (فلينأ) بفتح الياء و سكون النون و فتح الهمزة أمر غائب من نأى ينأى حذف الالف للجزم أى فليبعد (منه) أى من الدجال لان البعد عن قربه

فو الله ان الرجل ليأتيه و هو يحسب انه مؤمن فيتبعه مما يبعث به من الشبهات رواه أبوداود ✱ و عن أسماء بنت يزيد بن السكن قالت قال النبى صلى الله عليه وسلم يمكث الدجال فى الارض أربعين سنة السنة كالشهر و الشهر كالجمعة و الجمعة كاليوم و اليوم كاضطرام السعفة فى النار رواه فى شرح السنة ✱ و عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبع الدجال من أمتى سبعون ألفا عليهم السيجان رواه فى شرح السنة ✱ و عن أسماء بنت يزيد قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيتى فذكر الدجال فقال ان بين يديه ثلاث سنين سنة تمسك السماء فيها ثلث قطرها و الارض ثلث نباتها و الثانية

سعد قال تعالى و لا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار و الركون أدنى الميل (فو الله ان الرجل ليأتيه و هو) أى الرجل (يحسب) بكسر السين و فتحها أى يظن (انه) أى الرجل بنفسه (مؤمن فيتبعه) بالتخفيف و يشدد أى فيطيع الدجال (مما يبعث به) بضم أوله و يفتح أى من أجل ما يثيره و يباشره (من الشبهات) أى المشكلات كالسحر و احياء الموتى و غير ذلك فيصير تابعه كافرا و هو لايدرى (رواه أبوداود ✱ و عن أسماء بنت يزيد بن السكن) بفتحتين أنصارية من ذوات العقل و الدين (قالت قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يمكث الدجال فى الارض أربعين سنة) و تقدم ان لبثه فى الارض أربعون يوما و لعل وجه الجمع بينهما اختلاف الكمية و الكيفية كما يشير اليه قوله (السنة كالشهر) فانه محمول على سرعة الانقضاء كما ان ما سبق من قوله يوم كسنة محمول على ان الشدة فى غاية من الاستقصاء على انه يمكن اختلافه باختلاف الاحوال و الرجال (و الشهر) أى من السنة (كالجمعة) أى كالاسبوع (و الجمعة) يعنى الاسبوع من الشهر (كاليوم) أى كالنهار (و اليوم كاضطرام السعفة فى النار) بفتحتين واحدة السعف و هو غصن النخل أى كسرعة التهاب النار بورق النخل و الاضطرام الالتهاب و الاشتعال فالمعنى ان اليوم كالساعة (رواه) أى البغوى (فى شرح السنة) أى باسناده ✱(و عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يتبع الدجال من أمتى) أى أمة الاجابة أو الدعوة و هو الاظهر لما سبق انهم من يهود أصفهان (سبعون ألفا عليهم السيجان) بكسر السين جمع ساج كتيجان و تاج و هو الطيلسان الاخضر و قيل المنقوش ينسج كذلك قال ابن الملك أى اذا كان أصحاب الثروة سبعين ألفا فما ظنك بالفقراء قلت الفقراء لكونهم مفسلين هم فى أمان الله الا اذا كانوا طامعين فى المال و الجاه فهم فى المعنى من أصحاب الثروة التابعين لتحصيل الكثرة سواء يكون متبوعهم على الحق أو الباطل كما شوهد فى الازمنة السابقة من أيام يزيد و الحجاج و ابن زياد و هكذا يزيد الفساد كل سنة بل كل يوم فى البلاد فيتبع العلماء العباد و المشائخ الزهاد على ما يشاهد بشر العباد للاغراض الفاسدة و المناصب الكاسدة و نسأل الله العفو و العافية و حسن الخاتمة (رواه فى شرح السنة) قيل فى سنده أبوهرون و هو متروك ✱(و عن أسماء بنت يزيد) أى ابن السكن (قالت كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى بيتى فقال ان بين يديه) أى قدام الدجال و قبيل زمان خروجه (ثلاث سنين) أى مختلفة فى ذهاب البركة (سنة) بالرفع و فى نسخة بالنصب (تمسك السماء) أى تمنع بامساك الله (فيها) أى فى تلك السنة (ثلث قطرها) بفتح القاف أى مطرها المعتاد فى البلاد (و الارض) أى و تمسك الارض (ثلث نباتها) أى و لو كانت تسقى من غير المطر (و الثانية) أى السنة الثانية و هى بالرفع و يجوز نصبها اما على البدلية و اما على الظرفية

تمسک السماء ثلثی قطرها و الارض ثلثی نباتها و الثالثة تمسک السماء قطرها كله و الارض نباتها كله فلايبقى ذات ظلف و لا ذات ضرس من البهائم الا هلک و ان من أشد فتنته انه يأتى الاعرابى فيقول أرأيت ان أحييت لک ابلک ألست تعلم انى ربک فيقول بلى فيمثل له الشياطين نحو ابله كاحسن ما يكون ضروعا و أعظمه أسنمة قال و يأتى الرجل قد مات أخوه و مات أبوه فيقول أرأيت ان أحييت لک أباك و أخاك ألست تعلم انى ربک فيقول بلى فيمثل له الشياطين نحو أبيه و نحو أخيه قالت ثم خرج رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم لحاجته ثم رجع و القوم فى اهتمام و غم مما حدثهم قالت فاخذ بلحمتى الباب فقال مهيم

(تمسک السماء ثلثی قطرها و الارض ثلثی نباتها و الثالثة تمسک السماء قطرها كله و الارض نباتها كله) يعنى فيقع القحط فيما بين أهل الارض كله و يكون الخزائن و الكنوز تتبعه وأنواع النعم من الخبز و الثمار و الانهار معه (فلايبقى) بالتذكير و يؤنث (ذات ظلف) بكسر الظاء المعجمة هى البقرة و الشاة و الظبى (و لا ذات ضرس) و هى السباع من البهائم (الاهلک) أى لايبقى فى حال من الاحوال الا فى حال الهلاك (و ان من أشد فتنته) أى أعظم بليته (انه يأتى) أى الدجال (الاعرابى) أى البدوى و من فى معناه من جنس الغبى (فيقول) أى الدجال (أرأيت) أى أخبرنى (أن أحييت لک ابلک) أى التى ماتت من القحط (ألست تعلم انى ربک فيقول بلى فيمثل) بكسر المثلثة المشددة و يفتح أى يصور له (نحو ابله) أى مثال ابله من الشياطين كما يدل عليه نسخة فيمثل له الشياطين نحو ابله (كاحسن ما يكون) أى كاحسن أكوانه (ضروعا) أى من اللبن و نصبه على التمييز (و أعظمه) أى و أعظم ما يكون من جهة السمن (اسنمة) بكسر النون جمع السنام (قال) أى النبى صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم و انما ذكره تأكيدا أو اعادة لطول الفصل تأييدا (و يأتى الرجل) عطف على قوله و يأتى الاعرابى فيكون من جملة أشد الفتنة (قد مات أخوه) أى مثلا (و مات أبوه) الظاهر أن الواو بمعنى أو ولذا أعاد الفعل (فيقول أرأيت) أى أخبرنى و الخطاب لمن مات أبوه أو لكل ممن مات أبوه و أمه (ان أحييت لک أباك و أخاك) جميعا أو أخاك (ألست تعلم انى ربک فيقول بلى فيمثل له الشياطين) مفعول أول (نحو أبيه و نحو أخيه) مفعول ثان و فى نسخة يمثل بصيغة المجهول و رفع الشياطين و قيل نصب الشياطين بنزع الخافض أى من الشياطين فعلى هذا ينصب نحو و يرفع باختلاف العاملين (قالت) أى أسماء رضى‌الله‌تعالى‌عنها (ثم خرج رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم لحاجته ثم رجع و القوم فى اهتمام و غم) أى شديد و زيد للتأكيد (مما حدثهم) أى من أجل تحديثه اياهم به (قالت فاخذ بلحمتى الباب) بفتح اللام و سكون الحاء كذا فى جميع نسخ المشكاة أى ناحيتيه ذكره ابن الملک فى شرح المصابيح و قال شارح له هو بلجفتى الباب بالجيم و الفاء قال التوربشتى رحمه الله الصواب فاخذ بلجفتى الباب أريد بهما العضادتان و قد فسر بجانبيه و منه الجاف البئر أى جوانبها و فى كتاب المصابيح بلحمتى الباب و ليس بشئ و لم يعرف ذلک من كتب أصحاب الحديث الا على ما ذكرنا قلت و يؤيده ما فى القاموس من ان اللجف حفر فى جانب البئر و لجيفتا الباب جانباه لكن بعد اتفاق النسخ لابد من التوجيه ففى القاموس اللحمة القطعة من اللحم فيجرد و يقال المراد بهما قطعتا الباب فانهما تلتحمان و تنفصلان و تلتئمان و هو أولى من تخطئة رواة الكتاب و الله تعالى أعلم بالصواب (فقال) أى النبى صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم (مهيم) بفتح فسكون ثم فتح فسكون فى القاموس

أسماء قلت يا رسول‌الله لقد خلعت أفئدتنا بذكر الدجال قال ان يخرج و أنا حى فانا حجيجه و الا فان ربى خليفتى على كل مؤمن فقلت يا رسول‌الله و الله انا لنعجن عجيننا فما نخبزه حتى نجوع فكيف بالمؤمنين يومئذ قال يجزئهم ما يجزئ أهل السماء من التسبيح و التقديس رواه

✱ (الفصل الثالث) ✱ عن المغيرة بن شعبة قال ما سأل أحد رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم عن الدجال أكثر مما سألته و انه قال لى ما يضرك قلت انهم يقولون ان معه جبل خبز و نهر ماء

مهيم كلمة استفهام أى ما حالك و ما شانك أو ما وراءك أو أحدث لك شئ و قال القاضى رحمه الله مهيم كلمة يمانية و معناه ما الحال و الخبر و قوله (أسماء) منادى حذف منه حرف النداء (قلت يا رسول‌الله لقد خلعت أفئدتنا) أى أقلقت أو قلعت قلوبنا (بذكر الدجال) أى و بما معه من الفتنة و شدة الحال (قال ان يخرج و أنا حى) أى فرضا و تقديرا (فانا حجيجه) أى دافعه عنكم بالحجة أو الهمة (و الا فان ربى خليفتى على كل مؤمن) و هو لاينافى ما سبق من قوله فامرؤ حجيج نفسه فان المقصود انه يجب على كل شخص انه يدفعه عن نفسه بالحجة اليقينية فاذا كان صاحب النبوة موجودا فلايحتاج الى غيره لانه مؤيد من عند الله تعالى و الا فالله ولى دينه و ناصر نبيه و حافظ أوليائه ممن آمن به (فقلت يا رسول‌الله انا لنعجن) بكسر الجيم (عجيننا فما نخبزه) بكسر الموحدة و يضم أى فمايتم خبزه (حتى نجوع) أى من قلة صبرنا عن الاكل (فكيف بالمؤمنين) الباء زائدة أى كيف حالهم (يومئذ) أى وقت القحط و انحصار وجود الخبز عند الدجال و اتباعه (قال يجزئهم ما يجزئ) بضم أوله مهموزا أى يكفيهم ما يكفى (أهل السماء) أى الملائكة (من التسبيح و التقديس) قال المظهر يعنى من ابتلى بزمانه فى ذلك اليوم لايحتاج الى الاكل و الشرب كما لايحتاج الملأ الاعلى و أبعد الطيبى رحمه الله حيث قال معناه انا نعجن العجين لنخبزه فلا نقدر على خبزه لما فينا من خوف الدجال حين خلعت أفئدتنا بذكره فكيف حال من ابتلى بزمانه فمعنى قوله يجزئهم انه تعالى يسليهم ببركة التسبيح و التقديس هذا و فى الحديث كلمة سبحان الله و بحمده عبادة الخلق و بها يقطع أرزاقهم رواه البزار عن ابن عمر و معنى الاقطاع تسويغ الامام من مال الله شيأ لمن يراه أهلا لذلك ثم استعمل فى كل ما يعين للشخص (رواه) هنا بياض فى الاصل و الحق به أحمد و أبوداود و الطيالسى و قيل رواه أحمد عن عبدالرزاق عن معمر عن قتادة عن شهر بن حوشب عنها و انفرد به هنا

✱ (الفصل الثالث) ✱ (عن المغيرة بن شعبة قال ما سأل أحد رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم عن الدجال باكثر مما سألته) أى عنه (و انه) بكسر الهمزة و الواو للحال أو لعطف الجملة الثانية على المنفية و التقدير و قال انه و الواو لمطابق الجمع و الضمير للشان أو له صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم (قال لى ما يضرك) قال الطيبى رحمه الله الجملة حال و المعنى كنت مولعا بالسؤال عن الدجال مع انه صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم قال ما يضرك فان الله تعالى كافيك شره أقول و الظاهر ان الجملة اخبارية تقريرية و يمكن أن تكون خبرية لفظا و فى المعنى دعائية و انما أتى بصيغة المضارع لتوقع وجوده فى الاستقبال و الله تعالى أعلم بالحال (قلت انهم) أى الناس أو أهل الكتاب أو اليهود (يقولون ان معه جبل خبز) بضم الخاء المعجمة و سكون الموحدة فزاى أى معه من الخبز قدر الجبل و فى نسخة حبل خبز و هى كذا فى المصابيح و كانه تصحيف (و نهر ماء) بفتح الهاء و هو أفصح و تسكن و هو أشهر و فيه أشارة الى ان فى زمانه قحط

قال هو أهون على الله من ذلك متفق عليه ★ و عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يخرج الدجال على حمار أقمر ما بين أذنيه سبعون باعا رواه البيهقي في كتاب البعث و النشور ★ (باب قصة ابن صياد) ★ (الفصل الاول) ★ عن عبد الله بن عمر ان عمر بن الخطاب انطلق مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

الماء أيضا ابتلاء للعباد و زوالا للبركة في البلاد لعموم الفساد و هذا سؤال مستقل لا تعلق له بما قبله و أبعد الطيبي رحمه الله في قوله قلت الى آخره استئناف جواب عن سؤال مقدر أي سألته يوما فقال لي ما يضرك أي ما يضلك قلت كيف ما يضلني و انهم يقولون ان معه جبل خبز (قال هو أهون على الله من ذلك) أي الدجال هو أحقر من الله تعالى أن يحقق له ذلك و انما هو تخييل و تمويه للابتلاء فيثبت المؤمن و يزل الكافر او المراد انه أهون من أن يجعل شيأ من ذلك آية على صدقه و لاسيما قد جعل فيه آية ظاهرة في كذبه و كفره يقرأها من لايقرأ و في شرح مسلم قال القاضي رحمه الله معناه هو أهون على الله من أن يجعل ما خلق الله تعالى على يده مضلا للمؤمنين و مشككا لقلوبهم بل انما جعله الله ليزداد الذين آمنوا ايمانا و يلزم الحجة على الكافرين و المنافقين و نحوهم و ليس معناه انه ليس معه شئ من ذلك (متفق عليه ★وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال يخرج الدجال على حمار أقمر) أي شديد البياض على ما في النهاية و فيه ايماء الى ان حماره أحسن من وجهه (ما بين أذنيه) صفة ثنية لحمار (سبعون باعا) و هو طول ذراعي الانسان و ما بينهما (رواه البيهقي في كتاب البعث و النشور) ★ (باب قصة ابن صياد) ★ كذا في نسخة السيد و أكثر النسخ المعتمدة و في بعض النسخ ابن الصياد معرفا في القاموس ابن صائد أو صياد الذي كان يظن انه الدجال و قال الاكمل ابن صائد اسمه عبد الله و قيل صياف و يقال ابن صائد و هو يهودي من يهود المدينة و قيل هو دخيل فيهم و كان حاله في صغره حال الكهان يصدق مرة و يكذب مرارا ثم أسلم لما كبر و ظهرت منه علامات من الحج و الجهاد مع المسلمين ثم ظهرت منه أحوال و سمعت منه أقوال تشعر بانه الدجال و قيل انه تاب و مات بالمدينة و قيل بل فقد يوم الحرة و قال ابن الملك رحمه الله اختلفوا في حال ابن الصياد فقيل هو الدجال و ما يقال انه مات بالمدينة لم يثبت اذ قد روى انه فقد يوم الحرة و أما انه لم يولد للدجال و انه لايدخل البلدين و انه يكون كافرا فذلك في زمان خروجه و قيل ليس هو الدجال و نقل ان جابرا حلف بالله ان ابن صياد هو الدجال و انه سمع عمر بن الخطاب يحلف ذلك عند النبي صلى الله تعالى عليه وسلم و لم ينكره و الظاهر من قصة تميم الداري رضي الله تعالى عنه انه ليس هو الدجال نعم كان أمر ابن الصياد ابتلاء من الله تعالى لعباده فوق الله تعالى المسلمين من شره أقول و لاينافيه قصة تميم الداري اذ يمكن أن يكون له أبدان مختلفة فظاهره في عالم الحس و الخيال دائر مع اختلاف الاحوال و باطنه في عالم المثال مقيد بالسلاسل و الاغلال و لعل المانع من ظهور كماله في الفتنة وجود سلاسل النبوة و أغلال الرسالة و الله سبحانه و تعالى أعلم

★ (الفصل الاول) ★ (عن عبد الله بن عمر ان عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه) أفرد الضمير لكونه هو الأصل المروي عنه و ذكر ابنه تبعا له و في نسخة عنهما و هو موهم أن يدخل فيه الخطاب و هو عدول عن الصواب (انطلق مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي

فی رهط من أصحابه قبل ابن صیاد حتی وجدوه یلعب مع الصبیان فی أطم بنی مغالة و قد قارب ابن صیاد یومئذ الحلم فلم یشعر حتی ضرب رسول الله صلی الله علیه وسلم ظهره بیده ثم قال أتشهد انی رسول الله فنظر الیه فقال أشهد انک رسول الامیین ثم قال ابن صیاد أتشهد انی رسول الله فرصه النبی صلی الله علیه وسلم ثم قال آمنت بالله و برسله

ذهب عمر معه (فی رهط) و هو مادون العشرة من الرجال و المعنی فی جملة جمع (من أصحابه قبل ابن صیاد) بکسر قاف و فتح موحدة أی جانبه (حتی وجدوه) قیل حتی هنا حرف ابتداء یستأنف بعده الکلام و یفید انتهاء الغایة و قوله (یلعب مع الصبیان) حال من مفعول وجدوه (فی أطم بنی مغالة) بفتح المیم و یضم و الغین المعجمة و نقل بالضم و المهملة و هو قبیلة و الاطم بضمتین القصر و کل حصن مبنی بحجارة و کل بیت مربع مسطح الجمع آطام و أطوم کذا فی القاموس و قال النووی رحمه الله تعالی المشهور مغالة بفتح المیم و تخفیف الغین المعجمة (و قد قارب ابن صیاد یومئذ الحلم) بضمتین و یسکن اللام أی البلوغ بالاحتلام و غیره (فلم یشعر) بضم العین و فیه اشعار بانهم جاؤه علی غفلة منه أی لم یتفطن بمأتانا (حتی ضرب رسول الله صلی الله تعالی علیه وسلم ظهره) أی ظهر ابن صیاد (بیده) أی الکریمة (ثم قال) أی النبی صلی الله تعالی علیه وسلم (أتشهد انی رسول الله فنظر الیه) أی الی النبی صلی الله تعالی علیه وسلم نظر غضب أو غفلة و لذا لم یترتب علیه نضرة له کما قال تعالی و تراهم ینظرون الیک و هم لایبصرون (فقال اشهد انک رسول الامیین) قال القاضی رحمه الله یرید بهم العرب لان أکثرهم کانوا لایکتبون و لایقرؤن و ما ذکره و ان کان حقا من قبل المنطوق لکنه یشعر بباطل من حیث المفهوم و هو انه مخصوص بالعرب غیر مبعوث الی العجم کما زعمه بعض الیهود و هو ان قصد به ذلک فهو من جملة ما یلقی الیه الکاذب الذی یأتیه وهو شیطانه انتهی و یمکن أن یکون مسموعه من الیهود لانه منهم أو هذا منه علی طریقة الحکماء فی زعمهم انهم یستغنون عن الانبیاء (ثم قال ابن صیاد أتشهد انی رسول الله) یحتمل انه أراد به الرسالة النبویة کما یدل علیه المقابلة الکلامیه و یحتمل انه أراد الرسالة اللغویة فانه أرسل من عنده تعالی للفتنة و البلیة (فرصه النبی صلی الله تعالی علیه وسلم) بتشدید الصاد المهملة أی ضغطه حتی ضم بعضه الی بعض و منه قوله تعالی کانهم بنیان مرصوص ذکره الخطابی و قال النووی رحمه الله فی أکثر نسخ بلادنا فرفضه بالفاء و الضاد المعجمة و المعنی ترکه و قطع سؤاله و جوابه و جداله من هذا الباب وقال شارح قوله فرضه أی کسره و قیل صوابه بالمهملة و المراد منه العصر و التضییق (ثم قال) أی النبی صلی الله تعالی علیه وسلم (آمنت بالله و برسله) قال الطیبی رحمه الله هو عطف علی فرصه و ثم للتراخی فی الرتبة و الکلام خارج علی ارخاء العنان أی آمنت بالله و رسله فتفکر هل أنت منهم انتهی و فیه ایهام تجویز التردد فی کونه من الرسل أم لا و لایخفی فساده فالصواب انه عمل بالمفهوم کما فعله الدجال فالمعنی انی آمنت برسله و أنت لست منهم فلو کنت منهم لآمنت بک و هذا أیضا علی الفرض و التقدیر أو قبل ان یعلم انه خاتم النبیین و الا فبعد العلم بالخاتمة فلایجوز أیضا الفرض و التقدیر به و قد صرح بعض علمائنا بانه لو ادعی أحد النبوة فطلب منه شخص المعجزة کفر و انما لم یقتله صلی الله تعالی علیه وسلم مع انه ادعی بحضرته النبوة لانه صبی و قد نهی عن قتل الصبیان أو ان الیهود کانوا یومئذ

ثم قال لابن صياد ما ذا ترى قال يأتيني صادق و كاذب قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم خلط عليك الامر قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم انى خبأت لك خبيئا و خبأله يوم تأتى السماء بدخان مبين فقال هو الدخ فقال اخسأ فلن تعدو قدرك قال عمر يا رسول‌الله أتأذن لى فيه ان أضرب

مستمسكين بالذمة مصالحين ان يتركوا على أمرهم و هو منهم أو من حلفائهم فلم‌يكن ذمة ابن الصياد لتنقض بقوله الذى قال كذا قاله بعض علمائنا من الشراح و قال ابن الملك و هذا يدل على ان عهد الوالد يجزئ عن ولده الصغير و قيل انه ما ادعى النبوة صريحا لان قوله أتشهد استفهام لاتصريح فيه و فيه تاييد لما قدمته من احتمال المعنى اللغوى فى الرسالة (ثم قال لابن صياد ماذا ترى) ذا زائدة و ما استفهامية أى ما تبصر و تكاشف من الامر الغيبى (قال يأتينى صادق) أى خبر صادق تارة (و كاذب) أى أخرى أو ملك صادق و شيطان كاذب و قيل حاصل السؤال ان الذى يأتيك ما يقول لك و مجمل الجواب انه يحدثنى بشئ قد يكون صادقا و قد يكون كاذبا (قال رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم خلط) بصيغة المجهول مشددا للمبالغة و التكثير و يجوز تخفيفه أى شبه عليك الامر أى الكذب بالصدق قال النووى رحمه الله أى ما يأتيك به شيطانك مخلط قال الخطابى معناه انه كان له تارات يصيب فى بعضها و يخطئ فى بعضها فلذلك التبس عليه الامر (قال رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم انى خبأت) أى أضمرت (لك) أى فى نفسى (خبيأ) أى اسما مضمرا لتخبرنى به قال ابن الملك و انما امتحنه صلى‌الله‌تعالى عليه‌وسلم بذلك ليظهر ابطال حاله للصحابة و انه كاهن يأتيه الشيطان فيلقى على لسانه (و خبأله يوم تأتى السماء بدخان مبين) الجملة حال بتقدير قد أو بدونه (فقال هو الدخ) بضم فتشديد و قيل بالفتح و حكى الكسر أيضا ففى النهاية الدخ بضم الدال و فتحها الدخان لانه أراد بذلك يوم تأتى السماء بدخان مبين و قيل ان عيسى يقتل الدجال بجبل الدخان فيحتمل ان يكون أراده تعريضا لقتله و فى القاموس الدخ و يضم الدخان أقول و لو روى بضم الدال و تخفيف الخاء لكان له وجه فى أنه رمز و اشارة الى الدخان و تصريح بنقصان ادراكه كما هو دأب الكهان و قال النووى رحمه الله و هو بضم الدال و تشديد الخاء المعجمة و هى لغة فى الدخان و معنى خبأت أضمرت لك اسم الدخان و الصحيح المشهور انه صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم أضمر له آية الدخان و هى قوله تعالى فارتقب يوم تأتى السماء بدخان مبين قال القاضى عياض رحمه الله و أصح الاقوال انه لم‌يأت من الآية التى أضمرها النبى صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم الا بهذا اللفظ الناقص على عادة الكهان اذا ألقى الشيطان اليهم بقدر ما يخطف قبل ان يدركه الشهاب و يدل عليه ما ذكره الدارمى عنه (فقال اخسأ) بفتح السين و سكون الهمزة كلمة زجر و استهانة أى امكث صاغرا أو ابعد حقيرا و اسكت مزجورا من الخسوء و هو زجر الكلب (فلن تعدو) بضم الدال أى فلن تجاوز (قدرك) أى القدر الذى يدركه الكهان من الاهتداء الى بعض الشئ ذكره النووى و قال الطيبى رحمه الله أى لاتتجاوز عن اظهار الخبيآت على هذا الوجه كما هو دأب الكهنة الى دعوى النبوة فتقول أتشهد أنى رسول‌الله أقول و حاصل الجملة و زبدة المسئلة انك و ان أخبرت عن الخبئ فلن تستطيع ان تجاوز عن الحد الذى حد لك يريد ان الكهانة لاترفع بصاحبها عن القدر الذى عليه هو و ان أصاب فى كهانته (قال عمر) فيه التفات أو تجريد و يمكن ان يكون ابن عمر مصاحبا لهم و يدل عليه ما بعده فقال قال عمر (يا رسول‌الله أتأذن لى فيه) أى فى حقه (أضرب) و فى نسخة فلاضرب

عنقه قال رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم ان یکن هو لا تسلط علیه و ان لم‌یکن هو فلا خیر لک فی قتله قال ابن عمر انطلق بعد ذلک رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم و أبی بن کعب الانصاری یؤمان النخل التی فیها ابن صیاد فطفق رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم یتقی بجذوع النخل و هو یختل ان یسمع من ابن صیاد شیأ قبل ان یراه و ابن صیاد مضطجع علی فراشه فی قطیفة له فیها زمزمة فرأت أم ابن صیاد النبی صلی‌الله‌علیه‌وسلم و هو یتقی بجذوع النخل فقالت أی صاف و هو اسمه هذا محمد فتناهی ابن صیاد قال رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم لو ترکته بین

و فی أخری ان أضرب (عنقه قال رسول‌الله صلی‌الله‌تعالی‌علیه‌وسلم ان یکن هو) أی الدجال (لا تسلط) بصیغة المجهول مجزوما و فی نسخة بالرفع أی لا تقدر (علیه) أی علی هلاکه لان المقدر ان قاتله عیسی علیه‌الصلاة‌والسلام فیما سیأتی من الایام (و ان لم‌یکن هو فلا خیر لک فی قتله) أی لما قدمناه من کونه صغیرا أو ذمیا أو کون کلامه محتملا أقوال و أوسطها أعدلها قال ابن الملک رحمه الله تعالی و لما کان فیه قرائن دالة علی کونه الدجال ذکر النبی صلی‌الله‌تعالی‌علیه‌وسلم الحدیث بصورة الشک و الله تعالی أعلم قال القاضی قوله ان یکن هو الضمیر للدجال و یدل علیه ما روی انه صلی‌الله‌تعالی‌علیه‌وسلم قال ان یکن هو فلست صاحبه انما صاحبه عیسی بن مریم و الا یکن هو فلیس لک ان تقتل رجلا من أهل العهد و هو خبر کان و اسمه مستکن فیه و کان حقه ان یکنه فوضع المرفوع المنفصل موضع المنصوب المتصل عکس قولهم لولاه و یحتمل ان یکون تاکیدا للمستکن و الخبر محذوفا علی تقدیر ان یکن هو هذا قال الطیبی رحمه الله و یجوز ان یقدر ان یکن هو الدجال و هو ضمیر فصل أو هو مبتدأ و الدجال خبره و الجملة خبر کان انتهی و علی الاخیر یکون فی یکن ضمیر الشان کما لا یخفی (قال ابن‌عمر انطلق بعد ذلک رسول‌الله صلی‌الله‌تعالی علیه‌وسلم و أبی بن کعب الانصاری) بالرفع للعطف و یجوز النصب للمعیة (یؤمان النخل) من أمه یؤمه اذا قصده أی یقصدان النخیل (التی فیها) أی فیما بینها أو فی بستانها (ابن صیاد فطفق) بکسر الفاء أی شرع (رسول‌الله صلی‌الله‌تعالی‌علیه‌وسلم یتقی) أی یستر نفسه (بجذوع النخل) أی و یتخبأ عن ابن صیاد لیأخذه علی غرة و غفلة فان تلک الحالة أدل علی بطلان الرهبان (و هو) أی النبی صلی‌الله‌تعالی‌علیه‌وسلم (یختل) بسکون الخاء المعجمة و کسر الفوقیة من الختل و هو طلب الشئ بحیلة و المفعول محذوف أی یخدع ابن صیاد (ان یسمع) أی لیسمع (من ابن صیاد شیأ قبل ان یراه) أی یعلم هو و أصحابه حاله فی انه کاهن أم ساحر و نحوهما قال النووی رحمه الله و فیه جواز کشف أحوال ما یخاف مفسدته و کشف الامور المبهمة بنفسه (و ابن صیاد مضطجع علی فراشه فی قطیفة) أی دثار مخمل و قیل لحاف صغیر (له فیها زمزمة) قال النووی رحمه الله هو فی معظم نسخ مسلم بزاءین معجمتین و فی بعضها براءین مهملتین و وقع فی البخاری بالوجهین وهو صوت خفی لا یکاد یفهم أو لا یفهم قال شارح هی صوت لا یفهم منه شئ و هو فی الاصل صوت الرعد (فرأت أم ابن صیاد النبی صلی‌الله‌تعالی‌علیه‌وسلم و هو یتقی بجذوع النخل فقالت أی) للنداء (صاف) بالضم و فی نسخة بالکسر علی ان أصله صافی فحذف الیاء و اکتفی بالکسرة و یؤید الاول ظاهر قوله (و هو اسمه) و یمکن ان یکون الاسم بمعنی الوصف فانه قد یستعمل بالمعنی الاعم من نحو اللقب و العلم (هذا) أی وراءك (محمد) أو جاءك فتنبه له (فتناهی ابن صیاد) أی انتهی عما کان فیه من الزمزمة و سکت (قال رسول‌الله صلی‌الله‌تعالی‌علیه‌وسلم لو ترکته) أی أمه (بین)

قال عبدالله بن عمر قام رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم فى الناس فاثنى على الله بما هو أهله ثم ذكر الدجال فقال انى أنذركموه و ما من نبى الا و قد أنذر قومه لقد أنذر نوح قومه و لكنى سأقول لكم فيه قولا لم‌يقله نبى لقومه تعلمون انه أعور و ان الله ليس باعور

أي أظهر ما فى نفسه كذا فى شرح السنة و قال النووى رحمه الله أى بين لكم باختلاف كلامه ما يهون عليكم شأنه (قال عبدالله بن عمر) الظاهر ان ما سيأتى حديث آخر ذكره استطرادا ولذا لم‌يأت بعاطفه و قال (قام رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم فى الناس فاثنى على الله بما هو أهله ثم ذكر الدجال فقال انى أنذركموه و ما من نبى الا و قد أنذر قومه) أى بعد نوح (لقد أنذر نوح قومه) أى قبل الانبياء (و لكنى سأقول لكم فيه قولا لم‌يقله نبى لقومه تعلمون) خبر بمعنى الامر أى اعلموا (انه أعور و ان الله) بالفتح للعطف و بالكسر على ان الجملة حالية (ليس باعور) أى بالامر البديهى فى التنزيه الالهى قال التوربشتى رحمه الله يحتمل ان أحدا من الانبياء لم‌يكاشف أو لم‌يخبر بانه أعور و يحتمل انه أخبر و لم‌يقدر له ان يخبر عنه كرامة لنبينا صلى‌الله‌تعالى‌عليه وسلم حتى يكون هو الذى يبين بهذا الوصف دحوض حجته الداحضة و يبصر بامره جهال العوام فضلا عن ذوى الالباب و الافهام و فى شرح مسلم للنووى قالوا قصته مشكلة و أمره مشتبه فى انه هل هو المسيح الدجال أم غيره و لاشك انه دجال من الدجاجلة قالوا و ظاهر الاحاديث انه صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم لم‌يوح اليه بانه المسيح الدجال و لا غيره و انما أوحى اليه بصفات الدجال و كان لابن صياد قرائن محتملة فلذلك كان صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم لايقطع بانه الدجال و لا غيره و لهذا قال لعمر رضى‌الله‌تعالى‌عنه لايولد الدجال و قد ولد له و ان لايدخل مكة و المدينة و ابن صياد قد دخل المدينة و هو متوجه الى مكة فلادلالة فيه لانه صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم انما أخبر عن صفاته وقت فتنته و خروجه فى الارض قال الخطابى و اختلف السلف فى أمره بعد كبره فروى عنه انه تاب من ذلك القول و مات بالمدينة و انهم لما أرادوا الصلاة عليه كشفوا عن وجهه حتى يراه الناس و قيل لهم اشهدوا قال و كان ابن عمر و جابر يحلفان ان ابن صياد هو الدجال لايشكان فيه فقيل لجابر انه أسلم فقال و ان أسلم فقيل انه دخل مكة و كان بالمدينة فقال و ان دخل و روى أبوداود باسناد صحيح عن جابر قال فقدنا ابن صياد يوم الحرة و هذا يبطل رواية من روى انه مات بالمدينة و صلى عليه و قد روى مسلم فى هذه الاحاديث ان جابرا حلف بالله تعالى ان ابن صياد هو الدجال و انه سمع عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه يحلف ذلك عند النبى صلى‌الله تعالى عليه وسلم و لم ينكره قال البيهقى فى كتابه البعث و النشور اختلفوا فى أمر ابن صياد اختلافا كثيرا هل هو الدجال أم لا فمن ذهب الى انه غيره احتج بحديث تميم الدارى فى قصة الجساسة و يجوز ان يتوافق صفة ابن صياد و صفة الدجال كما ثبت فى الصحيح ان أشبه الناس بالدجال عبد العزى بن قطن و ليس هو هو قال و كان أمر ابن الصياد فتنة ابتلى الله بها عباده فعصم الله تعالى منها المسلمين و وقاهم شرها قال و ليس فى حديث تميم هذا كلام البيهقى فقد اختار انه غيره و قدمنا انه صح عن ابن عمر و جابر انه الدجال فان قيل لم لم يقتله النبى صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم مع انه ادعى بحضرته النبوة فالجواب من وجهين ذكرهما البيهقى و غيره أحدهما انه كان غير بالغ و اختار القاضى عياض رحمه الله هذا الجواب و الثانى انه كان فى أيام مهادنة اليهود و حلفائهم و جزم الخطابى بالجواب الثانى قال

متفق عليه ★ و عن أبي سعيد الخدري قال لقيه رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم و أبوبكر و عمر يعني ابن صياد في بعض طرق المدينة فقال له رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم أ تشهد اني رسول‌الله فقال هو أ تشهد اني رسول‌الله فقال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم آمنت بالله و ملائكته و كتبه و رسله ماذا ترى قال أرى عرشا على الماء فقال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم ترى عرش ابليس على البحر قال و ما ترى قال أرى صادقين و كاذبا أو كاذبين و صادقا فقال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم لبس عليه فدعوه رواه مسلم ★ و عنه ان ابن صياد سأل النبي صلى‌الله‌عليه‌وسلم عن تربة الجنة فقال درمكة بيضاء مسك خالص رواه مسلم ★ و عن نافع قال لقي ابن عمر ابن صياد في بعض طرق المدينة فقال له قولا أغضبه فانتفخ

لان النبي صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم بعد قدومه المدينة كتب بينه و بين اليهود كتاب الصلح على أن يتركوا على حالهم و كان ابن الصياد منهم أو دخيلا فيهم قال الخطابي و أما امتحان النبي صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم بما خبأه له من آية الدخان فلانه كان يبلغه ما يدعيه من الكهانة و يتعاطاه من الكلام في الغيب فامتحنه ليعلم حقيقة حاله و يظهر ابطال حاله للصحابة فانه كاهن ساحر يأتيه الشيطان فيلقى على لسانه ما يلقيه الشياطين الى الكهنة فامتحنه ثم قال فلن تعدو قدرك أي لاتتجاوز قدرك وقدر امثالك من الكهان الذين يحفظون من القاء الشيطان كلمة واحدة من جملة كثيرة بخلاف الانبياء عليهم الصلاة والسلام فانه يوحي الله تعالى اليهم من علم الغيب مايوحي فيكون واضحا جليا كاملا و بخلاف ما يلهم الله الاولياء من الكرامات و الله تعالى أعلم (متفق عليه) و رواه أبوداود و الترمذي ★ (و عن أبي سعيد الخدري قال لقيه رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم و أبوبكر و عمر يعني) أي يريد أبوسعيد بالضمير البارز (ابن صياد) و المعنى لقوه (في بعض طرق المدينة فقال له رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم أ تشهد أني رسول‌الله فقال هو) أي ابن صياد و هو تأكيد للضمير المستكن في فقال (أ تشهد أني رسول‌الله فقال رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم آمنت بالله و ملائكته و كتبه و رسله) تقدم مايتعلق به (ماذا ترى قال أرى عرشا على الماء فقال رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم ترى عرش ابليس على البحر) أقول قد جرى لبعض المكاشفين من هذه الامة و قد قدمنا بيانه (و ما ترى) أي غير هذا (قال أرى صادقين و كاذبا أو كاذبين و صادقا) أي يأتيني شخصان يخبراني بما هو صدق و شخص يخبرني بما هو كذب و الشك من ابن الصياد في عدد الصادق و الكاذب يدل على افترائه اذ المؤيد من عند الله لايكون كذلك (فقال رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم) أي لاصحابه (لبس) بضم لام وكسر موحدة مخففة و لو شدد لافاد التأكيد و التكثير أي خلط (عليه الامر) في كهانته (فدعوه) أي فاتركوه فانه لايحدث بشئ يصلح أن يعول عليه (رواه مسلم ★ و عنه) أي عن أبي سعيد (ان ابن صياد سأل النبي صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم عن تربة الجنة) أي ماترابها (فقال درمكة) في القاموس الدرمك كجعفر دقيق الحواري و التراب الناعم (بيضاء) صفة مؤكدة (مسك خالص) خبر ثان و في النهاية الدرمكة الدقيق الحواري شبه تربة الجنة بها لبياضها و نعومتها و بالمسك لطيبها انتهى و يقال دقيق حواري بضم الحاء و تشديد الواو و فتح الراء هو ما حور أي بيض من الطعام (رواه مسلم ★ و عن نافع قال لقي ابن عمر ابن صياد) أي رآه (في بعض طرق المدينة فقال) أي ابن عمر له (قولا أغضبه) أي القول مجازا أو ابن عمر (فانتفخ) أي صار ذا نفخ من الغضب

حتی ملأ السكة فدخل ابن عمر علی حفصة و قد بلغها فقالت له رحمک الله ما أردت من ابن صياد أما علمت ان رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم قال انما یخرج من غضبة یغضبها رواه مسلم ★ و عن أبی سعید الخدری قال صحبت ابن صیاد الی مکة فقال لی ما لقیت من الناس یزعمون انی الدجال ألست سمعت رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم یقول انه لایولد له و قد ولد لی ألیس قد قال هو کافر و أنا مسلم أو لیس قد قال لایدخل المدینة و لا مکة و قد أقبلت من المدینة و أنا أرید مکة ثم قال لی فی آخر قوله أما و الله انی لاعلم مولده و مکانه و أین هو و أعرف أباه و أمه قال فلبسنی قال قلت له تبا لک سائر الیوم قال و قیل له أیسرک انک ذاك الرجل قال

(حتی ملأ) أی جسده المنتفخ (السكة) بکسر فتشدید أی الطریق (فدخل ابن عمر علی حفصة) و هی أخته أم المؤمنین (و قد بلغها) أی و قد وصل الیها ما جری بینهما (فقالت له) أی لاخیها (رحمک الله) جملة دعائیة دالة علی جواز مثلها للاحیاء و ان کان العرف الآن علی خلاف ذلک (ما أردت) ما استفهام مفعول أردت أی أی شئ قصدت (من ابن صیاد) أی حیث أغضبته فی الکلام (أما علمت ان رسول‌الله صلی‌الله‌تعالی‌علیه‌وسلم قال انما یخرج) أی الدجال حین یخرج (من غضبة) بسکون الضاد المعجمة أی من مرة واحدة من الغضب (یغضبها) الجملة فی موضع الجر و الضمیر فی موضع النصب أی انه یغضب غضبة فیخرج بسبب غضبه فیدعی النبوة فلاتغضبه یا عبدالله و لا تتکلم معه کیلا یخرج فتظهر الفتن ذکره الطیبی رحمه الله و قال المظهر یعنی انما یخرج الدجال حین یغضب (رواه مسلم ★ و عن أبی سعید الخدری قال صحبت ابن صیاد الی مکة) أی متوجهین الیها (فقال لی ما لقیت) ما استفهام تعجیب أی شیأ عظیما لقیت (من الناس) أی من کلامهم ثم بینه بقوله (یزعمون انی الدجال) أی و لست أیاه و قال بعضهم قوله یزعمون استئناف کانه لما قال ما لقیت أی أی شئ لقیت من الناس قیل له ماذا تشکو منهم فقال یزعمون أو حال من فاعل لقیت أی أی شئ لقیت من الناس و انهم یزعمون کذا أی یترددون فی أمری و یشکون فیه أنت تعلم أن الامر علی خلاف ذلک (ألست سمعت رسول‌الله صلی‌الله‌تعالی‌علیه‌وسلم یقول لایولد له و قد ولد لی ألیس قد قال هو کافر و أنا مسلم أو لیس قد قال لایدخل المدینة و لا مکة و قد أقبلت من المدینة و أنا أرید مکة) و قد سبق تأویلات الجمل المذکورة (ثم قال لی فی آخر قوله أما و الله انی لاعلم) أی لاعرف (مولده) أی زمان ولادة الدجال (و مکانه) أی حینئذ (و أین هو) أی الآن (و أعرف أباه و أمه) فیه انه یحتمل أن یکون کاذبا و صادقا فیه (قال) أی أبو سعید (فلبسنی) بتخفیف الموحدة المفتوحة قال النووی رحمه الله هو بالتخفیف أی جعلنی التبس علی أمره و أشک فیه یعنی حیث قال أولا أعلم أنا مسلم ثم أدعی الغیب بقوله انی لاعلم ومن أدعی علم الغیب فقد کفر فالتبس علی اسلامه و کفره و قال ابن الملک فلبسنی من التلبیس أی التخلیط حیث لم‌یبین مولده و موضعه بل ترکه ملتبسا فلبس علی أو معناه أوقعنی فی الشک بقوله ولد لی و بدخوله المدینة و مکة وکان یظن انه الدجال (قال) أی أبو سعید (قلت له) أی لابن صیاد (تبا) بتشدید الموحدة أی هلاکا و خسرانا (لک سائر الیوم) أی جمیع الیوم أو باقیه أی ما تقدم من الیوم قد خسرت فیه فکذا فی باقیه (قال) أی أبو سعید (و قیل له) أی لابن صیاد (أیسرك) أی أیوقعک فی السرور و یفرحک و یعجبک (انک ذلک الرجل) أی أن تکون الدجال (قال) أی أبوسعید

فقال لو عرض علی ما کرهت رواه مسلم ★ و عن ابن عمر قال لقیته و قد نفرت عینه فقلت متی فعلت عینک ما أری قال لاأدری قلت لاتدری و هی فی رأسک قال ان شاء الله خلقها فی عصاك قال فنخر كأشد نخیر حمار سمعت رواه مسلم ★ و عن محمد بن المنكدر قال رأیت جابر بن عبد الله یحلف بالله ان ابن الصیاد الدجال قلت تحلف بالله قال انی سمعت عمر یحلف علی ذلک عند النبی صلی الله علیه وسلم فلم ینکره النبی صلی الله علیه وسلم متفق علیه

(فقال) أی ابن صیاد (لو عرض علی) بصیغة المجهول أی لو عرض علی ما جبل فی الدجال من الاغواء و الخدیعة و التلبیس (ما کرهت) أی بل قبلت و الحاصل رضاه بکونه الدجال و هذا دلیل واضح علی کفره کذا ذکره المظهر و غیره من الشراح (رواه مسلم ★ و عن ابن عمر قال لقیته) أی ابن صیاد (و قد نفرت) بفتح الفاء أی ورمت (عینه) كأن الجلد ینفر من اللحم للداء الحادث بینهما قال شارح و روی بالقاف علی بناء المجهول أی استخرجت قال النووی هو بفتح النون و القاف أی ورمت و نتأت و ذكر القاضی عیاض رحمه الله وجوها أخر و الظاهر أنها تصحیف (قلت متی فعلت عینک) أسند الفعل الی العین مجازا و المراد غیره و المعنی متی فعل الله بعینک (ما أری) أی الذی أراه فیها من الورم و كأنه لبس علی ابن صیاد یختبره أو یوافقه أو یخالفه (قال لا أدری قلت لاتدری) بتقدیر الاستفهام الانكاری (و هی فی رأسک) جملة حالیة و هذا استبعاد بحسب العادة و الا فمن الامکان بل من أبدع ما كان انه یحدث فی عینه شئ و لایدری فانه اذا جاء القدر عمی البصر لاسیما و کل أحد أعمی فی عیب نفسه بصیر بعیوب غیره یری القذی فی عین الناس و لایری الجذع فی باصرته (قال ان شاء الله خلقها) أی هذه العلة أو هذه العین المعیبة (فی عصاك) أی بحیث لاتدری بها و هی أقرب شئ الیک قال القاضی رحمه الله قول ابن صیاد ان شاء الله خلقها فی عصاك فی جواب قوله لاتدری و هی فی رأسک أشارة الی انه یمکن أن تکون العین بحال لایکون له شعور بحالها فلم لم یجوز أن یکون الانسان مستغرقا فی افکاره بحیث یشغله عن الاحساس بها و التذکر لاحوالها قلت و نظیره قطع عضو مأکولة من بعض العارفین حالة کونه من المصلین مستغرقا فی بلوغ مدارج مشاهدة المقربین و طلوع معراج مناجاة رب العالمین و کما یشاهد من آحاد الناس انه لایحس بألم الجوع فرحا أو حزنا و غیر ذلک (قال) أی ابن عمر (فنخر) أی ابن صیاد و هو بفتح النون و الخاء المعجمة أی صوت صوتا منکرا (كأشد نخیر حمار) قال شارح هو صوت الانف یعنی مد النفس فی الخیشوم (سمعت) بالضم أی سمعت منه صوتا منکرا فان أنکر الاصوات لصوت الحمیر قال الطیبی رحمه الله كأشد نخیر صفة مصدر محذوف أی نخر نخرة الی آخره (رواه مسلم ★ وعن محمد بن المنكدر) تابعی كبیر روی عنه الثوری و مالک وغیرهما وهو ممن جمع بین العلم و الزهد و العبادة (قال رأیت جابر بن عبدالله یحلف بالله ان ابن الصیاد) بكسر الهمز و تعریف صیاد فی الاصول (الدجال) أی هو الدجال (قلت تحلف بالله) أی أتحلف مع انه أمر مظنون غیر مجزوم به (قال انی سمعت عمر یحلف علی ذلک) أی علی أن ابن الصیاد الدجال (عند النبی صلی الله تعالی علیه وسلم فلم ینکره النبی صلی الله تعالی علیه وسلم) أی و لو لم یکن مقطوعا لانکره أی و لم یجز الیمین علی ما یغلب به الظن لما سکت عنه قیل لعل عمر أراد بذلک ان ابن الصیاد من الدجالین الذین یخرجون فیدعون النبوة أو یضلون الناس و یلبسون الامر علیهم لا انه المسیح

✱(الفصل الثانى)✱ عن نافع قال كان ابن عمر يقول و الله ما أشك ان المسيح الدجال ابن صياد رواه أبوداود و البيهقى فى كتاب البعث و النشور ✱ وعن جابر قال قد فقدنا ابن صياد يوم الحرة رواه أبوداود ✱ وعن أبى بكرة قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم يمكث أبوا الدجال ثلاثين عاما لايولد لهما ولد ثم يولدلهما غلام أعور أضرس و أقله منفعة تنام عيناه و لاينام قلبه ثم نعت لنا رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم أبويه فقال أبوه طوال ضرب اللحم كان أنفه منقار و أمه امرأة فرضاخية

الدجال لان النبى صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم تردد حيث قال ان يكن هو و ان لم يكن هو و لكن فيه ان الظاهر المتبادر من اطلاق الدجال هو الفرد الاكمل فالوجه حمل يمينه على الجواز عند غلبة الظن والله تعالى أعلم ثم رأيت شارحا قال قوله فلم ينكره لان النبى صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم عرف انه من جملة من حذر الناس عنه من الدجالين بقوله يخرج فى أمتى دجالون كذابون قريبا من ثلاثين و ابن صياد لم يكن خارجا من جملتهم لانه ادعى النبوة بمحضر من النبى صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم فلم يكن حلف عمر رضى‌الله‌تعالى‌عنه مخالفا للحقيقة أو يريد ان فيه صفة الدجال و الله تعالى أعلم بالحال (متفق عليه) ✱ (الفصل الثانى) ✱ (عن نافع قال كان ابن عمر يقول و الله ما أشك) أى لا أتردد (ان المسيح الدجال ابن صياد) أى هو هو و فى نسخة باللام (رواه أبوداود) أى فى سننه بسند صحيح (و البيهقى فى كتاب البعث و النشور ✱ و عن جابر قال قد فقدنا ابن صياد) و فى نسخة قد فقد بصيغة المجهول و ضم ابن صياد (يوم الحرة) هو يوم غلبة يزيد بن معاوية على أهل المدينة و محاربته اياهم قيل هذا يخالف رواية من روى انه مات بالمدينة و ليس بمخالف ذكره الطيبى رحمه الله و هو مخالف اذ يلزم من فقده المحتمل موته بها و بغيرها و كذا بقاؤه فى الدنيا الى حين خروجه عدم جزم موته بالمدينة (رواه أبوداود) أى بسند صحيح ✱(و عن أبى بكرة) بالتاء (قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم يمكث أبوا الدجال) أى والداه (ثلاثين عاما) و لعل المراد به أحد الدجالين فلاينافيه ما سبق و لا ما يأتى من الكلام (لايولد لهما ولد ثم يولد لهما غلام أعور أضرس) أى عظيم الضرس و هو السن و المراد به الناب لما سيأتى (و اقله) أى و اقل غلام (منفعة) و المعنى لا غلام أقل منه نفعا قال الجزرى قوله أضرس كذا فى نسخ المصابيح أى عظيم الضرس أو الذى يولد و ضرسه معه و لاشك عندى انه تصحيف أضر شئ و كذا هو فى كتاب الترمذى الذى أخذه المؤلف منه و بهذا يصح عطف و أقله منفعة عليه من غير تعسف و لاتكلف تقدير و يكون الضمير عائدا الى شئ أى أقل شئ منفعة قلت و يؤيده انه أورد الحافظ ابن حجر فى شرح البخارى حديث أبى بكرة ناقلا عن أبى داود و فيه غلام أعور أضر شئ و أقله نفعا (تنام عيناه و لاينام قلبه) قال القاضى رحمه الله أى لا تنقطع أفكاره الفاسدة عنه عند النوم لكثرة وساوسه و تخيلاته و تواتر ما يلقى الشيطان اليه كما لم يكن ينام قلب النبى صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم من أفكاره الصالحة بسبب ما تواتر عليه من الوحى و الالهام (ثم نعت لنا رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه وسلم أبويه فقال) أى النبى صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم (أبوه طوال) بضم الطاء و تخفيف الواو مبالغة طويل و المشدد أكثر مبالغة لكن الاول هو الرواية (ضرب اللحم) أى خفيفه و فى النهاية هو الخفيف اللحم المستدق و فى صفة موسى عليه‌الصلاة‌والسلام انه ضرب من الرجال (كان) بتشديد النون (أنفه منقار) بكسر الميم أى فى أنفه طول بحيث يشبه منقار طائر (و أمه امرأة فرضاخية) بكسر الفاء و تشديد التحتية أى ضخمة عظيمة ذكره القاضى و فى الفائق هى صفة بالضخم و قيل بالطول

طويلة اليدين فقال أبو بكرة فسمعنا بمولود فى اليهود بالمدينة فذهبت أنا و الزبير بن العوام حتى دخلنا على أبويه فاذا نعت رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم فيهما فقلنا هل لكما ولد فقالا مكثنا ثلاثين عاما لايولد لنا ولد ثم ولد لنا غلام أعور أضرس و أقله منفعة تنام عيناه و لاينام قلبه قال فخرجنا من عندهما فاذا هو منجدل فى الشمس فى قطيفة و له همهمة فكشف عن رأسه فقال ما قلتما قلنا و هل سمعت ما قلنا قال نعم تنام عيناى و لاينام قلبى رواه الترمذى ✱ و عن جابر ان امرأة من اليهود بالمدينة ولدت غلاما ممسوحة عينه طالعة نابه فاشفق رسول‌الله صلى‌الله‌عليه وسلم ان يكون الدجال فوجده تحت قطيفة يهمهم فآذنته أمه فقالت يا عبدالله هذا أبو القاسم فخرج من القطيفة فقال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم ما لها قاتلها الله لو تركته لبين فذكر مثل معنى حديث ابن عمر فقال عمر بن الخطاب ائذن لى

و الياء مزيدة فيه للمبالغة كاحمرى و فى القاموس رجل فرضاخ ضخم عريض أو طويل و هى بهاء و امرأة فرضاخة أو فرضاخية عظيمة الثديين و فى النهاية فرضاخية ضخمة عظيمة الثديين (طويلة اليدين) أى بالاضافة الى عادة نسائها أو بالنسبة الى سائر أعضائها (فقال أبو بكرة فسمعنا بمولود فى اليهود بالمدينة فذهبت أنا و الزبير بن العوام) بالرفع أو النصب (حتى دخلنا على أبويه فاذا نعت رسول‌الله) أى وصفه (صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم فيهما فقلنا هل لكما ولد) بالرفع أى ولد ولد (فقالا مكثنا) بفتح الكاف و ضمها أى لبثنا (ثلاثين عاما لايولد لنا ولد ثم ولد لنا غلام أعور أضرس) فيه ما تقدم (و أقله منفعة تنام عينه و لاينام قلبه) و لعله كان يظهر بعض آثار قلبه على صفحة قالبه أو هو أخبرهما عن بعض مدركات قلبه حال نومه (قال) أى أبوبكرة (فخرجنا من عندهما فاذا هو) أى الغلام (منجدل) بكسر الدال أى ملقى على وجه الارض قال الطيبى رحمه الله أى ملقى على الجدالة و هى الارض و منه الحديث أنا خاتم الانبياء فى أم الكتاب و آدم لمنجدل فى طينته قلت ففيه تجريد او تاكيد و المعنى انه ساقط أو واقع (فى الشمس فى قطيفة) أى دثار مخمل على ما فى القاموس (و له همهمة) أى زمزمة و قال شارح أى كلام غير مفهوم منه شئ و هى فى الاصل ترديد الصوت فى الصدر أى كما هو مشاهد فى الفرس عند جريانه و فى النهاية و أصل الهمهمة صوت البقر (فكشف) أى ابن صياد (عن رأسه) أى غطاءه (فقال ما قلتما) فكانه وقع كلام بينهما فيه أو فى غيره (قلنا و هل سمعت ما قلنا قال نعم تنام عيناى و لاينام قلبى رواه الترمذى) و كذا أبوداود ✱(وعن جابر ان امرأة من اليهود بالمدينة ولدت غلاما ممسوحة عينه) أى اليمنى و قيل اليسرى (طالعة نابه) هكذا هو فى شرح السنة و الظاهر طالعا نابه الا ان يراد به الجنس و التعدد فيه على التمحل ذكره الطيبى رحمه الله فالمعنى طالعة انيابه و فى القاموس الناب السن خلف الرباعية مؤنث فالتعدد باعتبار الطرفين و الجمع باعتبار ان الاقل يكون لاثنين و هذا الحديث يقوى رواية أضرس فيما تقدم و الله تعالى أعلم (فاشفق) أى خاف (رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم) أى على أمته (ان يكون) أى هو (الدجال فوجده تحت قطيفة يهمهم) أى يتكلم بكلام غير مفهوم (فآذنته) بالمد أى أعلمته (أمه) أى بمأتى النبى صلى‌الله‌تعالى‌وسلم اياه (فقالت يا عبدالله) يحتمل العلمية و الوصفية (هذا أبو القاسم) أى حاضر او حضر فتنبه له و تهيأ لكلامه (فخرج من القطيفة فقال رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم ما لها) ما للاستفهام مبتدأ و لها خبره أى أى شئ لها (قاتلها الله) دعاء عليها زجرا لها (لو تركته لبين) أى لاظهر ما فى ضميره (فذكر) أى جابر (مثل معنى حديث ابن عمر)

يا رسول‌الله فاقتله فقال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم أن يكن هو فلست صاحبه انما صاحبه عيسى ابن مريم و أن لايكن هو فليس لک أن تقتل رجلا من أهل العهد فلم‌يزل رسول‌الله صلى‌الله‌عليه وسلم مشفقا انه هو الدجال رواه فى شرح السنة

✱ (باب نزول عيسى عليه‌الصلاة والسلام) ✱ (الفصل الاول) ✱ عن أبى‌هريرة قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم و الذى نفسى بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا فيكسر الصليب و يقتل الخنزير و يضع الجزية و يفيض المال حتى لايقبله أحد حتى تكون السجدة الواحدة

أى الحديث الاول من باب قصة ابن صياد (فقال عمر بن الخطاب ائذن لى) أمر من الاذن أى اعطنى الاجازة (يا رسول‌الله فاقتله) بالنصب على جواب الامر (فقال رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم ان يكن هو) أى ابن الصياد الدجال (فلست صاحبه) أى صاحب قتله و مباشرة هلاکه (انما صاحبه عيسى بن مريم و أن لايكن) استعمال لا أولى هنا من قولهم فى مثل هذا المقام و ان لم‌يكن (فليس لک أن تقتل رجلا من أهل العهد) أى من الذمة و الجزية (فلم‌يزل رسول‌الله صلى‌الله تعالى‌عليه‌وسلم مشفقا) أى خائفا على أمته (انه) أى ابن الصياد (هو الدجال رواه) أى البغوى (فى شرح السنة) باسناده قال بعض المحققين الوجه فى الاحاديث الواردة فى ابن صياد مع ما فيها من الأختلاف و التضاد أن يقال انه صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم حسبه الدجال قبل التحقيق بخبر المسيح الدجال فلما أخبر صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم بما أخبر به من شأن قصته فى حديث تميم الدارى و وافق ذلک ما عنده تبين له صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم ان ابن الصياد ليس بالذى ظنه و يؤيده ما ذكره أبو سعيد حين صحبه الى مكة و أما توافق النعوت فى أبوى الدجال و أبوى ابن صياد فليس مما يقطع به قولا فان اتفاق الوصفين لايلزم منه اتحاد الموصوفين و كذا حلف عمر و ابنه مع عدم انكاره صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم من انه الدجال فان كل ذلک قبل تبين الحال وقد كان للدجال فى بعض علاماته ما أورث ذلک فيه صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم اشفاقا منه

✱ (باب نزول عيسى عليه‌الصلاة والسلام) ✱

✱ (الفصل الاول) ✱ (عن أبى‌هريرة قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم و الذى نفسى بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما) بفتحتين أى حاكما (عدلا) أى عادلا (فيكسر) بالرفع و قيل بالنصب والفاء فيه تفصيلية لقوله حكما عدلا أو تفريعية أى يهدم و يقطع (الصليب) قال فى شرح السنة و غيره أى فيبطل النصرانية و يحكم بالملة الحنيفية و قال ابن الملک الصليب فى اصطلاح النصارى خشبة مثلثة يدعون ان عيسى عليه‌الصلاة و السلام صلب على خشبة مثلثة على تلک الصورة و قد يكون فيه صورة المسيح (و يقتل الخنزير) أى يحرم اقتناءه و أكله و يبيح قتله فى شرح السنة و فيه بيان ان أعيانها نجسة لان عيسى عليه‌الصلاة والسلام انما يقتلها على حكم شرع الاسلام و الشئ الطاهر المنتفع به لايباح اتلافه انتهى و فيه انه قد يباح لمصلحة دينية أو دنيوية مع ان فى كون الخنزير نجس العين بجميع اجزائه خلافا للعلماء (و يضع الجزية) أى عن أهل‌الكتاب و يحملهم على الاسلام و لايقبل منهم غير دين الحق و قيل يضع الجزية عنهم لانه لايوجد محتاج يقبل الجزية منهم لكثرة المال و قلة أهل الحرص و الآمال و يؤيد قوله (و يفيض) بفتح أوله من فاض الماء يفيض اذا كثر حتى سال كالوادى على ما فى القاموس أى يكثر (المال حتى لايقبله أحد) أى من الرجال (حتى تكون السجدة الواحدة) لما فيها

خيرا من الدنيا ومافيها ثم يقول أبوهريرة فاقرؤا ان شئتم و ان من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته الآية متفق عليه * و عنه قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم و الله لينزلن ابن مريم حكما عادلا فليكسرن الصليب و ليقتلن الخنزير و ليضعن الجزية و ليتركن القلاص فلايسعى عليها و لتذهبن الشحناء و التباغض و التحاسد

من لذة العبادة و المراد بالسجدة نفسها أو الصلاة بكمالها لتضمنها لها (خيرا من الدنيا و ما فيها) قال الطيبى رحمه الله تعالى حتى الاولى متعلقة بقوله و يفيض المال و الثانية غاية لمفهوم قوله فيكسر الصليب الخ أقول و الاظهر ان الثانية بدل من الاولى أو غاية لما قبلها قائمة مقام العلة لها قال التوربشتى رحمه الله لم‌تزل السجدة الواحدة فى الحقيقة كذلك و انما أراد بذلك ان الناس يرغبون فى أمر الله و يزهدون عن الدنيا حتى تكون السجدة الواحدة أحب اليهم من الدنيا و ما فيها (ثم يقول أبوهريرة فاقرؤا ان شئتم و ان من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته الآية) بالنصب و يجوز رفعها و خفضها و قدمنا وجهها قال الطيبى رحمه الله استدل بالآية على نزول عيسى عليه‌الصلاة والسلام فى آخر الزمان مصداقا للحديث و تحريره ان الضميرين فى به و قبل موته لعيسى و المعنى و ان من أهل الكتاب أحد الا ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى و هم أهل الكتاب الذين يكونون فى زمان نزوله فتكون الملة واحدة و هى ملة الاسلام انتهى و قيل المعنى ليس أحد من أهل الكتاب الا ليؤمنن بمحمد صلى‌الله‌تعالى عليه‌وسلم عند المعاينة قبل خروج الروح و هو لاينفع فضمير به راجع الى نبينا صلى‌الله‌تعالى‌عليه وسلم و ضمير موته للكتابى و قيل كل منهم يؤمن عند الموت بعيسى و انه عبد الله و ابن أمته و لاينفع و قيل ضمير به لله سبحانه أى كل منهم يؤمن به تعالى عند الموت و لاينفع و الاولى مذهب أبى‌هريرة رضى‌الله تعالى عنه فى الآية (متفق عليه * و عنه) أى عن أبى‌هريرة (قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم و الله لينزلن ابن مريم حكما عادلا) و فى نسخة عدلا و هو أبلغ (فليكسرن الصليب و ليقتلن الخنزير و ليضعن الجزية) أى ليحكم بما ذكر (و ليتركن القلاص) بصيغة الفاعل و فى نسخة بالمفعول و هو الملائم لقوله (فلايسعى عليها) أى لايعمل على القلاص و هو بكسر القاف جمع القلوص بفتحها و هى الناقة الشابة على ما فى النهاية والمعنى انه يترك العمل عليها استغناء عنها لكثرة غيرها أو معناه لايأمر أحدا بان يسعى على أخذها و تحصيلها للزكاة لعدم من يقبلها ففى النهاية أى يترك زكاتها فلايكون لها ساع و قيل لايكون معها راع يسعى ففى الصحاح كل من ولى أمر قوم فهو ساع عليهم و قال المظهر يعنى ليتركن عيسى عليه‌الصلاة والسلام ابل الصدقة و لايأمر احدا أن يسعى عليها و يأخذها لانه لايجد من يقبلها لاستغناء الناس عنها و المراد بالسعى العمل قال الطيبى رحمه الله و يجوز أن يكون ذلك كناية عن ترك التجارات و الضرب فى الارض لطلب المال و تحصيل ما يحتاج اليه لاستغنائهم (و لتذهبن) أى ولتزولن (الشحناء) بفتح أوله أى العداوة التى تشحن القلب و تملؤه من الغضب (و التباغض) أى الذى هو سبب العداوة (و التحاسد) أى الذى هو باعث التباغض و كلها نتيجة حب الدنيا فتزول كل هذه العيوب بزوال محبة الدنيا عن القلوب و قال الاشرف انما تذهب الشحناء والتباغض و التحاسد يومئذ لان جميع الخلق يكونون يومئذ على ملة واحدة وهى الاسلام و أعنى أسباب التباغض و أكثرها هو اختلاف الاديان قلت اليوم كثير من البلدان متفقون

و ليدعون الى المال فلايقبله أحد رواه مسلم و فى رواية لهما قال كيف أنتم اذا نزل ابن مريم فيكم و امامكم منكم ★ و عن جابر قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم لاتزال طائفة من أمتى يقاتلون على الحق ظاهرين الى يوم القيامة قال فينزل عيسى بن مريم فيقول أميرهم تعال صل لنا فيقول لا ان بعضكم على بعض امراء تكرمة الله هذه الامة رواه مسلم وهذا الباب خال عن الفصل الثانى

على ملة الاسلام و فيهم علماء الاعلام و مشايخ الكرام مع كثرة التباغض و التحاسد و العداوة بل المقاتلة و المحاربة بين الحكام و ليس السبب و الباعث عليها الا حب الجاه بين الانام و الميل الى المال الحرام (و ليدعون) ضبط فى نسخة بضم الواو و نسب الى النووى رحمه الله تعالى و لا وجه له فالصواب ما فى الاصول المعتمدة من انه بفتح الواو و تشديد النون و فاعله ضمير عيسى عليه‌الصلاة والسلام و المعنى ليدعون الناس (الى المال) أى أخذه و قبوله (فلايقبله أحد) أى استغناء بعطاء الأحد (رواه مسلم و فى رواية لهما) أى لمسلم و البخارى بقرينة ذكر مسلم فان الغالب أن يكون قرينا له ففيه نوع تغليب للحاضر على الغائب (قال) أى النبى صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم (كيف أنتم) أى حالكم و مآلكم (اذا نزل ابن مريم فيكم و امامكم منكم) أى من أهل دينكم وقيل من قريش وهو المهدى والحاصل أن امامكم واحد منكم دون عيسى فانه بمنزلة الخليفة وقيل فيه دليل على ان عيسى عليه‌الصلاة‌والسلام لايكون من أمة محمد عليه‌الصلاة‌والسلام بل مقررا لملته و معينا لامته عليهما السلام و فى شرح السنة قال معمر و انكم و امامكم منكم و قال ابن أبى‌ذئب عن ابن شهاب فامامكم منكم قال ابن أبى‌ذئب فى معناه فامكم بكتاب ربكم و سنة نبيكم قال الطيبى رحمه الله فالضمير فى أمكم لعيسى و منكم حال أى يؤمكم عيسى حال كونه من دينكم ويحتمل أن يكون معنى امامكم منكم كيف حالكم و أنت مكرمون عند الله تعالى و الحال ان عيسى ينزل فيكم و امامكم منكم و عيسى يقتدى بامامكم تكرمة لدينكم و يشهد له الحديث الآتى اه و سيأتى بقية الكلام عليه فيه و هو قوله ★ (وعن جابر قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم لاتزال طائفة من أمتى يقاتلون على الحق) أما مقاتلة حسية أو معنوية على ظهور الحق أو حال كونهم على الحق (ظاهرين) أى غالبين أى على أعدائهم قال تعالى الا ان حزب الله هم الغالبون (الى يوم القيامة) أى الى قرب قيام الساعة (قال) أى النبى صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم (فينزل عيسى بن مريم فيقول أميرهم) أى المهدى (تعال) بفتح اللام أى احضر و تقدم (صل) بدل او استئناف بيان و المعنى أم (لنا) أى فى صلاتنا فان الاولى بالامامة هو الافضل و أنت النبى صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم الرسول الكمل و فى رواية تعال فصل لنا (فيقول لا) أى لا أصير اماما لكم لئلايتوهم بامامتى لكم نسخ دينكم و قيل تعلل بان هذه الصلاة أقيمت لامامكم فهو أولى بها لكن يؤيد الاول اطلاق قوله (ان بعضكم على بعض امراء) أى دينية أو دنيوية و ان على الاعانة المعية (تكرمة الله هذه الامة) أى اكراما منه سبحانه لهذه الجماعة المكرمة قال القاضى رحمه الله تكرمة الله نصب على المفعول لاجله و العامل محذوف و المعنى شرع الله أن يكون امام المسلمين منهم و أميرهم من عدادهم تكرمة لهم وتفخيما لشأنهم أو على انه مصدر مؤكد لمضمون الجملة التى قبله قال التفتازانى فى شرح العقائد الاصح ان عيسى عليه‌الصلاة والسلام يصلى بالناس و يؤمهم و يقتدى به المهدى لانه أفضل و امامته أولى قال ابن أبى شريف هذا يوافق ما فى مسلم من قوله وامامكم منكم لكنه فيه مايخالفه وهوحديث جابر و يمكن الجمع بينهما

★(الفصل الثالث)★ عن عبدالله بن عمرو قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم ينزل عيسى بن مريم الى الارض فيتزوج و يولد له و يمكث خمسا و أربعين سنة ثم يموت فيدفن معى فى قبرى فاقوم أنا و عيسى بن مريم فى قبر واحد بين أبى بكر و عمر رواه ابن الجوزى فى كتاب الوفاء

★ (باب قرب الساعة) ★ و ان من مات فقد قامت قيامته

بان يكون صلى بهم أول نزوله تنبيها على انه نزل مقتدى به فى الحكم على شريعتهم ثم دعى الى الصلاة فاشار بان يؤمهم المهدى اظهارا لاكرام الله به هذه الامة قلت و يمكن الجمع بالعكس أيضا و ربما يدعى انه الاولى على ان قوله امامكم منكم ظاهر فى ان المهدى هو الامام و الله تعالى أعلم بالمرام قال و اما كونه أفضل فلايلزم منه بطلان الاقتداء بغيره و اما الاولوية بالافضلية فيعارضها اظهار تكرمة الله تعالى هذه الامة بدوام شريعته كما نطق به الحديث (رواه مسلم و هذا الباب خال عن الفصل الثانى) يعنى عن الاحاديث الموصوفة بالحسان على اصطلاح البغوى المعبر عنها بالفصل الثانى على مصطلح صاحب المشكاة

★ (الفصل الثالث) ★ أى الموضوع فى الاحاديث الزائدة لصاحب المشكاة على المصابيح المناسبة للباب (عن عبدالله بن عمرو قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم ينزل عيسى بن مريم الى الارض فيتزوج و يولد له و يمكث خمسا و أربعين سنة) و هذا بظاهره يخالف قول من قال ان عيسى رفع به الى السماء و عمره ثلاث و ثلاثون و يمكث فى الارض بعد نزوله سبع سنين فيكون مجموع العدد أربعين لكن حديث مكثه سبعا رواه مسلم فيتعين الجمع بما ذكر أو ترجيح ما فى الصحيح و لعل عدد الخمس ساقط من الاعتبار لالغاء الكسر (ثم يموت فيدفن معى) أى مصاحبا لى (فى قبرى) أى فى مقبرتى و عبر عنها بالقبر لقرب قبره بقبره فكانهما فى قبر واحد (فاقوم أنا و عيسى فى قبر واحد) أى من مقبرة واحدة ففى القاموس ان فى تأتى بمعنى من و كذا فى المغنى (بين أبى بكر و عمر) رضى‌الله‌عنهما أى حال كوننا قائمين واقفين بين أبى بكر و عمر فاحدهما عن يمينهما ايماء الى تيمنه بالايمان و ان الايمان يمان و الظاهر انه أبوبكر و الآخر عن يسارهما ليسر الاسلام و عزه به و هو عمر و سيأتى فى فضائل سيد المرسلين عن عبدالله بن سلام برواية الترمذى عنه قال مكتوب فى التوراة صفة محمد و عيسى بن مريم يدفن معه قال أبوداود و قد بقى فى البيت موضع قبر أقوال و الظاهر اللائق بمقام عيسى عليه‌الصلاة‌والسلام ان يكون بين النبى صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم و بين أبى بكر رضى‌الله‌تعالى‌عنه لكن سيأتى فى كلام الجزرى انه يدفن بعد عمر و لعله نظر الى تأخر الدفن باعتبار تأخر زمن الموت أو تكرمة لهذه الامة و تعظيما للصحابيين الكريمين ان يكونا بين النبيين العظيمين و الله سبحانه و تعالى أعلم (رواه ابن الجوزى فى كتاب الوفاء)

★ (باب قرب الساعة) ★

و فى نسخة القيامة و اطلق الساعة عليها لانها تكون بغتة و فجأة فوقوعها فى أدنى ما يطلق عليه اسم الزمان و ان كانت بالنسبة الى انتهائها مديدة و قيل أطلقت عليها لطولها كما يسمى الزنجى بالكافور تسمية بالضد (و ان من مات فقد قامت قيامته) عطف على قرب الساعة لا على الساعة لفساد المعنى قال التوربشتى رحمه الله الساعة جزء من أجزاء الزمان و يعبر بها عن القيامة و قد ورد فى كتاب الله و سنة رسوله على أقسام ثلاثة الكبرى و هى بعث الناس للجزاء و القيامة الوسطى و هى انقراض القرن الواحد بالموت و القيامة الصغرى و هى موت الانسان و المراد هنا هذه أى

✱ (الفصل الاول) ✱ عن شعبة عن قتادة عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثت أنا و الساعة كهاتين قال شعبة و سمعت قتادة يقول فى قصصه كفضل احداهما على الاخرى فلا أدرى أذكره عن أنس أو قاله قتادة متفق عليه

الاخيرة و الظاهر ان المراد بالساعة هى الكبرى سواء أريد بها النفخة الاولى لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم لاتقوم الساعة الا على شرار الناس أو الثانية و هى الطامة الكبرى المعروفة فى الكتاب و السنة و من أحاديث الباب قوله عليه الصلاة والسلام بعثت أنا و الساعة كهاتين يحتملهما نعم حديث عائشة الآتى يدل على القيامة الوسطى و أما فى كتاب الله فما أظن ان الساعة وردت بهذا المعنى و لا ما يدل على القيامة الصغرى الا ما رواه الديلمى عن أنس مرفوعا بلفظ اذا مات أحدكم فقد قامت قيامته و هو المعنون فى الباب مع عدم ايراد حديث يلائمه و هذا كما ترى لم يرد بلفظ الساعة و أريد بها القيامة الصغرى بل و لا ورد بمعنى القيامة الوسطى الا باضافة فالاولى ان يقال ان الساعة منقسمة الى ثلاثة كبرى و هى الطامة الجامعة و وسطى و هى النفخة للاماتة العامة وصغرى و هى اماتة الجماعة والقيامة تطلق على الثلاثة وعلى من مات وحده أيضا والله سبحانه وتعالى أعلم ✱ (الفصل الاول) ✱ (عن شعبة) أحد رواة الحديث (عن قتادة) تابعى جليل (عن أنس قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بعثت أنا و الساعة) بالرفع فى بعض و فى بعض النسخ بالنصب قال النووى رحمه الله و روى بنصب الساعة و رفعها قال شارح من علمائنا الساعة مرفوعة رواية و يجوز النصب على ان الواو بمعنى مع (كهاتين) قال القاضى رحمه الله معناه ان نسبة تقدم بعثته على قيام الساعة كنسبة فضل احدى الاصبعين على الاخرى انتهى و هو المعنى بما قيل كفضل الوسطى على السبابة فى السبق و يدل عليه ما سيأتى من حديث ابن شداد و الاظهر أن يقال كفضل احداهما عن الاخرى بالصاد المهملة لما بينهما من قليل الانفصال و يؤيده ما فى النهاية و يحتمل وجها آخر ان يكون المراد منه ارتباط دعوته بالساعة لاتفترق احداهما عن الاخرى كما ان السبابة لاتفترق عن الوسطى و لم يوجد بينهما ما ليس منهما و قال شارح آخر يريد ان دينه متصل بقيام الساعة لايفصله عنه دين آخر و لايفرق بينهما دعوة أخرى كما لايفصل شئ بين السبابة و الوسطى قال الطيبى رحمه الله و يؤيد الوجه الاول الحديث الآتى للمستورد بن شداد قلت فيه نظر لان فى كل حديث نوعى معنى لم يراع فى الآخر اذ التأسيس أولى من التأكيد على انه لامانع من أن يلاحظ فى هذا الحديث كلا المعنيين اذ لاتدافع فيما بينهما فى رأى العينين نعم يفهم من المعنى الاول اغراق فى التشبيه القربى ما لايفهم من الثانى ولذا اختاره بعضهم و يؤيده موافقته لتفسير الراوى (قال شعبة و سمعت قتادة يقول فى قصصه) بفتح القاف مصدر قص يقص بمعنى يعظ أو يحكى القصة أو يحدث و يروى و منه قوله تعالى نحن نقص عليك أحسن القصص و فى نسخة بكسر القاف و هى جمع قصة و المعنى فى قصص قتادة أى تحديثه أو تفسير حديثه (كفضل أحداهما) أى احدى الاصبعين (على الاخرى) قال الطيبى رحمه الله قوله كفضل احداهما بدل من قوله كهاتين موضح له و هو يؤيد الوجه الاول و الرفع على العطف و المعنى بعثت أنا و الساعة بعثا متفاضلا مثل فضل احداهما و معنى النصب لايستقيم على هذا يعنى لابد على قصد المعية لكن يمكن ادعاؤها على طريق المبالغة كما عبر عنه فى الحديث الآتى بقوله بعثت فى نفس الساعة بفتحتين أى فى قربها (فلا أدرى اذكره) أى قتادة (عن أنس) أى مرفوعا أو موقوفا (أو قاله قتادة)

✯ و عن جابر قال سمعت النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم يقول قبل أن يموت بشهر تسألونى عن الساعة و انما علمها عند الله و أقسم بالله ما على الارض من نفس منفوسة يأتى عليها مائة سنة و هى حية يومئذ رواه مسلم ✯ و عن أبى سعيد عن النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال لايأتى مائة سنة و على الارض نفس منفوسة اليوم رواه مسلم ✯ و عن عائشة قالت كان رجال من الاعراب يأتون النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم فيسألونه عن الساعة فكان ينظر الى أصغرهم فيقول ان يعش هذا لايدركه الهرم حتى تقوم عليكم ساعتكم متفق عليه

أى من عند نفسه و تلقاء رأيه و هو الاظهر حتى يثبت الآخر (متفق عليه) و رواه أحمد و الترمذى عن أنس و كذا روى أحمد و الشيخان عن سهل بن سعد ✯(و عن جابر قال سمعت النبى صلى الله تعالى‌عليه‌وسلم يقول قبل ان يموت بشهر تسألونى) بتشديد النون و تخفيفه على صيغة الخطاب للاصحاب و همزة الانكار مقدرة أى أتسألونى (عن الساعة) أى القيامة و هى النفخة الاولى أو الثانية (و انما علمها عند الله) أى لايعلمها الا هو قال الطيبى رحمه الله جال مقررة لجهة الاشكال أنكر عليهم سؤالهم و أكده بقوله و انما علمها عند الله و قوله (و أقسم بالله) بقرر له يعنى تسألونى عن القيامة الكبرى و علمها عند الله و ما أعلمه هو القيامة الصغرى انتهى و هو يؤيد تقسيمنا المتقدم فى الساعة (ما على الارض) ما نافية و من فى قوله (من نفس) زائدة للاستغراق و قوله (منفوسة) صفة نفس و كذا ما يأتى و المعنى ما من نفس مولودة اليوم (يأتى عليها مائة سنة و هى حية يومئذ) يقال نفست المرأة غلاما بالكسر و نفست على البناء للمفعول اذا ولدت نفسا فهى نافس و نفساء و الولد منفوس قال الشاعر ✯ كما سقط المنفوس بين القوابل ✯ قال الاشرف معناه ما تبقى نفس مولودة اليوم مائة سنة أراد به موت الصحابة رضى الله عنهم و قال صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم هذا على الغالب و الا فقد عاش بعض الصحابة أكثر من مائة سنة انتهى و منهم أنس بن مالك و سلمان و غيرهما و الاظهر ان المعنى لاتعيش نفس مائة سنة بعد هذا القول كما يدل عليه الحديث الآتى فلاحاجة الى اعتبار الغالب فلعل المولودين فى ذلك الزمان انقرضوا قبل تمام المائة من زمان ورود الحديث و مما يؤيد هذا المعنى استدلال المحققين من المحدثين و غيرهم من المتكلمين على بطلان دعوى بابا رتن الهندى و غيره ممن ادعى الصحبة و زعم انه من المعمرين الى المائتين و الزيادة بقى ان الحديث بظاهره يدل على عدم حياة الخضر و الياس و قد قال البغوى رحمه الله فى معالم التنزيل أربعة من الانبياء فى الحياة اثنان فى الارض الخضر و الياس و اثنان فى السماء عيسى و ادريس عليهم الصلاة والسلام فالحديث مخصوص بغيرهم أو المراد ما من نفس منفوسة من أمتى و النبى عليه‌الصلاة‌والسلام لايكون من أمته نبى آخر و قيل قيد الارض يخرج الخضر و الياس فانهما كانا على البحر حينئذ و الله تعالى أعلم (رواه مسلم ✯ و عن أبى سعيد عن النبى صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم قال لايأتى مائة سنة و على الارض نفس منفوسة) و الجملة حالية (اليوم) هو ظرف منفوسة ذكره الطيبى رحمه الله قال ابن الملك اشارة الى زمنه صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم (رواه مسلم ✯ و عن عائشة قالت كان رجال من الاعراب) أى أهل البدو (يأتون النبى صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم فيسألونه عن الساعة) الظاهر ان سؤالهم عن الساعة الكبرى فالجواب الآتى على أسلوب الحكيم (فكان ينظر الى أصغرهم فيقول ان يعش هذا لايدركه) بالرفع وقيل بالجزم أى لايلحقه (الهرم) بفتحتين و هو الكبر (حتى تقوم عليكم ساعتكم) أى

★ (الفصل الثاني) ★ عن المستورد بن شداد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال بعثت في نفس الساعة فسبقتها كما سبقت هذه هذه و أشار باصبعيه السبابة و الوسطى رواه الترمذي ★ و عن سعد بن أبي وقاص ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اني لارجو أن لاتعجز أمتي عند ربها أن يؤخرهم نصف يوم قيل لسعد وكم نصف يوم قال خمسمائة سنة رواه أبوداود

قيامتكم و هي الساعة الصغرى عندي و الوسطى عند بعض الشراح و المراد موت جميعهم و هو الظاهر أو أكثرهم و هو الغالب قال القاضي رحمه الله أراد بالساعة انقراض القرن الذين هم من عدادهم و لذلك أضاف اليهم و قال بعضهم أراد موت كل واحد منهم (متفق عليه)

★ (الفصل الثاني) ★ (عن المستورد بن شداد) يقال انه كان غلاما يوم قبض النبي صلى الله تعالى عليه وسلم و لكنه سمع منه و روى عنه جماعة (عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال بعثت في نفس الساعة) بفتح النون و الفاء لا غير أراد به قربها أي حين تنفست و تنفسها ظهور اشراطها و منه قوله تعالى و الصبح اذا تنفس أي ظهر آثار طلوعه و بعثة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من أول اشراطها هذا معنى كلام التوربشتي رحمه الله و الاظهر ان معناه بعثت أنا و الساعة في نفس واحد من كمال الاتصال و عدم الاعتبار بقليل من الانفصال و يؤيده قوله (فسبقتها) أي الساعة في الوجود (كما سبقت هذه) أي السبابة (هذه) أي الوسطى أي وجودا أو حسابا باعتبار الابتداء من جانب الابهام و عدل عن الابهام لطول الفصل بينه و بين المسبحة ثم بين الاشارتين الراوي بقوله (و أشار) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (باصبعيه السبابة) أي المسبحة (و الوسطى) على طريق اللف و النشر المرتب (رواه الترمذي) و روى البيهقي عن سهل بن سعد مرفوعا مثلي و مثل الساعة كفرسي رهان مثلي و مثل الساعة كمثل رجل بعثه قومه طليعة فلما خشي أن يسبق ألاح بثوبه أتيتم أتيتم أنا ذاك أنا ذاك ★ (و عن سعد بن أبي وقاص عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال اني لارجو أن لاتعجز أمتي) بكسر الجيم و يجوز ضمها و هو مفعول أرجو أي أرجو عدم عجز أمتي (عند ربها) من كمال قربها (أن يؤخرهم نصف يوم) يوم بدل من أن لاتعجز و اختاره ابن الملك أو متعلق به بحذف عن كما اقتصر عليه الطيبي ثم قال و عدم العجز هنا كناية عن التمكن من القربة و المكانة عند الله تعالى مثال ذلك قول المقرب عند السلطان اني لا أعجز أن يوليني الملك كذا وكذا يعني به ان لي عنده مكانة و قربة يحصل بها كل ماأرجوه عنده فالمعنى اني أرجو أن يكون لامتي عند الله مكانة و منزلة يمهلهم من زماني هذا الى انتهاء خمسمائة سنة بحيث لايكون أقل من ذلك الى قيام الساعة (قيل لسعد وكم نصف يوم قال خمسمائة سنة) انما فسر الراوي نصف اليوم بخمسمائة نظرا الى قوله تعالى و ان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون و قوله تعالى يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه في يوم كان مقداره ألف سنة و انما عبر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن خمسمائة سنة بنصف يوم تقليلا لبغيتهم و رفعا لمنزلتهم أي لايناقشهم في هذا المقدار القليل بل يزيدهم من فضله وقد وهم بعضهم و نزل الحديث على أمر القيامة و حمل اليوم على يوم المحشر فهب انه غفل عما حققناه و نبهنا عليه فهلا انتبه لمكان الحديث و انه في أي باب من أبواب الكتاب فانه مكتوب في باب قرب الساعة فاين هو منه ذكره الطيبي رحمه الله و لعله صلى الله تعالى عليه وسلم أراد بالخمسمائة أن يكون بعد الالف السابع فان اليوم نحن في سابع سنة من الالف الثامن و فيه أشارة الى انه لايتعدى عن الخمسمائة

★ (الفصل الثالث) ★ عن أنس قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم مثل هذه الدنيا مثل ثوب شق من أوله الى آخره فبقى متعلقا بخيط فى آخره فيوشك ذلك الخيط أن ينقطع رواه البيهقى فى شعب الايمان ★ (باب لاتقوم الساعة الا على شرار الناس) ★

★ (الفصل الاول) ★ (عن أنس ان رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال لاتقوم الساعة حتى لايقال فى الارض الله الله و فى رواية قال لاتقوم الساعة على أحد يقول الله الله رواه مسلم ★ و عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم لاتقوم الساعة الا على شرار الخلق

فيوافق حديث عمر الدنيا سبعة آلاف سنة فالكسر الزائد يلغى و نهايته الى النصف و أما مابعده فيعد ألفا ثامنا بالغاء الكسر الناقص و قيل أراد بقاء دينه و نظام ملته فى الدنيا مدة خمسمائة سنة فقوله أن يؤخرهم أى عن ان يؤخرهم الله سالمين عن العيوب من ارتكاب الذنوب و الشدائد الناشئة من الكروب و الله تعالى أعلم (رواه أبوداود)

★ (الفصل الثالث) ★ (عن أنس قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم مثل هذه الدنيا) أى و قلة بقائها (مثل ثوب شق) بضم أوله أى قطع (من أوله الى آخره) أى الى قريب منه أو هو من قبيل ان الغاية فيه لاتكون داخلة تحت المغيا كقوله تعالى و أتموا الصيام الى الليل (فبقى متعلقا بخيط فى آخره) الضميران للثوب (فيوشك ذلك الخيط) و هو عبارة عن زمان قليل يكون فيه الدين المحمدى (أن ينقطع) أى فتنقطع الدنيا و تنفصل عن وجودها و تذهب و تأتى الاخرى فتبقى على أبد الآباد فيسعد أهلها أو يشقى (رواه البيهقى فى شعب الايمان)

★ (باب لاتقوم الساعة الا على شرار الناس) ★

روى بتنوين باب و بالاضافة الى الجملة و اقتصر على الاول أصل السيد و الطيبى على الثانى حيث قال هذه الجملة محكية مضاف اليها ترجمة الباب وهومن باب تسمية الشئ بالجمل على سبيل الحكاية كما سموا بتابط شرا و برق نحره و شاب قرناها و كما لو سمى بزيد منطلق أو بيت شعر

★ (الفصل الاول) ★ (عن أنس ان رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم قال لاتقوم الساعة حتى لايقال فى الارض الله الله) بالرفع فيهما و كرر للتأكيد و قيل تكريره عبارة عن تكثير ذكره و قيل معناه الله حسبى أو هو المعبود فالاول مبتدأ و الثانى خبر و فى نسخة بنصبهما قال شارح قوله الله الله بالرفع مبتدأ و خبر أى الله هو المستحق للعبادة لا غير و ان رويا بالنصب فعلى التحذير أى اتقوا الله و اعبدوه فعلى هذا معناه لاتقوم الساعة حتى لايبقى فى الارض مسلم يحذر الناس من الله و قيل أى لايذكر الله فلايبقى حكمة فى بقاء الناس ومن هذا يعرف ان بقاء العالم ببركة العلماء العاملين و العباد الصالحين و عموم المؤمنين و هو المراد بما قاله الطيبى رحمه الله معنى حتى لايقال حتى لايذكر اسم الله و لايعبد و اليه ينظر قوله تعالى و يتفكرون فى خلق السموات و الارض ربنا ما خلقت هذا باطلا يعنى ما خلقته خلقا باطلا بغير حكمة بل خلقته لاذكر و أعبد فاذا لم يذكر و لم يعبد فبالحرى أن يخرب و تقوم الساعة و قال المظهر هذا دليل على ان بركة العلماء و الصلحاء تصل الى من فى العالم من الجن و الانس و غيرهما من الحيوانات و الجمادات و النباتات (و فى رواية لاتقوم الساعة على أحد يقول الله الله) بالوجهين فيهما (رواه مسلم) و كذا أحمد و الترمذى ★ (و عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول‌الله صلى‌الله تعالى‌عليه‌وسلم لاتقوم الساعة الا على شرار الخلق) بكسر الشين جمع الشر قال الطيبى رحمه الله

رواه مسلم ✱ و عن أبي هريرة قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم لاتقوم الساعة حتى تضطرب اليات نساء دوس حول ذي الخلصة و ذو الخلصة طاغية دوس التي كانوا يعبدون في الجاهلية متفق عليه ✱ وعن عائشة قالت سمعت رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم يقول لايذهب الليل و النهار حتى يعبد اللات و العزى فقلت يا رسول‌الله ان كنت لاظن حين أنزل الله هو الذي أرسل رسوله بالهدى و دين الحق ليظهره على الدين كله و لو كره المشركون ان ذلك تاما قال انه سيكون من ذلك ما شاء الله ثم يبعث الله ريحا طيبة فتوفى

فان قيل ما وجه التوفيق بين هذا الحديث و الحديث السابق لاتزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين الى يوم القيامة قلنا السابق مستغرق للازمنة عام فيها و الثاني مخصص (رواه مسلم) و روى أبو يعلى في مسنده و الحاكم في مستدركه عن أبي سعيد مرفوعا لاتقوم الساعة حتى لايحج البيت و روى السجزي عن ابن‌عمر رفعه لاتقوم الساعة حتى يرفع الركن و القرآن ✱ (وعن أبي هريرة قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم لاتقوم الساعة حتى تضطرب) أي تتحرك (اليات نساء دوس) بفتح فسكون قبيلة من اليمن و الاليات بفتحتين جمع الية بفتح فسكون و هي في الاصل اللحمة التي تكون في أصل العضو و قيل هي اللحمة المشرفة على الظهر و الفخذ و هي لحم المقعد و المعنى حتى يرتدوا فتطوف نساؤهم (حول ذي الخلصة) بفتح الخاء المعجمة و اللام (و ذو الخلصة طاغية دوس) أي صنمهم و قال شارح أي أصنامهم (التي كانوا) أي دوس (يعبدون) أي يعبدونها (في الجاهلية) أي قبل الملة الحنيفية و الظاهر ان هذا تفسير من أبي‌هريرة أو غيره من الرواة و في النهاية هو بيت كان فيه صنم لدوس و خثعم و بجيلة و غيرهم و قيل ذو الخلصة الكعبة اليمانية التي كانت باليمن فانفذ اليها رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم جرير بن عبدالله فخربها و قيل ذو الخلصة اسم الصنم نفسه و فيه نظر لان ذو لايضاف الا الى اسم الجنس و المعنى انهم يرتدون الى جاهليتهم في عبادة الاوثان فتسعى نساء بني دوس طائفات حول ذي الخلصة فترتج أعجازهن مضطربة الياتهن كما كانت عادتهن في الجاهلية (متفق عليه ✱ وعن عائشة قالت سمعت رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم يقول لايذهب الليل و النهار) أي لاتقوم الساعة (حتى يعبد) بالتذكير و جوز تأنيثه (اللات) صنم لثقيف (و العزى) بضم عين فتشديد زاي صنم لغطفان (فقلت يارسول‌الله ان كنت لاظن) ان هي المخففة من المثقلة و اللام هي الفارقة قال المظهر تقديره انه كنت لاظن يعني ان الشان كنت لاحسب (حين أنزل الله هو الذي أرسل رسوله بالهدى) أي بالتوحيد (و دين الحق) أي و بالشريعة الثابتة و لما كان مؤداهما واحدا أفرد الضمير في قوله (ليظهره) اي ليعليه و يغلبه (على الدين كله) أي على الاديان جميعها باطلها بردها و حقها بنسخها (و لو كره المشركون) أي ما عليه الموحدون المخلصون (ان ذلك) بفتح الهمزة مفعول لاظن و حين أنزل الله ظرف له أي كنت أظن حين انزال تلك الآية ان ذلك الحكم المذكور المستفاد منها يكون (تاما) أي عاملا كاملا شاملا للازمنة كلها فنصبه بالكون المقدر و في نسخة صحيحة تام بالرفع و المعنى ان ما ذكر من عبادة الاصنام قد تم و اختتم و غدا و لايكون بعد ذلك أبدا (قال) أي النبي صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم (انه) أي الشان (سيكون من ذلك) أي بعض ما ذكر من تمام الدين و نقصان الكفر و اغرب شارح حيث قال من ذلك أي من عبادة الاصنام (ما شاء‌الله) أي مدة مشيئته و بين ذلك بقوله (ثم يبعث الله ريحا طيبة) أي يشم منها رائحة الوصال (فتوفى)

كل من كان فى قلبه مثقال حبة من خردل من ايمان فيبقى من لاخير فيه فيرجعون الى دين آبائهم رواه مسلم ✱ وعن عبدالله بن عمرو قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم يخرج الدجال فيمكث أربعين لاأدرى أربعين يوما أو شهرا أو عاما فيبعث الله عيسى بن مريم كانه عروة بن مسعود فيطلبه فيهلكه ثم يمكث فى الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة ثم يرسل الله ريحا باردة من قبل الشام فلايبقى على وجه الارض أحد فى قلبه مثقال ذرة من خير او ايمان الا قبضته حتى لو ان أحدكم دخل فى كبد جبل لدخلته

بصيغة المجهول أى فقبض (كل من كان فى قلبه) و فى نسخة بصيغة الفاعل على انه حذف منه احدى التاءين أى تتوفى على اسناد التوفى الى الريح مجازا فيكون كل منصوبا على المفعولية و المعنى تميت كل من كان فى قلبه (مثقال حبة) أى مقدار خردل فقوله (من خردل) بيان لحبة و قوله (من ايمان) بيان لمثقال و المراد منه ان يكون فى قلبه من العقائد الدينية أقل ما يجب عليه من التصديق القلبى و اليقين بالامور الاجمالية فليس فيه دلالة على تصور الزيادة و النقصان فى نفس الايمان و حقيقة الايقان كما لايخفى على أهل العرفان (فيبقى من لاخير فيه) أى لا اسلام و لا ايمان و لا قرآن و لاحج و لاسائر الاركان و لا علماء الاعيان (فيرجعون الى دين آبائهم) أى الاولين من المشركين الجاهلين الضالين المضلين فروعى لفظ من فى ضمير فيه و معناه فى قوله فيرجعون كما فى قوله تعالى و من الناس من يقول آمنا بالله و باليوم الآخر و ما هم بمؤمنين هذا و قال الطيبى رحمه الله قوله تاما هو بالرفع فى الحميدى على انه خبر ان و فى صحيح مسلم و شرح النسائى بالنصب فعلى هذا هو اما حال و العامل اسم الاشارة و الخبر محذوف أو خبر لكان المقدر أى ظننت من مفهوم الآية ان ملة الاسلام ظاهرة على الاديان كلها غالبة عليها غير مغلوبة فكيف يعبد اللات و العزى و جوابه صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم بقوله فتوفى كل من كان فى قلبه نظير قوله ان الله لايقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد و لكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى اذا لم يبق عالما اتخذ الناس رؤساء جهالا الحديث (رواه مسلم ✱ و عن عبدالله بن عمرو) بالواو (قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم يخرج الدجال فيمكث أربعين) و أبهمه صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم لحكمة فى ترك التمييز أو نسبه الراوى ولذا قال (لا أدرى أربعين يوما أو شهرا أو عاما) قال التوربشتى رحمه الله لا أدرى الى قوله فيبعث الله من قول الصحابى أى لم يزدنى النبى صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم على أربعين شيأ يبين المراد منها فلا أدرى ايا أراد بهذه الثلاثة (فيبعث الله عيسى بن مريم) أى فينزل من السماء (كانه) أى فى الصورة (عروة بن مسعود) أى الثقفى شهد صلح الحديبية كافرا و قدم على النبى صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم سنة تسع بعد عوده من الطائف و أسلم ثم عاد الى قومه و دعاهم الى الاسلام فقتلوه و قيل هو أخو عبدالله بن مسعود و ليس بشئ (فيطلبه) أى عيسى الدجال (فيهلكه) أى بحربة (ثم يمكث فى الناس سبع سنين) تقدم ما ورد خلافه (ليس بين اثنين عداوة) يحتمل ان يكون قيدا للعدد فلاينافيه ما سبق من الزيادة و يؤيده التراخى المفهوم من قوله (ثم يرسل الله ريحا باردة من قبل الشام) بكسر ففتح أى جانبه (فلايبقى على وجه الارض أحد فى قلبه مثقال ذرة من خير او ايمان) الظاهر ان أو للشك و يحتمل ان يكون للتخيير فى التعبير (الا قبضته) الا أخذت روحه تلك الريح (حتى لو ان أحدكم دخل) أى فرضا و تقديرا على طريق المبالغة (فى كبد جبل) أى وسطه و جوفه و منه كبد السماء وسطها (لدخلته) أى كبد الجبل

عليه حتى تقبضه قال فيبقى شرار الناس فى خفة الطير و احلام السباع لايعرفون معروفا و لاينكرون منكرا فيتمثل لهم الشيطان فيقول ألا تستحيون فيقولون فما تأمرنا فيأمرهم بعبادة الاوثان وهم فى ذلك دار رزقهم حسن عيشهم ثم ينفخ فى الصور فلايسمعه أحد الا أصغى ليتا و رفع ليتا قال و أول من يسمعه رجل يلوط حوض ابله فيصعق و يصعق الناس ثم يرسل الله مطرا كانه الطل فينبت منه أجساد الناس ثم ينفخ فيه أخرى فاذاهم قيام ينظرون ثم يقال يا أيها الناس هلم الى ربكم قفوهم

(عليه)أى على أحدكم (حتى تقبضه قال فيبقى شرار الناس فى خفة الطير) بكسر الخاء المعجمة و تشديد الفاء قال القاضى رحمه الله المراد بخفة الطير اضطرابها و تنفرها بادنى توهم شبه حال الاشرار فى تهتكهم و عدم وقارهم و ثباتهم و اختلال رأيهم و ميلهم الى الفجور و الفساد بحال الطير (و أحلام السباع) أى و فى عقولها الناقصة جمع حلم بالضم أو جمع حلم بالكسر ففيه ايماء الى انهم خالين عن العلم و الحلم بل الغالب عليهم الطيش و الغضب و الوحشة و الاتلاف و الاهلاك و قلة الرحمة (لايعرفون معروفا و لاينكرون منكرا) بل يعكسون فيما يفعلون (فيتمثل لهم الشيطان) أى يتصور لهم بصورة انسان فكان التشكل أقوى على التسلط فى الضلالة من طريق الوسوسة ولذا قدم الله سبحانه شياطين الانس فى قوله و كذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الانس و الجن (فيقول ألا تستحيون) أى من الله فى ترك عبادته و التوسل الى مقام قربته (فيقولون فماذا تأمرنا) أى به نمتثله فما موصولة أو استفهامية فالمعنى فاى شئ تأمرنا لنطيعك فيه (فيأمرهم بعبادة الاوثان) أى توسلا الى رضا الرحمن كما قال تعالى مخبرا عنهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى و يقولون هؤلاء شفعاؤها عند الله زين لهم سوء أعمالهم (و هم فى ذلك) أى و الحال انهم فيما ذكر من الاوصاف الردية و العبادات الوثنية (دار) بتشديد الراء أى كثير (رزقهم حسن عيشهم) فالاول اشارة الى الكمية و الثانى الى الكيفية أو الاول ايماء الى كثرة الامطار و ما يترتب عليه من الانهار و اثمار الاشجار و الثانى من جهة الامن و عدم الظلم و كثرة الصحة و الغنى بالمال و الجاه (ثم ينفخ فى الصور) بصيغة المجهول و النافخ هو اسرافيل عليه الصلاة والسلام (فلايسمعه أحد الا أصغى ليتا) بكسر اللام قال التوربشتى رحمه الله أى امال صفحة عنقه خوفا و دهشة (و رفع ليتا) والمراد منه هنا ان السامع يصعق فيصغى ليتا و يرفع ليتا أى يصير رأسه هكذا و كذلك شان من يصيبه صيحة فيشق قلبه فاول ما يظهر منه سقوط رأسه الى أحد الشقين فاسند الاصغاء اليه اسناد الفعل الاختيارى (قال و أول من يسمعه رجل يلوط) أى يطين و يصلح (حوض ابله فيصعق) أى يموت هو أولا (و يصعق الناس) أى معه (ثم يرسل الله مطرا كانه الطل) بفتح الطاء و تشديد اللام أى المطر الضعيف الصغير القطر (فينبت منه) أى من أجله و سببه (أجساد الناس) أى النخرة فى قبورهم (ثم ينفخ فيه أخرى فاذاهم قيام ينظرون) و بين النفختين أربعون عاما على ما سيأتى (ثم يقال يا أيها الناس هلم) فى القاموس هلم يقال مركبة من هاء التنبيه و من لم أى ضم نفسك الينا يستوى فيه الواحد و الجمع و التذكير و التأنيث عند الحجازيين فالمعنى تعالوا أو ارجعوا و أسرعوا الى ربكم (قفوهم) و فى نسخة صحيحة و قفوهم بالعاطفة قال الطيبى عطف على قوله يقال على سبيل التقدير أى يقال للناس هلم و يقال للملائكة قفوهم و فى بعض النسخ بدون العاطف فهو على الاستئناف انتهى و هو أمر مخاطب و الخطاب للملائكة و الضمير للناس يقال وقفت الدابة و وقفتها يتعدى و لايتعدى و المعنى

انهم مسؤلون فيقال اخرجوا بعث النار فيقال من كم كم فيقال من كل ألف تسعمائة و تسعة وتسعين قال فذلك يوم يجعل الولدان شيبا و ذلك يوم يكشف عن ساق رواه مسلم و ذكر حديث معاوية لاتنقطع الهجرة فى باب التوبة

★ (باب النفخ فى الصور) ★

★ (الفصل الاول) ★ عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين النفختين

احبسوهم (انهم مسؤلون) استئناف تعليل (فيقال اخرجوا) أمر للملائكة أى ميزوا مما بين الخلائق (بعث النار) أى مبعوثها بمعنى من يبعث اليها (فيقال من كم كم) أى سأل المخاطبون من كمية العدد المبعوث الى النار فيقولون كم عددا نخرجه من كم عدد ذكره الطيبى رحمه الله فكم الاولى خبر مقدم وكم الثانية مبتدأ وهما مفعولا نخرج الذى للمتكلم (فيقال من كل ألف تسعمائة) بالنصب أى اخرجوا للنار من كل ألف تسعمائة (و تسعة و تسعين) قيل هم الذين يستوجبون النار بذنوبهم يتركون فيها بقدر ذنوبهم و يجوز أن يصرفوا عن طريق جهنم بالشفاعة ذكره ابن الملك رحمه الله و يجوز أن يخلصوا منها بعد دخولها بالشفاعة لكن الظاهر ان المراد بهم الكفار الذين يستحقون عذاب النار بلاحساب و لا كتاب فهم مخلدون فى العقاب و الله تعالى أعلم بالصواب (فذلك) أى الوقت (يوم) أو فذلك الحكم وقت (يجعل) أى يصير فيه (الولدان) أى الصبيان جمع وليد (شيبا) بكسر أوله جمع أشيب كابيض و بيض و المعنى انه يصير الاطفال شيبا فى الحال فالمعنى لو ان وليدا شاب من واقعة عظيمة لكان ذلك اليوم هذا و يوم مرفوع منون فى أكثر النسخ و فى نسخة بالفتح مضافا قال الطيبى رحمه الله يحتمل أن يكون اليوم مرفوعا و يجعل الولدان صفة له فيكون الاسناد مجازيا و أن يكون مضافا مفتوحا فيكون الاسناد حينئذ حقيقيا و الاول أبلغ و أوفق لما ورد فى التنزيل يعنى قوله تعالى يوما يجعل الولدان شيبا (وذلك) أى أيضا (يوم يكشف) فى كثير من النسخ برفع يوم منونا و فى بعضها بالفتح مضافا و هو أوفق لما فى القرآن يوم يكشف (عن ساق) أى شدة عظيمة يقال كشفت الحرب عن الساق اذا أشتد فيها وكان أصله ان الولد يموت فى بطن الناقة فيدخل المدمر يده فى رحمها فياخذ ساقه فجعل لكل أمر عظيم و خطب جسيم قال الخطابى هذا مما هاب القول فيه شيوخنا فاجروه على ظاهر لفظه و لم يكشفوا عن باطن معناه على نحو مذهبهم فى التوقف عن تفسير كل ما لايحيط العلم بكنهه من هذا الباب أما من تأوله فقال ذلك يوم يكشف عن شدة عظيمة و بلية فظيعة و هو اقبال الآخرة و ظهورها و ذهاب الدنيا و ادبارها و يقال للامر اذا اشتد و تفاقم و ظهر و زال خفاؤه كشف عن ساقه و هذا جائز فى اللغة و ان لم يكن للامر ساق (رواه مسلم و ذكر حديث معاوية لاتنقطع الهجرة) أى حتى تنقطع التوبة و لاتنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها و قد ثبت لاهجرة بعد الفتح فالمراد بالهجرة التى هى غير منقطعة هى الهجرة من المعصية الى الطاعة أو من ديار البدعة الى ديار السنة أو من بلاد الشر الى بلاد الخير (فى باب التوبة) و فيه اعتراض فعلى منضم الى بيان قولى و هو أن الحديث أنسب بذلك الباب و الله تعالى أعلم بالصواب

★ (باب نفخ الصور) ★ بضم أوله و هو قرن ينفخ فيه و المراد به النفخة الثانية ففى النهاية هو القرن الذى ينفخ فيه اسرافيل عليه الصلاة والسلام عند بعث الموتى الى المحشر

★ (الفصل الاول) ★ (عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما بين النفختين)

أربعون قالوا يا أباهريرة أربعون يوما قال أبيت قالوا أربعون شهرا قال أبيت قالوا أربعون سنة قال أبيت ثم ينزل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل قال و ليس من الانسان شئ لايبلى الا عظما واحدا وهو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة متفق عليه و فى رواية لمسلم قال

أي نفخة الصعق و هى الاماتة و نفخة النشور و هى الاحياء (أربعون) أبهم فى الحديث و بين فى غيره انه أربعون عاما و لعل اختيار الابهام لما فيه من الايهام (قالوا يا أباهريرة أربعون يوما) باستفهام مقدر (قال أبيت) أى امتنعت عن الجواب لانى لاأدرى ما هو الصواب أو عن السؤال من صاحب المقال فلا أدرى ما الحال (قالوا أربعون شهرا قال أبيت قالوا أربعون سنة قال أبيت) قال القاضى رحمه الله أى لاأدرى ان الاربعين الفاصل بين النفختين أى شئ اياما أو شهورا أو أعواما و امتنع عن الكذب على الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم و الاخبار عما لا أعلم (قال) كذا فى نسخة و الظاهر ان ضميره اليه صلى الله تعالى عليه وسلم و يحتمل أن يكون الى أبى هريرة فيكون موقوفا أو التقدير راويا عنه و ناقلا منه و ليس فى الجامع لفظ قال فيه و لا فيما بعده (ثم ينزل الله من السماء ماء) أى مطرا كالطل على ما سبق (فينبتون) أى فينبت اجساد الخلق منه (كما ينبت البقل) أى من المطر و الظاهر ان هذا قبل النفخة الثانية كما فهم من الرواية الماضية فتعبيره بثم هنا للتراخى الرتبى أى بعد ما علمت ما سبق فاعلم هذا فانه أمر محقق (قال و ليس من الانسان شئ) أى جزء من أجزائه (لايبلى) أى لايخلق و لايرم ممن يبلى جسده فان الله تعالى حرم على الارض أن تأكل من اجساد الانبياء و كذا من فى معناهم من الشهداء و الاولياء بل قيل و منهم المؤذنون المحتسبون فانهم فى قبورهم أحياء أو كالاحياء (الا عظما واحدا) و لفظ الجامع الا عظم واحد بالرفع على البدلية من شئ و هو واضح و قيل منصوب لانه استثناء من موجب لان قوله ليس شئ من الانسان لايبلى الا عظما نفى النفى و نفى النفى اثبات فيكون تقديره كل شئ منه يبلى الا عظما فانه لايبلى و يحتمل أن يكون منصوبا على انه خبر ليس لان اسمه موصوف كقولك ليس زيد الا قائما فمن الانسان حال من شئ (و هو عجب الذنب) بفتح العين المهملة و سكون الجيم و حكى اللحيانى تثليث العين مع الباء و الميم ففيه ست لغات و هو العظم بين الاليتين الذى فى أسفل الصلب قال بعض علمائنا من الشراح المراد طول بقائه تحت التراب لا أنه لايفنى أصلا فانه خلاف المحسوس و جاء فى حديث آخر انه أول ما يخلق و آخر ما يبلى و معنى الحديثين واحد و قال بعضهم الحكمة فيه انه قاعدة بدن الانسان واسه الذى يبنى عليه فبالحرى أن يكون أصلب من الجميع كقاعدة الجدار واسه و اذا كان أصلب كان أطول بقاء أقول التحقيق و الله ولى التدقيق ان عجب الذنب يبلى آخرا كما شهد به حديث لكن لا بالكلية كما يدل عليه هذا الحديث و هو الحديث المتفق عليه و لا عبرة بالمحسوس كما حقق فى باب عذاب القبر على ان الجزء القليل منه المخلوط بالتراب غير قابل لان يتميز بالحس كما لايخفى على أرباب الحس (و منه يركب) بتشديد الكاف المفتوحة (الخلق) أى سائر الاعضاء المخلوقات من الحيوانات (يوم القيامة) أى كما خلق أولا فى الايجاد كذلك خلق أولا فى الاعادة أو أبقى حتى يركب عليه الخلق ثانيا قال تعالى كما بدأنا أول خلق نعيده و قال سبحانه كما بدأكم تعودون (متفق عليه) و رواه النسائى (و فى رواية لمسلم) و كذا للبخارى ذكره السيد و فى الجامع رواه مسلم و أبوداود و النسائى عن أبى هريرة (قال) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم

كل ابن آدم يأكله التراب الا عجب الذنب منه خلق و فيه يركب ★ و عنه قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم يقبض الله الارض يوم القيامة و يطوى السماء بيمينه ثم يقول أنا الملك أين ملوك الارض متفق عليه ★ وعن عبدالله بن عمر قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم يطوى الله السموات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون ثم يطوى الارضين بشماله و فى رواية يأخذهن بيده الاخرى ثم يقول أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون

(كل ابن آدم) بالرفع و فى نسخة بالنصب أى كل أعضاء بدن الانسان و كذا سائر الحيوان (يأكله التراب الا عجب الذنب) أى فانه لايأكله كله أو بعضه (منه) أى من عجب الذنب (خلق) بصيغة المجهول أى ابتدئ منه خلق الانسان أولا (و فيه) و فى نسخة منه و هو راية الجامع و سبق ان فى تأتى مرادفة لمن (يركب) أى ثانيا قال النووى رحمه الله هذا مخصوص فيخص منه الانبياء فان الله حرم على الارض أجسادهم و هو كما صرح به فى الحديث ★ (وعنه) أى عن أبى‌هريرة (قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم يقبض الله الارض يوم القيامة و يطوى السماء) و لعل المراد بهما ابدالهما كما قال تعالى يوم تبدل الارض غير الارض و السموات (بيمينه) أى بقوته أو قدرته أو بيمينه الصادز عنه انه يفعله أو بقبض الملائكة وطيهم الكائنين بيمين عرشه قال القاضى عبر به عن افناء الله تعالى هذه المظلة و هذه المقلة و رفعهما من البين و اخراجهما من أن يكون مأوى ومنزلا لبنى آدم بقدرته الباهرة التى تهون عليها الافعال العظام التى يتضاءل دونها القوى و القدر و يتحير فيها الافهام و الفكر على طريقة التمثيل و التخييل و أضاف فى الحديث الذى يليه طى السموات و قبضها الى اليمين و طى الارض الى الشمال تنبيها و تخييلا لما بين المقبوضين من التفاوت و التفاضل و قال بعضهم أعلم ان الله تعالى منزه عن الحدوث و صفة الاجسام و كل ما ورد فى القرآن و الاحاديث فى صفاته مما ينبئ عن الجهة و الفوقية و الاستقرار و الاتيان و النزول فلا نخوض فى تأويله بل نؤمن بما هو مدلول تلك الالفاظ على المعنى الذى أراد سبحانه مع التنزيه عما يوهم الجهة و الجسمية (ثم يقول أنا الملك) أى لا ملك الا لى و أنا ملك الملوك و الاملاك و فيه تنبيه على ان الملك أبلغ من المالك مع ان المفسرين اختلفوا فى قوله تعالى ملك يوم الدين و مالك يوم الدين ان أى القراءتين أبلغ كما أشار اليه الشاطبى بقوله ★ و مالك يوم الدين راويه ناصر ★ و مجمل الكلام فى البيضاوى مذكور و التفصيل فى غيره مسطور (أين ملوك الارض) أى الذين كانوا يزعمون ان الملك لهم استقلالا أو دواما لايرون به زوالا أو الذين كانوا يدعون الالوهية فى الجهة السفلية و قيد بها لان الملأ الاعلى هم معصومون عن أفعال أهل السفلى (متفق عليه) و رواه النسائى و ابن ماجه ★ (وعن عبد الله بن عمر قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم يطوى الله السموات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول أنا الملك أين الجبارون) أى الظلمة القهارون (أين المتكبرون) أى بمالهم و جاههم و خيلهم و حشمهم لقد جئتمونا فرادى كما خلقنا كم أول مرة حفاة عراة غرلا (ثم يطوى الارضين) بفتح الراء و تسكن (بشماله و فى رواية يأخذهن) أى بدل يطوى فالتقدير ثم يأخذهن (بيده الاخرى) و هذه الرواية أوفق بحديث و كلتا يديه يمين و ضميرهن الى الارضين بقرينة ذكر السموات و يحتمل ان المصنف نقل بالمعنى و ان لفظ الرواية ثم يأخذ الارضين بيده الاخرى (ثم يقول أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون) فينظر فى الاصول لطلب الاخرى

رواه مسلم ★ وعن عبدالله بن مسعود قال جاء حبر من اليهود الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد ان الله يمسک السموات يوم القيامة على اصبع و الارضين على اصبع و الجبال و الشجر على اصبع و الماء و الثرى على اصبع و سائر الخلق على اصبع ثم يهزهن فيقول أنا الملک أنا الله فضحک رسول الله صلى الله عليه وسلم تعجبا مما قال الحبر تصديقا له ثم قرأ و ما قدروا الله حق قدره

قال أصحاب التأويل المراد باليد اليمنى و الشمال القدرة و المراد من الطى التسخير التام و القهر الكامل و هو كذلک الآن أيضا و لکن فى القيامة يکون أظهر و نسب طى السموات الى اليمين و طى الارضين الى الشمال تنبيها لما بينهما من المقبوضين من التفاوت بعد ان نزه ذاته سبحانه من نسبة الشمال اليه بقوله و كلتا يديه يمين لان الشمال ناقص فى القوة عادة و الله منزه عن النقصان وعن سائر صفات الحدثان (رواه مسلم ★ وعن عبدالله بن مسعود قال جاء حبر) بفتح الحاء و يكسر مفرد الاحبار أى عالم (من اليهود) أى من جملتهم أو من أحبارهم (الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال ان الله يمسک السموات يوم القيامة على اصبع) بكسر الهمزة و فتح الموحدة و فى القاموس بتثليث الهمزة و الباء ففيه تسع لغات (و الارضين على اصبع و الجبال و الشجر) أى جنسه (على اصبع و الماء و الثرى) أى التراب الندى يعنى الماء و ما تحته من الثرى (على اصبع و سائر الخلق) أى باقيه (على اصبع) و هذا الحديث بظاهره يخالف ما سبق من ان طى العلوى بيمينه و السفلى بالاخرى و أيضا ظاهر تقسيم الاشياء على الاصابع موهم لارادة تحقق الجارحة المشتملة على الاصابع الخمسة كما هو مذهب المجسمة من اليهود و سائر أهل البدع و لکنه لما قرره صلى الله تعالى عليه وسلم حيث لم ينكره لزم اما التأويل و هو مذهب الخلف و هو احكم أو التسليم و التفويض مع الاتفاق على التنزيه و هو مذهب السلف و هو أسلم و الله تعالى أعلم فقال شارح و المعنى يهون على الله امساكها و حفظها كما يقال فى العرف فلان يحمل باصبعه لقوته و قال التوربشتى السبيل فى هذا الحديث ان يحمل على نوع من المجاز أو ضرب من التمثيل و المراد منه تصوير عظمته و التوقيف على جلالة شأنه و انه سبحانه يتصرف فى المخلوقات تصرف أقوى قادر على أدنى مقدور تقول العرب فى سهولة المطلب و قرب التناول و وفور القدرة و سعة الاستطاعة هو منى على حبل الذراع و انى أعالج ذلک ببعض كفى و استقله بفرد اصبع و نحو ذلک من الالفاظ استهانة بالشئ و استظهارا فى القدرة عليه و المتورع عن الخوض فى تاويل امثال هذا الحديث فى فسحة من دينه اذ لم ينزلها فى ساحة الصدر منزلة مسميات الجنس (ثم يهزهن) الضمير للاصابع و المعنى يحركهن (فيقول أنا الملک) أى القادر القوى القاهر (أنا الله) أى المعبود بالحق المستحق للمعبودية و العبادة فى الباطن و الظاهر (فضحک رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم تعجبا مما قال الحبر تصديقا له) علة العلة قال صاحب الكشاف انما ضحک أفصح العرب و تعجب لانه لم يفهم منه الا ما يفهمه علماء البيان من غير تصور امساك و لا اصبع و لا هز و لا شئ من ذلک و لکن فهمه وقع أول شئ و آخره على الزبدة و الخلاصة التى هى الدلالة على القدرة الباهرة و لا ترى بابا فى علم البيان ادق و لا الطف من هذا الباب و لا أنفع و أهون على تعاطى تأويل المشتبهات من كلام الله فى القرآن و سائر الكتب السماوية و كلام الانبياء فان أكثره تخيلات قد زلت فيها الاقدام قديما (ثم قرأ) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اعتضادا و يحتمل أن يكون القارى هو ابن مسعود استشهادا (و ما قدروا الله حق قدره) أى ما عرفوه حق معرفته أو ما عظموه حق تعظيمه

و الارض جميعا قبضته يوم القيامة و السموات مطويات بيمينه سبحانه و تعالى عما يشركون متفق عليه ★ وعن عائشة قالت سألت رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم عن قوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض و السموات فاين يكون الناس يومئذ قال على الصراط رواه مسلم ★ وعن أبي هريرة قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم الشمس و القمر مكوران يوم القيامة رواه البخاري

★ (الفصل الثاني) ★ عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم كيف أنعم

(و الارض) الواو للحال أي و الحال ان جنس الارض و هو الارضين السبع (جميعا قبضته) أي مقبوضته و في ملكه و تصرفه (يوم القيامة) يتصرف فيه كيف يشاء بلامزاحم مع سهولة و المعنى انهن بعظمتهن بالنسبة الى قدرته ليست الا قبضة واحدة (و السموات مطويات بيمينه) أي مجموعات بقدرته أو مغيبات بقسمه لانه تعالى أقسم بعزته و جلاله انه يفنيهما (سبحانه و تعالى عما يشركون) بنسبة الولد و الشريك اليه (متفق عليه) و رواه الترمذي و النسائي ★(وعن عائشة) رضي‌الله‌تعالى عنها (قالت سألت رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم عن قوله) أي سبحانه و تعالى (يوم تبدل الارض غير الارض) أي يوم تبدل هذه الارض التي تعرفونها أرضا أخرى غير هذه المعروفة (و السموات) أي كذلك قال صاحب الكواشي انها تبدل بخبزة بيضاء فيأكل المؤمنون من تحت أقدامهم حتى يفرغ الحساب و سيأتي في أول باب الحشر ما يؤيد هذا المعنى و روى عن الضحاك انه يبدلها أرضا من فضة بيضاء كالصحائف و كذا عن علي كرم الله وجهه و رضي‌الله‌تعالى‌عنه و في شرح السنة التبديل تغيير الشئ عن حاله و الابدال جعل الشئ مكان آخر و قال الطيبي رحمه الله قد يكون التبديل في الذوات كقولك بدلت الدراهم دنانير و في الاوصاف كقولك بدلت الحلقة خاتما اذا أذبتها و سويتها خاتما و اختلف في تبديل الارض و السموات فقيل تبدل أوصافهما فتسير على الارض جبالها و تفجر بحارها و تجعل مستوية لاترى فيها عوجا و لا امتا و تبدل السموات بانتشار كواكبها و كسوف شمسها و خسوف قمرها و قيل يخلق بدلها أرض و سموات أخر وعن ابن مسعود و أنس يحشر الناس على ارض بيضاء لم‌يخطئ عليها أحد خطيئة و الظاهر من التبديل تغيير الذات كما يدل عليه السؤال و الجواب حيث قالت (فاين يكون الناس يومئذ قال على الصراط) المعهود عند الناس أو جنس الصراط و الله تعالى أعلم (رواه مسلم ★ و عن أبي هريرة قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم الشمس و القمر مكوران) بتشديد الواو المفتوحة و تذكيره لتغليب القمر لانه المذكر أو باعتبار الكوكبين النيرين و قوله (يوم القيامة) ظرف له و التكوير معناه اللف و منه تكوير العمامة و قال تعالى يكور الليل على النهار و هو معنى الجمع في قوله تعالى و جمع الشمس و القمر قال التوربشتي يحتمل انه من التكوير الذي هو بمعنى اللف و الجمع أي يلف صورهما لنا فيذهب انبساطهما في الآفاق و يحتمل ان يراد به رفعهما لان الثوب اذا طوى رفع و يحتمل ان يكون من قولهم طعنة مكورة من كوره اذا ألقاه أي ملقيان من فلكهما و هذا التفسير أشبه بنسق الحديث لما في بعض طرقه مكوران في النار فيكون تكويرهما فيها ليعذب بهما أهل النار لاسيما عباد الانوار و لايعذبان في النار فانهما بمعزل عن التكليف بل سبيلهما في النار سبيل النار نفسها و سبيل الملائكة الموكلين بها (رواه البخاري) و روى ابن مردويه عن أنس الشمس و القمر ثوران عقيران في النار ان شاء اخرجهما و ان شاء تركهما و العقير الزمن

★(الفصل الثاني)★ (عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم كيف أنعم)

و صاحب الصور قد التقمه و أصغى سمعه و حنى جبهته ينتظر متى يؤمر بالنفخ فقالوا يا رسول‌الله و ما تأمرنا قال قولوا حسبنا الله و نعم الوكيل رواه الترمذي ★ وعن عبدالله بن عمرو عن النبي صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال الصور قرن ينفخ فيه رواه الترمذي و أبوداود و الدارمي

★(الفصل الثالث)★ عن ابن عباس قال في قوله تعالى فاذا نقر في الناقور الصور قال و الراجفة النفخة الاولى و الرادفة الثانية رواه البخاري في ترجمة باب ★ وعن أبي سعيد قال ذكر رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم صاحب الصور و قال عن يمينه جبريل وعن يساره ميكائيل ★ و عن أبي رزين

أي أفرح و أتنعم من نعم عيشه كفرح اتسع و لان كذا في المصباح و في النهاية هو من النعمة بالفتح و هي المسرة و الفرح و الترفه (و صاحب الصور قد التقمه) أي وضع طرف الصور في فمه (و اصغى سمعه) أي أمال أذنه (و حنى جبهته) أي أمالها و هو كناية عن المبالغة في التوجه لاصغاء السمع و القاء الاذن (ينتظر متى يؤمر بالنفخ) و الظاهر ان كلا من الالتقام و الاصغاء و ما بعده على الحقيقة و انه عبادة لصاحبه بل هو مكلف به و قال القاضي رحمه الله معناه كيف يطيب عيشي و قد قرب ان ينفخ في الصور فكنى عن ذلك بان صاحب الصور وضع رأس الصور في فمه و هو مترصد مترقب لان يؤمر فينفخ فيه (فقالوا يا رسول‌الله و ما تأمرنا) أي ان نقول الآن أو حينئذ أو مطلقا عند الشدائد (قال قولوا حسبنا الله) مبتدأ و خبر أي كافينا الله (و نعم الوكيل) فعيل بمعنى المفعول و المخصوص بالمدح محذوف أي نعم الموكول اليه الله (رواه الترمذي) و كذا الحاكم و صححه عنه و عن ابن عباس قال ميرك عن ابن عباس قال حسبنا الله و نعم الوكيل قالها ابراهيم عليه‌الصلاة‌والسلام حين ألقي في النار و قالها محمد صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم حين قالوا له ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم الآية رواه البخاري و النسائي ★(و عن عبدالله ابن عمرو) بالواو (عن النبي صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم قال الصور قرن) قيل دائرة رأسه كعرض السموات و الارض (ينفخ فيه) بصيغة المجهول أي ينفخ فيه اسرافيل النفختين (رواه الترمذي و أبوداود و الدارمي) و كذا أحمد و النسائي و الحاكم

★ (الفصل الثالث) ★ (عن ابن عباس قال في قوله تعالى فاذا نقر) أي نفخ (في الناقور الصور) بالجر على التفسير و في نسخة بالرفع على تقدير هو الصور (قال) أي ابن عباس أيضا (و الراجفة) أي في قوله تعالى يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة (النفخة الاولى) لانها ترجف الارض و الجبال عندها أي تضطرب و تتحرك و تتزلزل لها (و الرادفة الثانية) أي لانها تقع عقيبها و قال الطيبي الراجفة الواقعة التي ترجف عندها الارض و الجبال و هي النفخة الاولى وصفت بما يحدث بحدوثها و الرادفة الواقعة التي تردف الاولى و هي النفخة الثانية (رواه البخاري في ترجمة باب) بفتح التاء و الجيم أي في عنوانه تعليقا لكن وصله في موضع آخر منه ★(وعن أبي سعيد قال ذكر رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم صاحب الصور) أي اسرافيل (و قال عن يمينه جبريل) بكسر الجيم و تفتح فكسر راء فسكون ياء و بفتحهما و بهمزة بعدها تحتية و تحذف أربع لغات كلهن متواترات (و عن يساره ميكائيل) بهمزة و تحتية و تحذف و بوزن مفعال ثلاث قراآت لكن في شرح الشاطبية للجعبري قال أبو عبيدة هما ممدودان في الحديث انتهى و هو يحتمل ان مراده المدة الطبيعية أو حرف المد و يحتمل أنه أراد جبرائيل بالالف الممدودة على الشذوذ و اختير لمشاكلة ميكائيل و الله تعالى أعلم ★ (و عن أبي رزين) بفتح

العقيلى قال قلت يا رسول‌الله كيف يعيد الله الخلق و ما آية ذلك فى خلقه قال أما مررت بوادى قومك جدبا ثم مررت به يهتز خضرا قلت نعم قال فتلك آية الله فى خلقه كذلك يحيى الله الموتى رواهما رزين

★ (باب الحشر) ★

★ (الفصل الاول) ★ عن سهل بن سعد قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقى ليس فيها علم لاحد متفق عليه ★ و عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم تكون الارض يوم القيامة خبزة واحدة يتكفأها

الراء و كسر الزاى (العقيلى) مصغرا و لم يذكره المؤلف فى أسمائه (قال قلت يا رسول‌الله كيف يعيد الله الخلق و ما آية ذلك) أى علامته (فى خلقه) أى مخلوقاته الموجودين (قال أما مررت بوادى قومك جدبا) بفتح الجيم و سكون الدال كذا فى النهاية و القاموس و فى المقدمة بفتح أوله و كسر ثانيه و قد تسكن ضد الخصب (ثم مررت به يهتز) بتشديد الزاى يتحرك (خضرا) بفتح فكسر قال الطيبى رحمه الله يهتز جملة حالية و خضرا نصب على التمييز استعار الاهتزاز لاشجار الوادى تصويرا لحسنها و يقال اهتز فلان فرحا أى خف له و كل من خف لامر و ارتاح له فقد اهتز له (قلت نعم قال فتلك آية الله) أى علامة قدرته (فى خلقه) أى و فى اعادته و العود/أحمد قال تعالى و هو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده و هو أهون عليه (كذلك يحيى الله الموتى) الظاهر ان هذا استشهاد بالآية أو اقتباس منها قال الطيبى رحمه الله أى ليس فرق بين انشاء خلق و اعادته و التشبيه فى قوله تعالى كذلك يحيى الله الموتى بيان للتسوية نحو قوله تعالى قل يحييها الذى أنشأها أول مرة و هو بكل خلق عليم أى بكل من الانشاء و الاعادة عليم و نظير هذا الحديث فى الدلالة قوله تعالى فانظر الى آثار رحمة الله كيف يحيى الارض بعد موتها ان ذلك لمحيى الموتى و هو على كل شئ قدير يعنى ان ذلك القادر الذى يحيى الارض بعد موتها هو الذى يحيى الناس بعد موتهم و هو على كل شئ من المقدورات قادر وهذا من جملة المقدورات بدليل الانشاء (رواهما) أى الحديثين (رزين) قال المؤلف رحمه الله هو أبوالحسن رزين ابن معاوية العبدرى الحافظ صاحب كتاب التجريد فى الجمع بين الصحاح مات بعد العشرين والخمسمائة

★ (باب الحشر) ★ فى المغرب الحشر الجمع قلت و هو ضد النشر .

★ (الفصل الاول) ★ (عن سهل بن سعد) سبق ذكره (قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء) أى غير شديدة البياض و العفرة لون الارض و قيل المعنى لايخلص بياضها بل يضرب الى الحمرة (كقرصة النقى) بفتح النون و كسر القاف و تشديد الياء و هو الدقيق المنخول المنظف الذى يتخذ منه الحوارى و القرصة بالضم الرغيف و التاء للوحدة و التشبيه بها فى اللون و الشكل دون القدر (ليس فيها علم) بفتحتين أى علامة (لاحد) يريد به الابنية و معناه انها تكون قاعا لابناء فيها ذكره القاضى رحمه الله و قال الطيبى رحمه الله لعل الظاهر ان ذلك تعريض بارض الدنيا و تخصيص كل من ملاكها بقطع منها أعلم عليها على نحو قوله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار (متفق عليه ★ و عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم تكون الارض يوم القيامة خبزة واحدة) أى كخبزة واحدة فهو تشبيه بليغ أو التقدير تصير خبزة واحدة و هو الظاهر على ما سيأتى (يتكفأها) بالهمزة بعد تشديد الفاء قال التوربشتى رحمه الله هذه رواية كتاب البخارى و رواية كتاب مسلم

الجبار بيده كما يتكفأ أحدكم خبزته فى السفر نزلا لأهل الجنة فأتى رجل من اليهود فقال بارك الرحمن عليك يا أبا القاسم ألا أخبرك بنزل أهل الجنة يوم القيامة

يكفأها بسكون الكاف و الهمز من كفأت الاناء أى قلبته و هو الصواب و المعنى يقلبها (الجبار) أى الواحد القهار (بيده) أى من يد الى يد و كلتا يديه يمين و لعل المراد بهما القدرة و الارادة فانه سبحانه منزه عن الجارحة (كما يتكفأ أحدكم خبزته) أى عجينته فهى تسمية بالمآل كقوله تعالى أنى أرانى أعصر خمرا (فى السفر) بفتحتين و قيل بضم أوله جمع سفرة فالاول ظرف الزمان و الثانى مكان البيان و المعنى كما يفعل بالعجينة اذا أريد به ترقيقها و استواؤها حتى تلقى على الملة فى السفر استعجالا (نزلا) بضمتين و يسكن الثانى ذكره ابن الملك أى اضافة (لاهل الجنة) و هو ما يستعجل للضيف من الطعام قال النووى رحمه الله يتكفأها بالهمز أى يقلبها و يميلها من يد الى يد حتى تجتمع و تستوى لانها ليست مبسوطة كالرقاقة و نحوها و فى نسخة مسلم و يكفأها بالهمز و الخبزة هى الطلمة التى توضع فى الملة و المعنى ان الله تعالى يجعل الارض كالطلمة و الرغيف العظيم يكون ذلك طعاما نزلا لاهل الجنة و الله على شئ قدير قال التوربشتى رحمه الله أرى الحديث مشكلا جدا غير مستنكر شيأ من صنع الله تعالى و عجائب فطرته بل لعدم التوفيق الذى يكون موجبا للعلم فى قلب جرم الأرض من الطبع الذى عليه الى طبع المطعوم و المأكول مع ما ورد فى الآثار المنقولة ان هذه الارض برها و بحرها تمتلىء نارا فى النشأة الثانية و تنضم الى جهنم فنرى الوجه فيه أن نقول معنى قوله خبزة واحدة أى كخبزة واحدة من نعتها كذا و كذا و هو مثل ما فى حديث سهل بن سعد كقرصة النقى و انما ضرب المثل بقرصة النقى لاستدارتها و بياضها على ما ذكرنا و فى هذا الحديث ضرب المثل بخبزة تشبه الارض هيئة و شكلا و مساحة فاشتمل الحديث على معنيين أحدهما بيان الهيئة التى تكون الارض عليها يومئذ و الآخر بيان الخبزة التى يهيئها الله تعالى نزلا لاهل الجنة و بيان عظم مقدارها ابداعا و اختراعا من القادر الحكيم التى لايعجزه أمر و لايعوزه شئ اه و أطنب الطيبى رحمه الله هنا بما لاطائل تحته فاعرضنا عن ذكره و قيل الحديث مشكل لا من جهة انكار قدرته بل من جهة عدم التوفيق بينه و بين حديث ان هذه الارض تصير يوم القيامة نارا و أجيب بانه شبه أرض الحشر بالخبزة فى الاستواء و البياض كما فى حديث سهل و شبه أرض الجنة كما فى حديث أبى سعيد فى كونها نزلا لاهلها تكرمة لهم بعجالة الراكب زادا يقنع به فى سفره لكن آخر هذا الحديث يشعر بان كون الارض خبزة على التجوز و الاولى الحمل على الحقيقة مهما أمكن و قدرته تعالى صالحة لذلك بل اعتقاد كونه حقيقة أبلغ بان يقلب الله تعالى بقدرته الكاملة طبع الارض حتى يأكلوا منها تحت اقدامهم ما شاء الله بغير كلفة و لا علاج و بهذا يتبين ضعف ما قاله القاضى من أنه لم يرد بذلك ان جرم الارض ينقلب خبزة فى الشكل و الطبع و انما أراد به انها تكون حينئذ بالنسبة الى ما أعد الله (لاهل الجنة) كقرصة نقى يستعجل المضيف بها نزلا للضيف ثم تعريف الارض فى الحديث كتعريفها فى قوله تعالى و لقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادى الصالحون قال ابن عباس هى أرض الجنة هذا و مما يؤيد الحمل على الحقيقة قول الراوى (فأتى رجل من اليهود) أى من أحبارهم (فقال بارك الرحمن عليك) دعا له بنزول كثرة الرحمة عليه أو اخبار عنه (يا أبا القاسم) كناه تعظيما (ألا أخبرك بنزل أهل الجنة يوم القيامة

قال بلى قال تكون الارض خبزة واحدة كما قال النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم فنظر النبى صلى‌الله‌عليه وسلم الينا ثم ضحك حتى بدت نواجذه ثم قال ألا أخبرك بادامهم بالام و النون قالوا و ما هذا قال ثور و نون يأكل من زائدة كبدهما سبعون ألفا متفق عليه ✱ و عن أبى‌هريرة قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم يحشر الناس على ثلاث طرائق راغبين راهبين و اثنان على بعير و ثلاثة على بعير و أربعة على بعير و عشرة على بعير

فقال بلى قال تكون الارض خبزة واحدة كما قال النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم فنظر النبى صلى‌الله‌عليه وسلم الينا) أى نظر التفات و تعجب و تنبيه (ثم ضحك) أى فرحا للمطابقة و الموافقة (حتى بدت نواجذه) أى ظهرت آخر أضراسه و هو كناية عن المبالغة (ثم قال) أى اليهودى كما فى نسخة (ألا أخبرك بادامهم) أى بما يأتدم أهل الجنة الخبزة به (بالام) أى هو بالام و هو على وزن فاعال أى ثور (و النون) أى السمك (قالوا) أى الصحابة (و ما هذا) أى ما معنى الذى ذكرته (قال ثور و نون يأكل من زائدة كبدهما سبعون ألفا) قال النووى رحمه الله أما النون فهو الحوت باتفاق العلماء و أما بالام فبباء موحدة مفتوحة و تخفيف لام و ميم منونة مرفوعة و فى معناه أقوال و الصحيح منها ما اختاره المحققون من انها لفظة عبرانية معناها بالعربية الثور و فسر اليهودى به و لو كانت عربية لعرفها الصحابة و لم يحتاجوا الى سؤاله عنها و أما قوله يأكل منها سبعون ألفا فقال القاضى عياض رحمه الله انهم السبعون ألفا الذين يدخلون الجنة بلا حساب فخصوا باطيب النزل و يحتمل أنه عبر به عن العدد الكثير و لم يرد الحصر فى ذلك القدر و هذا معروف فى كلام العرب و الله تعالى أعلم (متفق عليه ✱ و عن أبى‌هريرة قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم يحشر الناس) أى بعد البعث (على ثلاث طرائق) أى فرق و أصناف الركبان على طريقة واحدة من تلك الثلاث و البقية تتناول الطريقتين الاخيرتين و هما المشاة و الذين على وجوههم كما سيأتى فى الفصل الثانى (راغبين) أى فى الجنة لما فيها من لقاء ربهم و هو بدل عن ثلاث و هو واحد الفرق و هم الذين لاخوف عليهم و لاهم يحزنون (راهبين) أى من النار و هم الذين يخافون و لكن ينجون منها و هم الفرقة الثانية ففيه تنبيه نبيه على ان طاعة الله تعالى على الرجاء أولى من عبادته على الخوف. ولذا سمى الاولون الطيارين و الآخرون السيارين و تحقيقه فى كتب التصوف و يعرفه أهل التعرف و جملة الكلام أن المراد بالراغبين من غلب عليهم الرجاء و بالراهبين من غلب عليهم الخوف قال تعالى يدعون ربهم خوفا و طمعا و انما قدم الخوف فى الآية لانه أنسب بعموم العامة لاسيما فى البداية (و اثنان على بعير) أى اعتقابا أو اجتماعا و هو الاظهر (و ثلاثة على بعير و أربعة على بعير و عشرة على بعير) فعلى مقدار مراتبهم يستريحون على مراكبهم و الباقون يمشون على أقدامهم على قدر اقدامهم قال ابن الملك قوله و اثنان على بعير الواو فيه للحال و صفة المبتدأ محذوف أى اثنان منهم و كذا الحكم فيما بعده و هذه الاعداد تفصيل لمراتبهم على سبيل الكناية و التمثيل فمن كان أعلى مرتبة كان أقل شركة و أشد سرعة و أكثر سباقا فان قلت كون الاثنين و اخواته على البعير بطريق الاجتماع أم الاعتقاب قلنا قال شارح السنة بطريق الاعتقاب لكن الاولى أن يحمل على الاجتماع اذ فى الاعتقاب لايكون الاثنان و الثلاثة على بعير حقيقة و انما اقتصر على ذكر العشر اشارة الى أنه غاية عدد الراكبين على ذلك البعير المحتمل للعشرة من بدائع فطرة الله تعالى كناقة صالح حيث قوى

و تحشر بقيتهم النار تقيل معهم حيث قالوا و تبيت معهم حيث باتوا و تصبح معهم حيث أصبحوا و تمسى معهم حيث أمسوا متفق عليه ★ و عن ابن عباس عن النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال انكم محشورون حفاة عراة

ما لايقوى من البعران و انما لم‌يذكر الخمسة و الستة و غيرهما الى العشرة للايجاز (و تحشر بقيتهم) أى تجمعهم (النار تقيل) بفتح أوله من القيلولة و فاعله النار و المراد انها تكون (معهم) فى النهار (حيث قالوا) أى كانوا أو استراحوا (و تبيت) أى النار (معهم حيث باتوا) أى كانوا فى الليل (و تصبح معهم حيث أصبحوا) أى دخلوا فى الصباح (و تمسى معهم حيث امسوا) و المقصود أن النار تلزمهم بحيث لاتفارقهم أبدا هذا مجمل الكلام فى تحصيل المرام و أما تفصيله فقال الخطابى الحشر المذكور فى هذا الحديث انما يكون قبل قيام الساعة يحشر الناس أحياء الى الشام و أما الحشر بعد البعث من القبور فانه على خلاف هذه الصورة من ركوب الابل و المعاقبة عليها و انما هو على ما ورد فى الحديث انهم يبعثون حفاة عراة و فسر ثلاثة على بعير و أربعة على بعير على انهم يعتقبون البعير الواحد يركب بعضهم و يمشى بعضهم قال التوربشتى رحمه الله قول من يحمل الحشر على الحشر الذى هو بعد البعث من القبور أسد و أقوى و أشبه بسياق الحديث من وجوه أحدها أن الحشر على الأطلاق فى متعارف الشرع لايراد منه الا الحشر الذى بعد قيام الساعة الا أن يخص بنوع من الدليل و لم‌نجد ههنا و الآخر ان التقسيم الذى ذكر فى هذا الحديث لايستقيم فى الحشر الى أرض الشام لان المهاجر اليها لابد و أن يكون راغبا راهبا أو راغبا أو راهبا فاما أن لايكون راغبا و راهبا و تكون هذه طريقة واحدة لا ثانى لها من جنسها فلا و الثالث ان حشر النار بقيد الطائفتين على ما ذكره فى هذا الحديث الى أرض الشام و التزامها لهم حتى لاتفارقهم فى مقيل و لامبيت و لاصباح و لامساء قول لم‌يرد به التوقيف و لم‌يكن لنا أن نقول بتسليط النار على أولى الشقاوة فى هذه الدار من غير توقيف و الرابع و هو أقوى الدلائل و أوثقها ما روى عن أبى‌هريرة و هو فى الحسان من هذا الباب يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف الحديث و أما ما ذكر من بعث الناس حفاة عراة فلاتضاد بين القضيتين لان أحداهما حالة البعث من النشر و أخرى حالة السوق الى المحشر و نرى التقسيم الذى جاء به الحديث التقسيم الذى جاء به التنزيل قال الله تعالى اذا رجت الارض رجا و بست الجبال بسا فكانت هباء منبثا و كنتم أزواجا ثلاثة الآيات فقوله راغبين راهبين يريد به عوام المؤمنين و هم ذوو الهنات الذين يترددون بين الخوف و الرجاء بعد زوال التكليف فتارة يرجون رحمة الله لايمانهم و تارة يخافون عذابه لما اجترحوا من السيآت و هم أصحاب الميمنة فى كتاب الله على ما فى الحديث الذى رواه أيضا أبوهريرة و هو فى الحسان من هذا الباب و قوله و اثنان على بعير فالمراد منه أولو السابقة من أفاضل المؤمنين و هم السابقون و قوله و يحشر بقيتهم النار يريد أصحاب المشأمة فهذه ثلاث طرائق فان قيل فلم لم‌يذكر من السابقين من يتفرد بفرد مركب لايشاركه فيه أحد قلنا لانه عرف أن ذلک مجعول لمن فوقهم فى المرتبة من أنبياء الله ليقع الامتياز بين النبيين و الصديقين فى المراكب كما وقع فى المراتب اه و عارضه الطيبى رحمه الله بما لاطائل تحته فحذفنا بحثه (متفق عليه ★ و عن ابن عباس عن النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال انكم محشورون) أى ستبعثون (حفاة) بضم الحاء جمع حاف و هو الذى لانعل له (عراة) بضم العين جمع عار و هو من لاستر له

غرلا ثم قرأ كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين و أول من يكسى يوم القيامة ابراهيم و ان ناسا من أصحابى يؤخذ بهم ذات الشمال

(غرلا) بضم الغين المعجمة و سكون الراء جمع الاغرل و هو الاقلف أى غير مختونين قال العلماء فى قوله غرلا اشارة الى أن البعث يكون بعد رد تمام الاجزاء و الاعضاء الزائلة فى الدنيا الى البدن و فيه تأكيد لذلك فان القلفة كانت واجبة الازالة فى الدنيا فغيرها من الاشعار و الاظفار و الاسنان و نحوها أولى و ذلك لغاية تعلق علم الله تعالى بالكليات و الجزئيات و نهاية قدرته بالاشياء الممكنات (ثم قرأ) أى استشهادا و إعتضادا قوله تعالى (كما بدأنا أول خلق نعيده) الكاف متعلق بمحذوف دل عليه نعيده أى نعيد الخلق اعادة مثل الاول و المعنى بدأناهم فى بطون أمهاتهم حفاة عراة غرلا كذا نعيدهم يوم القيامة (وعدا علينا) أى لازمنا لايجوز الخلف فيه (انا كنا فاعلين) أى ما وعدناه و أخبرنا به لامحالة قال الطيبى رحمه الله فان قلت سياق الآية فى اثبات الحشر و النشر لان المعنى نوجدكم عن العدم كما أوجدنا كم أولا عن العدم فكيف يستشهد بها للمعنى المذكور قلت دل سياق الآية و عبارتها على اثبات الحشر و اشارتها على المعنى المراد من الحديث فهو من باب الادماج قلت الظاهر أن الآية بعبارتها تدل على المعنيين و ان كان سياق الآية مختصا لاحدهما فان العبرة بعموم اللفظ لابخصوص السبب ثم فى قوله نوجدكم من العدم مسامحة و الله تعالى أعلم (و أول من يكسى يوم القيامة ابراهيم) عليه الصلاة والسلام قيل لانه أول من كسا الفقراء و قيل لانه أول من عرى فى ذات الله حين ألقى فى النار لا لانه أفضل من نبينا أو لكونه أباه فقدمه لعزة الابوة على انه قيل ان نبينا يخرج فى الناس من قبره فى ثيابه التى دفن فيها و عندى و الله تعالى أعلم ان الانبياء بل الاولياء يقومون من قبورهم حفاة عراة لكن يلبسون أكفانهم بحيث لاتكشف عوراتهم على أحد و لا على أنفسهم و هو المناسب لقوله صلى الله عليه وسلم أخرج من قبرى و أبو بكر عن يمينى و عمر عن يسارى و آتى البقيع الحديث ثم يركبون النوق و نحوها و يحضرون المحشر فيكون هذا الالباس محمولا على الخلع الالهية و الحلل الجنتية على الطائفة الاصطفائية و أولية ابراهيم عليه الصلاة والسلام يحتمل أن تكون حقيقية أو اضافية و الله سبحانه و تعالى أعلم ثم رأيت فى الجامع الصغير حديث أنا أول من تنشق عنه الارض فاكسى حلة من حلل الجنة ثم أقوم عن يمين العرش ليس أحد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيرى رواه الترمذى عن أبى هريرة و رواه الترمذى و الحاكم عن ابن عمر أنا أول من تنشق عنه الارض ثم أبو بكر ثم عمر ثم آتى أهل البقيع فيحشرون معى ثم أنتظر أهل مكة و قال التوربشتى رحمه الله نرى ان التقديم بهذه الفضيلة انما وقع لابراهيم عليه الصلاة والسلام لانه أول من عرى فى ذات الله حين أرادوا القاءه فى النار فان قيل أو ليس نبينا صلى الله عليه وسلم هو المحكوم له بالفضل على سائر الانبياء و تأخره فى ذلك موهم أن الفضل للسابق قلنا اذا استأثر الله سبحانه عبدا بفضيلة على آخر و استأثر المستأثر عليه على المستأثر بتلك الواحدة بعشر أمثالها أو أفضل كانت السابقة له و لايقدح استئثار صاحبه عليه بفضيلة واحدة فى فضله و لاخفاء بأن الشفاعة حيث لايؤذن لاحد فى الكلام لم تبق سابقة لاولى السابقة و لا فضيلة لذوى الفضائل الا أتت عليها و كم له من فضائل مختصة به لم يسبق اليها و لم يشارك فيها (و ان ناسا من أصحابى) أى جماعة منهم و التنكير للتقليل (يؤخذ بهم ذات الشمال) أى

فأقول أصيحابي أصيحابي فيقول انهم لن يزالوا مرتدين على أعقابهم مذ فارقتهم فأقول كما قال العبد الصالح و كنت عليهم شهيدا مادمت فيهم الى قوله العزيز الحكيم متفق عليه ✱ و عن عائشة قالت سمعت رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم يقول يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلا قلت يا رسول‌الله الرجال و النساء جميعا ينظر بعضهم الى بعض فقال يا عائشة الامر أشد من أن ينظر بعضهم الى بعض متفق عليه

الى النار مع أصحاب المشأمة (فأقول أصيحابي) بالتصغير للتقليل أي هؤلاء أصحابي (أصيحابي) كرره تأكيدا و يمكن أن يكون اشارة الى جماعتين (فيقول) أي قائل أو مجيب (انهم لن يزالوا مرتدين على أعقابهم مذ فارقتهم) قال القاضي رحمه الله يريد بهم من ارتد من الاعراب الذين أسلموا في أيامه كأصحاب مسيلمة و الاسود و اضرابهم فان أصحابه و ان شاع عرفا فيمن يلازمه من المهاجرين والانصار شاع استعماله لغة في كل من تبعه أوأدرك حضرته ووفد عليه ولو مرة قلت الاول اصطلاح أصول الفقه والثاني مصطلح أهل الحديث وقيل أراد بالارتداد اساءة السيرة والرجوع عما كانوا عليه من الاخلاص وصدق النية و الاعراض عن الدنيا أقول هذا بالاشارات الصوفية أنسب و أقرب و الا فعبارة الارتداد غير مستقيمة على هذا المعنى اصلا و لا موافقة لقوله عليه‌الصلاة والسلام (فأقول كما قال العبد الصالح) و هو عيسى عليه‌الصلاة والسلام (و كنت عليهم) أي على أمتي (شهيدا) أي مطلعا رقيبا حافظا (مادمت فيهم) أي موجودا فيما بينهم (الى قوله العزيز الحكيم) و هو قوله فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم و أنت على كل شئ شهيد ان تعذبهم فانهم عبادك و ان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم (متفق عليه) و رواه الترمذي ✱ (وعن عائشة رضي‌الله عنها قالت سمعت رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم يقول يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلا قلت يا رسول‌الله الرجال) بتقدير الاستفهام و يمكن أن يقرأ بالمد و التسهيل أيضا على ما تقرر في قوله تعالى قل آلله أذن لكم (و النساء) عطف على الرجال و هما مبتدأ و قوله (جميعا) أي مجتمعين حال منهما على ماجوزه البعض فالخبر قوله (ينظر بعضهم الى بعض) و هو محط الاستفهام التعجبي قال الطيبي رحمه الله الرجال و النساء مبتدأ و جميعا حال سد مسد الخبر أي مختلطون جميعا و يجوز أن يكون الخبر ينظر بعضهم الى بعض و هو العامل في الحال قدم اهتماما كما في قوله تعالى و الارض جميعا قبضته و فيه بمعنى الاستفهام و لذلك أجاب (فقال يا عائشة الامر أشد من أن ينظر بعضهم الى بعض) أي أمر القيامة أصعب من أن يقدر أحد على النظر الى غيره عمدا أو سهوا لقوله تعالى لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه (متفق عليه) و أخرج عبد بن حميد و الترمذي و الحاكم و صححه و ابن مردويه و البيهقي في البعث عن ابن عباس عن النبي صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال يحشرون حفاة عراة غرلا فقالت زوجته أ ينظر بعضنا الى عورة بعض فقال يا فلانة لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه و أخرج الطبراني عن سهل ابن سعد نحوه و أخرج ابن جرير و ابن أبي حاتم و ابن مردوية عن أنس ان عائشة رضي‌الله عنها سألت رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم فقالت كيف يحشر الناس قال حفاة عراة قالت وا سوأتاه قال انه قد نزل على آية لايضرك كان عليك ثياب أولا قالت وأي آية هي قال لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه و أخرج الحاكم و صححه و ابن مردويه عن عائشة نحوه و أخرج الطبراني في الاوسط عن أم سلمة سمعت رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم يقول يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة قلت يا رسول‌الله

✱ و عن أنس ان رجلا قال يا نبى الله كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة قال أليس الذى أمشاه على الرجلين فى الدنيا قادر على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة متفق عليه ✱ و عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال يلقى ابراهيم أباه آزر يوم القيامة و على وجه آزر قترة و غبرة فيقول له ابراهيم ألم أقل لك لاتعصينى فيقول له أبوه فاليوم لا أعصيك فيقول ابراهيم يا رب انك وعدتنى أن لاتخزينى يوم يبعثون فأى خزى أخزى من أبى الابعد فيقول الله تعالى انى حرمت الجنة على الكافرين ثم يقال لابراهيم انظر ما تحت رجليك فينظر فاذا هو بذيخ متلطخ فيؤخذ بقوائمه فيلقى فى النار رواه البخارى

وا سوأتاه ينظر بعضنا الى بعض فقال شغل الناس قلت ما شغلهم قال نشر الصحائف فمنها مثاقيل الذر و مثاقيل الخردل ✱ (و عن أنس أن رجلا قال يا نبى الله كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة) و لكون الاستفهام مقدرا (قال أليس) - أى الشان (الذى أمشاه على الرجلين فى الدنيا) مبتدأ خبره (قادر على أن يمشيه) بالتخفيف و يجوز تشديده (على وجهه يوم القيامة متفق عليه) و سيأتى حديث الترمذى فى الفصل الثانى و حديث أبى ذر فى الثالث و فى الدر المنثور أخرج أحمد و الشيخان و النسائى و ابن جرير و ابن أبى حاتم و الحاكم و أبو نعيم فى المعرفة و البيهقى فى الاسماء و الصفات عن أنس قال قيل يا رسول الله كيف يحشر الناس على وجوههم قال الذى اشماهم على أرجلهم قادر أن يمشيهم على وجوههم و أخرج ابن جرير عن الحسن قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الاية الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم فقالوا يا نبى الله كيف يحشرون على وجوههم قال أرأيت الذى أمشاهم على أقدامهم أليس قادرا على أن يمشيهم على وجوههم ✱ (و عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال يلقى) أى يرى (ابراهيم أباه آزر) بدل أو بيان (يوم القيامة على وجه آزر) وضع الظاهر موضع الضمير لئلا يتوهم رجعه الى ابراهيم فى ابتداء الحال (قترة) بفتحتين أى سواد من الكآبة و الحزن (و غبرة) بفتحتين غبار معه سواد فذكرهما مبالغة و الجملة حالية (فيقول له ابراهيم ألم أقل لك لاتعصينى فيقول له أبوه فاليوم) ظرف مقدم (لا اعصيك فيقول ابراهيم يا رب انك وعدتنى أن لاتخزنى) أى لاتفضحنى (يوم يبعثون) أى الخلائق (فأى خزى) فى النهاية هو الهلاك و الوقوع فى بلية (أخزى من أبى) أى من خزى أبى (الابعد) يريد البعد فى المرتبة و الالتحاق باهل النار أو الهالك من البعد بمعنى الهلاك أو الابعد من رحمة الله تعالى فان الفاسق بعيد و الكافر أبعد و رحمة الله قريب من المحسنين و الى الانبياء و الاولياء أقرب قال الطيبى رحمه الله هو أفعل الذى قطع عن متعلقه للمبالغة (فيقول الله تعالى انى حرمت الجنة على الكافرين ثم يقال لابراهيم ما تحت رجليك) و فى نسخة إنظر ما تحت رجليك و ما استفهامية أو موصولة قال ابن الملك ما استفهام خبره تحت و يجوز كونه بمعنى الذى أى انظر الذى تحت رجليك (فينظر فاذا هو) أى آزر (بذيخ) بكسر الذال المعجمة فتحتية ساكنة فخاء معجمة و هو ذكر الضبع الكثير الشعر و فى نسخة بموحدة ساكنة و خاء مهملة و هو ما يذبح (متلطخ) أما برجيعه أو بدمه أو بالطين (فيؤخذ بقوائمه) جمع قائمة و هو ما يقوم به الدواب بمثابة الارجل للانسان كذا ذكره شارح ففيه تغليب اذ المراد انه يؤخذ بيديه و رجليه (فيلقى) أى فيطرح (فى النار) أى فى مقام الكفار فغير صورته ليكون تسلية لابراهيم حتى لايخزيه لو رآه قد ألقى فى النار على صورته فيكون خزيا و فضيحة على

★ و عنه قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم فى الارض سبعين ذراعا و يلجمهم حتى يبلغ آذانهم متفق عليه ★ و عن المقداد قال سمعت رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم يقول تدنو الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل فيكون الناس على قدر أعمالهم فى العرق فمنهم من يكون الى كعبيه و منهم من يكون الى ركبتيه و منهم من يكون الى حقويه و منهم من يلجمهم العرق الجاما و أشار رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم بيده الى فيه رواه مسلم

رؤس الخلائق فغيره سترة لحاله فى تقبيح مآله قيل هذا الحديث مخالف لظاهر قوله تعالى وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها أياه فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه و أجيب بانه اختلف فى الوقت الذى تبرأ ابراهيم فيه من أبيه فقيل كان ذلك فى الدنيا لما مات آزر مشركا و قيل انما تبرأ منه يوم القيامة لما أيس منه حين مسخ و يمكن الجمع بين القولين بانه تبرأ منه لما مات مشركا فترك الاستغفار له لكن لما رآه يوم القيامة أدركته الرأفة فسأل منه فلما رآه مسخ أيس منه و تبرأ تبرأ أبديا و قيل ان ابراهيم لم يتيقن بموته على الكفر لجواز أن يكون آمن فى نفسه و لم يطلع ابراهيم و يكون وقت تبرئه منه بعد الحال التى وقعت فى هذا الحديث (رواه البخارى ★ و عنه) أى عن أبى هريرة (قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم يعرق) بفتح الراء (الناس) أى جميعا و الجن أولى فتركه من باب الاكتفاء و الظاهر استثناء الانبياء و الاولياء (يوم القيامة) أى فى ابتداء أمره (حتى يذهب عرقهم فى الارض سبعين ذراعا) قيل سبب هذا العرق تراكم الاهوال و حصول الحياء و الخجالة و الندامة و الملامة و تزاحم حر الشمس و النار كما جاء فى رواية ان جهنم تدير أهل المحشر فلايكون الى الجنة طريق الا الصراط (و يلجمهم حتى يبلغ آذانهم) أى يصل العرق اليها و هى بالمد جمع أذن قال شارح أى الى أفواههم و سيأتى ان الناس يختلفون فى أحوالهم على مراتب أعمالهم (متفق عليه) و روى الطبرانى عن ابن مسعود مرفوعا ان الرجل ليلجمه العرق يوم القيامة فيقول رب ارحنى و لو الى النار ★ (و عن المقداد قال سمعت رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم يقول تدنو الشمس) أى تقرب (يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم) أى الشمس و المراد جرمها (كمقدار ميل) تقديره حتى يكون مقدار قرب الشمس منهم مثل مقدار ميل نظيره قوله تعالى فكان قاب قوسين أى كان قرب رسول‌الله من جبريل أو من مكان القرب مثل مقدار قوسين و فى شرح السنة قال سليم لاأدرى. أى الميلين يعنى مسافة الارض أو الميل الذى يكحل به العين (فيكون الناس على قدر أعمالهم) أى السيئة (فى العرق فمنهم من يكون الى كعبيه) أى تقريبا فيقبل النقصان و الزيادة (ومنهم من يكون الى ركبتيه و منهم من يكون الى حقويه) الحقو الخصر و مشد الازار (و منهم من يلجمهم العرق الجاما و أشار رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم بيده الى فيه) أى فمه قال ابن الملك ان قلت اذا كان العرق كالبحر يلجم البعض فكيف يصل الى كعب الآخر قلنا يجوز أن يخلق الله تعالى ارتفاعا فى الارض تحت أقدام البعض أو يقال يمسك الله تعالى عرق كل انسان بحسب عمله فلايصل الى غيره منه شئ كما أمسك جرية البحر لموسى عليه‌الصلاة والسلام قلت المعتمد هو القول الاخير فان أمر الآخرة كله على وفق خرق العادة أما ترى ان شخصين فى قبر واحد يعذب أحدهما و ينعم الآخر و لايدرى أحدهما عن غيره و نظيره فى الدنيا نائمان يختلفان فى رؤياهما

✱ و عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تعالى يا آدم فيقول لبيك و سعديك و الخير كله في يديك قال أخرج بعث النار قال و ما بعث النار قال من كل ألف تسعمائة و تسعة و تسعين فعنده يشيب الصغير و تضع كل ذات حمل حملها و ترى الناس سكارى و ماهم بسكارى و لكن عذاب الله شديد قالوا يا رسول الله و أينا ذلك الواحد قال ابشروا

فيحزن أحدهما و يفرح الآخر بل شخصان قاعدان في مكان واحد أحدهما في عليين و الآخر في أسفل سافلين أو أحدهما في صحة و الآخر في وجع أو بلية (رواه مسلم ✱ و عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تعالى) أي يوم القيامة كما في رواية البغوي (يا آدم فيقول لبيك و سعديك و الخير كله في يديك قال أخرج) بفتح الهمزة و كسر الراء أي أظهر و ميز من بين أولادك (بعث النار) أي جمعا يستحقون البعث اليها (قال و ما بعث النار) قيل عطف على مقدر أي سمعت و أطعت و ما بعث النار أي و ما مقدار مبعوث النار و قيل ما بمعنى كم العددية و الاظهر أن الواو استئنافية تفيد الربط بين سابقها و لاحقها (قال) أي الله تعالى (من كل ألف تسعمائة و تسعة و تسعين) قيل يخالفه ما في حديث أبي هريرة من كل مائة تسعة و تسعين و أجاب الكرماني بان مفهوم العدد مما لا اعتبار له و المقصود منه تقليل عدد المؤمنين و تكثير عدد الكافرين و يمكن حمل حديث أبي سعيد على جميع ذرية آدم فيكون من كل ألف عشرة و يقرب من ذلك أن يأجوج و مأجوج ذكروا في حديث أبي سعيد دون حديث أبي هريرة و يحتمل أن يكون الاول يتعلق بالخلق أجمعين و الثاني بخصوص هذه الامة و أن يكون المراد ببعث النار الكفار و من يدخل النار من العصاة فيكون من كل ألف تسعمائة و تسعة و تسعون كافرا و من كل مائة تسعة و تسعون عاصيا و هذا هو الاظهر و الله تعالى أعلم (فعنده) أي عند هذا الحكم (يشيب الصغير) أي من الحزن الكثير و الهم الكبير و في رواية البغوي فحينئذ يشيب المولود و ظهور الشيب اما على الحقيقة أو على الفرض و التقدير و هذا هو الاظهر الملائم لقوله (و تضع كل ذات حمل حملها و ترى الناس سكارى) أي من الخوف (و ما هم بسكارى) أي من الخمر (و لكن عذاب الله شديد) ثم أعلم أن هذا الحديث مقتبس من قوله تعالى يا أيها الناس اتقوا ربكم أي احذروا بطاعته عقابه حتى ترجوا ثوابه ان زلزلة الساعة شئ عظيم و الزلزلة شدة الحركة على الحالة الهائلة و اختلفوا فيها فقال علقمة و الشعبي هي من اشراط الساعة قبل قيامها و قال الحسن و السدي هي تكون يوم القيامة و قال ابن عباس رضي الله عنهما زلزلة الساعة قيامها فتكون معها يوم ترونها أي الساعة أو الزلزلة تذهل كل مرضعة أي تشغل عما ارضعت و تضع كل ذات حمل حملها أي تسقط ولدها من هول ذلك اليوم قال الحسن تذهل المرضع عن ولدها بغير فطام و تضع الحامل ما في بطنها من غير تمام و هذا بظاهره يؤيد قول من قال ان هذه الزلزلة تكون في الدنيا لان بعد البعث لايكون حبل و من قال تكون في القيامة قال هذا على وجه التعظيم للامر لا على حقيقته كقولهم أصابنا أمر يشيب فيه الوليد يريد به شدته (قالوا يا رسول الله و أينا ذلك الواحد) و لما استعظموا ذلك الامر و استشعروا الخوف منه (قال) أي في جوابهم تسلية لفؤادهم (ابشروا) قال الطيبي رحمه الله لايخلو هذا الاستفهام من أن يكون مجرى على حقيقته أو يكون استعظاما لذلك الحكم و استشعار خوف منه فالاول يستدعي أن يجاب بان ذلك الواحد فلان أو متصف بالصفة الفلانية و الثاني يستدعي أن يجاب بما يزيل ذلك الخوف

فان منكم رجلا و من يأجوج و مأجوج ألف ثم قال و الذى نفسى بيده أرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة فكبرنا فقال أرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة فكبرنا فقال أرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة فكبرنا قال ما أنتم فى الناس الا كالشعرة السوداء فى جلد ثور أبيض أو كشعرة بيضاء فى جلد ثور أسود متفق عليه

رفقا للناس و الثانى هو المراد لقوله ابشروا و كانه قال و أينا من أمة محمد ذلك الناجى المفلح من بين سائر بنى آدم فقال ابشروا (فان منكم رجلا و من يأجوج و مأجوج) بالالف و يهمز فيهما (ألف) بالرفع فى الاصول المصححة فالجملة حالية و قدم الجار لكون المبتدأ نكرة و فى نسخة السيد عفيف الدين ألفا بالنصب و هو الظاهر فانه من باب العطف على معمولى عاملين مختلفين و المجرور مقدم و المعنى سيوجد بعدد كل رجل منكم ألف من يأجوج و مأجوج فحينئذ يكثر أهل الجنة و فيه اشعار بان أهل النار أكثر من أهل الجنة و لعل أهلها يكثرون بوجود الملائكة المقربين و الحور العين فصح معنى الحديث القدسى غلبت رحمتى غضبى زاد البغوى قال فقال الناس الله أكبر (ثم قال و الذى نفسى بيده أرجو أن تكونوا) أى أنتم أيها الصحابة أو أيها الامة و هو الاظهر (ربع أهل الجنة فكبرنا) التكبير للعجب و الفرح التام و الاستبشار و الاستعظام (فقال أرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة فكبرنا) و لعله صلى الله عليه وسلم درج الامر لئلا تنقطع قلوبهم بالفرح الكثير دفعة أو بالنظر الى دخولهم فى دفعات أو أوحى اليه وحيا بعد وحى فاخبر بما بشر (فقال أرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة فكبرنا) قال الطيبى رحمه الله فى الحديث تنبيه على أن يأجوج و مأجوج داخلون فى هذا الوعيد و دل بقوله أرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة أن غير يأجوج و مأجوج من الامم السالفة الفائتة للعصر أيضا داخلون فى الوعيد فاذا وزع نصف أمة محمد صلى الله عليه وسلم مع مثله من الامم السالفة على هؤلاء يكون كالواحد من الالف يدل عليه رواية الراوى (قال) أى النبى صلى الله عليه وسلم و فى نسخة صحيحة فقال (ما أنتم فى الناس الا كالشعرة السوداء فى جلد ثور أبيض أو كشعرة بيضاء فى جلد ثور أسود) الظاهر أن أو للتخيير فى التعبير و تحتمل الشك قال الطيبى رحمه الله و قولهم الله أكبر مرارا ثلاثا متعجبين استبشار منهم و استعظام لهذه النعمة العظمى و المنحة الكبرى فيكون فى هذا الاستعظام بعد ذلك الاستعظام اشارة الى فوزهم بالبغية بعد اليأس منها اه و لعل ورود هذا الحديث قبل علمه صلى الله عليه وسلم بان أمته ثلثا أهل الجنة اذ قد ورد أن أهل الجنة مائة و عشرون صفا ثمانون صفا أمته صلى الله عليه وسلم و أربعون سائر الامم و يمكن أن يكونوا نصفا بالنسبة الى الداخلين أولا و الاظهر أن هذا الحديث وقع مختصرا على ما سيأتى الحديث بطوله (متفق عليه) و رواه النسائى و فى المعالم روى عن عمران بن الحصين و أبى سعيد الخدرى رضى الله عنهما أن هاتين الآيتين نزلتا فى غزوة بنى المصطلق ليلا فنادى منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحثوا المطى حتى كانوا حول رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأها عليهم فلم ير أكثر باكيا من تلك الليلة فلما أصبحوا لم يحطوا السرج عن الدواب و لم يضربوا الخيام و لم يطبخوا قدرا و الناس بين باك أو جالس حزين متفكرين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتدرون أى يوم ذلك قالوا الله و رسوله أعلم قال ذلك يوم يقول الله عزوجل يا آدم قم فابعث بعث النار من ولدك قال فيقول آدم من كل كم كم فيقول الله عزوجل من كل ألف تسعمائة و تسعة و تسعين الى النار و واحدا الى الجنة قال فكبر ذلك

★ و عنه قال سمعت رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم يقول يكشف ربنا عن ساقه و يسجد له كل مؤمن و مؤمنة و يبقى من كان يسجد فى الدنيا رياء و سمعة فيذهب ليسجد فيعود ظهره طبقا واحداً متفق عليه

على المسلمين و بكوا و قالوا فمن ينجو اذا يا رسول‌الله فقال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم ابشروا و سددوا و قاربوا فان معكم خليقتين ما كانتا فى قوم الا كثرتاه يأجوج و مأجوج ثم قال انى لارجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة فكبروا و حمدوا الله ثم قال انى لارجو أن تكونوا نصف أهل الجنة فكبروا و حمدوا الله ثم قال انى لارجو أن تكونوا ثلثى أهل الجنة و ان أهل الجنة مائة و عشرون صفا ثمانون منها أمتى و ما المسلمون فى الكفار الا كالشامة فى جنب البعير أو كالرقمة فى ذراع الدابة بل كالشعرة السوداء فى الثور الابيض أو كالشعرة البيضاء فى الثور الاسود ثم قال و يدخل من أمتى سبعون ألفا الجنة بغير حساب فقال عمر رضى‌الله‌تعالى‌عنه سبعون ألفا قال نعم و مع كل واحد سبعون ألفا فقام عكاشة بن محيصن فقال يا رسول‌الله ادع الله لى أن يجعلنى منهم فقال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم أنت منهم فقام رجل من الانصار فقال يا رسول‌الله ادع الله لى أن يجعلنى منهم فقال سبقك بها عكاشة ★(وعنه) أى عن أبى‌سعيد رضى‌الله‌عنه (قال سمعت رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم يقول يكشف ربنا عن ساقه) قال التوربشتى رحمه الله مذهب أهل السلامة من السلف التورع من التعرض للقول فى مثل هذا الحديث و هو الامثل و الاحوط و قد تأوله جمع من العلماء بان الكشف عن الساق مثل فى شدة الامر و صعوبة الخطب و استعماله فيها شائع و منه قول الشاعر

عجبت من نفسى و من اشفاقها ★ و من طرادى الطير عن أرزاقها

★ فى سنة قد كشفت عن ساقها ★ و منه قوله تعالى يوم يكشف عن ساق أى عن شدة و تنكير الساق فى الآية من دلائل هذا التأويل و وجه تعريف الساق فى الحديث دون الآية أن يقال أضافها الى الله تعالى تنبيها على أنها الشدة التى لايجليها لوقتها الا هو أو على أنها هى التى ذكرها فى كتابه اه و عند الحاكم عن ابن عباس فى الآية هو يوم كرب و شدة و قال الخطابى المعنى يكشف عن قدرته التى تكشف عن الشدة و الكرب و قيل الاصل فيه ان يموت الولد فى بطن الناقة فيدخل الرجل يده فى رحمها فيأخذ بساقه ليخرجه فهذا هو الكشف عن الساق ثم استعمل فى كل أمر فظيع أقول و يمكن أن يكون استعارة و حاصله أن الله تعالى يأخذهم بالشدائد كمن يكشف عن ساقه بالتشمير عند دخوله فى أمر خطير (فيسجد له كل مؤمن و مؤمنة) أى من كمال الشدة يقعون فى السجدة طالبين رفعها بتلك القربة و أخرج أبويعلى بسند فيه ضعف عن أبى‌موسى مرفوعا فى قوله تعالى يوم يكشف عن ساق قال عن نور عظيم فيخرون له سجدا فهذا يشعر بانه تعالى يتجلى للناس تجليا صوريا و بهذا ينحل الاشكال فى كثير من أحاديث الصفات على ما قرره بعض مشايخنا و الله تعالى أعلم ثم المراد بالمؤمن و المؤمنة الخاص منهما ولذا قال (و يبقى من كان يسجد فى الدنيا رياء و سمعة) أى نفاقا و شهرة (فيذهب) أى يقصد و يشرع (ليسجد فيعود) أى يصير (ظهره طبقا واحدا) أى عظما بلا مفصل بحيث لاينثنى عند الرفع و الخفض فلايقدر و الطبق فقار الظهر واحده طبقة يعنى صار فقاره واحدا فلايقدر على الانحناء و المعنى أنه تعالى يكشف يوم القيامة عن شدة يرتفع دونها سواتر الامتحان فيتميز أهل الاخلاص و الايقان بالسجود عن أهل الريب و النفاق فى اليوم الموعود كما قال تعالى يوم يكشف عن ساق و يدعون الى السجود فلايستطيعون خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة و قد كانوا يدعون الى السجود و هم سالمون (متفق عليه)

✱ و عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليأتى الرجل العظيم السمين يوم القيامة لايزن عند الله جناح بعوضة و قال اقرؤا فلانقيم لهم يوم القيامة وزنا متفق عليه

✱ (الفصل الثانى) عن أبي هريرة قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية يومئذ تحدث أخبارها قال أتدرون ما أخبارها قالوا الله و رسوله أعلم قال فان أخبارها أن تشهد على كل عبد و أمة بما عمل على ظهرها أن تقول عمل على كذا و كذا يوم كذا و كذا قال فهذه أخبارها رواه أحمد و الترمذى و قال هذا حديث حسن صحيح غريب ✱ و عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من أحد يموت الا ندم قالوا و ما ندامته يا رسول الله قال ان كان محسنا ندم أن لايكون ازداد و ان كان مسيئا ندم أن لايكون نزع رواه الترمذى

و أخرج الاسماعيلى الحديث بلفظ يكشف عن ساق قال و هذا أصح لموافقة لفظ القرآن و الله سبحانه و تعالى أعلم ✱(و عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليأتى الرجل العظيم) أى جاها و مالا أو لحما و شحما فيكون قوله (السمين) عطف بيان له (يوم القيامة لايزن) أى لايعدل و لايسوى (عند الله جناح بعوضة) أى لايكون له عند الله قدر و منزلة تقول العرب ما لفلان عندنا وزن أى قدر لخسته و منه حديث لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة لما سقى كافرا منها شربة ماء (و قال) أى النبى صلى الله عليه وسلم أو أبوهريرة (اقرؤا) أى استشهادا و اعتضادا (فلا نقيم لهم) أى للكفار (يوم القيامة وزنا) قيل مقدارا و حسابا و اعتبارا و قيل ميزانا فالتقدير آلة الوزن اذ الكفار الخاص يدخلون النار بغير حساب و انما الميزان للمؤمنين الكاملين و المرائين و المنافقين و الله سبحانه و تعالى أعلم قال الطيبى رحمه الله فان قلت كيف وجه صحة الاستشهاد بالآية فان المراد بالوزن فى الحديث وزن الجثة و مقداره لقوله العظيم السمين و فى الآية اما وزن الاعمال لقوله تعالى فحبطت أعمالهم و اما مقدارهم و المعنى نزدرى بهم و لايكون لهم عندنا وزن و مقدار قلت الحديث من الوجه الثانى على سبيل الكناية و ذكر الجثة و العظم لاينافى ارادة مقداره و تفخيمه قال تعالى و اذا رأيتهم تعجبك أجسامهم و ان يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة (متفق عليه)

✱ (الفصل الثانى) ✱ (عن أبي هريرة قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية يومئذ تحدث) أى الارض (أخبارها قال أتدرون ما أخبارها) بفتح الهمزة جمع خبر و فى نسخة بكسرها على أنه مصدر أى تحديثها (قالوا الله و رسوله أعلم قال فان أخبارها) بالوجهين (ان تشهد على كل عبد أو أمة) أى ذكر و أنثى (بما عمل) بفتح أوله أى فعل كل واحد (على ظهرها) و فى نسخة بالضم على ان نائب الفاعل قوله على ظهرها (أن تقول) بدل بعض من أن تشهد أو بيان و يؤيده ما فى رواية الجامع تقول بدون ان أو خبر مبتدأ محذوف أى هى يعنى شهادتها أن تقول (عمل) أى فلان (على) أى على ظهرى (كذا و كذا) أى من الطاعة أو المعصية (يوم كذا و كذا) أى من شهر كذا و عام كذا (قال فهذه) أى الشهادات أو المذكورات (أخبارها رواه أحمد و الترمذى و قال هذا حديث حسن صحيح غريب) و كذا رواه عبد بن حميد و النسائى و ابن جرير و ابن المنذر و الحاكم و صححه و ابن مردويه و البيهقى فى شعب الايمان ✱(و عنه) أى عن أبي هريرة (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من أحد يموت الا ندم) أى فاغتنموا الحياة قبل الموت و استبقوا الخيرات قبل الفوت (قالوا و ما ندامته) أى ما وجه تأسف كل أحد و ملامته يا رسول الله

✱ و عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف صنفا مشاة و صنفا ركبانا و صنفا على وجوههم قيل يا رسول‌الله و كيف يمشون على وجوههم قال ان الذى أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم اما انهم يتقون بوجوههم كل حدب و شوك رواه الترمذى ✱ و عن ابن عمر قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم من سره ان ينظر الى يوم القيامة كانه رأى عين فليقرأ اذا الشمس كورت و اذا السماء انفطرت و اذا السماء انشقت رواه أحمد و الترمذى

(قال ان كان محسنا ندم أن لايكون ازداد) أى خيرا أو برا (و ان كان مسيئا ندم أن لايكون نزع) أى كف نفسه عن الاساءة (رواه الترمذى ✱ وعنه) أى عن أبى‌هريرة (قال قال رسول‌الله صلى‌الله عليه‌وسلم يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف) و فى نسخة على ثلاثة أصناف و يؤيد الاول قوله (صنفا مشاة) بضم الميم جمع ماش و هم المؤمنون الذين خلطوا صالح أعمالهم بسيئها (و صنفا ركبانا) أى على النوق و هو بضم الراء جمع راكب و هم السابقون الكاملون الايمان و انما بدأ بالمشاة جبرا لخاطرهم كما قيل فى قوله تعالى فمنهم ظالم لنفسه و فى قوله سبحانه يهب لمن يشاء اناثا أو لانهم المحتاجون الى المغفرة أولا أو لارادة الترق و هو ظاهر و قال التوربشتى رحمه الله فان قيل لم بدأ بالمشاة بالذكر قبل أولى السابقة قلنا لانهم هم الاكثرون من أهل الايمان (و صنفا على وجوههم) أى يمشون عليها و هم الكفار (قيل يا رسول‌الله و كيف يمشون على وجوههم) أى و العادة أن يمشى على الارجل (قال ان الذى أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم) يعنى و قد أخبر فى كتابه بقوله الذين يحشرون على وجوههم و اخباره حق و وعده صدق و هو على كل شئ قدير فلاينبغى أن يستبعد مثل ذلك (أما) بالتخفيف للتنبيه (انهم) أى الكفار (يتقون) أى يحترزون و يدفعون (بوجوههم كل حدب) أى مكان مرتفع (و شوك) أى و نحوه من أنواع ما يتأذى به و المعنى أن وجوههم واقية لابدانهم من جميع الاذى لاجل ان غلت أيديهم و أرجلهم و الامر فى الدنيا على عكس ذلك و انما كان كذلك لان الوجه الذى هو أعز الاعضاء لم يضعه ساجدا على التراب و عدل عنه تكبرا فجعل أمره على العكس قال القاضى رحمه الله قوله يتقون بوجوههم يريد به بيان هوانهم و اضطرارهم الى حد جعلوا وجوههم مكان الايدى و الارجل فى التوقى عن مؤذيات الطرق و المشى الى المقصد لما لم يجعلوها ساجدة لمن خلقها و صورها و مما يناسب المقام ما يحكى انه رؤى بعض الاغنياء انه يسعى بين الصفا و المروة على بغلة بطريق الخيلاء ثم رؤى فى بعض البادية و الصحراء انه يمشى فقيل له فى ذلك فقال لما ركبنا فى محل المشى عاقبنا الله بان نمشى فى محل الركوب هذا و قد قال تعالى أفمن يتقى بوجهه سوء العذاب يوم القيامة و فسروا بانه يلقى الكافر مقلوبا فى النار فلايقدر ان يدفع عن نفسه النار الا بوجهه (رواه الترمذى) و كذا أبوداود و ابن جرير و ابن مردويه و البيهقى فى البعث و حسنه الترمذى رحمهم الله ✱(وعن ابن عمر رضى‌الله‌عنهما قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم من سره) أى أعجبه (ان ينظر الى يوم القيامة) أى أحواله و ان يطلع فى أهواله (كانه رأى عين) أى فيترقى من علم اليقين الى عين اليقين (فليقرأ اذا الشمس كورت) أى لفت و القيت فى النار و قال القاضى رحمه الله أى لفت بمعنى رفعت أو لف ضوءها أو القيت عن فلكها و فى الدر عن ابن عباس أى أظلمت و عن أبى صالح نكست (و اذا السماء انفطرت) أى انشقت

✽ (الفصل الثالث) ✽ عن أبي ذر قال ان الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم حدثني ان الناس يحشرون ثلاثة أفواج فوجا راكبين طاعمين كاسين و فوجا يسحبهم الملائكة على وجوههم و تحشرهم النار و فوجا يمشون و يسعون و يلقى الله الآفة على الظهر فلايبقى حتى ان الرجل لتكون له الحديقة يعطيها بذات القتب لايقدر عليها رواه النسائي

(و اذا السماء انشقت) أي انصدعت و المراد هذه السور فانها مشتملة على ذكر أحوال يوم القيامة و أهواله (رواه أحمد و الترمذي) و كذا ابن المنذر و الطبراني و حسنه الترمذي و الحاكم و صححه و ابن مردويه

✽ (الفصل الثالث) ✽ (عن أبي ذر قال ان الصادق المصدوق حدثني ان الناس يحشرون ثلاثة أفواج) قال الطيبي رحمه الله المراد بالحشر هنا ما في قوله صلى الله تعالى عليه وسلم أول اشراط الساعة نار تحشر الناس من المشرق الى المغرب و قوله ستخرج نار من نحو حضر موت تحشر الناس قلنا يا رسول الله فما تأمرنا قال عليكم بالشام (فوجا) و هم السابقون من المؤمنين الكاملين (راكبين طاعمين كاسين) قال الطيبي رحمه الله هو عبارة عن كونهم مرفهين لاستعدادهم ما يبلغهم الى القصد من الزاد و الراحلة (و فوجا) و هم الكفار (يسحبهم) بفتح الحاء أي يجرهم (الملائكة على وجوههم) و هو اما على حقيقته و اما كناية عن كمال هوانهم و ذلهم و الاول أظهر لدلالة السباق و اللحاق (و تحشر النار) بنصب النار في أصل السيد و أكثر النسخ و في نسخة برفعها و في نسخة صحيحة و تحشرهم النار بالضمير مع نصب النار على نزع الخافض أي اليها و مع رفعها على الفاعلية قال الطيبي رحمه الله أي تحشر الملائكة لهم النار و تلزمهم اياها حتى لا تفارقهم أين باتوا و أين قالوا و أصبحوا و يصح أن ترفع النار أي و تحشرهم النار (و فوجا) و هم المؤمنون المذنبون (يمشون و يسعون) أي و يسرعون لا أنهم يمشون بسكينة و راحة (و يلقى الله الآفة على الظهر) أي على المركوب تسمية بما هو المقصود منه و تعبيرا عن الكل بالجزء (فلايبقى) أي ظهر و في نسخة بالتأنيث أي دابة و في نسخة بضم أوله أي فلاتبقى الآفة دابة (حتى ان الرجل لتكون له الحديقة) أي البستان (يعطيها بذات القتب) أي بعوضها و بدلها و هو بفتح القاف و التاء للجمل كالاكاف لغيره (لايقدر) أي أحد (عليها) أي على ذات القتب لعزة وجودها و هذا صريح في ان المراد بالحشر في هذا الحديث ليس حشر القيامة قال الطيبي رحمه الله فبقي ان يقال لم ذكر المؤلف هذا الحديث في باب الحشر و هذا محل ذكره باب اشراط الساعة قلنا تأسيا بمحيي السنة و العجب ان محيي السنة حمل الحديث على ما ذهب اليه الخطابي حيث قال و هذا الحشر قبل قيام الساعة و انما يكون ذلك الى الشام احياء فاما الحشر بعد البعث من القبور فعلى خلاف هذه الصفة من ركوب الابل و المعاقبة عليها و انما هو كما أخبر انهم يبعثون حفاة عراة و أورده في هذا الباب اه و تقدم الجواب على وجه الصواب في كلام التوربشتي رحمه الله في حديث أبي هريرة أول الباب و الحاصل ان ركوب بعض الخواص من الانبياء و الاولياء ثابت في الحشر بعد البعث أيضا و ان حديث يبعثون حفاة عراة بناء على أكثر الخلق أو نظرا الى ابتداء الامر و الله تعالى أعلم (رواه النسائي) و في الدر المنثور أخرج أحمد و النسائي و الحاكم وصححه و ابن مردويه و البيهقي في البعث عن أبي ذر انه تلا هذه الآية و نحشرهم يوم القيامة على وجوههم فقال حدثني الصادق المصدوق ان الناس يحشرون يوم القيامة على ثلاثة أفواج فوج طاعمين كاسين

(باب الحساب و القصاص و الميزان)

(الفصل الاول) عن عائشة ان النبى صلى‌اللّه‌عليه‌وسلم قال ليس أحد يحاسب يوم القيامة الاهلک قلت أليس يقول الله فسوف يحاسب حسابا يسيرا فقال انما ذلک العرض و لکن من نوقش فى الحساب يهلک متفق عليه و عن عدى بن حاتم قال قال رسول‌الله صلى‌اللّه‌عليه‌وسلم ما منکم من أحد الاسيکلمه ربه ليس بينه و بينه ترجمان

راکبين و فوج يمشون و يسعون و فوج تسحبهم الملائکة على وجوههم اه فهذا الحديث صريح بان الحشر حشر يوم القيامة لتصريحه فى الآية و الحديث يوم القيامة و يؤيده سحب الملائکة اياهم على وجوههم فالوجه الوجيه ما اختاره شيخنا التوربشتى رحمه الله لا ما أخطأ الخطابى حيث لم يدرکه هذا المدرك و انما جاء الآفة من قول أبى ذر فى هذا الحديث على رواية أصل الکتاب زيادة على ما فى رواية الجامع و يلقى الله الآفة و يمکن دفعه بأن يقال هذا حديث آخر أدرجه معه و أدمجه فيه بأدنى مناسبة فينبغى ان يحمل على المسامحة و الله تعالى أعلم .

(باب الحساب و القصاص و الميزان)

الحساب بمعنى المحاسبة و القصاص على ما فى النهاية اسم من قصه الحاکم يقصه اذا مکنه من أخذ القصاص و هو أن يفعل به مثل ما فعله من قتل أو قطع أو ضرب أو جرح

(الفصل الاول) (عن عائشة رضى‌الله‌عنها ان النبى صلى‌اللّه‌عليه‌وسلم قال ليس أحد يحاسب يوم القيامة الاهلک) أى على تقدير المناقشة و المراد بالهلاك العذاب (قلت أو ليس يقول الله) أى فى حق أهل النجاة (فسوف يحاسب حسابا يسيرا) و تمامه و ينقلب الى أهله مسرورا (فقال انما ذلک العرض) بکسر الکاف وجوز الفتح على خطاب العام أو تعظيما لها و المعنى انما ذلک الحساب اليسير فى قوله تعالى عرض عمله لا الحساب على وجه المناقشة (و لکن من نوقش فى الحساب يهلک) بالرفع و فى نسخة بالجزم أى يعذب قال صاحب الفائق يقال ناقشه الحساب اذا عاسره فيه و استقصى فلم يترك قليلا و لا کثيرا و حاصله ان المراد بالمناقشة الاستقصاء فى المحاسبة و الاستيفاء بالمطالبة و ترك المسامحة فى الجليل و الحقير و القليل و الکثير و وجه المعارضة ان لفظ الحديث عام فى تعذيب کل من حوسب و لفظ الآية دال على ان بعضهم لايعذب و طريق الجمع ان المراد بالحساب فى الآية انما هو العرض و هو ابراز الاعمال و اظهارها فيقر صاحبها بذنوبه ثم يتجاوز عنها لاظهار الفضل کما ان المناقشة لبيان ظهور العدل (متفق عليه) و رواه أحمد و عبد بن حميد و الترمذى و ابن المنذر و ابن مردويه و أخرج البزار و الطبرانى فى الاوسط و ابن عدى و الحاکم و البيهقى عن أبى هريرة قال قال رسول‌الله صلى‌اللّه‌عليه‌وسلم ثلاث من کن فيه يحاسبه الله حسابا يسيرا و أدخله الجنة برحمته تعطى من حرمک و تعفو عمن ظلمک و تصل من قطعک و فى الجامع الصغير من نوقش فى الحساب عذب رواه الشيخان عن عائشة مرفوعا و رواه الطبرانى عن ابن الزبير و لفظه من نوقش المحاسبة هلک (وعن عدى بن حاتم) بکسر التاء (قال قال رسول‌الله صلى‌اللّه‌عليه‌وسلم ما منکم من أحد) من مزيدة لاستغراق النفى و الخطاب للمؤمنين (الا سيکلمه ربه) أى بلا واسطة و الاستثناء مفرغ من أعم الاحوال (ليس بينه و بينه) أى بين الرب و العبد (ترجمان) بفتح الفوقية و سکون الراء و ضم الجيم و يجوز ضمه اتباعا على ما فى نسخة و کزعفران على ما فى القاموس أى مفسر للکلام بلغة عن لغة يقال ترجمت عنه و الفعل يدل

و لاحجاب يحجبه فينظر أيمن منه فلايرى الا ما قدم من عمله و ينظر أشأم منه فلايرى الا ما قدم و ينظر بين يديه فلايرى الا النار تلقاء وجهه فاتقوا النار و لو بشق تمرة متفق عليه ✱ و عن ابن عمر قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم ان الله يدنى المؤمن فيضع عليه كنفه و يستره فيقول أتعرف ذنب كذا أتعرف ذنب كذا فيقول نعم أى رب حتى قرره بذنوبه و رأى فى نفسه انه قد هلک قال سترتها عليک فى الدنيا و أنا أغفرها لک اليوم فيعطى كتاب حسناته

على اصالة التاء و فى التهذيب التاء أصلية و ليست بزائدة و الكلمة رباعية (و لاحجاب) أى حاجز وساتر و مانع بينه و بينه (يحجبه) أى يحجب ذلک العبد من ربه (فينظر) أى ذلک العبد (أيمن منه) أى من ذلک الموقف و قال شارح ضمير منه راجع الى العبد قلت و المآل واحد و المعنى ينظر فى الجانب الذى على يمينه (فلايرى الا ما قدم من عمله) أى عمله الصالح مصورا أو جزاءه مقدرا (و ينظر أشأم منه) أى فى الجانب الذى فى شماله (فلايرى الا ما قدم) أى من عمله السيئ و الحاصل ان النصب فى ايمن و أشأم على الظرفية و المراد بهما اليمين و الشمال فقيل نظر اليمين و الشمال هنا كالمثل لان الانسان من شأنه اذا دهمه امر أن يلتفت يمينا و شمالا لطلب الغوث و قال الحافظ العسقلانى و يحتمل أن يكون سبب الالتفات انه يترجى أن يجد طريقا يذهب فيها لتحصل له النجاة من النار فلايرى الا ما يفضى به الى النار (و ينظر بين يديه فلايرى الا النار تلقاء وجهه) أى فى محاذاته و عليها الصراط (فاتقوا النار) أى اذا عرفتم ذلک فاحذروا منها و لاتظلموا أحدا (و لو بشق تمرة) أو فتصدقوا و لو بشق تمرة أى و لو بمقدار نصفها أو ببعضها و المعنى و لو بشئ يسير منها أو من غيرها فانه حجاب و حاجز بينكم و بين النار فان الصدقة جنة و وسيلة الى جنة (متفق عليه) و فى الجامع اتقوا النار و لو بشق تمرة رواه الشيخان و النسائى عن عدى بن حاتم و أحمد عن عائشة و البزار و الطبرانى فى الاوسط و الضياء عن أنس و البزار أيضا عن النعمان بن بشير و عن أبى‌هريرة و الطبرانى فى الكبير عن ابن عباس و عن أبى أمامة و رواه أحمد و الشيخان عن عدى مرفوعا اتقوا النار و لو بشق تمرة فان لم‌تجدوا فبكلمة طيبة ✱(و عن ابن عمر قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم ان الله يدنى المؤمن) بضم الياء أى يقربه قرب كرامة لا قرب مسافة فانه سبحانه يتعالى عن ذلک و المؤمن فى المعنى كالنكرة اذ لاعهد فى الخارج و لابعد ان يراد به الجنس (فيضع عليه كنفه) بفتحتين أى يحفظه مستعار من كنف الطائر و هو جناحه لانه يحوط به نفسه و يصون به بيضته (و يستره) أى عن أهل الموقف كيلا يفتضح وقيل أى يظهر عنايته عليه و يصونه عن الخزى بين أهل الموقف كما يضع أحدكم كنف ثوبه أى طرفه على رجل اذا أراد صيانته و قصد حميته و هذا تمثيل قيل هذا فى عبد لم‌يغتب و لم‌يعب و لم‌يفضح أحدا و لم‌يشمت بفضيحة مسلم بل ستر على عباد الله الصالحين و لم‌يدع أحدا يهتک عرض أحد على ملأ من الناس فستره الله و جعله تحت كنف حمايته جزاء وفاقا من جنس عمله (فيقول أتعرف ذنب كذا أتعرف ذنب كذا) فى التكرير اشارة الى التكثير و ايماء الى انه عالم بما فى الضمير (فيقول نعم أى رب حتى قرره بذنوبه) أى جعله مقرا بها بان أظهرها له و ألجاه الى الاقرار بها (و رأى فى نفسه) أى ظن المؤمن فى باطنه (انه قد هلک) أى مع الهالكين و ليس له طريق مع الناجين و قال شارح أى علم الله فى ذاته انه هلک أى المؤمن و يجوز كون ضمير رأى للمؤمن و الواو للحال (قال) أى الله تعالى (سترتها عليک فى الدنيا و أنا

و أما الكفار و المنافقون فينادى بهم على رؤس الخلائق هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين متفق عليه ✱ و عن أبى موسى قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم إذا كان يوم القيامة دفع الله الى كل مسلم يهوديا أو نصرانيا فيقول هذا فكاكك من النار رواه مسلم ✱ وعن أبى سعيد قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم يجاء بنوح يوم القيامة فيقال له هل بلغت فيقول نعم يا رب فتسأل أمته هل بلغكم فيقولون ما جاءنا من نذير فيقال من شهودك فيقول محمد و أمته

أغفرها لك اليوم فيعطى كتاب حسناته) أى بيمينه (و أما الكفار و المنافقون فينادى بهم) بصيغة المجهول (على رؤس الخلائق هؤلاء الذين كذبوا على ربهم) أى باثبات الشريك و نحوه (الا لعنة الله على الظالمين) أى المشركين و المنافقين (متفق عليه ✱ و عن أبى موسى قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم اذا كان يوم القيامة) بالرفع أى وقع و حصل و فى نسخة بالنصب أى اذا كان الزمان يوم القيامة (دفع الله الى كل مسلم) أى موصوف بالاسلام مذكرا كان أو مؤنثا (يهوديا أو نصرانيا) أى واحدا من أهل الكتاب فاو للتنويع (فيقول) أى الله تعالى (هذا) أى الكتابى (فكاكك) بفتح الفاء و يكسر أى خلاصك (من النار) قال التوربشتى رحمه الله فكاك الرهن ما يفك به و يخلص و الكسر لغة فيه قال القاضى رحمه الله لما كان لكل مكلف مقعد من الجنة و مقعد من النار فمن آمن حق الايمان بدل مقعده من النار بمقعد من الجنة و من لم‌يؤمن فبالعكس كانت الكفرة كالخلف للمؤمنين فى مقاعدهم من النار و النائب منابهم فيها و أيضا لما سبق القسم الالهى بملء جهنم كان ملؤها من الكفار خلاصا للمؤمنين و نجاة لهم من النار فهم فى ذلك للمؤمنين كالفداء و الفكاك و لعل تخصيص اليهود و النصارى بالذكر لاشتهارهما بمضادة المسلمين و مقابلتهما اياهم فى تصديق الرسول المقتضى لنجاتهم اه و قيل عبر عن ذلك بالفكاك تارة و بالفداء أخرى على وجه المجاز و الاتساع اذ لم‌يرد به تعذيب الكتابى بذنب المسلم لقوله تعالى و لا تزر وازرة وزر أخرى (رواه مسلم) و فى الجامع رواه مسلم عن أبى موسى بلفظ اذا كان يوم القيامة أعطى الله تعالى كل رجل من هذه الامة رجلا من الكفار فيقال له هذا فداؤك من النار و رواه الطبرانى فى الكبير و الحاكم فى الكنى عن أبى موسى و لفظه اذا كان يوم القيامة بعث الله تعالى الى كل مؤمن ملكا معه كافر فيقول الملك للمؤمن يا مؤمن هاك هذا الكافر فهذا فداؤك من النار ✱(و عن أبى سعيد قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه وسلم يجاء) أى يؤتى (بنوح يوم القيامة فيقال له هل بلغت فيقول نعم يا رب) و هذا لاينافى قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل فيقول ما ذا أجبتم قالوا لا علم لنا انك أنت علام الغيوب لان الاجابة غير التبليغ و هى تحتاج الى تفصيل لايحيط بكنهه الا علمه سبحانه بخلاف نفس التبليغ لانه من العلوم الضرورية البديهية (فتسأل أمته) أى أمة الدعوة (هل بلغكم) أى نوح رسالتنا (فيقولون ما جاءنا من نذير) أى منذر لا هو و لا غيره مبالغة فى الانكار توهما أنه ينفعهم الكذب فى ذلك اليوم عن الخلاص من النار و نظيره قول جماعة من الكفار و الله ربنا ما كنا مشركين (فيقال) أى لنوح (من شهودك) و انما طلب الله من نوح شهداء على تبليغه الرسالة أمته و هو أعلم به اقامة للحجة و انافة لمنزلة أكابر هذه الامة (فيقول محمد و أمته) و المعنى ان أمته شهداء و هو مزك لهم و قدم فى الذكر للتعظيم و لايبعد انه صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم يشهد لنوح عليه الصلاة والسلام أيضا لانه محل النصرة و قد قال تعالى و اذ أخذ الله ميثاق النبيين الى قوله لتؤمنن به

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيجاء بكم فتشهدون انه قد بلغ ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم و كذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس و يكون الرسول عليكم شهيدا رواه البخاري ✦ وعن أنس قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك فقال هل تدرون مما أضحك قال قلنا الله و رسوله أعلم قال من مخاطبة العبد ربه يقول يا رب ألم تجرني

و لتنصرنه (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيجاء بكم) و فيه تنبيه نبيه انه صلى الله تعالى عليه وسلم حاضر ناظر في ذلك العرض الأكبر فيؤتى بالرسل و أولهم نوح و يؤتى بشهودة و هم هذه الأمة (فتشهدون) أي أنتم (انه) أي ان نوحا (قد بلغ) أي قومه رسالة ربه و نبيكم مزك لكم أو أنتم و نبيكم معكم تشهدون ففيه تغليب (ثم قرأ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) استشهادا بالآية الدلة على العموم في مادة الخصوص (و كذلك جعلناكم أمة وسطا) قيل أي عدولا و خيارا لانهم لم يغلوا غلو النصارى و لا قصروا تقصير اليهود في حق أنبيائهم بالتكذيب و القتل و الصلب و قد صح عنه عليه الصلاة والسلام تفسير الوسط بالعدل ففي النهاية يقال هو من وسط قومه أي خيارهم (لتكونوا شهداء على الناس) أي على من قبلكم من الكفار (و يكون الرسول) أي رسولكم و اللام للعوض أو اللام للعهد و المراد به محمد صلى الله عليه وسلم. (عليكم شهيدا) أي مطلعا و رقيبا عليكم و ناظرا لافعالكم و مزكيا لاقوالكم قال الطيبي رحمه الله فان قلت كيف قال محمد و أمته و قد قال تعالى لتكونوا شهداء على الناس و يكون الرسول عليكم شهيدا مقدما صلة الشهادة ليفيد اختصاصهم بشهادته عليهم للزوم المضرة قلت الكلام وارد في مدح الامة فالغرض هنا انه يزكيهم فضمن شهد معنى رقب لان العدول تحتاج الى رقيب يحفظ أحوالهم ليطلع عليها ظاهرا و باطنا فيزكيهم و لما كانوا هم العدول من بين سائر الامم خصهم الله بكون الرسول عليهم شهيدا أي رقيبا مزكيا و هذا لايدل على انه لايشهد على سائر الامم مع ان مزكي الشاهد أيضا شاهد أقول الاظهر ان معنى الآية هو ان الامة يشهدون على الامم السابقة و انه صلى الله عليه وسلم يشهد على هذه الامة و إن الانبياء باجمعهم يشهدون على الكل و الله سبحانه و تعالى أعلم و يؤيده ما أخرجه ابن جرير عن أبي سعيد في قوله لتكونوا شهداء على الناس بان الرسل قد بلغوا و يكون الرسول عليكم شهيدا بما علمتم. (رواه البخاري) و كذا الترمذي و النسائي و أحمد و عبد بن حميد و ابن جرير و ابن المنذر و ابن أبي حاتم و ابن مردويه و البيهقي في الاسماء و الصفات و أخرج سعيد بن منصور و أحمد و النسائي و ابن ماجه و البيهقي في البعث و النشور عن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجيء النبي يوم القيامة و معه الرجل و النبي و معه الرجلان و أكثر من ذلك فيدعى قومه فيقال لهم هل بلغكم هذا فيقولون لا فيقال له هل بلغت فيقول نعم فيقال من يشهد لك فيقول محمد و أمته. فيدعى محمد و أمته فيقال لهم هل بلغ هذا قومه فيقولون نعم فيقال و ما علمكم فيقولون جاءنا نبينا فاخبرنا أن الرسل قد بلغوا فذلك قوله و كذلك جعلناكم أمة وسطا الآية و أخرج ابن جرير و ابن أبي حاتم و ابن مردويه عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أنا و أمتي يوم القيامة على كوم مشرفين على الخلائق ما من الناس أحد الا ود انه منا و ما من نبي كذبه قومه الا و نحن نشهد انه بلغ رسالة ربه ✦ (وعن أنس قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك فقال هل تدرون مما أضحك). فيه أيماء الى انه لاينبغي الضحك الا لامر غريب وحكم عجيب (قال) أي جابر (قلنا الله ورسوله أعلم قال من مخاطبة العبد ربه يقول يارب ألم تجرني)

من الظلم-قال يقول بلى قال فيقول فانى لا أجيز على نفسى الا شاهدا منى قال فيقول كفى بنفسك اليوم عليك شهيدا و بالكرام الكاتبين شهودا قال فيختم على فيه فيقال لاركانه انطقى قال فتنطق باعماله ثم يخلى بينه و بين الكلام قال فيقول بعدا لكن و سحقا فعنكن كنت أناضل رواه مسلم ★ وعن أبى هريرة قال قالوا يا رسول‌الله هل نرى ربنا يوم القيامة قال هل تضارون

من الاجارة أى ألم‌تجعلنى فى اجارة منك بقولك و ما ربك بظلام للعبيد (من الظلم) و المعنى ألم‌تؤمنى من أن تظلم على (قال) أى النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم (يقول) أى الله تعالى فى جواب العبد (بلى قال فيقول فانى) أى فاذا أجرتنى من الظلم فانى (لا أجيز) بالزاى المعجمة أى لا أجوز و لا أقبل (على نفسى الا شاهدا منى) أى من جنسى لان الملائكة شهدوا علينا بالفساد قبل الايجاد (قال فيقول كفى بنفسك اليوم عليك شهيدا) نصبه على الحال و عليك معموله تقدم عليه للاهتمام و الاختصاص و الباء زائدة فى فاعل كفى و اليوم ظرف له أو لشهيد (و بالكرام) أى و كفى بالعدول المكرمين (الكاتبين) أى لصحف الاعمال (شهودا) قال الطيبى رحمه الله فان قلت دل أداة الحصر على أن لايشهد عليه غيره فكيف أجاب بقوله كفى بنفسك و بالكرام الكاتبين قلت بذل مطلوبه و زاد عليه تأكيدا و تقريرا (قال فيختم) بصيغة المجهول (على فيه) أى فمه و منه قوله تعالى اليوم نختم على أفواههم و تكلمنا أيديهم و تشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون و فى آية أخرى يوم تشهد عليهم ألسنتهم و أيديهم و أرجلهم بما كانوا يعملون و فى آية أخرى شهد عليهم سمعهم و أبصارهم و جلودهم و هذا معنى قوله (فيقال لاركانه) أى لاعضائه و أجزائه (انطقى قال فتنطق) أى الاركان (باعماله) أى بافعاله التى باشرها بها و ارتكبها بسببها (ثم يخلى) أى يترك (بينه و بين الكلام)أى يرفع الختم من فيه حتى يتكلم بالكلام العادى فشهادة ألسنتهم فى الآية يراد بها نوع آخر من الكلام على خرق العادة و الله تعالى أعلم به (قال فيقول) أى العبد (بعدا لكن و سحقا) بضم فسكون و يضم أى هلاكا و هما مصدران ناصبهما مقدر و الخطاب للاركان أى أبعدن و أسحقن (فعنكن) أى عن قبلكن و من جهتكن و لاجل خلاصكن (كنت أناضل) أى أجادل و أخاصم و ادافع على ما فى النهاية و قال شارح أى أخاصم لخلاصكن و انتن تلقين أنفسكن فيها و المناضلة المراماة بالسهام و المراد هنا المحاجة بالكلام يقال تناضل فلان عن فلان اذا تكلم عنه بعذر و دفع قلت و جوابهن محذوف دل عليه قوله تعالى و قالوا لجلودهم لم‌شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذى أنطق كل شئ و هو خلقكم أول مرة و اليه ترجعون و ما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم و لا أبصاركم و لاجلودكم و لكن ظننتم أن الله لايعلم كثيرا مما تعملون و ذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم أرداكم فاصبحتم من الخاسرين (رواه مسلم) و أخرج أبويعلى و ابن أبى حاتم و الطبرانى و ابن مردويه عن سعيد أن رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال اذا كان يوم القيامة عرف الكافر بعمله فجحد و خاصم فيقال هؤلاء جيرانك يشهدون عليك فيقول كذبوا فيقال أهلك و عشيرتك فيقول كذبوا فيقال احلفوا فيحلفون ثم يصمتهم الله و تشهد عليهم ألسنتهم و أيديهم و أرجلهم ثم يدخلهم النار ★(و عن أبى هريرة قال قالوا) أى بعض الصحابة (يا رسول‌الله هل نرى ربنا) الاستفهام للاستخبار و الاستعلام (يوم القيامة) قيد به للاجماع على انه تعالى لايرى فى الدنيا لان الذات الباقية لاترى بالعين الفانية (قال هل تضارون) بضم التاء و تفتح و تشديد الراء على انه من باب المفاعلة أو التفاعل من الضرر

فى رؤية الشمس فى الظهيرة ليست فى سحابة قالوا لا قال فهل تضارون فى رؤية القمر ليلة البدر ليس فى سحابة قالوا لا قال فوالذى نفسى بيده لاتضارون فى رؤية ربكم الا كما تضارون فى رؤية أحدهما قال فيلقى العبد فيقول أى فل ألم أكرمك و أسودك و أزوجك و أسخرلك الخيل و الابل و اذرك ترأس

و الاستفهام للتقرير و هو حمل المخاطب على الاقرار و المعنى هل يحصل لكم تزاحم و تنازع يتضرر به بعضكم من بعض (فى رؤية الشمس) أى لاجل رؤيتها أو عندها (فى الظهيرة) و هى نصف النهار و هو وقت ارتفاعها و ظهورها و انتشار ضوئها فى العالم كله (ليست) أى الشمس (فى سحابة) أى غيم (تحجبها عنكم قالوا لا قال فهل تضارون فى رؤية القمر ليلة البدر ليس فى سحابة قالوا لا قال فوالذى نفسى بيده لاتضارون فى رؤية ربكم الا كما تضارون فى رؤية أحدهما) قال النووى رحمه الله روى تضارون بتشديد الراء و تخفيفها و التاء مضمومة فيهما و فى الرواية الاخرى هل تضامون بتشديد الميم و تخفيفها فمن شددها فتح التاء و من خففها ضمها و فى رواية البخارى لاتضارون أو لاتضامون على الشك قال القاضى البيضاوى رحمه الله و فى تضارون المشدد من الضرر و المخفف من الضير أى تكون رؤيته جلية بينة لاتقبل مراء و لامرية فيخالف فيها بعضكم بعضا و يكذبه كما لايشك فى رؤية أحداهما يعنى الشمس و القمر و لاينازع فيها فالتشبيه انما وقع فى الرؤية باعتبار جلائها و ظهورها بحيث لايرتاب فيها لا فى سائر كيفياتها و لا فى المرئى فانه سبحانه منزه عن الجسمية و عما يؤدى اليها و فى تضامون بالتشديد من الضم أى لاينضم بعضكم الى بعض فى طلب رؤيته لاشكاله و خفائه كما يفعلون فى الهلال أو لايضمكم شئ دون رؤيته فيحول بينكم و بينها و بالتخفيف من الضيم أى لاينالكم ضيم فى رؤيته فيراه بعض دون بعض بل يستوون فيها وأصله تضيمون فنقلت فتحة الياء الى الضاد فصارت ألفا لسكونها و انفتاح ما قبلها و كذلك تضارون بالتخفيف و أما المشدد فيحتمل أن يكون مبنيا للفاعل على معنى لاتضارون أى تتنازعون فى رؤيته هذا و قال الطيبى قوله الا كما تضارون كان الظاهر أن يقال لاتضارون فى رؤية ربكم كما لاتضارون فى رؤية أحدهما و لكنه أخرج مخرج قوله

و لاعيب فيهم غير ان سيوفهم ★ بهن فلول من قراع الكتائب

أى لاتشكون فيه الا كما تشكون فى رؤية القمرين و ليس فى رؤيتهما شك فلاتشكون فيها البتة (قال) أى النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم (فيلقى) أى الرب (العبد) أى عبدا من عباده (فيقول أى فل) بضم الفاء و سكون اللام و تفتح و تضم أى فلان ففى النهاية معناه يا فلان و ليس ترخيما له لانه لايقال الابسكون اللام و لو كان ترخيما لفتحوها أو ضموها قلت و قيل فلا كما يقال سعى فى سعيد قال سيبويه ليست ترخيما و انما هى صيغة ارتجلت فى باب النداء و قد جاء فى غير النداء قال ★ فى لجة أمسك فلان عن فل ★ بكسر اللام للقافية و انما قيل ليس مرخما لان شرط مثله أن يبقى بعد حذف النون و الالف ثلاثة أحرف كمروان و قال قوم انه ترخيم فلان فحذفت النون للترخيم و الالف لسكونها و يفتح اللام و يضم على مذهبى الترخيم (ألم أكرمك) أى ألم أفضلك على سائر الحيوانات (و أسودك) أى ألم أجعلك سيدا فى قومك (و أزوجك) أى ألم أعطك زوجا من جنسك و مكنتك منها و جعلت بينك و بينها مودة و رحمة و مؤانسة و ألفة (و أسخر لك الخيل و الابل) أى ألم أذللها لك و خصتا بالذكر لانهما أصعب الحيوانات

و تربع فيقول بلى قال فيقول أفظننت انک ملاقی فيقول لا فيقول فانی قد أنساك كما نسيتنی ثم يلقى الثانی فذكر مثله ثم يلقى الثالث فيقول له مثل ذلک فيقول يا رب آمنت بک و بكتابک و برسلک وصليت و صمت و تصدقت و يثنی بخير ما استطاع فيقول ههنا اذا ثم يقال الآن نبعث شاهدا عليک و يتفکر فی نفسه من ذا الذی يشهد علی فيختم علی فيه و يقال لفخذه انطقی فتنطق فخذه و لحمه و عظامه بعمله و ذلک ليعذر من نفسه و ذلک المنافق و ذلک الذی سخطه الله رواه مسلم و ذكر حديث أبی هريرة يدخل من أمتی الجنة فی باب التوكل برواية ابن عباس

(و أذرك) أی ألم أذرك و المعنی ألم أدعک و لم أمكنک علی قومک (ترأس) أی تكون رئيسا علی قومک و الجملة حال (و تربع) أی تأخذ رباعهم و هو ربع الغنيمة و كان ملوك الجاهلية يأخذونه لانفسهم (فيقول بلى) أی فی كل أو فی الكل (قال فيقول) أی الرب (أفظننت) أی أفعلمت (انک ملاقی) بضم الميم و تشديد الياء المحذوفة العائدة بحذف التنوين و الثانية ياء المتكلم المضاف اليه (فيقول لا فيقول فانی قد أنساك) أی اليوم أتركک من رحمتی (كما نسيتنی) أی فی الدنيا من طاعتی قال الطيبی رحمه الله هو مسبب عن قوله أفظننت انک ملاقی يعنی سودتک و زوجتک و فعلت بک من الاكرام حتی تشكرنی و تلقانی لازيد فی الانعام و أجازيک عليه فلما نسيتنی فی الشكر نسيناك و تركنا جزاءك و عليه قوله تعالى كذلک أتتک آياتنا فنسيتها و كذلک اليوم تنسی و نسبة النسيان الی الله تعالى اما مشاكلة أو مجاز عن الترك (ثم يلقی) أی الرب (الثانی) أی من العبيد (فذكر مثله) أی قال الراوی ذكر صلى الله عليه وسلم فی الثانی مثل ما ذكر فی الاول من سؤال الله تعالى له و جوابه (ثم يلقى الثالث فيقول له مثل ذلک فيقول يا رب آمنت بک و بكتابک و برسلک وصليت و صمت و تصدقت و يثنی) أی يمدح الثالث علی نفسه (بخير ما استطاع فيقول) أی الرب (ههنا اذا) بالتنوين قال الطيبی رحمه الله اذا جواب و جزاء و التقدير اذا أثنيت علی نفسک بما أثنيت اذا فاثبت هنا كی نريک أعمالک باقامة الشاهد عليها و قال شارح أی يقول اذا تجزی بأعمالک ههنا و قال ابن الملک أی أقر الثالث بظنه لقاء الله تعالى وعد أعماله الصالحة فيقول ههنا اذا أی قف فی هذا الموضع اذا ذكرت أعمالک حتی تتحقق خلاف ما زعمت (ثم يقال الآن نبعث شاهدا عليک و يتفكر) أی العبد الثالث (فی نفسه من ذا الذی يشهد علی) حال تقديره يتفكر فی نفسه قائلا من ذا الذی يشهد علی (فيختم علی فيه) أی فمه (فيقال) و فی نسخة و يقال (لفخذه انطقی فتنطق فخذه و لحمه و عظامه) أی المتعلقة بفخذه (بعمله و ذلک) أی انطاق أعضائه أو بعث الشاهد عليه و قال الطيبی رحمه الله أشار الی المذكور من السؤال و الجواب و ختم الفم و نطق الفخذ و غيره (ليعذر من نفسه) قال التوربشتی رحمه الله ليعذر علی بناء الفاعل من الاعذار و المعنی ليزيل الله عذره من قبل نفسه بكثرة ذنوبه و شهادة اعضائه عليه بحيث لم يبق له عذر يتمسک به و قيل ليصير ذا عذر فی تعذيب من قبل نفس العبد (و ذلک) أی العبد الثالث (المنافق و ذلک الذی سخط) بكسر الخاء أی غضب (الله عليه رواه مسلم و ذكر حديث أبی هريرة يدخل من أمتی الجنة) صوابه علی ما سبق يدخل الجنة من امتی سبعون ألفا بغير حساب هم الذين لا يسترقون و لا يتطيرون و علی ربهم يتوكلون (فی باب التوكل برواية ابن عباس) فكان البغوی رحمه الله ذكر الحديث مكررا باسنادين أحدهما هنا عن أبی هريرة و الآخر هناك عن ابن عباس فحذف صاحب المشكاة ما هنا و أشار الی انه ذكر

✯ (الفصل الثانى) ✯ عن أبى أمامة قال سمعت رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم يقول وعدنى ربى أن يدخل الجنة من أمتى سبعين ألفا لاحساب عليهم و لاعذاب مع كل ألف سبعون ألفا و ثلاث حثيات من حثيات ربى رواه أحمد و الترمذى و ابن ماجه ✯ وعن الحسن عن أبى‌هريرة قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات فاما عرضتان فجدال و معاذير و أما العرضة الثالثة فعند ذلک تطير الصحف فى الايدى فآخذ بيمينه و آخذ بشماله

سابقا برواية ابن عباس تنبيها على ذلک فاندفع ما يتوهم من التدافع بين قوله لحديث أبى‌هريرة و قوله برواية ابن عباس

✯ (الفصل الثانى) ✯ (عن أبى أمامة) أى الباهلى (قال سمعت رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم يقول وعدنى ربى أن يدخل الجنة) من الادخال لقوله (سبعين ألفا) و المراد به اما هذا العدد أو الكثرة قال الازهرى سبعين فى قوله تعالى أن تستغفرلهم سبعين مرة جمع السبع الذى يستعمل للكثرة ألاترى انه لو زاد على السبعين لم‌يغفرلهم (لاحساب عليهم) أى لا مناقشة لهم فى المحاسبة (و لاعذاب) أى بالاولى أو لاعذاب مما يترتب على الحساب (مع كل ألف سبعون ألفا و ثلاث حثيات) بفتح الحاء و المثلثة جمع حثية (من حثيات ربى) قال شارح الحثية و الحثوة يستعمل فيما يعطيه الانسان بكفيه دفعة واحدة من غير وزن و تقدير ثم تستعار لما يعطى من غير تقدير و اضافة الحثيات الى ربه تعالى للمبالغة فى الكثرة قال صاحب النهاية الحثيات كناية عن المبالغة و الكثرة و الا فلا كف ثمة و لاحثى جل الله عن ذلک ثم قوله و ثلاث مرفوع عطف على سبعون و هو أقرب و قيل منصوب عطفا على سبعين أى و ان يدخل ثلاث قبضات من قبضاته أى عددا غير معلوم و المعنى يكون مع هذا العدد المعلوم عدد كثير غير معلوم أو المراد منهما جميعا المبالغة فى الكثرة قال الاشرف يحتمل النصب عطفا على قوله سبعين ألفا و الرفع عطفا على قوله سبعون ألفا و الرفع أظهر فى المبالغة اذ التقدير مع كل ألف سبعون ألفا و ثلاث حثيات بخلاف النصب قال التوربشتى رحمه الله الحثية ما يحثيه الانسان بيديه من ماء أو تراب أو غير ذلک و يستعمل فيما يعطيه المعطى بكفيه دفعة واحدة و قد جيء به ههنا على وجه التمثيل و أريد بها الدفعات أى يعطى بعد هذا العدد المنصوص عليه ما يخفى على العادين حصره و تعداده فان عطاءه الذى لايضبطه الحساب أوفى و أربى من النوع الذى يتداخله الحساب قلت و يمكن حمله على التجلى الصورى و الله أعلم بالصواب (رواه أحمد و الترمذى و ابن ماجه ✯ وعن الحسن) أى البصرى (عن أبى‌هريرة قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم يعرض الناس) أى على الله (يوم القيامة ثلاث عرضات) بفتحتين قيل أى ثلاث مرات فاما المرة الاولى فيدفعون عن أنفسهم و يقولون لم‌يبلغنا الانبياء و يحاجون الله تعالى و فى الثانية يعترفون و يعتذرون بأن يقول كل فعلته سهوا و خطأ أو جهلا أو رجاء و نحو ذلک و هذا معنى قوله (فاما عرضتان فجدال و معاذير) جمع معذرة و لايتم قضيتهم فى المرتين بالكلية (و أما العرضة الثالثة فعند ذلک تطير الصحف) كذا هو فى سنن الترمذى و جامع الاصول و فى نسخ المصابيح تطاير أى تتطاير الصحف و هو بضمتين جمع الصحيفة و هو المكتوب و قال شارح للمصابيح تطاير الصحف أى تفرقها الى كل جانب فروايته بالمصدر و أما على رواية غيره فبالمضارع أى يسرع وقوعها (فى الايدى) أى أيدى المكلفين جميعا (فآخذ بيمينه و آخذ بشماله) الفاء تفصيلية أى فمنهم آخذ بيمينه و هو من أهل

رواه أحمد و الترمذی و قال لایصح هذا الحدیث من قبل أن الحسن لم یسمع من أبی هریرة و قد رواه بعضهم عن الحسن عن أبی موسی ✱ وعن عبدالله بن عمرو قال قال رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم ان الله سیخلص رجلا من أمتی علی رؤس الخلائق یوم القیامة فینشر علیه تسعة و تسعین سجلا کل سجل مثل مد البصر ثم یقول أتنکر من هذا شیأ أظلمک کتبتی الحافظون فیقول لا یارب فیقول أفلک عذر قال لا یارب فیقول بلی ان لک عندنا حسنة و انه لا ظلم علیک الیوم فتخرج بطاقة فیها أشهد أن لا اله الا الله و أن محمدا عبده و رسوله فیقول احضر وزنک

السعادة و منهم آخذ بشماله و هو من أهل الشقاوة فحینئذ تتم قضیتهم علی وفق البدایة و یتمیز أهل الضلالة من أهل الهدایة (رواه أحمد و الترمذی و قال) أی الترمذی (لایصح هذا الحدیث من قبل) بکسر ففتح أی من جهة (أن الحسن لم یسمع من أبی هریرة) أی فاسناده منقطع غیر متصل لکن قال الشیخ الجزری فی تصحیح المصابیح ان البخاری أخرج فی صحیحه الحسن عن أبی هریرة ثلاثة أحادیث و بینها قال و أما مسلم فلم یخرج للحسن عن أبی هریرة شیأ نقله میرک أقول و لایلزم من عدم اخراج مسلم حدیثه عنه انه لایصح اسناده اذ شرط البخاری و هو تحقق اللقی و لو مرة أقوی من شرط مسلم و هو مجرد وجود المعاصرة (و قد رواه) أی هذا الحدیث (بعضهم) أی بعض المخرجین (عن الحسن عن أبی موسی) یعنی فالحدیث متصل من طریقه و اعتضد باسناده فان المؤلف ذکر فی أسماء رجاله أن الحسن روی عن الصحابة کأبی موسی و أنس بن مالک و ابن عباس و غیرهم ✱(و عن عبدالله بن عمرو) بالواو (قال قال رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم ان الله سیخلص) بتشدید اللام أی یختار (رجلا من أمتی علی رؤس الخلائق یوم القیامة فینشر) بضم الشین المعجمة أی فیفتح (علیه تسعة و تسعین سجلا) بکسرتین فتشدید أی کتابا کبیرا (کل سجل مثل مد البصر) أی کل کتاب منها طوله و عرضه مقدار ما یمتد الیه بصر الانسان) (ثم یقول) أی الرب (أتنکر من هذا) أی المکتوب (شیأ) أی مما لاتفعله (أظلمک کتبتی) بفتحات جمع کاتب و المراد الکرام الکاتبون (الحافظون) أی لاعمال بنی آدم (فیقول لا یارب) جواب لهما جمیعا أو لکل منهما (فیقول أفلک عذر) أی فیما فعلته من کونه سهوا أو خطأ أو جهلا و نحو ذلک (قال لا یارب فیقول بلی) أی لک عندنا ما یقوم مقام عذرك (ان لک عندنا حسنة) أی واحدة عظیمة مقبولة تمحو جمیع ما عندك قال تعالی و ان تک حسنة یضاعفها و یؤت من لدنه أجرا عظیما و اذا قال الله جل جلاله و لا اله غیره لشئ عظیم فهو عظیم و قد قال عمر رضی‌الله‌تعالی‌عنه لئن کانت لی حسنة عند الله کفتنی (و انه) أی الشان (لا ظلم علیک الیوم) لعله مقتبس من قوله تعالی الیوم تجزی کل نفس بما کسبت لا ظلم الیوم أی بنقصان أجرلک و لابزیادة عقاب علیک بل لاحکم الا الله و هو اما بالعدل و اما بالفضل (فتخرج) بصیغة المجهول أی فتظهر (بطاقة) بکسر الباء أی رقعة صغیرة ثبت فیها مقدار ما به و یجعل فی الثواب ان کان عینا فوزنه أو عدده و ان کان متاعا فثمنه أو قیمته و قیل سمیت بذلک لانها تشد بطاقة من هدب الثوب فتکون التاء حینئذ زائدة و هی کلمة کثیرة الاستعمال بمصر و یروی بالنون و هو غریب (فیها) أی مکتوب فی البطاقة (أشهد أن لا اله الا الله و أن محمدا عبده و رسوله) یحتمل أن الکلمة هی أول ما نطق بها و اختلف العلماء فی أن الاقرار شرط الایمان أو شطره و یحتمل أن تکون غیر تلک المرة مما وقعت مقبولة عند الحضرة و هو الاظهر فی مادة الخصوص من عموم الامة (فیقول احضر وزنک)

فيقول يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فيقول انک لاتظلم قال فتوضع السجلات فی کفة و البطاقة فی کفة فطاشت السجلات و ثقلت البطاقة فلايثقل مع اسم الله شئ رواه الترمذی و ابن ماجه ✱ و عن عائشة انها ذکرت النار فبکت فقال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم ما يبکيک قالت ذکرت النار فبکيت فهل تذکرون أهليکم يوم القيامة فقال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم اما فی ثلاثة مواطن فلايذکر أحد أحدا عند الميزان حتی يعلم أيخف ميزانه أم يثقله و عند الکتاب حين يقال هاؤم اقرؤا کتابيه

أی الوزن الذی لک أو وزن عملک أو وقت وزنک أو آلة وزنک و هو الميزان ليظهر لک انتفاء الظلم و ظهور العدل و تحقق الفضل (فيقول يارب ما هذه البطاقة) أی الواحدة (مع هذه السجلات) أی الکثيرة و ما قدرها بجنبها و مقابلتها (فيقول انک لاتظلم) أی لايقع عليک الظلم لکن لابد من اعتبار الوزن کی يظهر ان لاظلم عليک فاحضر الوزن قيل وجه مطابقة هذا جوابا لقوله ما هذه البطاقة ان اسم الاشارة للتحقير کانه أنکر أن يکون مع هذه البطاقة المحقرة موازنة لتلک السجلات فرد بقوله انک لاتظلم بحقيرة أی لا تحقر هذه فانها عظيمة عنده سبحانه اذ لايثقل مع اسم الله شئ و لو ثقل عليه شئ لظلمت (قال فتوضع السجلات فی کفة) بکسر فتشديد أی فردة من زوجی الميزان ففی القاموس الکفة بالکسر من الميزان معروف و يفتح (و البطاقة) أی و توضع (فی کفة) أی فی أخری (فطاشت السجلات) أی خفت (و ثقلت البطاقة) أی رجحت و التعبير بالمضی لتحقق وقوعه ففی الدر أخرج عبد بن حميد و ابن جرير عن قتادة انه تلا هذه الآية يعنی ان الله لايظلم مثقال ذرة و ان تک حسنة يضاعفها و يؤت من لدنه أجرا عظيما فقال لان تفضل حسناتی علی سيآتی مثقال ذرة أحب الی من الدنيا و ما فيها ثم هذا الحديث يحتمل أن تکون البطاقة وحدها غلبت السجلات و هو الظاهر المتبادر و يحتمل أن تکون مع سائر أعماله الصالحة و لکن الغلبة ما حصلت الا ببرکة هذه البطاقة (فلايثقل) بالرفع و فی بعض النسخ بالجزم لايظهر وجهه بحسب المعنی أی فلايرجح و لايغلب (مع اسم الله شئ) و المعنی لايقاومه شئ من المعاصی بل يترجح ذکر الله تعالی علی جميع المعاصی قال تعالی ان الحسنات يذهبن السيآت و لذکر الله أکبر فان قيل الاعمال أعراض لايمکن وزنها و انما توزن الاجسام أجيب بأنه يوزن السجل الذی کتب فيه الاعمال و يختلف باختلاف الاحوال او ان الله يجسم الافعال و الاقوال فتوزن فتثقل الطاعات و تطيش السيآت لثقل العبادة علی النفس و خفة المعصية عليها ولذا ورد حفت الجنة بالمکاره و حفت النار بالشهوات (رواه الترمذی و ابن ماجه ✱ و عن عائشة) رضی الله تعالی عنها (انها ذکرت) أی فی نفسها (النار) أی نار جهنم (فبکت) أی خوفا منها (فقال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم ما يبکيک) أی ما سبب بکائک (قالت ذکرت النار فبکيت فهل تذکرون أهليکم يوم القيامة فقال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم أما فی ثلاثة مواطن فلايذکر أحد أحدا) أی بالخصوص و أما الشفاعة العظمی فهی عامة للخلائق کلها (عند الميزان) قال أهل الحق الميزان حق قال تعالی و نضع الموازين القسط ليوم القيامة يوضع ميزان يوم القيامة يوزن به الصحائف التی يکون مکتوبا فيها أعمال العباد و له کفتان أحداهما للحسنات و الآخری للسيآت و عن الحسن له کفتان و لسان ذکره الطيبی رحمه الله (حتی يعلم) أی کل أحد (أيخف ميزانه أم يثقل) ظاهره انه يعم کل أحد و لايستثنی منه نبی و لامرسل (و عند الکتاب) أی نظايره أو عند عطائه

حتى يعلم أين يقع كتابه أفي يمينه أم في شماله من وراء ظهره و عند الصراط اذا وضع بين ظهري جهنم رواه أبوداود

✦ (الفصل الثالث) ✦ عن عائشة قالت جاء رجل فقعد بين يدي رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم فقال يا رسول‌الله ان لي مملوكين يكذبونني و يخونونني و يعصونني و أشتمهم و أضربهم فكيف أنا منهم فقال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم اذا كان يوم القيامة يحسب ما خانوك و عصوك و كذبوك و عقابك اياهم فان كان عقابك اياهم بقدر ذنوبهم كان كفافا لا لك و لاعليك و ان كان عقابك اياهم دون ذنبهم كان فضلا لك و ان كان عقابك اياهم فوق ذنوبهم.

(حين يقال) أي يقول من يعطي بيمينه (هاؤم) أي خذوا (اقرؤا كتابيه) تنازع فيه الفعلان و الهاء للسكت لبيان ياء الاضافة (حتى يعلم أين يقع كتابه أفي يمينه أم في شماله من وراء ظهره) كذا في سنن أبي‌داود و بعض نسخ المصابيح و في أكثرها أو من وراء ظهره و في جامع الاصول أم بدل أو و الاول أولى و أوفق للجمع بين معنى الآيتين فاما من أوتي كتابه بشماله فيقول ياليتني لم‌أوت كتابيه و أما من أوتي كتابه وراء ظهره فسوف يدعو ثبورا و يصلى سعيرا الكشاف قيل يغل يمناه الى عنقه و تجعل شماله وراء ظهره و يؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره و قيل تخلع يده اليسرى من وراء ظهره كذا ذكره الطيبي رحمه الله (و عند الصراط اذا وضع بين ظهري جهنم) أي وسطها و فوقها و المعنى حتى يعلم انه نجا بالمرور منها و الورود عنها أو وقع و سقط و زل فيها قال تعالى و ان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا و نذر الظالمين فيها جثيا قال النووي رحمه الله مذهب اهل الحق انه جسر ممدود على متن جهنم يمر عليه الناس كلهم فالمؤمنون ينجون على حسب أعمالهم و منازلهم و الآخرون يسقطون فيها عافانا الله الكريم و المتكلمون من أصحابنا و السلف يقولون انه أدق من الشعر و أحد من السيف و هكذا جاء في رواية أبي سعيد (رواه أبوداود) قال السيد جمال الدين رحمه الله أي عن الحسن البصري رحمه الله عن عائشة رضي‌الله‌عنها و هو منقطع

✦(الفصل الثالث)✦ (عن عائشة قالت جاء رجل فقعد بين يدي رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم) أي قدامه (فقال يارسول‌الله ان لي مملوكين) بكسر الكاف أي مماليك و هو يحتمل الذكور والاناث ففيه تغليب (يكذبونني) أي يكذبون في أخبارهم لي (و يخونونني) أي في مالي (و يعصونني) أي في أمري و نهيي (و اشتمهم) بكسر التاء و يضم ففي المصباح شتم من باب ضرب و في القاموس من باب نصر أيضا أي أسبهم (و أضربهم) أي ضرب تاديب (فكيف انا منهم) أي كيف يكون حالي من أجلهم و بسببهم عندالله تعالى (فقال رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم اذا كان يوم القيامة يحسب ما خانوك و عصوك و كذبوك) أي مقدارها (و عقابك) عطف على ما خانوك أي و يحسب أيضا قدر شتمك و ضربك اياهم (فان كان عقابك اياهم بقدر ذنوبهم) أي عرفا و عادة (كان) أي أمرك (كفافا) بفتح الكاف ففي القاموس كفاف الشئ كسحاب مثله و من الرزق ما كف عن الناس و اغنى و في النهاية الكفاف الذي لايفضل عن الشئ و يكون بقدر الحاجة اليه و هذا هو الانسب بالمقام ولذا قال بيانا له (لا لك و لاعليك) أي ليس لك فيه ثواب و لاعليك فيه عقاب بل فعله مباح ليس عليك جناح (فان) و في نسخة و ان (كان عقابك اياهم دون ذنبهم) أي أقل منه (كان فضلا لك) أي عليهم فان قصدت الثواب تجز به و الا فلا (و ان كان عقابك اياهم فوق ذنوبهم) بالجمع هنا و بالافراد

اقتص لهم منك الفضل فتنحى الرجل و جعل يهتف و يبكى فقال له رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم اما تقرأ قول الله تعالى و نضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيأ و ان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها و كفى بنا حاسبين فقال الرجل يا رسول‌الله ما أجد لى و لهؤلاء شيأ خيرا من مفارقتهم أشهدك انهم كلهم أحرار رواه الترمذى ✵ و عنها قالت سمعت رسول‌الله صلى‌الله عليه‌وسلم يقول فى بعض صلاته اللهم حاسبنى حسابا يسيرا قلت يا نبى الله ما الحساب اليسير قال ان ينظر فى كتابه فيتجاوز عنه انه من نوقش الحساب يومئذ يا عائشة هلك رواه أحمد ✵ و عن أبى سعيد الخدرى انه أتى رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم فقال اخبرنى من يقوى على القيام يوم القيامة الذى قال الله عزوجل يوم يقوم الناس لرب العالمين

فيما سبق المراد منه الجنس تفنن فى الكلام أى أكثر منها (اقتص) بصيغة المجهول أى أخذ بمثله (لهم) أى لاجلهم (منك الفضل) أى الزيادة (فتنحى الرجل) أى بعد عن المجلس (و جعل يهتف) بكسر التاء أى شرع يصيح و يبكى (فقال له رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم أما تقرأ قول الله تعالى و نضع الموازين القسط) أى ذوات القسط و هو العدل (ليوم القيامة) أى فى ذلك اليوم فاللام للتوقيت (فلا تظلم نفس شيأ) أى قليلا من الظلم (و ان كان) أى العمل و الظلم (مثقال حبة) أى مقدارها و هو بالنصب عند الجمهور على ان كان ناقصة و رفع مثقال على كان التامة (من خردل أتينا بها) أى أحضرناها و الضمير للمثقال و تانيثه لاضافته الى الحبة (و كفى بنا حاسبين) اذ لا مزيد على علمنا و عدلنا (فقال الرجل يارسول‌الله ما أجد لى و لهؤلاء) أى المملوكين قال الطيبى رحمه الله الجار و المجرور هو المفعول الثانى (شيأ) أى مخلصا (خيرا من مفارقتهم) أى من مفارقتى اياهم لان المحافظة على مراعاة المحاسبة و المطالبة عسر جدا (أشهدك انهم كلهم) بالنصب على التأكيد و يجوز رفعه على الابتداء و الخبر قوله (احرار) و نظيره قوله تعالى قل ان الامر كله لله حيث قرئ بالوجهين فى السبعة (رواه الترمذى ✵ و عنها) أى عن عائشة (قالت سمعت رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم يقول فى بعض صلواته) أى من الفرائض أو النوافل أو فى بعض أجزائها من أول القيام أو الركوع أو القومة أو السجود أو القعدة (اللهم حاسبنى حسابا يسيرا) و هذا اما تعليم للامة و تنبيه لهم عن نوم الغفلة و اما تلذذ بما يقع له من هذه النعمة و اماخشية له كما يقتضيه مقامه من معرفة رب العزة و ذهوله عن مرتبة النبوة و منزلة العصمة (قلت يا نبى الله ما الحساب اليسير قال أن ينظر) أى العبد (فى كتابه فيتجاوز) بالرفع و ينصب أى (الله عنه) و فى نسخة بصيغة المجهول فيهما (فانه) أى الشان (من نوقش الحساب) بالنصب على نزع الخافض أى فى المحاسبة و المضايقة فى المطالبة (يومئذ يا عائشة هلك) أى عذب ففى الصحاح المناقشة الاستقصاء و فى الحديث من نوقش فى الحساب عذب و قد تقدم بعض طرقه (رواه أحمد) قال السيد و ابن ماجه و أصله فى صحيح البخارى قلت و فى الدر أخرجه أحمد و عبد بن حميد و ابن جرير و ابن مردويه و الحاكم و صححه ✵(و عن أبى سعيد الخدرى انه أتى رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم فقال اخبرنى من يقوى) أى يقدر (على القيام) أى على الوقوف للحساب بين يدى الله (يوم القيامة الذى قال الله عزوجل) أى فى حقه فالموصول صفة ليوم القيامة (يوم يقوم الناس لرب العالمين) قال الطيبى رحمه الله بدل من قوله ليوم عظيم أى يوم يتجلى سبحانه بجلاله و هيبته و يظهر سطوات قهره على الجبارين و روى ان ابن عمر قرأ هذه السورة فلما بلغ قوله

فقال يخفف على المؤمن حتى يكون عليه كالصلاة المكتوبة ★ و عنه قال سئل رسول‌الله صلى‌الله عليه‌وسلم عن يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ما طول هذا اليوم فقال و الذى نفسى بيده انه ليخفف على المؤمن حتى يكون أهون عليه من الصلاة المكتوبة يصليها فى الدنيا رواهما البيهقى فى كتاب البعث و النشور ★ و عن أسماء بنت يزيد عن رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال يحشر الناس فى صعيد واحد يوم القيامة فينادى مناد فيقول أين الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع فيقومون و هم قليل فيدخلون الجنة بغير حساب ثم يؤمر بسائر الناس الى الحساب رواه البيهقى فى شعب الايمان ★ (باب الحوض و الشفاعة) ★

يوم يقوم الناس لرب العالمين بكى نحيبا و لم‌يقدر على قراءة ما بعده (فقال يخفف) أى يوم القيامة (على المؤمن) أى الكامل أو المصلى (حتى يكون) أى طوله (عليه كالصلاة المكتوبة) أى كمقدار أدائها أو قدر وقتها و الظاهر انه يختلف باختلاف أحوال المؤمنين كما أشار اليه سبحانه بقوله تعرج الملائكة و الروح اليه فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة فاصبر صبرا جميلا انهم يرونه بعيدا و نراه قريبا و بقوله فاذا نقر فى الناقور فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير فمفهومه انه على المؤمنين يصير يسيرا اما فى الكمية و اما فى الكيفية و اما فيهما جميعا حتى بالنسبة الى بعضهم يكون هو كساعة و هم من جعلوا الدنيا ساعة و كسبوا فيها طاعة ★(وعنه) أى عن أبى سعيد (قال سئل رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم عن يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ما طول هذا اليوم) أى ما حال الناس فى طول هذا اليوم فهل يستطيعون القيام فيه مع طوله (فقال و الذى نفسى بيده انه) أى الشأن (ليخفف على المؤمن) أى الكامل (حتى يكون أهون عليه من الصلاة المكتوبة) أى من أدائها أو قيامها (يصليها فى الدنيا رواهما) أى الحديثين (البيهقى فى كتاب البعث و النشور ★وعن أسماء بنت يزيد) أى ابن السكن بفتحتين (عن رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم قال يحشر الناس فى صعيد) أى مكان (واحد يوم القيامة فنادى) و فى نسخة فينادى (مناد فيقول أين الذين كانت تتجافى جنوبهم) أى تتنحى و تتباعد (عن المضاجع) و فى الاسناد مجاز و مبالغة لا تخفى اشارة الى قوله تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم أى داعين ربهم عابدين له خوفا و طمعا أى من سخطه و فى رحمته أو من ناره و فى جنته و مما رزقناهم ينفقون فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون و اختلف فى المراد بهم فقيل هم المجتهدون و قيل هم الاوابون و يحتمل أن يراد بهم من يصلى العشاء و الصبح فى جماعة (فيقومون) أى فيظهرون القيام و يتميزون عن سائر الانام (و هم قليل) أى من أهل الاسلام قال تعالى كانوا قليلا من الليل ما يهجعون و قال عزوجل الا الذين آمنوا و عملوا الصالحات و قليل ما هم و قليل من عبادى الشكور (فيدخلون الجنة) يحتمل صيغتى الفاعل و المفعول (بغير حساب) لانهم صبروا على مرارة الطاعة و ترك لذة الراحة و قد قال سبحانه انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب (ثم يؤمر بسائر الناس الى الحساب) أى المحاسبة و المناقشة و العذاب (رواه البيهقى فى شعب الايمان)

★ (باب الحوض و الشفاعة) ★

قال القرطبى له صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم حوضان أحدهما فى الموقف قبل الصراط و الثانى فى الجنة و كلاهما يسمى كوثرا و الكوثر فى كلامهم الخير الكثير ثم الصحيح ان الحوض قبل الميزان

★ (الفصل الاول) ★ عن أنس قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم بينا أنا أسير فى الجنة اذا أنا بنهر حافتاه قباب الدر المجوف قلت ما هذا يا جبريل قال هذا الكوثر الذى أعطاك ربك فاذا طينه مسك أذفر رواه البخارى ★ و عن عبدالله بن عمرو قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم حوضى مسيرة شهر و زواياه سواء ماؤه أبيض من اللبن و ريحه أطيب من المسك و كيزانه كنجوم السماء من يشرب منها فلايظمأ أبدا متفق عليه ★ وعن أبى هريرة قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم ان حوضى أبعد من أيلة من عدن

فان الناس يخرجون عطاشا من قبورهم فيقدم الحوض قبل الميزان و كذا حياض الانبياء فى الموقف قلت و فى الجامع ان لكل نبى حوضا و انهم يتباهون أيهم أكثر وارده و انى أرجو أن أكون أكثرهم وارده رواه الترمذى عن سمرة و قال الراغب الشفع ضم الشئ الى مثله و منه الشفاعة و هو الانضمام الى آخر ناصرا له و سائلا عنه و أكثر ما يستعمل فى انضمام من هو أعلى مرتبة الى من هو أدنى منه و الشفاعة فى القيامة

★ (الفصل الاول) ★ (عن أنس قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم بينا أنا أسير فى الجنة اذا) بالالف (أنا بنهر) بفتح الهاء و يسكن أى جدول (حافتاه) بفتح الفاء أى جانباه و طرفاه (قباب الدر) بكسر القاف جمع قبة بالضم أى خيم اللؤلؤ (المجوف) الذى له جوف و فى وسطه خلاء يسكن فيه (قلت ما هذا يا جبريل) أى النهر المذكور على الوصف المسطور (قال هذا الكوثر الذى أعطاك ربك) اشارة الى قوله تعالى انا أعطيناك الكوثر وهو فوعل من الكثرة والمراد منه الخير الكثير الذى أعطاه ربه من القرآن أو النبوة أو كثرة الامة أو سائر المراتب العلية و منها المقام المحمود و اللواء الممدود و الحوض المورود و لامنافاة بل الكل داخل فى الكوثر و ان كان اشتهاره فى معنى الحوض أكثر (فاذا طينه مسك أذفر) أى شديد الرائحة قال الطيبى رحمه الله أى طيب الريح و الذفر بالتحريك يقع على الطيب و الكريه و يفرق بينهما بما يضاف اليه و يوصف به (رواه البخارى ★ وعن عبدالله بن عمرو) بالواو (قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم حوضى) أى مقداره (مسيرة شهر و زواياه) جمع زواية و هى الجانب و الناحية أى أطراف حوضى (سواء) أى مربع مستو لايزيد طوله على عرضه و قيل عمقه أيضا (ماؤه) استئناف بيان (أبيض من اللبن) قال النووى رحمه الله النحويون يقولون لايبنى فعل التعجب و افعل التفضيل من الالوان و العيوب بل يتوصل اليه بنحو أشد و أبلغ فلايقال ما ابيض زيدا و لا زيد أبيض من عمرو و هذا الحديث يدل على صحة ذلك و حجة على من منعوه و هى لغة و ان كانت قليلة الاستعمال (و ريحه أطيب من المسك و كيزانه) جمع كوز (كنجوم السماء) أى فى الكثرة و النورانية (من يشرب) بالرفع و فى نسخة بالجزم قال الطيبى رحمه الله يجوز ان يكون مرفوعا على ان من موصولة ومجزوما على انها شرطية وقوله (منها) أى من كيزانه و فى رواية منه أى من الحوض أومن مائه (فلايظمأ) برفع الهمز و قيل بالجزم أى فلايعطش (أبدا) فيكون شربه فى الجنة تلذذا كأكله تنعما لقوله تعالى ان لك ان لاتجوع فيها و لاتعرى و انك لا تظمأ فيها و لا تضحى (متفق عليه ★ و عن أبى هريرة قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم ان حوضى) أى بعد ما بين طرفى حوضى (أبعد من ايلة) بفتح فسكون تحتية أى أزيد من بعد ايلة و هى بلدة على الساحل من آخر بلاد الشام مما يلى بحر اليمن (من عدن) بفتحتين يصرف و لايصرف و هو آخر بلاد اليمن مما يلى بحر الهند قال الطيبى رحمه الله

لهو أشد بياضا من الثلج و أحلى من العسل باللبن و لآنيته أكثر من عدد النجوم و انى لاصد الناس عنه كما يصد الرجل ابل الناس عن حوضه قالوا يا رسول‌الله أ تعرفنا يومئذ قال نعم لكم سيما ليست لاحد من الامم تردون على غرا محجلين من أثر الوضوء رواه مسلم و فى رواية له عن أنس قال ترى فيه أباريق الذهب و الفضة كعدد نجوم السماء و فى أخرى له عن ثوبان قال سئل عن شرابه فقال أشد بياضا من اللبن و أحلى من العسل يغت فيه ميزابان

من الاولى متعلقة بابعد و الثانية متعلقة ببعد مقدر ثم التوفيق بين هذا الحديث و بين الخبر الآتى ما بين عدن و عمان و هو بفتح المهملة و تشديد الميم اسم بلد بالشام و ما بين صنعاء و المدينة و نحو ذلك بان ذلك الاخبار على طريق التقريب لا على سبيل التحديد و التفاوت بين اختلاف أحوال السامعين فى الاحاطة به علما قال القاضى رحمه الله اختلاف الاحاديث فى مقدار الحوض لانه صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم قدره على سبيل التمثيل و التخمين لكل أحد على حسب ما رواه و عرفه (لهو) بضم الهاء و يسكن و اللام للابتداء أى لحوضى (أشد بياضا من الثلج) و لعله صلى‌الله تعالى‌عليه‌وسلم رأى الثلج فى أرض الشام (و أحلى) أى ألذ (من العسل باللبن) أى المخلوط به (و لآنيته) جمع اناء أى و لظروفه من كيزانه و غيرها (أكثر من عدد النجوم و انى لاصد) أى ادفع و امنع (الناس) أى المنافقين و المرتدين (عنه) أى الحوض (كما يصد الرجل) أى الراعى (ابل الناس) أى الاجانب (عن حوضه) أى صيانة عن المشاركة و المخالطة (قالوا) أى بعض الصحابة (أ تعرفنا) أى تميزنا من غيرنا (يومئذ قال نعم لكم سيما) بالقصر و قد يمد و هو العلامة قال تعالى سيماهم فى وجوههم من أثر السجود (ليست) أى تلك السيما (لاحد من الامم) اذ المقصود التمييز بمنزلة العلم (تردون) بكسر الراء من الورود أى تمرون (على غرا) جمع الاغر و هو من فى جبهته بياض (محجلين) بتشديد الجيم المفتوحة جمع محجل و هو الذى فى يديه و رجليه بياض (من أثر الوضوء) بضم الواو أى استعماله و فى نسخة بالفتح أى ماء الوضوء و نصبهما على الحال و الظاهر ان المراد بالسيما ما ذكر من الوصفين فهما من مختصات هذه الامة و ان كان الخلاف موجودا فى كون الوضوء هل كان لسائر الانبياء و أممهم أولا و انما كان لهذه الامة و قال بعضهم و كان أيضا للانبياء عليهم‌الصلاة والسلام دون أممهم و فى هذا فضيلة عظمى ومرتبة كبرى للامة المرحومة (رواه مسلم) أى عن أبى‌هريرة (و فى رواية له) أى لمسلم (عن أنس قال ترى) بصيغة المجهول (فيه) أى فى حوضى (أباريق الذهب و الفضة) لعل اختلاف الوصفين باختلاف مراتب الشاربين من الاولياء و الصالحين (كعدد نجوم السماء) أى من كثرتها (و فى أخرى له) أى و فى رواية أخرى لمسلم (عن ثوبان قال سئل) أى النبى صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم على ما هو الظاهر من السياق (عن شرابه) أى صفة مشروبه (فقال أشد بياضا من اللبن و أحلى من العسل يغت) بضم الغين المعجمة و تكسر و بتشديد الفوقية أى يصب و يسيل (فيه) أى فى الحوض (ميزابان) قال القاضى رحمه الله أى يدفق دفقا متتابعا دائما بقوة فكانه من ضغط الماء لكثرته عند خروجه و أصل الغت الضغط و الميزاب بكسر الميم و قال الحافظ أبو موسى بفتحها أيضا من وزب الماء أى سال فاصل ميزاب موزاب قلبت الواو ياء لسكونها و انكسار ما قبلها و لايظهر وجه فتح الميم ففى القاموس أزب الماء كضرب جرى و منه الميزاب أو هو فارسى معرب أى بل الماء فعلى هذا يجوز أن يهمز الميزاب و أن

يمدانه من الجنة أحدهما من ذهب و الآخر من ورق ✱ و عن سهل بن سعد قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم انى فرطكم على الحوض من مر على شرب و من شرب لم‌يظمأ أبدا ليردن على أقوام أعرفهم و يعرفونني ثم يحال بيني و بينهم فاقول انهم مني فيقال انك لاتدرى ما أحدثوا بعدك فاقول سحقا سحقا لمن غير بعدى متفق عليه ✱ و عن أنس ان النبي صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال يحبس المؤمنون يوم القيامة حتى يهموا بذلك فيقولون لو استشفعنا الى ربنا فيريحنا من مكاننا فيأتون آدم فيقولون

يبدل همزه ياء و قال أيضا وزب الماء سال و منه الميزاب أو هو فارسي معرب و معناه بل الماء فعربوه بالهمز و لهذا جمعوه مآزيب (يمدانه) بضم الميم و فى نسخة بضم الياء و كسر الميم أى يزيدان الحوض فى مائه (من الجنة) أى من انهارها أو من الحوض الذى له فى الجنة المعبر عنه بالنهر الكوثر (أحدهما من ذهب و الآخر من ورق) بكسر الراء و يسكن أى من فضة و القصد بهما الزينة باختلاف لون الاصفر و الابيض لا لكون الذهب عزيز الوجود هناك قياسا على ما فى الدنيا و يمكن أن يكون ميزاب الذهب من نهر العسل و ميزاب الفضة من نهر اللبن أو أحدهما من الماء و الآخر من العسل أو اللبن يخلط به فى الحوض و الله تعالى أعلم ✱ (وعن سهل بن سعد قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم انى فرطكم) بفتحتين أى سابقكم و مقدمكم (على الحوض) قال النووى رحمه الله الفرط بفتح الفاء و الراء و هو الفارط الذى يتقدم الوراد يصلح لهم الحياض و الدلاء و الارشية و غيرها من أمور الاستقاء فمعناه أنا سابقكم الى الحوض كالمهيىء لكم (من مر على شرب و من شرب لم‌يظمأ أبدا) قال القاضى عياض رحمه الله ظاهر هذا الحديث يدل على ان الشرب منه يكون بعد الحساب و النجاة من النار (ليردن) من الورود أى ليمرن (على أقوام) أى جماعات (أعرفهم و يعرفونني) قيل لعل هؤلاء هم الذين ذكرهم حيث قال أصحابى (ثم يحال بيني و بينهم فاقول انهم مني) أى من أمتي أو من أصحابى (فيقال انك لاتدرى ما أحدثوا بعدك) أى من الارتداد فان سائر المعاصى لاتمنع المؤمن من ورود الحوض و الشرب من مائه و يدل عليه أيضا قوله (فاقول سحقا) بضم فسكون و يضمان (سحقا) كرر للتأكيد أى بعدا و هلاكا و نصبهما على المصدر و الجملة دعاء بالعذاب (لمن غير) أى دينه (بعدى) أى بعد موتى أو بعد قبول ديني و الدخول فى أمتي (متفق عليه ✱ و عن أنس ان النبي صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم قال يحبس) أى يوقف (المؤمنون يوم القيامة حتى يهموا) بصيغة المفعول أى يحزنوا (بذلك) أى بسبب ذلك الحبس و فى نسخة بفتح الياء و ضم الهاء على بناء الفاعل و ليس بشيء قال التوربشتى رحمه الله هو على بناء المجهول أى يحزنوا لما امتحنوا به من الحبس من قولهم أهمنى الامر اذا أقلقك و أحزنك (فيقولون لو استشفعنا) أى ليت طلبنا أحدا ليشفع لنا (الى ربنا فيريحنا) أى يعطينا الراحة و يخلصنا (من مكاننا) قال الطيبى رحمه الله لو هى المتضمنة للتمنى و الطلب و قوله فيريحنا من مكاننا من الاراحة و نصبه بان المقدرة بعد الفاء الواقعة جوابا للواو المعنى لو استشفعنا أحدا الى ربنا فيشفع لنا فيخلصنا مما نحن فيه من الكرب و الحبس قال فى أساس البلاغة شفعت له الى فلان و أنا شافعه و شفيعه و استشفعنى اليه فشفعت له و استشفع بى قال الاعشى

مضى زمن و الناس يستشفعونى ✱ فهل لى الى ليلى الغداة شفيع

أنت آدم أبو الناس خلقك الله بيده و أسكنك جنته و أسجد لك ملائكته و علمك أسماء كل شئ اشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا فيقول لست هنا كم و يذكر خطيئته التي أصاب أكله من الشجرة و قد نهي عنها و لكن ائتوا نوحا أول نبي بعثه الله الى أهل الارض.

(فيأتون آدم) الظاهر ان المراد بهم رؤساء أهل المحشر لا جميع أهل الموقف (فيقولون) أى بعضهم (أنت آدم) هو من باب قوله ★ أنا أبو النجم و شعرى شعرى ★ و هو مبهم فيه معنى الكمال لايعلم ما يراد منه ففسر بما بعده من قوله (أبو الناس خلقك الله بيده) أى بلا واسطة أو بقدرته الكاملة أو ارادته الشاملة (و أسكنك جنته) فيه ايماء الى حصول المآل و وصول المنال و ما تميل اليه النفس من حسن المال (و اسجد لك ملائكته) أى سجود تحية و فيه اشارة الى كمال الجاه و العظمة (و علمك أسما كل شئ) فيه اشعار باعطاء الفضيلة العظمى و المرتبة الكبرى قال الطيبى رحمه الله وضع كل شئ موضع أشياء أى المسميات لقوله تعالى وعلم آدم الاسماء كلها أى أسماء المسميات ارادة للتقصى أى واحدا فواحدا حتى يستغرق المسميات كلها (اشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا) أى هذا المكان العظيم و الموقف الاليم (فيقول لست هنا كم) قيل هنا اذ الحق به كاف الخطاب يكون للبعد من المكان المشار اليه فالمعنى أنا بعيد من مقام الشفاعة قال القاضى البيضاوى أى يقول آدم عليه الصلاة والسلام لهم لست فى المكان و المنزل الذى تحسبونني فيه يريد به مقام الشفاعة و قال القاضى عياض رحمه الله هو كناية عن ان منزلته دون المنزلة المطلوبة قاله تواضعا و اكبارا لما يسألونه قال و قد يكون فيه اشارة الى ان هذا المقام ليس لى بل لغيرى قال العسقلانى رحمه الله و قد وقع فى رواية فيقول لست لها وكذا فى بقية المواضع و فى رواية ليست لصاحبك ذاك وهو يؤيد الاشارة المذكورة (و يذكر خطيئته التى أصاب) أى اعتذارا عن التقاعد و التأنى عن الشفاعة و الراجع الى الموصول محذوف أى التى أصابها و قوله (أكله من الشجرة) بالنصب بدل من خطيئته أى يذكر أكله من الشجرة ذكره البيضاوى قال الطيبى رحمه الله و يجوز أن يكون بيانا للضمير المبهم المحذوف نحو قوله تعالى فسواهن سبع سموات (و قد نهى) أى آدم عليه الصلاة و السلام (عنها) أى عن الشجرة أو عن الخطيئة و الجملة حال من المفعول (و لكن ائتوا نوحا أول نبى الله الى الارض) استشكلت هذه الاولية بان آدم عليه السلام نبى مرسل و كذا شيث و ادريس و غيرهم و أجيب بان الاولية مقيدة بقوله أهل الارض و يشكل ذلك بحديث جابر فى البخارى فى التيمم و كان النبى يبعث خاصة الى قوم خاصة و يجاب بان العموم لم يكن فى أصل بعثة نوح و انما اتفق باعتبار حصر الخلق فى الموجودين بعد هلاك سائر الناس انتهى و فيه نظر ظاهر لايخفى و قيل ان الثلاثة كانوا أنبياء و لم يكونوا رسلا و يرد عليه حديث أبى ذر عند ابن حبان فانه كالصريح بانزال الصحف على شيث و هو علامة الارسال انتهى و فيه بحث اذ لايلزم من انزال الصحف ان يكون المنزل عليه رسولا لاحتمال ان يكون فى الصحف ما يعمل به بخاصة نفسه و يحتمل أن لايكون فيه أمر و نهى بل مواعظ و نصائح تختص به فالاظهر ان يقال الثلاثة كانوا مرسلين الى المؤمنين و الكافرين و أما نوح عليه السلام فانما أرسل الى أهل الارض و كلهم كانوا كفارا هذا و قد قيل هو نبى مبعوث أى مرسل و من قبله كانوا أنبياء غير مرسلين كآدم و ادريس عليهم الصلاة والسلام فانه جد نوح على ما ذكره المؤرخون قال القاضى عياض قيل ان ادريس هو الياس و هو

نبى من بنى اسرائيل فيكون متأخرا عن نوح فيصح ان نوحا أول نبى مبعوث مع كون ادريس نبيا مرسلا و أما آدم و شيث فهما و ان كانا رسولين الا ان آدم أرسل الى بنيه و لم يكونوا كفارا بل أمر بتعليمهم الايمان و طاعة الله و شيثا كان خلفا له فيهم بعده بخلاف نوح فانه مرسل الى كفار أهل الارض و هذا أقرب من القول بان آدم و ادريس لم يكونا رسولين و قد يقال انه أول نبى بعثه الله بعد آدم على ان شيثا كان خليفة له فاوليته اضافية أو أول نبى بعثه من أولى العزم فالاولية حقيقية و هذا أوفق الاقوال و به يزول الاشكال و الله تعالى أعلم بالحال و فى شرح مسلم قال المازرى قد ذكر المؤرخون ان ادريس جد نوح فان قام دليل على انه ارسل أيضا لم يصح انه قبل نوح لاخبار النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عن آدم عليه الصلاة والسلام ان نوحا أول رسول بعث بعده و ان لم يقم دليل جاز ما قالوه و صح أن يحمل ان ادريس كان نبيا مرسلا قال القاضى عياض و قد قيل ان ادريس هو الياس و انه كان نبيا فى بنى اسرائيل كما جاء فى بعض الاخبار فان كان هكذا سقط الاعتراض و بمثل هذا يسقط الاعتراض بآدم و شيث و رسالتهما الى من معهما و ان كانا رسولين فان آدم انما أسل الى بنيه و لم يكونوا كفارا و كذلك شيث خلفه بعده بخلاف رسالة نوح الى كفار أهل الارض قال القاضى رحمه الله و قد رأيت أبا الحسن ذهب الى ان آدم ليس برسول الله ليسلم من هذا الاعتراض و حديث أبى ذر نص دال على ان آدم و ادريس رسولان و الله سبحانه و تعالى أعلم (فيأتون نوحا فيقول) انى على ما فى نسخة (لست هناكم) قال شارح أى لست فى مكان الشفاعة و أشار بقوله هناكم الى البعد من ذلك المكان و فى شرح مسلم للنووى قال القاضى عياض انما يقولونه تواضعا و اكبارا لما يسألونه و قد يكون اشارة من كل واحد منهم الى ان هذه الشفاعة و هذا المقام ليس له بل لغيره و كل واحد منهم يدل على الآخر حتى ينتهى الامر الى صاحبه و يحتمل انهم علموا ان صاحبها محمد صلى الله تعالى عليه وسلم معينا و يكون احالة كل واحد منهم على الآخر لان تندرج الشفاعة فى ذلك الى نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم و مبادرة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لذلك و اجابته لرغبتهم لتحققه ان هذه الكرامة و المقام له خاصة قال الشيخ محيى الدين رحمه الله و الحكمة فى أن الله تعالى ألهمهم سؤال آدم و من بعده صلوات الله تعالى و سلامه عليهم فى الابتداء و لم يلهموا سؤال نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم اظهارا لفضيلة نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فانهم لو سألوه ابتداء لكان يحتمل ان غيره يقدر على هذا و أما اذا سألوا غيره من رسل الله تعالى و أصفيائه فامتنعوا ثم سألوه فاجاب و حصل غرضهم فهو النهاية فى ارتفاع المنزلة و كمال القرب و فيه تفضيله على جميع المخلوقين من الرسل الآدميين و الملائكة المقربين فان هذا الامر العظيم و هى الشفاعة العظمى لايقدر على الاقدام عليه غيره صلوات الله و سلامه عليه و عليهم أجمعين (و يذكر) أى نوح عليه السلام (خطيئته التى أصاب) يعنى (سؤاله ربه بغير علم) أى قوله ان ابنى من أهلى الى آخره و كان سؤاله انجاء ابنه و كان غير عالم بانه لايجوز هذا السؤال ولذا قال تعالى انه ليس من أهلك انه عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم الى آخره قال الطيبى رحمه الله قوله سؤاله ربه بغير علم مواقع سؤاله هنا موقع أكله فى القرينة السابقة و قوله بغير علم حال من الضمير المضاف اليه فى سؤاله أى صادرا عنه بغير علم و ربه مفعول سؤاله و المراد بالسؤال قوله ان ابنى من أهلى

و لكن ائتوا ابراهيم خليل الرحمن قال فيأتون ابراهيم فيقول انى لست هنا كم و يذكر ثلاث كذبات كذبهن و لكن ائتوا موسى عبدا آتاه الله التوراة و كلمه و قربه نجيا قال فيأتون موسى فيقول انى لست هنا كم و يذكر خطيئته التى أصاب قتله النفس و لكن ائتوا عيسى عبدالله و رسوله و روح الله و كلمته قال فيأتون عيسى فيقول لست هنا كم و لكن ائتوا محمدا عبدا غفر الله له ما تقدم من ذنبه و ما تأخر قال فيأتونى فاستأذن على ربى فى داره فيؤذن لى عليه

و ان وعدك الحق طلب ان ينجيه من الغرق و المراد من قوله بغير علم انه سأل ما لايجوز سؤاله و كان يجب عليه ان لايسأل كما قال تعالى فلا تسألن ما ليس لك به علم و ذلك انه قال ان ابنى من أهلى و ان وعدك الحق أى وعدتنى ان تنجى أهلى من الغرق و ان ابنى من أهلى فنجه قيل له ما شعرت من المراد بالاهل و هو من آمن و عمل صالحا و ان ابنك عمل غير صالح (و لكن ائتوا ابراهيم خليل الرحمن قال فيأتون ابراهيم فيقول انى لست هنا كم و يذكر ثلاث كذبات كذبهن) بالتخفيف أى قالهن كذبا قال البيضاوى رحمه الله أحدى الكذبات المنسوبات الى ابراهيم عليه الصلاة والسلام قوله انى سقيم و ثانيتها قوله بل فعله كبيرهم هذا و ثالثتها قوله لسارة هى أختى و الحق انها معاريض و لكن لما كانت صورتها صورة الكذب سماها أكاذيب و استنقص من نفسه لها فان من كان أعرف بالله و أقرب منه منزلة كان أعظم خطرا و أشد خشية و على هذا القياس سائر ما أضيف الى الانبياء من الخطايا قال ابن الملك الكامل قد يؤاخذ بما هو عبادة فى حق غيره كما قيل حسنات الابرار سيآت المقربين (و لكن ائتوا موسى عبدا آتاه الله) استئناف تعليل و بيان و المعنى أعطاه (التوراة) و هى أول الكتب الاربعة المنزلة (و كلمه) أى بلا واسطة (و قربه نجيا) أى مناجيا له أو مناجى بناء على انه حال من الفاعل أو المفعول (قال فيأتون موسى فيقول انى لست هنا كم و يذكر خطيئته التى أصاب قتله النفس) أى نفس القبطى و فى نسخة قتل النفس بغير ضمير (و لكن ائتوا عيسى عبدالله و رسوله و روح الله) أضافه اليه تشريفا و لانه كان يحيى الموتى (و كلمته) أى خلق بامر كن أو كلمته فى دعوته كانت مستجابة (قال فيأتون عيسى فيقول لست هنا كم) انما قال كذا مع ان خطيئته غير مذكورة لعله لاستحيائه من افتراء النصارى فى حقه بانه ابن الله و نحو ذلك كذا ذكره ابن الملك فى شرح المشارق (و لكن ائتوا محمدا عبدا غفر الله له ما تقدم من ذنبه و ما تأخر) أى فلم يكن له مانع من مقام الشفاعة العظمى قال النووى هذا مما اختلفوا فى معناه قال القاضى قيل المتقدم ما كان قبل النبوة و المتأخر عصمته بعدها و قيل المراد به ما وقع منه صلى الله تعالى عليه وسلم عن سهو و تأويل حكاه الطبرى و اختاره القشيرى رحمه الله و قيل ما تقدم لابيه آدم عليه السلام و ما تأخر من ذنوب أمته و قيل المراد انه مغفور له غير مؤاخذ بذنب لو كان و قيل هو تنزيه له من الذنوب (قال فيأتونى) بتشديد النون و تخفيف كما فى قوله تعالى حكاية عن ابراهيم عليه الصلاة والسلام أتحاجونى فى الله و قد هدان (فأستأذن على ربى) أى فاطلب الاذن منه للأدب مع الرب (فى داره) أى دار ثوابه و هو الجنة و قيل ذلك تحت عرشه قال الطيبى رحمه الله أى فاستأذن فى الدخول على دار ربى (فيؤذن لى عليه) أى فى الدخول على الرب سبحانه قال التوربشتى رحمه الله تعالى اضافة دار الثواب الى الله تعالى هنا كاضافته فى قوله تعالى لهم دار السلام عند ربهم على ان السلام من أسماء الله تعالى على أحد الوجهين و اضافتها الى الله تعالى للشرف والكرامة

فاذا رأيته وقعت ساجدا فيدعني ما شاء الله أن يدعني فيقول ارفع محمد و قل تسمع و اشفع تشفع و سل تعطه قال فارفع رأسي فاثني على ربي بثناء و تحميد يعلمنيه ثم اشفع فيحد لي حدا فاخرج فاخرجهم من النار و أدخلهم الجنة

و المراد بالاستئذان عليه أن يدخل مكانا لايقف فيه داع الا استجيب و لايقوم به سائل الا أجيب و لم يكن بين الواقف فيه و بين ربه حجاب و الحكمة في نقله النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عن موقفه ذلك الى دار السلام لعرض الحاجة هي ان موقف العرض و الحساب موقف السياسة ولما كان من حق الشفيع أن يقوم مقام كرامته فتقع الشفاعة موقعها أرشد صلى الله تعالى عليه وسلم الى النقلة عن موقف الخوف في القيامة الى موقف الشفاعة و الكرامة و ذلك أيضا مثل الذي يتحرى الدعاء في موقف الخدمة ليكون أحق بالاجابة قال القاضي عياض رحمه الله تعالى معناه فيؤذن لي في الشفاعة الموعود بها و المقام المحمود الذي أخره الله تعالى له فاعلمه أنه يبعثه فيه (فاذا رأيته) أي بارتفاع الحجاب عني و في المشارق فاذا أنا رأيته بزيادة أنا قال ابن الملك أي اني رأيتني و هذا التفات من التكلم الى الغيبة (وقعت ساجدا) أي خوفا منه و اجلالا أو تواضعا له و اذلالا أو انبساطا له و ادلالا (فيدعني) أي يتركني (ما شاء الله أن يدعني) أي في السجود ففي مسند أحمد انه يسجد قدر جمعة من جمع الدنيا كذا ذكره السيوطي رحمه الله في حاشية مسلم (فيقول ارفع) أي رأسك من السجود (محمد) أي يا محمد فانك صاحب المقام المحمود (و قل) أي ماشئت (تسمع) بصيغة المجهول أي يقبل قولك أو قل ما ألهمك من الثناء لتسمع أي تجاب (و اشفع) أي فيمن شئت (تشفع) بفتح الفاء المشددة أي تقبل شفاعتك (و سل) أي ما تريد من المزيد (تعطه) بهاء السكت و في نسخة بالضمير أي تعط ما تسأل فالضمير راجع الى المصدر المفهوم من الفعل و هو بمعنى المفعول (قال فارفع رأسي فاثني على ربي بثناء و تحميد يعلمنيه) بتشديد اللام أي يلهمنيه حينئذ و لا أدريه الآن (ثم اشفع) قال القاضي و جاء في حديث أنس و حديث أبي هريرة ابتداء النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بعد سجوده و حمده و الاذن له في الشفاعة بقوله أمتي أمتي (فيحد) بضم الياء و فتح الحاء و في نسخة بالعكس أي فيعين (لي حدا) و هو اما مصدر أو اسم أي مقدارا معينا في باب الشفاعة قال التوربشتي رحمه الله يريد انه يبين لي في كل طور من أطوار الشفاعة حدا أقف عنده فلا أتعداه مثل أن يقول شفعتك فيمن أخل بالجماعات ثم يقول شفعتك فيمن أخل بالجمعات ثم يقول شفعتك فيمن أخل بالصلوات ومثله فيمن شرب الخمر ثم فيمن زنى وعلى هذا ليريه علو الشفاعة في عظم الذنب على مافيه من الشناعة (فاخرج) أي من دار ربي (فاخرجهم من النار و أدخلهم الجنة) قال الطيبي رحمه الله فان قلت دل أول الكلام على ان المستشفعين هم الذين حبسوا في الموقف وهموا و حزنوا لذلك فطلبوا أن يخلصهم من ذلك الكرب و دل قوله فاخرجهم من النار على انهم من الداخلين فيها فما وجهه قلت فيه وجهان أحدهما لعل المؤمنين صاروا فرقتين فرقة سار بهم الى النار من غير توقف و فرقة حبسوا في المحشر و استشفعوا به صلى الله تعالى عليه وسلم فخلصهم مما هم فيه و أدخلهم الجنة ثم شرع في شفاعة الداخلين في النار زمرا بعد زمر كما دل عليه قوله فيحد لي حدا الى آخره فاختصر الكلام و هو من حلية التنزيل و قد ذكرنا ة ونا في فتوح الغيب في سورة هود يرجع اليه مثل هذا الاختصار قلت مراده انه ذكر الفرقة الثانية و اقتصر على خلاصها لانه يفهم منها خلاص الفرقة الاولى بالاولى و قد يقال

ثم أعود الثانية فاستأذن على ربى فى دار، فيؤذن لى عليه فاذا رأيته وقعت ساجدا فيدعنى ما شاء الله أن يدعنى ثم يقول ارفع محمد و قل تسمع و اشفع تشفع و سل تعطه قال فارفع رأسى فاثنى على ربى بثناء و تحميد يعلمنيه ثم أشفع فيحد لى حدا فاخرج فاخرجهم من النار و أدخلهم الجنة ثم أعود الثالثة فاستأذن على ربى فى داره فيؤذن لى عليه فاذا رأيته وقعت ساجدا فيدعنى ما شاء الله أن يدعنى ثم يقول ارفع محمد و قل تسمع و اشفع تشفع و سل تعطه قال فارفع رأسى فاثنى على ربى بثناء و تحميد يعلمنيه ثم أشفع فيحد لى حدا فاخرج فاخرجهم من النار و أدخلهم الجنة حتى ما يبقى فى النار الا من قد حبسه القرآن أى وجب عليه الخلود ثم تلا هذه الآية عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا قال

انه من باب الاكتفاء و ثانيهما أن يراد بالنار الحبس و الكربة و ما كانوا به من الشدة و دنو الشمس الى رؤسهم و حرها و الجامهم العرق و بالخروج الخلاص منها قلت و هذا القول و ان كان مجازا لكنه الى حقيقة الامر أقرب و الى أصل القضية أنسب فان المراد بهذه الشفاعة الكبرى و هى المعبر عنها بالمقام المحمود و اللواء الممدود على ما قاله صلى الله تعالى عليه وسلم آدم و من دونه تحت لوائى يوم القيامة و محط هذه الشفاعة هى الخلاص من الحبس و القيام و الامر بالمحاسبة للانام و أما له صلى الله تعالى عليه وسلم و كذا لغيره من الانبياء و الاولياء و العلماء و الشهداء و الصالحين و الفقراء بعد ذلك شفاعات متعددة فى ادخال بعض المؤمنين الجنة بلا حساب وادخال بعضهم الجنة و لو استحقوا دخول النار و اخراج بعضهم من النار و فى تخفيف عذاب بعضهم و فى ترقى درجات بعضهم فى الجنة و أمثالها و لكن فيه انه لو أريد هذا المعنى لما كررت هذه القضية مرات على ما لايخفى اللهم الا أن يقال ينقسم أهل الموقف من المؤمنين العصاة على أقسام ثلاثة و قال ابن الملك تكون الشفاعة أقساما أولها للاراحة من الموقف و ثانيها لادخالهم الجنة بغير حساب و ثالثها عند المرور على الصراط و رابعها للاخراج من النار فذكر فى الحديث القسمين و طوى الآخرين من البين و الله تعالى أعلم (ثم أعود) أى أرجع الى دار ربى (الثانية) أى المرة الثانية (فاستأذن على ربى فى داره) أى فى دخولها (فيؤذن لى عليه) أى بالدخول عليه (فاذا رأيته) أى ذلك المكان أو رأيت ربى مع تنزيهه عن المكان و عن سائر صفات الحدثان (وقعت ساجدا فيدعنى ما شاء الله أن يدعنى) أى فى مقام الفناء (ثم يقول) ردا لى الى حال البقاء (ارفع محمد و قل تسمع و اشفع تشفع و سل تعطه قال فارفع رأسى فاثنى على ربى بثناء و تحميد يعلمنيه ثم اشفع فيحد لى حدا فاخرج فاخرجهم من النار و أدخلهم الجنة ثم أعود الثالثة فاستأذن على ربى فى داره فيؤذن لى عليه فاذا رأيته وقعت ساجدا فيدعنى ما شاء الله أن يدعنى ثم يقول ارفع محمد و قل تسمع و اشفع تشفع و سل تعطه قال فارفع رأسى فاثنى على ربى بثناء و تحميد يعلمنيه ثم اشفع فيحد لى حدا فاخرج فاخرجهم من النار و أدخلهم الجنة حتى ما يبقى فى النار) أى من هذه الامة (الا من قد حبسه القرآن) أى منعه من خروج النار بان أخبر انه مخلد فى دار الفجار و هذا معنى قول الراوى للحديث عن أنس و هو قتادة من اجلاء التابعين (أى وجب عليه الخلود) أى دل القرآن على خلوده و هم الكفار و معنى وجب أى ثبت و تحقق أو وجب بمقتضى اخباره تعالى فانه لايجوز فيه التخلف أبدا (ثم تلا هذه الآية) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أو أنس أو قتادة تذكرا أو استشهادا أو اعتضادا (عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا قال) أى أنس

وهذا المقام المحمود الذى وعده نبيكم متفق عليه ✱وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة ماج الناس بعضهم فى بعض فيأتون آدم فيقولون اشفع الى ربك فيقول لست لها ولكن عليكم بابراهيم فانه خليل الرحمن فيأتون ابراهيم فيقول لست لها و لكن عليكم بموسى فانه كليم الله فيأتون موسى فيقول لست لها و لكن عليكم بعيسى فانه روح الله و كلمته فيأتون عيسى فيقول لست لها و لكن عليكم بمحمد فيأتونى فاقول أنا لها فاستأذن على ربى فيؤذن لى و يلهمنى محامد أحمده بها لاتحضرنى الآن فاحمده بتلك المحامد و أخر له ساجدا فيقال يا محمد ارفع رأسك و قل تسمع و سل تعطه و اشفع تشفع فاقول يا رب أمتى أمتى فيقال انطلق فاخرج منها من كان فى قلبه مثقال شعيرة من ايمان

وهو أنسب أو قتادة وهو أقرب و يحتمل ان فاعله النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على بعد (و هذا المقام) مبتدأ و خبر موصوف بقوله (المحمود الذى وعده) أى الله سبحانه (نبيكم) و فى نسخة وعد نبيكم بصيغة المجهول و هذا على ان فاعل قال غيره صلى الله تعالى عليه وسلم ظاهر لا اشكال و أما على القول بان القائل هو صلى الله تعالى عليه وسلم فتوجيهه انه وضع المظهر موضع المضمر و كان الاصل أن يقول وعدنيه و قال الطيبى رحمه الله يحتمل أن يكون فاعل قال الراوى و أن يكون النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على سبيل التجريد تعظيما لشأنه و الله سبحانه و تعالى أعلم (متفق عليه ✱ و عنه) أى عن أنس (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا كان يوم القيامة ماج) أى اختلط و اضطرب (الناس بعضهم فى بعض) أى داخلين فيهم أى مقبلين ومدبرين متحيرين فيما بينهم (فيأتون آدم) عليه السلام (فيقولون اشفع) أى لنا (الى ربك) ليأمر بالحساب ثم يجازى بالثواب أو العقاب (فيقول لست لها) أى لست كائنا للشفاعة و لا مختصا بها قال الطيبى رحمه الله اللام فيه مثلها فى قوله تعالى امتحن الله قلوبهم للتقوى الكشاف اللام متعلقة بمحذوف و اللام هى التى فى قوله أنت لهذا الامر أى كائن له و مختص به قال ✱ أنت لها أحمد من بين البشر ✱ و فى قوله انا لها و قوله ليس ذلك لك (و لكن عليكم بابراهيم) أى ألزموه فالباء زائدة أو المعنى تشفعوا و توسلوا به (فانه خليل الرحمن فيأتون ابراهيم فيقول) أى بعد قولهم اشفع الى ربك فاختصر للعلم به أو قبل أن يذكروا هذا الامر بناء على كشف القضية عنه (لست لها و لكن عليكم بموسى فانه كليم الله) أى و يناسبه الكلام فى مرام هذه المقام (فيأتون موسى عليه السلام فيقول لست لها و لكن عليكم بعيسى فانه روح الله وكلمته) أى فان روحه مستطابة وكلمته مستجابة (فيأتون عيسى فيقول لست لها و لكن عليكم بمحمد) عليه السلام أى فانه خاتم النبيين و سيد المرسلين (فيأتونى) بتشديد النون و يخفف (فاقول أنا لها فاستأذن على ربى) أى على كلامه أو على دخول داره (فيؤذن لى و يلهمنى محامد أحمده بها) أى حينئذ (لاتحضرنى الآن فاحمده بتلك المحامد) و هى جمع حمد على غير قياس كمحاسن جمع حسن أو جمع محمدة (و أخر) بكسر الخاء المعجمة و تشديد الراء أى اسقط (له) أى لله تعالى أو لشكره (ساجدا) حال (فيقول يا محمد ارفع رأسك و قل تسمع و سل تعطه و اشفع تشفع فاقول) أى بعد رفع الرأس أو فى حال السجود (يا رب أمتى أمتى) أى ارحمهم و اغفرلهم يوم القيامة و تفضل عليهم بالكرامة و كرره للتأكيد أو أريد بهم السابقون و اللاحقون (فيقال انطلق) أى أذهب (فاخرج من كان فى قلبه مثقال شعيرة) أى وزنها

فانطلق فافعل ثم أعود فاحمده بتلك المحامد ثم أخر له ساجدا فيقال يا محمد ارفع رأسک و قل تسمع و سل تعطه و اشفع تشفع فأقول يا رب أمتي أمتي فيقال انطلق فاخرج من كان في قلبه مثقال ذرة أو خردلة من ايمان فانطلق فافعل ثم أعود فاحمده بتلك المحامد ثم أخر له ساجدا فيقال يا محمد ارفع رأسک و قل تسمع و سل تعطه و اشفع تشفع فاقول يا رب أمتي أمتي فيقال انطلق فاخرج من كان في قلبه أدنى أدنى أدنى مثقال حبة خردل من ايمان فاخرجه من النار فانطلق فأفعل ثم أعود الرابعة فأحمده بتلك المحامد ثم أخر له ساجدا فيقال يا محمد ارفع رأسک و قل تسمع و سل تعطه و اشفع تشفع فاقول يا رب ائذن لي فيمن قال لا اله الا الله قال ليس ذلک لک و لكن و عزتي و جلالي و كبريائي و عظمتي لاخرجن منها من قال لا اله الا الله

قال النووي رحمه الله و الله تعالى أعلم بقدرها (من ايمان) ثم المثقال ما يؤذن به من الثقل بفتحتين و هو اسم لكل سنج و اختلف العلماء في تأويله بحسب اختلافهم في أصل الايمان و التأويل المستقيم هو أن يراد بالامر المقدر بالشعير و الذرة و الحبة و الخردلة غير الشئ الذي هو حقيقة الايمان من الخيرات وهو ما يوجد في القلوب من ثمرات الايمان و لمحات الايقان و لمعان العرفان لان حقيقة الايمان الذي هو التصديق الخاص القلبي و كذا الاقرار المقرر اللساني لايدخلها التجزي و التبعيض و لا الزيادة و لا النقصان على ما عليه المحققون و حملوا ما قاله غيرهم على الاختلاف اللفظي و النزاع الصوري (فانطلق) أي فاذهب (فافعل) أي ما أذن لي بالاخراج ممن عين و بين لي (ثم اعود فاحمده بتلك المحامد ثم أخر له ساجدا فيقال يا محمد ارفع رأسک و قل تسمع وسل تعطه و اشفع تشفع فاقول يا رب أمتي أمتي فيقال انطلق فاخرج من كان في قلبه مثقال ذرة) و هي أقل الاشياء الموزونة و قيل هي الهباء الذي يظهر في شعاع الشمس كرؤس الابر و قيل النملة الصغيرة (أو خردلة من ايمان) يحتمل أن يكون أو للتخيير أو للتنويع أو للشک (فانطلق فافعل ثم أعود فاحمده بتلك المحامد ثم أخر له ساجدا فيقال يا محمد ارفع رأسک و قل تسمع وسل تعطه و اشفع تشفع فاقول يا رب أمتي أمتي فيقال انطلق فاخرج من كان في قلبه أدنى أدنى أدنى مثقال حبة خردلة من ايمان) و كرر أدنى ثلاثا للمبالغة في القلة (فاخرجه من النار فانطلق فافعل ثم أعود الرابعة فاحمده بتلك المحامد ثم أخر له ساجدا فيقال يا محمد ارفع رأسک و قل تسمع وسل تعطه و اشفع تشفع فاقول يا رب ائذن لي فيمن قال لا اله الا الله) أي و لو في عمره مرة بعد اقراره السابق فانه من جملة عمله اللاحق و ان الله لايضيع أجر من أحسن عملا و لاطلاق حديث من قال لا اله الا الله دخل الجنة فانه يشمل دخوله أولا و آخرا قال الطيبي رحمه الله هذا يؤذن بان ما قدر قبل ذلک بمثقال شعيرة ثم بمثقال حبة أو خردل غير الايمان الذي يعبر به عن التصديق و هو ما يوجد في القلوب من ثمرة الايمان و هو على وجهين أن يراد بالثمرة ازدياد اليقين و طمأنينة النفس لان ظاهر الادلة أقوى للمدلول عليه و اثبت لقوته و ان يراد بها العمل و ان الايمان يزيد و ينقص بالعمل و ينصر هذا الوجه حديث أبي سعيد بعد هذا يعني قوله و لم يبق الا أرحم الراحمين فيقبض قبضة من نار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط (قال) أي الله تعالى (ليس ذلک لک و لكن و عزتي و جلالي و كبريائي و عظمتي لاخرجن منها من قال لا اله الا الله) قال القاضي رحمه الله أي ليس هذا لک و انما أفعل ذلک تعظيما لاسمي و اجلالا لتوحيدي و هو مخصوص بعموم قوله صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث أبي هريرة

متفق عليه ★ وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا اله الا الله خالصا من قلبه أو نفسه رواه البخاري ★ و عنه قال أتى النبي صلى الله عليه وسلم بلحم فرفع اليه الذراع و كانت تعجبه فنهس منها نهسة.

أسعد الناس بشفاعتي الحديث على ما سيأتي و يحتمل أن يجرى على عمومه و يحمل على حال و مقام آخر قال الطيبي رحمه الله اذا فسرنا ما يختص بالله تعالى بالتصديق المجرد عن الثمرة و ذكرنا ان ما يختص به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هو الايمان مع الثمرة من ازدياد اليقين أو العمل فلا اختلاف و قال شارح من علمائنا المحققين المعنى ليس اخراج من قال لا اله الا الله من النار لك أى اليك يعني مفوضا اليك و ان كان لك فيهم مكان شفاعة أو لسنا نفعل ذلك لاجلك بل لانا أحقاء بأنا نفعله كرما و تفضلا ثم انه بين بهذا الحديث ان الامر في اخراج من لم يعمل خيرا قط من النار خارج عن حد الشفاعة بل هو منسوب الى محض الكرم موكول اليه و التوفيق بين هذا الحديث و حديث أبي هريرة أسعد الناس الخ أما على الاول فظاهر لانه أخرجهم الله بشفاعته صلى الله تعالى عليه وسلم و أما على المعنى الثاني فهو ان المراد بمن قال لا اله الا الله في الحديث الاول هم الامم الذين آمنوا بانبيائهم لكنهم استوجبوا النار و في الثاني هم من أمته صلى الله تعالى عليه وسلم ممن خلطوا عملا صالحا و آخر سيئا (متفق عليه ★ و عن أبي هريرة عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أسعد الناس بشفاعتي من قال لا اله الا الله خالصا من قلبه) أى لا يشوبه شك و شرك و لا يخلطه نفاق و سمعة و رياء (أو نفسه) شك من الراوي و قيل أسعد هنا بمعنى أصل الفعل و قيل بل على بابه و ان كل أحد يحصل له سعادة شفاعته لكن المؤمن المخلص أكثر سعادة فانه صلى الله تعالى عليه وسلم يشفع في اراحة الخلق من هول الموقف و يشفع في بعض الكفار كأبي طالب في تخفيف عذاب النار و قال الكرماني المراد هو أسعد ممن لم يكن في هذه المرتبة من الاخلاص البالغ غايته و الدليل على التأكيد ذكر القلب اذ الاخلاص محله القلب ففائدته التأكيد كما في قوله تعالى فانه آثم قلبه و قال القاضي رحمه الله أسعد هنا بمعنى السعيد اذ لا يسعد بشفاعته من لم يكن من أهل التوحيد أو المراد بمن قال من لم يكن له عمل يستحق به الرحمة و يستوجب به الخلاص من النار فان احتياجه الى الشفاعة أكثر و انتفاعه بها أوفر قال الطيبي رحمه الله قد سبق ان حلول شفاعته انما هو في حق من أثمر ايمانه اما مزيد طمأنينة أو عمل و تختلف مراتب اليقين و العمل فيكون التفضيل بحسب المراتب و لذلك أكد خالصا بقوله من قلبه أى خالصا كائنا من قلبه و قد علم ان الاخلاص معدنه و مكانه القلب فذكر القلب هنا تأكيد و تقرير كما في قوله تعالى فانه آثم قلبه الكشاف فان قلت هلا اقتصر على قوله فانه آثم و ما فائدة ذكر القلب و الجملة هي الآثمة لا القلب وحده قلت كتمان الشهادة هو ان يضمرها و لا يتكلم بها فلما كان آثما مقترنا بالقلب أسند اليه لان اسناد الفعل الى الجارحة التي يعمل بها أبلغ ألا تراك تقول اذا أردت التوكيد هذا مما أبصرته عيني و مما سمعته اذني و مما عرفه قلبي (رواه البخاري) و في رواية الجامع خالصا مخلصا من قلبه و لم يذكر أو من نفسه ★(و عنه) أى عن أبي هريرة (قال أتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أى جيء (بلحم فرفع اليه الذراع و كانت) أى الذراع (تعجبه فنهس) بالمهملة و قيل بالمعجمة أى فأخذ بمقدم اسنانه (منها) أى من الذراع يعني مما عليها (نهسة) قال القاضي عياض رحمه الله أكثر الرواة رووه بالسين المهملة و رواه ابن هامان

ثم قال أنا سيد الناس يوم القيامة يوم يقوم الناس لرب العالمين و تدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم و الكرب ما لايطيقون فيقول الناس ألا تنظرون من يشفع لكم الى ربكم فيأتون آدم و ذكر حديث الشفاعة و قال فانطلق فآتى تحت العرش فاقع ساجدا لربى ثم يفتح الله على من محامده و حسن الثناء عليه شيأ لم يفتحه على أحد قبلى ثم قال يا محمد ارفع رأسك و سل تعطه و اشفع تشفع فارفع رأسى فاقول أمتى يا رب أمتى يا رب أمتى يا رب فيقال يا محمد ادخل من أمتك من لاحساب عليهم من الباب الايمن من أبواب الجنة و هم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الابواب ثم قال و الذى نفسى بيده ان ما بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة و هجر متفق عليه

بالمعجمة و النهس بالمهملة الاخذ باطراف الاسنان و بالمعجمة الاخذ بالاضراس (ثم قال أنا سيد الناس) أى جميعهم من الانبياء و غيرهم (يوم القيامة) أى حيث يحتاجون الى شفاعتى ذلك اليوم لكرامتى عند الله تعالى فاذا اضطروا أتوا الى طالبين لشفاعتى لهم و يؤيده حديث أنا سيد ولد آدم يوم القيامة و لا فخر و بيدى لواء الحمد و لافخر و ما من نبى يومئذ آدم فمن سواه الا تحت لوائى و أنا أول من تنشق عنه الارض و لا فخر و أنا أول شافع و أول مشفع و لا فخر على ما رواه أحمد و الترمذى و ابن ماجه عن أبى سعيد (يوم يقوم الناس لرب العالمين) قال الطيبى رحمه الله بدل من قوله يوم القيامة و قال ابن الملك يحتمل ان يكون جواب سائل قال ما يوم القيامة قلت و يمكن أن يكون منصوبا باعنى مقدرا أو مرفوعا بتقدير مبتدأ محذوف هو هو و فتح يوم على الحكاية (و تدنو الشمس) أى تقرب من رؤس الناس (فيبلغ الناس) بالنصب أى فيلحقهم و فى نسخة بالرفع أى فيصلون (من الغم) أى من أجله و سببه (و الكرب) و هو الهم الشديد الحاصل من القيام و دنو الشمس المترتب عليه الحر التام الموجب للعرق على وجه الالجام (ما لايطيقون) أى ما لايقدرون على الصبر عليه فيجزعون و يفزعون (فيقول الناس) أى بعضهم لبعض (ألا تنظرون) أى ألا تتاملون و لا تتفكرون أو لا تبصرون (من يشفع لكم الى ربكم) أى ليريحكم من هذا الهم و الغم (فيأتون آدم عليه السلام و ذكر) أى أبوهريرة أو النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (حديث الشفاعة) أى بطوله كما سبق (و قال فانطلق) أى فاذهب (فآتى) بالمد أى فاجىء (تحت العرش) قيل وجه الجمع بينه و بين حديث أنس رضى الله تعالى عنه على ربى فى داره ان يقال داره الجنة و الجنة تحت العرش و قيل حديث أنس فى الجنة و حديث أبى هريرة فى الموقف (فاقع ساجدا لربى ثم يفتح الله على من محامده و حسن الثناء عليه شيأ لم يفتحه على أحد قبلى ثم قال يا محمد ارفع رأسك سل تعطه) جملة مستأنفة (واشفع تشفع فارفع رأسى فأقول أمتى يا رب أمتى يا رب أمتى يارب) ثلاث مرات للتأكيد و المبالغة أو اشارة الى طبقات العصاة (فيقال يا محمد ادخل من أمتك من لاحساب عليهم من الباب الايمن من أبواب الجنة و هم) أى من لاحساب عليهم (شركاء الناس فيما سوى ذلك من الابواب) أى ليسوا ممنوعين من سائر الابواب بل هم مخصوصون للعناية بذلك الباب (ثم قال و الذى نفسى بيده ان ما بين المصراعين) بكسر الميم أى الميم أى البابين المضروبين على مدخل واحد (من مصاريع الجنة كما بين مكة و هجر) بفتحتين مصروفا و قد لايصرف ففى الصحاح هجر اسم بلد مذكر مصروف و قال شارح هى قرية من قرى البحرين و قيل من قرى المدينة و الاول هو المعول قال المظهر المصراعان البابان المغلقان على منفذ واحد و المصراع مفعال من الصرع و هو الالقاء و انما سمى الباب المغلق مصراعا لانه كثير الالقاء و الدفع (متفق عليه

★ و عن حذيفة فى حديث الشفاعة عن رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال و ترسل الامانة و الرحم فتقومان جنبتى الصراط يمينا و شمالا رواه مسلم ★ و عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم تلا قول الله تعالى فى ابراهيم رب انهن اضللن كثيرا من الناس فمن تبعنى فانه منى و قال عيسى أن تعذبهم فانهم عبادك فرفع يديه فقال اللهم أمتى أمتى و بكى فقال الله تعالى يا جبريل اذهب الى محمد و ربک أعلم فسله ما يبكيک فاتاه جبريل فسأله فاخبره رسول‌الله صلى‌الله عليه‌وسلم بما قال فقال‌الله تعالى لجبريل اذهب الى محمد فقل أناسنرضيک فى أمتک و لانسوءك

★ وعن حذيفة فى حديث الشفاعة عن رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم قال وترسل الامانة والرحم فتقومان جنبتى الصراط) بفتحات أى بجانبيه (يمينا وشمالا) قال التوربشتى رحمه الله يريد بجنبتى الصراط ناحيتيه اليمنى و اليسرى و المعنى أن الامانة و الرحم لعظمة شأنهما و فخامة أمرهما مما يلزم العباد من رعاية حقهما يمثلان هنالک للامين و الخائن و الواصل و القاطع فيحاجان عن المحق الذى راعاهما و يشهدان على المبطل الذى اضاعهما ليتميز كل منهما و قيل يرسل من الملائكة من يحاج لهما و عنهما و فى الحديث حث على رعاية حقهما و الاهتمام بامرهما و قال الطيبى رحمه الله و يمكن أن تحمل الامانة على الامانة العظمى و هى ما فى قوله تعالى انا عرضنا الامانة على السموات و الارض و الجبال و صلة الرحم صلتهما الكبرى و هى ما فى قوله تعالى يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة الى قوله تعالى و اتقوا الله الذى تساءلون به و الارحام فيدخل فى الحديث معنى التعظيم لامر الله و الشفقة على خلق الله و كانهما اكتنفا جنبى الاسلام الذى هو الصراط المستقيم و قطرى الايمان و الدين القويم (رواه مسلم ★ و عن عبد الله بن عمرو ابن العاص ان النبى صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم تلا قول الله تعالى فى ابراهيم) عليه‌السلام أى فى‌سورته أو حاكيا فى حقه (رب انهن) أى الاصنام (اضللن كثيرا من الناس) أى صرن سبب ضلال كثير منهم (فمن تبعنى) أى فى التوحيد و الاخلاص و التوكل (فانه منى) أى من اتباعى و اشياعى و تمامه (و من عصانى فانک غفور رحيم) أى تغفر ما دون الشرك لمن تشاء و ترحمه بالتفضل على من تشاء أو تغفر للعاصى المشرك بان توفقه للايمان و الطاعة فى الدنيا و ترحم عليه بزيادة المثوبة فى العقبى (و قال عيسى عليه‌السلام) قال النووى رحمه الله هو مصدر يقال قال قولا و قالا و قيلا و قد أضاف الى عيسى عطفا على مفعول تلا أى تلا قول الله و قول عيسى (أن تعذبهم فانهم عبادك) و آخره (و أن تغفر لهم فانک أنت العزيز الحكيم) أى لايغلبک شئ فانک القوى القادر و تحكم بما تشاء فانت الحاكم الذى لا معقب لحكمه أو الحكيم الذى يضع الاشياء فى موضعها و يتقن الافعال و يحسنها (فرفع) أى النبى صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم (يديه) أى كريمتيه (فقال اللهم أمتى أمتى) أى اللهم اغفر لامتى اللهم ارحم أمتى و لعل هذا وجه التكرار أو أريد به التأكيد أو قصد به الاولون و الآخرون (و بكى) لانه تذكر النبى صلى‌الله‌تعالى‌عليه وسلم الشفاعة الصادرة عن الخليل و روح الله فرق لامته (فقال الله تعالى يا جبريل اذهب الى محمد و ربک أعلم) جملة معترضة حالية دفعا لما يوهمه قوله (فاسأله) بالهمز و النقل (ما يبكيک فاتاه جبريل فسأله فاخبره رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم بما قال) أى بشئ قاله النبى صلى‌الله تعالى‌عليه‌وسلم من سبب البكاء وهو الخوف لاجل أمته (فقال الله لجبريل اذهب الى محمد فقل أنا) أى بعظمتنا (سنرضيک) أى سنجعلک راضيا (فى أمتک) أى فى حقهم (و لانسوءك)

رواه مسلم ★ و عن أبی سعید الخدری ان ناسا قالوا یا رسول‌الله هل نری ربنا یوم القیامة قال رسول‌الله صلی‌الله‌تعالی‌علیه‌وسلم نعم

أی و لانحزنک فی حق الجمیع بل ننجیهم و لاجل رضاك نرضیهم وهو فی المعنی تأکید اذ ربما یتوهم من سنرضیک نرضیک فی حق البعض و لذا قال بعضهم ما یرضی محمد و أحد من أمته فی النار قال الطیبی رحمه الله لعله علیه‌الصلاة والسلام أتی بذکر الشفاعة التی صدرت عن النبیین عن الخلیل بتقدیر الشرط و الصیغة الشرطیة لان المعنی ان الاصنام اضللن کثیرا من الناس فمن تاب من عبادتها و تبعنی فی التوحید فانه متصل بی فاقبل شفاعتی فیهم فلابد من تقدیر تاب لأنه مصحح الشفاعة فی حق المشرکین قلت انما یحتاج تقدیر تاب فی الشرطیة الثانیة و هی قوله و من عصانی قال و عن روح الله کذلک لان الضمیر فی تغفر لهم راجع الی من اتخذه و أمه الهین من دون الله فیکون التقدیر أن تغفر لهم بعد ما تابوا عن ذلک فانک غفور رحیم قلت لایلائمه ما قبله و هو قوله أن تعذبهم فانهم عبادك مع ان هذا الکلام یصدر عنه یوم القیامة و لایمکن تقدیر التوبة هناك ثم الجزاء فی الآیة انما هو قوله فانک أنت العزیز الحکیم فی کلام عیسی علیه‌الصلاة والسلام و أما قوله فانک غفور رحیم جزاء للشرطیة الواقعة فی کلام ابراهیم و من عصانی فانک غفور رحیم ثم قال و عقبه بقوله اللهم أمتی أمتی لیبین لهم الفرق بین الشفاعتین و یبین ما بین المنزلتین و فیه ان هذا البیان یحتاج الی البرهان و التبیان فان العرض بطریق الکنایة أبلغ من التصریح بالدعاء کما هو مقرر عند أرباب الفناء و البقاء و کذلک طریق التفویض و التسلیم و الرضا بالقضاء و لایظهر بیان للمدعی و لاتبیان للمعنی فی قوله و تحریره ان قوله أمتی أمتی متعلق بمحذوف اما أن یقدر شفعنی فی أمتی و ارضنی فیها أو أمتی ارحمهم وارضنی بالشفاعة فیهم و الحذف لضیق المقام و شدة الاهتمام قلت یحتاج أیضا هذا الکلام الی توضیح المرام قال و هذا یدل علی الجزم و القطع قلت الدعاء لایکون بطریق القطع اذ لا حکم علی الله سبحانه فمآل الطریقین فی الدعاء واحد و لیس لهذا المقصد جاحد قال و التکریر لمزید التقریر قلت قد تقدم وجوه أخر و الأظهر انه من مستحبات الدعاء فان الالحاح من العبد فی المسئلة لاینافی الرضا بالقضاء قال و من ثم أجیب فی الحدیث بقوله أنا سنرضیک حیث أتی بان و ضمیر التعظیم و سین التأکید ثم اتبعه بقوله لانسوءك تقریرا بعد تقریر علی الطرد و العکس و فی التنزیل و لسوف یعطیک ربک فترضی زید لام الابتداء علی حرف الاستقبال و لفظة ربک و جمع بین حرفی التأکید و التاخیر فیکون المعنی و لانت سوف یعطیک ربک و ان تأخر العطاء و قوله و ربک أعلم من باب التتمیم صیانة عما لاینبغی أن یتوهم فهو کقوله و الله یعلم انک لرسوله فی قوله تعالی قالوا نشهد انک لرسول‌الله و الله یعلم انک لرسوله و الله یشهد ان المنافقین لکاذبون قال النووی رحمه الله هذا الحدیث مشتمل علی أنواع من الفوائد منها بیان کمال شفقته صلی‌الله تعالی‌علیه‌وسلم علی أمته و اعتنائه بمصالحهم و اهتمامه فی أمرهم و منها البشارة العظیمة لهذه الأمة المرحومة بما وعده الله تعالی بقوله سنرضیک فی أمتک و لانسوءك و هذا من أرجی الاحادیث لهذه الامة ومنها بیان عظم منزلة النبی صلی‌الله‌تعالی‌علیه‌وسلم عند الله تعالی والحکمة فی ارسال جبریل علیه‌الصلاة‌والسلام لسؤاله صلی‌الله‌تعالی‌علیه‌وسلم اظهارا لشرفه وانه بالمحل الاعلی فیرضی ویکرم (رواه مسلم) و کذا البخاری و النسائی ذکره السید ★ (و عن أبی سعید الخدری ان ناسا

هل تضارون فى رؤية الشمس بالظهيرة صحوا ليس معها سحاب و هل تضارون فى رؤية القمر ليلة البدر صحوا ليس فيها سحاب قالوا لا يا رسول‌الله قال ما تضارون فى رؤية الله يوم القيامة الا كما تضارون فى رؤية أحدهما اذا كان يوم القيامة اذن مؤذن ليتبع كل أمة ما كانت تعبد فلايبقى أحد كان يعبد غير الله من الاصنام و الانصاب

قالوا يا رسول‌الله هل نرى ربنا يوم القيامة قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم نعم) أى ترون ربنا ذكر السيوطى رحمه الله فى بعض تعاليقه ان رؤية الله تعالى يوم القيامة فى الموقف حاصلة لكل أحد من الرجال و النساء حتى قيل للمنافقين و الكافرين أيضا ثم يحجبون بعد ذلك ليكون عليهم حسرة و أقول و فيه بحث لقوله تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون و لقوله صلى‌الله‌تعالى عليه‌وسلم على ما سيأتى حتى اذا لم‌يبق الا من كان يعبد الله أتاهم رب العالمين و لان لذة النظر و لو مرة تنسى كل محنة و شدة بل يرتفع به كل حسرة اذ من المعلوم ان النظر لايوجد دائما لاهل الجنة أيضا قال و أما الرؤية فى الجنة فأجمع أهل السنة على انها حاصلة للانبياء و الرسل و الصديقين من كل أمة و رجال المؤمنين من البشر من هذه الامة و فى نساء هذه الامة ثلاث مذاهب لايرين و يرين و يرين فى مثل أيام الاعياد دون غيرها و فى الملائكة قولان لايرون ربهم و يرونه و فى الجن أيضا خلاف (هل تضارون) بضم التاء و فتحها مع تشديد الراء و تخفيفها قال شيخنا المرحوم مولانا عبد الله السندى ففيه أربعة أوجه لكن فيه نظر لان ضم التاء مع التشديد ظاهر لانه من باب المفاعلة مع احتمال بنائه للفاعل أو المفعول و كذلك فتح التاء مع التشديد فانه من باب التفاعل على حذف احدى التائين و هو يتعين أن يكون بصيغة الفاعل و أما ضم التاء مع تخفيف الراء فمبنى على انه للمجهول من ضاره يضيره أو يضوره على ما فى‌القاموس بمعنى ضره و أما فتح التاء مع الراء المخففة فلاوجه له بحسب القواعد العربية و المعنى هل تتدافعون و تتزاحمون ليحصل لكم ضرر (فى رؤية الشمس بالظهيرة) أى وقت انتصاف النهار (صحوا) أى حين لا سحاب و لا غبار من أصحت السماء اذا خلت من الغيم كذا ذكره شارح و فى القاموس الصحو ذهاب الغيم فقوله (ليس معها سحاب) تأكيد و المراد بالسحاب الحجاب أعم من أن يكون من جانب الرائى أو من جانب المرئى ثم أكد ثالثا و أظهر مثالا آخر بقوله (و هل تضارون فى رؤية القمر ليلة البدر صحوا ليس فيها) أى فى السماء بقرينة المقام و أن لم‌يجر لها ذكرا و فى جهة رؤية القمر من السماء (سحاب) أى مانع و حجاب (قالوا لا يا رسول‌الله قال ما تضارون فى رؤية الله يوم القيامة) أريد به الموقف و ما بعده من دخول الجنة (الا كما تضارون فى رؤية أحدهما) و فيه مبالغة و تعليق بالمحال أى لو كان فى رؤية أحدهما مضارة لكان فى رؤيته مضارة و التشبيه انما هو لمجرد الظهور و تحقق الرؤية مع التنزه عن صفات الحدوث من نحو المقابلة و الجهة و لعل ذكر الشمس و القمر للاشعار بان رؤية الله حاصلة للمؤمنين فى الليل و النهار على غاية من الظهور و نهاية من الانوار و ايماء الى تفاوت التجلى الربانى بالنسبة الى الابرار (اذا كان يوم القيامة اذن مؤذن) أى نادى مناد (ليتبع) بتشديد التاء المفتوحة و كسر الموحدة و فى نسخة بالسكون و الفتح أى ليعقب (كل أمة ما كانت تعبد فلايبقى أحد كان يعبد غير الله من الاصنام) بيان غير الله (و الانصاب) جمع نصب بفتح النون و ضمها و سكون الصاد و بضمان و هى حجارة كانت تنصب و تعبد من دون الله تعالى و يذبحون عليها تقربا الى آلهتهم و كل

الايتساقطون فى النار حتى اذا لم يبق الا من كان يعبد الله من بر و فاجر أتاهم رب العالمين قال فماذا تنظرون يتبع كل أمة ما كانت تعبد قالوا يا ربنا فارقنا الناس

ما نصب و اعتقد تعظيمه من الحجر و الشجر فهو النصب (الايتساقطون فى النار) لان الانصاب و الاصنام ملقاة فيها (حتى اذا لم يبق الا من كان يعبد الله) أى وحده (من بر) أى مطيع صالح (و فاجر) أى عاص فاسق (اتاهم رب العالمين) أى أتاهم أمره كما أشار اليه بقوله (قال) أى الرب (فما ذا تنظرون) أى تنتظرون و يجوز ان يعبر بالاتيان عن التجليات الالهية و التعريفات الربانية بل قيل هو القول الحق و هو بالاعتبار أولى و أحق و قيل الاتيان هنا عبارة عن رؤيتهم اياه لان من غاب عن غيره لايمكن رؤيته الا بعد الاتيان فعبر بالاتيان عن الرؤية مجازا و قيل الاتيان فعل من أفعال الله سبحانه سماه اتيانا و قيل المراد اتيان بعض الملائكة قال القاضى عياض رحمه الله و هذا الوجه أشبه عندى بالحديث أو يكون معناه يأتيهم الله فى صورة الملائكة مخلوقاته التى لاتشبه صفات الاله ليختبرهم فاذا قال لهم الملك أو هذه الصورة انا ربكم و رأوا عليه من علامة المخلوق ينكرونه و يعلمون انه ليس ربهم فيستعيذون بالله منه و قيل الرؤية حقيقة غير انا لانكيف ذلك و قيل كنه معرفتها الى علم الله تعالى و قال التوربشتى رحمه الله اتيان الله فى الكتاب مفسر باتيان أمره و اتيان بأسه و لفظ التنزيل محتمل لكلا القولين فاما هذا الحديث فانه يؤول على اتيان أمره و هو قوله فما ذا تنظرون و من السلف من تنزه عن تأويله خشية الخطأ مع تمسكه بعروة الوثقى و هى تنزيه الله تعالى عن الاتصاف بما تتحدث به النفوس من أوصاف الخلق قال الشيخ الامام أبو الفتوح العجلى فى كتاب الا قاويل المشهورة قال البيهقى قد تكلم الشيخ أبو سليمان الخطابى رحمه الله فى تفسير هذا الحديث و تأويله بما فيه الكفاية قال ان هذا موضع يحتاج الكلام فيه الى تأويل و تخرج و ليس ذلك من أجل انا ننكر رؤية الله سبحانه و تعالى بل نثبتها و لا من أجل أنا ندفع ما جاء فى الكتاب و السنة من ذكر المجىء و الاتيان غير انا لانكيف ذلك و لانجعله حركة و انتقالا كمجىء الاشخاص و اتيانها فان ذلك من نعوت الحادث تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا و يجب ان يعلم ان الرؤية التى هى ثواب الاولياء و كرامة لهم فى الجنة غير هذه الرؤية المذكورة فى مقامهم و احتج بحديث صهيب فى الرؤية يعنى كما سيجىء فى باب رؤية الله تعالى و انما تعرضهم لهذه الرؤية امتحان من الله تعالى لهم فيقع بها التمييز بين من عبد الله تعالى و بين من عبد الطواغيت ليتبع كل من الفريقين معبوده و ليس ننكر أن يكون الامتحان اذ ذاك بعد قائما و حكمه على الخلق جاريا حتى يفرغ من حساب و يقع الجزاء بما يستحقونه من الثواب أو العقاب ثم ينقطع اذا حقت الحقائق و استقرت أمور العباد قرارها الاترى الى قوله تعالى يوم يكشف عن ساق و يدعون الى السجود فلايستطيعون و جاء فى الحديث ان المؤمنين يسجدون و يصير ظهور المنافقين طبقا واحدا قال و يخرج معنى اتيان الله فى هذا اياهم انه يشهدهم رؤيته ليتيقنوه فيكون معرفتهم له فى الآخرة عيانا كما كان اعترافهم بربوبيته فى الدنيا علما و استدلالا و يكون طريق الرؤية بعد ان لم يكن بمنزلة اتيان الآتى من حيث لم يكونوا شاهدوه ثم قوله فماذا تنظرون أى قلنا لكم ليتبع كل أمة ما كانت تعبد فبعضكم اتبع ما عبده فلم أنتم أيضا لاتتبعونه و هذا معنى قوله (يتبع كل أمة ما كانت تعبد) فان لفظه خبر و معناه أمر (قالوا يا ربنا فارقنا الناس) أى الذين عبدوا غير الله فضلا عن أن

فى الدنيا أفقر ما كنا اليهم و لم نصاحبهم و فى رواية أبى هريرة فيقولون هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فاذا جاء ربنا عرفناه و فى رواية أبى سعيد فيقول هل بينكم و بينه آية تعرفونه فيقولون نعم فيكشف عن ساق فلايبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه الا أذن الله له بالسجود و لايبقى من كان يسجد اتقاء و رياء الاجعل الله ظهره طبقة واحدة كلما أراد أن يسجد خر على قفاه

تعبد ما سواه فى الدنيا و المعنى ما اتبعناهم ما دمنا فى الدنيا (أفقر ما كنا اليهم) بالنصب على الظرفية أى فى أفقر أكواننا الى الناس (و لم نصاحبهم) أى فى أفعالهم بل قاتلناهم و حاربناهم و عاديناهم و قاطعناهم لمرضاتك و رجاء لتجلياتك و حاصله انا ما اتبعناهم حينئذ و الامر غيب عنا و نحن محتاجون اليهم فكيف تتبعهم الآن وقت العيان انهم و ما يعبدون من دون الله حصب جهنم قال الطيبى رحمه الله أفقر حال من ضمير فارقنا و ما مصدرية و الوقت مقدر قال النووى رحمه الله معناه انهم تضرعوا الى الله تعالى و لجؤا اليه و توسلوا بهذا القول المشعر بالاخلاص الى الخلاص يعنى ربنا فارقنا الناس فى الدنيا الذين زاغوا عن طاعتك من الا قرباء و ممن يحتاج اليهم فى المعاش و المصالح الدنيوية و هكذا كان دأب الصحابة و من بعدهم من المؤمنين فى جميع الأزمان فانهم كانوا يقاطعون من حاد الله و رسوله مع حاجتهم اليه و آثروا رضا الله تعالى على ذلك (و فى رواية أبى هريرة فيقولون هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا) أى يتجلى علينا بوجه نعرفه (فاذا جاء ربنا) أى على ما عرفناه من انه منزه عن الصورة و الكمية و الكيفية و الجهة و امثالها (عرفناه) أى حق المعرفة قيل يشبه و الله تعالى أعلم أن يكون انما منعهم عن تحقق الرؤية فى الكرة الاولى حتى قالوا هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا من أجل من معهم من المنافقين لايستحقون الرؤية و هم عن ربهم محجوبون فلما ميزوا عنهم ارتفع الحجاب فقالوا عند ما رأوه أنت ربنا و هذا معنى قوله (و فى رواية أبى سعيد فيقول هل بينكم و بينه) أى بين ربكم (آية) أى علامة (تعرفونه) أى بتلك الآية و هى المعرفة و المحبة التى هى نتيجة التوحيد و ثمرة الايمان و التصديق (فيقولون نعم فيكشف عن ساق) بصيغة المجهول و قيل على بناء الفاعل قيل معنى كشف الساق زوال الخوف و الهول (فلايبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه) أى من نحوها و جهتها مخلصا لا لجهة اتقاء الخلق و تعلق الرجاء بهم (الا أذن الله له بالسجود و لايبقى من كان يسجد اتقاء) أى احتراسا من السيف أو خوفا من الناس (و رياء) أى مراياة و مسامعة للخلق (الا جعل الله ظهره طبقة واحدة) و فى شرح مسلم للنووى رحمه الله قوله طبقة واحدة أى صفحة أى صار فقار ظهره واحدة كالصفحة (كلما أراد أن يسجد خر) أى سقط (على قفاه) قال الشيخ رحمه الله و الذى يوضح ما ذكره الامام أبو سليمان أن الدنيا و ان كانت دار ابتلاء فقد يتحقق الجزاء فى بعض الاحوال كما قال تعالى و ما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم فكذا الآخرة و ان كانت دار جزاء فقد يقع بها الابتلاء أى بالتجلى و السجود و نحوهما بدليل أن القبر هو أول منزل من منازل الآخرة يجرى فيه الابتلاء ثم قال فلئن كان معنى الخبر هذا فذاك و الا فمعناه ما أراد صلى الله تعالى عليه وسلم مع تنزيه الله تعالى عن كل مماثلة و مشابهة و قال النووى رحمه الله هذا السجود امتحان من الله تعالى لعباده و قد استدل بهذا و بقوله تعالى يدعون الى السجود فلايستطيعون على جواز تكليف ما لايطاق أقول الاظهر ما قال العسقلانى من أن التحقيق هو أن التكليف خاص بالدنيا و اما مايقع فى القبر و فى الموقف فانما هو من آثار ذلك قال النووى رحمه الله و قد يتوهم من هذا الحديث

ثم يضرب الجسر على جهنم و تحل الشفاعة و يقولون اللهم سلم سلم فيمر المؤمنون كطرف العين و كالبرق و كالريح و كالطير و كاجاويد الخيل و الركاب فناج مسلم و مخدوش مرسل و مكدوش فى نار جهنم حتى اذا خاص المؤمنون من النار

ان المنافقين يرون الله تعالى و انما فيه ان الجمع الذى فيهم المؤمنون و المنافقون يرون الله تعالى ثم يمتحن بالسجود فمن سجد كان مخلصا و من لم يقدر عليه كان منافقا و هذا لايدل على ان المنافقين يرون الله تعالى (ثم يضرب) أى يجعل و يمد (الجسر) بكسر الجيم و يفتح ففى القاموس الجسر الذى يعبر عليه و يكسر و المعنى موضع الصراط كما فى رواية (على جهنم) أى متنها أو وسطها (و تحل الشفاعة) بكسر الحاء و بضم أى تقع و يؤذن فيها (فيقولون) أى الانبياء و الرسل بدليل حديث أبى هريرة بعد هذا (اللهم سلم سلم) تكراره مرتين المراد به الكثرة أو باعتبار كل واحد من أهل الشفاعة أو للالحاح فى الدعاء كما هو من آدابه و هو أمر مخاطب أى يقول كل نبى اللهم سلم أمتى من ضرر الصراط اللهم اجعلهم سالمين من آفاته آمنين من مخافاته (فيمر المؤمنون كطرف العين) و فى المصابيح كطرفة العين قال شارح له التاء للوحدة يقال طرف طرفا اذا اطبق أحد جفنيه على الآخر (و كالبرق و كالريح و كالطير) أى بحسب مقاماتهم و على قدر حالاتهم من أنواع الجذبة و قوة الطيران و سرعة الجريان المعبر عنه بقوله (و كاجاويد الخيل) هى جمع اجواد و هو جمع جواد و هو الفارس السابق الجيد كذا فى النهاية فجواد نعت من جاد اذا أسرع فى السير و هو من أضافة الصفة الى الموصوف و قوله (و الركاب) بكسر الراء عطف على الخيل و المراد بها الابل و لا واحد له من لفظه (فناج) الفاء للتفريع أو التفصيل و قد قسم المارة على الصراط بطريق الاجمال على ثلاث فرق بحسب مراتبهم فى العقيدة و العمل و المعرفة و المعنى فمنهم ناج (مسلم) بتشد اللام المفتوحة أى ينجو من العذاب و لايناله مكروه من ذلك الباب (و مخدوش) أى و منهم مجروح (مرسل) أى مخاص قال شارح أى الذى يخدش بالكلوب فيرسل الى النار من عصاة أهل الايمان و قوله مرسل أى مطلق من القيد و الغل بعد ان عذبوا مدة (و مكدوس) بالسين المهملة أى و منهم مدفوع (فى نار جهنم) يقال كدس اذا دفع من ورائه فسقط و هم الذين لا منجأ و لا ملجأ لهم المقضيون بالخلود عليهم كذا قاله شارح و هو غير صحيح لقوله عليه الصلاة والسلام و يمر المؤمنون اللهم الا أن يقال قوله فناج عطف على قوله فيمر لا أنه تفريع له و الضمير فى منهم المقدر راجع الى جميع المارة على الجسر و روى بالشين المعجمة من كدشه اذا ساقه سوقا شديدا و خدشه و جرحه و طرده و روى مكدوش أى ملقى فى نار جهنم قال النووى رحمه الله مكدوس بالسين المهملة هكذا هو فى الاصول و كذا نقله القاضى عياض عن أكثر الرواة قال و رواه العذرى بالشين المعجمة و معناه بالمعجمة السوق الشديد و بالمهملة كون الاشياء بعضها راكبة على بعض و منه تكدست الدواب فى سيرها اذا ركب بعضها بعضا و فى النهاية مكدوس فى النار أى جمعت يداه و رجلاه و ألقى فيها قال الطيبى رحمه الله قسم المارة على الصراط من المؤمنين على ثلاث فرق قسم مسلم فلايناله شئ أصلا و قسم يخدش ثم يرسل فيخاص و قسم يكردس و يلقى فيسقط فى جهنم و خدش الجلد قشره بعود (حتى اذا خاص) بفتح اللام أى نجا (المؤمنون من النار) أى من وقوعهم فيها نحتى غاية لمرور البعض على الصراط و سقوط البعض

فوالذى نفسى بيده ما من أحد منكم بأشد مناشدة فى الحق قد تبين لكم من المؤمنين لله يوم القيامة لاخوانهم الذين فى النار يقولون ربنا كانوا يصومون معنا و يصلون و يحجون فيقال لهم اخرجوا من عرفتم فتحرم صورهم على النار فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا ما بقى فيها أحد ممن أمرتنا به فيقول ارجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال دينار من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال نصف دينار من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال ذرة من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها خيرا

فى النار و قال الطيبى رحمه الله حتى غاية قوله مكدوس فى نار جهنم أى يبقى المكدوس فى النار حتى يخلص بعد العذاب بمقدار ذنبه أو بشفاعة أحد أو بفضله سبحانه وضع المؤمنون موضع الراجع الى المكدوس اشعار بالعلية و أن صفة الايمان منافية للخلود فى النار (فوالذى نفسى بيده) جواب اذا (ما من أحد منكم) خطاب للمؤمنين و قوله (بأشد) خبر ما و قوله (مناشدة) منصوب على التمييز أى أشد مطالبة و مناظرة و قوله (فى الحق) ظرف للمناشدة (و قد تبين لكم) صفة للحق لانه فى المعنى نكرة أى فى حق قد تبين و ظهر لكم على خصمكم أو حال أما من الضمير فى أشد و أما من الحق و قال شارح حال من الحق و التقدير ما من أحد منكم بأشد مناشدة فى حال أن تبين لكم الامر الحق و قوله (من المؤمنين) متعلق بأشد أى بأشد مناشدة منكم فوضع المظهر موضع المضمر و قوله (لله) متعلق بمناشدة و قوله (يوم القيامة) ظرف أشد أى يناشدون الله (لاخوانهم) أى لاجل أخوانهم (الذين فى النار) بالشفاعة من الجبار الغفار قال النووى رحمه الله معناه ما منكم من أحد يناشد الله فى الدنيا فى استيفاء حقه و استقصائه و تحصيله من جهة خصمه و المعتدى عليه بأشد منكم مناشدة لله تعالى فى الشفاعة لاخوانكم يوم القيامة و قال شارح من علمائنا معناه ما من أحد منكم أكثر اجتهادا و مبالغة فى طلب الحق حين ظهر لكم الامر الحق من المؤمنين فى طلب خلاص أخوانهم العصاة فى النار من النار يوم القيامة ثم بين مناشدتهم بقوله (يقولون ربنا كانوا يصومون معنا) أى موافقين لنا (و يصلون) أى صلاتنا (و يحجون) أى على طريقتنا (فيقال لهم اخرجوا من عرفتم) أى بهذه الاوصاف (فتحرم) بفتح الراء المشددة أى فتمنع (صورهم) أى تغيرها (على النار) أى بان تأكلها أو تسودها بحيث لاتعرف وجوههم فيعرفهم المؤمنون الشافعون بسيماهم (فيخرجون خلقا كثيرا) أى منها (ثم يقولون ربنا ما بقى فيها أحد ممن أمرتنا به) أى باخراجه من أرباب الصيام و الصلاة و الحج (فيقول ارجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال دينار) أى مقداره (من خير فاخرجوه) فى شرح السنة قال القاضى عياض رحمه الله قيل معنى الخير هنا اليقين قال و الصحيح ان معناه شئ زائد على مجرد الايمان لان مجرد الايمان الذى هو التصديق لايتجزى و انما يكون هذا التجزى بشئ زائد عليه من عمل صالح أو ذكر خفى أو عمل من أعمال القلب من الشفقة على مسكين أو خوف من الله تعالى و نية صادقة (فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال نصف دينار من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال ذرة من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر) أى لم نترك (فيها) أى فى جهنم (خيرا) أى أهل خير قال الطيبى رحمه الله أى من كان فيه شئ

فيقول الله شفعت الملائكة و شفع النبيون و شفع المؤمنون و لم‌يبق الا أرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما لم‌يعملوا خيرا قط قد عادوا حمما فيلقيهم فى نهر فى أفواه الجنة يقال‌له نهر الحياة فيخرجون كما تخرج الحبة فى حميل السيل فيخرجون كاللؤلؤ فى رقابهم الخواتم(١) فيقول أهل الجنة هؤلاء عتقاء الرحمن أدخلهم

من ثمرات الايمان من ازدياد اليقين أو العمل الصالح فوضع الخير موضع الذات كما يوضع العدل موضعه مبالغة أى فيقال رجل عدل و أريد به المعنى المصدرى مبالغة على أن المعنى كانه هو بل هو هو مع انه قد يقال ان العدل مصدر بمعنى العادل أو على تقدير مضاف أى صاحب عدل نحو قوله و اسئل القرية و الله تعالى أعلم (فيقول الله شفعت الملائكة و شفع النبيون و شفع المؤمنون و لم‌يبق) أى أحد ممن يرحم على أحد (الا أرحم الراحمين) أى الذى رحمته وسعت كل شئى و ان رحمة كل أحد فى جنب أثر رحمته كلا شئى (فيقبض قبضة) أى ما يسع الكف (من النار) أى من أهلها (فيخرج) أى الله (منها) أى من النار أو من جهة تلك القبضة (قوما لم‌يعملوا خيرا قط) أى ليس لهم خير زائد على مجرد الايمان قال النووى هم الذين معهم مجرد الايمان و لم‌يؤذن فيهم بالشفاعة و تفرد الله تعالى بعلم ما تكنه القلوب بالرحمة لمن ليس عنده الا مجرد الايمان و فيه دليل على انه لاينفع من العمل الا ما حضر له القلب بالرحمة و صحبته نية و على زيادة الايمان و نقصانه و هو مذهب أهل السنة قلت المحققون منهم على ان التصديق الذى هو الايمان على التحقيق لايقبل الزيادة و النقصان و انما التفاوت فى أنواره و ثمراته و نتائجه من حقائق الايقان و دقائق العرفان و مراتب الاحسان و منازل العرفان و الله تعالى أعلم (قد عادوا) الجملة صفة أو حال و المعنى صاروا (حمما) بضم فقتح جمع حممة وهى الفحم (فيلقيهم) أى يأمر الله بالقائهم أو يلقيهم بلاواسطة (فى نهر) بفتح الهاء و يسكن أى جدول ماء كائن (فى أفواه الجنة) أى فى أوائلها و هو جمع فوهة بضم الفاء و تشديد الواو المفتوحة و هو جمع سمع من العرب على غير قياس و أفواه الازقة و الانهار أوائلها كذا ذكره الطيبى رحمه الله و يمكن أن يكون الافواه كناية عن أبواب الجنة و هو الملائم لدخولهم اياها على أحسن الهيئة (يقال له) أى لذلك النهر (نهر الحياة فيخرجون) أى من النهر (كما تخرج الحبة) بكسر الحاء فتشديد الموحدة (فى حميل السيل) بفتح الحاء و كسر الميم أى محموله ففى شرح السنة الحبة بالكسر اسم جامع لحبوب البقول التى تنتشر اذا هاجت ثم اذامطرت من قابل نبتت و قال الكسائى هى حب الرياحين فاما الحنطة و نحوها فهى الحب لا غير و الحبة من الحب فبالفتح و حميل السيل هو ما يحمله السيل من غثاء أو طين فاذا أتفق فيه الحبة و استقرت على شط مجرى السيل تنبت فى يوم و ليلة و هى أسرع نابتة نباتا قال النووى رحمه الله و انما شبههم بها لسرعة نباتها و حسنها و طراوتها انتهى فالتشبيه فى سرعة الظهور و قال شارح الحبة بالكسر بذور الصحراء مما ليس بقوت و قال العسقلانى الحبة بالكسر بذر الصحراء و الجمع حبب و أما الحبة بالفتح فهو ما يزرعه الناس و الجمع حبوب (فيخرجون كاللؤلؤ) أى فى البياض و الصفاء (فى رقابهم الخواتيم) جمع الخاتم و الجمع لمقابلة الجمع بالجمع و المراد هنا علامة تظهر فى رقابهم ليكونوا متميزين من المغفورين بواسطة العمل الصالح كذا قاله شارح و قال صاحب النحرير المراد بالخواتيم هنا أشياء من ذهب أو غيره تعلق فى أعناقهم يعرفون‌بها

(١) الخواتم و الخواتيم نسختان - (مرقات — ج ١٠)

الجنة بغير عمل عملوه و لاخير قدموه فيقال لهم لكم ما رأيتم و مثله معه متفق عليه ✱ و عنه قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم اذا دخل أهل الجنة الجنة و أهل النار النار يقول الله تعالى من كان فى قلبه مثقال حبة من خردل من ايمان فاخرجوه فيخرجون قد امتحشوا و عادوا حمما فيلقون فى نهر الحياة فينبتون كما تنبت الحبة فى حميل السيل ألم تروا انها تخرج صفراء ملتوية متفق عليه ✱ و عن أبى هريرة ان الناس قالوا يا رسول‌الله هل نرى ربنا يوم القيامة فذكر معنى حديث أبى سعيد غير كشف الساق و قال يضرب الصراط بين ظهرانى جهنم فاكون أول من يجوز من الرسل بامته و لايتكلم يومئذ الا الرسل

(فيقول أهل الجنة) أى حين رأوهم و ظهر لهم تلك العلامة (هؤلاء عتقاء الرحمن أدخلهم) أى الله كما فى نسخة (الجنة بغير عمل) أى عملوه على ما فى نسخة صحيحة (و لا خير) أى من عمل باطن (قدموه فيقال لهم لكم) الخطاب للعتقاء أى لكم (ما رأيتم) أى مقدار مد بصركم من الجنة (ومثله معه) أو لكم ما رأيتم مما جاء فى نظركم و مثله معه من الحور العين والقصور و قال الطيبى رحمه الله تعالى فيه حذف أى فينظرون فى الجنة الى أشياء ينتهى مد بصرهم اليها فيقال لهم لكم ما رأيتم و مثله معه أقول و فيه أيماء الى قوله تعالى و لمن خاف مقام ربه جنتان أى جنة ظاهرة و جنة باطنة أو جنة من جهة العدل و جنة من طريق الفضل (متفق عليه ✱ و عنه) أى عن أبى سعيد (قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم اذا دخل أهل الجنة الجنة و أهل النار النار يقول الله تعالى) أى للانبياء أو لغيرهم من الشفعاء أو للملائكة وهو الاظهر لما سيأتى مصرحا فى رواية أبى هريرة (من كان فى قلبه مثقال حبة من خردل من ايمان فاخرجوه) أى من النار قيل بهذا الحديث يظهر ان من أخرجهم الرحمن بقبضة كانوا مؤمنين بلاخير و عمل زائد على الايمان دون الكفار كما يوهمه ظاهر العبارة هناك فانه مخالف للاجماع (فيخرجون) بصيغة المجهول (قد امتحشوا) على بناء الفاعل أى احترقوا و الجملة حالية و قيل بالمفعول فكانه جعل متعديا بمعنى المحش على حذف الزوائد و هو احراق النار الجلد و فى النهاية المحش احراق الجلد و ظهور العظم و فى القاموس امتحش احترق و قال العسقلانى امتحشوا احترقوا وزنا ومعنى و عند بعضهم بضم المثناة و كسر الحاء و لايعرف فى اللغة امتحشه متعديا و انما سمع لازما مطاوع محشه و قال النووى رحمه الله هو بفتح التاء و الحاء المهملة و الشين المعجمة هكذا هو فى الروايات و به ضبط الخطابى و الهروى و نقله القاضى عياض رحمه الله عن شيوخه و معناه احترقوا قال القاضى و رواه بعض شيوخنا بضم التاء و كسر الحاء (و عادوا حمما فيلقون فى نهر الحياة فينبتون) أى تعود أبدانهم اليهم (كما تنبت الحبة فى حميل السيل ألم تروا) أى ألم تبصروا أو ألم تعلموا (انها) أى الحبة (تخرج) أى أولا (صفراء) أى خضراء (ملتوية) أى ملفوفة مجتمعة وقيل منحنية (متفق عليه ✱ وعن أبى هريرة رضى‌الله عنه ان الناس قالوا يا رسول‌الله هل نرى ربنا يوم القيامة فذكر) أى أبو هريرة (معنى حديث أبى سعيد) أى الذى مر قبيل ذلك (غير كشف الساق و قال) أى النبى صلى‌الله تعالى‌عليه‌وسلم أو أبوهريرة مرفوعا (يضرب الصراط) أى يمد (بين ظهرانى جهنم) أى بين طرفيها فيوافق رواية على متنها و ظهرها و فوقها (فاكون أول من يجوز من الرسل بامته) الباء للتعدية أى من يجاوزهم عنها (و لايتكلم يومئذ) أى فى ذلك المقام (الا الرسل) قال ابن الملك أراد بقوله يومئذ وقت جواز الصراط و انما فسرناه بهذا لان ثمة مواطن لايتكلم فيها الناس قلت لقوله

و كلام الرسل يومئذ اللهم سلم سلم و فى جهنم كلاليب مثل شوك السعدان لايعلم قدر عظمها الا الله تخطف الناس باعمالهم فمنهم من يوبق بعمله و منهم من يخردل ثم ينجو حتى اذا فرغ الله من القضاء بين عباده و أراد أن يخرج من النار من أراد ان يخرجه ممن كان يشهد ان لا اله الا الله أمر الملائكة ان يخرجوا من كان يعبد الله فيخرجونهم و يعرفونهم بآثار السجود و حرم الله تعالى على النار ان تأكل أثر السجود فكل ابن آدم تأكله النار الا أثر السجود فيخرجون من النار قد امتحشوا فيصب عليهم ماء الحياة فينبتون كما تنبت الحبة فى حميل السيل و يبقى رجل بين الجنة و النار و هو آخر أهل النار دخولا

هذا يوم لاينطقون و لكن هناك مواقف يتكلم فيها عموم الناس أيضا فالحصر يفيد التقييد بحينئذ (و كلام الرسل يومئذ اللهم سلم سلم) كرر للتأكيد (و فى جهنم) أى فى اطرافها (كلاليب) بلاصرف لكونه على صيغة منتهى الجموع جمع كلاب بالضم أوكلوب بالفتح و بتشديد اللام فيهما و هى حديدة معوجة الرأس يخطف بها أو يعلق عليها اللحم و يرسل فى التنور أو عود فى رأسه اعوجاج يجر به الجمر (مثل شوك السعدان) بفتح فسكون وهو نبت له شوك عظيم و يقال لشوكه حسك السعدان و يشبه حلمة الثدى (لايعلم قدر عظمها) بكسر ففتح أى عظمة تلك الكلاليب (الا الله تخطف) أى تأخذ الكلاليب بسرعة و الطاء مفتوحة و روى بكسرها و الاولى هى الاولى لموافقة القرآن الذى هو اللغة الفصحى و قال النووى رحمه الله يروى بفتح الطاء و كسرها أى تخطف (الناس باعمالهم) أى بسبب أعمالهم القبيحة أو بحسب أعمالهم السيئة (فمنهم) أى من الناس أو من العصاة أو من المخطوفين (من يوبق) أى يهلك و يحبس (بعمله) أى القبيح من وبق أى هلك و اوبقه غيره ففى النهاية وبق يبق و يوبق فهو وبق اذا هلك و اوبقه غيره فهو موبق أى مهلك (و منهم من يخردل) بالدال المهملة على صيغة المجهول أى يصرع أو يقطع قطعا كالخردلة ففى النهاية المخردل المقطع تقطعه كلاليب الصراط حتى يهوى فى النار يقال خردلت اللحم بالدال و الذال أى فصلت أعضاءه و قطعتها قال ابن الملك رحمه الله و قيل يقطع الكلاليب لحمه على الصراط و يخرج أعضاؤه (ثم ينجو) أى من الوقوع فى النار فالكافر يوبق والفاسق يخردل ثم يتخلص (حتى اذا فرغ الله من القضاء) أى من الحكم بين عباده بمايستحقه كل من جزاء عمله (و أراد ان يخرج من أراد ان يخرجه ممن كان يشهد ان لا اله الا الله أمر الملائكة ان يخرجوا من كان يعبد الله) أى يوحده أو يعرفه بالوحدانية أو يعبده على نعت التوحيد (فيخرجونهم و يعرفونهم) بآثار السجود) قال تعالى سيماهم فى وجوههم من أثر السجود (و حرم الله على النار) أى منعها (ان تأكل أثر السجود) أى من وجوههم أو جباههم قال النووى رحمه الله ظاهر هذا ان النار لا تأكل جميع أعضاء السجود السبعة و هى الجبهة و اليدان و الركبتان و القدمان و قال القاضى عياض رحمه الله المراد باثر السجود الجبهة خاصة و المختار الاول قلت و يؤيد الثانى ما سبق من القرآن و ما فى رواية مسلم الا دارة الوجه و هو المتبادر مما تقدم فتحرم صورهم على النار فهو المعول (فكل ابن آدم) أى آثار افعاله من أعضائه (يأكله النار الا أثر السجود) و هذا تأكيد لما قبله (فيخرجون من النار قد امتحشوا) أى احترقوا و قد سبق (فيصب عليهم ماء الحياة) و قد مر انهم يلقون فى نهر الحياة و لعل الاختلاف باختلاف الاشخاص (فينبتون كما تنبت الحبة فى حميل السيل) أى محموله (و يبقى رجل بين الجنة و النار و هو آخر أهل النار دخولا) تمييز

الجنة مقبل بوجهه قبل النار فيقول يا رب اصرف وجهي عن النار و قد قشبني ريحها و أحرقني ذكاؤها فيقول هل عسيت ان أفعل ذلک ان تسأل غير ذلک فيقول لا و عزتک فيعطى الله ما شاء الله من عهد و ميثاق فيصرف الله وجهه عن النار فاذا أقبل به على الجنة و رأى بهجتها سكت ما شاء الله ان يسكت ثم قال يا رب قدمني عند باب الجنة فيقول الله تبارك و تعالى أليس قد أعطيت العهود و الميثاق ان لا تسأل غير الذى كنت سألت فيقول يا رب لا أكون أشقى خلقک فيقول فما عسيت ان أعطيت ذلک ان تسأل غيره فيقول لا و عزتک لا أسألک غير ذلک فيعطى ربه ما شاء من عهد و ميثاق فيقدمه

(الجنة) بالنصب على انه مفعول الدخول (مقبل) خبر آخر أو خبر مبتدأ آخر هو مقدر أى متوجه (بوجهه قبل النار) بكسر القاف و فتح الباء أى الى جهتها (فيقول يا رب اصرف وجهي عن النار) أى رده عنها (و قد قشبني) بفتح القاف و الشين المعجمة و الموحدة أى آذانى و أهلكني (ريحها) وقيل سمني و أهلكني من القشيب و هو السم المهلک و فى المقدمة أى ملأ خياشيمي و القشب السم و يطلق على الاصابة بكل مكروه و قال الداودى معناه غير جلدى و صورتى (و أحرقني ذكاؤها) بفتح المعجمة و المد و فى نسخة صحيحة ذكاها بالقصر قال النووى رحمه الله هو بالمد و فتح الذال المعجمة كذا وقع فى جميع روايات الحديث أى لهبها و إشتعالها و شدة وهجها و الاشهر فى اللغة مقصورة و قيل ان القصر و المد لغتان (فيقول) أى الرب (هل عسيت) أى يتوقع منک (ان أفعل ذلک) أى بک و الاشارة الى صرف الوجه و الجملة الشرطية معترضة بين اسم عسى و خبرها و هو قوله (ان تسأل غير ذلک) و المعنى هل يتوقع منک بعد حصول ذلک سؤال غيره قال الطيبى رحمه الله فان قلت كيف يصح هذا من الله تعالى و هو عالم بما كان و ما يكون قلت معناه انکم يا بني آدم لما عهد منکم من رخاوة الوعد و نقض العهد احقاء بان يقال لکم يا هؤلاء ما ترون هل يتوقع منکم ذلک أملا و حاصله ان معنى عسى راجع الى المخاطب لا الى الله تعالى و هو من باب ارخاء العنان و بعث المخاطب على التفکر فى أمره و شأنه لينصف من نفسه و يذعن للحق (فيقول لا) أى لا أسألک غير ذلک (و عزتک) لا أسأل غير ذلک (فيعطى) أى الرجل (الله ما شاء) مفعول ثان ليعطى أى ما قدره و قضاه أو ما أراده من عهد وميثاق أى قسم يوثق العهد به و يؤكد (فيصرف الله وجهه عن النار فاذا أقبل) بصيغة الفاعل و فى نسخة على بناء المفعول (به) أى بوجهه (على الجنة رأى بهجتها) أى حسنها (و كثرة خيرها سكت) كذا فى الاصول بلاعاطف فى الفعلين هنا و الظاهر أن يكون أحدهما جواب اذا و الآخر عطف على الشرط و الجزاء و لعل توجيهه ان قوله رأى بهجتها جملة حالية على مذهب من يجوز و لفظ المشارق فاذا أقبل على الجنة و رآها سكت (ما شاء الله أن يسكت) أى سكوته (ثم قال يا رب قدمني عند باب الجنة) أى الى بابها كما سيأتى و يمکن ان يكون الظرف حالا مقدرة (فيقول الله تبارک و تعالى اليس) أى الشأن (قد أعطيت العهود و الميثاق ان لا تسأل غير الذى كنت سألت فيقول يا رب لا أكون أشقى خلقک) أى لا تجعلني أشقاهم و المراد بالشقاوة هنا الحرمان أى لا أكون محروما (فيقول) أى الرب (فما عيست) ما استفهامية أى فهل عسيت (ان أعطيت ذلک) بصيغة المجهول (ان تسأل غيره) أى غير ذلک (فيقول لا و عزتک لا أسألک غير ذلک) تأكيد و بيان لقوله لا قبل ذلک و فى نسخة صحيحة لا أسأل غير ذلک (فيعطى)

الى باب الجنة فاذا بلغ بابها فرأى زهرتها و ما فيها من النضرة و السرور فسكت ما شاء الله أن يسكت فيقول يا رب ادخلني الجنة فيقول الله تبارك و تعالى ويلك يا ابن آدم ما أغدرك أليس قد أعطيت العهود و الميثاق أن لاتسأل غير الذى أعطيت فيقول يا رب لاتجعلني أشقى خلقك فلايزال يدعو حتى يضحك الله منه فاذا ضحك أذن له فى دخول الجنة فيقول تمن فيتمنى حتى اذا انقطع أمنيته قال الله تعالى تمن من كذا و كذا أقبل يذكره ربه حتى اذا انتهت به الامانى قال الله لك ذلك و مثله معه .

أى الرجل (ربه ما شاء من عهد و ميثاق فيقدمه) أى الله (الى باب الجنة فاذا بلغ بابها فرأى زهرتها) بفتح الزاى أى طيب عيش من فيها و الزهرة البياض و زهرة الدنيا نضارتها (و ما فيها من النضرة) أى الحسن و الرونق (و السرور) أى الفرح بما فيها من الدر و القصور و كثرة الحور و التنعم بالحبور (فسكت ما شاء الله ان يسكت) بالفاء ههنا على ما فى جميع نسخ المشكاة قال الطيبى رحمه الله قوله فسكت كذا فى صحيح البخارى و أكثر نسخ المصابيح فعلى هذا جواب اذا محذوف و المعنى اذا رأى ما رأى تحير فسكت و نظيره قوله تعالى وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا حتى اذا جاؤها و فتحت أبوابها انتهى . و قيل الواو زائدة و تسمى واو الثمانية نحو قوله تعالى و يقولون سبعة وثامنهم كلبهم و قال أبوالبقاء رحمه الله الواو زائدة عند قوم لان الكلام جواب حتى اذا و ليست زائدة عند المحققين و الجواب محذوف تقديره اطمأنوا أو نحو ذلك (فيقول يا رب ادخلني الجنة فيقول الله تبارك و تعالى ويلك يا ابن آدم) قال شارح ويلك منصوب على المصدر لا غير أن أضيف و ان لم يضف يرفع على الابتداء و ينصب الفعل مثل ويل لزيد و ويلا لزيد أى أهلك الله إهلاكا أو هلكت هلاكا (ما أغدرك) بالغين المعجمة و الدال المهملة و ما فيه للتعجب أى يستحق أن يتعجب منك بكثرة غدرك فى عهودك بان لاتسأل غيره و يجوز أن يكون ما للاستفهام والهمزة للصيرورة أى أى شئى صيرك غادرا فى عهودك و فى نسخة بالعين المهملة و الذال المعجمة أى أى شئى جعلك فى هذا السؤال معذورا (أليس قد أعطيت العهود و الميثاق أن لاتسأل غير الذى أعطيت) بصيغة المجهول (فيقول يارب لاتجعلني أشقى خلقك) قال الطيبى رحمه الله فان قلت كيف طابق هذا الجواب قوله أليس قد أعطيت العهود و الميثاق قلت كانه قال يا رب بلى أعطيت العهود و الميثاق ولكن تأملت فى كرمك وعفوك ورحمتك و قولك لاتيأسوا من روح الله انه لاييأس من روح الله الا القوم الكافرون فوقفت على انى لست من الكفار الذين ايسوا من رحمتك و طمعت فى كرمك و سعة رحمتك فسألت ذلك فكانه تعالى رضى عنه بهذا القول فضحك انتهى و هذا معنى قوله (فلايزال يدعو حتى يضحك الله) أى يرضى (منه) أى من أجله و سبب كلامه و دعائه (فاذا ضحك أذن له فى دخول الجنة فيقول تمن) أمر مخاطب (فيتمنى حتى اذا انقطع أمنيته) بضم همز و تشديد تحتية أى مطلوبه و متمناه (قال الله تعالى تمن من كذا و كذا) قال المظهر من فيه للبيان يعنى تمن من كل جنس ما تشتهى منه قال الطيبى رحمه الله و نحوه يغفر لكم من ذنوبكم و يحتمل أن تكون من زائدة فى الاثبات على مذهب الاخفش و قوله (أقبل يذكره ربه) بدل من الجملة السابقة على سبيل البيان و ربه تنازع فيه العاملان انتهى و أقبل بمعنى شرع و يذكره بتشديد الكاف أى يلهمه و يلقنه ربه بما ينبغى أن يسأله فيتمنى (حتى اذا انتهت به الامانى) أى انقطعت و لم تبق له

و فى رواية أبى سعيد قال الله لك ذلك و عشرة أمثاله متفق عليه ★ و عن ابن مسعود ان رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال آخر من يدخل الجنة رجل فهو يمشى مرة و يكبو مرة و تسفعه النار مرة فاذا جاوزها التفت اليها فقال تبارك الذى نجانى منك لقد أعطانى الله شيأ ما أعطاه أحدا من الاولين و الآخرين فترفع له شجرة فيقول أى رب أدننى من هذه الشجرة فلاستظل بظلها و اشرب من مائها فيقول الله يا ابن آدم لعلى أن أعتيطكها سالتنى غيرها فيقول لا يا رب ويعاهده أن لايسأله غيرها و ربه يعذره لانه يرى ما لا صبر له عليه

أمنية (قال الله لك ذلك) أى مسؤلك و مأمولك (و مثله معه) أى تفضلا عليك (و فى رواية أبى سعيد قال الله لك ذلك) أى ما تمنيت (و عشرة أمثاله) أى فى الكيفية و ان كان مثله فى الكمية و بهذا يرتفع التدافع و يندفع التمانع و الله سبحانه و تعالى أعلم (متفق عليه ★ وعن ابن مسعود ان رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم قال آخر من يدخل الجنة رجل فهو يمشى مرة) قال الطيبى رحمه الله الفاء يجوز أن تكون تفصيلية أبهم أولا دخوله الجنة ثم فصل كيفية دخولها ثانيا و أن تكون لتعقيب الاخبار و ان تقدم ما بعدها على ما قبلها فى الوجود فوقعت موقع ثم فى هذا المعنى كانه قيل أخبركم عقيب هذا القول حاله فهو يمشى قبل دخوله فى الجنة مرة (و يكبو) بضم الموحدة أى يقف و قيل يسقط لوجهه (مرة) أى أخرى (و تسفعه النار) بفتح الفاء أى تحرقه (مرة) أو يجعل علامة عليه من سواد الوجه و زرقة العين يقال سفع من النار أى علامة منها و سفعت الشئ اذا جعلت عليه علامة قال ابن الملك أى تلفحه لفحا يسيرا فيتغير لون بشرته و قيل أى تعلمه علامة أى أثرا منها و فى القاموس لفحت النار بحرها أحرقت و سفع الشئ كمنعه أعلمه و وسمه و السموم وجهه لفحه لفحا يسيرا (فاذا جاوزها التفت اليها فقال تبارك) أى تعظم و تعالى أو تكاثر خيره (الذى نجانى منك) هذا فرح بما أعطيه من النجاة و قوله (لقد أعطانى الله شيأ ما أعطاه أحدا من الاولين و الآخرين) جواب قسم محذوف أقسم من الفرح أن نجاته نعمة ما ظفر بها أحد من العالمين و لعل وجهه انه ما رأى أحدا مشاركا له فى خروجه من النار و لم‌يدر ان الابرار فى نعيم دار القرار (فترفع له شجرة) أى عندها عين ماء لما سيأتى (فيقول أى رب) و أى فى الاصل لنداء القريب و يا للبعيد فتارة ينظر الى قرب الرب من العبد كما قال سبحانه و تعالى و نحن أقرب اليه من حبل الوريد و تارة يراعى بعد العبد من الرب كما قيل يا للتراب و رب الارباب (أدننى) أمر من الادناء أى قربنى (من هذه الشجرة فلاستظل) بكسر اللام الاولى و نصب الفعل قال الطيبى رحمه الله الفاء سببية و اللام مزيدة أو بالعكس يعنى و الفاء مزيدة و اللام للعلة ففيه مسامحة لاتخفى ثم فى الكلام تجريد و المعنى لانتفع (بظلها و اشرب من مائها فيقول الله يا ابن آدم لعلى ان أعتيطكها) أى مسألتك أو أمنيتك (سألتنى غيرها) هو جواب الشرط و هو دال على خبر لعل (فيقول لا يا رب و يعاهده أن لايسأله غيرها و ربه يعذره) بفتح الياء و يضم أى يجعله معذورا و فى النهاية و قد يكون أعذر بمعنى جعله موضع العذر و فى المشارق عذرته و أعذرته أى قبلت عذره و فى المصباح عذرته فيما صنع عذرا من باب ضرب رفعت عنه اللوم فهو معذور و أعذرته بالالف لغة و أعتذر أى طلب قبول معذرته و اعتذر عن فعله أظهر عذره (لانه) أى العبد (يرى ما لاصبر له عليه) كذا فى الاصول فى المرتين الاولين و كذا فى الثالثة فى بعض الاصول

فيدنيه منها فيستظل بظلها و يشرب من مائها ثم ترفع له شجرة هى أحسن من الاولى فيقول أى رب أدنني من هذه الشجرة لاشرب من مائها و استظل بظلها لا أسألك غيرها فيقول يا ابن آدم ألم تعاهدنى أن لاتسألنى غيرها فيقول لعلى أن أدنيتك منها تسألنى غيرها فيعاهده أن لايسأله غيرها و ربه يعذره لانه يرى ما لا صبر له عليه فيدنيه منها فيستظل بظلها و يشرب من مائها ثم ترفع له شجرة عند باب الجنة هى أحسن من الاوليين فيقول أى رب أدننى من هذه فلاستظل بظلها و اشرب من مائها لا أسألك غيرها فيقول يا ابن آدم ألم تعاهدنى أن لا تسألنى غيرها قال بلى يا رب هذه لا أسألك غيرها و ربه يعذره لانه يرى ما لا صبر له عليه فيدنيه منها. فاذا أدناه منها سمع أصوات أهل الجنة فيقول أى رب أدخلنيها فيقول يا ابن آدم ما يصريني منك

و فى أكثرها عليها بتأويل ما بنعمة و على بمعنى عن كذا فى شرح مسلم للنووى و قرره السيوطى فى حاشية على مسلم (فيدنيه منها) أى فيقربه من الشجرة (فيستظل بظلها و يشرب من مائها ثم ترفع له شجرة) أى أخرى هى (أحسن من الاولى) لانه أراد له الترقى من الادنى الى الاعلى (فيقول أى رب أدنني من هذه الشجرة لاشرب من مائها و استظل بظلها) الواو لمطلق الجمع لان الظاهر ان الاستراحة بظلها قبل الشرب من مائها (لا أسألك غيرها) قال الطيبى رحمه الله هو حال تنازع فيه استظل و اشرب (فيقول يا ابن آدم ألم تعاهدنى أن لاتسألنى غيرها فيقول) أى الرب (لعلى ان أدنيتك منها تسألنى) بالرفع أى تطلب منى (غيرها فيعاهده أن لايسأله غيرها و ربه يعذره لانه يرى ما لا صبر له عليه فيدنيه منها فيستظل بظلها و يشرب من مائها ثم ترفع له شجرة) أى ثالثة (عند باب الجنة هى أحسن من الاوليين فيقول أى رب أدننى من هذه فلاستظل بظلها و أشرب من مائها لا أسألك غيرها فيقول يا ابن آدم ألم تعاهدنى أن لاتسألنى غيرها قال بلى يا رب هذه) منصوب المحل بفعل يفسره ما بعده أى هذه أسألك (لا أسألك غيرها) حال أو استئناف (و ربه يعذره لانه يرى ما لا صبر له عليه) و فى بعض النسخ عليها و قد سبق الكلام عليهما (فيدنيه منها فاذا أدناه منها سمع أصوات أهل الجنة) أى فى مصاحبتهم مع أزواجهم و مجاورتهم مع أصحابهم فاراد الاستئناس بهم أو فى غنائهم فاراد التقرب ليتلذذ بانغامهم (فيقول يا رب أدخلنيها فيقول يا ابن آدم ما يصريني منك) بفتح الياء و سكون الصاد المهملة قال صاحب النهاية و فى رواية ما يصريك منى أى ما يقطع مسألتك و يمنعك من سؤالى يقال صريت الشئى اذا قطعته و صريت الماء جمعته و حبسته انتهى و المعنى قد كررت سؤالك مع معاهدتك أن لاتسأل فماذا يقطع سؤالك عنى و يرضيك قال التوربشتى صرى عنه شره أى دفع و صريته منعته وصريت ماببينهم صريا أى فصلت يقال اختصمنا الى الحاكم فصرى مابيننا أى قطع مابينناوفصل وحسن أن يقال مايفصل بينى وبينك أى ماالذى يرضيك حتى تترك مناشدتك و المعنى انى أجبتك الى مسألتك كرة بعد أخرى و أخذت ميثاقك أن لاتعود ولاتسأل غيره وأنت لاتفى بذلك فما الذى يفصل بينى و بينك فى هذه القضية و يكون على وجه المجاز و الاتساع والمبتغى منه التوفيق على فضل الله و رحمته و كرمه و بره بعباده حتى انه يخاطبهم مخاطبة المستعطف الباعث سائله على الاستزادة قال و فى كتاب المصابيح ما يصريني منك و هو غلط و الصواب ما يصريني منى كذا رواه المتقنون من أهل الرواية قال المظهر يمكن أن يحمل على القلب فاصله ما يصريك منى و قلب للعلم به و القلب شائع فى كلامهم ذائع فى استعمالهم قال الطيبى رحمه الله

أ يرضيک أن أعطيک الدنيا و مثلها معها قال أى رب أ تستهزئ منى و أنت رب العالمين فضحک ابن مسعود فقال ألا تسألونى مم أضحک فقالوا مم تضحک فقال هکذا ضحک رسول‌الله صلى‌الله‌عليه وسلم فقالوا مم تضحک يا رسول‌الله قال من ضحک رب العالمين حين قال أ تستهزئ منى و أنت رب العالمين فيقول انى لا أستهزئ منک و لکنى على ما أشاء قدير رواه مسلم

الرواية صحيحة و المعنى صحيح على سبيل الکناية قال النووى ما يصرينى منک بفتح الياء و اسکان الصاد المهملة کذا فى صحيح مسلم و روى فى غير مسلم ما يصريک منى قال ابراهيم الحربى رحمه الله هو الصواب و أنکر الرواية التى فى صحيح مسلم رحمه الله و غيره و ليس کما قال بل کلاهما صحيح و ان السائل متى انقطع عن المسؤل انقطع المسؤل عنه و المعنى أى شئى يرضيک و يقطع السؤال بينى و بينک (أ يرضيک أن أعطيک الدنيا) أى قدرها (و مثلها معها قال أى رب أ تستهزئ منى) أى أ تجعلنى محل المستهزأ به (و أنت رب العالمين) و الجملة حالية و الاستهزاء بالشئى اذا أسند الى الله تعالى يراد انزال الهوان عليه و احلاله اياه محل المستهزأ به کذا ذکره شارح و قال فى شرح مسلم للنووى هذا وارد من السؤال على سبيل الفرح و الاستبشار قال القاضى عياض هذا الکلام صادر عنه و هو غير ضابط لما نال من السرور ببلوغ ما لم يخطر بباله فلم يضبط لسانه دهشة و فرحا و جرى على عادته فى الدنيا فى مخاطبة المخلوق و نحوه حديث التوبة قول الرجل عند وجدان زاده مع راحلته من شدة الفرح أنت عبدى و أنا ربک انتهى و توضيحه ماذکره ابن الملک ان قيل کيف صدر منه هذا القول بعد کشف الغطاء و استواء العالم و الجاهل فى معرفة الله تعالى فيما يجوز على الله و ما لا يجوز قلت مثابة هذا العالم مثابة العالم العارف الذى يستولى عليه الفرح بما آتاه الله فيزل لسانه من شدة الفرح کما أخطأ فى القول من ضلت راحلته بارض فلاة عليها طعامه و شرابه فايس منها ثم بعد ما وجدها و أخذ بخطامها قال من شدة الفرح اللهم أنت عبدى و أنا ربک (فضحک ابن مسعود فقال الا) بالتخفيف (تسألونى) بتشديد النون و تخفف (مم أضحک) أى من أى شئى أضحک (فقالوا مم تضحک فقال هکذا ضحک رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم فقالوا مم تضحک يا رسول‌الله قال من ضحک رب العالمين حين قال له أ تستهزئ منى و أنت رب العالمين) قال التوربشتى رحمه الله الضحک من الله و من رسوله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم و ان کانا متفقين فى اللفظ فانهما متباينان فى المعنى و ذلک ان الضحک من الله سبحانه يحمل على کمال الرضا عن العبد و ارادة الخير ممن يشاء من عباده أن يرحمه و قال القاضى رحمه الله و انما ضحک رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم استعجابا و سرورا بما رأى من کمال رحمة الله و لطفه على عبده المذنب و کمال الرضا عنه و أما ضحک ابن مسعود فکان اقتداء بسنة رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم لقوله هکذا ضحک رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم قلت الظاهر انه لاحظ المعنى الموجب للضحک لا انه مجرد تقليد و حکاية لفعله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم فانه ليس أمرا اختياريا و لا يصدر من غير باعث من قول عجيب أو فعل غريب (فيقول انى لا استهزئ منک و لکنى على ما أشاء قادر) و فى نسخة قدير قال الطيبى رحمه الله فان قلت مم استدرکه قلت عن مقدر فانه تعالى لما قال له أ يرضيک أن أعطيک الدنيا و مثلها معها فاستبعده العبد لما رأى انه ليس أهلا لذلک و قال أ تستهزئ بى قال سبحانه و تعالى نعم کنت لست أهلا له لکنى أجعلک أهلا لها و أعطيک ما استبعدته لانى على ما أشاء قدير (رواه مسلم) أى عن ابن مسعود

و فى رواية له عن أبى سعيد نحوه الا انه لم يذكر فيقول يا ابن آدم ما يصريني منك الى آخر الحديث و زاد فيه و يذكره الله سل كذا و كذا حتى اذا انقطعت به الامانى قال الله تعالى هو لك و عشرة أمثاله قال ثم يدخل بيته فتدخل عليه زوجتاه من الحور العين فتقولان الحمد لله الذى أحياك لنا و أحيانا لك قال فيقول ما أعطى أحد مثل ما أعطيت ✱ و عن أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم قال ليصيبن أقواما سفع من النار بذنوب أصابوها عقوبة ثم يدخلهم الله الجنة بفضله و رحمته فيقال لهم الجهنميون رواه البخارى ✱ و عن عمران بن حصين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج قوم من النار بشفاعة محمد يدخلون الجنة يسمون الجهنميين رواه البخارى و فى رواية يخرج قوم من أمتى من النار بشفاعتى يسمون الجهنميين ✱ و عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى لاعلم آخر أهل النار خروجا منها و آخر أهل الجنة دخولا رجل يخرج من النار حبوا

(و فى رواية له) أى لمسلم (عن أبى سعيد نحوه) أى نحو المروى عن ابن مسعود (الا انه) أى أبا سعيد (لم يذكر فيقول يا ابن آدم ما يصريني منك الى آخر الحديث و زاد) أى نقص من الحديث ما سبق و زاد (فيه و يذكره الله) بالتشديد أى يعلمه (سل كذا و كذا حتى اذا انقطعت به الامانى قال الله هو لك و عشرة أمثاله قال) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (ثم يدخل) أى العبد (بيته) أى قصره (فيدخل عليه زوجتاه من الحور العين) قال النووى زوجتاه بالتاء تثنية زوجة هكذا ثبت فى الرواية و الاصول و هى لغة صحيحة معروفة (فتقولان الحمد لله الذى أحياك لنا و أحيانا لك) أى خلقك لنا و خلقنا لك و وضع أحيا موضع خلق اشعارا بالخلود و انه تعالى جمع بينهما فى هذه الدار التى لا موت فيها و انها دائمة السرور و الحياة قال تعالى و ان الدار الآخرة لهى الحيوان (قال) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (فيقول) أى العبد (ما أعطى أحد مثل ما أعطيت) أى لعدم اطلاعه على اعطاء غيره و الله تعالى أعلم ✱ (و عن أنس ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال ليصيبن) أى و الله ليدركن و ليمسن (أقواما سفع من النار) بفتح فسكون أى سواد من لفح النار أو علامة منها كذا فى المقدمة و قيل احراق قليل (بذنوب) أى بسببها و قوله (أصابوها) صفة ذنوب و قوله (عقوبة) مفعول له (ثم يدخلهم الله الجنة بفضله و رحمته) كذا فى أصل السيد و بعض النسخ و فى بعضها بفضل رحمته (فيقال لهم الجهنميون) قال الطيبى رحمه الله ليست التسمية بها تنقيصا لهم بل استذكارا ليزدادوا فرحا الى فرح و ابتهاجا الى ابتهاج و ليكون ذلك علما لكونهم عتقاء الله تعالى (رواه البخارى) و كذا أبو داود و الترمذى ✱ (و عن عمران بن حصين قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يخرج قوم) و فى نسخة أقوام (من النار بشفاعة محمد) و فى نسخة صلى الله تعالى عليه وسلم (فيدخلون الجنة) بصيغة المفعول و قيل بالفاعل (و يسمون الجهنميين) و فى المصابيح الجهنميون قال شارح له الرواية بالواو و حقه الياء لانه مفعول يسمون و يحتمل أن يكون الجهنميون بالواو علما لهم فلم يغير (رواه البخارى) و كذا أبو داود و الترمذى و ابن ماجه (و فى رواية يخرج قوم من أمتى من النار بشفاعتى يسمون الجهنميين ✱ و عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انى لاعلم آخر أهل النار خروجا منها و آخر أهل الجنة دخولا) أى فيها و الظاهر انهما متلازمان فالجمع بينهما للتوضيح و لا يبعد أن يكون احترازا مما عسى أن يتوهم من حبس

فيقول الله اذهب فادخل الجنة فيأتيها فيخيل اليه انها ملآى فيقول يا رب وجدتها ملآى فيقول الله اذهب فادخل الجنة فان لك مثل الدنيا و عشرة أمثالها فيقول أ تسخر مني أو تضحك مني و أنت الملك فلقد رأيت رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم ضحک حتى بدت نواجذه و كان يقال ذلك أدنى أهل الجنة منزلة متفق عليه * و عن أبي‌ذر قال قال رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم انى لاعلم آخر أهل الجنة دخولا الجنة و آخر أهل النار خروجا منها رجل يؤتى به يوم القيامة فيقال أعرضوا عليه صغار ذنوبه و ارفعوا عنه كبارها فتعرض عليه صغار ذنوبه فيقال عملت يوم كذا و كذا كذا و كذا و عملت يوم كذا و كذا كذا و كذا فيقول نعم لايستطيع أن ينكر و هو مشفق من كبار ذنوبه أن تعرض عليه فيقال له فان لك مكان كل سيئة حسنة فيقول رب قد عملت أشياء لا أراها ههنا و لقد رأيت رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم ضحک حتى بدت

أحد فى الموقف من أهل الجنة حينئذ و الله تعالى أعلم (رجل يخرج من النار حبوا) حال أو مصدر من حبا الصبى اذا مشى على أربع أو دب على استه أى زحفا كما فى رواية (فيقول الله) أى له (اذهب فادخل الجنة فيأتيها) أى فيجيء قريبا منها أو فيدخلها (فيخيل اليه) أى من تصويره تعالى (انها) أى الجنة (ملآى) تانيث ملآن (فيقول أى رب وجدتها ملآى) يعنى و ليس لى مكان فيها (فيقول اذهب فادخل الجنة) المراد بها جنسها أو جنة بخصوصها (فان لك مثل الدنيا) أى فى سعتها و قيمتها (و عشرة أمثالها) أى زيادة عليها فى الكمية و الكيفية و فيه ايماء الى قوله تعالى من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها فالمؤمن حيث ترك الدنيا و هى صارت كالحبس فى حقه جوزى بمثلها عدلا و باضعافها فضلا (فيقول أ تسخر) بفتح الخاء أى أ تستهزىء (منى أو تضحك منى) شك من الراوى (و أنت الملك) أى و الحال أنت الملك القدوس الجليل (فلقد رأيت رسول‌الله صلی‌الله‌تعالی‌علیه‌وسلم ضحک حتى بدت) أى ظهرت (نواجذه) أى أواخر اضراسه (و كان يقول) الظاهر ان هذا كلام عمران أو من بعده من الرواة فالمعنى وكان يقول الصحابة أو السلف (ذلك أدنى أهل الجنة منزلة متفق عليه * و عن أبي‌ذر قال قال رسول‌الله صلی‌الله‌تعالی‌علیه‌وسلم انى لاعلم آخر أهل الجنة دخولا الجنة) أى فيها (و آخر أهل النار خروجا منها رجل يؤتى به يوم القيامة فيقال أعرضوا) بكسر الهمزة و الراء أى اظهروا (عليه صغار ذنوبه و ارفعوا عنه كبارها) اى بمحوها أو باخفائها (فتعرض عليه صغار ذنوبه فيقال عملت يوم كذا وكذا) أى فى الوقت الفلانى (كذا وكذا) أى من عمل السيآت (وعملت يوم كذا و كذا كذا و كذا) أى من ترك الطاعات (فيقول نعم) أى فى كل منهما أو بعدهما جميعا (لايستطيع أن ينكر) أى شيأ منهما استئناف أو حال (و هو) أى الرجل (مشفق) أى خائف (من كبار ذنوبه أن تعرض) أى تلك الكبار (عليه) لان العذاب المترتب عليها أكبر و أكثر (فيقال له فان لك مكان كل سيئة حسنة) و هو أما لكونه تائبا الى الله تعالى و قد قال تعالى الا من تاب و آمن و عمل عملا صالحا فاولئك يبدل الله سيآتهم حسنات لكن يشكل بانه كيف يكون آخر أهل النار خروجا و يمكن أن يقال فعل بعد التوبة ذنوبا استحق بها العقاب و أما وقع التبديل له من باب الفضل من رب الارباب و الثانى أظهر و يؤيده انه حينئذ يطمع فى كرم الله سبحانه (فيقول رب قد عملت أشياء) أى من الكبائر (لا أراها ههنا) أى فى الصحائف أو فى مقام التبديل (و لقد رأيت رسول‌الله صلی‌الله‌تعالی‌علیه‌وسلم ضحک حتى بدت

نواجذه رواه مسلم ✱ و عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يخرج من النار أربعة فيعرضون على الله ثم يؤمر بهم الى النار فيلتفت أحدهم فيقول أى رب لقد كنت أرجو اذ أخرجتنى منها أن لاتعيدنى فيها قال فينجيه الله منها رواه مسلم ✱ وعن أبى سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخلص المؤمنون من النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة و النار فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم فى الدنيا حتى اذا هذبوا و نقوا أذن لهم فى دخول الجنة فو الذى نفس محمد بيده لاحدهم أهدى بمنزله فى الجنة منه بمنزله كان له فى الدنيا رواه البخارى ✱ و عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لايدخل أحد الجنة الا أرى مقعده من النار لو أساء

نواجذه رواه مسلم ✱ و عن أنس أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال يخرج من النار أربعة) قال ابن الملك رحمه الله هم الآخرون خروجا منها (فيعرضون على الله ثم يؤمر بهم الى النار فيلتفت أحدهم فيقول أى رب لقد كنت أرجو اذ أخرجتنى منها أن لاتعيدنى فيها قال فينجيه) بالتخفيف و يشدد أى فيخلصه (الله منها رواه مسلم) قال الطيبى رحمه الله و لعل هذا الخروج و الله تعالى أعلم بعد الورود المعنى بقوله تعالى و ان منكم الا واردها و قيل معنى الورود الدخول فيها و هى خامدة فيعبرها المؤمنون و تنهار بغيرهم و اليه الاشارة بقوله فى الحديث الذى يليه و هو قوله[1] ✱ (وعن أبى سعيد قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يخلص المؤمنون من النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم فى الدنيا) فذكر من الاربعة واحدا وحكم عليه بالنجاة و ترك الثلاثة اعتمادا على المذكور لان العلة متحدة فى الاخراج من النار و النجاة منها و لان الكافر لا خروج له البتة فيدخل مرة أخرى و لهذا قال (حتى اذا هذبوا و نقوا أذن لهم فى دخول الجنة) قال و نحوه فى الاسلوب و هو أن يراد أشياء و يذكر بعضها و يترك بعضها قوله تعالى فيه آيات بينات مقام ابراهيم و من دخله كان آمنا جمع الآيات و فصلها بآيتين أحداهما قوله مقام ابراهيم و ثانيتهما و من دخله كان آمنا الكشاف ذكرهاتان الآيتان و طوى عن ذكر غيرهما دلالة على تكاثر الآيات و نحوه فى طى الذكر قول جرير[1] كانت حنفية اثلاثا فثلثهم ✱ من العبيد وثلث من مواليها هذا و ضبط قوله يخلص المؤمنون بصيغة المجهول مخففا من الاخلاص و فى نسخة بالتشديد من التخليص و فى أخرى بفتح الياء و ضم اللام من الخلاص ففى النهاية خلص سلم و نجا ثم المراد بالقنطرة الصراط الممدود و المظالم جمع مظلمة بكسر اللام و هى ما تطلبه عند الظالم مما أخذه منك و قوله و نقوا من التنقية عطف تفسير لهذبوا بصيغة المجهول من التهذيب (فوالذى نفس محمد بيده لاحدهم) أى من أهل الجنة (أهدى بمنزله) أى اليه فان الباء تأتى بمعنى الى على ما فى القاموس كقوله تعالى و قد أحسن بى أى الى فالمعنى أعرف و أكثر هداية الى منزله (فى الجنة منه بمنزله كان له فى الدنيا) و قال الطيبى رحمه الله هدى لايعدى بالباء بل باللام و الى فالوجه أن يضمن معنى اللصوق أى ألصق بمنزله هاديا اليه و فى معناه قوله تعالى يهديهم ربهم بايمانهم تجرى من تحتهم الانهار أى يهديهم فى الآخرة بنور ايمانهم الى طريق الجنة فجعل تجرى من تحتهم الانهار بيانا له و تفسيرا لان التمسك بسبب السعادة كالوصول اليها (رواه البخارى ✱ و عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لايدخل أحد الجنة الا أرى) بصيغة المجهول من الاراءة و قوله (مقعده) بالنصب مفعول ثان له و قوله (من النار) بيان للمقعد (لو أساء) أى لو أساء العمل و عصى

ليزداد شكرا و لايدخل النار أحد الا أرى مقعده من الجنة لو أحسن ليكون عليه حسرة رواه البخارى ★ و عن ابن عمر قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم اذا صار أهل الجنة الى الجنة و أهل النار الى النار جيء بالموت حتى يجعل بين الجنة و النار ثم يذبح ثم ينادى مناد يا أهل الجنة لاموت و يا أهل النار لا موت فيزداد أهل الجنة فرحا الى فرحهم و يزداد أهل النار حزنا الى حزنهم متفق عليه

★(الفصل الثانى) ★ عن ثوبان عن النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال حوضى من عدن الى عمان البلقاء

ربه فرضا و تقديرا لكان ذلك مقعده (ليزداد شكرا) علة لارى و يحتمل أن يكون الاراءة فى القبر على ما يشهد له بعض الاحاديث و يحتمل أن يكون يوم القيامة على ما هو الظاهر المتبادر من هذا الحديث و الله تعالى أعلم (و لايدخل النار أحد الا أرى مقعده من الجنة لو أحسن) أى العمل و الجواب مقدر على ما سبق أو لو فى الموضعين للتمنى (ليكون) أى الاراءة و ليكونه مصدرا ذكر فعله (عليه حسرة) بالنصب على الخبرية و فى نسخة بالرفع على ان كان تامة أى ليقع عليه حسرة و ندامة و ملامة يوم القيامة (رواه البخارى ★ و عن ابن عمر رضى‌الله عنهما قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم اذا صار أهل الجنة الى الجنة و أهل النار الى النار جيء بالموت) أى أحضر به و ورد فى رواية انه يؤتى به على صورة كبش أملح ليتيقنوا غاية اليقين و العرفان (حتى يجعل) أى واقفا (بين الجنة و النار ثم يذبح) قال العسقلانى رحمه الله و الحكمة فيه الاشارة الى انه حصل لهم الفداء كما فدى ولد ابراهيم بالكبش و فى الاملح اشارة الى صفتى أهل الجنة و النار لان الاملح ما فيه بياض و سواد (ثم ينادى مناد يا أهل الجنة لا موت) أى أبدا بل خلود بلا موت كما فى رواية (و يا أهل النار لا موت فيزداد أهل الجنة فرحا الى فرحهم و يزداد أهل النار حزنا الى حزنهم) بضم الحاء و سكون الزاى و يجوز فتحهما و بهما قرئ فى السبعة قال التوربشتى رحمه الله المراد منه انه يمثل لهم على المثال الذى ذكره فى غير هذه الرواية يؤتى بكبش له عين الحديث و ذلك ليشاهدوه باعينهم فضلا أن يدركوه ببصائرهم و المعانى اذا ارتفعت عن مدارك الافهام و استعلت عن معارج النفوس لكبر شانها صيغت لها قوالب من عالم الحس حتى تتصور فى القلوب و تستقر فى النفوس ثم ان المعانى فى الدار الآخرة تنكشف للناظرين انكشاف الصور فى هذه الدار الفانية و أما اذا أحببنا ان نؤثر الاقدام فى سبيل لا معلم بها لاحد من الانام فا كتفينا بالمرور عن الالمام (متفق عليه)

★ (الفصل الثانى) ★ (عن ثوبان عن النبى صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم قال حوضى من عدن) بفتحتين و هو ينصرف و لاينصرف آخر بلاد اليمن مما يلى بحر الهند (الى عمان البلقاء) بضم العين المهملة و تشديد الميم مضافا الى البلقاء بفتح موحدة و سكون لام و قاف ممدودة قال الطيبى رحمه الله عمان مدينة بالشام و فى شرح السنة موضع بالشام و بضم العين و تخفيف الميم موضع بالبحرين قلت لكن الاصول المعتمدة و النسخ المصححة اجتمعت على الضبط الاول فهو المعول ثم الاظهر ان البلقاء مدينة بالشام و عمان موضع بها و انما أضيف لقربه اليها على ما أشار اليه العسقلانى رحمه الله و المعنى مقدار سعة حوضى فى العقبى كما بين الموضعين فى الدنيا ثم أعلم ان اختلاف الاحاديث فى تقدير الحوض كحديث أنس ما بين ايلة و صنعاء و حديث ابن عمر رضى‌الله تعالى عنهما كما بين جرباء و أذرح و حديث ابن عمرو مسيرة شهرين و حديث حارثة بن وهب

ماؤه أشد بياضا من اللبن و أحلى من العسل و أكوابه عدد نجوم السماء من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدا أول الناس ورودا فقراء المهاجرين الشعث رؤسا الدنس ثيابا الذين لاينكحون المتنعمات و لايفتح لهم السدد رواه أحمد و الترمذى و ابن ماجه و قال الترمذى هذا حديث غريب ★ و عن زيد بن أرقم قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلنا منزلا فقال ما أنتم جزء من مائة ألف جزء ممن يرد على الحوض

كما بين صنعاء و المدينة و نحو ذلك مبنى على ان المقصود تصوير كثرة طوله و عرضه لاتعيين قدره بعينه و حصره فورد الحديث فى كل مقام بما يوافق ادراك السامع فى المرام و لايبعد أن يختلف باختلاف مذهب الناظرين و مشرب الواردين و سعة صدورهم و حذاقة بصرهم كاختلاف وسعة القبر و منازل الجنة بالنسبة الى السالكين و الله تعالى أعلم (ماؤه أشد بياضا من اللبن) فيه ايماء الى ان البياض هو اللون المحبوب خلافا لما اختاره بعض من اللون الاصفر لمقتضى طبعه المقلوب و أغرب منهم انهم يميلون الى تغيير شفة نسائهم المحمرة الى لون السواد مع انه مما يغم الفؤاد و يورث الشواد م و الكباد (و أحلى من العسل) أى ألذ منه مع ما فيه من الشفاء للعباد و فيه اشعار الى مذمة شربة الخمر لما فيها من الحرارة مع قطع النظر عما يترتب على شربها من الفساد (و أكوابه) جمع كوب و هو الكوز الذى لا عروة له على ما فى الشروح أو لا خرطوم له على ما فى القاموس (عدد نجوم السماء) بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف أى عدد أكوابه عدد نجوم السماء و فى بعض النسخ بالنصب على نزع الخافض و هو الاظهر أى بعدد نجوم السماء (من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدا) فيه ايماء الى تفاوت مراتب الشاربين و اختلاف رفع ظماء الواردين (أول الناس ورودا) أى عليه (فقراء المهاجرين) أى لتعطشهم الظاهرى و المعنوى و قد قال صلى الله تعالى عليه وسلم أجوعكم فى الدنيا أشبعكم فى الآخرة و على قياسه أظمؤكم و قال تعالى كلوا و اشربوا هنيئا بما أسلفتم فى الايام الخالية والمراد من المهاجرين الذين هاجروا من مكة الى المدينة وهو صلى الله تعالى عليه وسلم سيدهم و فى معناهم كل من هاجر من وطنه الاصلى لله سبحانه و اختار الفقر على الغنى و الخمول على الشهرة و زهد فى تحصيل المال و الجاه و اشتغل بالعلم و العمل فى رضا مولاه (الشعث) بضم الشين المعجمة و سكون العين المهملة جمع أشعث بالمثلثة أى المتفرقو الشعر (رؤسا) تمييز و الرأس قد يتناول الوجه فتدخل اللحية فى شعر الرأس من هذا الوجه (الدنس) بضم المهملة و النون و قد يسكن جمع الدنس وهو الوسخ (ثيابا الذين لاينكحون) بصيغة المجهول أى لايزوجون لو خطبوا (المتنعمات) أى بكسر العين و فى نسخة بفتح الياء و كسر الكاف أى الذين لايتزوجون المتنعمات لتركهم الشهوات و زهدهم فى اللذات (و لايفتح لهم السدد) بضم السين و فتح الدال الاولى المهملتين جمع سدة و هى باب الدار سمى بذلك لان المدخل يسد به و المعنى لو وقفوا على باب أرباب الدنيا فرضا و تقديرا لايفتح لهم و لايؤبه بهم أو هو كناية عن عدم الالتفات اليهم فى الضيافة و أنواع الدعوة حيث لم يدعوهم الى مقامهم و لم يتباركوا باقدامهم (رواه أحمد و الترمذى و ابن ماجه) و كذا الحاكم (و قال الترمذى هذا حديث غريب ★ وعن زيد بن ارقم قال كنا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أى فى سفر (فنزلنا منزلا فقال ما أنتم) أى أيها الصحابة الحاضرون (جزء) بالرفع فى أصل السيد و كثير من النسخ و فى نسخة بالنصب (من مائة ألف جزء ممن يرد على الحوض)

قيل كم كنتم يومئذ قال سبعمائة أو ثمانمائة رواه أبوداود ✱ و عن سمرة قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم ان لكل نبى حوضا و انهم ليتباهون أيهم أكثر واردة و انى لارجو ان أكون أكثرهم واردة رواه الترمذى و قال هذا حديث غريب ✱ و عن أنس قال سألت النبى صلى‌الله عليه‌وسلم أن يشفع لى يوم القيامة فقال أنا فاعل قلت يا رسول‌الله فأين أطلبك

قال ابن الملك رحمه الله يجوز نصب جزء على لغة أهل الحجاز باعمال ما و اجرائه مجرى ليس و يجوز رفعه على لغة بنى تميم يريد به كثرة من آمن به و صدقه من الانس و الجن (قيل كم كنتم يومئذ) كم الاستفهامية محلها نصب على انه خبر كان أى كم رجلا أو عددا كنتم حين اذ كنتم معه فى السفر (قال) أى زيد بن أرقم (سبعمائة) بالنصب أى كنا و فى نسخة بالرفع اى كان عددنا سبعمائة (أو ثمانمائة) يحتمل الشك من الراوى عن زيد و يحتمل أن يكون بمعنى بل و يحتمل التردد من زيد كما هو مقرر فى باب التخمين و المراد ان العدد ما بينهما لاينقص عن الاول و لايزيد على الثانى و الله تعالى أعلم (رواه أبوداود ✱ و عن سمرة) أى ابن جندب (قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم ان لكل نبى حوضا) أى يشرب أمته من حوضه (و انهم) أى الانبياء (ليتباهون) بفتح الهاء أى يتفاخرون (أيهم أكثر واردة) أى ناظرين أيهم أكثر أمة واردة ذكره الطيبى رحمه الله و قيل أيهم موصولة صدر صلتها محذوف أو مبتدأ و خبر كما تقول يتباهى العلماء أيهم أكثر علما أى قائلين (و انى لارجو أن أكون أكثرهم واردة) و لعل هذا الرجاء قبل أن يعلم ان أمته ثمانون صفا و باقى الامم أربعون فى الجنة على ما سبق ثم الحوض على حقيقته المتبادر منه على ما فى المعتمد فى المعتقد و أغرب الطيبى رحمه الله حيث قال يجوز أن يحمل على ظاهره فيدل على ان لكل نبى حوضا و أن يحمل على المجاز و يراد به العلم و الهدى و نحوه قوله و منبرى على حوضى فى وجه و اليه يلمح قوله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم ما من نبى من الانبياء الا أعطى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر و انما كان الذى أوتيته وحيا أوحاه الله الى فارجو أن أكون أكثرهم تبعا يوم القيامة قلت هذا المعنى لاينافى الحوض الحسى الذى هو مبنى على مراتب الواردة بقدر أخذ الفيض من العلم و الهدى الذى حصل لهم من جهة أنبيائهم بل أقول لابد فى التفاوت بين ماء كل حوض فى الصفاء و الرواء و اللذة و الكثرة بحسب اختيارهم مذهبهم فهو على منوال فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل أناس مشربهم (رواه الترمذى و قال هذا حديث غريب ✱ و عن أنس قال سألت النبى صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم أن يشفع لى يوم القيامة) أى الشفاعة الخاصة من بين هذه الامة دون الشفاعة العامة (فقال أنا فاعل قلت يا رسول‌الله فأين أطلبك) قال الطيبى رحمه الله أى فى أى موطن من المواطن التى احتاج الى شفاعتك أطلبك لتخلصنى من تلك الورطة فأجاب على الصراط و عند الميزان و الحوض أى أفقر الاوقات الى شفاعتى هذه المواطن فان قلت كيف التوفيق بين هذا الحديث و حديث عائشة فى الفصل الثانى من باب الحساب فهل تذكرون أهليكم يوم القيامة فقال صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم أما فى ثلاث مواطن فلايذكر أحد أحدا قلت جوابه لعائشة بذلك لئلا تتكل على كونها حرم رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى عليه‌وسلم و جوابه لانس كيلا ييأس أقول فيه انه خادم رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم فهو محل الاتكال أيضا مع ان اليأس غير ملائم لها أيضا فالاوجه أن يقال ان الحديث الاول محمول على الغائبين فلاأحد يذكر أحدا من أهله الغيب و الحديث الثانى محمول على من حضره من أمته

قال اطلبنى أول ما تطلبنى على الصراط قلت فان لم ألقـك على الصراط قال فاطلبنى عند الميزان قلت فان لم ألقـك عند الميزان قال فاطلبنى عند الحوض فانى لا أخطئ هذه الثلاث المواطن رواه الترمذى و قال هذا حديث غريب ★ و عن ابن مسعود عن النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال قيل له ما المقام المحمود قال ذلـك يوم ينزل الله تعالى على كرسيه فيئط كما يئط الرحل الجديد من تضايقه

فيؤول بان ٢ بين عدم التذكر و بين وجود الشفاعة عند التحضر كما يدل عليه قوله فأين أطلبك (قال أطلبنى أول ما تطلبنى) أى فى اول طلبک اياى (على الصراط) فما مصدرية و أول نصب على الظرفية قال الطيبى رحمه الله نصبه على المصدرية (قلت فان لم ألقـك على الصراط قال فاطلبنى عند الميزان) فيه ايذان بان الميزان بعد الصراط (قلت فان لم ألقـك عند الميزان قال فاطلبنى عند الحوض فانى لا أخطئ) بضم همز و كسر الطاء بعدها همز أى لا أتجاوز (هذه الثلاث) أى البقاع و فى نسخة هذه الثلاثة بالتاء أى المواطن و المعنى لا أتجاوزهن و لا أحد يفقدنى فيهن جميعهن فلابد أن تلقانى فى موضع منهن و قد استشكل كون الحوض بعد الصراط لما سيأتى فى حديث الباب ان جماعة يدفعون عن الحوض بعد ان كادوا يردون و يذهب بهم الى النار و وجه الاشكال ان الذى يمر على الصراط الى الحوض يكون قد نجا من النار فكيف يرد اليها و يمكن أن يحمل على انهم يقربون من الحوض بحيث يرون فيدفعون فى النار قبل أن يخلصوا من الصراط كذا حققه الشيخ ابن حجر العسقلانى رحمه الله (رواه الترمذى و قال هذا حديث غريب ★ و عن ابن مسعود عن النبى صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم قال قيل له ما المقام المحمود) أى الذى وعدته فى قوله تعالى عسى أن يبعثـك ربک مقاما محمودا (قال ذلـك يوم) بالرفع و التنوين على الرواية الصحيحة على ما صرح به جمع من علمائنا و يجوز فتحه و هو خبر ذلـك على التقديرين أما على الثانى فظاهر و أما على الاول فتقديره ذلـك اليوم الذى أبلغ فيه المقام المحمود (يوم ينزل الله تعالى على كرسيه) يمكن أن يكون كناية عن حكمه بالعدل فى يوم الفصل قبل أظهار الفضل المتوقف على شفاعته صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم اشعارا لمزيد فضله على خلقه فكما انه لولاه أولا لما خلق الافلاك و لا وجد الاملاك فكذا لولاه آخرا لوقع الانام فى الهلاك فهو الاول و الآخر و الباطن و الظاهر و هو مظهر الكل المعبر عنه بانه مظهر الجامع المسمى بالله و قيل هذا على طريقة الاستعارة التمثيلية كما أشار اليه القاضى بقوله مثل التجلى لعباده بنعت العظمة و الكبرياء و الاقبال عليهم للعدل و القضاء و ادناء المقربين منهم على حسب مراتبهم و كشف الحجاب فيما بينه و بينهم بنزول السلطان من غرف القصر الى صدر الدار و جلوسه على كرسى الملـك للحكومة و الفصل و أقامة خواصه و أهل كرامته حواليه قداما و وراء و يمينا و شمالا على تفاوت مراتبهم لديه و قيل معنى نزول الله تعالى على كرسيه ظهور مملكته و حكمه محسوسا و قيل معناه التجلى له بنعت العظمة و الاقبال بوصف الكبرياء فى اليوم الموعود حتى يتضايق من احتمال ما قد غشيه من ذلـك و هذا لم يبعد عن الحق لما فى كشف الحجاب من معنى النزول عن معارج الجلال الى مدارج الجمال (فيئط) بكسر الهمزة و تشديد الطاء أى يصوت الكرسى (كما يئط الرحل) أى الاكاف (الجديد) براكبه أى بسبب ركوب راكبه اذا كان عظيما قال الطيبى رحمه الله و هو مبالغة و تصوير لعظمة التجلى على طريق الترشيح (من تضايقه) به متعلق بقوله فيئط أى من عدم اتساع الكرسى بالله تعالى كذا قاله شارح و قيل أى من تضايق الكرسى

و هو كسعة ما بين السماء و الارض، و يجاء بكم حفاة عراة غرلا فيكون أول من يكسى ابراهيم يقول الله تعالى أكسوا خليلى فيؤتى بريطتين بيضاوين من رياط الجنة ثم أكسى على أثره ثم أقوم عن يمين الله مقاما يغبطنى الاولون و الآخرون

بملائكة الله و هذا تمثيل عن كثرة الملائكة الحافين حول عرشه (و هو كسعة ما بين السماء و الارض) بفتح سين كسعة و يكسر و فى نسخة يسعه ما بين السماء و الارض ففى القاموس وسعه الشئ بالكسر يسعه كيضعه سعة كدعة و دية و فى المغرب يقال وسع الشئ المكان و معناه وسعه المكان و ذلك اذا لم يضق عنه و الجملة حال و الضمير راجع الى الكرسى أى و الحال ان الكرسى يسع ما بين السماء و الارض اشارة الى قوله تعالى وسع كرسيه السموات و الارض لكن جاء فى الحديث ان الارض بجنب السماء كحلقة فى فلاة و كذا كل سماء بالنسبة الى ما فوقها و السموات السبع و الارضين عند الكرسى كحلقة فى فلاة و كذا هو فى جنب العرش قال الطيبى رحمه الله قوله و هو يسعه حال أو معترضة جيء بها دفعا لتوهم من يتوهم ان أطيط الكرسى للضيق بسبب تشبيهه بالرحل فى الاطيط (و يجاء بكم حفاة عراة غرلا) أى تحضرون فى هذه الحالات (فيكون أول من يكسى ابراهيم) برفعه و نصب أول و فى نسخة بعكسه قال الطيبى رحمه الله فعلى الاول فيه تقديم و تأخير كقوله تعالى ان خير من استأجرت القوى الامين (يقول الله تعالى) استئناف بيان (أكسوا). بضم الهمزة و السين أمر للملائكة أى ألبسوا (خليلى فيؤتى بريطتين بيضاوين من رياط الجنة) بكسر الراء جمع ريطة بفتحها و هى الملاءة الرقيقة اللينة من الكتان لاتكون لفقتين بل تكون قطعة واحدة يؤتى بها من الشام . (ثم أكسى) بصيغة المفعول أى ألبس أنا (على أثره) بفتحتين و بكسر فسكون أى عقب ابراهيم و بعده (ثم أقوم عن يمين الله) أى قيام كرامة (مقاما يغبطنى) بكسر الموحدة أى يتمناه (الاولون و الآخرون) فان قيل كيف وجه المطابقة بين السؤال و الجواب أجيب بان الدال على الجواب هو قوله ثم أقوم عن يمين الله لكنه صلى الله تعالى عليه وسلم ذكر اولا الوقت الذى يكون فيه المقام المحمود و وصفه بما يكون فيه من الاهوال ليكون أعظم فى النفوس وقعا ثم أشاز الى الجواب بقوله ثم أقوم عن يمين الله و حاصل الجواب ان المقام المحمود هو المقام الذى أقوم فيه عن يمين الله يوم القيامة قال الطيبى رحمه الله و فى الحديث دلالة ظاهرة على فضل نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم على من سوى الله تعالى من الموجودات و حيازته قصب السبق من بين السابق و اللاحق من الملائكة و الثقلين و كفى بالشاهد شهيدا على ان الملك الاعظم اذا ضرب سرادق الجلال لقضاء شؤن العباد و جمع أساطين دولته و أشراف مملكته و جلس على سرير ملكه لايخفى ان من يكون عن يمينه هو أولى أولى القرب و أما كسوة ابراهيم عليه الصلاة والسلام قبله صلى الله تعالى عليه وسلم فلايدل على تفضيله عليه بل على فضله و انه انما قدم كسوته على كسوة مثل من يغبطه الاولون و الآخرون اظهارا لفضله و كرامته و مكانته و نحوه قوله تعالى ان ابراهيم كان أمة قانتا الى قوله ثم أوحينا اليك الآية الكشاف فى ثم هذه ما فيها من تعظيم منزلة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم و اجلال محله و الايذان بان أشرف ما أوتى خليل الله من الكرامة و أجل ما أولى من النعمة اتباع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ملته من قبل انها دلت على تباعد هذا النعت فى المرتبة من بين سائر النعوت التى أثنى الله تعالى عليه بها اه و قيل لايلزم منه الفضيلة المطلقة

رواه الدارمی ✱ و عن المغیرة بن شعبة قال قال رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم شعار المؤمنین یوم القیامة علی الصراط رب سلم سلم رواه الترمذی و قال هذا حدیث غریب ✱ و عن أنس ان النبی صلی‌الله‌علیه‌وسلم قال شفاعتی لاهل الـکبائر من أمتی

و یمکن ان یقال لایدخل النبی صلی‌الله‌تعالی‌علیه‌وسلم فی ذلـک علی القول بان المتکلم لایدخل تحت خطابه قلت هذا غفلة من القائل عن تصریح قوله ثم أکسی علی أثره قیل و یمکن ان یقال بان نبینا صلی‌الله‌تعالی‌علیه‌وسلم انما جیء به کاسیا‌و انما کسی ثانیا للکرامة بخلاف غیره فانه کسی للعری أقول و هذا مستبعد جدا بل الظاهر انهم یبعثون عراة ثم یخلق لهم أکفانهم فیلبسونها ثم یخلع‌الله تعالی علی من یشاء من عباده و لما کان الخلیل أفضل الانبیاء علیهم الصلاة والسلام ابتدیٔ به و لما کان نبینا صلی‌الله‌تعالی‌علیه‌وسلم خاتم النبیین ختم به و أقیم عن یمین الرحمن مع انه قد یکون الامر ترقیا علی ان ابراهیم کان جده علیه السلام و متبوعه فی بعض المقام مع مراعاة کونه أول من عری فی ذات الله حین أرادوا القاه فی النار فبما ذکرنا امتاز الخلیل عن سائر الانبیاء و الله سبحانه و تعالی أعلم (رواه الدارمی ✱ و عن المغیرة بن شعبة قال قال رسول‌الله صلی‌الله تعالی‌علیه‌وسلم شعار المؤمنین) بکسر الشین المعجمة أی علامتهم التی یتعارفون بها مقتدیا کل أمة برسولهم قولهم (یوم القیامة علی الصراط رب سلم سلم) و التکرار للالحاح أو المراد به التکثیر و یمکن ان یکون شعار المؤمنین قول الانبیاء فی حقهم هذا الدعاء و یؤیده ما رواه الطبرانی عن ابن عمر رضی الله عنهما و شعار أمتی اذا حملوا علی الصراط یا لا اله الا أنت و یمکن الجمع بان هذا من خصوصیات هذه الامة و الاول لسائر الامم و الاظهر ان قوله رب سلم سلم انما هو من شعار المؤمنین الـکاملین من العلماء العاملین و الشهداء الصالحین ممن لهم مقام الشفاعة تبعا للانبیاء و المرسلین (رواه الترمذی) و کذا الحاکم (و قال) أی الترمذی (هذا حدیث غریب) و روی ابن مردویه عن عائشة مرفوعا شعار المؤمنین یوم یبعثون من قبورهم لا اله الا الله و علی الله فلیتوکل المؤمنون و روی الشیرازی عنها أیضا شعار المؤمنین یوم القیامة فی ظلم القیامة لا اله الا أنت ✱(و عن أنس ان النبی صلی‌الله‌تعالی‌علیه‌وسلم قال شفاعتی لاهل الـکبائر من أمتی) أی شفاعتی فی العفو عن الـکبائر من أمتی خاصة دون غیرهم من الامم و قال الطیبی رحمه الله أی شفاعتی التی تنجی الهالـکین مختصة باهل الـکبائر و فی شرح مسلم للنووی قال القاضی عیاض رحمه الله مذهب أهل السنة جواز الشفاعة عقلا و وجوبها سمعا لصریح قوله تعالی یومئذ لاتنفع الشفاعة الا من أذن له الرحمن و رضی له قولا و قد جاءت الآثار الذی بلغت بمجموعها التواتر لصحة الشفاعة فی الآخرة و أجمع السلف الصالحون و من بعدهم من أهل السنة علیها و منعت الخوارج و بعض المعتزلة منها و تعلقوا بمذاهبهم فی تخلید المذنبین فی النار بقوله تعالی فما تنفعهم شفاعة الشافعین و بقوله سبحانه ما للظالمین من حمیم و لاشفیع یطاع و أجیب بان الآیتین فی الـکفار و المراد بالظلم الشرک و أما تاویلهم أحادیث الشفاعة بکونها فی زیادة الدرجات فباطل و ألفاظ الاحادیث فی الـکتاب و غیره صریحة فی بطلان مذهبهم و اخراج من استوجب النار قلت و منه هذا الحدیث حیث لا معنی لزیادة الدرجات فی الجنة لاصحاب الـکبائر الذین هم علی زعمهم من أهل الخلود فی النار قال و الشفاعة خمسة أقسام أولها مختصة بنبینا صلی‌الله‌تعالی‌علیه‌وسلم و هی الاراحة من هول الموقف و تعجیل الحساب الثانیة فی ادخال قوم

رواه الترمذی و أبوداود و رواه ابن ماجه عن جابر ✱ و عن عوف بن مالک قال قال رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم أتانی آت من عند ربی فخیرنی بین أن یدخل نصف أمتی الجنة و بین الشفاعة فاخترت الشفاعة و هی لمن مات لایشرك بالله شیأ رواه الترمذی و ابن ماجه ✱ و عن عبدالله بن أبی الجدعاء قال سمعت رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم یقول یدخل الجنة بشفاعة رجل من أمتی أ کثر من بنی تمیم رواه الترمذی و الدارمی و ابن ماجه

الجنة بغیر حساب و هذه أیضا وردت فی نبینا صلی‌الله‌تعالی‌علیه‌وسلم الثالثة الشفاعة لقوم استوجبوا النار فیشفع فیهم نبینا صلی‌الله‌تعالی‌علیه‌وسلم و من شاء الله تعالی الرابعة فیمن دخل النار من المذنبین فقد جاءت الاحادیث باخراجهم من النار بشفاعة نبینا و الملائکة و اخوانهم من المؤمنین ثم یخرج الله تعالی کل من قال لا اله الا الله الخامسة الشفاعة فی زیادة الدرجات فی الجنة لاهلها و هذه لاتنکرها أیضا (رواه الترمذی و أبوداود) أی عن أنس (و رواه ابن ماجه عن جابر) و فی الجامع رواه أحمد و أبوداود و الترمذی و ابن حبان و الحاکم عن أنس و رواه الترمذی و ابن‌ماجه و ابن حبان و الحاکم عن جابر و رواه الطبرانی عن ابن عباس و الخطیب عن ابن عمر و عن کعب ابن عجرة رضی‌الله تعالی عنهم و فی روایة للخطیب عن أبی الدرداء شفاعتی لاهل الذنوب من أمتی و ان زنی و ان سرق علی رغم أنف أبی الدرداء و فی روایة له عن علی شفاعتی لامتی من أحب أهل بیتی و روی أبونعیم فی الحلیة عن عبدالرحمن بن‌عوف شفاعتی مباحة الا لمن سب أصحابی و روی ابن منیع عن زید بن أرقم و بضعة عشر من الصحابة و لفظه شفاعتی یوم القیامة حق فمن لم‌یؤمن بها لم‌یکن من أهلها ✱(و عن عوف بن مالک قال قال رسول‌الله صلی‌الله‌تعالی‌علیه‌وسلم أتانی آت) أی ملک عظیم (من عند ربی فخیرنی) أی ربی أو الملک (بین أن یدخل) بفتح الیاء و ضم الخاء علی ما فی الاصول المعتمدة و فی نسخة صحیحة بصیغة المجهول و فی أخری بضم أوله و کسر الخاء علی أن الفاعل هو الله أو الملک مجازا فقوله (نصف أمتی) مرفوع علی الاولین و منصوب علی الثالث و قوله (الجنة) بالنصب علی أنه مفعول ثان بکل من الروایات (و بین الشفاعة فاخترت الشفاعة) أی لامة الاجابة لاحتیاج أکثرهم الیها (و هی) أی الشفاعة (لمن مات لایشرك بالله شیأ) و أعلم انه نقل عن نسخة السید جمال الدین المحدث ان تدخل بالتاء المثناة من فوق علی بناء الفاعل من الثلاثی المجرد و نصف بالرفع فیحتاج الی تکلف بل الی تعسف و هو أن یقال اکتسب التأنیث من المضاف الیه و ضبط بالحمرة أیضا تدخل من باب الافعال علی البناء للفاعل مخاطبا و یرده قوله نصف أمتی و القول بالالتفات فی مثل هذا مما لایلتفت الیه (رواه الترمذی و ابن ماجه) و کذا ابن حبان عن عوف و رواه أحمد عن أبی موسی ✱(وعن‌عبدالله بن أبی الجدعاء) بفتح الجیم و سکون الدال المهملة کذا فی جامع الاصول و هکذا ضبط فی النسخ المعتمدة و أیضا نسب الی العسقلانی لکنه فی نسخة السید بالذال المعجمة و یؤیده ما فی التقریب من انه بجیم مفتوحة فذال معجمة ساکنة کنانی صحابی له حدیثان تفرد بالروایة عنه عبدالله بن شقیق و قال المؤلف تمیمی یذکر فی الوحدان روی عنه عبدالله بن شقیق و عداده فی البصریین (قال سمعت رسول‌الله صلی‌الله‌تعالی‌علیه‌وسلم یقول یدخل الجنة بشفاعة رجل) أی جلیل (من أمتی أکثر من بنی تمیم) و هی قبیلة کبیرة فقیل الرجل هو عثمان بن عفان رضی‌الله‌تعالی‌عنه و قیل أوس القرنی و قیل غیره قال زین العرب رحمه الله و هذا أقرب (رواه الترمذی و الدارمی و ابن ماجه

★ وعن أبي سعيد ان رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال ان من أمتى من يشفع للفئام ومنهم من يشفع للقبيلة و منهم من يشفع للعصبة ومنهم من يشفع للرجل حتى يدخلوا الجنة رواه الترمذى ★ وعن أنس قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم ان الله عزوجل وعدنى أن يدخل الجنة من أمتى أربعمائة ألف بلا حساب فقال أبوبكر زدنا يا رسول‌الله قال و هكذا فحثى بكفيه و جمعهما فقال أبوبكر زدنا يا رسول‌الله قال و هكذا فقال عمر دعنا يا أبابكر فقال أبوبكر و ما عليك أن يدخلنا الله كلنا الجنة فقال عمر ان الله عزوجل ان شاء أن يدخل خلقه الجنة

★ و عن أبي سعيد) أى الخدرى رضى‌الله عنه (ان رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم قال ان من أمتى) أى بعض أفرادهم من العلماء و الشهداء و الصلحاء (من يشفع للفئام) بكسر الفاء بعده همز و قد يبدل قال الجوهرى هو الجماعة من الناس لا واحد له من لفظه و العامة تقول فيام بلا همز أقول الاظهر أن يقال ههنا معناه القبائل كما قيل هو فى المعنى جمع فئة لقوله (و منهم من يشفع للقبيلة) و هى قوم كثير جدهم واحد (و منهم من يشفع للعصبة) بضم فسكون و هو ما بين العشرة الى الاربعين من الرجال لا واحد لها من لفظها و الاظهر أن المراد بها جمع و لو اثنان لقوله (و منهم من يشفع للرجل) و يمكن أن يقال طوى ما بين العصبة و الرجل لما يدل عليه الرجل بالبرهان الجلى كما يدل على المرأة بالقياس الخفى (حتى يدخلوا) أى الامة كلهم (الجنة) قال الطيبى رحمه الله يحتمل أن يكون غاية يشفع و الضمير لجميع الامة أى ينتهى شفاعتهم الى أن يدخلوا جميعهم الجنة و يجوز أن يكون بمعنى كى فالمعنى ان الشفاعة لدخول الجنة (رواه الترمذى) أى و حسنه على ما نقله عنه السيد ★(وعن أنس قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم ان الله عزوجل وعدنى أن يدخل الجنة من أمتى أربعمائة ألف بلا حساب) أى و لا كتاب و لا سابقة عذاب (فقال أبوبكر زدنا يا رسول‌الله) أى زدنا فى الاخبار عما وعدك ربك أدخال أمتك الجنة بشفاعتك يدل على هذا التأويل حديث أبى أمامة قال سمعت رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم يقول وعدنى ربى أن يدخل الجنة من أمتى سبعين ألفا لا حساب عليهم و لا عذاب مع كل ألف سبعون ألفا و ثلاث حثيات من حثيات ربى كذا ذكره الطيبى رحمه الله تعالى و هو مستحسن جدا الا أن قيد قوله بشفاعتك لا دلالة للكلام عليه و الظاهر ان هؤلاء يدخلون الجنة من غير شفاعة مخصوصة و ان كانوا داخلين فى الشفاعة العامة هذا و فى قوله زدنا دليل على أن له صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم مدخلا و مجالا فى الامور الاخروية و فى التصرفات الربوبية بحسب ما أولاه مولاه من الرتبة الجلية و المزية العلية (قال) أى أنس (وهكذا) أى و فعل هكذا و تفسيره (فحثى بكفيه و جمعهما فقال أبوبكر زدنا يا رسول‌الله قال و هكذا) أى فحثى بكفيه وجمعهما و الظاهر ان هذا حكاية لفعله سبحانه و لذا قال الشراح انما ضرب المثل بالحثيات لان من شأن المعطى الكريم اذا استزيد أن يحثى بكفيه من غير حساب و ربما ناوله ملء كف فالحثى كناية عن المبالغة فى الكثرة و الا فلا كف و لا حثى (فقال عمر دعنا يا أبابكر) أى أتركنا على ما بين لنا الحال بطريق الاجمال لنكون بين الخوف و الرجاء على وجه الاعتدال (فقال أبوبكر و ما عليك) أى بأس و ضرر (أن يدخلنا الله كلنا) أى جميعنا و هو تأكيد للضمير فى يدخلنا (الجنة فقال عمر ان الله) أى بل أقول زيادة على ما تقول على ما هو المعتقد بالمنقول و المعقول و هو أن الله (عزوجل ان شاء أن يدخل خلقه الجنة) أى جميع مخلوقاته من الانس

بكف واحد فعل فقال النبي صلى الله عليه وسلم صدق عمر رواه فى شرح السنة ★ وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يصف أهل النار فيمر بهم الرجل من أهل الجنة فيقول الرجل منهم يا فلان أما تعرفنى أنا الذى سقيتك شربة وقال بعضهم أنا الذى وهبت لك وضوأ فيشفع له فيدخله الجنة رواه ابن ماجة ★ و عن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان رجلين ممن دخل النار أشتد صياحهما فقال الرب تعالى أخرجوهما فقال لهما لاى شئ أشتد صياحكما قالا فعلنا ذلك لترحمنا قال فان رحمتى لكما ان تنطلقا فتلقيا أنفسكما حيث كنتما من النار

و الجن مؤمنهم و كافرهم و مطيعهم و فاجرهم (بكف واحد) أى بمرتبة واحدة (فعل) كما قال سبحانه و لو شاء لهدا كم أجمعين و لكن الله يفعل ما يريد قيل أراد بكف واحد عطاءه و فضله أى لو أراد أن يدخل الخلق كله بفضل رحمته فعل فانها أوسع من ذلك هذا و الكف على ما فى القاموس اليد او الى الكوع و جعلها صاحب المغرب من المؤنثات السماعية و عدها ابن الحاجب أيضا فى رسالته مما يجب تأنيثه فقوله بكف واحد مؤول بعطاء واحد أو بمقبوض واحد (فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم صدق عمر) قال التوربشتى رحمه الله و انما لم يجب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أبابكر بمثل كلام عمر رضى الله تعالى عنهما لانه وجد للبشارات مدخلا عظيما فى توجه النفوس القدسية فان الله ينجى خلقه من عذابه بشفاعة الشافعين الفوج بعد الفوج و القبيل بعد القبيل ثم يخلص من قصرت عنه شفاعة الشافعين بفضل رحمته و هم الذين سلم لهم الايمان و لم يعملوا خيرا قط على ما سبق فى الحديث. قال بعض العارفين ما ذهب اليه أبوبكر هو من باب التضرع و المسكنة و ما ذهب اليه عمر من باب التفويض و التسليم أقول التسليم أسلم و الله تعالى أعلم (رواه) أى صاحب المصابيح (فى شرح السنة) أى باسناده و رواه أحمد فى مسنده على ما ذكره السيد ★ (و عنه) أى عن أنس (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يصف) بضم و فتح و تشديد أى يجعل صفا و فى نسخة بفتح فضم أى يصير صفا (أهل النار) أى من عصاة المؤمنين و الفجار فى طريق أهل الجنة من العلماء الاخيار و الصلحاء الابرار على هيئة المساكين السائلين فى طريق الاغنياء فى هذه الدار (فيمر بهم الرجل من أهل الجنة فيقول الرجل منهم) أى من أهل النار (يا فلان) كناية عن أسمه (أما تعرفنى أنا الذى سقيتك شربة) أى من ماء أو لبن أو نحوهما (و قال بعضهم أنا الذى وهبت لك وضوأ) بفتح الواو أى ماء وضوء وعلى هذا القياس من لقمة أوخرقة أونوع أعانة أوجنس عطية كلية أوجزئية و لو بشق تمرة أو كلمة طيبة فان الغريق يتعلق بكل حشيش (فيشفع له) أى ذلك الصالح (فيدخله الجنة) أى يصير سببا لدخوله أياها أو المعنى فيدخله معه الجنة و الله تعالى أعلم قال المظهر فيه تحريض على الاحسان الى المسلمين لاسيما مع الصلحاء و المجالسة معهم و محبتهم فان محبتهم زين فى الدنيا و نور فى العقبى (رواه ابن ماجه ★ و عن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان رجلين ممن دخل النار اشتد صياحهما) أى بكاؤهما و تضرعهما و استغاثتهما (فقال الرب تعالى) أى للزبانية (أخرجوهما فقال لهما لاى شئ اشتد صياحكما) أى بعد ما كنتما ساكتين خامدين (قالا فعلنا ذلك) أى اشتداد الصياح (لترحمنا) أى فانك تحب من يتضرع اليك (قال فان رحمتى لكما ان تنطلقا) أى تذهبا (فتلقيا أنفسكما حيث كنتما من النار) فيه ايماء الى أن مجرد التضرع الظاهرى لايفيد الرحمة بدون الانقياد الباطنى و لذا قال تعالى ان رحمة الله قريب من

فيلقى أحدهما نفسه فيجعلها الله عليه بردا و سلاما و يقوم الآخر فلايلقى نفسه فيقول له الرب تعالى ما منعك أن تلقى نفسك كما ألقى صاحبك فيقول رب انى لارجو أن لاتعيدنى فيها بعد ما أخرجتنى منها فيقول له الرب تعالى لك رجاؤك فيدخلان جميعا الجنة برحمة الله رواه الترمذى ★ و عن ابن مسعود قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم يرد الناس النار ثم يصدرون منها باعمالهم فاولهم كلمح البرق ثم كالريح ثم كحضر الفرس ثم كالراكب فى رحله ثم كشد الرجل ثم كمشيه رواه الترمذى و الدارمى

المحبوسين قال الطيبى رحمه الله قوله أن تنطلقا فتلقيا خبر ان فان قلت كيف يجوز حمل الانطلاق الى النار و القاء النفس فيها على الرحمة قلت هذا من حمل السبب على المسبب و تحقيقه انهما لما فرطا فى جنب الله و قصرا فى العاجلة فى امتثال أمره أمرا هنالك بالامتثال فى القاء أنفسهما فى النار ايذانا بان الرحمة انما هى مترتبة على امتثال أمر الله عزوجل (فيلقى أحدهما نفسه) أى فى النار (فيجعلها الله عليه بردا و سلاما) أى كما جعلها بردا و سلاما على ابراهيم (ويقوم الآخر) أى يقف (فلايلقى نفسه فيقول له الرب تعالى ما منعك أن تلقى نفسك) أى من القائها فى النار (كما ألقى صاحبك) أى كالقائه فيها (فيقول رب انى لارجو أن لاتعيدنى فيها بعد ما أخرجتنى منها) فالاول امتثل بالخوف و العمل و الثانى عمل بالعلم و الامل (فيقول له الرب تعالى لك رجاؤك) أى مقتضاه و نتيجته كما ان لصاحبك خوفه و عمله بموجبه (فيدخلان) بصيغة المفعول أى فيدخلهما الله (جميعا الجنة برحمة الله) أى المترتبة على العمل و المعرفة (رواه الترمذى ★ و عن ابن مسعود قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم يرد الناس النار) يرد على وزن يعد مضارع من الورود بمعنى الحضور يقال وردت ماء كذا أى حضرته و انما سماه ورودا لان المارة على الصراط يشاهدون النار و يحضرونها و على هذا يؤول قوله تعالى و ان منكم الا واردها و فيه ايماء الى انهم حينئذ فى العطش الشديد و انما مروا على الصراط للوصول الى الحوض الموزود قال التوربشتى رحمه الله الورود لغة قصد الماء ثم يستعمل فى غيره و المراد منه ههنا الجواز على جسر جهنم (ثم يصدرون منها) بضم الدال أى ينصرفون عنها فان الصدر اذا عدى بمن اقتضى الانصراف و هذا على الاتساع و معناه النجاة اذ ليس هناك انصراف و انما هو المرور عليها فوضع الصدر موضع النجاة للمناسبة التى بين الصدور و الورود قال الطيبى رحمه الله ثم فى ثم يصدرون مثلها فى قوله تعالى ثم ننجى الذين اتقوا فى أنها للتراخى فى الرتبة لا الزمان بين الله تعالى التفاوت بين ورود الناس النار و بين نجاة المتقين منها فكذلك بين رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم التفاوت بين ورود الناس النار و بين صدورهم منها على ان المراد بالصدور الانصراف انتهى و الحاصل أن الخلق بعد شروعهم فى الورود يتخلصون من خوف النار و مشاهدة رؤيتها و ملاصقة لهبها و دخانها و تعلق شوكها و أمثالها على مراتب شتى فى سرعة المجاوزة و ابطائها (باعمالهم) أى بحسب مراتب أعمالهم الصالحة (فاولهم) أى أسبقهم (كلمح البرق) أى الخاطف (ثم كالريح) أى العاصف (ثم كحضر الفرس) أى جريه و هو بضم الحاء و سكون الضاد العدو الشديد (ثم كالراكب فى رحله) أى على راحلته و عداه بفى لتمكنه من السير كذا قاله الطيبى رحمه الله و قيل أراد الراكب فى منزله و مأواه فانه يكون حينئذ السير و السرعة أشد (ثم كشد الرجل) أى عدوه و جريه (ثم كمشيه) أى كمشى الرجل

✦(الفصل الثالث)✦ عن ابن عمر ان رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال ان أمامكم حوضى ما بين جنبيه كما بين جرباء و اذرح قال بعض الرواة هما قريتان بالشام بينهما مسيرة ثلاث ليال و فى رواية فيه أباريق كنجوم السماء من ورده فشرب منه لم يظمأ بعدها أبدا متفق عليه ✦وعن حذيفة و أبى‌هريرة قالا قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم يجمع الله تبارك و تعالى الناس فيقوم المؤمنون حتى تزلف لهم الجنة فيأتون آدم فيقولون يا أبانا استفتح لنا الجنة فيقول و هل أخرجكم من الجنة الا خطيئة أبيكم لست بصاحب ذلك اذهبوا الى ابنى ابراهيم خليل الله قال فيقول ابراهيم لست بصاحب ذلك انما كنت خليلا من وراء وراء

على هينته (رواه الترمذى و الدارمى)

✦(الفصل الثالث)✦ (عن ابن عمر رضى‌الله‌عنهما أن رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم قال ان امامكم) بفتح الهمزة أى قدامكم يوم القيامة (حوضى) أى بعد الصراط (ما بين جنبيه) أى طرفيه (كما بين جرباء) بفتح جيم و سكون راء موحدة ممدودة (و إذرح) بفتح همز و سكون ذال معجمة و ضم راء و بحاء مهملة غير منصرفين (قال بعض الرواة) أى رواة هذا الحديث (هما قريتان بالشام بينهما مسيرة ثلاث ليال) قال صاحب القاموس الجرباء قرية بجنب اذرح و غلط من قال بينهما ثلاثة أيام و انما الوهم من رواة الحديث من اسقاط زيادة ذكرها الدارقطنى و هى ما بين ناحيتى حوضى كما بين المدينة و جرباء و اذرح (و فى رواية فيه) أى موضوع فى أطرافه أو على جوانبه (أباريق كنجوم السماء) أى فى الكثرة و صفاء الضياء (من ورده فشرب منه) أى شربة (لم يظمأ بعدها) أى بعد تلك الشربة أو بعد الشرب و هو مصدر يذكر و يؤنث (أبدا) أى دائما سرمدا فيكون شربه الاشربة فى الجنة بعدها بناء على التلذذ و التفكه و التكيف بها (متفق عليه) و رواه أحمد و الترمذى و ابن ماجه عنه بلفظ الكوثر نهر فى الجنة حافتاه من ذهب و مجراه على الدر و الياقوت تربته أطيب ريحا من المسك و ماؤه أحلى من العسل و أشد بياضا من اللبن ✦(و عن حذيفة و أبى‌هريرة قالا) أى كلاهما (قال رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم يجمع الله تبارك و تعالى الناس) المراد بهم الخلق و خصوا بالذكر للتشريف فانهم عمدة ارباب التكليف (فيقوم المؤمنون) أى الخواص من عموم الناس (حتى تزلف) بضم التاء و سكون الزاى و فتح اللام و بالفاء أى تقرب (لهم الجنة) و منه قوله تعالى و اذا الجنة أزلفت علمت نفس ما أحضرت (فيأتون) أى المؤمنون (آدم) و المراد بنهم بعضهم الخواص من كل أمة (فيقولون يا أبانا استفتح لنا الجنة) أى اطلب فتح بابها (حتى ندخلها فيقول و هل أخرجكم من الجنة الا خطيئة أبيكم) أى و صاحب الخطيئة لايصلح للشفاعة بل هو محتاج بنفسه الى الضراعة و هذا معنى قوله (لست بصاحب ذلك) أى ذلك المقام الذى أردتموه من الشفاعة الكبرى و المرتبة العظمى المسماة بالمقام المحمود المخصوص لصاحب اللواء الممدود (اذهبوا الى ابنى ابراهيم خليل الله) أى فانه من أفضل الرسل و جد خاتم الأنبياء فتقربوا اليه و اعرضوا أمركم عليه (قال فيقول ابراهيم لست بصاحب ذلك) أى المقام الموعود و المرام المشهود (انما كنت خليلا من وراء وراء) بالفتح فيهما على ما فى الاصول المعتمدة و النسخ المقروأة المصححة قال النووى رحمه‌الله المشهور الفتح فيهما بلا تنوين و يجوز فى العربية بناؤهما على الضم قال أبو البقاء الصواب الضم فيهما لان تقديره من وراء ذلك قال و ان صح الفتح قبل و قال الشيخ أبو عبد الله الفتح أصح و تكون الكلمة مركبة كشذر

اعمدوا الى موسى الذى كلمه الله تكليما فيأتون موسى عليه السلام فيقول لست بصاحب ذلك اذهبوا الى عيسى كلمة الله و روحه فيقول عيسى لست بصاحب ذلك فيأتون محمدا فيقوم فيؤذن له و ترسل الامانة و الرحم فيقومان جنبتى الصراط يمينا و شمالا فيمر أولكم كالبرق قال قلت بابى أنت و أمى أى شئ كمر البرق قال ألم تروا الى البرق كيف يمر و يرجع فى طرفة عين ثم كمر الريح ثم كمر الطير و شد الرجال تجرى بهم أعمالهم

مذر و شغر بغر فبناؤهما على الفتح و ان ورد منصوبا منونا جاز ذلك (اعمدوا) بكسر الميم أى اقصدوا (الى موسى الذى كلمه الله تكليما) أى بلا واسطة كتاب و من غير وراء حجاب قال صاحب التحرير و هذا وارد على سبيل التواضع أى لست بصدد تلك الدرجة الرفيعة و معناه ان المكارم التى أعطيتها كانت بواسطة سفارة جبريل عليه‌الصلاة‌والسلام و لكن ائتوا موسى عليه الصلاة‌والسلام فانه حصل له الكلام بغير واسطة قال و انما كرر لان نبينا صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم حصل له السماع بغير واسطة و حصل له الرؤية أيضا فكانه قال أنا وراء موسى الذى هو وراء محمد صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم .(فيأتون موسى فيقول لست بصاحب ذلك اذهبوا الى عيسى كلمة الله و روحه) بالجر على البدلية و يجوز رفعهما و نصبهما على المدح (فيقول عيسى لست بصاحب ذلك) و حينئذ ينحصر الامر فى نبينا خاتم الرسل و مقدم الكل (فيأتون محمدا صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم) فيه وضع الظاهر موضع ضمير المتكلم على سبيل الالتفات أو على طريق التجريد (فيقوم) أى عن يمين عرش الرحمن و يستأذن بالشفاعة فى نوع الانسان لازالة كرب الموقف و عموم الاحزان (فيؤذن له) أى فيسجد على ما سبق (و ترسل الامانة و الرحم) أى مصورتين كما تقدم (فتقومان) بالتأنيث على تغليب الامانة المتقدمة و بالتذكير على تغليب الرحم المذكر أى فيقفان أو فيحضران (جنبتى الصراط) بالفتحات أى طرفيه (يمينا و شمالا) كالبيان لما قبله و نصبهما على البدلية أو الظرفية (فيمر أولكم) التفات من الغيبة العامة الى الخطاب للخاصة (كالبرق) أى فى سرعة السير (قال) أى أبو هريرة (قلت بابى أنت و أمى) الباء للتعدية أى أفديك بهما (أى شئ) استفهام (كمر البرق) أى أى شئ شبيه به و المعنى فى أى شئ تشبهه بالبرق (قال ألم تروا الى البرق كيف يمر) أى سريعا (و يرجع فى طرفة عين) ذكره على سبيل الاستطراد أو على طريق التتميم للمعنى المراد فيكون الجواب بانه يشبهه فى سرعة السير كذا حرره الشراح و عندى ان التشبيه مركب من سرعة المرور و من ضياء الظهور ليكون نورا على نور و ليكون اشارة الى البدن و الروح و الى الظاهر و الباطن و الى الكمية و الكيفية و أيضا المرور مذكور فى كلام السائل و لابد فى الجواب من أمر زائد و الله تعالى أعلم ثم الظاهر ان المراد بهم الانبياء و يحتمل ان يراد بهم الاصفياء من هذه الامة و هم أرباب الجذبات الآلهية (ثم كمر الريح ثم كمر الطير و شد الرجال) أى جريهم. و الرجال اما جمع رجل أو جمع راجل قال الطيبى رحمه الله قوله أى شئ كمر البرق أى ما الذى يشبهه من المارين بمر البرق و قوله ألم تروا الى البرق بيان لما شبهوا به بالبرق و هو سرعة اللمعان يعنى سرعة مرورهم على الصراط كسرعة لمعان البرق كانه أى السائل استبعد ان يكون فى الانسان ما يشبه البرق فى السرعة فسأل عن أمر آخر هو المشبه فاجاب بان ذلك غير مستبعد و ليس بمستنكر ان يمنحهم الله تعالى ذلك بسبب أعمالهم الحسنة ألاترى كيف أسند الجريان الى الاعمال فى قوله (تجرى بهم أعمالهم) أى تجرى و هى

و نبيكم قائم على الصراط يقول يا رب سلم سلم حتى تعجز أعمال العباد حتى يجيء الرجل فلايستطيع السير الا زحفا قال و فى حافتى الصراط كلاليب معلقة مأمورة تأخذ من أمرت به فمخدوش ناج و مكردس فى النار و الذى نفس أبى هريرة بيده ان قعر جهنم لسبعون خريفا رواه مسلم ✱ و عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج من النار قوم بالشفاعة كانهم الثعارير قلنا ما الثعارير قال إنه الضغابيس متفق عليه ✱ و عن عثمان بن عفان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يشفع يوم القيامة ثلاثة الانبياء ثم العلماء ثم الشهداء رواه ابن ماجه

ملتبسة بهم لقوله تعالى و هى تجرى بهم فى موج كالجبال و يجوز ان يكون الباء للتعدية أى تجعلهم جارين (و نبيكم قائم على الصراط يقول يا رب سلم سلم حتى تعجز أعمال العباد) متعلق بتجرى و الجملة قبله معترضة بيانية أو حالية و المعنى تجرى بهم أعمالهم حتى تعجز أعمالهم عن الجريان بهم (حتى يجيء الرجل) بدل من قوله حتى تعجز و توضيح له (فلايستطيع) أى الرجل لضعف عمله و تقاعده عن السبق فى الدنيا (السير) أى المرور (على الصراط الا زحفا) أى حبوا كما تقدم و الله تعالى أعلم (قال) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أو أبو هريرة مرفوعا (و فى حافتى الصراط) بتخفيف الفاء أى جانبيه (كلاليب) جمع كلاب (معلقة مأمورة تأخذ) أى هى (من أمرت به) و لو روى بالباء و فتح الهمز و سكون الخاء على المصدر لكان له وجه وجيه (فمخدوش) أى فمنهم مجروح (ناج) أى من الوقوع فى النار (و مكردس فى النار) بفتح الدال المهملة و بالسين المهملة و قيل المعجمة و هو الذى جمعت يداه و رجلاه و القى فى موضع كذا فى النهاية فى السين المهملة ثم قال و المكردش بمعناه و فى نسخة مكدوس بالمهملة أى مدفوع فى النار ذكره فى النهاية ثم قال و يروى بالمعجمة من الكدش و هو السوق الشديد و الكدش الطرد و الجرح أيضا و فى القاموس كدسه أى صرعه و بالمعجمة دفعه دفعا عنيفا (و الذى نفس أبى هريرة بيده) هذا يؤيد أن مرجع ضمير قال اليه ثم هذا القسم اما موقوف عليه أو مرفوع اليه صلى الله تعالى عليه وسلم (ان قعر جهنم لسبعين خريفا) قال الدماميني أى ان مسافة السير اليه لسبعين خريفا و قال صاحب المغنى وجهه ان القعر مصدر قعرت البئر اذا بلغت قعرها و سبعين ظرفه أى ان بلوغ قعرها يكون فى سبعين عاما و فى نسخة بالواو قال النووى رحمه الله فى بعض الاصول سبعون بالواو و هو ظاهر و فيه حذف أى مسافة قعر جهنم مسيرة سبعين خريفا و فى معظم الاصول و الروايات سبعين بالياء و هو صحيح أيضا على تقدير مسيرة سبعين فحذف المضاف و ترك المضاف اليه على اعرابه أو يكون التقدير ان بلوغ قعر جهنم لكائن فى سبعين خريفا و سبعين خريفا ظرف لمحذوف (رواه مسلم ✱ و عن جابر قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يخرج من النار قوم بالشفاعة كانهم الثعارير) بالمثلثة و العين المهملة و الرائين جمع ثعرور كعصافير و عصفور (قلنا ما الثعارير قال انه) على ما فى نسخة صحيحة و فى نسخة قال (الضغابيس) بضاد و غين معجمتين و موحدة و تحتية و سين مهملة جمع ضغبوس فى النهاية الثعارير هى القثاء الصغار شبهوا بها لان القثاء ينمو سريعا و قيل هى رؤس الطراثيث تكون بيضا شبهوا ببياضها واحدها طرثوث و هو نبت يؤكل و الضغابيس صغار القثاء (متفق عليه ✱ و عن عثمان بن عفان) بلاصرف و يصرف رضى الله تعالى عنه (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يشفع يوم القيامة ثلاثة) أى ثلاثة أصناف من الاصفياء (الانبياء ثم

★(باب صفة الجنة و أهلها) ★ (الفصل الاول) ★ عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت و لا أذن سمعت و لا خطر على قلب بشر و اقرؤا ان شئتم فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين

العلماء) أى العاملون (ثم الشهداء) أى المخلصون و فى العطف بثم دلالة صريحة على تفضيل العلماء على الشهداء كما يدل عليه ما رواه الشيرازى عن انس و ابن عبد البر عن أبى الدرداء و ابن الجوزى فى العلل عن النعمان بن بشير مرفوعا يوزن يوم القيامة مداد العلماء و دم الشهداء فيرجح مداد العلماء على دم الشهداء و فيه مبالغة لاتخفى على الفضلاء فان مدادهم أقل أمدادهم و دم الشهداء أفضل أسعادهم (رواه ابن ماجه) و روى أبوداود عن أبى الدرداء مرفوعا يشفع الشهيد فى سبعين من أهل بيته

★ (باب صفة الجنة و أهلها) ★

الجنة البستان من الشجر المتكاثف المظلل بالتفاف أغصانه و التركيب دائر على معنى الستر فى الجنة و الجنة و الجنة و الجنون و وها فكان الجنة لتكاثفها و تظللها سميت بالجنة التى هى المرة من مصدر جنه اذا ستره كأنها سترة واحدة لفرط التفافها و سميت دار الثواب جنة لما فيها من الجنان أو لكونها مستورة عن أعين الناس ليكون الايمان بالغيب لا بالاعيان أو لان الله تعالى أخفى من قرة الاعين لاهلها الاعيان و الله سبحانه و تعالى أعلم

★ (الفصل الاول) ★ (عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال الله تعالى أعددت) أى هيأت (لعبادى الصالحين) بفتح ياء المتكلم و يسكن (ما لا عين رأت) قال الطيبى رحمه الله ما هنا أما موصولة أو موصوفة و عين وقعت فى سياق النفى فافاد الاستغراق و المعنى ما رأت العيون كلهن و لا عين واحدة منهن و الاسلوب من باب قوله تعالى ما للظالمين من حميم و لا شفيع يطاع فيحتمل نفى الرؤية و العين معا أو نفى الرؤية فحسب أى لا رؤية و لا عين أو لا رؤية و على الاول الغرض منه العين و انما ضمت اليه الرؤية ليؤذن بان انتفاء الموصوف أمر محقق لا نزاع فيه و بلغ فى تحققه الى ان صار كالشاهد على نفى الصفة و عكسه (و لا أذن) بضمتين و يسكن الذال (سمعت و لا خطر) أى وقع (على قلب بشر) قال الطيبى رحمه الله هو من باب قوله تعالى يوم لاينفع الظالمين معذرتهم أى لا قلب و لا خطور أو لا خطورا فعلى الاول لهم قلب يخطر فجعل انتفاء الصفة دليلا على انتفاء الذات أى اذا لم يحصل ثمرة القلب وهو الاخطار فلا قلب كقوله تعالى ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب فان قلت لم خص البشر هنا دون القرينتين السابقتين قلت لانهم هم الذين ينتفعون بما أعد لهم و يهتمون بشأنه و يخطرون ببالهم بخلاف الملائكة و الحديث كالتفصيل للآية فانها نفت العلم و الحديث نفى طريق حصوله (و اقرؤا) ظاهره انه مرفوع و يؤيده العاطف و الاظهر انه موقوف لقوله (ان شئتم) أى أردتم الاستشهاد و الاعتضاد (فلا تعلم) فى محل النصب على انه مفعول اقرؤا أو التقدير آية فلا تعلم (نفس) أى متنفس من الملائكة و غيرهم (ما أخفى لهم) قرأ الجمهور أخفى بتحريك الياء على البناء للمفعول و قرأ حمزة بسكونها على انه مضارع مسند للمتكلم و يؤيده قراءة ابن مسعود نخفى بنون العظمة و قرئ أخفى بفتح أوله و الفاعل هو الله تعالى (من قرة أعين) الكشاف لا تعلم النفوس كلهن و لا نفس واحدة منهن لا ملك مقرب و لا نبى مرسل أى نوع عظيم من الثواب ادخر الله لاولئك و أخفاه من جميع خلائقه لايعلمه الا هو مما تقر به عيونهم و لا مزيد على هذه النعمة

متفق عليه ✱ و عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم موضع سوط فى الجنة خير من الدنيا و ما فيها متفق عليه ✱ و عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم غدوة فى سبيل الله أو روحة

و لا مطمح وزاءها و فى شرح السنة يقال أقر الله عينك و معناه برد الله دمعتها لان دمعة الفرح باردة حكاه الاصمعى و قال غيره معناه بلغك الله أمنيتك حتى ترضى به نفسك و تقر عينك و لاتستشرف الى غيره قال الطيبى رحمه الله فعلى هذا الاول من القرة بمعنى البرد و الثانى من القرار و فى قوله أعددت دليل على ان الجنة مخلوقة و يعضده سكنى آدم و حواء الجنة و لمجيئها فى القرآن على نهج الاسماء الغالبة اللاحقة بالاعلام كالنجم و الثريا و الكتاب و نحوها و ذلك ان الجنة كانت تطلق على كل بستان متكاثف أغصان أشجارها ثم غلبت على دار الثواب و انما قلنا اللاحقة للاعلام لكونها غير لازمة للام و تحقيق القول انها منقولة شرعية على سبيل التغليب و انما تغلب اذا كانت موجودة معهودة و كذلك اسم النار منقولة لدار العقاب على سبيل الغلبة و ان اشتملت على الزمهرير و المهل و الضريع وغير ذلك و لولا ذلك لما كان يغنى عن طلب القصور و الحور و الولدان بالجنة و لا عن طلب الوقاية من الزمهرير و المهل و الضريع عن مطلق النار (متفق عليه) و كذا رواه أحمد و الترمذى و ابن ماجه عن أبى هريرة من غير قوله اقرؤا ان شئتم الى آخره على ما فى الجامع فهو يؤيد كونه موقوفا و روى الطبرانى عن سهل ابن سعد مرفوعا و لفظه أن فى الجنة ما لا عين رأت و لا أذن سمعت و لا خطر على قلب أحد و رواه الطبرانى فى الاوسط و البزار عن أبى سعيد و لفظه فى الجنة ما لا عين رأت و لا أذن سمعت و لا خطر على قلب بشر و روى الطبرانى عن ابن عباس مرفوعا قال لما خلق الله تعالى جنة عدن خلق فيها ما لا عين رأت و لا أذن سمعت و لا خطر على قلب بشر ثم قال لها تكلمى فقالت قد أفلح المؤمنون هذا و قال الحافظ بن حجر العسقلانى رحمه الله سبب هذا الحديث أن موسى عليه الصلاة والسلام سأل ربه من أعظم أهل الجنة منزلة فقال غرزت كرامتهم بيدى و ختمت عليها فلاعين رأت الى آخره أخرجه مسلم والترمذى انتهى و لايخفى ان الضمير فى ما أخفى لهم لقوم خاص تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا و طمعا و مما رزقناهم ينفقون و المراد المتهجدون و الاوابون و لما أخفوا أعمالهم عن أعين العباد جوزوا باخفاء الله تعالى لهم ما أراد لهم من الاعداد جزاء وفاقا على حسب ما وفقوا من الامداد و الاسعاد ✱ (و عنه) أى عن أبى هريرة رضى الله عنه (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم موضع سوط فى الجنة) أريد به قدر قليل منها أو مقدار موضعه فيها (خير) أى كمية و كيفية (من الدنيا و ما فيها) لان الجنة مع نعيمها باقية و الدنيا مع ما فيها فانية قال ابن الملك سوى كلام الله تعالى و صفاته و جميع انبيائه انتهى و غرابة استثنائه مما لايخفى ثم قال و ما هو باق لايوازنه ما هو فى معرض الفناء قلت فلفظ خير لمجرد الزيادة و قال التوربشتى رحمه الله انما خص السوط بالذكر لان من شأن الراكب اذا أراد النزول فى منزل أن يلقى سوطه قبل أن ينزل معلما بذلك المكان الذى يريده لئلا يسبقه أحد اليه (متفق عليه) و فى الجامع رواه البخارى والترمذى و ابن ماجه عن سهل بن سعد والترمذى عن أبى هريرة فقول المؤلف متفق عليه محل توقف من وجهين و فى الجامع لقيد سوط أحدكم من الجنة خير مما بين السماء و الارض رواه أحمد عن أبى هريرة ✱ (وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم غدوة) أى مرة من ذهاب أول النهار (فى سبيل الله أو روحة)

خير من الدنيا و ما فيها و لو ان امرأة من نساء أهل الجنة اطلعت الى الارض لاضاءت ما بينهما و لملأت ما بينهما ريحا و لنصيفها على رأسها خير من الدنيا و ما فيها رواه البخارى ✱ وعن أبى هريرة قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم ان فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام لايقطعها و لقاب قوس أحدكم فى الجنة خير مما طلعت عليه الشمس أو تغرب متفق عليه

أى مرة من رواح آخر النهار أو أول الليل و أو ليس للشك بل للتنويع أى كل واحدة منهما فى سبيل مرضاته من غزو او حج أو هجرة أو طلب علم (خير من الدنيا و ما فيها) أى جزاء و ثوابا و مآلا و مآبا (و لو ان امرأة من نساء أهل الجنة اطلعت) بتشديد الطاء أى أشرفت و طالعت (الى الارض لاضاءت ما بينهما) أى ما بين المشرق و المغرب أو ما بين السماء و الارض أو ما بين الجنة و الارض و هو الاظهر لتحقق ذكرهما فى العبارة صريحا (و لملأت ما بينهما ريحا) أى طيبا (و لنصيفها) كلام مستأنف أى و لخمارها (على رأسها) قيد به تحقيرا له بالنسبة الى خمار البدن جميعه (خير من الدنيا و ما فيها) أى فكيف الجنة نفسها و ما بها من نعيمها (رواه البخارى). و فى الجامع غدوة فى سبيل الله أو روحة خير من الدنيا و ما فيها رواه أحمد و الشيخان و ابن ماجه عن أنس و البخارى و الترمذى و النسائى عن سهل بن سعد و مسلم و ابن ماجه عن أبى‌هريرة و الترمذى عن ابن عباس و رواه أحمد و مسلم و النسائى عن أبى أيوب مرفوعا و لفظه غدوة فى سبيل الله أو روحة خير مما طلعت عليه الشمس و غربت و روى الطبرانى و الضياء عن سعيد بن عامر لو ان امرأة من نساء أهل الجنة أشرفت الى الارض لملأت الارض من ريح المسك و لاذهبت ضوء الشمس و القمر و روى أحمد و الشيخان و الترمذى و ابن ماجه عن أنس بلفظ لغدوة فى سبيل الله أو روحة خير من الدنيا و ما فيها و لقاب قوس أحدكم أو موضع قده فى الجنة خير من الدنيا و ما فيها و لو اطلعت امرأة من نساء أهل الجنة الى الارض لملأت ما بينهما ريحا و لاضاءت ما بينهما و لنصيفها على رأسها خير من الدنيا و ما فيها و القد بكسر القاف و تشديد الدال وتر القوس و قيل السوط ✱(و عن أبى‌هريرة قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم ان فى الجنة شجرة) قال ابن الجوزى رحمه الله يقال انها طوبى قال العسقلانى و شاهد ذلك عند أحمد و الطبرانى و ابن حبان (يسير الراكب فى ظلها) أى فى ناحيتها و الا فالظل فى عرف أهل الدنيا ما يقى من حر الشمس و اذاها و قد قال تعالى لايرون فيها شمسا و لا زمهريرا و قد يقال المراد بالظل هنا ما يقابل شعاع الشمس و منه ما بين ظهور الصبح الى طلوع الشمس ولذا قال تعالى و ظل ممدود و يمكن ان يكون للشجرة من النور الباهر ما يكون لما تحته كالحجاب الساتر (مائة عام لايقطعها) أى لاينتهى الراكب الى انقطاع ظلها (و لقاب قوس أحدكم) فى الفائق القاب و القيب كالقاد و القيد بمعنى القدر و انه علامة يعرف بها المسافة بين الشيئين من قولهم قوبوا فى هذه الارض اذا أثروا فيها بموطئهم و محلهم و قال التوربشتى الراجل يبادر الى تعيين المكان بوضع قوسه كما ان الراكب يبادر اليه برمى سوطه انتهى و الاظهر فى المعنى لقدر موضع قوس أحدكم فى الجنة أو لمقداره و قيمته لو فرض انه قوم فيها (خير مما طلعت عليه الشمس) أى شمس الدنيا (أو تغرب) و فى نسخة أو غربت و او اما للشك و اما للتخيير و اما بمعنى الواو فان المراد بها ما بين الخافقين و هو المعبر به عن الدنيا و ما فيها (متفق عليه) و فى الجامع ان فى الجنة لشجرة يسير الراكب الجواد المضمر

وعن أبي موسى قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم ان للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة عرضها و في رواية طولها ستون ميلا في كل زاوية منها أهل ما يرون الآخرين يطوف عليهم المؤمن و جنتان من فضة آنيتهما و ما فيهما و جنتان من ذهب آنيتهما و ما فيهما

السريع في ظلها مائة عام ما يقطعها رواه أحمد و البخاري و الترمذي عن أنس و الشيخان عن سهل بن سعد و أحمد و الشيخان و الترمذي عن أبي سعيد و الشيخان و الترمذي و ابن ماجه عن أبي‌هريرة (و عن أبي موسى) أي الاشعري رضي الله تعالى عنه (قال قال رسول‌الله صلى‌الله تعالى‌عليه‌وسلم ان للمؤمن في الجنة لخيمة) أي عظيمة (من لؤلؤة) بهمزتين و تبدلان و قد تبدل الاولى دون الثانية أي درة (واحدة مجوفة عرضها) فالطول أولى (و في رواية طولها) أي و على قياسه عرضها و يتحصل بالروايتين ان طولها و عرضها كل واحد منهما (ستون ميلا و في كل زاوية) أي من الزوايا الاربعة (منها) أي من تلك الخيمة (أهل) أي للمؤمن من زوج و غيره (ما يرون) أي ذلك الاهل و جمع باعتبار معناه (الآخرين) أي الجمع الآخرين من الاهل الكائنين في زاوية أخرى (يطوف عليهم) أي يدور على جميعهم (المؤمنون) بصيغة الجمع في أصل السيد و كثير من نسخ المشكاة و في بعضها بصيغة الافراد قال الطيبي رحمه الله كذا في البخاري و شرح السنة و نسخ المصابيح و في مسلم و الحميدي و جامع الاصول المؤمن فعلى هذا جمع لارادة الجنس انتهى و قال شارح و تبعه ابن الملك ان المعنى يجامع المؤمن الاهل و ان الطواف هنا كناية عن المجامعة (و جنتان) مبتدأ خبره محذوف أي و للمؤمن جنتان و أغرب من قال انه عطف على أهل لكونه بعيدا عن المعنى و ان كان قريبا في اللفظ ثم قال شارح أي درجتان أو قصران (من فضة آنيتهما و ما فيهما) أي من القصور و الاثاث كالسرر و كقضبان الاشجار و أمثال ذلك قيل قوله من فضة خبر آنيتهما و الجملة صفة جنتان أو من فضة صفة قوله جنتان و خبر آنيتهما محذوف أي آنيتهما و ما فيهما كذلك أو آنيتهما فاعل الظرف أي تفضض آنيتهما و كذا من جهة المبنى و المعنى قوله (و جنتان من ذهب آنيتهما و ما فيهما) ثم ظاهره ان الجنتين من فضة لاغير و بالعكس فالجمع بينه و بين حديث و صفة بناء الجنة من ان لبنة من ذهب و لبنة من فضة ان الاول صفة ما في الجنة من آنية و غيرها و الثاني صفة حوائط الجنة أو المراد به التبعيض لا التلميع أو يقال الجنتان من ذهب للكمل من أهل مقام الخوف الموجب للقيام بالطاعة على الوجه الاكمل كما قال تعالى و لمن خاف مقام ربه جنتان و الجنتان من فضة لمن يكون في مرتبة النقصان من مقام أرباب الكمال كما أشار اليه تعالى بقوله و من دونهما جنتان و الحاصل ان المراد بالاولين هم السابقون و بالآخرين هم اللاحقون و أما الجنة الملمعة فاصحابها المخلطون و الله سبحانه و تعالى أعلم هذا و قال البيهقي رحمه الله دل الكتاب و السنة على ان الجنان أربع و ذلك لان الله تعالى قال في صورة الرحمن و لمن خاف مقام ربه جنتان و وصفهما ثم قال و من دونهما جنتان و وصفهما و روينا عن أبي موسى ان النبي صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم قال جنتان آنيتهما و ما فيهما من ذهب و جنتان آنيتهما و ما فيهما من فضة قلت و يؤيد ما قدمناه ما في رواية جنتان من ذهب للسابقين و جنتان من فضة لاصحاب اليمين و لايبعد ان يكون المراد بالجنتين نوعين من الجنة أحدهما من ذهب و الآخر من فضة و قد يكون لارباب الكمال جنتان من ذهب و جنتان من فضة على يمين قصورهم و شمالها طلبا للزينة لا لفقدان الذهب أو كثرة

و ما بين القوم و بين ان ينظروا الى ربهم الا رداء الكبرياء على وجهه فى جنة عدن متفق عليه
★ و عن عبادة بن الصامت قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم فى الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء و الارض و الفردوس أعلاها درجة

القيمة على انه قد يراد بالتثنية التكثير و يقويه ان أبواب الجنة و طبقاتها ثمانية فقد قال فى المناجاة هى ثمان جنة عدن و جنة الفردوس و جنة الخلد و جنة النعيم و جنة المأوى و دار السلام و دار القرار و دار المقامة (و ما بين القوم) أى و ليس مانع من الموانع بين أهل الجنة (و بين ان ينظروا الى ربهم الا رداء الكبرياء) أى صفة العظمة (على وجهه) أى ثابتا على ذاته فهو حال من الرداء (فى جنة عدن) أى كائن فى جنة اقامة و خلود و هو بدل من قوله فى الجنة كذا قيل و هو يوهم الاختصاص مع ان وصف الاقامة و الخلود لاينفك عن جنس الجنة فلاعبرة بالمفهوم الموهوم قال الطيبى رحمه الله قوله على وجهه حال من رداء الكبرياء و العامل معنى ليس و قوله فى الجنة متعلق بمعنى الاستقرار فى الظرف فيفيد بالمفهوم انتفاء هذا الحصر فى غير الجنة قلت هذا مسلم لكن لفظ الحديث فى جنة عدن و قال الشيخ التوربشتى رحمه الله تعالى أى ما بين العبد المؤمن اذا تبوأ مقعده من الجنة مع ارتفاع حجب الكدورة الجسمية و اضمحلال الموانع الحسية هناك و بين نظره الى ربه الا ما يصده من هيبة الجلال و سبحات الجمال و لايرتفع ذلك منهم الا برأفة و رحمة منه تفضلا على عباده و أنشد فى المعنى

اشتاقه فاذا بدا ★ أطرقت من اجلاله ★ لاخيفة بل هيبة
و صيانة لجماله ★ و أصد عنه تجلدا ★ و أروم طيف خياله

(متفق عليه) و فى الجامع ان للمؤمن فى الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها ستون ميلا للمؤمن فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن فلايرى بعضهم بعضا رواه مسلم رحمه الله عن أبى موسى و رواه أحمد و مسلم و الترمذى عن أبى موسى رحمهم الله بلفظ فى الجنة خيمة من لؤلؤة مجوفة عرضها ستون ميلا فى كل زاوية منها أهل ما يرون الآخرين يطوف عليهم المؤمن و روى أحمد و الطبرانى عن أبى موسى مرفوعا جنان الفردوس أربع جنتان من ذهب حليتهما و آنيتهما و ما فيهما و جنتان من فضة حليتهما و آنيتهما و ما فيهما و ما بين القوم و بين ان ينظروا الى ربهم الا رداء الكبرياء على وجهه فى جنة عدن و هذه الانهار تشخب من جنة عدن ثم تصدر بعد ذلك أنهارا ★(و عن عبادة بن الصامت قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم فى الجنة مائة درجة) يمكن ان يراد به الكثرة لما ورد من رواية البيهقى عن عائشة رضى‌الله‌تعالى عنها مرفوعا عدد درج الجنة عدد آى القرآن فمن دخل الجنة من أهل القرآن فليس فوقه درجة و يمكن ان يقال فى الجنة مائة درجة لكل واحد من أهلها فيكون بيان أقل ما يكون فيها من أنواع السعة و أصناف النعمة (ما بين كل درجتين كما بين السماء و الارض) و يمكن تقييد وصف المائة بما ذكر و غيرها يكون على خلافها من كونه أقل أو أكثر و روى الديلمى فى مسند الفردوس عن أبى هريرة مرفوعا ان فى الجنة درجة لاينالها الا أصحاب الهموم (و الفردوس) أى الجنة المسماة بالفردوس المذكور فى القرآن فى قوله تعالى قد أفلح المؤمنون الى قوله أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس (أعلاها) أى اعلى سائر الجنان (درجة) أو أعلى هذه المائة باعتبار كل فرد او باعتبار المجموع و فى النهاية الفردوس فى اللغة البستان الذى فيه

منها تفجر أنهار الجنة الاربعة و من فوقها يكون العرش فاذا سألتم الله فاسئلوه الفردوس رواه الترمذی و لم أجده فی الصحیحین و لا فی کتاب الحمیدی ★ و عن أنس قال قال رسول الله صلی الله علیه وسلم ان فی الجنة لسوقا یأتونها کل جمعة فتهب

الکروم و الاشجار و منه جنة الفردوس قلت لابد له من وصف زائد یختص به و یمتاز به عن غیره کما یشیر الیه بقوله (منها) و فی روایة الجامع و منها أی من جنة الفردوس (تفجر أنهار الجنة) بصیغة المجهول أی تشقق و تجری أنهار الجنة (الاربعة) بالرفع صفة لانهار و هی أنهار الماء و اللبن و الخمر و العسل المذکورة فی القرآن فیها أنهار من ماء غیر آسن و أنهار من لبن لم یتغیر طعمه و انهار من خمر لذة للشاربین و أنهار من عسل مصفی (و من فوقها یکون عرش الرحمن) فهذا یدل علی ان الفردوس فوق جمیع الجنان و لذا قال صلی الله تعالی علیه وسلم تعلیما للامة و تعظیما للهمة (فاذا سألتم الله فاسئلوه الفردوس) أی فانه سر الجنة علی ما رواه الطبرانی عن عن العرباض بضم م العین و تشدید الراء أی وسطها وخیرها و روی الطبرانی عن سمرة مرفوعا الفردوس ربوة الجنة و أعلاها و أوسطها و منها تفجر الانهار الاربعة و روی ابن مردویه عن أبی أمامة مرفوعا أن أهل الفردوس یسمعون أطیط العرش (رواه الترمذی) و فی الجامع رواه ابن أبی شیبة و أحمد و الترمذی و الحاکم فی مستدرکه قال المؤلف (و لم أجده) أی هذا الحدیث (فی الصحیحین) أی فی متنیهما (و لا فی کتاب الحمیدی) أی الجامع بینهما و لعله سکت عن جامع الاصول لمانع عن تتبعه و حاصل کلامه الاعتراض علی صاحب المصابیح حیث أورد الحدیث فی الصحاح و الحال انه لم یوجد الا فی الحسان قال میرک کذا قاله المصنف و وافقه الشیخ الجزری رحمه الله فی تصحیح المصابیح و أقول قد أخرجه البخاری فی کتاب الجهاد عن أبی هریرة مثل عبادة و التفاوت بینهما أی بین حدیث أبی هریرة و حدیث عبادة یسیر فکان علی صاحب المشکاة و الشیخ أیضا أن یقولا و رواه البخاری من حدیث أبی هریرة مع تفاوت یسیر انتهی و قال الحافظ ابن حجر رحمه الله فی تخریج أحادیث المشکاة و عجیب من أدخال البغوی له فی أحادیث الصحیحین تم کلامه قیل و نسبه صاحب المشارق أیضا الی البخاری و قد قیل انه موجود فی البخاری فی موضعین الاول فی کتاب الجهاد و الثانی فی باب و کان عرشه علی الماء و کذا فی مسلم فی باب فضل الجهاد فی سبیل الله فمن حفظ حجة علی من لم یحفظ ★ (و عن أنس قال قال رسول الله صلی الله تعالی علیه وسلم ان فی الجنة لسوقا) أی مجمعا فیه الصور المشتهاة (یأتونها) أی یحضر أهل الجنة تلک السوق (کل جمعة) بضمتین و یسکن الثانی قال النووی رحمه الله السوق مجمع لاهل الجنة یجتمعون فیها فی کل مقدار جمعة أی أسبوع و لیس هناک أسبوع حقیقة لفقد الشمس و اللیل و النهار قلت و انما یعرف وقت اللیل و النهار بارخاء استار الانوار و رفعها علی ما ورد فی بعض الاخبار فبهذا یعرف یوم الجمعة و أیام الاعیاد و ما یترتب علیهما من الزیارة و الرؤیة و سائر الامداد و الاسعاد ففی الجامع ان أهل الجنة لیحتاجون الی العلماء فی الجنة و ذلک انهم یزورون الله تعالی فی کل جمعة فیقول لهم تمنوا علی ما شئتم فیلتفتون الی العلماء فیقولون ماذا نتمنی فیقولون تمنوا علیه کذا و کذا فهم یحتاجون الیهم فی الجنة کما یحتاجون الیهم فی الدنیا رواه ابن عساکر عن جابر هذا و تسمیة یوم الجمعة بیوم المزید فی الجنة یدل علی تمییزه عن سائر الایام و الله تعالی أعلم بالمرام (فتهب) بضم الهاء و تشدید الموحدة أی

ريح الشمال فتحثو فى وجوههم و ثيابهم فيزدادون حسنا وجمالا فيرجعون الى أهليهم و قد ازدادوا حسنا و جمالا فيقول لهم أهلوهم و الله لقد ازددتم بعدنا حسنا و جمالا فيقولون و أنتم و الله لقد ازددتم بعدنا حسنا و جمالا رواه مسلم ★ و عن أبى هريرة قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم ان اول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر ثم الذين يلونهم كاشد كوكب درى فى السماء اضاءة قلوبهم على قلب رجل واحد لا اختلاف بينهم و لا تباغض لكل امرئ منهم زوجتان من الحور العين يرى مخ سوقهن من وراء العظم و اللحم من الحسن

فتأتى (ريح الشمال) بفتح أوله من غير همز و خصت بالذكر لانها من ريح المطر عند العرب (فتحثو) أى تنثر تلك الريح و المفعول محذوف أى المسك و أنواع الطيب (فى وجوههم) أى أبدانهم و خصت الوجوه لشرفها أو المراد بها ذواتها (و ثيابهم فيزدادون) أى فى ثيابهم (حسنا و جمالا) جمع بينهما للتأكيد أو المراد باحدهما الزينة و بالآخر حسن الصورة (فيرجعون) أى من السوق (الى أهليهم و قد ازدادوا حسنا و جمالا) قيل يكون زيادة حسنهم بقدر حسناتهم (فيقول لهم أهلوهم و الله لقد ازددتم) أى أنتم أيضا و فيه تغليب لكون الاهل أعم من النساء و الولدان أو أريد به التعظيم و التكريم أو روعى المشاكلة و المقابلة (بعدنا) أى بعد مفارقتكم عنا (حسنا و جمالا فيقولون و أنتم و الله لقد ازددتم بعدنا حسنا و جمالا) و هو أما لاصابتهم من تلك الريح أو بسبب انعكاس جمالهم أو لاجل تأثير حالهم و ترقى مآلهم (رواه مسلم ★ و عن أبى هريرة قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم أن أول زمرة) بضم الزاى أى أول جماعة و هم الانبياء و الاولياء كذا قاله شارح و الظاهر ان المراد بهم الانبياء خاصة (يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر) و لعل دخولها على صورة الشمس مختص بنبينا صلى‌الله‌تعالى عليه‌وسلم (ثم الذين يلونهم) أى يقربون تلك الزمرة فى قرب المرتبة من الاولياء و العلماء و الشهداء و الصلحاء (كاشد) أى كل واحد منهم كاشد (كوكب درى فى السماء) و هو بضم الدال و تشديد الراء و الياء أى شديد الانارة منسوب الى الدر و تقدمت لغات أخر مع بيان مبانيها و معانيها ثم قوله (اضاءة) تمييز يبين وجه الشبه قال الطيبى رحمه الله أفرد المضاف اليه ليفيد الاستغراق فى هذا النوع من الكوكب يعنى اذا تقصيت كوكبا كوكبا رأيتهم كاشد اضاءة (قلوبهم) أى قلوب أهل الجنة حينئذ أو قلوب الزمرة الاخيرة فالاولى بالاولى (على قلب رجل واحد) أى فى الاتفاق و المحبة فقوله (لا اختلاف بينهم و لا تباغض) تفسير لقوله قلوبهم الخ و هذا المعنى مقتبس من قوله تعالى و نزعنا ما فى صدورهم من غل أخوانا على سرر متقابلين (لكل امرئ منهم زوجتان) أى عظيمتان (من الحور) بضم الحاء أى النساء البيض الابدان من الحور و هو البياض الخالص و منه الحوارى و الحواريون (العين) بكسر العين أى حسان الاعيان (يرى) بصيغة المجهول أى يبصر (مخ سوقهن) جمع الساق أى مخ عظامهن (من وراء العظم و اللحم) الواو لمطلق الجمع أو الترتيب للترقى (من الحسن) أى من أجل لطافة خلقتهن قال الطيبى رحمه الله هو تتميم صونا من توهم ما يتصور فى تلك الرؤية مما ينفر عنه الطبع و الحسن هو الصفاء و رقة البشرة و نعومة الاعضاء هذا و لعل الزوجتين المذكورتين لعموم أفراد المؤمنين من أهل الجنة و أما أهل الخصوص فيزاد لهم على حسب مقاماتهم و قال الطيبى رحمه الله الظاهر أن التثنية للتكرير لا للتحديد كقوله تعالى فارجع البصر كرتين لانه قد جاء

يسبحون الله بكرة و عشيا لايسقمون و لايبولون و لايتغوطون و لايتفلون و لايمتخطون آنيتهم الذهب و الفضة و أمشاطهم الذهب و وقود مجامرهم الالوة و رشحهم المسک على خلق رجل واحد على صورة أبيهم آدم ستون ذراعا فى السماء متفق عليه

ان للواحد من أهل الجنة العدد الكثير من الحور العين (يسبحون الله) أى أهل الجنة ينزهونه تعالى عن صفات النقصان و يثبتون له نعوت الكمال فان النفى و الاثبات متلازمان كما حقق فى كلمة التوحيد من ان الجمع بينهما للتوكيد و الى ذلک أشار فى قوله سبحانه دعواهم فيها سبحانک اللهم (بكرة و عشيا) أى دائما على انه أراد بهما ليلا و نهارا باطلاق الجزء و ارادة الكل مجازا و قال الطيبى رحمه الله يراد بهما الديمومة كما تقول العرب انا عند فلان صباحا و مساء لاتقصد الوقتين المعلومين بل الديمومة (لايسقمون) بفتح القاف و يضم ففى القاموس سقم كفرح و كرم و المعنى لايمرضون و لايضعفون و لايشيبون (و لايبولون)أى من قبل (ولايتغوطون) أى من دبر(و لايتفلون) بضم الفاء و تكسر أى لايبزقون (و لايمتخطون) أى ليس فى فمهم و أنفهم من المياه الزائدة و المواد الفاسدة ليحتاجوا الى اخراجها و لان الجنة مساكن طيبة للطيبين فلايلائمها الادناس و الانجاس (آنيتهم) جمع اناء أى ظروفهم (الذهب و الفضة) أى ملمعة على ارادة الزينة أو ظروف بعضهم الذهب و ظروف بعضهم الفضة فالواو بمعنى أو للتنويع (و أمشاطهم) جمع مشط (الذهب و وقود مجامرهم) بفتح الواو أى ما يوقد به مباخرهم (الالوة) بفتح الهمزة و يضم و بضم اللام و تشديد الواو قال النووى رحمه الله هو العود الهندى و قال شارح المجمر بالفتح ما يوضع فيه الجمر و يحترق فيه العود و بالكسر الآلة و قال بعضهم فيه انه لا نار فى الجنة و أجيب بانه يفوح بغير نار اقول و قد يكون بالنور و هو فى غاية من الظهور و فى النهاية المجامر جمع مجمر بالكسر و هى التى توضع فيه النار للبخور و بالضم هو الذى يتبخر به و أعد له الجمر قال الطيبى رحمه الله و المراد فى الحديث هو الاول و فائدة الاضافة ان الالوة هو الوقود نفسه بخلاف المتعارف فان وقودهم غير الالوة انتهى و هذا كله من اللذات المتوالية و الشهوات المتعالية و الافلا تلبد لشعورهم و لا وسخ و لاعفونة لابدانهم و ثيابهم بل ريحهم أطيب من المسک فلاحاجة لهم الى التمشط و التبخر الا لزيادة الزينة و التلذذ بانواع النعمة الحسية كما قال (و رشحهم) أى عرقهم رائحة (المسک) و المعنى رائحة عرقهم رائحة المسک فهو تشبيه بليغ (على خلق رجل واحد) بضم الخاء و اللام و تسكن و المعنى انهم على قلب واحد كما سبق و بفتح الاول و المعنى انهم أتراب فى سن واحد و هو ثلاثون أو ثلاث و ثلاثون سنة على ما سيأتى فى الحديث و هو الملائم المناسب لقوله (على صورة أبيهم آدم) أى فى القامة و بينه بقوله (ستون ذراعا فى السماء) أى طولا فكنى عنه به قاله الطيبى رحمه الله و قيل العرض سبعة و الله تعالى أعلم قال النووى رحمه الله روى بضم الخاء و اللام و بفتح الخاء و اسكان اللام و كلاهما صحيح و رجح الضم بقوله فى الحديث الآخر لا اختلاف بينهم و لاتباغض قلوبهم على قلب واحد و قد يرجح الفتح بقوله لايمتخطون و لايتفلون قال الطيبى رحمه الله فعلى هذا لايكون قوله على صورة أبيهم آدم بدلا من قوله على خلق رجل واحد بل يكون خبر مبتدأ محذوف فاذا قيل الموصوفون بالصفات المذكورة كلها على خلق رجل واحد حسن الابدال انتهى و انما الاختلاف فى المراد بلفظ الحديث و الا فلاخلاف ان أهل الجنة كلهم كاملون فى الخلق

✱ و عن جابر قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم ان أهل الجنة يأكلون فيها و يشربون و لايتفلون و لايبولون و لايتغوطون و لايمتخطون قالوا فما بال الطعام قال جشاء و رشح كرشح المسک يلهمون التسبيح و التحميد كما تلهمون النفس رواه مسلم ✱ و عن أبى هريرة قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم من يدخل الجنة ينعم و لايبأس

و الخلق جميعا بل الخلق بالضم هو الخليق بالاعتبار فانه موجب بحسن الخلق بالفتح ولذا قيل الظاهر عنوان الباطن و قد ورد انه سبحانه ما خلق نبيا الا احسن الصورة و حسن الصوت و لكن قوله تعالى و انک لعلى خلق عظيم بيان أن يكون له صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم شأن عظيم فى خلق تصويره الجسيم فان المؤمن مرآة المؤمن فبمقدار صفاء المرآة و صقالتها و تخليتها و تجليتها تنعكس و تتجلى فيها صورة المحبوب المطلوب (متفق عليه) و فى الجامع أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر و الثانية على لون أحسن كوكب درى فى السماء لكل رجل منهم زوجتان على كل زوجة سبعون حلة يبدو مخ ساقها من ورائها رواه أحمد و الترمذى عن أبى سعيد ✱(وعن جابر قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم ان أهل الجنة يأكلون فيها و يشربون) أى فيها (و لايتفلون) أى لايبصقون) و لايبولون و لايتغوطون و لايمتخطون) من باب الافتعال و فيما سبق من باب التفعل (قالوا) أى بعض الصحابة (فما بال الطعام) أى ما شأن فضلته (قال جشاء) بضم الجيم و هو تنفس المعدة من الامتلاء و قال شارح أى صوت مع ريح يخرج من الفم عند الشبع أقول التقدير هو جشاء (و رشح) أى عرق (كرشح المسک) أى يصير فضل الطعام جشاء أى نظيره و الا فجشاء الجنة لايكون مكروها بخلاف جشاء الدنيا و لهذا قال صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم أقصرعنا جشاءك و يصير رشحا و هو اما باعتبار اختلاف الاشخاص أو الاوقات أو بعض الطعام يكون جشاء و بعضه يكون رشحا و الاظهر ان الاكل ينقلب جشاء و الشرب يعود رشحا و الطعام قد يطلق عليهما نظرا الى معنى الطعم ففى القاموس طعم الشئ حلاوته و مرارته و ما بينهما يكون فى الطعام و الشراب أقول و به يتم التنزيه فى قوله و هو يطعم و لايطعم هذا و فى رواية الجامع و لكن طعامهم ذلک جشاء و رشح كرشح المسک و أما قول الطيبى رحمه الله أى يندفع الطعام بالجشاء و الرشح فهو حاصل المعنى لاجل المبنى كما لايخفى ثم بين بعض أحوال أخر لاهل الجنة على سبيل الاستئناف و البيان حيث قال (يلهمون) أى أهل الجنة (التسبيح و التحميد) أى و نحوهما من الاذكار (كما تلهمون) أى أنتم فى هذه الدار (النفس) بفتحتين أى التنفس و المعنى لايتعبون من التسبيح و التهليل كما لاتتعبون أنتم و فى الجامع بصيغة الغيبة أى كما يلهمون من النفس و لايشغلهم شئ من ذلک كما لايمنعهم من النفس كالملائكة أو يريد انها تصير صفة لازمة لاينفكون عنها كالنفس اللازم للحيوان و الحاصل انه لايخرج منهم نفس الا مقرونا بذكره و شكره سبحانه ولذا قال العارفون و لمن خاف مقام ربه جنتان جنة عاجلة فى الدنيا و جنة آجلة فى العقبى فالاولى وسيلة للاخرى و الاخرى نتيجة للاولى و قد أشير الى هذا المعنى فى قوله تعالى ان الابرار لفى نعيم فانه لا نعيم أعلى من دوام ذكر الكريم و ان الفجار لفى جحيم فان الحجاب أشد أنواع العذاب قال الطيبى رحمه الله الالهام القاء الشئ فى الروع و يختص ذلک بما كان من جهة الله و جهة الملا الاعلى فقوله تلهمون وارد على سبيل المشاكلة لان المراد به التنفس (رواه مسلم) و كذا أحمد و الترمذى ✱(وعن أبى هريرة قال قال

و لايبلى ثيابه و لايفنى شبابه رواه مسلم ★ وعن أبى سعيد و أبى هريرة ان رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال ينادى مناد ان لكم ان تصحوا فلاتسقموا أبدا و ان لكم ان تحيوا فلاتموتوا أبدا و ان لكم ان تشبوا فلاتهرموا أبدا و ان لكم ان تنعموا فلاتبأسوا أبدا رواه مسلم ★ وعن أبى سعيد الخدرى ان رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال ان أهل الجنة يتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الدرى الغابر فى الافق من المشرق أو المغرب

رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم من يدخل الجنة ينعم) بفتح العين أن يتنعم (و لايبأس) بسكون الموحدة فالهمزة المفتوحة أى لايفتقر و لايهتم قال الطيبى رحمه الله هو تأكيد لقوله ينعم و الاصل ان لايجاء بالواو لكن أراد به التقرير على الطرد و العكس كقوله تعالى لايعصون الله ما أمرهم و يفعلون ما يؤمرون قلت و فى رواية الجامع لايبأس بلاعطف (و لايبلى) بفتح اللام مع التذكير و التأنيث أى لايخلق ثيابه (و لايفنى) أى لايذهب (شبابه) قال القاضى رحمه الله معناه ان الجنة دار الثبات و القرار و أن التغير لايتطرق اليها فلايشوب نعيمها بؤس و لايعتريه فساد و لاتغيير فانها ليست دار الاضداد و محل الكون و الفساد (رواه مسلم ★ و عن أبى سعيد و أبى هريرة ان رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم قال ينادى مناد) أى فى الجنة و قيل اذا رأوها من بعيد (ان لكم) بكسر الهمزة أى قائلا ان لكم (ان تصحوا) بكسر الصاد و تشديد الحاء أى تكونوا صحيحى البدن دائما (فلاتسقموا) أى فلاتمرضوا (أبدا و ان لكم ان تحيوا) بفتح الياء أى تكونوا أحياء (فلا تموتوا أبدا و ان لكم ان تشبوا) بكسر الشين المعجمة و تشديد الموحدة أى تدوموا شبابا (فلا تهرموا) بفتح الراء أى لا تشيبوا (أبدا و ان لكم ان تنعموا فلا تبأسوا أبدا) قال الطيبى رحمه الله هذا النداء و البشارة الذ و أشهى ما فيه من السرور و فى عكسه أنشد المتنبى أشد الغم عندى فى سرور ★ تيقن عنه صاحبه ارتحالا

(رواه مسلم ★ و عن أبى سعيد الخدرى ان رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم قال ان أهل الجنة يتراءون) أى ينظرون أو يرى بعضهم بعضا (أهل الغرف) بضم ففتح جمع غرفة و هى بيت يبنى فوق الدار و المراد هنا القصور العالية فى الجنة (من فوقهم) و فى هذا تصريح بان قوله تعالى فى جنة عالية يراد بها العلو الحسى أيضا (كما تتراءون) أى أنتم فى الدنيا (الكوكب الدرى) أى لصفاء لونه و نوره و علو ظهوره (الغابر) بالغين المعجمة ثم بالموحدة من الغبور أى الباقى (فى الافق) بضمتين جمع الآفاق أى فى أطراف السماء و فى نسخة بالهمزة بدلها من الغور أى الذاهب فى الافق البعيد الغور فيه (من المشرق) أى من جانبه (أو المغرب) أى من طرفه و الظاهر ان أو للتخيير فى التشبيه كقوله تعالى أو كصيب من السماء و نحو أو كظلمات فى بحر لجى و ليست للشك قال التوربشتى رحمه الله قد اختلف فى الغابر فمنهم من رواه بالهمزة بعد الالف من الغور يريدون انحطاطه فى الجانب الغربى و منهم من رواه بالباء من الغبور و المراد منه الباقى فى الافق بعد انتشار ضوء الفجر فانما يستبين فى ذلك الوقت الكوكب المضىء و لاشك ان الرواية الاولى نشأت من التصحيف انتهى و لم يذكر وجه التصحيف فيه و قال شارح و روى الغاير من الغور و هو الانحطاط و هو تصحيف لانه لايناسب قوله من المشرق اذ غور الكوكب فى الجانب الشرقى مما لايتصور ثم قال قوله من المشرق و المغرب كذا فى المصابيح أى بالواو والصواب من المشرق الى المغرب كما فى كتاب مسلم قال المؤلف و كذا

لتفاضل ما بينهم قالوا يا رسول‌الله تلک منازل الانبياء لايبلغها غيرهم قال بلى و الذى نفسى بيده
رجال آمنوا بالله و صدقوا المرسلين متفق عليه

باو فى شرح السنة وجامع الاصول و رياض الصالحين قيل و انما ذكر المشرق و المغرب معا دون
السماء لان المقصود البعد و الانارة معا و قال النووى معنى الغابر الذاهب الماضى أى الذى
تدلى للغروب و بعد عن العيون و روى فى غير صحيح مسلم الغارب بتقديم الراء و روى العازب بالعين
المهملة و الزاى و معناه البعيد فى الافق فكلها راجعة الى معنى واحد قال الطيبى رحمه الله فان قلت
ما فائدة تقييد الكوكب بالدرى ثم بالغابر فى الافق قلت للايذان بانه من باب التمثيل الذى
وجهه منتزع من عدة أمور متوهمة فى المشبه شبه رؤية الرائى فى الجنة صاحب الغرفة برؤية الرائى
الكوكب المستضىء الباقى من باب الشرق أو الغرب فى الاستضاءة مع البعد فلو قيل الغائر
لم يصح لان الاشراق يفوت عند الغروب اللهم الا أن يقدر المستشرف على الغروب لقوله تعالى
حتى اذا بلغن أجلهن أى شارفن بلوغ أجلهن لكن لايصح هذا المعنى فى الجانب الشرق نعم
يجوز على التقدير كقولهم متقلدا سيفا و رمحا و علفته تبنا و ماء باردا أى طالعا فى الافق من المشرق
و غائرا فى المغرب (لتفاضل ما بينهم) علة للتراائى و المعنى انما ذلک لتزايد مراتب ما بين
سائر أهل الجنة العالية و ما بين أرباب أهل الغرف العالية قيل الجنة طبقات أعلاها للسابقين و أوسطها
للمقتصدين و أسافلها للمخلطين (قالوا يا رسول‌الله تلک منازل الانبياء لايبلغها غيرهم قال بلى)
أى يبلغها غيرهم من الاولياء و يشاركها معهم بعض الاصفياء (و الذى نفسى بيده رجال)
أى و هم رجال أو يبلغها رجال أى كاملون فى الرجولية لقوله تعالى رجال لاتلهيهم تجارة و لابيع
عن ذكر الله الآية (آمنوا بالله) أى حق الايمان و غاية الايقان و نهاية الاحسان (و صدقوا
المرسلين) فى أجابة ما أمروا به و نهوا عنه و قاموا بوصف الصابرين و الشاكرين و ترفعوا
الى مقام الراضين قال تعالى و عباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا الى أن قال أولئک
يجزون الغرفة بما صبروا الآية و فى جمع المرسلين اشعار بان هذه المرتبة العلية عامة للسابقين
على حسب تفاوتهم فى الرتب السنية و ليست خاصة لهذه الامة مع ان تصديق المرسلين على وجه
التحقيق انما هو لهذه الجماعة نعم قد يراد به مقابلة الجمع للجمع فالمراد رسوله خاصة بالاصالة وسائر
الرسل بالتبعية فانه يلزم من التصديق لواحد التصديق بالكل و كذا فى جانب التكذيب و منه
قوله تعالى كذبت قوم نوح المرسلين (متفق عليه) و كذا رواه أحمد و ابن حبان و الدارمى
عن أبى سعيد و كذا الترمذى عن أبى‌هريرة و رواه أحمد و الشيخان و ابن حبان عن سهل بن سعد
و لفظه ان أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف فى الجنة كما تراءون الكوكب فى السماء و رواه
أحمد و الترمذى و ابن ماجه و ابن حبان عن أبى سعيد و الطبرانى عن جابر بن سمرة و ابن عساكر
عن ابن عمر و عن أبى‌هريرة رضى‌الله تعالى عنه بلفظ أن أهل الدرجات العلى ليراهم من هو أسفل
منهم كما ترون الكوكب الطالع فى أفق السماء و أن أبابكر و عمر منهم و أنعما و فى بعض
طرق الحديث قيل و ما معنى أنعما قال أهل لذلک هما و روى ابن عساكر عن أبى سعيد مرفوعا
ان أهل عليين ليشرف أحدهم على الجنة فيضىء وجهه لاهل الجنة كما يضىء القمر ليلة البدر
لاهل الدنيا و أن أبابكر و عمر منهم و أنعما و روى ابن أبى الدنيا فى كتاب الاخوان و البيهقى
عن أبى‌هريرة مرفوعا ان فى الجنة لعمدا من ياقوت عليها غرف من زبرجد و لها أبواب مفتحة

★ و عن أبي هريرة قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير رواه مسلم ★ و عن أبي سعيد قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم ان الله تعالى يقول لاهل الجنة يا أهل الجنة فيقولون لبيک ربنا و سعديک و الخير کله فی يديک فيقول هل رضيتم فيقولون و ما لنا لانرضى يا رب و قد أعطيتنا ما لم‌تعط أحدا من خلقک فيقول ألا أعطيکم أفضل من ذلک فيقولون يا رب و أی شئ أفضل من ذلک فيقول أحل عليکم رضوانی فلا أسخط عليکم بعده أبدا متفق عليه

تضیء کما يضیء الکوکب الدری يسکنها المتحابون فی الله و المتجالسون فی الله و المتلاقون فی الله و روی أحمد و ابن حبان و البيهقی عن مالک الاشعری و الترمذی عن علی رضی‌الله عنه مرفوعا أن فی الجنة غرفا يری ظاهرها من باطنها و باطنها من ظاهرها أعدها الله تعالى لمن أطعم الطعام و ألان الکلام و تابع الصيام و صلى بالليل و الناس نيام ★ (و عن أبي هريرة قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم يدخل الجنة أقوام أفئدتهم) أی قلوبهم (مثل أفئدة الطير) أی فی الرقة واللينة والرحمة و الصفاء و الخلو عن الحسد و الحقد و الغل و البغضاء و مجمله لکونها خالية من کل ذنب سليمة من کل عيب قال النووی رحمه الله قيل مثلها فی رقتها کما ورد أهل اليمن أرق أفئدة و ألين قلوبا و قيل فی الخوف و الهيبة و الطير أکثر الحيوان خوفا و فزعا قال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء و قيل فی التوکل کما ورد لو انکم تتوکلون على الله حق توکله لرزقکم کما يرزق الطير تغدو خماصا و تروح بطانا و قد قال تعالى و کاين من دابة لاتحمل رزقها الله يرزقها و أياکم و هو السميع العليم (رواه مسلم) و کذا أحمد فی مسنده ★ (وعن أبي سعيد قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم ان الله تعالى يقول لاهل الجنة يا أهل الجنة يقولون لبيک ربنا) أی يا ربنا (وسعديک و الخير) أی جنسه أو جميع أفراده (فی يديک) أی منحصر فی قبضة قدرتک و ارادتک (فيقول هل رضيتم) أی عن ربکم (فيقولون و ما لنا لانرضى) الاستفهام للتقرير و المعنى أی شئ مانع لنا من أن لانرضى عنک (يا رب) أی يا ربی و القياس يا ربنا فکانه أفرد باعتبار کل قائل (و قد أعطيتنا ما لم‌تعط أحدا من خلقک) الجملة حالية (فيقول ألا أعطيکم أفضل من ذلک) أی من عطائکم هذا (فيقولون يا رب و أی شئ أفضل من ذلک) أی من عطائک هذا (فيقول أحل) بضم الهمزة و کسر الحاء أی أنزل (عليکم رضوانی) بکسر الراء و يضم أی دوام رضوانی فانه لايلزم من کثرة العطاء دوام الرضا و لذا قال (فلا أسخط) بفتح الخاء المعجمة أی لا أغضب (عليکم بعده أبدا) ثم اللقاء يترتب على الرضا من الرب المتفرع على الرضا من العبد للقضاء ترتيب البقاء بعد تحقق الفناء قال ابن الملک فی الحديث دلالة على ان رضوان الله تعالى على العبد فوق أدخاله اياه الجنة و قال الطيبی رحمه الله الحديث مأخوذ من قوله تعالى وعد الله المؤمنين و المؤمنات جنات تجری من تحتها الانهار خالدين فيها و مساکن طيبة فی جنات عدن و رضوان من الله أکبر الکشاف انما کبر من ذلک کله لان رضاه سبب کل فوز و سعادة لانهم ينالون برضاه عنهم تعظيمه و کرامته و الکرامة أکبر أضعاف الثواب لان العبد اذا علم أن مولاه راض عنه فهو أکبر فی نفسه مما وراءه من النعم و انما يتهنأ له برضاء کما ينتقص عليه بسخط و لم‌يجد لها لذة و ان عظمت قال الطيبی رحمه الله و أکبر أصناف الکرامة رؤية الله تعالى قلت و لعل الرضوان أکبر لاشتماله

★ و عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان أدنى مقعد أحدكم من الجنة أن يقول له تمن فيتمنى ويتمنى فيقول له هل تمنيت فيقول نعم فيقول له فان لك ما تمنيت ومثله معه رواه مسلم
★ وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيحان وجيحان و الفرات و النيل كل من أنهار الجنة

على تحصيل اللقاء وسائر أنواع النعماء (متفق عليه) وكذا رواه أحمد والترمذي ★ (وعن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان أدنى مقعد أحدكم) أي أقل مرتبة ملكه و مسيرة جنانه و مساقة قصوره (من الجنة) أي فيها (أن يقول) أي الله أو الملك (له تمن فيتمنى و يتمنى) و الظاهر ان المراد بالتكرير هو التكثير قال الطيبي رحمه الله قوله أن يقول له خبر ان و المعنى ان أدنى منزلة أحدكم في الجنة أن ينال أمانيه كلها بحيث لاتبقى له أمنية و نحوه قول الشاعر لم يبق جودك لي شيأ أؤمله ★ تركتني أصحب الدنيا بلا أمل
(فيقول) أي الرب (له هل تمنيت) أي جميع أمانيك (فيقول نعم فيقول له فان لك ما تمنيت) أي وعدا و عدلا (و مثله معه) أي زيادة و فضلا و فيه ايماء الى أن من يكون منتهى ما تمناه رضا مولاه و ما يترتب عليه من لقاه فلا يتصور له مزيد أن يعطاه (رواه مسلم ★ و عنه) أي عن أبي هريرة (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم سيحان و جيحان) بفتح أولهما نهران بالشام أولهما من السيح بالسين و الحاء المهملتين و هو جرى الماء على وجه الارض و النون فيه زائدة و ثانيهما من جحن الصبي بالجيم فالحاء اذا ساء غذاؤه و النون فيه أصلية (و الفرات) نهر بالكوفة (و النيل) نهر مصر و أما سيحون فنهر بالهند و جيحون نهر بلخ و ينتهي الى خوارزم كذا قاله شارح و قيل سيحان نهر بالشام و قيل بالهند و جيحان نهر بلخ و قال النووي رحمه الله سيحان و جيحان غير سيحون وجيحون و المذكوران في الحديث في بلاد الارمن فسيحان نهر المصيصة وجيحان نهر اردنة و هما نهران عظيمان جدا هذا هو الصواب و أما قول الجوهري جيحان نهر بالشام فغلط و قال صاحب نهاية الغريب سيحان و جيحان نهران بالعواصم عند المصيصة و طرسوس واتفقوا على ان جيحون بالواو نهر خراسان و قيل سيحون نهر بالهند (كل) أي كل واحد منها (من أنهار الجنة) انما جعل الانهار الاربعة من أنهار الجنة لما فيها من العذوبة و الهضم و لتضمنها البركة الالهية و تشرفها بورود الانبياء اليها و شربهم منها و ذلك مثل قوله صلى الله تعالى عليه وسلم في عجوة المدينة انها من ثمار الجنة و يحتمل انه سمى الانهار التي هي أصول أنهار الجنة بتلك الاسامي ليعلم انها في الجنة بمثابة الانهار الاربعة في الدنيا أو لانها مسميات بتلك الاسماء فوقع الاشتراك فيها كذا ذكر شارح من علمائنا و قال القاضي رحمه الله جعل الانهار الاربعة لعذوبة مائها و كثرة منافعها كانها من أنهار الجنة و يحتمل أن يكون المراد بها الانهار الاربعة التي هي أصول أنهار الجنة و سماها باسامي الانهار الاربعة التي هي أعظم أنهار الدنيا و أشهرها و أعذبها و أفيدها عند العرب على سبيل التشبيه و التمثيل ليعلم انها في الجنة بمثابتها و ان ما في الدنيا من أنواع المنافع و النعائم أنموذجات لما يكون في الآخرة وكذا ما فيها من المضار المردية و المستكرهات المؤذية و في شرح مسلم للنووي قال القاضي عياض رحمه الله كون هذه الانهار من الجنة ان الايمان عم بلادها و ان الاجسام المتغذية بمائها صائرة الى الجنة و الاصح انها على ظاهرها و ان لها مادة من الجنة مخلوقة لانها موجودة اليوم عند أهل السنة و قد ذكر مسلم في كتاب الايمان في حديث الاسراء ان الفرات و النيل يجريان

رواه مسلم ✱ و عن عتبة بن غزوان قال ذكر لنا ان الحجر يلقى من شفة جهنم فيهوى فيها سبعين خريفا لايدرك لها قعرا و الله لتملأن و لقد ذكر لنا ان ما بين مصراعين من مصاريع الجنة مسيرة أربعين سنة و ليأتين عليها يوم و هو كظيظ من الزحام رواه مسلم

✱ (الفصل الثانى) ✱ عن أبى هريرة قال قلت يا رسول‌الله مم خلق الخلق قال من الماء قلنا الجنة ما بناؤها قال لبنة من ذهب و لبنة من فضة و ملاطها المسک الاذفر و حصباؤها اللؤلؤ و الياقوت و تربتها الزعفران

من الجنة و فى البخارى من أصل سدرة المنتهى و فى معالم التنزيل روى ابن عباس ان الله تعالى انزل هذه الانهار من عين واحدة من عيون الجنة من أسفل درجة من درجاتها على جناحى جبريل استودعها الجبال و أجراها فى الارض و جعل فيها منافع للناس و ذلک قوله تعالى و أنزلنا من السماء ماء بقدر فاذا كان عند خروج يأجوج و مأجوج أرسل الله جبريل يرفع من الارض القرآن و العلم و الحجر الاسود و مقام ابراهيم و تابوت موسى و هذه الانهار فذلک قوله تعالى و انا على ذهاب به لقادرون (رواه مسلم ✱ و عن عتبة) بضم عين مهملة فمثناة فوقية ساكنة فموحدة على ما فى أسماء الرجال للمؤلف (ابن غزوان) بفتح معجمة و سكون زاى قيل هو سابع سبعة فى الاسلام (قال ذكر لنا) هو فى حكم المرفوع لان الغالب فى الصحابى الكبير ان لاياخذ من غير النبى صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم أو من الصحابة و مراسيل الصحابى حجة بالاتفاق المعنى بلغنا (ان الحجر يلقى) أى يرمى (من شفة جهنم) بفتح أوله و يكسر واحدة الشفاه أى من طرفها (فيهوى) أى فيسقط الحجر و ينزل (فيها) أى فى جهنم (سبعين خريفا) أى سنة (لايدرك)أى الحجر (لها) أى جهنم (قعرا) و هو أبلغ من أن يقال لايصل الى قعرها و المعنى انها مع طولها وعرضها و عمقها (و الله لتملأن) بصيغة المجهول أى جهنم من الكفار ثم قال عتبة بعد وصف جهنم انتقالا الى نعت الجنة (و لقد ذكر لنا ان ما بين مصراعين من مصاريع الجنة) أى ما بين طرفى باب من أبوابها (مسيرة أربعين سنة و ليأتين عليها يوم و هو) لعل كلا من ضميرى عليها و هو يرجع الى ما فالاول باعتبار المعنى لان ما عبارة عن أما كن و الثانى باعتبار لفظه فالمعنى و الحال ان ما بينهما (كظيظ) بالمعجمتين أى مملوء فعيل بمعنى مفعول و قيل أى ممتلئ (من الزحام) بكسر الزاى أى الكثرة (رواه مسلم)

✱ (الفصل الثانى) ✱ (عن أبى هريرة قال قلت يا رسول‌الله مم خلق الخلق قال من الماء) قيل أى من النطفة و الظاهر ان يكون اقتباسا من قوله تعالى وجعلنا من الماء كل شئ حى أى و خلقنا من الماء كل حيوان لقوله سبحانه و الله خلق كل دابة من ماء و ذلک لان الماء أعظم مواده أو لفرط احتياجه اليه و انتفاعه بعينه و قرئ حيا على انه صفة كل أو مفعول ثان و الظرف لغو و الشئ مخصوص بالحيوان (قلنا) و فى نسخة ضعيفة قلت (الجنة ما بناؤها) أى هل من حجر أو مدر أو خشب أو شعر (قال لبنة من ذهب و لبنة من فضة) أى بناؤها ملمع و مرصع منهما أو ذكر النوعين باعتبار الجنتين كما تقدم و الله تعالى أعلم (و ملاطها) بكسر الميم أى ما بين اللبنتين موضع النورة (المسک الاذفر) أى الشديد الريح فى النهاية الملاط الطين الذى يجعل بين ساقى البناء يملط به الحائط أى يخلط (وحصباؤها) أى حصباؤها الصغار التى فى الانهار (اللؤلؤ و الياقوت) أى مثلهما فى اللون و الصفاء (و تربتها) أى مكان ترابها (الزعفران) أى الناعم الاصفر الطيب

من يدخلها ينعم و لا يبأس و يخلد و لا يموت و لا تبلى ثيابهم و لا يفنى شبابهم رواه أحمد و الترمذى و الدارمى ★ و عنه قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم ما فى الجنة شجرة الا و ساقها من ذهب رواه الترمذى ★ و عنه قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم ان فى الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين مائة عام رواه الترمذى و قال هذا حديث حسن غريب ★ و عن أبى سعيد قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم ان فى الجنة مائة درجة لو أن العالمين أجتمعوا فى احداهن لوسعتهم رواه الترمذى و قال هذا حديث غريب ★ و عنه عن النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم فى قوله تعالى و فرش مرفوعة قال ارتفاعها لكما بين السماء و الارض مسيرة خمسمائة سنة

الريح فجمع بين ألوان الزينة و هى البياض و الحمرة و الصفرة و يتكمل بالاشجار الملونة بالخضرة و لما كان السواد مما يغم الفؤاد خص باهل العناد من العباد (من يدخلها ينعم و لا يبأس) بفتح وسطهما قال التوربشتى رحمه الله قد وجدناه فى المصابيح و فى بعض كتب الحديث يبؤس بالهمزة المضمومة لدلالة الواو على الضم و بأس الامر يبؤس اذا اشتد و باس يباس اذا افتقر و الغلط انما وقع فى رسم الخط و الصواب لا يبأس انتهى و فى القاموس الباس العذاب و الشدة فى الحرب و منه البأس و بؤس ككرم و بئس كسمع اشتدت حاجته و منه الباساء (و يخلد) أى يدوم فيها فلا يتحول عنها (و لا يموت) أى لا يفنى بل دائما يبقى (و لا تبلى) بفتح أوله أى لا تخلق و لا تنقطع (ثيابهم) و كذا اثاثهم (و لا يفنى شبابهم) أى لا يهرمون و لا يخرفون و لا يغيرهم مضى الزمان فانهم خلقوا لنعيم الابد فى ذلك المكان (رواه أحمد و الترمذى و الدارمى ★ وعنه) أى عن أبى هريرة (قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم ما فى الجنة شجرة الا و ساقها من ذهب) و أما أغصانها فمختلفة فتارة من ذهب و أخرى من فضة أو ياقوتة أو زمرذة أو لؤلؤة أو مرصعة ملمعة مزينة بانواع الازهار و أصناف الانوار و من فوقها أجناس الاثمار و من تحتها تجرى الانهار (رواه الترمذى) رحمه الله ★(و عنه) أى عن أبى هريرة (قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم ان فى الجنة مائة درجة) قال ابن الملك المراد بالمائة ههنا الكثرة و بالدرجة المرقاة أقول الاظهر ان المراد بالدرجات المراتب العالية قال تعالى هم درجات عند الله أى ذوو درجات بحسب أعمالهم من الطاعات كما ان أهل النار أصحاب دركات متسافلة بقدر مراتبهم فى شدة الكفر كما يشير اليه قوله سبحانه ان المنافقين فى الدرك الاسفل من النار و يؤيده الحديث الذى يليه و ظاهر قوله (ما بين كل درجتين مائة عام) أى مقدار مسافة مائة سنة (رواه الترمذى و قال هذا حديث حسن غريب ★ و عن أبى سعيد قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم ان فى الجنة مائة درجة لو أن العالمين) أى خلق الاولين و الآخرين (اجتمعوا فى أحداهن لوسعتهم) أى لكفتهم (رواه الترمذى و قال هذا حديث غريب) و كذا رواه ابن‌حبان من وجه آخر و صححه ★(وعنه) أى عن أبى سعيد (عن النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم فى قوله و فرش مرفوعة قال ارتفاعها) أى اعتلاء فرش الجنة أو ارتفاع الدرجة التى فرشت الفرش المرفوعة فيها (لكما بين السماء و الارض) خبر لارتفاعها كقوله (مسيرة خمسمائة سنة) أو الثانى بدل أو بيان ثم دخول اللام فى خبر المبتدأ كما فى قول الشاعر

أم الحليس لعجوز شهربه ★ ترضى من اللحم بعظم الرقبه

و الشهربة العجوز الكبيرة و مثله الشهبرة على ما فى الصحاح و الكاف فى لكما اسم قال الزجاج

رواه الترمذی و قال هذا حدیث غریب ✱ و عنه قال قال رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم ان أول زمرة یدخلون الجنة یوم القیامة ضوء وجوههم علی مثل ضوء القمر لیلة البدر و الزمرة الثانیة علی مثل أحسن کوکب دری فی السماء لکل رجل منهم زوجتان علی کل زوجة سبعون حلة یری مخ ساقها من ورائها رواه الترمذی ✱ و عن أنس عن النبی صلی‌الله‌علیه‌وسلم قال یعطی المؤمن فی الجنة قوة کذا و کذا من الجماع قیل یارسول‌الله أو یطیق ذلک قال یعطی قوة مائة رواه الترمذی

فی قوله تعالی ان هذا لساحران قالت النحاة القدماء ان الضمیر فیه مضمر أی انه هذان لساحران قالوا و أصل هذه اللام ان تقع فی المبتدأ و وقوعها فی الخبر جائز هذا و فی الکشاف فی قوله فرش مرفوعة أی نضدت حتی ارتفعت أو مرفوعة علی الاسرة و قیل هی النساء لان المرأة یکنی عنها بالفراش و یدل علیه قوله انا أنشأناهن انشاء و علی التفسیر الاول أضمر لهن لان ذکر الفرش و هی المضاجع دل علیهن انتهی فهن مرفوعة علی الفرش أو السرر أو بالجمال علی نساء أهل الدنیا علی ما قیل فان کل فاضل رفیع لکن ثبت فی الحدیث ان المؤمنات أحسن من الحور لصلاتهن و صیامهن قال التوربشتی رحمه الله قول من قال المراد منه ارتفاع الفرش المرفوعة فی الدرجات و ما بین کل درجتین من الدرجات کما بین السماء و الارض هذا القول أوثق و أعرف الوجوه المذکورة و ذلک لما فی الحدیث ان للجنة مائة درجة ما بین کل درجتین کما بین السماء و الارض انتهی و عارضه الطیبی رحمه الله بما لا طائل تحته فاعرضت عن ذکره و ترکت بحثه (رواه الترمذی) أی موقوفا (و قال هذا حدیث غریب ✱ و عنه) أی عن أبی سعید (قال قال رسول‌الله صلی‌الله‌تعالی‌علیه‌وسلم ان أول زمرة یدخلون الجنة یوم القیامة) و هم الانبیاء علیهم الصلاة والسلام (ضوء وجوههم) أی نورها (علی مثل ضوء القمر لیلة البدر) و هو وقت کمال انارته (و الزمرة الثانیة علی مثل أحسن کوکب دری فی السماء) و هم الاولیاء و الصلحاء علی اختلاف مراتبهم فی الضیاء (لکل رجل منهم زوجتان علی کل زوجة سبعون حلة) بضم حاء و تشدید لام و لا تطلق غالبا الا علی ثوبین (یری) أی یبصر (مخ ساقها) أی مخ عظام ساق کل زوجة (من ورائها) أی من فوق حللها السبعین لکمال لطافة أعضائها و ثیابها و التوفیق بینه و بین خبر أدنی أهل الجنة من له ثنتان و سبعون زوجة و ثمانون ألف خادم بان یقال یکون لکل منهم زوجتان موصوفتان بان یری مخ ساقها من ورائها و هذا لا ینافی أن یحصل لکل منهم کثیر من الحور العین الغیر البالغة الی هذه الغایة کذا قیل و الاظهر ان لکل زوجتان من نساء الدنیا و أن أدنی أهل الجنة من له ثنتان و سبعون زوجة فی الجملة یعنی ثنتین من نساء الدنیا و سبعین من الحور العین و الله سبحانه و تعالی أعلم (رواه الترمذی) و کذا أحمد فی مسنده ✱ (و عن أنس عن النبی صلی الله تعالی علیه وسلم قال یعطی المؤمن فی الجنة قوة کذا و کذا من الجماع) و هو کنایة عن جماع عدة من النساء کالعشرة مثلا (قیل یا رسول‌الله أو یطیق ذلک) بفتح الواو أی أیعطی تلک القوة و یستطیع ذلک المقدار و الاشارة الی مضمون قوله کذا و کذا من الجماع (قال یعطی قوة مائة) أی مائة رجل کذا قیل أو مائة مرة من الجماع و المعنی فاذا کان کذلک فهو یطیق ذلک (رواه الترمذی) و فی الجامع یعطی المؤمن فی الجنة قوة مائة فی النساء رواه الترمذی و ابن حبان عن أنس و فی الجامع ان الرجل من

★ و عن سعد بن أبي وقاص عن النبي صلى‌الله‌عليه‌وسلم انه قال لو أن ما يقل ظفر مما في الجنة بدا لتزخرفت له ما بين خوافق السموات والارض ولو أن رجلا من أهل الجنة اطلع فبدا أساوره لطمس ضوءه ضوء الشمس كما تطمس الشمس ضوء النجوم رواه الترمذي و قال هذا حديث غريب ★ و عن أبي هريرة قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم أهل الجنة جرد مرد كحلى لايفنى شبابهم ولاتبلى ثيابهم رواه الترمذي و الدارمي ★ و عن معاذ بن جبل ان النبي صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال يدخل أهل الجنة الجنة جردا مردا مكحلين ابناء ثلاثين أو ثلاث و ثلاثين سنة رواه الترمذي ★ وعن أسماء بنت أبي بكر قالت سمعت رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم و ذكر له سدرة المنتهى

أهل الجنة ليعطى قوة مائة رجل في الاكل و الشرب و الشهوة و الجماع حاجة أحدهم عرق يفيض من جلده فاذا بطنه قد ضمر رواه الطبراني عن زيد بن أرقم رضى‌الله تعالى عنه ★ (و عن سعد بن أبي وقاص) رضى‌الله عنه (عن النبي صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم انه قال او ان ما يقل) بضم الياء و كسر القاف و تشديد اللام أي يحمله (ظفر) بضمتين و يسكن الثاني قال الطيبي رحمه الله ما موصولة و العائد محذوف أي ما يقله و قال القاضي رحمه الله أي قدر ما يستقل بحمله ظفر و يحمل عليها (مما في الجنة) أي من نعيمها (بدا) أي ظهر في الدنيا للناظرين (لتزخرفت) أي تزينت (له) أي لذلك المقدار و سببه من الاعتبار و ظهور الانوار (ما بين خوافق السموات و الارض) أي أطرافها و قيل منتهاها و قيل الخافقان المشرق و المغرب كذا ذكره شارح و قال القاضي رحمه الله الخوافق جمع خافقة و هي الجانب و هي في الاصل الجانب التي تخرج منها الرياح من الخفقان و يقال الخافقان للمشرق و المغرب قال الطيبي رحمه الله و تأنيث الفعل لان ما بين بمعنى الاماكن كما في قوله تعالى أضاءت ما حوله في وجه (و لو ان رجلا من أهل الجنة اطلع) بتشديد الطاء أي أشرف (على أهل الدنيا فبدا) أي ظهر (أساوره) جمع اسورة جمع سوار و المراد بعض أساوره ففي تيسير الوصول فبدا سواره (لطمس ضوءه) أي محا نوره (ضوء الشمس كما تطمس الشمس) و في نسخة كما يطمس ضوء الشمس (ضوء النجوم رواه الترمذي و قال هذا حديث غريب) و قد سبق هذا المعنى في أحاديث بعضها في صحيح البخاري و بعضها في الصحيحين في الجامع ان الرجل من أهل عليين ليشرف على أهل الجنة فتضيء الجنة لوجهه كأنها كوكب دري رواه أبوداود عن أبي سعيد رحمهم الله ★ (و عن أبي هريرة رضى‌الله عنه قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم أهل الجنة جرد) بضم جيم و سكون راء جمع أجرد و هو الذي لا شعر على جسده و ضده الاشعر (مرد) جمع أمرد و هو غلام لا شعر على ذقنه و قد يراد به الحسن بناء على الغالب (كحلى) بفتح الكاف فعلى بمعنى فعيل أي مكحول و هو عين في أجفانها سواد خلقة كذا قاله شارح و في النهاية الكحل بفتحتين سواد في أجفان العين خلقة و الرجل أكحل وكحيل و كحلى جمع كحيل (لايفنى شبابهم و لاتبلى ثيابهم رواه الترمذي و الدارمي ★ و عن معاذ ابن جبل ان النبي صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم قال يدخل أهل الجنة الجنة جردا مردا مكحلين) أي خلقة أو كمكحلين (أبناء ثلاثين) أي اترابا (أو ثلاث) أي أو أبناء ثلاث (و ثلاثين سنة) و او لشك الراوي (رواه الترمذي) قيل و حسنه ★ (و عن أسماء بنت أبي بكر رضى‌الله عنهما قالت سمعت رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم و ذكر له) أي و الحال انه ذكر لرسول‌الله صلى‌الله تعالى‌عليه‌وسلم (سدرة المنتهى) قيل هي شجرة نبق في السماء السابعة عن يمين العرش ثمرها

قال يسير الراكب فى ظل الفنن منها مائة سنة أو يستظل بظلها مائة راكب شك الراوى فيها فراش الذهب كان ثمرها القلال رواه الترمذى و قال هذا حديث غريب ★ و عن أنس قال سئل رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم ما الكوثر قال ذاك نهر أعطانيه الله يعنى فى الجنة أشد بياضا من اللبن و أحلى من العسل فيه طير أعناقها كاعناق الجزر قال عمر ان هذه لناعمة قال رسول‌الله صلى‌الله عليه‌وسلم أكلتها أنعم منها رواه الترمذى ★ و عن بريدة ان رجلا قال يا رسول‌الله هل فى الجنة من خيل قال ان الله

كقلال هجر و المنتهى بمعنى موضع الانتهاء أو الانتهاء كانها فى منتهى الجنة و آخرها و قيل لم‌يجاوزها أحد و اليها ينتهى علم الملائكة و غيرهم و لايعلم أحد ما وراءها (قال) أى النبى صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم (يسير الراكب) أى المجد (فى ظل الفنن) محركة أى الغصن و جمعه الافنان و منه قوله تعالى ذواتا أفنان و يقال ذلك للنوع و جمعه فنون كذا حققه الراغب (منها) أى من السدرة (مائة سنة أو يستظل بظلها مائة راكب) و الاول أبلغ و يمكن أن يراد بها المبالغة فى طولها و عرضها فاو للتخيير أو للتنويع باختلاف بعض الاماكن أو بالنسبة الى نظر بعض الاشخاص لكن قوله (شك الراوى) يابى عن ذلك الا انه لم‌يعرف من كلام من و الشك وقع ممن و الله تعالى أعلم (فيها) أى فى سدرة المنتهى و المعنى فيما بين أغصانها أو عليها بمعنى فوقها بما يغشاها (فراش الذهب) بفتح الفاء جمع فراشة وهى التى تطير و تتهافت فى السراج قيل هذا تفسير قوله تعالى اذ يغشى السدرة ما يغشى و منه أخذ ابن مسعود حيث فسر ما يغشى بقوله يغشاها فراش من ذهب . قال الامام أبو الفتح العجلى فى تفسيره و لعله أراد الملائكة تتلألؤ أجنحتها تتلألؤ اجنحة الفراش كانها مذهبة (كان ثمرها القلال) بكسر القاف جمع القلة أى قلال هجر فى الكبر (رواه الترمذى و قال هذا حديث غريب ★ و عن أنس قال سئل رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم ما الكوثر قال ذاك نهر) بفتح الهاء وتسكن أى جدول ماء و فى طرفيه حوضان أحدهما فى الجنة و الآخر فى الموقف (أعطانيه الله) و انما قال القائل (يعنى فى الجنة) لكون أكثره فى الجنة أو مآل تمامه اليها (أشد بياضا من اللبن و أحلى من العسل) و فيه ايماء الى ان ماءه جامع بين سوغ اللبن و لذة العسل و اشارة الى قوله تعالى و فيها ما تشتهيه الانفس و تلذ الاعين (فيه) أى فى ذلك النهر أو فى أطرافه (طير) أى جنس من الطيور طويل العنق وكبيره (أعناقها كاعناق الجزر) بضم الجيم و الزاى جمع جزور و المعنى انه أعد للنحر ليأكل منه أصحاب شرب ذلك النهر فانه بها يتم عيش الدهر (قال عمر رضى‌الله عنه ان هذه) أى الطير فانه يذكر و يؤنث (لناعمة) أى لمتنعمة أو لنعمة طيبة (قال رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم أكلتها) بفتحات جمع آكل اسم فاعل كطلبة جمع طالب و هذا هو الذى فى أصل الجزرى و سائر النسخ المصححة و المعنى من يأكلها (أنعم منها) و فى نسخة صحيحة و هى أصل السيد آكلتها بالمد و بكسر الكاف على ان صيغة الواحد قد تستعمل للجماعة و فى نسخة آكلها بصيغة الفاعل المذكر و فى أخرى آكلوها بصيغة جمع المذكر (رواه الترمذى) و رواه الحاكم عنه مرفوعا الكوثر نهر أعطانيه الله فى الجنة ترابه مسك أبيض من اللبن و أحلى من العسل ترده طير أعناقها مثل أعناق الجزر آكلتها أنعم منها ★ (و عن بريدة) بالتصغير (ان رجلا قال يا رسول‌الله هل فى الجنة من خيل قال ان الله) بكسر الهمزة و سكون النون على ان ان شرطية ثم كسر للالتقاء

أدخلك الجنة فلا تشاء أن تحمل فيها على فرس من ياقوتة حمراء يطير بك فى الجنة حيث شئت الا فعلت و سأله رجل فقال يا رسول‌الله هل فى الجنة من أبل قال فلم‌يقل له ما قال لصاحبه فقال أن يدخلك الله الجنة يكن لك فيها ما اشتهت نفسك و لذت عينك رواه الترمذى ★ وعن أبى أيوب قال أتى النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم اعرابى فقال يا رسول‌الله انى أحب الخيل أفى الجنة خيل قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم ان أدخلت الجنة أتيت

قال الطيبى رحمه الله مرفوع بفعل يفسره ما بعده و هو (أدخلك الجنة) و لايجوز رفعه على الابتداء لوقوعه بعد حرف الشرط و قوله (فلاتشاء ان تحمل فيها) جواب للشرط أى فلاتشاء الحمل فى الجنة (على فرس من ياقوتة حمراء يطير) بالتذكير و يؤنث ففى القاموس الفرس للذكر و الانثى أى يسرع (بك فى الجنة حيث شئت الا فعلت) بصيغة المخاطب المذكر المعلوم و المعنى ان تشاء تفعله و فى نسخة على بناء المجهول أى حملت عليها و ركبت و فى أخرى بتاء التأنيث الساكنة فالضمير للفرس أى حملتك قال القاضى رحمه الله تقدير الكلام ان أدخلك الجنة فلا تشاء أن تحمل على فرس كذلك الا حملت عليه و المعنى انه ما من شئى تشتهيه الانفس الا و تجده فى الجنة كيف شاءت حتى لو اشتهت أن تركب فرسا على هذه الصفة لوجدته و تمكنت منه و يحتمل أن يكون المراد ان أدخلك الله الجنة فلاتشاء أن يكون لك مركب من ياقوتة حمراء يطير بك حيث شئت و لاترضى به فتطلب فرسا من جنس ما تجده فى الدنيا حقيقة و صفة و المعنى فيكون لك من المراكب ما يغنيك عن الفرس المعهود و يدل على هذا المعنى ما جاء فى الرواية الاخرى و هو ان ادخلت الجنة أتيت بفرس من ياقوتة له جناحان فحملت عليه و لعله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم لما أراد أن يبين الفرق بين مراكب الجنة و مراكب الدنيا و ما بينهما من التفاوت على التصوير و التمثيل مثل فرس الجنة فى جوهره بما هو عندنا أثبت الجواهر و أدومها وجودا و أنصعها لونا و أصفاها جوهرا و فى شدة حركته و سرعة انتقاله بالطير و أكد ذلك فى الرواية الاخرى بقوله جناحان و على هذا قياس ما ورد فى صفة ابنية الجنة و رياضها و أنهارها الى غير ذلك و العلم بحقائقها عند الله تعالى قال الطيبى رحمه الله الوجه الاول ذهب اليه الشيخ التوربشتى و تقدير قوله الا حملت يقتضى أن يروى قوله الا فعلت على بناء المفعول فانه استثناء مفرغ أى لاتكون بمطلوبك الا مسعفا و اذا ترك على بناء الفاعل كان التقدير فلاتكون بمطلوبك الا فائزا و الوجه الثانى من الوجهين السابقين قريب من أسلوب الحكيم فان الرجل سأل عن الفرس المتعارف فى الدنيا فاجابه صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم بما فى الجنة أى اترك ما طلبته فانك مستغن عنه بهذا المركب الموصوف (و سأله رجل فقال يا رسول‌الله هل فى الجنة من أبل فانى أحب الابل قال) أى يريدة (فلم‌يقل له ما قال لصاحبه) أى مثل مقوله لصاحبه كما سبق بل أجابه مختصرا (فقال أن يدخلك الله الجنة يكن لك فيها ما اشتهت نفسك و لذت عينك) أى وجدت عينك لذيذا من لذذت بالكسر لذاذا و لذاذة أى وجدته لذيذا قاله شارح و فيه اشارة الى قوله تعالى و فيها ما تشتهيه الانفس و تلذ الاعين (رواه الترمذى ★ و عن أبى أيوب قال أتى النبى صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم) أى جاءه (اعرابى) أى بدوى (فقال يا رسول‌الله انى أحب الخيل) أى فى الدنيا (أفى الجنة خيل) يعنى أو ليس فيها أو لاتشتهى للاستغناء عنها (قال رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم ان أدخلت الجنة أتيت) أى جئت

بفرس من ياقوتة له جناحان فحملت عليه ثم طار بك حيث شئت رواه الترمذي و قال هذا حديث ليس اسناده بالقوى و أبو سورة الراوى يضعف فى الحديث و سمعت محمد بن اسمعيل يقول أبو سورة هذا منكر الحديث يروى مناكير ★ و عن بريدة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الجنة عشرون و مائة صف ثمانون منها من هذه الامة و أربعون من سائر الامم رواه الترمذي و الدارمي و البيهقي فى كتاب البعث و النشور ★ و عن سالم عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم باب أمتى الذين يدخلون منه الجنة عرضه مسيرة الراكب المجود ثلاثا

(بفرس من ياقوتة) قيل أراد الجنس المعهود مخلوقا من أنفس الجواهر و قيل ان هناك مركبا من جنس آخر يغنيك من المعهود كما مر و الاخير هو الاظهر لما سيأتى و لقوله (له جناحان فحملت عليه) بصيغة المجهول أى ركبت (ثم طار بك حيث شئت رواه الترمذي و قال هذا حديث ليس اسناده بالقوى و أبو سورة) بفتح السين المهملة (الراوى) أى راوى هذا الحديث (يضعف) أى ينسب الى الضعف باحد أسبابه (فى الحديث) أى فى علمه أو فى اسناده (و سمعت محمد بن اسمعيل) أى البخاري (يقول أبو سورة هذا منكر الحديث يروى مناكير) و روى الطبراني عن أبى أيوب مرفوعا ان أهل الجنة يتزاورون على النجائب بيض كانهن الياقوت و ليس فى الجنة شئ من البهائم الا الابل و الطير ★ (و عن بريدة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أهل الجنة عشرون و مائة صف) أى قدرها أو صوروا صفوفا (ثمانون) أى صفا (منها) أى من جملة العدد كائنون (من هذه الامة و أربعون) أى صفا (من سائر الامم) و المقصود بيان تكثير هذه الامة و انهم ثلثان فى القسمة قال الطيبي رحمه الله فان قلت كيف التوفيق بين هذا و ما ورد من قوله صلى الله تعالى عليه وسلم و الذى نفسى بيده أرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة فكبرنا فقال صلى الله عليه وسلم أرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة فكبرنا فقال صلى الله عليه وسلم أرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة قلت يحتمل ان يكون الثمانون صفا مساويا فى العدد للاربعين صفا و ان يكونوا كما زاد على الربع و الثلث يزيد على النصف كرامة له صلى الله تعالى عليه وسلم قلت و هذا هو الاظهر على ان النصف قد يطلق و لم يرد به التساوى فى العدد و الصف ولذا يوصف بالاقل و الاكثر (رواه الترمذي و الدارمي و البيهقي فى كتاب البعث و النشور) و كذا رواه أحمد و ابن ماجه و ابن حبان و الحاكم عنه و الطبراني عن ابن عباس و عن ابن مسعود عن أبى موسى ★ (وعن سالم) تابعى جليل (عن أبيه) أى عبد الله بن عمر (رضى الله تعالى عنهم قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم باب أمتى الذين) كذا فى الاصول المعتمدة و النسخ المصححة بصيغة الجمع فيكون صفة للامة و فى نسخة بصيغة الافراد على انه صفة الباب و هو الظاهر اذ المعنى باب أمتى الذى (يدخلون منه الجنة عرضه مسيرة الراكب المجود) اسم فاعل من التجويد و هو التحسين قال شارح أى الراكب الذى يجود ركض الفرس من جودته أى جعلته جيدا و فى أساس البلاغة يجود فى صنعته يفوق فيها و اجاد الشئ و جوده أحسن فيما فعل و جود فى عدوه عدا عدوا جوادا و فرس جواد من خيل جياد قال الطيبي رحمه الله و المجود يحتمل أن يكون صفة الراكب و المعنى الراكب الذى يجود ركض الفرس و أن يكون مضافا اليه و الاضافة لفظية أى الفرس الذى يجود فى عدوه (ثلاثا) ظرف مسيرة و المعنى ثلاث ليال أو سنين و هو الاظهر لانه يفيد المبالغة أكثر ثم المراد به الكثرة لئلا يخالف ما سبق من ان ما بين مصراعين من مصاريع الجنة مسيرة أربعين سنة على انه

ثم انهم ليضغطون عليه حتى تكاد مناكبهم تزول رواه الترمذى و قال هذا حديث ضعيف و سألت محمد بن اسمعيل عن هذا الحديث فلم يعرفه و قال يخلد بن أبى بكر يروى المناكير ✱ وعن على قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم ان فى الجنة لسوقا ما فيها شرى و لابيع الا الصور من الرجال و النساء فاذا اشتهى الرجل صورة دخل فيها رواه الترمذى و قال هذا حديث غريب ✱ و عن سعيد بن المسيب انه لقى أباهريرة

يمكن أوحى اليه أولا بالقليل ثم أعلم بالكثير أو يحمل على اختلاف الابواب باختلاف أصحابها و الله تعالى أعلم (ثم انهم) أى أهل الجنة من أمتى عند دخولهم من أبوابها فالمراد بالباب جنسه (ليضغطون) بصيغة المجهول أى ليعصرون و يضيقون (عليه) أى على الباب (حتى تكاد) أى تقرب (مناكبهم تزول) أى تنقطع من شدة الزحام (رواه الترمذى و قال حديث غريب ضعيف) و فى المصابيح ضعيف منكر قال شارح له أى هذا الحديث منكر لمخالفته للاحاديث الصحيحة التى وردت فى هذا المعنى مما مر (و سألت محمد بن اسمعيل) أى البخارى رحمه الله (عن هذا الحديث فلم يعرفه) أى أصل الحديث و العالم بالحديث المحيط بطرق الاحاديث اذا قال لم أعرفه دل على ضعفه (و قال) أى البخارى (يخلد) بضم اللام (ابن أبى بكر) و هو أحد رواة هذا الحديث (يروى المناكير) يعنى فيكون حديثا ضعيفا و ليس فيه ان حديثه هذا منكر قال السيد جمال‌الدين قوله يخلد سهو من صاحب المشكاة و صوابه خالد اذ فى الترمذى خالد بن أبى بكر رحمه الله و كذا فى كتب أسماء الرجال ✱(و عن على رضى الله تعالى عنه قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم ان فى الجنة لسوقا) أى مجتمعا و السوق مؤنث سماعى ولذا قال (ما فيها) أى ليس فى تلك السوق (شرى) بالكسر و القصر أى اشتراء (و لابيع) و المعنى ليس فيها تجارة (الا الصور) بالنصب و فى نسخة بالرفع أى التماثيل المختلفة (من الرجال و النساء فاذا اشتهى الرجل صورة دخل فيها) و كذا اذا اشتهت النساء صورة دخلن فيها قال الطيبى رحمه الله قد سبق فى الفصل الاول فى حديث أنس ان المراد بالسوق المجمع و هذا يؤيده يعنى حيث قال ما فيها شرى و لابيع قال فالاستثناء منقطع و يجوز أن يكون متصلا بان يجعل تبديل الهيئات من جنس البيع و الشرى كقوله تعالى يوم لاينفع مال و لابنون الا من أتى الله بقلب سليم يعنى على وجه و الا فالمعتمد ان استثناءه منقطع ثم قيل يحتمل الحديث معنيين أحدهما أن يكون معناه عرض الصور المستحسنة عليه فاذا اشتهى و تمنى تلك الصورة المعروضة عليه صوره الله سبحانه بشكل تلك الصورة بقدرته و ثانيهما ان المراد من الصورة الزينة التى يتزين الشخص بها فى تلك السوق و يتلبس بها و يختار لنفسه من الحلى و الحلل و التاج يقال لفلان صورة حسنة أى هيئة مليحة يعنى فاذا رغب فى شئى منها أعطيه و يكون المراد من الدخول فيها التزين بها و على كلا المعنيين التغير فى الصفة لا فى الذات قال الطيبى رحمه الله و يمكن ان يجمع بينهما ليوافق حديث أنس فتهب ريح الشمال فتحثو فى وجوههم و ثيابهم فيزدادون حسنا و جمالا الحديث قلت وهو مقتبس من قوله تعالى و فيها ما تشتهيه الانفس و تلذ الاعين و لعل التقييد بالمكان و هو السوق و الزمان وهو يوم الجمعة و بخصوص الصور لكونه يوم المزيد و يوم اللقاء و يوم الجمع و مشاهدة أهل البقاء و زيادة أهل الصفاء و الله سبحانه و تعالى أعلم و سيأتى فى الحديث الذى يليه مزيد بيان لذلك (رواه الترمذى) و قال هذا حديث غريب ✱(و عن سعيد بن المسيب) تابعى جليل (انه لقى أباهريرة)

فقال أبوهريرة أسأل الله ان يجمع بيني و بينك في سوق الجنة فقال سعيد أ فيها سوق قال نعم أخبرني رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم ان أهل الجنة اذا دخلوها نزلوا فيها بفضل أعمالهم ثم يؤذن لهم في مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا فيزورون ربهم و يبرز لهم عرشه و يتبدى لهم في روضة من رياض الجنة فيوضع لهم منابر من نور و منابر من لؤلؤ و منابر من ياقوت و منابر من زبرجد و منابر من ذهب و منابر من فضة و يجلس أدناهم و ما فيهم دنيء على كثبان المسك و الكافور ما يرون ان أصحاب الكراسي بافضل منهم مجلسا قال أبوهريرة قلت يارسول‌الله و هل نرى ربنا قال نعم هل تتمارون في رؤية الشمس و القمر ليلة البدر قلنا لا

أي في السوق على ما يدل عليه السياق (فقال له أبوهريرة أسأل الله ان يجمع بيني و بينك في سوق الجنة) أي كما جمع بيننا في سوق المدينة (فقال سعيد أفيها) أي أ في الجنة (سوق) يعني و هي موضوعة للحاجة الى التجارة (قال نعم أخبرني رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم ان) بالفتح في أصل السيد و غيره و في نسخة بالكسر على الحكاية أي الخبر هو قوله ان أو التقدير قائلا ان (أهل الجنة اذا دخلوها) أي الجنة (نزلوا فيها) أي في منازلها و درجاتها (بفضل أعمالهم) أي بقدر زيادة طاعاتهم كمية و كيفية (ثم يؤذن لهم في مقدار يوم الجمعة) أي قدر اتيانه و المراد في مقدار الاسبوع (من أيام الدنيا فيزورون ربهم) أي فيه (و يبرز) من الابراز أي و يظهر ربهم (لهم عرشه) أي نهاية لطفه و غاية رحمته كما أشير اليه بقوله الرحمن على العرش استوى و الا فقد سبق ان العرش سقف الجنة و ليلائم أيضا على وجه التنزيه من الجهة قوله (و يتبدى) بتشديد الدال أي يظهر و يتجلى ربهم (لهم في روضة) أي عظيمة (من رياض الجنة فتوضع لهم منابر) أي كراسي مرتفعة (من نور و منابر من لؤلؤ و منابر من ياقوة و منابر من زبرجد) بفتح زاي و موحدة فراء ساكنة فجيم مفتوحة جوهر معروف (و منابر من ذهب و منابر من فضة) أي بحسب مقادير أعمالهم و مراتب أحوالهم (و يجلس أدناهم) أي أدونهم منزلة (و ما فيهم دنيء) أي و الحال انه ليس في أهل الجنة دون و خسيس قال الطيبي رحمه الله هو تتميم صونا لما يتوهم من قوله أدناهم الدناءة و المراد به الادنى في المرتبة و الحاصل انه يجلس أقل أهل الجنة اعتبارا (على كثبان المسك) بضم الكاف و سكون المثلثة جمع كثيب أي تل من الرمل المستطيل من كثبت الشئ اذا جمعته (و الكافور) بالجر عطف على المسك ففي القاموس هو نبت طيب نوره كنور الاقحوان أو الطلع أو وعائه و طيب معروف يكون من شجر بجبال بحر الهند و الصين يظل خلقا كثيرا و تألفه النمورة و خشبه أبيض هش و يوجد في أجوافه الكافور و هو أنواع و لونها أحمر و انما يبيض بالتصعيد و زمع الكرم (١) و عين في الجنة (ما يرون) بصيغة المجهول من الاراءة و الضمير الى الجالسين على الكثبان أي لايظنون و لايتوهمون (أن أصحاب الكراسي) أي أرباب المنابر (بافضل منهم مجلسا) حتى يحزنوا بذلك لقولهم على ما في التنزيل الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن بل انهم واقفون في مقام الرضا و متلذذون بحال التسليم بما جرى القضاء (قال أبوهريرة قلت يا رسول‌الله و هل نرى ربنا) أي يتجلى الذات (قال نعم هل تتمارون) بفتح الراء و في نسخة بحذف احدى التائين أي هل تشكون (في رؤية الشمس) أي في رؤيتكم الشمس (و القمر) أي و في رؤية القمر (ليلة البدر) و احترز عن الهلال و عن القمر في غير ليالي البدور فانه لم‌يكن حينئذ في نهاية النور (قلنا لا) أي لا نشك في رؤية الشمس

---

(١) صمغ

قال كذلك لا تتمارون فى رؤية ربكم و لايبقى فى ذلك المجلس رجل الا حاضره الله محاضرة حتى يقول للرجل منهم يا فلان بن فلان أتذكر يوم قلت كذا و كذا فيذكره ببعض غدراته فى الدنيا فيقول يا رب أ فلم تغفر لى فيقول بلى فبسعة مغفرتى بلغت منزلتك هذه فبيناهم على ذلك غشيتهم سحابة من فوقهم فامطرت عليهم طيبا لم يجدوا مثل ريحه شيأ قط و يقول ربنا قوموا الى ما أعددت لكم من الكرامة فخذوا ما اشتهيتم فنأتى سوقا قد حفت به الملائكة فيها ما لم تنظر العيون الى مثله و لم تسمع الآذان و لم يخطر على القلوب فيحمل لنا ما اشتهينا

و القمر (قال كذلك لا تتمارون فى رؤية ربكم) و التشبيه انما هو فى كمال الظهور لا فى غيره من خطرات تختلج فى الصدور (و لايبقى فى ذلك المجلس رجل الا حاضره الله محاضرة) بالضاد المعجمة من الحضور و قد صحف بالمهملة قال التوربشتى رحمه الله الكلمتان بالحاء المهملة و الضاد المعجمة و المراد من ذلك كشف الحجاب و المقاولة مع العبد من غير حجاب و لاترجمان و يبينه الحديث ما منكم من أحد الا و يكلمه ربه ليس بينه و بينه ترجمان الحديث و المعنى خاطبه الله مخاطبة و حاوره محاورة (حتى يقول للرجل منهم يا فلان) بالفتح و فى نسخة بالضم (ابن فلان) بنصب ابن و صرف فلان و هما كنايتان عن اسمه و اسم أبية و روى أحمد و أبوداود عن أبى الدرداء مرفوعا انكم تدعون يوم القيامة باسمائكم و أسماء آبائكم فاحسنوا أسمائكم (أتذكر يوم قلت كذا و كذا) أى مما لايجوز فى الشرع فكانه يتوقف الرجل فيه و يتأمل فيما ارتكبه من معاصيه (فيذكره) بتشديد الكاف أى فيعلمه الله (ببعض غدراته) بفتح الغين المعجمة و الدال المهملة جمع غدرة بالسكون بمعنى الغدر و هو ترك الوفاء و المراد معاصيه لانه لم يف بتركها الذى عهد الله اليه فى الدنيا (فيقول يا رب أ فلم تغفر لى) أى أدخلتنى الجنة فلم تغفر لى ما صدر لى من المعصية (فيقول بلى) أى غفرت لك (فبسعة مغفرتى) بفتح السين و يكسر (بلغت) أى وصلت (منزلتك هذه) قال الطيبى رحمه الله عطف على مقدر أى غفرت لك فبلغت بسعة رحمتى هذه المنزلة الرفيعة و التقديم دل على التخصيص أى بلوغك تلك المنزلة كائن بسعة رحمتى لا بعملك (فبينا) و فى نسخة فبينما (هم) أى أهل الجنة (على ذلك) أى على ما ذكر من المحاضرة و المحاورة (غشيتهم) أى غطتهم (سحابة من فوقهم فامطرت عليهم طيبا) أى عظيما (لم يجدوا مثل ريحه شيأ قط و يقول ربنا قوموا الى ما أعددت لكم من الكرامة فخذوا ما اشتهيتم فنأتى سوقا قد حفت) بتشديد الفاء أى أحاطت (به الملائكة فيها) كذا هو فى بعض الاصول المعتمدة موجود و المعنى عليه أى فى تلك السوق (ما لم تنظر العيون) بضم العين و يكسر جمع العين الى مثله و هو فى نسخ أكثر الشراح مفقود فقال المظهر ما موصولة و الموصول مع صلته يحتمل أن يكون منصوبا بدلا من الضمير المنصوب المقدر العائد الى ما فى قوله ما أعددت و يحتمل أن يكون فى محل الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف أى البعد لكم و قال شارح أو هو مبتدأ خبره محذوف أى فيها أقول و هو أحق و أوفق و قال الطيبى رحمه الله الوجه أن يكون ما موصوفة بدلا من سوقا (و لم تسمع الآذان) بمد الهمزة جمع الاذن أى و ما لم تسمعه بمثله (و لم يخطر) بضم الطاء أى و ما لم يمر مثله (على القلوب) و هذا هو معنى الحديث القدسى المشهور أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت و لا أذن سمعت و لا خطر على قلب بشر على ما رواه أبو هريرة أيضا كما سبق (فيحمل لنا) أى الى قصورنا (ما اشتهينا) أى فى تلك

ليس يباع فيها و لايشترى و فى ذلك السوق يلقى أهل الجنة بعضهم بعضا قال فيقبل الرجل ذو المنزلة المرتفعة فيلقى من هو دونه و ما فيهم دنى فيروعه ما يرى عليه من اللباس فما ينقضى آخر حديثه حتى يتخيل عليه ما هو أحسن منه و ذلك انه لاينبغى لاحد أن يحزن فيها ثم ننصرف الى منازلنا فيتلقانا أزواجنا فيقلن مرحبا و أهلا لقد جئت و ان بك من الجمال أفضل مما فارقتنا عليه فنقول أنا جالسنا اليوم ربنا الجبار و يحقنا ان ننقلب بمثل ما انقلبنا رواه الترمذى و ابن ماجه و قال الترمذى هذا حديث غريب ✱ و عن أبى سعيد قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم أدنى أهل الجنة الذى له ثمانون ألف خادم و اثنتان و سبعون زوجة

السوق من أنواع المرزوق (ليس يباع فيها و لايشترى) الجملة حال من ما فى ما اشتهينا و هو المحمول و الضمير فى يباع عائد اليه (و فى ذلك السوق) هو يذكر و يؤنث فانثه تارة و ذكره أخرى و التأنيث أكثر و أشهر أى و فى تلك السوق (يلقى) أى يرى (أهل الجنة بعضهم بعضا قال) أى النبى صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم أو أبوهريرة مرفوعا حقيقة أو موقوفا فى حكم المرفوع (فيقبل) من الاقبال أى فيجىء و يتوجه (الرجل ذو المنزلة المرتفعة فيلقى من هو دونه) أى فى الرتبة و المنزلة (و ما فيهم من دنىء) زيد من للمبالغة فى نفى الاستغراق و هو فى نسخة صحيحة بدون من كما فى صدر الحديث (فيروعه) بضم الراء أى يعجب الرجل (ما يرى) أى يبصره (عليه) أى على من دونه (من اللباس) بيان ما كذا ذكره شارح والظاهر عكس مرجع الضميرين قال الطيبى رحمه الله الضمير المجرور يحتمل أن يرجع الى من فيكون الروع مجازا عن الكراهة مما هو عليه من اللباس و أن يرجع الى الرجل ذى المنزلة فالروع بمعنى الاعجاب أى يعجبه حسنه فيدخل فى روعه ما يتمنى مثل ذلك لنفسه و يدل عليه قوله (فما ينقضى آخر حديثه) أى ما ألقى فى روعه من الحديث و ضمير المفعول فيه عائد الى من قال شارح أى حديث من هو دونه مع الرجل الرفيع المنزلة قلت و يجوز قلب الكلام أيضا (حتى يتخيل عليه) بصيغة الفاعل و فى نسخة بالبناء للمفعول أى حتى يتصور له (أن عليه ماهو أحسن منه) و المعنى يظهر عليه ان لباسه أحسن من لباس صاحبه (و ذلك) أى سبب ما ذكر من من التخيل (لانه) أى الشأن (لاينبغى لاحد أن يحزن) بفتح الزاى أى يغتم (فيها) أى فى الجنة فحزن هنا لازم من حزن بالكسر لا من باب نصر فانه متعد غير ملائم للمقام (ثم ننصرف) أى نرجع و نعود (الى منازلنا فيتلقانا) من التلقى أى يستقبلنا و فى نسخة فيلقانا من اللقى أى فيرانا (أزواجنا) أى من نساء الدنيا و من الحور العين (فيقلن مرحبا و أهلا لقد جئت و ان بك من الجمال أفضل مما فارقتنا عليه فيقول أنا جالسنا اليوم ربنا الجبار و يحقنا) بكسر الحاء و تشديد القاف و فى نسخة بضم الحاء ففى المصباح حق الشئ كضرب و نصر اذا ثبت و فى القاموس حق الشئ وجب و وقع بلاشك و حقه أوجبه لازم و متعد فالمعنى يوجبنا و يلزمنا و يمكن أن يكون من باب الحذف و الايصال أى يحق لنا و يليق بنا (أن ننقلب لمثل ما انقلبنا) أى من الانقلاب و هو الانصراف على وجه الكمال لاثر مجالسة ذى الجلال و الجمال و مشاهدته المنزهة عن الحلول و الاتحاد و الاتصال و الانفصال (رواه الترمذى و ابن ماجه و قال الترمذى هذا حديث غريب ✱ و عن أبى سعيد قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم أدنى أهل الجنة) أى أقلهم خدما و نساء (الذى له ثمانون ألف خادم و اثنتان) أى من نساء الدنيا (و سبعون زوجة)

و تنصب له قبة من لؤلؤ و زبرجد و ياقوت كما بين الجابية الى صنعاء و بهذا الاسناد قال من مات من أهل الجنة من صغير أو كبير يردون بنى ثلاثين فى الجنة لايزيدون عليها أبدا و كذلك أهل النار و بهذا الاسناد قال ان عليهم التيجان أدنى لؤلؤ منها لتضىء ما بين المشرق و المغرب و بهذا الاسناد قال المؤمن اذا اشتهى الولد فى الجنة كان حمله و وضعه و سنه فى ساعة كما يشتهى و قال إسحق بن ابراهيم فى هذا الحديث اذا اشتهى المؤمن فى الجنة الولد كان فى ساعة و لكن لا يشتهى رواه الترمذى و قال هذا حديث غريب و روى ابن ماجه الرابعة و الدارمى الاخيرة

أى من الحور العين و فى نسخة اثنان بالتذكير ولعل وجهه انه ذكر باعتبار معنى الزوجة من لفظ الحور أو الزوج (و تنصب) بصيغة المجهول أى و يضرب و يرفع له (قبة من لؤلؤ و زبرجد و ياقوت) قال القاضى رحمه الله يريد ان القبة معمولة منها أو مكللة بها (كما بين الجابية) و هى مدينة بالشام (الى صنعاء) و هى بلدة باليمن قال شارح هى قصبة باليمن و قيل هى أول بلدة بنيت بعد الطوفان و المعنى ان فسحة القبة و سعتها طولا و عرضا و بعد ما بين طرفيه كما بين الموضعين قال السيوطى رحمه الله فى الجامع الصغير رواه أحمد و الترمذى و ابن حبان و الضياء عنه (و بهذا الاسناد) أى بالاسناد الواصل الى أبى سعيد أيضا قال أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أو أبو سعيد مرفوعا و فى المصابيح و به قال أى بالاسناد المذكور (قال من مات من أهل الجنة من صغير أو كبير يردون) أى يعودون و فيه تغليب لانه لا رد فى الصغير أو المعنى يصيرون (بنى ثلاثين فى الجنة) متعلق بقوله يردون (لايزيدون عليها أبدا) أى زيادة مؤثرة فى تغيير أبدانهم و أعضائهم و شعورهم و أشعارهم و الا فزمانهم فى الجنة يتزايد أبد الآبدين (و كذلك أهل النار) أى فى العمر و عدم الزيادة و لعل اختيار هذا المقدار من ازمنة الاعمال للابرار و الكفار ليكون التنعم و العذاب على وجة الكمال فى كل من دار البوار و دار القرار قال الطيبى رحمه الله فان قلت ما التوفيق بين هذا الحديث و بين ما رواه مسلم عن أبى هريرة فى باب البكاء صغارهم دعاميص الجنة أى داخلون على منازلهم لايمنعون من موضع كما فى الدنيا قلت فى الجنة ظرف ليردون وهو لايشعر انهم لم يكونوا دعاميص قبل الرد (و بهذا الاسناد قال ان عليهم) أى على رؤس أهل الجنة (التيجان) بكسر المثناة الفوقية جمع تاج (أدنى لؤلؤة منها لتضىء) بالتأنيث فى النسخ و لعل وجهه ان المضاف اكتسب التأنيث من المضاف اليه و المعنى لتنوز (ما بين المشرق و المغرب) فاضاء متعد و يمكن أن يكون لازما و التقدير ليضىء به ما بينهما من الاماكن لو ظهرت على أهل الدنيا (و بهذا الاسناد قال المؤمن اذا اشتهى الولد فى الجنة) أى فرضا و تقديرا (كان حمله) أى حمل الولد (و وضعه و سنه) أى كمال سنه و هو الثلاثون سنة (فى ساعة) لان الانتظار أشد من الموت و لاموت فى الجنة و لاحزن (كما يشتهى) من أن يكون ذكرا أو انثى و نحو ذلك (و قال اسحق ابن ابراهيم) رحمه الله أى ابن حبيب البصرى روى عن معمر بن سليمان و روى عنه أبو عبدالرحمن النسائى و غيره مات سنة سبع و خمسين و مائتين (فى هذا الحديث) أى ذكر فى بيان هذا الحديث (اذا اشتهى) أو فى هذا الحديث دلالة على انه اذا اشتهى (المؤمن فى الجنة الولد كان فى ساعة) أى حصل الولد فى ساعة (لكن لايشتهى) فقوله و لكن هو المقول حقيقة (رواه الترمذى و قال هذا حديث غريب و روى ابن ماجه الرابعة) أى الفقرة الرابعة من فقرات الحديث (و الدارمى الاخيرة) و هى ما أورده اسحق بن ابراهيم و فى

✱ و عن علی قال قال رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم ان فی الجنة لمجتمعا للحور العین یرفعن باصوات لم‌تسمع الخلائق مثلها یقلن نحن الخالدات فلانبید و نحن الناعمات فلانبأس و نحن الراضیات فلانسخط طوبی لمن کان لنا و کنا له رواه الترمذی ✱ و عن حکیم بن معاویة قال قال رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم ان فی الجنة بحر الماء و بحر العسل و بحر اللبن و بحر الخمر ثم تشقق الانهار بعد رواه الترمذی و رواه الدارمی عن معاویة

✱ (الفصل الثالث) ✱ عن أبی سعید عن رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم قال ان الرجل فی الجنة

تیسیر الوصول الی جامع الاصول عن أبی رزین قال قال رسول‌الله صلی‌الله‌تعالی‌علیه‌وسلم لایکون لاهل الجنة ولد أخرجه الترمذی و زاد فی روایة عن الخدری ان اشتهی الولد کان حمله و وضعه و سنه فی ساعة واحدة قال بعضهم لکن لایشتهی ✱(و عن علی رضی الله عنه قال قال رسول‌الله صلی‌الله‌تعالی‌علیه‌وسلم ان فی الجنة لمجتمعا) بفتح المیم الثانیة أی موضعا للاجتماع أو اجتماعا (للحور العین) قال الراغب الحور جمع أحور و حوراء و الحور قیل ظهور قلیل من البیاض فی العین من بین السواد و ذلک نهایة الحسن من العین و یقال للبقر الوحشی أعین و عیناء لحسن عینها و جمعها عین و بها شبه النساء قال تعالی و حور عین کامثال اللؤلؤ المکنون و روی ابن ماجه و ابن مردویه عن عائشة عنه صلی‌الله‌تعالی‌علیه‌وسلم الحور العین خلقن من تسبیح الملائکة و روی ابن مردویه و الخطیب عن أنس مرفوعا الحور العین خلقن من الزعفران ان قلت و لاتنافی بین الحدیثین لان من تعلیلیة فی الحدیث الاول فتأمل (یرفعن باصوات) الباء الزائدة تأکید للتعدیة أو أراد بالاصوات النغمات و المفعول محذوف أی یرفعن أصواتهن بانغام (لم‌تسمع الخلائق مثلها یقلن نحن الخالدات) أی الدائمات فی الغنی و المغنی (فلانبید) من باد هلک و فنی أی فلا نفنی (و نحن الناعمات) أی المتنعمات (فلانبأس) أی فلانصیر فقیرات و محتاجات الی غیر المولی (و نحن الراضیات) أی عن ربنا أو عن أصحابنا (فلانسخط) فی حال من الحالات (طوبی) أی الحالة الطیبة (لمن کان لنا و کنا له) أی فی الجنات العالیات (رواه الترمذی ✱ و عن حکیم بن معاویة) أی النمیری قال البخاری فی صحبته نظر و روی عنه ابن أخیه معایة بن حکیم و قتادة رضی‌الله‌عنهم کذا ذکره المؤلف (قال قال رسول‌الله صلی‌الله‌تعالی‌علیه‌وسلم ان فی الجنة بحر الماء و بحر العسل و بحر اللبن و بحر الخمر ثم تشقق الانهار بعد) قال الطیبی رحمه الله یرید بالبحر مثل دجلة و الفرات و نحوهما و بالنهر مثل نهر معقل حیث تشقق من أحدهما ثم منه تشقق جداول انتهی و الظاهر أن المراد بالبحار المذکورة هی أصول الانهار المسطورة فی القرآن کما قال تعالی فیها أنهار من ماء غیر آسن و أنهار من لبن لم‌یتغیر طعمه و أنهار من خمر لذة للشاربین و أنهار من عسل مصفی و قوله ثم تشقق بحذف احدی التاءین أی تفترق الانهار الی الجداول بعد تحقق الانهار الی بساتین الابرار و تحت قصور الاخیار علی انه قد یقال المراد بالبحار هی الانهار و انما سمیت أنهارا لجریانها بخلاف بحار الدنیا فان الغالب منها انها فی محل القرار (رواه الترمذی) أی عن حکیم بن معاویة (و رواه الدارمی عن معاویة) الظاهر انه معاویة بن أبی سفیان لان معاویة أبا حکیم لم‌یعرف کونه من الصحابة ثم رأیت السیوطی رحمه الله قال فی الجامع الصغیر رواه أحمد و الترمذی عن معاویة بن حیدة لکنه لم‌یذکره المؤلف فی أسمائه

✱ (الفصل الثالث) ✱ (عن أبی سعید عن رسول‌الله صلی‌الله تعالی‌علیه‌وسلم قال ان الرجل فی الجنة)

ليتكئ فى الجنة سبعين مسندا قبل أن يتحول ثم تأتيه امرأة فتضرب على منكبه فينظر وجهه فى خدها أصفى من المرآة و ان أدنى لؤلؤة عليها تضيء ما بين المشرق و المغرب فتسلم عليه فيرد السلام و يسألها من أنت فتقول أنا من المزيد و انه ليكون عليها سبعون ثوبا فينفذها بصره حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك و ان عليها من التيجان ان أدنى لؤلؤة منها لتضيء ما بين المشرق و المغرب رواه أحمد ✶ و عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يتحدث و عنده رجل من أهل البادية ان رجلا من أهل الجنة استأذن ربه فى الزرع فقال له ألست فيما شئت قال بلى و لكنى أحب ان أزرع فبذر

أى فى دار الجزاء (ليتكئ) أى ليعتمد و يستند (فى الجنة) أى فى جنته الخاصة به (سبعين مسندا) بفتح الميم و يضم و النون مفتوحة لاغير و هو تمييز لسبعين و هو منصوب بنزع الخافض أى على سبعين مسندا أو متكئا واحدا بعد واحد كل باون و صنف من أنواع الزينة (قبل أن يتحول) أى من شق الى آخر و هو ظرف ليتكئ كما هو ظاهر و اغرب الطيبى رحمه الله حيث قال قوله سبعين مسندا هذا يؤيد قول من فسر قوله تعالى و فرش مرفوعة بانها منضودة بعضها فوق بعض و قوله قبل ان يتحول ظرف لقوله يأتيه و لايخفى غرابة الاول فى المعنى و غرابة الثانى فى المبنى (ثم تأتيه امرأة فتضرب على منكبه) و فى نسخة منكبيه أى ضرب الغنج و الدلال و تنبيه على مطالعة الجمال (فينظر) أى فيطالع الرجل (فيرى وجهه) أى عكسه (فى خدها) أى من كمال صفائها و ضيائها حال كون خدها (أصفى من المرآة) أى أنور من جنس المرآة المعهودة فى الدنيا (و أن أدنى لؤلؤة عليها) أى على تلك المرآة (تضيء ما بين المشرق و المغرب) أى لو كان فى الدنيا (فتسلم) أى المرأة (عليه فيرد السلام) أى عليها (و يسألها من أنت فتقول انا من المزيد) يراد به ما فى قوله تعالى لهم ما يشاؤن فيها ولدينا مزيد و من المزيد أفضلها ما قاله سبحانه للذين أحسنوا الحسنى و زيادة أى الجنة و رؤية الله تعالى و انما سميت زيادة لان الحسنى هى الجنة و هى ما وعد الله تعالى بفضله جزاء لاعمال المكلفين و الزيادة فضل على فضل (و انه) أى الشأن (ليكون عليها) أى على المرأة (سبعون ثوبا) أى بالوان مختلفة و أصناف مؤتلفة (فينفذها) بضم الفاء أى يدرك لطافة بدن المرأة (بصره) أى نظر الرجل (حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك) أى ما ذكر من أنواع الثياب و لم يمنع بصره شئ من الحجاب (و ان عليها من التيجان) أى المرصعة ما يقال فى حقها (ان أدنى لؤلؤة منها لتضيء ما بين المشرق و المغرب) و قيل ان بالكسر مزيدة و اللام داخل فى خبر ان الاولى نحو قوله تعالى ألم يعلموا انه من يحادد الله و رسوله فان له نار جهنم انتهى و الظاهر أنها اذا كانت مزيدة تكون اللام داخلة فى خبر المبتدأ و الجملة خبر ان الاولى ثم لاشك ان الثانية فى الآية غير مزيدة بل لزيادة تأكيد و مبالغة فى النسبة (رواه أحمد ✶ و عن أبى هريرة ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كان يتحدث و عنده رجل من أهل البادية ان رجلا) بكسر الهمزة على الحكاية فهى من جملة ما يتحدث به و فى بعض النسخ بفتحها على انه مفعول يتحدث و الجملة بينهما حالية معترضة و قال الطيبى رحمه الله هو بكسر الهمزة مفعول يتحدث على حكاية ما يلفظ به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم و حاصله ان رجلا (من أهل الجنة استأذن ربه فى الزرع) أى بناء على ما تعوده به فى الدنيا أو لتنزهه به فى العقبى (فقال) أى ربه و فى نسخة فيقال له (ألست فيما شئت) أى من الاكل

فبادر الطرف نباته و استواؤه و استحصاده فكان أمثال الجبال فيقول الله تعالى دونك يا ابن آدم فانه لايشبعك شئ فقال الاعرابى و الله لاتجده الا قرشياً أو انصارياً فانهم أصحاب زرع و أما نحن فلسنا باصحاب زرع فضحك رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم رواه البخارى ★ و عن جابر قال سأل رجل رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم أ ينام أهل الجنة قال النوم أخو الموت و لايموت أهل الجنة رواه البيهقى فى شعب الايمان

★ (باب رؤية الله تعالى) ★

★(الفصل الاول) ★عن جرير بن عبد الله قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم انكم سترون ربكم عيانا

و الشرب و سائر أنواع التنعم (قال بلى و لكنى أحب ان أزرع فبذر) الفاء فصيحة أى فاذن له فيه فبذر أى رمى البذر فى أرض الجنة (فبادر الطرف) بسكون الراء تحريك الجفون فى النظر أى فسابقه (نباته) و المعنى فحصل نباته فى الحال و كذا قوله (و استواؤه و استحصاده) أى من غير مؤنة للحصاد من جانب العباد فكان أمثال الجبال (فيقول الله تعالى) أى حينئذ (دونك يا ابن آدم) أى خذ ما تمنيته قاله على سبيل التوبيخ تهجينا لما التمسه و من ثم رتب عليه قوله (فانه لايشبعك شئ) أى كثير حتى فى الجنة و قد يوجد فى تعارف الناس مثل هذا التوبيخ من القواعد المقررة ان كل اناء يرشح بما فيه و ان الناس يموتون كما يعيشون و يحشرون كما يموتون أظهر النبى صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم هذا المعنى فى لباس هذا المبنى (فقال الاعرابى و الله لاتجده) أى هذا الرجل (الا قرشيا) أى من أهل مكة (أو انصاريا) أى من أهل المدينة فاو للتنويع (فانهم) أى مجموع القبيلتين (أصحاب زرع) أى فى الجملة و ان كان الانصار أكثر زرعا (فاما) بالفاء و فى نسخة صحيحة و أما (نحن) أى معاشر أهل البادية (فلسنا باصحاب زرع) أى فلا نشتهى مثل ذلك (فضحك رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم) أى من فطانة البدوى أومن مسئلة الخبتى وجوابه البديعى (رواه البخارى ★ وعن جابر قال سأل رجل رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم أ ينام أهل الجنة قال النوم أخو الموت و لايموت أهل الجنة) أى فلاينامون و هذا جواب بالدليل البرهانى و هو أوقع فى النفس و أظهر فى أطمئنان الايمان من الجواب الاجمالى بان قال لا (رواه البيهقى فى شعب الايمان)

★ (باب رؤية الله تعالى) ★ من باب اضافة المصدر الى مفعوله

★ (الفصل الاول) ★ (عن جرير بن عبد الله) أى البجلى (قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى عليه‌وسلم انكم) أى أيها المؤمنين (سترون ربكم) أى ستبصرونه فقوله (عيانا) بالكسر مصدر مؤكد أو حال مؤكدة أما من الفاعل أو المفعول أى معاينين بكسر الياء أو معاينا بفتح الياء و المعاينة رفع الحجاب بين الرائى و المرئى ففى القاموس لقيه عيانا أى معاينة لم يشك فى رؤيته اياه و قال الطيبى رحمه الله عيانا أى جهارا و يجوز أن يكون من العين المحسوسة بالعين الظاهرة و قال النووى رحمه الله أعلم أن مذهب أهل السنة قاطبة ان رؤية الله تعالى ممكنة غير مستحيلة عقلا و أجمعوا أيضا على وقوعها فى الآخرة أى نقلا و أن المؤمنين يرون الله تعالى دون الكافرين و زعمت طوائف من أهل البدع المعتزلة و الخوارج و بعض المرجئة ان الله تعالى لايراه أحد من خلقه و ان رؤيته مستحيلة عقلا و هذا الذى قالوه خطأ صريح و جهل قبيح و قد تظاهرت أدلة الكتاب و السنة و أجماع الصحابة فمن بعدهم من سلف الامة على اثبات رؤية الله تعالى

و فى رواية قال كنا جلوسا عند رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم فنظر الى القمر ليلة البدر فقال انكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لاتضامون فى رؤيته فان استطعتم أن لاتغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس و قبل غروبها فافعلوا

فى الآخرة للمؤمنين و رواها نحو من عشرين صحابيا رضى‌الله تعالى عنهم عن رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم و آيات القرآن فيها مشهورة و اعتراضات المبتدعة عليها لها أجوبة مسطورة فى كتب المتكلمين من أهل السنة و أما رؤية الله تعالى فى الدنيا فممكنة و لكن الجمهور من السلف و الخلف من المتكلمين و غيرهم على انها تقع فى الدنيا و حكى الامام أبو القاسم القشيرى رحمه الله تعالى فى رسالته المعروفة عن الامام أبى‌بكر بن فورك انه حكى فيها قولين للامام أبى الحسن الاشعرى رحمه الله أحدهما وقوعها و الثانى لاتقع ثم مذهب أهل الحق ان الرؤية قوة يجعلها الله تعالى فى خلقه و لايشترط فيها الاشعة و لا مقابلة المرئى و لا غير ذلك و لكن جرت العادة فى رؤية بعضنا بعضا بوجود ذلك على وجه الاتفاق لا على سبيل الاشتراط و قد قرر أئمتنا المتكلمون ذلك بالدلائل الجلية و لايلزم من رؤية الله تعالى اثبات جهة له تعالى عن ذلك بل يراه المؤمنون لا فى جهة كما يعلمونه لا فى جهة قلت و كما يرانا هو لا فى جهة و لا مقابلة و لا غير ذلك و الحاصل انه لايقاس الغائب بالشاهد لاسيما الخالق بالمخلوق و لذا قيل لايقاس الملوك بالحدادين (و فى رواية) أى عن جرير (قال كنا جلوسا) أى جالسين (عند رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم فنظر الى القمر ليلة البدر) قال الاكمل أى البدر الكامل و سمى ليلة أربعة عشر بدرا لمبادرته الشمس بالطلوع. (فقال انكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر) أى المحسوس المشاهد المرئى ثم استأنف و قال أو ذكر على سبيل بيان الحال (لا تضامون) بضم التاء و تخفيف الميم من الضيم و هو الظلم قال الحافظ بن حجر و هو الاكثر أى لايظلم بعضكم ببعض بالتكذيب و الانكار و فى نسخة بفتح التاء و تشديد الميم من التضام بمعنى التزاحم و فى أخرى بالضم و التشديد من المضامة و هى المزاحمة وهو حينئذ يحتمل كونه للفاعل و المفعول و حاصل معنى الكل لاتشكون (فى رؤيته) أى فى رؤية القمر ليلة البدر قال فى جامع الاصول قد يخيل الى بعض السامعين ان الكاف فى قوله كما ترون كاف التشبيه للمرئى و انما هو كاف التشبيه للرؤية و هو فعل الرائى و معناه ترون ربكم رؤية ينزاح معها الشك كرؤيتكم القمر ليلة البدر لاترتابون فيه و لاتمترون قال و لا تضامون روى بتخفيف الميم من الضيم الظلم المعنى انكم ترونه جميعكم لايظلم بعضكم بعضا فى رؤيته فيراه البعض دون البعض وبتشديد الميم من الانضمام بمعنى الازدحام أى لايزدحم بعضكم بعضا فى رؤيته و لايضم بعضكم الى بعض من ضيق كما يجرى عند رؤية الهلال مثلا دون رؤية القمر فانه يراه كل منكم موسعا عليه منفردا به (فان استطعتم أن لاتغلبوا) بصيغة المجهول أى لاتصيروا مغلوبين (على صلاة قبل طلوع الشمس و قبل غروبها فافعلوا) أى ما ذكر من الاستطاعة أو عدم المغلوبية قال القاضى رحمه الله ترتيب قوله ان استطعتم على قوله سترون بالفاء يدل على أن المواظب على اقامة الصلوات و المحافظ عليها خليق بان يرى ربه و قوله لاتغلبوا معناه لاتصيروا مغلوبين بالاشتغال عن صلاتى الصبح و العصر و انما خصهما بالحث لما فى الصبح من ميل النفس الى الاستراحة و النوم و فى العصر من قيام الاسواق واشتغال الناس بالمعاملات فمن لم‌يلحقه فترة فى الصلاتين مع مالهما

ثم قرأ و سبح بحمد ربک قبل طلوع الشمس و قبل غروبها متفق عليه ★ و عن صهيب عن النبی صلی‌الله‌عليه‌وسلم قال اذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تعالی تريدون شيأ أزيدكم فيقولون ألم‌تبيض وجوهنا ألم‌تدخلنا الجنة و تنجنا من النار قال فيرفع الحجاب فينظرون الی وجه الله فما أعطوا شيأ أحب اليهم من النظر الی ربهم ثم تلا للذين أحسنوا الحسنی و زيادة رواه مسلم ★ (الفصل الثانی) ★ عن ابن عمر قال قال رسول‌الله صلی‌الله‌عليه‌وسلم ان أدنی أهل الجنة منزلة لمن ينظر الی جنانه و أزواجه و نعيمه و خدمه و سرره مسيرة ألف سنة

من قوة المانع فبالحری أن لاتلحقه فی غيرهما و الله تعالی أعلم (ثم قرأ) أی النبی صلی‌الله‌تعالی عليه‌وسلم استشهادا أو جرير اعتقادا (و سبح) بالعطف علی ما قبله و هو قوله سبحانه فاصبر علی ما يقولون (بحمد ربک قبل طلوع الشمس و قبل غروبها) أی وصل فی هذين الوقتين و عبر عن الكل بالجزء و هو التسبيح المراد به الثناء فی الافتتاح المقرون بحمد الرب المشتمل عليه سورة الفاتحة و يدل علی هذا المعنی ما بعده و هو قوله و من آناء الليل أی ساعاته و هو العشاآن فسبح و أطراف النهار أی طرفيه و هو وسطه يعنی الظهر لعلک ترضی بالفتح و الضم أی علی رجاء ان تكون راضيا أو مرضيا أو جمعا مثبتا أو المراد بالتسبيح تنزيه الرب عن الشريک ونحوه من صفات النقصان و الزوال و الحدوث و الانتقال و المراد بحمده ثناء الكمال بنعت الجمال و وصف الجلال (متفق عليه) و فی الجامع رواه أحمد و الشيخان و الاربعة عنه لكن بغير قراءة الآية ★ (و عن صهيب) مصغرا (عن النبی صلی‌الله‌تعالی‌عليه‌وسلم قال اذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تعالی تريدون) أی أتريدون (شيأ أزيدكم) أی علی عطاياكم (فيقولون ألم‌تبيض وجوهنا ألم‌تدخلنا الجنة و تنجنا) بتشديد الجيم و يخفف أی و ألم‌تخلصنا (من النار) أی من دخولها او خلودها قال الطيبی رحمه الله تقرير و تعجيب من انه كيف يمكن الزيادة علی ما اعطاهم الله تعالی من سعة فضله و كرمه و قوله (فيرفع الحجاب) بصيغة المجهول و رفع الحجاب رفع للتعجب كانه قيل لهم هذا هو المزيد و الله سبحانه و تعالی منزه عن الحجاب فانه محجوب غير محجوب أذ المحجوب مغلوب فالمعنی فيرفع الحجاب عن أعين الناظرين كما يدل عليه قوله (فينظرون الی وجه الله) أی ذاته المنزهة عن الصورة و الجهة و نحو ذلک (فما أعطوا شيأ أحب اليهم من النظر الی ربهم ثم تلا للذين أحسنوا) أی العمل فی الدنيا بان أجادوه مقرونا بالاخلاص (الحسنی) أی المثوبة الحسنی و هی الجنة (و زيادة) أی النظر لوجهه الكريم و تنكيرها للتعظيم أی زيادة عظيمة لايعرف قدرها و لايكتنه كنهها قال الطيبی رحمه الله و اذا كان مفسر التنزيل من نزل عليه فمن تعداه فقد تعدی طوره أقول أراد به الزمخشری فی عدوله عنه الی التأويل و كذا من تبعه كالبيضاوی حيث عبر بالقيل عن هذا القول الجميل الثابت ممن نزل عليه التنزيل (رواه مسلم)

★ (الفصل الثانی) ★ (عن ابن عمر رضی‌الله تعالی عنهما قال قال رسول‌الله صلی‌الله‌تعالی‌عليه وسلم ان أدنی أهل الجنة منزلة) أی أقلهم مرتبة (لمن ينظر الی جنانه) بكسر الجيم أی بساتينه (و أزواجه) أی نسائه وحوره (و نعيمه) أی ما يتنعم به (و خدمه) أی من الولدان (و سرره مسيرة ألف سنة) أی حال كون جنانه و ما عطف عليه كائنة فی مسافة ألف سنة و المعنی ان ملكه مقدار تلک المسافة قيل هو كناية عن كون الناظر يملک فی الجنة ما يكون مقداره مسيرة ألف سنة

و أكرمهم على الله من ينظر الى وجهه غدوة و عشية ثم قرأ وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة رواه أحمد و الترمذى ✱ و عن أبى رزين العقيلى قال قلت يا رسول‌الله أكلنا يرى ربه مخليا به يوم القيامة قال بلى قلت و ما آية ذلك فى خلقه قال يا أبا رزين أليس كلكم يرى القمر ليلة البدر مخليا به قال بلى قال فانما هو خلق من خلق الله و الله أجل و أعظم رواه أبوداود

لان المالكية فى الجنة خلاف ما فى الدنيا و فى التركيب تقديم و تأخير اذ جعل الاسم و هو قوله لمن ينظر خبرا أو الخبر و هو أدنى منزلة اسما اعتناء بشأن المقدم لان المطلوب بيان ثواب أهل الجنة و سعتها و ان أدناهم منزلة من يكون ملكه كذا . و نحوه قوله تعالى ان خير من استأجرت القوى الامين خبرا (و أكرمهم) بالنصب عطفا على أدنى و فى نسخة بالرفع عطفا على مجموع اسم ان و خبرها أى و أكثرهم كرامة على الله و أعلاهم منزلة و أقربهم رتبة عنده سبحانه (من ينظر الى وجهه) أى ذاته (غدوة) بضم الغين (و عشية) أى صباحا و مساء و لهذا وصى بالمحافظة على صلاتى طرفى النهار كما مر أو المراد بهما أن يكون النظر دواما على ان الغدوة عبارة عن النهار و العشية عبارة عن الليل مجازا بذكر الجزء و ارادة الكل أو بذكر أول الشئى و ارادة تمامه لكن الاول أظهر لانه لو كان النظر على وجه الدوام لما انتفعوا بسائر النعيم و قد خلقت لهم و مما يؤيده أيضا ما رواه الحاكم عن بريدة مرفوعا ان أهل الجنة يدخلون على الجبار كل يوم مرتين فيقرأ عليهم القرآن و قد جلس كل امرئ منهم مجلسه الذى هو مجلسه على منابر الدر و الياقوت و الزمرذ و الذهب و الفضة بالاعمال فلاتقر أعينهم قط كما تقر بذلك و لم يسمعوا شيأ أعظم منه و لا أحسن منه ثم ينصرفون الى رحالهم و قرة أعينهم ناعمين الى مثلها من الغد (ثم قرأ وجوه يومئذ ناضرة) أى ناعمة غضة حسنة و المراد بالوجوه الذوات أو خصت لشرفها و لظهور أثر النعمة عليها (الى ربها ناظرة) قال الطيبى رحمه الله قدم صلة ناظرة اما لرعاية الفاصلة و هى ناضرة باسرة فاقرة و اما لان الناظر يستغرق عند رفع الحجاب بحيث لايلتفت الى ما سواه و كيف يستبعد هذا و العارفون فى الدنيا ربما استغرقوا فى بحار الحب بحيث لم يلتفتوا الى الكون و يعضده حديث جابر فى آخر الفصل الثالث فينظر أليهم و ينظرون اليه فلايلتفتون الى شئى من النعيم ماداموا ينظرون اليه (رواه أحمد و الترمذى) و كذا الطبرانى و روى هناد فى الزهد عن عبيد بن عمير مرسلا ان أدنى أهل الجنة منزلا لرجل له دار من لؤلؤة واحدة منها غرفها و أبوابها ✱(و عن أبى رزين العقيلى) مصغرا (قال قلت يا رسول‌الله أكلنا) أى أجمعنا معاشر المؤمنين (يرى ربه) أى يبصرونه و الافراد فى يرى باعتبار لفظ كل (مخليا به) بميم مضمومة فخاء معجمة ساكنة فلام مكسورة فتحتية مخففة أى خاليا بربه بحيث لايزاحمه شئى فى الرؤية (يوم القيامة) و قيل بفتح ميم و تشديد تحتية و أصله مخلوى كذا ذكره الجزرى رحمه‌الله و اقتصر ابن الملك على الثانى و المعنى منفردا به ففى النهاية يقال خلوت به و معه و اليه اختليت به اذا انفردت به أى كلكم يراه منفردا بنفسه كقوله لاتضارون فى رؤيته (قال بلى) أى نعم كلنا يرى ربه (قال) أى أبورزين (قلت) و هو موجود فى أكثر النسخ المصححة و المعنى عليه (و ما آية ذلك) أى ما علامة رؤية كلنا ربه بحيث لايزاحمه شئى و المعنى مثل لنا ذلك (فى خلقه) أى مخلوقاته نظيرا لذلك فان الله تعالى جعل فى الدنيا أنموذجا لجميع ما فى العقبى (قال يا أبا رزين أليس كلكم يرى القمر ليلة البدر مخليا به قال بلى) أى قلت بلى (قال فانما هو)

✶ (الفصل الثالث) ✶ عن أبي ذر قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رأيت ربك قال نور انى أراه رواه مسلم ✶ و عن ابن عباس ما كذب الفؤاد ما رأى و لقد رآه نزلة أخرى قال رآه بفؤاده مرتين

أى القمر (خلق من خلق الله) أى و يراه كلنا (و الله أجل) أى أكمل مرتبة (و أعظم) أى أفضل منقبة و أعلى قدرة لانه واجب الوجود فهو أولى فى نظر العقل بالشهود قال الطيبى رحمه الله قاس القائل رؤية الله تعالى على ما فى المتعارف فان الجم الغفير اذا رأوا شيأ يتفاوتون فى الرؤية لاسيما شيأ له نوع خفاء فيضيم بعضهم بعضا بالازدحام فمن راء يرى رؤية كاملة و راء دونها فالمراد بقوله مخليا اثبات كمالها ولذا طابق الجواب بالتشبيه بالقمر ليلة البدر لا بالهلال (رواه أبوداود)

✶ (الفصل الثالث) ✶ (عن أبى ذر قال سألت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هل رأيت ربك) أى فى ليلة المعراج (قال نور) أى هو نور عظيم و المراد انه نور الانوار و منه قوله تعالى الله نور السموات و الارض أى منورهما و مظهر أنوار ما فيهما من الشمس و القمر و الكواكب و امثال ذلك و من أسمائه النور و هو الذى ظاهر بنفسه و مظهر لغيره على ما ذكره المحققون (انى) بفتح الهمزة و تشديد النون على ما فى أكثر النسخ أى كيف (أراه) أى أبصره فان كمال النور يمنع الادراك و فى بعض النسخ نورانى بتشديد الياء للنسبة لزيادة الالف و النون للمبالغة كالربانى و حينئذ قوله أراه بمعنى أظنه من الرؤية بمعنى الرأى فلو قرئ بضم الهمزة لكان أظهر فى هذا المعنى و يمكن أن يكون بمعنى أبصره ايماء الى انه ما رآه فى الدنيا و سيراه فى الاخرى أو مراده أبصرته و العدول الى الاستقبال لحكاية الحال الماضية فكانه يستحضره و يتلذذ به قال ابن الملك اختلف فى رؤيته فى تلك الليلة و فى الحديث دليل للفريقين على اختلاف الروايتين لانه روى بفتح الهمزة و تشديد النون المفتوحة فيكون استفهاما على سبيل الانكار و روى بكسر النون فيكون دليلا للمثبتين و يكون حكاية عن الماضى بالحال انتهى و قال الامام أحمد فى قوله نور انى أراه بتشديد النون يعنى على طريق الايجاب قال الطيبى رحمه الله أراد ليس الاستفهام على معنى الانكار المستفيد للنفى بل للتقرير المستلزم للايجاب أى نور حيث أراه قال النووى رحمه الله و فى الرواية الاخرى رأيت نورا اما قوله نور انى أراه فهو بتنوين نور و بفتح الهمزة فى انى و تشديد النون المفتوحة (١) هكذا رواه جميع الرواة فى جميع الاصول و معناه حجابه نور فكيف أراه قال الامام المازرى رحمه الله معناه ان النور منعنى من الرؤية كما جرت العادة فان كمال النور يمنع الادراك و روى نورانى منسوب الى النور و ما جاء من تسمية الله تعالى بالنور فى مثل قوله سبحانه الله نور السموات و الارض و فى الاحاديث معناه ذو نور او منورهما و قيل هادى أهلهما و قيل منور قلوب عباده المؤمنين قلت و يؤيده قوله مثل نوره كمشكاة فيها مصباح (رواه مسلم ✶ وعن ابن عباس رضى الله عنهما) أى فى قوله تعالى (ما كذب الفؤاد ما رأى و لقد رآه نزلة أخرى قال)أى ابن عباس (رآه بفؤاده مرتين) قال صاحب المدارك أى ما كذب فؤاد محمد ما رآه ببصره من صورة جبريل عليه الصلاة والسلام أى ما قال فؤاده لما رآه لم أعرفك و لو قال ذلك لكان كاذبا لانه عرفه يعنى انه رآه بعينه و عرفه بقلبه و لم يشك فى ان ما رآه حق و قيل المرئى هو الله سبحانه رآه بعين رأسه و قيل بقلبه و فى شرح مسلم للنووى قال ابن مسعود رأى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم جبريل و هذا الذى قال

(١) صحيح

رواه مسلم و فى رواية الترمذى قال رأى محمد ربه قال عكرمة قلت أليس الله يقول لاتدركه الابصار و هو يدرك الابصار قال و يحك ذاك

هو مذهبه فى هذه الآية و ذهب الجمهور من المفسرين الى أن المراد انه رأى ربه سبحانه ثم اختلفوا فذهب جماعة الى انه عليه الصلاة والسلام رأى ربه بفؤاده دون عينه و ذهب جماعة الى انه رآه بعينه قال الامام أبو الحسن الواحدى قال المفسرون رحمهم الله هذا اخبار عن رؤية النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ربه عزوجل ليلة المعراج قال ابن عباس و أبوذر و ابراهيم التيمى رآه بقلبه و على هذا رأى بقلبه ربه رؤية صحيحة و هو ان الله تعالى جعل بصره فى فؤاده أو خلق لفؤاده بصرا حتى رأى ربه رؤية صحيحة كما يرى بالعين قلت و هذا قول حسن و وجه مستحسن يمكن به الجمع بين متفرقات الاقوال و الله تعالى أعلم بالحال ثم قال الواحدى و مذهب جماعة من المفسرين انه رأى بعينه و هو قول أنس و عكرمة و الربيع قال المبرد ان الفؤاد رأى شيأ فصدق فيه و ما رأى فى موضع النصب أى ما كذب الفؤاد مرئيه و قال القاضى عياض رحمه الله اختلف السلف و الخلف هل رأى نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم ربه ليلة الاسراء فانكرته عائشة وهو المشهور عن ابن مسعود و اليه ذهب جماعة من المحدثين و المتكلمين و روى ابن عباس انه رأى بعينه و مثله عن أبى ذر و كعب و الحسن كان يحلف على ذلك و حكى مثله عن ابن مسعود و أبى هريرة و أحمد بن حنبل و حكى أصحاب المقالات عن أبى الحسن الاشعرى و جماعة من أصحابه رضى الله تعالى عنهم انه رآه و وقف بعض مشايخنا و قال ليس عليه دليل واضح و لكنه جائز و رؤية الله تعالى فى الدنيا جائزة و اختلفوا ان نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم هل كلم ربه سبحانه ليلة الاسراء بغير واسطة أم لا فحكى عن الاشعرى و قوم من المتكلمين انه كلمه و عزاه بعضهم الى جعفر بن محمد و ابن مسعود و ابن عباس و كذلك اختلفو فى قوله تعالى ثم دنا فتدلى فالا كثرون على ان هذا الدنو و التدلى منقسم ما بين جبريل و النبى عليهما الصلاة والسلام و عن ابن عباس و الحسن و محمد ابن كعب و جعفر بن محمد و غيرهم رضى الله تعالى عنهم انه دنو من النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الى ربه تعالى أو من الله تعالى له عليه الصلاة والسلام و الدنو و التدلى على هذا متأول ليس على وجه قال جعفر بن محمد و غيره الدنو من الله لاحد له و من العباد بالحدود فدنوه عليه الصلاة والسلام من ربه عزوجل قربه منه و ظهور عظيم منزلته لديه و أشراق أنوار معرفته عليه و اطلاعه على أسرار ملكوته و غيبه بما لم يطلع عليه سواه و الدنو من الله اظهار ذلك له و ايصال عظيم بره و فضله اليه و قاب قوسين أو أدنى على هذا عبارة عن لطف المحل و ايضاح المعرفة و الاشراف على الحقيقة من نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم و من الله اجابة الرغبة و انابة الرتبة و نحوه قوله صلى الله تعالى عليه وسلم حكاية عن ربه من تقرب منى شبرا تقربت منه ذراعا هذا آخر كلام القاضى عياض رحمه الله و قد أوردت بعض الفوائد من هذه الرياض فى رسالتى المدارج للمعراج (رواه مسلم و فى رواية الترمذى قال) أى ابن عباس (رأى محمد ربه) أى بفؤاده لئلا يخالف رواية مسلم و قيل أى بعينه و هو الظاهر من الاطلاق الملائم لما بعده من السؤال و الا فرؤية الفؤاد غير منكرة باجماع أهل الكمال و لايعترى عليها اعتراض نقلا و لا عقلا فى كل حال (قال عكرمة قلت أليس الله يقول لا تدركه الابصار و هو يدرك الابصار قال) أى ابن عباس (ويحك) كلمة تقال عند الشفقة و حال خوف المزلقة (ذاك) أى أدراك الكلى

(اذا تجلى بنوره) أى الخالص (الذى هو نوره) أى الذاتى و هذا الجواب بظاهره انه أراد الرؤية بالفؤاد و فهم عكرمة خلاف ذلك فرد عليه بان رؤيته بالعين انما هى فى الآخرة بالتجلى الخاص الكامل العام لكل مؤمن لكن على قدر مراتبهم فى المعرفة و عدلا كلاهما عن المعنى المشهور فى الادراك و هو الاحاطة المنفية بالاجماع لقوله تعالى و لايحيطون به علما و قال الطيبى قوله ذاك اذا تجلى بنوره يعنى دلت الآية على انه تعالى لايحيط به و بحقيقة ذاته حاسة الابصار و هذا اذا تجلى بنوره الذى هو نوره و ظهر بصفة الجلال و أما اذا تجلى بما يسعه نطاق البشرية من صفات الجمال فلا استبعاد اذن انتهى و قال صاحب الخلاصة فهم عكرمة من قول ابن عباس رآه بفؤاده انه رآه بعينه لكن بمساعدة فؤاده فلذلك تمسك بالآية و لو كان المراد انه كانت الرؤية بالفؤاد جلية كالرؤية البصرية لم يتجه السؤال بالآية الا أن تحمل الآية على أن المراد نفى الادراك الذى يكون كالادراك البصرى فى الجلاء و انما خص ذكر البصر لانه محل الادراك بحسب العادة و الظاهر ان سؤال عكرمة كان على قول ابن عباس رأى محمد ربه كما هو رواية الترمذى لا على قوله رآه بفؤاده كما هو رواية مسلم و حينئذ لا اشكال فى الاستدلال بالآية الكريمة و معنى جواب ابن عباس انه اذا تجلى بنوره على ما هو عليه اضمحل الادراك و أما اذا كان تجلى على قدر ما يفى بادراكه القوة البشرية فانه يدرك على ذلك الوجه ثم قوله (و قد رأى ربه مرتين) يحتمل انه رآه بفؤاده مرتين و هو الظاهر الموافق لما فى صحيح مسلم أو مرة بفؤاده و مرة بعينه اذ لم يقل أحد انه رآه بعينه مرتين و الحاصل انه ليس فى كلام ابن عباس صريح دلالة على ان مراده رؤية ربه بعين البصر و أما صاحب التحرير فانه اختار اثبات الرؤية فقال الحجج فى هذه المسئلة و ان كانت كثيرة لكنا لانتمسك الا بالاقوى منها حديث ابن عباس أتعجبون أن تكون الخلة لابراهيم عليه الصلاة والسلام و الكلام لموسى عليه الصلاة والسلام و الرؤية لمحمد عليه الصلاة والسلام قلت ليس فى كلامه نص على ان المراد به الرؤية البصرية لاحتمال أن يكون رؤية البصيرة من خصائصه أيضا مع ان ظاهر هذا الكلام أن لايكون لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وصف الخلة و نعت الكلام مع انهما ثابتان له عليه الصلاة والسلام على ما ذكره العلماء الاعلام ثم قال و الاصل فى الباب حديث ابن عباس حبر الامة و المرجوع اليه فى المعضلات وقد راجعه ابن عمر فى هذه المسئلة هل رأى محمد صلوات الله عليه وسلامه ربه فاخبره انه رآه قلت يحتمل أن يكون سؤال ابن عمر رضى الله تعالى عنهما وكذا سؤال عكرمة ناشئا عن تفسير قوله تعالى و لقد رآه نزلة أخرى هل الضمير راجع الى جبريل أو الى الله سبحانه فاخبره انه رآه أى بفؤاده كما يدل عليه ما رواه مسلم فى صحيحه قال و لايقدح فى هذا حديث عائشة رضى الله عنها لانها لم تخبر انها سمعت من النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يقول لم أر ربى قلت و كذا ابن عباس لم يخبر انه سمع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يقول ما رأيت ربى مطلقا فضلا عن أن يكون مقيدا بعين البصر قال و انما ذكرت ما ذكرت متأولة لقوله تعالى ما كان لبشر أن يكلمه الله الآية و لقوله لاتدركه الابصار قلت هاتان الآيتان سندان لمنعها على ان ابن عباس أيضا متأول كما لايخفى على متأمل قال و اذا صحت الروايات عن ابن عباس رضى الله عنهما فى اثبات الرؤية وجب المصير الى اثباتها فانها ليست مما يدرك بالعقل و يؤخذ بالظن و انما يتلقى بالسماع و لايستجيز

أحد أن يظن بابن عباس انه تكلم فى هذه المسئلة بالظن و الاجتهاد.قلت الرؤية ببصر العين غير مصرحة عنه و على تقدير الآية التسليم فلا شك انه نشأ من باب اجتهاده و أخذه من اطلاق الآية قال و قد قال معمر بن راشد حين ذكر اختلاف عائشة و ابن عباس عائشة ما عندنا باعلم من ابن عباس قلت هذا مع ما فيه من المناقشة لايفيد فائدة تامة مع انها ليست منفردة فى هذا الباب بل يوافقها ابن مسعود و غيره من الاصحاب ثم على تقدير التعارض و تساقط التناقض يثبت كلامها و يتحقق مرامها قال ثم ان ابن عباس اثبت شيأ نفاه غيره و المثبت مقدم على النافى قلت هذا اذا كان الاثبات مستندا الى حسن و الا فمن آداب البحث ان كلام المانع معتبر لاسيما مع سند المنع حتى يأتى الخصم ببرهان جلى اذ الاصل هو العدم فالوجود يحتاج الى تحقق بدليل قطعى من النقل أو العقل هذا آخر كلام صاحب التحرير و ما يترتب عليه من التقرير فقال الامام النووى الحاصل ان الراجح عند أكثر العلماء ان رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم رأى ربه بعينى رأسه ليلة الاسراء و اثبات هذا ليس الا بالسماع من رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم و هذا مما لاينبغي أن يشك فيه قلت و لاينبغى أن يجزم به أيضا لعدم ثبوت السماع أصلا فضلا عن أن لايكون طريقه قطعا و فصلا و الا لما وقع فيه خلاف للاقل أو الاكثر فتأمل و تدبر قال ثم ان عائشة لم‌تنف الرؤية بحديث و لو كان معها حديث لذكرته قلت و كذا ابن عباس لم‌يثبت الرؤية بحديث و لو كان معه حديث لذكره و انما أخذه من اطلاق الآية المتقدمة لو ثبت النقل صريحا عنه من اثبات الرؤية بعين البصر و قد علم أيضا مما سبق ان عائشة مانعة للرؤية المذكورة و ما ذكرته من الادلة فانما هى سند منعها للتقوية و ليست مستدلة حتى يقال فى حقها ما قال و انما اعتمدت على الاستنباط من الآيات أما احتجاجها بقوله تعالى لاتدركه الابصار فجوابه ان الادراك هو الاحاطة و الله تعالى لايحاط به فاذا ورد النص بنفى الاحاطة لايلزم منه نفى الرؤية بغير احاطة قلت سبق سؤال عكرمة مطابقا لما فهمت عائشة من الآية و كذا تقرير ابن عباس هذا المعنى و جوابه على غير هذا المبنى و ان كان هذا جوابا حسنا فى نفس الامر كما لايخفى قال و لقوله تعالى و ما كان لبشر ان يكلمه الله الآية فجوابه انه لايلزم من الرؤية وجود الكلام حال الرؤية فيجوز وجود الرؤية من غير كلام قلت الظاهر ان هذا المعنى أخذ من سياق قوله تعالى فكان قاب قوسين أو أدنى فاوحى الى عبده ما أوحى حيث استدل الخصم به على الجميع بين كمال القرب و الوحى الخاص المراد به الكلام من غير واسطة فدفعته بقوله تعالى ما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أى بالالقاء بالقلب أو من وراء حجاب أى أو تكليما ظاهرا يدركه سمع القالب لكن من وراء الحجاب و الله تعالى أعلم بالصواب و فى التفسير الكبير أعلم ان النصوص وردت ان محمدا صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم رأى ربه بفؤاده و جعل بصره فى فؤاده أو رآه ببصره و جعل فؤاده فى بصره و كيف لا و مذهب أهل السنة الرؤية بالاراءة لا بقدرة العبد فاذا حصل الله تعالى العلم بالشئ من طريق البصر كان رؤية بالاراءة و ان حصل من طريق القلب كان معرفة و الله تعالى قادر ان يحصل العلم بخلق مدرك للعلوم فى البصر كما قدر أن يحصله بخلق مدرك للعلوم فى القلب و المسئلة مختلف فيها بين الصحابة و اختلاف الوقوع مما ينبئ عن الاتفاق على الجواز انتهى و هو غاية التحقيق و نهاية التدقيق و الله ولى التوفيق و قال صاحب التعرف و أجمعوا انه لايرى فى الدنيا بالابصار و لا بالقلب الا من جهة الايقان لانه غاية الاكرام و أفضل النعم و لايجوز أن يكون ذلك الا فى أفضل المكان و أحرى ان الدنيا

✱ وعن الشعبي قال لقي ابن عباس كعبا بعرفة فسأله عن شئ فكبر حتى جاوبته الجبال فقال ابن عباس انا بنو هاشم فقال كعب ان الله قسم رؤيته و كلامه بين محمد و موسى فكلم موسى مرتين و رآه محمد مرتين قال مسروق فدخلت على عائشة فقلت هل رأى محمد ربه فقالت لقد تكلمت بشئ قف له

دار فناء و لايجوز أن يرى الباقي في الدار الفانية و لو رأوه في الدنيا لكان الايمان به ضرورة و بالجملة ان الله تعالى أخبر انها تكون في الآخرة و لم يخبر انها تكون في الدنيا فوجب الانتهاء الى ما أخبر الله تعالى به و اختلفوا في النبي صلى الله تعالى عليه وسلم هل رأى ربه ليلة الاسراء فقال الجمهور منهم انه لم يره محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ببصره و احتجوا بخبر عائشة رضي الله تعالى عنها انها قالت من زعم ان محمدا عليه الصلاة والسلام رأى ربه فقد كذب منهم الجنيد و الثوري و أبوسعيد الخراز و قال بعضهم رآه و انه خص بين الخلائق بالرؤية و احتجوا بخبر ابن عباس و أسماء و أنس منهم أبو عبدالله القرشي و بعض المتأخرين و قال بعضهم رآه بقلبه و لم يره ببصره و استدل بقوله تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى هذا و زعم بعض الناس ان قوما من الصوفية ادعوا الرؤية لانفسهم فقد اطبق المشائخ على تضليل من قال ذلك و صنفوا في ذلك كتبا منهم أبوسعيد الخراز له في انكار ذلك كتاب و رسائل و كذا للجنيد في تكذيب من ادعاه رسائل و كلام كثير و أجمعوا على ان من ادعى ذلك لم يعرف الله سبحانه ✱(وعن الشعبي) بفتح فسكون تابعي جليل (قال لقي ابن عباس كعبا بعرفة فسأله) أي كعبا (عن شئ فكبر) أي كعب (حتى جاوبته الجبال) قال الطيبي رحمه الله أي كبر تكبيرة مرتفعا بها صوته حتى جاوبته الجبال صدا كانه استعظم ما سأل عنه فكبر لذلك و لعل ذلك السؤال رؤية الله تعالى كما سئلت عائشة رضي الله تعالى عنها فقف لذلك شعرها قلت الظاهر كلام كعب الآتي من اثباته الرؤية في الجملة يابى عن هذا المعنى و أن يكون نحو ما صدر من عائشة رضي الله تعالى عنها في المبنى فالوجه ان يحمل التكبير على تعظيم ذلك المقام و التشوق الى ذلك المرام لكنه لم يرد عليه جواب الكلام (فقال ابن عباس أنا بنو هاشم) أي فيجب تعظيمنا و تكليمنا و تفهيمنا (فقال كعب ان الله قسم رؤيته و كلامه بين محمد و موسى) عليهما الصلاة والسلام و قال الطيبي رحمه الله و أما قوله انا بنو هاشم فبعث له على التسكين من ذلك الغيظ و التفكر في الجواب يعني نحن أهل علم و معرفة فلانسأل عما يستبعد هذا الاستبعاد و لذلك فكر فاجاب بقوله ان الله الى آخره أقول هذا لايخلو عن بعد اذ لادلالة في الحديث على ثبوت غيظ له و لاعلى تحقق فكر فيه مع ان تيقن هذه المسئلة لا تتحصل بفكر ساعة مع اعتقاد مدة مديدة على خلافها (فكلم) أي الله تعالى (موسى مرتين) أي في الميقاتين (و رآه محمد) عليه السلام أي في المعراج (مرتين) كما يدل عليه قوله سبحانه ولقد رآه نزلة أخرى فهذا يدل على ان مذهب كعب على ان الضمير في رآه الى الله لا الى جبريل بخلاف قول عائشة لكن لادلالة فيه على انه برؤية البصيرة أو البصر على ان قوله تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى يؤيد المعنى الاول ولذا صح عن ابن عباس انه رآه بفؤاده مرتين على ما تقدم و الله تعالى أعلم (قال مسروق فدخلت على عائشة) رضي الله تعالى عنها ظاهره انه كان حاضرا في مجلس كعب و ابن عباس رضي الله تعالى عنهما و سمع ما جرى بينهما (فقلت هل رأى محمد ربه) أي بالعين أو بالفؤاد (فقالت) استعظاما لهذا السؤال (لقد تكلمت بشئ) و في نسخة كلمت لكنه ليس بشئ لانه يحتاج الى القول بزيادة الباء في بشئ (قف) بفتح القاف و تشديد الفاء أي قام من الفزع (له) أي لذلك

شعرى - قلت رويدا ثم قرأت لقد رأى من آيات ربه الكبرى فقالت أين تذهب بك انما هو جبريل من أخبرك ان محمدا رأى ربه أو كتم شيأ مما أمر به أو يعلم الخمس التى قال الله تعالى ان الله عنده علم الساعة و ينزل الغيث فقد أعظم الفرية و لكنه رأى جبريل لم يره فى صورته الا مرتين مرة عند سدرة المنتهى و مرة فى أجياد له ستمائة جناح قد سد الافق رواه الترمذى و روى الشيخان مع زيادة و اختلاف و فى روايتهما قال قلت لعائشة فاين قوله ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى قالت ذاك جبريل عليه السلام

الشئ من الكلام (شعرى) أى شعر بدنى جميعا و هذا لما حصل عندها من عظمة الله و هيبته و اعتقدته من تنزيهه و استحالة وقوع ذلك (قلت رويدا) أى ارفقى و امهلى و المقصود تسكينها و الملاءمة فى تليينها حتى يقدر على السؤال و الجواب معها (ثم قرأت لقد رأى من آيات ربه الكبرى) ظاهر هذه الآية لايناسب مدعى مسروق بل قال بعض المفسرين انها المعينة لما رأى فيما سبق من قوله ما كذب الفؤاد ما رأى فهو نقيض مطلوبه ولذا قال الطيبى رحمه الله أى قرأت الآيات التى خاتمتها هذه الآية كما تشهد له الرواية الاخرى أعنى قوله قلت لعائشة فاين قوله ثم دنا أقول مع بعده ليس فى الرواية الاخرى لفظ رأى فالاظهر انه أراد بالكبرى الآية العظمى على عظمة شأنه تعالى أو على تعظيم جنابه صلى الله تعالى عليه وسلم و قصد بها الرؤية البصرية أو الفؤادية (فقالت أين تذهب بك) أى الآية يعنى فهمها قال الطيبى رحمه الله أى أخطأت فيما فهمت من معنى الآية و ذهبت اليه فاسناد الاذهاب الى الآية مجاز انتهى أو أين تذهب بك الآية الكبرى (انما هو) أى الآية الكبرى (جبريل) فذكر الضمير باعتبار الخبر و مما يدل على انه الآية الكبرى ما سيأتى عنها ان له ستمائة جناح قد سد الافق و يؤيده أيضا قولها (من أخبرك ان محمدا رأى ربه) و ظاهره انها تنفى رؤيته تعالى مطلقا غير مقيد بالفؤاد أو بالبصر (أو كتم شيأ مما أمر به) أى باظهاره كما يدل عليه قوله تعالى يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك و ان لم تفعل فما بلغت رسالته و هو يعم الكتمان عن الجميع أو عن البعض فيرد الاعتقاد الفاسد للشيعة فى اختصاص أهل البيت ببعض الاحكام الشنيعة و فيه ايماء الى انه لو تحقق له رؤية الله تعالى بنوع من الانواع لبينه و أظهره للحاجة فى تفسير الآية اليه و قد قال تعالى لتبين للناس ما نزل اليهم (أو يعلم الخمس التى قال الله تعالى ان الله عنده علم الساعة و ينزل الغيث) أى الى آخر مفاتح الغيب و لعلها أرادت بايراد هذه الآية المبالغة فى نفى الرؤية و انها بمنزلتها فى الفرية و لهذا قالت فى جزاء الكل من الشرطيات (فقد أعظم الفرية) بكسر الفاء أى الكذب الذى هو بلا مرية (و لكنه رأى جبريل) أى فى صورته الاصلية (لم يره فى صورته الا مرتين مرة عند سدرة المنتهى و مرة فى اجياد) بفتح همزة و سكون جيم موضع معروف باسفل مكة من شعابها (له ستمائة جناح قد سد الافق رواه الترمذى و رواه الشيخان مع زيادة و اختلاف) أقول فكان الاولى ايراد روايتهما فهو تعريض من صاحب المشكاة للاعتراض على صاحب المصابيح (و فى روايتهما قال) أى مسروق (قلت لعائشة فاين قوله ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى) يعنى فان الظاهر المتبادر أن ضمير دنا الى الله و ضمير فتدلى الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أو بالعكس كما سبق و كذا ضمير فكان الى أحدهما و قد قال بعده فاوحى الى عبده ما أوحى ما كذب الفؤاد ما رأى و بما قررنا يتم استشكال مسروق (قالت ذاك) أى مرجع الضمير فى الكل (جبريل عليه الصلاة والسلام) أى

كان يأتيه فى صورة الرجل وانه أتاه بهذه المرة فى صورته التى هى صورته فسد الافق ✱ وعن ابن مسعود فى قوله فكان قاب قوسين أو أدنى و فى قوله ما كذب الفؤاد ما رأى و فى قوله لقد رأى من آيات ربه الكبرى قال فيها كلها رأى جبريل عليه السلام له ستمائة جناح متفق عليه و فى رواية الترمذى قال ما كذب الفؤاد ما رأى قال رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل فى حلة من رفرف قد ملأ ما بين السماء و الارض و له و للبخارى

لا الرب سبحانه فى هذا المقام ثم استأنف لبيان دفع ما عسى أن يقال انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يرى جبريل عليه الصلاة والسلام دائما فما وجه تخصيص ذكر رؤيته فى هذا المقام فقالت (كان) أى جبريل (يأتيه فى صورة الرجل) أى متشكلا بشكله و غالبا بصورة دحية (و انه أتاه هذه المرة) أى فى أجياد (فى صورته التى هى صورته) أى الاصلية (فسد الافق) أى على نحو ما رآه ليلة المعراج فى صورته الاصلية على وجه التحقيق هذا و كان ابن عباس أخذ بقول كعب و اختاره انه رآه مرتين على احتمال ان الرؤية بعين البصر أو البصيرة أو أحداهما بهذه و الاخرى باخرى مع الاتفاق على أنه لم يره بعينه مرتين و الله تعالى أعلم و أما نفى عائشة فيحتمل أن يحمل على الاطلاق أو يقيد بنفى البصر و جواز رؤيته بالفؤاد و الظاهر هو الاول فتدبر و تأمل قال الحافظ ابن حجر رحمه الله الجمع بين اثبات ابن عباس و نفى عائشة بان يحمل نفيها على رؤية البصر و اثباته على رؤية القلب لا مجرد العلم لانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان عالما به تعالى على الدوام و ان الرؤية التى حصلت له خلقت له فى قلبه كما تخلق الرؤية بالعين لغيره و الرؤية لايشترط لها شئ مخصوص عقلا و لو جرت العادة بخلقها فى العين ✱(وعن ابن مسعود فى قوله فكان)أى القرب المعنوى من العبد و الرب أو الصورى أو بين جبريل و النبى عليهما الصلاة والسلام (قاب قوسين) أى قدرهما و هو كناية عن كمال قربهما (أو أدنى) أى بل أقرب و هو ما بين العينين و قد قال تعالى فى مقام المزيد لحال المريد و نحن أقرب اليه من حبل الوريد (و فى قوله ما كذب الفؤاد ما رأى) أى و لم يذكر ما بينهما من قوله تعالى فاوحى الى عبده ما أوحى لعدم تعلقه بالمبنى و ان اختلف فى مرجع ضمير أوحى فى المعنى (و فى قوله لقد رأى من آيات ربه الكبرى قال) أى ابن مسعود (فيها) أى فى هذه الآيات (كلها رأى) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (جبريل عليه الصلاة والسلام له ستمائة جناح) يعنى الضمائر كلها راجعة الى جبريل و هذا التأويل مطابق و موافق لما فهمت عائشة من الآيات كما سبق التنبيه عليه و قد قال بعض علمائنا ان ابن مسعود أعلم الصحابة بعد الخلفاء الاربعة (متفق عليه و فى رواية الترمذى قال) أى ابن مسعود فى قوله تعالى (ما كذب الفؤاد ما رأى قال) اعاده تأكيدا (رأى النبى) و فى نسخة صحيحة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (جبريل فى حلة من رفرف) ففى النهاية أى بساط و قيل فراش و منهم من يجعل الرفرف جمعا واحده رفرفة و جمع الرفرف رفارف قلت الاقرب أن يكون المراد منه ثياب خضر و يؤيده ما سيأتى و يقويه قوله تعالى متكئين على رفرف خضر و قيل يحتمل أن يكون المراد منه بسط أجنحته فصارت شبه الرفرف قال السيوطى فى مختصر النهاية رفرف الطائر بجناحيه بسطهما عند السقوط على شئ تحوم عليه لتقع فوقه و فى القاموس رف الطائر بسط جناحيه كرفرف و الثلاثى مستعمل و الرف شبه الطاق كالرفرف جمعه رفوف و الثوب الناعم و الرفوف ثياب يتخذ منها المجالس و تبسط و الرقيق من

فى قوله لقد رأى من آيات ربه الكبرى قال رأى رفرفا أخضر سد أفق السماء و سئل مالك ابن أنس عن قوله تعالى الى ربها ناظرة فقيل قوم يقولون الى ثوابه فقال مالك كذبوا فأين هم عن قوله تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون قال مالك الناس ينظرون الى الله يوم القيامة باعينهم و قال لو لم ير المؤمنون ربهم يوم القيامة لم يعير الله الكفار بالحجاب فقال كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون رواه فى شرح السنة ★ و عن جابر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال بينا أهل الجنة فى نعيمهم اذ سطع لهم نور فرفعوا رؤسهم فاذا الرب قد أشرف عليهم من فوقهم فقال السلام عليكم يا أهل الجنة

ثياب الديباج (قد ملأ ما بين السماء و الارض و له) أى للترمذى (و للبخارى) أى أيضا و قدم الترمذى لتقدم مرجعه (فى قوله) متعلق بقال الآتى (لقد رأى من آيات ربه الكبرى قال) أى ابن مسعود (رأى رفرفا) أى ذا رفرف (أخضر سد أفق السماء) و هو جبريل كما سبق عنه أيضا و هو المطابق لما قررناه و فى تحرير الكلام قدرناه و الله سبحانه و تعالى أعلم (و سئل مالك بن أنس) و هو صاحب المذهب (عن قوله تعالى الى ربها ناظرة فقيل قوم) أى المعتزلة و أشباههم من أهل البدع (يقولون) أى فى معنى الآية (الى ثوابه) أى ناظرة الى ثواب ربها كما قال بعضهم الى مفرد الآلاء بمعنى النعماء و أريد هنا الجنس أى منتظرة نعمة ربها (فقال مالك كذبوا) أى على الله فى معنى كلامه (فاين هم عن قوله تعالى كلا) أى حقا (انهم) أى الكفار (عن ربهم) قدم عن متعلقه للاهتمام أو للتعظيم أو للاختصاص أو لمراعاة الفاصلة (يومئذ) أى يوم القيامة أو وقت الجزاء (لمحجوبون) أى لايرون الله سبحانه و الحجاب أشد العذاب كما ان الرؤية زيادة على كل مثوبة حيث قال تعالى للذين أحسنوا الحسنى و زيادة و المعنى فاين ذلك القوم حيث وقعوا فى بعد و غفلة عن مفهوم هذا القول و هو أن المؤمنين غير محجوبين بل يكونون الى مقام النظر طاوين و يصيرون من كمالهم فى مرتبة الحب محبوبين (قال مالك الناس) أى المؤمنون فان فى الحقيقة هم الناس و سائر الناس كالنسناس (ينظرون الى الله يوم القيامة باعينهم) و قد سبق ما يدل على ذلك و قيل الناس كلهم يرون الله ثم الكفار يصيرون محجوبين لزيادة الحسرة عليهم و قد مر الكلام عليه و على كل فالرؤية للمؤمنين حاصلة بلا شبهة (و قال مالك لو لم ير المؤمنون ربهم يوم القيامة لم يعير الله الكفار بالحجاب فقال كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون رواه) أى البغوى (فى شرح السنة) أى باسناده ★ (و عن جابر عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بينا) و فى نسخة بينما (أهل الجنة فى نعيمهم) أى واقعين فى لذاتهم مشتغلين بشهواتهم (اذ سطع) أى سنح و لمع (لهم نور) أى عظيم (فرفعوا رؤسهم فاذا الرب قد أشرف) أى تجلى تجلى العظمة و الكبرياء و البهاء و العلا (عليهم من فوقهم) أى مبتدئا منه آخذا من جميع جهاتهم (فقال السلام عليكم يا أهل الجنة) و لعل المراد بهم جماعة قيل فى حقهم أن أكثر أهل الجنة البله حيث قنعوا باللذات عن رؤية الذات و عليون لاولى الالباب لاعتلاء همتهم و ارتفاع نهمتهم عن النظر الى غير رب الارباب و يؤيده ما رواه الدارقطنى فى الافراد و الديلمى فى مسند الفردوس عن أبى هريرة مرفوعا أهل شغل الله فى الدنيا هم أهل شغل الله فى الآخرة و أهل شغل أنفسهم فى الدنيا هم أهل شغل أنفسهم فى الآخرة و فى التنزيل أشارة الى ذلك فى قوله أن أصحاب الجنة اليوم فى شغل فاكهون

قال و ذلک قوله تعالی سلام قولا من رب رحیم قال فنظر الیهم و ینظرون الیه فلایلتفتون الی شئ من النعیم ماداموا ینظرون الیه حتی یحتجب عنهم و یبقی نوره رواه ابن ماجه

★ (باب صفة النار و أهلها) ★ (الفصل الاول) ★ عن أبی هریرة ان رسول‌الله صلی‌الله‌علیه وسلم قال نارکم جزء من سبعین جزأ من نار جهنم قیل یا رسول‌الله ان کانت لکافیة قال فضلت علیهن بتسعة و ستین جزأ کلهن مثل حرها متفق علیه و اللفظ للبخاری و فی روایة مسلم نارکم التی یوقد ابن آدم و فیها علیها و کلها بدل علیهن و کلهن ★ و عن ابن مسعود قال قال رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم یؤتی بجهنم یومئذ لها سبعون ألف زمام مع کل زمام سبعون ألف ملک یجرونها

هم و أزواجهم فی ظلال علی الارائک متکئون لهم فیها فاکهة و لهم مایدعون سلام قولا من رب رحیم (قال) أی النبی علیه‌الصلاة والسلام (و ذلک) أی سلام الرب یعنی شاهده (قوله تعالی) أو معنی قوله تعالی (سلام قولا من رب رحیم) أی لهم سلام عظیم یقال لهم قولا کائنا من جهة رب رحیم (قال فنظر) أی الرب الیهم (و ینظرون الیه فلا یلتفتون الی شئ من النعیم ماداموا ینظرون الیه حتی یحتجب عنهم) أی بایقاع الحجاب علیهم بعد رفعه عنهم (و یبقی نوره) أی أثر نوره و ثمرة ظهوره علی ظاهرهم و باطنهم کما یشاهده أهل المشاهدة فی حال البقاء بعد تحقق الفناء و الله تعالی أعلم (رواه ابن ماجه)

★ (باب صفة النار و أهلها) ★

★ (الفصل الاول) ★ (عن أبی هریرة ان رسول‌الله صلی‌الله‌تعالی‌علیه‌وسلم قال نارکم) و فی روایة الترمذی نارکم هذه (جزء من سبعین جزأ من نار جهنم) زاد الترمذی لکل جزء منها حرها (قیل یا رسول‌الله ان کانت لکافیة) ان هی المخففة من المثقلة و اللام هی الفارقة أی ان هذه النار التی نراها فی الدنیا کانت کافیة فی العقبی لاحتراق الکفار و عقوبة الفجار فهلا اکتفی بها و لای شئ زیدت فی حرها (قال فضلت) أی نار جهنم (علیهن) أی علی انیار الدنیا (بتسعة و ستین جزأ کلهن) أی حرارة کل جزء من تسعة و ستین جزأ من نار جهنم (مثل حرها) أی مثل حرارة نارکم فی الدنیا و حاصل الجواب منع الکفایة أی لابد من التفضیل لحکمة کون عذاب الله أشد من عذاب الناس و لذلک أوثر ذکر النار علی سائر أصناف العذاب فی کثیر من الکتاب و السنة منها قوله تعالی فما أصبرهم علی النار و قوله فاتقوا النار التی وقودها الناس و الحجارة و انما أظهر الله هذا الجزء من النار فی الدنیا انموذجا لما فی تلک الدار قال الامام الغزالی علیه رحمة الباری فی الاحیاء أعلم أنک أخطأت فی القیاس فان نار الدنیا لاتناسب نار جهنم ولکن لما کان أشد عذاب فی الدنیا عذاب هذه النار عرف عذاب جهنم بها و هیهات لو وجد أهل الجحیم مثل هذه النار لخاضوها هربا مما هم فیه (متفق علیه و اللفظ للبخاری) ای و وافقه مسلم فی المعنی (و فی روایة مسلم نارکم التی یوقد ابن آدم) من الایقاد و یجوز التشدید من التوقید (و فیها) أی فی روایة مسلم (علیها و کلها بدل علیهن و کلهن) بالنصب أی عوضهما لفا و نشرا مرتبا

★ (و عن ابن مسعود قال قال رسول‌الله صلی‌الله‌تعالی‌علیه‌وسلم یؤتی بجهنم) الباء للتعدیة أی یؤتی بها من المکان الذی خلقها الله تعالی فیه و یدل علیه قوله تعالی فیه و جیء یومئذ بجهنم (یومئذ) أی یوم القیامة وقت الندامة و الحسرة و الملامة (لها سبعون ألف زمام) بکسر الزای و هو ما یشد به (مع کل زمام سبعون ألف ملک یجرونها) بتشدید الراء أی یسحبونها أی الی

رواه مسلم ✱ و عن النعمان بن بشير قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم ان أهون أهل النار عذابا من له نعلان و شراكان من نار يغلى منهما دماغه كما يغلى المرجل ما يرى ان أحدا أشد منه عذابا و انه لأهونهم عذابا متفق عليه ✱ و عن ابن عباس قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم أهون أهل النار عذابا أبوطالب و هو متنعل بنعلين يغلى منهما دماغه رواه البخارى ✱ و عن أنس قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم يؤتى بانعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة فيصبغ فى النار صبغة ثم يقال يا ابن آدم هل رأيت خيرا قط هل مر بك نعيم قط فيقول لا و الله يا رب

ان تدار بارض لاتبقى للجنة طريق الا الصراط على ظهرها وفائدة هذه الازمة التى يجر بها بعد الاشارة الى عظمتها منعها من الخروج على المحشر الا من شاء الله منهم (رواه مسلم ✱ و عن النعمان) بضم النون (ابن بشير) صحابى أيضا رضى‌الله عنهما (قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم ان أهون أهل النار) أى أيسرهم (عذابا من له نعلان) أى من تحت قدمه (و شراكان) أى من فوقها (من نار) أى كائنة منها (يغلى) أى يفور (منهما) أى من النوعين و هما النعلان و الشراكان (دماغه كما يغلى المرجل) بكسر الميم و فتح الجيم أى قدر النحاس كذا قاله شارح و قال العسقلانى و يقال أيضا لكل اناء يغلى فيه الماء من أى صنف كان و الحاصل انه كما قال تعالى يغلى فى البطون كغلى الحميم و هذا بالنسبة الى من لم‌يغمس فى الجحيم و لذا قال (ما يرى) بصيغة المجهول أى ما يظن من له نعلان و شراكان من نار (ان أحدا) أى من أهل النار (أشد منه عذابا) أى لانفراده و عدم اطلاعه على حال غيره (و انه) بالكسر أى و الحال انه (لأهونهم عذابا) ففيه تصريح بتفاوت عذاب أهل النار (متفق عليه) و فى الجامع أهون أهل النار عذابا يوم القيامة رجل يوضع فى قدميه جمرتان يغلى منهما دماغه رواه مسلم عن النعمان ابن بشير أقول و لعل هذا الحديث بالنسبة الى أدنى العصاة من المؤمنين و ما فى المتن بالنسبة الى أدناهم من الكفار كما يدل عليه الحديث الذى يليه ✱ (و عن ابن عباس قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم أهون أهل النار عذابا) أى من الكفار (أبوطالب) لقوله تعالى فى حقه باتفاق المفسرين انك لاتهدى من أحببت (و هو متنعل) من باب التفعل و فى نسخة صحيحة من باب الانفعال أى متلبس (بنعلين) أى من نار (يغلى منهما) و فى نسخة منها أى من نعلهما أو من جهة نعله و أريد بها الجنس (دماغه) و انما خفف عذابه لكونه حاميا له صلى‌الله‌تعالى عليه‌وسلم عن تشديد عداوة الكفار فلما خفف خفف جزاء وفاقا (رواه البخارى) و أسنده السيوطى فى الجامع الصغير الى أحمد و مسلم عنه و الله تعالى أعلم ✱ (و عن أنس قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم يؤتى بانعم أهل الدنيا) الباء للتعدية أى يحضر أشدهم تنعما و أكثرهم ظلما لقوله (من أهل النار) من بيانية فى محل حال (يوم القيامة) ظرف يؤتى (فيصبغ) بصيغة المجهول أى يغمس (فى النار صبغة) بفتح الصاد أى غمسة اطلاقا للملزوم على اللازم فان الصبغ انما يكون بالغمس غالبا و فى النهاية أى يغمس فى النار غمسة كما يغمس الثوب فى الصبغ (ثم يقال) أى له (يا ابن آدم هل رأيت خيرا) أى نعمة (قط هل مر بك نعيم قط) أى فى زمان من الازمنة و فى الكلام مبالغة لاتخفى حيث أوقع الاستفهام على مجرد الرؤية و المرور دون الذوق و التمتع و السرور (فيقول لا) أى ما رأيت قط (و الله يا رب) نفى مؤكدا بالقسم و النداء فى الجواب لما أنسته شدة العذاب ما مضى عليه من نعيم الدنيا أو ما بعده من النعيم نظرا

و يؤتى باشد الناس بؤسا فى الدنيا من أهل الجنة فيصبغ صبغة فى الجنة فيقال له يا ابن آدم هل رأيت بؤسا قط و هل مر بك شدة قط فيقول لا و الله يا رب ما مر بى بؤس قط و لا رأيت شدة قط رواه مسلم ★ و عنه عن النبى صلى‌اللهعليه‌وسلم قال يقول الله لاهون أهل النار عذابا يوم القيامة لو أن لك ما فى الارض من شئ أ كنت تفتدى به فيقول نعم فيقول أردت منك أهون من هذا و أنت فى صلب آدم ان لاتشرك بى شيأ فابيت الا ان تشرك بى متفق عليه

الى مآله و سوء حاله فاى نعيم آخره الجحيم و أى شدة مآلها الجنة كما قال (و يؤتى باشد الناس بؤسا) بضم الموحدة أى شدة و مشقة و محنة لما كان فيه من فاقة و حاجة و بلية (فى الدنيا) أى أولا (من أهل الجنة) مآلا (فيصبغ صبغة فى الجنة) أى فى انهارها أو الكوثر منها (فيقال له يا ابن آدم هل رأيت بؤسا قط و هل مر بك شدة قط فيقول لا و الله يا رب ما مر بى بؤس قط و لا رأيت شدة قط) و كانه أطنب فى الجواب تلذذا بالخطاب و قلب الكلام للفرح التام (رواه مسلم ★ و عنه) أى عن أنس رضى الله عنه (عن النبى صلى‌اللهتعالى‌عليه‌وسلم قال يقول الله لاهون أهل النار عذابا يوم القيامة لو أن لك) أى لو فرض الآن ان تملك (ما فى الارض من شئ) من زائدة للاستغراق أى جميع ما فيها و طلب منك ان تفتدى به و تخلص نفسك من النار (أ كنت تفتدى به) و هو من الافتداء بمعنى اعطاء الفداء للانجاء (فيقول نعم فيقول) أى الله سبحانه (أردت منك أهون من هذا) أى طلبته فوضع السبب موضع المسبب و لأن مراد الله تعالى لايتخلف كما اتفق عليه السلف و الخلف بقولهم ما شاء الله كان و ما لم يشأ لم يكن و حاصله انى امرتك باسهل من هذا (و أنت فى صلب آدم) أى تعلق بك الامر و الحال انك فى صلب آدم و فيه ايماء الى قضية الميثاق المشتمل على قوله ألست بربكم قالوا بلى و المراد منه التوحيد و العبادة على وجه التفريد و اليه أشار بقوله (ان لاتشرك بى شيأ) و هو بدل أو بيان لقوله أهون (فابيت) أى كل شئ (الا ان تشرك بى) أى فلاجرم لا أقبل منك و لو افتديت بجميع ما فى الارض كما قال ان الذين كفروا لو أن لهم ما فى الارض جميعا و مثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم و قال فى موضع آخر و لو ان للذين ظلموا ما فى الارض جميعا و مثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة قال الطيبى رحمه الله قوله لو أن لك ما فى الارض جميعا أى لو ثبت لان لو يقتضى الفعل الماضى و اذا وقعت ان المفتوحة بعد لو كان حذف الفعل واجبا لان ما فى ان من معنى التحقيق و الثبات منزل منزلة ذلك الفعل المحذوف و قوله أردت منك ظاهر هذا الحديث موافق لمذهب المعتزلة فان المعنى أردت فيك التوحيد فخالفت مرادى و أتيت بالشرك و قال المظهر الارادة هنا بمعنى الامر و الفرق بين الامر و الارادة ان ما يجرى فى العالم لامحالة كائن بارادته و مشيئته و أما الامر فقد يكون مخالفا لارادته و مشيئته قلت و توضيحه ان الامر بالايمان توجه على عامة المكلفين و تعلقت مشيئة الايمان ببعضهم و ارادة الكفر ببعضهم ولذا قال تعالى و لو شاء الله لجمعهم على الهدى و قال سبحانه و لكن اختلفوا فمنهم من آمن و منهم من كفر و لو شاء الله ما قتلوا و لكن الله يفعل ما يريد و قال و لو شاء الله لهدى الناس جميعا و قال فريقا هدى و فريقا حق عليهم الضلالة قال الطيبى رحمه الله الاظهر أن تحمل الارادة هنا على أخذ الميثاق فى قوله تعالى و اذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم الآية بقرينة قوله و أنت فى صلب آدم فقوله أبيت الا ان تشرك بى اشارة الى

✱ و عن سمرة بن جندب ان النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال منهم من تأخذه النار الى كعبيه و منهم من تأخذه النار الى ركبتيه و منهم من تأخذه النار الى حجزته و منهم من تأخذه النار الى ترقوته رواه مسلم ✱ و عن أبى هريرة قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم ما بين منكبى الكافر فى النار مسيرة ثلاثة أيام للراكب المسرع و فى رواية ضرس الكافر مثل أحد و غلظ جلده مسيرة ثلاث رواه مسلم

قوله تعالى أو تقولوا انما أشرك آباؤنا من قبل و يحمل الاباء هنا على نقض العهد و قوله الا ان تشرك استثناء مفرغ و انما حذف المستثنى منه مع انه كلام موجب لان فى الاباء معنى الامتناع فيكون نفيا أى ما اخترت الا الشرك انتهى و هو كلام حسن الا ان اطلاق الارادة و أرادة أخذ الميثاق يحتاج الى بيان يدفع به ما تقدم من الايراد و الله سبحانه و تعالى أعلم (متفق عليه ✱ و عن سمرة ابن جندب) من ذكره مرارا (ان النبى صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم قال منهم) أى من أهل النار (من تأخذه النار الى كعبيه و منهم من تأخذه النار الى ركبتيه و منهم من تأخذه النار الى حجزته) بضم حاء و سكون جيم فزاى أى معقد ازاره و وسطه (و منهم من تأخذه النار الى ترقوته) بفتح أوله و ضم قافه أى الى حلقه ففى الصحاح لايضم أوله و فى النهاية هى العظم الذى بين ثغرة النحر و العاتق و هما ترقوتان من الجانبين و وزنها فعلوة بالفتح و فى الحديث بيان تفاوت العقوبات فى الضعف و الشدة لا ان بعضا من الشخص يعذب دون بعض و يؤيده قوله فى الحديث السابق و هو متنعل بنعلين يغلى منهما دماغه (رواه مسلم) قال الطيبى رحمه الله و أول الحديث فى شرح السنة برواية أبى سعيد اذا خلص المؤمنون من النار الى قوله فيأتونهم فيعرفونهم بصورهم لا تأكل النار صورهم ✱(و عن أبى هريرة قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم ما بين منكبى الكافر مسيرة ثلاثة أيام للراكب المسرع) قال القاضى رحمه الله يزاد فى مقدار أعضاء الكافر زيادة فى تعذيبه بسبب زيادة المماسة للنار قال القرطبى رحمه الله هذا يكون للكفار فانه قد جاءت أحاديث تدل على ان المتكبرين يحشرون يوم القيامة أمثال الذر فى صور الرجال فيساقون الى سجن جهنم قال ابن الملك رحمه الله فى شرح المشارق و نظر فيه الشيخ الشارح يعنى الاكمل بان هذا الحديث يدل على عظم أجسامهم فى النار و الذى ذكره فى المحشر أقول الظاهر ان يراد بالمتكبرين عصاة المؤمنين و كلام القرطبى محمول عليه ليلائم الحديث الآتى ضرس الكافر يوم القيامة مثل أحد على أن الاظهر فى الجمع أن يكونوا أمثال الذر فى موقف يداسون فيه ثم تعظم أجسادهم و يدخلون النار و يكونون فيها كذلك و قال ابن الملك رحمه الله قوله فى النار غير مذكور فى مسلم كذا قاله النووى رحمه الله فالاوجه فى منع قول القرطبى ان يقال ما ذكره لايدل على انعدام عظمتهم فى المحشر لان تشبيه المتكبرين بالذر انما هو فى الحقارة لا فى الصورة و الا فلايستقيم قوله فى صورة الرجال انتهى و فيه مباحث لاتخفى (و فى رواية ضرس الكافر مثل أحد و غلظ جلده) بكسر الغين و فتح اللام أى عظمه (مسيرة ثلاث) أى ليال قال الطيبى رحمه‌الله هكذا هو فى جامع الاصول و شرح السنة أنثه باعتبار الليالى قال النووى رحمه الله هذا كله لكونه أبلغ فى ايلامه و هو مقدور لله تعالى يجب الايمان لاخبار الصادق به (رواه مسلم) و فى الجامع الصغير أسند الرواية الاولى الى الشيخين و الثانية الى مسلم و الترمذى و الله تعالى أعلم و روى البزار عن ثوبان مرفوعا ضرس الكافر مثل أحد و غلظ جلده أربعون ذراعا بذراع الجبار و روى

و ذكر حديث أبي هريرة اشتكت النار الى ربها في باب تعجيل الصلاة

★ (الفصل الثاني) ★ عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أوقد على النار ألف سنة حتى احمرت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت فهي سوداء مظلمة رواه الترمذي ★ و عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرس الكافر يوم القيامة مثل أحد و فخذه مثل البيضاء و مقعده من النار مسيرة ثلاث مثل الربذة رواه الترمذي ★ و عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان غلظ جلد الكافر اثنان و أربعون ذراعا و ان ضرسه مثل أحد و أن مجلسه من جهنم ما بين مكة

ابن ماجه عن أبي سعيد مرفوعا ان الكافر ليعظم حتى ان ضرسه لاعظم من أحد و فضيلة جسده على ضرسه كفضيلة جسد أحدكم على ضرسه (و ذكر حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه اشتكت النار الى ربها في باب تعجيل الصلاة) يعني فهو أما مكرر اسقطه من ههنا و نبه عليه و أما اعتراض فعلى تنبيها على ان محله اللائق هو ذلك الباب و الله تعالى أعلم بالصواب

★ (الفصل الثاني) ★ (عن أبي هريرة) رضي الله تعالى عنه (عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال أوقد) بصيغة المفعول و قوله (على النار) نائب الفاعل قال الطيبي رحمه الله هذا قريب من قوله تعالى يوم يحمى عليها في نار جهنم أي يوقد الوقود فوق النار أي النار ذات طبقات توقد طبقة فوق أخرى و مستعلية عليها (ألف سنة حتى احمرت) بتشديد الراء للمبالغة في الاحمرار (ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت فهي سوداء مظلمة) زاد في الجامع كما في الليل المظلم و الحديث دليل على ان النار مخلوقة كما ذهب اليه أهل السنة خلافا للمعتزلة و جماعة من أهل البدع و يؤيدنا قوله تعالى أعدت للكافرين بصيغة الماضي (رواه الترمذي) و كذا ابن ماجه ★ (و عنه) أي عن أبي هريرة (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ضرس الكافر يوم القيامة مثل أحد و فخذه) بفتح فكسر ففي القاموس الفخذ ككتف ما بين الساق و الورك مؤنث كالفخذ و يكسر أي فخذ الكافر (مثل البيضاء) في النهاية هو اسم جبل و قال شارح هو موضع في بلاد العرب و قيل هو جبل (و مقعده) أي موضع قعوده (من النار) أي فيها كما في رواية (مسيرة ثلاث مثل الربذة) بفتح الراء و الموحدة والذال المعجمة قرية معروفة قرب المدينة كذا في النهاية و قيل بقرب مكة و قيل قرية من قرى المدينة على ثلاث ليال و قال شارح قريب من ذات عرق يريد ما بين الربذة و المدينة انتهى فقوله مثل الربذة أي مثل بعد الربذة من المدينة أو مثل مسافتها اليها فانه صلى الله تعالى عليه وسلم قال هذا الحديث و هو في المدينة و يؤيده ما روى من ان مقعده في النار ما بيني و بين الربذة و قال ابن الملك رحمه الله قرية من قرى المدينة بها قبر أبي ذر الغفاري و قيل جبل بالشام (رواه الترمذي) و رواه أحمد و الحاكم عنه بلفظ ضرس الكافر يوم القيامة مثل احد و عرض جلده سبعون ذراعا و عضده مثل البيضاء و فخذه مثل ورقان و مقعده في النار ما بيني و بين الربذة ★ (و عنه) أي عن أبي هريرة (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان غلظ جلد الكافر اثنان و أربعون ذراعا) لفظ الجامع اثنتان و أربعون ذراعا بذراع الجبار و في القاموس الذراع بالكسر من طرف المرفق الى طرف الاصبع الوسطى و الساعد و قد يذكر فيهما و ذرع الثوب قاسه بها (و ان ضرسه مثل أحد و ان مجلسه) أي موضع جلوسه (من جهنم ما بين مكة

و المدينة رواه الترمذى ★ و عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الكافر ليسحب لسانه الفرسخ و الفرسخين يتوطأه الناس رواه أحمد و الترمذى و قال هذا حديث غريب ★ وعن أبى سعيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الصعود جبل من نار يتصعد فيه سبعين خريفا و يهوى به كذلك فيه أبدا رواه الترمذى ★ و عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال فى قوله كالمهل أى كعكر الزيت فاذا قرب الى وجهه سقطت فروة وجهه فيه رواه الترمذى ★ و عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الحميم

و المدينة رواه الترمذى) و كذا الحاكم ★ (و عن ابن عمر) رضى الله تعالى عنهما (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الكافر ليسحب) بفتح الحاء أى يجر (لسانه) و يجوز أن يكون على بناء المفعول بل هو الاظهر فى المعنى المراد و كذا ضبط فى الجامع و لفظه ليسحب لسانه وراءه (الفرسخ و الفرسخين يتوطؤه الناس) أى يطؤنه باقدامهم و يمشون عليه (رواه أحمد و الترمذى و قال هذا حديث غريب ★ و عن أبى سعيد عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال الصعود) بفتح الصاد و اللام للعهد أشارة الى قوله تعالى سارهقه صعودا أى ساغشيه عقبة صعبة المسلك (جبل) ففى القاموس الصعود بالفتح ضد الهبوط و جبل فى جهنم و العقبة الشاقة و المعنى انه جبل عظيم (من نار يتصعد فيه) بصيغة المجهول أى يكلف الكافر ارتقاءه و فى نسخة بفتح أوله أى يطلع فى ذلك الجبل (سبعين خريفا) أى مدة سبعين عاما (و يهوى به) بصيغة المفعول أى يكلف ذلك الكافر بسقوطه فيه و فى نسخة بفتح الياء و كسر الواو أى ينزل بذلك الكافر من هوى كرمى سقط فالباء للتعدية (كذلك) أى سبعين خريفا (فيه) أى فى ذلك الجبل (أبدا) قيد للفعلين أى يكون دائما فى الصعود و الهبوط و منه يتبين معنى لطيف فيما اشتهر عنه صلى الله تعالى عليه وسلم ان السفر قطعة من سقر مع ما فيه من الايماء الى اللطافة النقطية و المحاسبة الابجدية و بهذا يندفع ما نقل عن على رضى الله تعالى عنه انه لو لم يقل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم هكذا لعكست و قلت ان سقر قطعة من السفر لكن لا يخفى أحسنية ما فى كلامه صلى الله تعالى عليه وسلم من عدم المغالبة الزائدة و لما فيه من المطابقة للواقعة الجادة مع الاشارة الى تفسير الآية و ما تضمنه مما ذكرناه من افادة اللطافة و الظرافة هذا و قد ذكر صاحب خلاصة الطيبى رحمه الله ظنا ان ضمير به راجع الى الجبل و ان الباء بمعنى فى ان تكريره على طريقة قولك فيك زيد راغب فيك يعنى ان الاعادة للتأكيد و المبالغة و لا شك ان ما قررناه أحسن فى مقام الافادة (رواه الترمذى) و لفظ الجامع ثم يهوى فيه كذلك أبدا رواه أحمد و الترمذى و ابن حبان و الحاكم عنه ★ (و عنه) أى عن أبى سعيد (عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال فى قوله كالمهل) أى فى تفسير قوله تعالى و أن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه (أى كعكر الزيت) بفتح العين و الكاف أى درديه و قال الطيبى رحمه الله أى الدرن منه و الدنس و أغرب شارح و فسر المهل بالصديد مع ظهور النص السديد (فاذا قرب) بضم فتشديد راء أى المهل (الى وجهه) أى وجه العاصى (سقطت فروة وجهه) أى جلدته و بشرته (فيه) أى فى المهل و فى النهاية فروة وجهه أى جلدته و الاصل فيه فروة الرأس و هى جلدته بما عليها من الشعر فاستعارها من الرأس للوجه (رواه الترمذى ★ و عن أبى هريرة عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان الحميم) أى فى قوله تعالى يصب من فوق رؤسهم الحميم المفسر بالماء البالغ

ليصب على رؤسهم فينفذ الحميم حتى يخلص الى جوفه فيسلت ما فى جوفه حتى يمرق من قدميه و هو الصهر ثم يعاد كما كان رواه الترمذى ★ و عن أبى أمامة عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله يسقى من ماء صديد يتجرعه قال يقرب الى فيه فيكرهه فاذا أدنى منه شوى وجهه و وقعت فروة رأسه فاذا شربه قطع امعاءه حتى يخرج من دبره يقول الله تعالى و سقوا ماء حميما فقطع امعاءهم و يقول و ان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه بئس الشراب رواه الترمذى ★ و عن أبى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لسرادق النار

نهاية الحر (ليصب على رؤسهم) أى يكب فوقها (فينفذ الحميم) بضم الفاء من النفوذ و هو التأثير و الدخول فى الشئ أى يدخل أثر حرارته من رأسه الى باطنه (حتى يخلص) بضم اللام أى يصل (الى جوفه) أى الى جوف رأسه أو الى بطنه وهو الظاهر المتبادر بل هو الصواب لقوله (فيسلت) بضم اللام بن سلت القصعة اذا مسحها من الطعام فيذهب و أصل السلت القطع فالمعنى فيمسح و يقطع الحميم (ما فى جوفه) أى من الامعاء و قال القاضى رحمه الله أى يذهب و يمر (حتى يمرق) بضم الراء أى يخرج (من قدميه و هو الصهر) بفتح الصاد بمعنى الاذابة و المعنى ما ذكر من النفوذ و غيره و هو معنى الصهر المذكور فى قوله تعالى يصهر به ما فى بطونهم و الجلود و مع هذا لهم الوعيد الشديد بقوله تعالى و لهم مقامع من حديد (ثم يعاد) أى ما فى جوفه (كما كان) لقوله تعالى كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذقوا العذاب أى شدة العقاب (رواه الترمذى ★ و عن أبى أمامة عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى قوله) أى تعالى كما فى نسخة (يسقى من ماء صديد) قيل صديد الجرح ماؤه الرقيق المختلط بالدم السائل منه (يتجرعه) أى يشربه لا بمرة بل جرعة بعد جرعة لمرارته و حرارته و لذا قال تعالى و لا يكاد يسيغه و يأتيه الموت من كل مكان و ما هو بميت و من ورائه عذاب غليظ (قال) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (يقرب) بفتح الراء المشددة أى يؤتى بالصديد قريبا (الى فيه) أى الى فم العاصى (فيكرهه) أى لعفونته و سخونته (فاذا أدنى) بصيغة المجهول أى زيد فى قربه (منه) أى من العاصى أو من فمه (شوى) أى أحرق (وجهه و وقعت) أى سقطت (فروة رأسه) أى جلدته (فاذا شربه) أى ماء الصديد الحار الشديد (قطع امعاءه) بتشديد الطاء للمبالغة و التكثير (حتى تخرج) أى الامعاء و فى نسخة بالياء أى الصديد (من دبره) بضمتين و هو ضد القبل (يقول الله تعالى و سقوا ماء حميما فقطع امعاءهم و يقول) أى الله تعالى فى موضع آخر (و أن يستغيثوا) أى يطلب الغياث بالماء على عادتهم الاستغاثة فى طلب الغيث و هو المطر (يغاثوا) أى يجابوا و يؤتوا (بماء كالمهل) أى كالصديد أو كعكر الزيت على ما صح عنه صلى الله تعالى عليه وسلم (يشوى الوجوه) أى ابتداء ثم يسرى الى البطون و سائر الاعضاء انتهاء (بئس الشراب) أى المهل أو الماء فانه مكروه و مكره (رواه الترمذى ★ و عن أبى سعيد الخدرى) رضى الله تعالى عنه (عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لسرادق النار) بكسر اللام و ضم السين و جر الكاف و فى نسخة بالفتح و الرفع قال الطيبى رحمه الله روى بفتح اللام على أنه مبتدأ و كسرها على انه خبر و هذا أظهر و فى النهاية السرادق كل ما أحاط بشئ من حائط أو مضرب أو خباء أقول و هو اشارة الى قوله تعالى انا أعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها و فى القاموس السرادق الذى يمد فوق البيت و جمعه سرادقات و قال شارح هو الذى يمد فوق صحن الدار

أربعة جدر كثف كل جدار مسيرة أربعين سنة رواه الترمذى ✱ و عنه قال قال رسول‌الله صلى‌الله عليه‌وسلم لو ان دلوا من غساق يهراق فى الدنيا لانتن أهل الدنيا رواه الترمذى ✱ و عن ابن عباس ان رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم قرأ هذه الآية اتقوا الله حق تقاته ولاتموتن الا و أنتم مسلمون

أقول ان المراد به فى الآية هو المعنى الاعم الشامل للمحيط بجميع جهاتهم و لعل سرادقها من نار غليظة مركبة من دخان و غيره و لذا قال لسرادقها (أربعة جدر) بضمتين جمع جدار و هو لاينافى أن يمد من فوقهم فانه صح فى الاخبار انه يطبق عليهم بل على كل واحد منهم حتى يظن كل انه لايعذب فى النار غيره و هو أصعب فان البلية اذا عمت طابت لاسيما اذا رأى ان عذابه أخف من بعض (كثف كل جدار) بضم الكاف و المثلثة مرفوعا فى أصل السيد و كثير من النسخ و فى بعضها بالكسر و الفتح و عليه أكثر الشراح وهو الاظهر فقال صاحب المفاتيح و الخلخالى بكسر الكاف و فتح المثلثة أى الغلظ فالمعنى كثافة كل جدار و غلظه (مسيرة أربعين سنة) وقال شارح بالفتح و الكسر الغلظ و فى النهاية الكثف جمع كثيف و هو الثخين الغليظ لكن لايخفى ان معنى الجمع غير ملائم لاضافته الى كل جدار نعم فى نسخة ضبط بضمتين مجرورا على انه صفة جدر وكل جدار بالرفع على الابتداء وهو ظاهر لفظا و معنى و الله تعالى أعلم (رواه الترمذى ✱ وعنه) أى عن أبى سعيد (قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم لو ان دلوا من غساق) بالتخفيف والتشديد مايسيل من صديد أهل النار وغسالتهم وقيل مايسيل من دموعهم وقيل هو الزمهرير كذا فى النهاية و قيل هو الصديد البارد المنتن لايقدر على شربه من برودته كما لايقدر على شرب الحميم لحرارته قلت و هو الملائم للجمع بينهما فى قوله تعالى فليذوقوه حميم و غساق و كذا فى قوله سبحانه لايذوقون فيها بردا و لا شرابا الا حميما و غساقا على النشر المشوش اعتمادا على فهم السامع و الحاصل أنه لو أن شيأ قليلا منه (يهراق) بفتح الهاء و يسكن أى يصب (فى الدنيا) أى فى أرضها (لانتن أهل الدنيا) أى لصاروا ذوى نتن منه فاهل مرفوع على الفاعلية و عليه الاصول المعتمدة و كانه وجد فى بعض النسخ بالنصب على توهم أن انتن متعد بزيادة الهمزة فقال شارح أنتن الشئ أى تغير و صار ذا نتن فنصب أهل ليس بصواب انما الصواب رفعه كذا قاله الامام التوربشتى رحمه الله و فى القاموس النتن ضد الفوح نتن ككرم و ضرب نتانة و أنتن فهو منتن بكسرتين و بضمتين و كقنديل أقول و لعل وجه الكسرتين انه كسر الميم تبعا كما فى قوله الحمد لله قرئ فى الشواذ بكسر الدال و ضمها اتباعا لما بعدها و عد الكلمتين كلمة لامتزاجهما و عدم انفكاكهما غالبا (رواه الترمذى) و كذا ابن حبان فى صحيحه و الحاكم فى مستدركه ✱(و عن ابن عباس أن رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم قرأ هذه الآية إتقوا الله) أولها يا أيها الذين آمنوا إتقوا الله (حق تقاته) أى حق تقواه من القيام بالواجبات و اجتناب السيآت و قد فسره ابن مسعود بقوله هو ان يطاع فلايعصى و يشكر فلايكفر و يذكر فلاينسى و رواه الحاكم عن رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم و كذا رواه ابن أبى حاتم و ابن مردويه و صححه المحدثون فهو اما تفسير لكمال التقوى فلا اشكال أو لاصلها فيكون منسوخا بقوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم كما ذكره بعضهم و قال بعض العارفين هو ان ينزه الطاعة عن الالتفات اليها و عن توقع المجازات عليها (و لاتموتن الا و أنتم مسلمون) أى موحدون منقادون تائبون جامعون بين الخوف و الرجاء غالبون حسن الظن بالمولى جل و علا فى الآخرة و الاولى و هو

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو ان قطرة من الزقوم قطرت فى دار الدنيا لافسدت على أهل الارض معايشهم فكيف بمن يكون طعامه رواه الترمذى و قال هذا حديث حسن صحيح * وعن أبى سعيد عن النبى صلى الله عليه وسلم قال و هم فيها كالحون قال تشويه النار فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه و تسترخى شفته السفلى حتى تضرب سرته رواه الترمذى * و عن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال يا أيها الناس ابكوا فان لم تستطيعوا فتباكوا

فى الحقيقة أمر بدوام الاسلام فان النهى فى هذا المقام توجه الى القيد فى الكلام (فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لو ان قطرة من الزقوم) أى من ماء شجر يخرج فى أصل الجحيم قال شارح الزقوم شجرة خبيثة مرة كريهة الطعم و الرائحة يكره أهل النار على تناوله فلو أن قطرة منه (قطرت) بالفتحات أى نقطت و نزلت (فى دار الدنيا لافسدت) أى لمرارتها و عفونتها و حرارتها (على أهل الارض معايشهم) بالياء و قد يهمز جمع معيشة (فكيف بمن يكون)أى الزقوم (طعامه) ففى الصحاح ان الزقوم اسم طعام لهم فيه تمر وزبد و الزقم أكله فالمعنى ان هذا الزقوم فى العقبى بدل زقومهم فى الدنيا كما قال تعالى ان شجرة الزقوم طعام الاثيم قال ابن عباس رضى الله تعالى عنه لما نزل ان شجرة الزقوم طعام الاثيم قال أبو جهل التمر بالزبد نتزقمه فانزل الله تعالى انها شجرة تخرج فى أصل الجحيم الآيات قال الطيبى رحمه الله قوله حق تقاته أى واجب تقواه و ما يحق منها و هو القيام بالواجب و اجتناب المحارم أى بالغوا فى التقوى حتى لا تتركوا من المستطاع منها شيأ و هذا معنى قوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم و قوله و لا تموتن الا و أنتم مسلمون تأكيد لهذا المعنى أى لا تكونن على حال سوى حال الاسلام اذا أدرككم الموت فمن واظب على هذه الحالة و داوم عليها مات مسلما و سلم فى الدنيا من الآفات و فى الاخرى من العقوبات و من تقاعد عنها و تقاعس وقع فى العذاب فى الآخرة و من ثم اتبعه صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله لو ان قطرة من الزقوم الحديث و هو فعول من الزقم اللقم الشديد و الشرب المفرط (رواه الترمذى و قال هذا حديث حسن صحيح) و كذا رواه أحمد و النسائى و ابن ماجه و الحاكم و ابن حبان *(و عن أبى سعيد عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال) أى فى قوله تعالى (و هم فيها) أى الكفار فى النار (كالحون) أى عابسون حين تحترق وجوههم من النار كذا ذكره الطيبى رحمه الله و قال شارح أى بادية اسنانهم و هو المناسب لتفسيره صلى الله تعالى عليه وسلم كما بينه الراوى بقوله (قال) و أعاده للتأكيد (تشويه) بفتح أوله أى تحرق الكافر (النار) أى نار أهل البوار (فتقلص) على صيغة المضارع بحذف أحدى التائين أى تنقبض (شفته العليا) بفتح الشين و تكسر (حتى تبلغ) أى تصل شفته (وسط رأسه) بسكون السين و تفتح (و تسترخى) بالتذكير و التأنيث أى تسترسل (شفته السفلى) تأنيث الاسفل كالعليا تأنيث الاعلى (حتى تضرب) أى تقرب شفته (سرته رواه الترمذى *وعن أنس عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال يا أيها الناس ابكوا) بكسر همزة الوصل و ضم الكاف أمر من بكى يبكى أى ابكوا خوفا على ذنوبهم أو شوقا الى ربكم كما أخبر الله سبحانه عن حالة أنبيائه و أصفيائه اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا و بكيا و قد سجد بعض السلف فى هذه الآية فقال هذه السجدة فاين البكاء (فان لم تستطيعوا)أى لم تقدروا على البكاء الحقيقى فانه ليس بالامر الاختيارى (فتباكوا) بفتح الكاف أمر من باب التفاعل و المعنى تحملوا أنفسكم بالتكلف على البكاء و فيه ايماء الى قوله تعالى فليضحكوا قليلا و ليبكوا كثيرا

فان أهل النار يكون فى النار حتى تسيل دموعهم فى وجوههم كانها جداول حتى تنقطع الدموع فتسيل الدماء فتقرح العيون فلو أن سفنا أزجيت فيها لجرت رواه فى شرح السنة ✱ وعن أبى الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقى على أهل النار الجوع فيعدل ما هم فيه من العذاب فيستغيثون فيغاثون بطعام من ضريع لا يسمن و لا يغنى من جوع فيستغيثون بالطعام فيغاثون بطعام ذى غصة فيذكرون انهم كانوا يجيزون الغصص فى الدنيا بالشراب فيستغيثون بالشراب فيرفع اليهم الحميم بكلاليب الحديد فاذا دنت من وجوههم شوت وجوههم فاذا دخلت بطونهم قطعت ما فى بطونهم فيقولون ادعوا خزنة جهنم

(فان أهل النار) أى من الكفار و يحتمل ان يعم الفجار (يكون فى النار حتى تسيل دموعهم فى وجوههم) أى عليها و التعبير بفى أبلغ و يؤيده قوله (كانها) أى دموعهم (جداول) جمع جدول و هو النهر الصغير (حتى تنقطع الدموع فتسيل الدماء) بنصب الفعل و يرفع و كذا الوجهان فى قوله (فتقرح) بتشديد الراء المفتوحة على انه مضارع من باب التفعل حذف أحدى التاءين منه أى فتتخرج (منه) أى من سيلان الدماء (العيون) بضم العين و تكسر جمع العين و فى نسخة فتقرح بسكون القاف و فتح الراء فالعيون منصوب لان قرح كمنع جرح على ما فى القاموس فالمعنى فتخرج دموعهم أو دماؤهم عيونهم فتزيد فى سيلانها (فلو ان سفنا) بضم السين و الفاء جمع سفينة (أزجيت) بصيغة المجهول من الازجاء بالزاى و الجيم أى أرسلت (فيها) أى فى الدموع أو الدماء (لجرت) أى السفن (بها رواه) أى البغوى (فى شرح السنة) أى باسناده ✱(و عن أبى الدرداء قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يلقى) أى يسلط (على أهل النار الجوع) أى الشديد (فيعدل) بفتح الياء و كسر الدال أى فيساوى الجوع (ما هم فيه من العذاب) المعنى ان ألم جوعهم مثل ألم سائر عذابهم (فيستغيثون) أى بالطعام (فيغاثون بطعام من ضريع) و هو نبت بالحجاز له شوك لا تقربه دابة لخبثة و لو أكلت ماتت و المراد هنا شوك من نار أمر من الصبر و أنتن من الجيفة و أحر من النار (لا يسمن) أى لا يشبع الجائع و لا ينفعه و لو أكل منه كثيرا (و لا يغنى من جوع) أى و لا يدفع و لو بالتسكين شيأ من ألم الجوع و فيه ايماء الى قوله تعالى ليس لهم طعام الا من ضريع الى آخره (فيستغيثون بالطعام) أى ثانيا لعدم نفع ما أغيثوا أولا (فيغاثون بطعام ذى غصة) أى مما ينشب فى الحلق و لا يسوغ فيه من عظم و غيره لا يرتقى و لا ينزل و فيه اشعار الى قوله تعالى ان لدينا انكالا و جحيما و طعاما ذا غصة و عذابا أليما و المعنى انهم يؤتون بطعام ذى غصة فيتناولونه فيغصون به (فيذكرون انهم كانوا يجيزون) من الاجازة بالزاى أى يسيغون (الغصص) جمع الغصة بالضم و هى ما اعترض فى الحلق فاشرق على ما فى القاموس و المعنى أنهم كانوا يعالجونها (فى الدنيا بالشراب فيستغيثون) أى على مقتضى طباعهم (بالشراب) أى لدفع ما حصل لهم من العذاب (فيرفع اليهم الحميم) بالرفع أى يرفع أطراف اناء فيه الحميم و هو الماء الحار الشديد (بكلاليب الحديد) أى على أيدى الملائكة أو بيد القدرة من غير الواسطة (فاذا دنت) أى قربت أوانى الحميم (من وجوههم شوت وجوههم) أى أحرقتها (فاذا دخلت) أى أنواع ما فيها من الصديد و الغساق و غيرهما (بطونهم قطعت ما فى بطونهم) أى من الامعاء قطعة قطعة (فيقولون ادعوا خزنة جهنم) نصب على انه مفعول ادعوا و فى الكلام حذف أى يقول الكفار بعضهم لبعض ادعوا خزنة جهنم فيدعونهم و يقولون لهم

فيقولون ألم تك تأتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا و ما دعاء الكافرين الا فى ضلال قال فيقولون ادعوا مالكا فيقولون يا مالك ليقض علينا ربك قال فيجيبهم انكم ما كثون قال الاعمش نبئت ان بين دعائهم و اجابة مالك اياهم ألف عام قال فيقولون ادعوا ربكم فلا أحد خير من ربكم فيقولون ربنا غلبت علينا شقوتنا و كنا قوما ضالين ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون قال فيجيبهم اخسؤا فيها و لاتكلمون قال فعند ذلك يئسوا من كل خير و عند ذلك يأخذون فى الزفير و الحسرة و الويل

أدعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب (فيقولون) أى الخزنة (ألم تك تأتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا) أى الخزنة تهكما بهم (فادعوا) أى أنتم ما شئتم فانا لانشفع للكافر (و ما دعاء الكافرين الا فى ضلال) أى فى ضياع لانه لاينفعهم حينئذ دعاء لا منهم و لا من غيرهم و هذا لايدل على أنه لايستجاب لهم دعوة فى الدنيا كما فهمه بعض العلماء فقد استجيب دعاء الشيطان فى الامهال و الله تعالى أعلم بالحال و قال الطيبى رحمه الله الظاهر ان خزنة جهنم ليس بمفعول أدعوا بل هو منادى ليطابق قوله تعالى و قال الذين فى النار لخزنة جهنم أدعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب و قوله ألم تك تأتيكم الزام للحجة و توبيخ و انهم خلفوا وراءهم أوقات الدعاء و التضرع و عطلوا الاسباب التى يستجيب لها الدعوات قالوا فادعوا أنتم فانا لانجترئ على الله ذلك و ليس قولهم فادعوا الرجاء المنفعة و لكن للدلالة على الخيبة فان الملك المقرب اذا لم يسمع دعاؤه فكيف يسمع دعاء الكافرين (قال) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (فيقولون) أى الكفار (أدعوا مالكا) و المعنى انهم لما أيسوا من دعاء خزنة جهنم لاجلهم و شفاعتهم لهم أيقنوا ان لاخلاص لهم و لا مناص من عذاب الله (فيقولون يا مالك ليقض) أى سل ربك داعيا ليحكم بالموت (علينا ربك) لنستريح أو من قضى عليه اذا أماته فالمعنى ليميتنا ربك فنستريح (قال) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (فيجيبهم) أى مالك جوابا من عند نفسه أو من عند ربه تعالى بقوله (انكم ما كثون) أى مكثا مخلدا (قال الاعمش) و هو أحد الرواة من أجلاء التابعين (نبئت) بتشديد الموحدة المكسورة أى أخبرت من بعض الصحابة موقوفا أو مرفوعا (ان بين دعائهم و اجابة مالك اياهم) أى بهذا الجواب (ألف عام قال فيقولون) أى بعضهم لبعض (أدعوا ربكم فلا أحد) أى فليس أحد (خير من ربكم) أى فى المرحمة و القدرة على المغفرة (فيقولون ربنا غلبت علينا شقوتنا) بكسر فسكون و فى قراءة بفتحتين و ألف بعدهما و هما لغتان بمعنى ضد السعادة و المعنى سبقت علينا هلكتنا المقدرة بسوء خاتمتنا (و كنا قوما ضالين) أى عن طريق التوحيد (ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون) و هذا كذب منهم فانه تعالى قال و لو ردوا لعادوا لما نهوا عنه و انهم لكاذبون (قال فيجيبهم) أى الله بواسطة أو بغيرها اجابة اعراض (اخسؤا فيها) أى ذلوا و انزجروا كما ينزجر الكلاب اذا زجرت و المعنى ابعدوا اذلاء فى النار (و لاتكلمون) أى لاتكلمونى فى رفع العذاب فانه لايرفع و لايخفف عنكم (قال فعند ذلك يئسوا) أى قنطوا (من كل خير) أى مما ينجيهم من العذاب أو يخففه عنهم (و عند ذلك) أى أيضا (يأخذون فى الزفير) أى فى احتراق النفس للشدة و قيل الزفير أول صوت الحمار كما ان الشهيق آخر صوته قال تعالى لهم فيها زفير و شهيق (و الحسرة) أى و فى الندامة (و الويل) أى و فى شدة الهلاك والعقوبة

قال عبد الله بن عبد الرحمن و الناس لايرفعون هذا الحديث رواه الترمذی ✱ و عن النعمان ابن بشير قال سمعت رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم يقول أنذرتكم النار أنذرتكم النار فمازال يقولها حتى لو كان فی مقامی هذا سمعه أهل السوق و حتى سقطت خميصة كانت عليه عند رجليه رواه الدارمی ✱ و عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم لو ان رصاصة

و قيل هو واد فی جهنم (قال عبدالله بن عبد الرحمن) أحد المحدثين من أصحاب التخريج (و الناس لايرفعون هذا الحديث) أی بل يجعلونه موقوفا علی أبی الدرداء لكنه فی حكم المرفوع فان أمثال ذلک ليس مما يمكن أن يقال من قبل الرای (رواه الترمذی) أی مرفوعا كما يفهم من صدر الحديث ✱ (و عن النعمان بن بشير قال سمعت رسول‌الله صلی‌الله‌تعالی‌علیه‌وسلم يقول أنذرتكم النار) أی أخبرتكم بوجودها و أخبرتكم بشدتها و خوفتكم بانواع عقوبتها (أنذرتكم النار) أی أعلمتكم بما يتقى به عنها حتى قلت لكم اتقوا النار و لو بشق تمرة ثم يمكن أن يراد بهما الانذار فی زمان الحال و عبر بالماضی لتحققه فی السابق اللاحق للاستقبال أو الاول اخبار و الثانی انشاء أو جمع بينهما للتأكيد فی أحد المعانی و فی نسخة كرر ثلاثا (فمازال يقولها) أی يكرر الكلمة المذكورة و يرفع بها صوته (حتى لو كان) أی النبی صلی‌الله‌تعالی علیه‌وسلم (فی مقامی هذا) أی المقام الذی كان الراوی فيه عند روايته هذا الحديث (سمعه) أی سمع صوته (أهل السوق) لانه بالغ فی رفع الصوت عملا بقول نوح علیه‌الصلاة والسلام ثم انی دعوتهم جهارا ثم انی أعلنت لهم و اسررت لهم اسرارا (و حتى سقطت خميصة) و هی نوع ثوب (كانت عليه) أی فوق كتفه بمنزلة ردائه (عند رجليه) أی من جذبته الالهية و عدم شعوره من الهيبة الحسية (رواه الدارمی ✱ و عن عبد الله بن عمرو بن العاص) بحذف الياء فی أكثر النسخ المصححة و فی نسخة بالياء قال النووی رحمه الله فی مقدمة شرح مسلم أما ابن العاص فاكثر ما يجیء فی كتب الحديث و الفقه و نحوهما بحذف الياء و هی لغة والفصيح الصحيح العاصی باثبات الياء وكذلک شداد بن الهادی و ابن أبی الموالی فالصحيح الفصيح فی كل ذلک و ما أشبهه اثبات الياء و لا اعتداد بوجوده فی كتب الحديث اذ اكثرها بحذفها أقول تعبيره بالصحيح الفصيح غير صحيح اذ جاء اثبات الياء و حذفها فی الكلام الافصح كتابة و قراءة نعم حذفها رسما أكثر من اثباتها قراءة و اثباتها قراءة أشهر من حذفها فی نحو قوله تعالى المهتد و المتعال و باق و واق ثم عدم الاعتداد بكتب الحديث المطابق لرسم المصحف الشريف المنسوب الى كتابة الصحابة رضوان‌الله‌تعالی‌عليهم أجمعين مستبعد جدا خصوصا من الامام النووی رحمه الله الذی هو من اتباع المحدثين و من الفقهاء المتورعين هذا و الصحيح فی العاص انه معتل العين لا معتل اللام على ما حققه صاحب القاموس بقوله الاعياص من قريش أولاد أمية بن عبد شمس الاكبر و هم العاص و أبو العاص و العيص و أبو العيص فالعاص على هذا يخرج عما نحن فيه بالكلية و لايجوز اثبات الياء فيه بالمرة و الله تعالى أعلم (قال قال رسول‌الله صلی‌الله‌تعالی‌علیه‌وسلم لو ان رصاصة) بفتح الراء و الصادين المهملتين أی قطعة من الرصاص ففی القاموس الرصاص كسحاب معروف و فی نسخة السيد رضاضة براء واحدة و معجمتين و هی الحصا الصغار على ما فی النهاية و فی نسخ المصابيح رضراضة براءين و معجمتين و هی الحجارة المدقوقة على ما قاله شارح وهو سهو من الكتاب أو من صاحب الكتاب و الله تعالى أعلم بالصواب قال التوربشتی رحمه الله فی سائر نسخ المصابيح رضراضة مكان رصاصة

مثل هذه و أشار الى مثل الجمجمة أرسلت من السماء الى الارض و هى مسيرة خمسمائة سنة لبلغت الارض قبل الليل و لو انها أرسلت من رأس السلسلة لسارت أربعين خريفا الليل و النهار قبل أن تبلغ أصلها أو قعرها رواه الترمذى ★ و عن أبى بردة عن أبيه ان النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال ان فى جهنم لواديا يقال له هبهب يسكنه كل جبار رواه الترمذى

وهو غلط لم يوجد فى جامع الترمذى ولعل الغلط وقع من غيره (مثل هذه) اشارة الى محسوسة معينة هناك كما أشار اليه الراوى بقوله (وأشار الى مثل الجمجمة) بضم الجيمين فى النسخ المصححة للمشكاة وهى قدح صغير و قال المظهر بالخاءين المعجمتين وهى حبة صغيرة صفراء وقيل هى بالجيمين وهى عظم الرأس المشتمل على الدماغ و قيل الاول أصح انتهى و الجملة حالية لبيان الحجم و التدوير المعين على سرعة الحركة قال التوربشتى رحمه الله بين مدى قعر جهنم بابلغ ما يمكن من البيان فان الرصاص من الجواهر الرزينة و الجوهر كلما كان أتم رزانة كان أسرع هبوطا الى مستقره لاسيما اذا انضم الى رزانته كبر جرمه ثم قدره على الشكل الدورى فانه أقوى انحدارا و أبلغ مرورا فى الجواهر فالمختار عندى ان المراد بالجمجمة جمجمة الرأس على ان اللام للعهد أو بدل عن المضاف اليه و هو المعنى الظاهر المتبادر من الجمجمة ثم قوله (أرسلت) صفة لاسم ان و ما بينهما معترضة أى أدليت (من السماء الى الارض و هى) اى مسافة ما بينهما (مسيرة خمس مائة سنة لبلغت الارض قبل الليل و لو انها أرسلت من رأس السلسلة) أى المذكورة فى قوله تعالى ثم فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه فالمراد من السبعين الكثرة أو المراد بذرعها ذراع الجبار و قال شارح أى رأس سلسلة الصراط و هو فى غاية من البعد (لسارت) أى لنزلت و صارت مدة ما سارت (أربعين خريفا) أى سنة (الليل و النهار) أى منهما جميعا لايختص سيرها باحدهما (قبل أن تبلغ أصلها) أى أصل السلسلة (أو قعرها) شك من الراوى و المراد بقعرها نهايتها و هى معنى أصلها حقيقة أو مجازا فالترديد انما هو فى اللفظ المسموع و أبعد الطيبى رحمه الله حيث قال يراد به قعر جهنم لان السلسلة لا قعر لها قلت و جهنم فى هذا المقام لا ذكر لها مع لزوم تفكيك الضمير فيها و ان كان قعرها عميقا على ما رواه هنا و عن أنس مرفوعا لو ان حجرا مثل سبع خلفات ألقى من شفير جهنم هوى فيها سبعين خريفا لايبلغ قعرها و المراد بالخلفات النوق الحوامل فاختيار كبر جرم المرسل هنا مناسب لما قدمه التوربشتى رحمه الله (رواه الترمذى ★ و عن أبى بردة) بضم موحدة (عن أبيه) قال المؤلف هو أبوبردة بن عامر ابن عبد الله بن قيس أحد التابعين المشهورين المكثرين سمع أباه و عليا و غيرهما و كان على قضاء الكوفة بعد شريح فعزله الحجاج (أن النبى صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم قال ان فى جهنم لواديا) فى القاموس هو مفرج بين جبال أو تلال أو آكام (يقال له هبهب) بضم الباء الثانية من غير تنوين و فى نسخة الجزرى و كثير من النسخ و لعل عدم انصرافه باعتبار البقعة مع العلمية و فى نسخة السيد بسكون الباءين و لايظهر له وجه اللهم الا أن يقال انه تكرار هب أمر من الهبة فكان الوادى أو من حضره يقول بلسان الحال أو المقال هب هب مخاطبا خطاب العام و الله تعالى أعلم بالمرام و فى النهاية الهبهب السريع و هبهب السراب اذا برق قال التوربشتى رحمه الله سمى بذلك أما لسرعة وقوعه فى المجرمين أو لشدة أجيج النار فيه أو للمعانة عند الاضطرام و الالتهاب و الله تعالى أعلم بالصواب (يسكنه) فيه حذف و ايصال أى يسكن فيه (كل جبار) أى متكبر

✱ (الفصل الثالث) ✱ عن ابن عمر عن النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال يعظم أهل النار فى النار حتى ان بين شحمة أذن أحدهم الى عاتقه مسيرة سبعمائة عام و ان غلظ جلده سبعون ذراعا و ان ضرسه مثل أحد ✱ و عن عبدالله بن الحارث بن جزء قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم ان فى النار حيات كامثال البخت تلسع أحداهن اللسعة فيجد حموتها أربعين خريفا و ان فى النار عقارب كامثال البغال المؤكفة تلسع أحداهن اللسعة فيجد حموتها أربعين خريفا رواهما أحمد ✱ و عن الحسن قال حدثنا أبوهريرة عن رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال الشمس و القمر ثوران مكوران فى النار يوم القيامة فقال الحسن و ما ذنبهما فقال أحدثك عن رسول‌الله

عنيد عن الحق بعيد و على الخلق شديد (رواه الدارمى) و روى ابن مردويه عن ابن عمر و الفلق سجن فى جهنم يحبس فيه الجبارون و المتكبرون و ان جهنم لتعوذ بالله منه و رواه ابن جرير عن أبى هريرة الفلق جب فى جهنم مغطى

✱ (الفصل الثالث) ✱ (عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما عن النبى صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم قال يعظم أهل النار فى النار) أى تكبر جثثهم (حتى ان) بكسر الهمز و يفتح (بين شحمة أذن أحدهم الى عاتقه مسيرة سبعمائة عام) أى ليزيد عذابهم كمية و كيفية (و ان غلظ جلده سبعون ذراعا) عطف على مدخول حتى أو على الجملة السابقة و كذا قوله (و ان ضرسه مثل أحد ✱ وعن عبدالله بن الحارث بن جزء) بفتح الجيم و سكون الزاى فهمز قال المؤلف رحمه الله هو عبدالله بن جزء أبو الحارث السهمى سكن مصر و شهد بدرا مات سنة خمس و ثمانين بمصر انتهى و فيه اشكال لايخفى (قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم ان فى النار حيات كامثال البخت) بضم موحدة فسكون معجمة و مفرده بختى فى القاموس بالضم الابل الخراسانية (تلسع أحداهن اللسعة) أى اللدغة (فيجد) أى ملسوعها (حموتها) بفتح فسكون أى أثر سمها و سورة ألمها (أربعين خريفا و ان فى النار عقارب كامثال البغال المؤكفة) بالهمز أو الواو و الكاف مفتوحة من أكفت الحمار و أوكفه شددت عليه الاكاف (تلسع أحداهن اللسعة فيجد حموتها أربعين خريفا رواهما) أى الحديثين (أحمد ✱ و عن الحسن) أى البصرى (قال حدثنا أبوهريرة عن رسول‌الله صلى‌الله تعالى‌عليه‌وسلم قال الشمس و القمر ثوران) بفتح المثلثة أى كثورين فهو تشبيه بليغ كقولهم زيد أسد (مكوران) بتشديد الواو المفتوحة أى ملقيان من طعنه فكوره أى القاه على ما ذكره الطيبى رحمه الله و المعنى انه يلقى و يطرح كل منهما عن فلكهما (فى النار يوم القيامة) لزيادة عذاب أهلها بحرهما لما ورد عن ابن عمر على ما رواه الديلمى فى مسند الفردوس مرفوعا الشمس و القمر وجوههما الى العرش و اقفاؤهما الى الدنيا ففيه تنبيه نبيه على أن وجوههما لو كانت الى الدنيا لما أطاق حرهما أحد من أهل الدنيا و قال ابن الملك أى يلفان و يجمعان و يلقيان فيها و كانه أخذه من تكوير العمامة و منه قوله تعالى يكور الليل على النهار و يكور النهار على الليل قال فى النهاية و منه حديث أبى‌هريرة رضى الله تعالى عنه يجاء بالشمس و القمر ثورين مكورين فى النار و الرواية ثوران بالثاء المثلثة كانهما يمسخان و قد روى بالنون و هو تصحيف انتهى و من الغريب انه وقع فى نسختى الشيخ الجزرى و السيد بالنون أصلا و بالمثلثة فى الهامش نسخة و مما يؤيد الرواية بالثاء ما ذكره السيوطى رحمه الله فى البدور عن أنس و عن كعب الاحبار أيضا ثوران عقيران (فقال الحسن و ما ذنبهما فقال) أى أبوهريرة (أحدثك عن رسول‌الله

صلی‌اللہ‌علیہ‌وسلم فسکت الحسن رواه البيهقى فى كتاب البعث و النشور ★وعن أبى‌هريرة قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم لايدخل النار الا شقى قيل يا رسول‌الله و من الشقى قال من لم‌يعمل لله بطاعة و لم‌يترك له بمعصية رواه ابن ماجه

★ (باب خلق الجنة و النار) ★

★ (الفصل الاول) ★ عن أبى‌هريرة قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم تحاجت الجنة و النار

صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم) قال الطيبى رحمه الله أى تقابل النص الجلى بالقياس و يجعل موجب دخول النار العمل فان الله يفعل ما يشاء و يحكم ما يريد أقول الظاهر من سؤاله بيان الحكمة فى أدخالهما النار مع انقيادهما و طاعتهما للملك الجبار و النار انما هى دار البوار للكفار و الفجار فمعنى قول أبى‌هريرة أحدثكم عن رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم ما سمعته و ليس لى مزيد علم على ذلك (فسكت الحسن) فثبت ان سؤاله حسن و كذا جوابه مستحسن مع انه لايلزم من ادخالهما فى النار تعذيبهما كخزنة جهنم فقال بعض العلماء انما جعلا فى النار لانهما قد عبدا من دون الله تبكيتا للكافرين قال القرطبى رحمه الله قد ورد عن ابن عباس تكذيب كعب الاحبار فى قوله هذا حيث قال له هذه يهودية يريد ادخالها فى الاسلام و الله تعالى أكرم من أن يعذبهما و هما دائبان فى طاعته ثم حدث عن النبى صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم انهما يعودان الى ما خلقا منه و هو نور العرش فيختلطان وحاصله انهما يصيران نورين و النور لايعذب بالنار ولذا تقول النار للمؤمن جز يا مؤمن فان نورك أطفأ لهبى فيرجع الكلام الى أن فائدة ادخالهما تعيير عبدتهما فلامنافاة بين قول كعب و بين قول ابن عباس عند التأمل الشافى و الله تعالى الكافى مع ان الحديث المروى غير ثابت قال السيوطى رحمه الله فى البدور هذا الحديث أخرجه أبو الشيخ فى العظمة من طريق أبى عصمة نوح بن أبى مريم عن مقاتل و ابن حبان عن عكرمة عن ابن عباس و أبو عصمة كذاب وضاع (رواه البيهقى فى كتاب البعث و النشور) و فى الجامع الصغير الشمس و القمر مكوران يوم القيامة رواه البخارى عن أبى‌هريرة و روى ابن مردويه عن أنس مرفوعا الشمس و القمر ثوران عقيران فى النار ان شاء أخرجهما و ان شاء تركهما قيل قوله عقيران أى زمنان يعنى لايجريان ★(و عن أبى‌هريرة قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم لايدخل النار الاشقى قيل يا رسول‌الله و من الشقى قال من لم‌يعمل لله) أى لاجل رضاه أو لامره (بطاعة) أى بواجبة (و لم‌يترك له) أى لله (بمعصية) و هو شامل للكافر و الفاجر فقوله تعالى لايصلاها الا الاشقى الذى كذب و تولى محمول على الصلى على وجه الخلود و قال الطيبى رحمه الله الباء زائدة فيهما و بناء المرة فيهما مع التنكير للتقليل و زيادة الباء للتأكيد يدل على ترجيح جانب الرحمة وان الله لايضيع أجر من عمل له طاعة ما أو ترك لاجله و لخوفه معصية ما نحو قوله تعالى و أما من خاف مقام ربه و نهى النفس عن الهوى فان الجنة هى الماوى (رواه ابن ماجه)

★(باب خلق الجنة و النار)★ أى فى كونهما مخلوقتين على ما هو مذهب أهل السنة و الجماعة و فى بيان انهما الآن خلقتا و ذكر بعض أوصافهما من خلقتهما

★(الفصل الاول) ★ (عن أبى‌هريرة قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم تحاجت) بتشديد الجيم أى تخاصمت و تجادلت و تعارضت (الجنة و النار) أى بلسان القال أو بيان الحال قال الطيبى رحمه الله هذه المحاجة جارية على التحقيق فانه تعالى قادر على ان يجعل كل واحدة مميزة مخاطبة

فقالت النار أوثرت بالمتكبرين و المتجبرين و قالت الجنة فما لى لايدخلنى الا الضعفاء الناس و سقطهم و غرتهم قال الله للجنة انما أنت رحمتى أرحم بک من أشاء من عبادى و قال للنار انما أنت عذابى أعذب بک من أشاء من عبادى و لكل واحدة منكما ملؤها فاما النار فلا تمتلئ

أو على التمثيل قلت الاول هو المعول لان مذهب أهل السنة على ما فى المعالم ان لله علما فى الجمادات و سائر الحيوانات سوى العقلاء لايقف عليها غيره فلها صلاة و تسبيح و خشية فيجب على المرء الايمان به و يكل علمه الى الله سبحانه انتهى و أدلته كثيرة ليس هذا محل ذكرها و الله تعالى أعلم (فقالت النار أوثرت) بصيغة المجهول من الايثار أى اخترت (بالمتكبرين) أى عن الحق (و المتجبرين) أى على الخلق بالتسلط و القهر فقيل هما بمعنى جمع بينهما للتأكيد و قيل المتكبر المتعظم بما ليس فيه و المتجبر الذى لايوصل اليه و قيل الذى لايكترث و لايبالى بامر الضعفاء و المساكين (و قالت الجنة فمالى) أى فاى شئ وقع لى (لايدخلنى الا الضعفاء الناس) أى فى البدن و المال (و سقطهم) بفتحتين أى أرذؤهم و أكثرهم خمولا و أقلهم اعتبارا المحقرون فيما بينهم الساقطون عن أعينهم و هذا بالنسبة الى ما عند أكثر الناس لانهم كما قال تعالى و لكن أكثرهم لايعلمون و فى موضع و لكن أكثرهم يجهلون و أما بالنسبة الى ما عند الله عظماء و كذا عند من عرفهم من العلماء و الصلحاء فوصفهم بالسقط و الضعف لهذا المعنى أو المراد بالحصر الاغلب (و غرتهم) بكسر الغين المعجمة و تشديد الراء و هى عدم التجربة أو وجود الغفلة بمعنى الذين لاتجربة لهم فى الدنيا و لا اهتمام لهم بها أو الذين هم غافلون عن أمور الدنيا شاغلون بمهم العقبى على ما ورد فى الخبر أكثر أهل الجنة البله أى فى أمور الدنيا بخلاف الكفار فانهم كما قال تعالى يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا و هم عن الآخرة هم غافلون هذا و قال الحافظ ابن حجر العسقلانى رواه الاكثر بغين معجمة مفتوحة فراء فثاء مثلثة أى أهل الحاجة من الغوث و هو الجوع و روى بكسر الغين المعجمة و تشديد الراء و بتاء مثناة فوقية أى البله الغافلون و هى ثابتة فى أكثر نسخ مسلم و رواه آخرون بعين مهملة فجيم فزاى مفتوحات و تاء مثناة جمع عاجز و روى بضم العين و الجيم جمع عاجز أيضا (قال الله للجنة) ابتدأ بها للحديث القدسى سبقت رحمتى غضبى و جبرا لها حيث انكسر بالها بما لها من الضعفاء و غلبت فى السؤال و ضعفت فى الجواب (انما أنت رحمتى) أى مظهرها فى شرح السنة سمى الجنة رحمته لان بها يظهر رحمة الله تعالى كما قال (أرحم بک من أشاء من عبادى) و الا فرحمة الله من صفاته التى لم يزل بها موصوفا ليست لله صفة حادثة و لا اسم حادث فهو قديم بجميع أسمائه و صفاته جل جلاله و تقدست أسماؤه و فى المعالم الرحمة ارادة الله الخير لاهله و قيل ترك عقوبة من يستحقها و اسداء الخير الى من لايستحق فهو على الاول صفة ذات و على الثانى صفة فعل (و قال) أى الله (للنار انما أنت عذابى) أى سبب عقوبتى و منشأ سخطى و غضبى (أعذب بک من أشاء من عبادى) و الحاصل ان الجنة و النار و المؤمنون و الكفار مظاهر للجمال و الجلال على وصف الكمال و لايظهر لاحد وجه تخصيص كل بكل فى مقام الفصل مع العلم بان أحدهما من باب العدل و الآخر من طريق الفضل و لايسئل عما يفعل و هم يسئلون (و لكل واحدة منكما ملؤها) لان كمالهما فى ملء مآلهما (فاما النار فلا تمتلئ) قال تعالى يوم نقول لجهنم هل امتلأت و تقول هل من مزيد أى فتطلب الزيادة و لاتمتلئ من أهلها

حتى يضع الله رجله تقول قط قط قط فهنالك تمتلىء و يزوى بعضها الى بعض فلايظلم الله من خلقه أحدا و أما الجنة فان الله ينشئ لها خلقا متفق عليه ★ و عن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لاتزال جهنم يلقى فيها و تقول هل من مزيد حتى يضع رب العزة

البعد لها (حتى يضع الله) أى فيها أو عليها (رجله) و فى الرواية الآتية قدمه فمذهب السلف التسليم و التفويض مع التنزيه و أرباب التأويل من الخلف يقولون المراد بالقدم قدم بعض مخلوقاته أو قوم قدمهم الله للنار من أهلها و تقدم فى سابق حكمه انهم لاحقوها فتمتلىء منهم جهنم و العرب تقول كل شئ قدمته من خير أو شر فهو قدم و منه قوله تعالى أن لهم قدم صدق عند ربهم أى ما قدموه من الاعمال الصالحة الدالة على صدقهم فى تصديقهم و المراد بالرجل الجماعة من الجراد و هو و ان كان موضوعا لجماعة كثيرة من الجراد لكن استعارته لجماعة الناس غير بعيد أو أخطأ الراوى فى نقله الحديث بالمعنى و ظن ان الرجل سد مسد القدم هذا و قد قيل وضع القدم على الشئ مثل للردع و القمع فكانه قال يأتيها أمر الله فيكفيها من طلب المزيد و يدل على هذا المعنى قوله فيضع الرب قدمه عليها و لم يقل فيها كذا قاله شارح المصابيح لكن الرواية الآتية بلفظ فيها فى المشكاة نعم فى قد تأتى بمعنى على على ما فى التنزيل لاصلبنكم فى جذوع النخل و قيل أريد به تسكين فورتها كما يقال للامر يراد ابطاله وضعته تحت قدمى ذكره فى النهاية و فى شرح السنة القدم و الرجل المذكوران فى هذا الحديث من صفات الله المنزهة عن التكييف و التشبيه و كذلك كل ما جاء من هذا القبيل فى الكتاب أو السنة كاليد و الاصبع و العين و المجىء و الاتيان و النزول فالايمان بها فرض و الامتناع عن الخوض فيها واجب فالمهتدى من سلك فيها طريق التسليم و الخائض فيها زائغ و المنكر معطل و المكيف مشبه تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ليس كمثله شئ و هو السميع البصير انتهى و هو الموافق لمذهب الامام مالك رحمه الله و لطريق امامنا الاعظم على ما أشار اليه فى الفقه الاكبر فالتسليم أسلم و الله تعالى أعلم (تقول) أى النار و الجملة استئناف بيان أو حال و الا فكان الظاهر أن يقال فتقول (قط) بفتح القاف و سكون الطاء و فى نسخة بكسرها منونة و فى أخرى من غير تنوين (قط قط) ذكر ثلاث مرات على ما فى النسخ المصححة و المفهوم من قول شارح انه مرتين حيث قال بسكون الطاء أى كفى كفى و يحتمل كسر الطاء أى حسبى حسبى قال النووى فيه ثلاث لغات باسكان الطاء فيهما و بكسرها منونة و غير منونة و فى القاموس اذا كان قط بمعنى حسب فقط كمن و قط منونا مجرورا فاقتصاره عليهما مشعر بان الكسر مع غير التنوين ضعيف (فهنالك) أى فى ذلك الزمان (تمتلىء) أى النار بقدرة الله تعالى (و يزوى) بصيغة المجهول أى يضم و يجمع (بعضها الى بعض) أى من غاية الامتلاء (فلايظلم الله) أى أبدا (من خلقه أحدا) أى لاينشئ الله خلقا للنار فانه ظلم بحسب الصورة و ان لم يكن ظلما حقيقة فانه تصرف فى ملكه و الله تعالى لايفعل ما فى صورة الظلم (و أما الجنة فان الله تعالى ينشئ لها) أى من عنده (خلقا) أى جمعا لم يعملوا عملا و هذا فضل من الله تعالى كما انه سبحانه لو انشأ للنار خلقا على ما قيل لكان عدلا و الله تعالى أعلم (متفق عليه ★ و عن أنس عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال لاتزال جهنم يلقى) أى يطرح (فيها) أى من الكفار و الفجار (وتقول هل من مزيد) أى من زيادة (حتى يضع رب العزة) أى صاحب الغلبة و القوة و القدرة

فيها قدمه فينزوى بعضها الى بعض فتقول قط قط بعزتك وكرمك و لايزال فى الجنة فضل حتى ينشئ الله لها خلقا فيسكنهم فضل الجنة متفق عليه و ذكر حديث أنس حفت الجنة بالمكاره فى كتاب الرقاق

★ (الفصل الثانى) ★ عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لما خلق الله الجنة قال لجبريل اذهب فانظر اليها فذهب فنظر اليها و الى ما أعد الله لاهلها فيها ثم جاء فقال أى رب و عزتك لايسمع بها أحد الا دخلها ثم حفها بالمكاره ثم قال يا جبريل اذهب فانظر اليها قال فذهب فنظر اليها ثم جاء فقال أى رب و عزتك لقد خشيت أن لايدخلها أحد قال فلما خلق الله النار قال يا جبريل اذهب فانظر اليها قال فذهب فنظر اليها ثم جاء فقال أى رب و عزتك لايسمع بها أحد فيدخلها فحفها بالشهوات

(فيها قدمه) و قد قدمناه ما يتعلق به (فينزوى) أى ينضم و يجتمع (بعضها الى بعض فتقول قط قط) أى مرتين مرتين و المراد بهما الكثرة أو انحصار العدد (بعزتك و كرمك) أى زيادة عطائك (و لايزال فى الجنة فضل) أى زيادة مساكن خالية عن السكان (حتى ينشئ الله لها خلقا فيسكنهم) من الاسكان (فضل الجنة) أى فى تلك الزيادة منها قال النووى فى قوله و أما الجنة فان الله ينشئ الله لها خلقا هذا دليل لاهل السنة على ان الثواب ليس متوقفا على الاعمال فان هؤلاء يخلقون حينئذ و يعطون الجنة بغير عمل قال الطيبى رحمه الله و للمعتزلة أن يقولوا أن نفى الظلم عمن لم يذنب دليل على انه أن عذبهم كان ظلما و هو عين مذهبنا و الجواب أنا و ان قلنا و ان عذبهم لم يكن ظلما فانه لم يتصرف فى ملك غيره لكنه تعالى لايفعل ذلك لكرمه و لطفه مبالغة فنفى الظلم اثبات للكرم (متفق عليه و ذكر حديث أنس حفت الجنة بالمكاره) تمامه و حفت النار بالشهوات (فى كتاب الرقاق) أى لان الحديث أنسب به من هذا الباب و الله تعالى أعلم بالصواب

★ (الفصل الثانى) ★ (عن أبى هريرة عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال لما خلق الله الجنة قال لجبريل اذهب فانظر اليها) أى نظر اعتبار (فذهب فنظر اليها و الى ما أعد الله لاهلها فيها) أى ماعدا ما أعد الله لعباده الصالحين ما لا عين رأت و لا اذن سمعت و لا خطر على قلب بشر (ثم جاء) أى رجع الى موضعه أو الى حيث ما أمر به أو الى تحت العرش (فقال أى رب) أى يا رب (و عزتك لايسمع بها أحد) أى و يحب دخولها ★ فالاذن تعشق قبل العين أحيانا ★ (الا دخلها) أى طمع فى دخولها و جاهد فى حصولها و لايهتم الا بشانها لحسنها و بهجتها (ثم حفها) أى أحاطها الله (بالمكاره) جمع كره و هى المشقة و الشدة على غير قياس و المراد بها التكاليف الشريعة التى هى مكروهة على النفوس الانسانية و هذا يدل على ان المعانى لها صور حسية فى تلك المبانى (ثم قال يا جبريل اذهب فانظر اليها) أى ثانيا لما تجدد من الزيادة عليها باعتباز حواليها (قال) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم و فى أكثر الاصول بدون قال (فذهب فنظر اليها) أى و رأى ما عليها (ثم جاء فقال أى رب و عزتك لقد خشيت أن لايدخلها أحد) أى لما رأى حولها من الموانع التى هى العلائق و العوائق للخلائق قال الطيبى رحمه الله أى لوجود المكاره من التكاليف الشاقة و مخالفة النفس و كسر الشهوات (قال فلما خلق الله النار قال يا جبريل اذهب فانظر اليها قال فذهب فنظر اليها ثم جاء فقال أى رب و عزتك لايسمع بها أحد فيدخلها) أى لايسمع بها أحد الا فزع منها و احترز فلايدخلها (فحفها بالشهوات

ثم قال يا جبريل اذهب فانظر اليها قال فذهب فنظر اليها فقال أى رب و عزتك لقد خشيت أن لايبقى أحد الا دخلها رواه الترمذى و أبوداود و النسائى

★(الفصل الثالث) ★ عن أنس ان رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم صلى لنا يوما الصلاة ثم رقى المنبر فاشار بيده قبل قبلة المسجد فقال لقد أريت الآن مذ صليت لكم الصلاة الجنة و النار ممثلتين فى قبل هذا الجدار فلم أر كاليوم فى الخير و الشر رواه البخارى

ثم قال يا جبريل اذهب فانظر اليها قال فذهب) و هو موجود هنا فى أكثر النسخ المصححة (فنظر اليها فقال أى رب و عزتك لقد خشيت أن لايبقى أحد الا دخلها) أى لميلان النفس الى الشهوات و حب اللذات و كسلها عن الطاعات و العبادات فهذا الحديث تفسير للحديث الصحيح السابق حفت الجنة بالمكاره و حفت النار بالشهوات و فى معناه ما فى الجامع الكبير للسيوطى ان الله بنى مكة على المكروهات و الدرجات و نعم ما قال بعض أرباب الحال

لولا المشقة ساد الناس كلهم ★ الجود يفقد و الاقدام قتال

(رواه الترمذى و أبوداود و النسائى)

★ (الفصل الثالث) ★ (عن أنس ان رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم صلى) أى اماما أو جماعة (لنا يوما الصلاة) اللام للعهد الذهنى الذى هو فى المعنى كالنكرة (ثم رقى) بكسر القاف أى صعد (المنبر فاشار بيده قبل قبلة المسجد) بكسر القاف و فتح الموحدة أى الى جانبها و جهتها (فقال قد أريت) بصيغة المجهول من الاراءة أى أبصرت (الآن) أى فى هذا الزمن القريب من الماضى و الاستقبال المعبر عنه بالحال مع مراعاة التوسعة باعتبار المآل و لذا قال (مذ صليت لكم الصلاة) أى حين صليت أو من ابتداء زمان ما صليت لكم الصلاة الى ان رقيت المنبر (الجنة و النار ممثلتين) بتشديد المثلثة أى مصورتين صورة اجمالية أو تفصيلية (فى قبل هذا الجدار) بكسر القاف و فتح الباء و فى نسخة بضمهما أى فى مقابلته ففى القاموس القبل بالضم و بضمتين نقيض الدبر و رأيته قبلا محركة و بضمتين و كصرد و كعنب أى عيانا و مقابلة قال الكرمانى فان قلت الآن للحال و أريت للماضى فكيف يجتمعان قلت قد تقربه للحال فان قلت فما قولك فى صليت فانه للمضى البتة قلت كل مخبر أو منشئ يقصد الزمان الحاضر لا اللحظة الحاضرة الغير المنقسمة المسماة بالحال انتهى و المعنى ان الحال فى كل مقام بحسب ما يناسبه المقام فى تحصيل المرام (فلم أر كاليوم فى الخير و الشر) أى لم أر مرئيا كمرئى اليوم فى الخير و لا مرئيا كمرئى اليوم فى الشر فان الجنة جامعة للخيرات من الحوز و القصور و النار حائزة لانواع الشرور من الويل و الثبور فلا نظير لهما فى جمع الخير و الشر قال الطيبى رحمه الله الكاف فى موضع الحال و ذو الحال هو المفعول و هو الجنة و النار لشهادة السابق و المعنى لم أر الجنة و النار فى الخير و الشر يوما من الايام مثل ما رأيت اليوم أى رأيتهما رؤية جلية ظاهرة مثلتا فى قبل هذا الجدار ظاهرا خيرها و شرها (رواه البخارى) و رواه مسلم عن أنس أيضا عرض على الجنة و النار آنفا فى عرض هذا الحائط فلم أر كاليوم فى الخير و الشر و لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا و لبكيتم كثيرا ❋

بحمد الله تعالى تم الجزء العاشر من مرقات المفاتيح شرح مشكوة المصابيح و يتلوه الجزء الحادى عشر من " باب بدء الخلق "

